مذكرات

الفريق طونزند



قدّم له وعلّق عليه

اللواء الركن حامد أحمد الورد

الدار العربية للموسوعات

مذكرات الفريق طوزند

الطبعَة الثانية
١٩٨٦

مُذكّرات

الفريق طونزند

قدّم له وعلق عليه

اللّواء الرّكن حامد أحمد الورد

الدار العربية للموسوعات

كثيراً ما ينسب مؤرخو الحروب للقادة المنتصرين صفاتٍ ومزايا ، بل وأمجاداً ليست لهم . كما أنهم يجرّدون الخاسرين من محاسن ومزايا هي حقٌّ لهم .

من هنا الصفة المميزة والفريدة لهذا الكتاب : فالمؤلِّف قائدٌ خاض المعاركَ ، فهزَمَ وهُزِم ، وعاش غمراتها وخططها وظروفها . وهو يرويها بدقة المسؤول ، بخيرها وشرِّها ، مبيّناً بموضوعية وبمنتهى التجرد ، كل ما له ، وكل ما عليه ، واضعاً شرفه العسكري فوق كل اعتبار ، بكل ما يفرضه هذا الشرف من صدق ونكران ذات ، وإخلاص في سرد الوقائع ، فلا يجد ضيراً في ذكر أخطائه ، وهزائمه .

لقد وقع المؤلف في الأسر بيد الأتراك ، وسيق إلى الاستانة . ثم انتدب من قِبَلِ آسريه لمفاوضة دولته (بريطانيا) في شروط الصلح . وفي هذا الإنتداب وإطلاقِ سراحه من الأسر ، دليلٌ ولا أسطع ، على مدى ثقة اعدائه به ، وبشرفه ونبل أخلاقه .

أو ليس القائد الذي يشهد له أعداؤه ، جديراً بأن يُقرأ ؟

من هذا المنطلق ، نضع السفر الذي بين يديك أيها القارىء الكريم في متناول امتنا العربية ، ونخص بالذكر قادتنا العسكريين ، لأنه مثال حافل بالعبر والدروس .

والله من وراء القصد

المقدمة

لعل الصدفة وحدها ، هي التي القت بين يدي نسخة من هذا الكتاب ، ففي واحدة من اسفاري إلى خارج القطر وقفت اتأمل نص « مذكرات الفريق طونزند في غزوه للعراق » وكان العنوان لوحده كافيا « لاغرائي إلى الانكباب على قراءته ودراسته بامعان . وخلال ذلك تجمعت لدي جملة ملاحظات وهوامش سجلتها على متون الصفحات ، حتى إذا انهيت المطالعة ، وجدت نفسي بحاجة إلى الاستعانة بعدد من المصادر التاريخية والعسكرية لتثبيت صحة بعض المعلومات ومعالجة فحوى ما ورد من احداث مهمة تتعلق بالحقبة التي تناولها الكاتب .

وعندما وجدت أن القيمة التاريخية والعسكرية لمذكرات الفريق طونزند ، بحاجة إلى مراجعة وأن مادة الكتاب من الاهمية ، هيأت نفسي لنشره وعزمت على توسيع مصادري المكتوبة بهذا الشأن ومراجعة ما يمكن مراجعته لتسهيل انجاز الكتاب من وجهة نظر جديدة ، ذلك لأن « طونزند » أحد كبار الغزاة الانكليز الطامعين في بلاد الرافدين ، ولأن مضمونه يعكس وجهة النظر البريطانية ، وهي متميزة حتما وتحتاج إلى صياغة في ضوء معطيات التاريخ المعاصر وفي ضوء بعض قوانين الحرب والعلم العسكري .

وسيجد القارىء أن قراءة موضوعية مبنية على مصادر موثوقة وكافية قد طبعت اسلوب صياغتي للكتاب ، بما يصحح بعض الارقام والتواريخ أو يعالج نصوصا جاءت في سياق المذكرات ويزيل ما غمض منها أو ما وجدته يفضي إلى لبس عليه .

والأمر الجدير بالاشارة هنا ، أن ازدياد رغبتي لانجاز مهمة تحقيق هذا العمل وتطويره ، قد تضاعفت بسبب المعلومات الكثيرة التي تسلط الضوء على تاريخ الغزو البريطاني للعراق وميدانية مادته نظرا لأن « طونزند » كان شاهد عيان عاصر الاحداث ، وساهم في بلورتها أو المشاركة في قراراتها ، وقد رواها بتفصيل واسهاب ممتاز كما ارى، وبمقدار ما ينطوي الكتاب بأسره على اهمية تاريخية فإن الفصول الاولى منه تمتاز باهمية اكبر لأنها تتحدث عن النظريات العسكرية العامة ، ولا سيما أسس وقواعد نظريات الامبراطور نابليون الكبير والتي يعدها طونزند من المسائل الجوهرية في الدفاع والهجوم ، حيث تناولها المؤلف بدراية تنطوي على وعي باهمية هذه النظريات بالنسبة للقادة العسكريين والجنود .

يتضمن الكتاب في بابه الاول ايضا « مجموعة كبيرة من المصطلحات الفنية والقتالية المستحدثة وتطرق إلى الهدف الاصلي في عمليات سوق الجيوش والاقتصاد في القوة وتعرض سوق الجيوش وسرعة الحركة أو الاقتصاد في الاتجاه والامن ويعرض تطبيقات للقواعد العسكرية التي وردت معززة بالامثلة والتطبيقات عن المعارك التي شهدتها القارة الاوربية وخاضتها الجيوش الغربية الحديثة .

ثم ينتقل المؤلف إلى تبيان الاهمية الطبيعية والجغرافية للمنطقة الجنوبية من العراق ويستعرض بدايات التفكير الجدي للحكومة البريطانية بغزوها للعراق ، ومستوى تأهب القوات الغازية للمنطقة وبالاخص « مدينة القرنة » التي تعد من المناطق الاستراتيجية المهمة في جنوب العراق والتي شكلت اولى خطوات الزحف البريطاني ـ بعد ذلك ـ نحو مدينة العمارة .

وخلال فصول الباب الاول كلها ، اكد « طونزند » على دور العراقيين من سكان الاهواز في مقاومة الغزو البريطاني ومقارعة جنود الاحتلال بالعمليات المسلحة فيقول :

« أما العرب القاطنون في البطائح فاخذوا يضايقون جنودنا في القرنة باطلاق النار -[1] م » ويصف اهل العمارة بقوله :

« وكان عرب العمارة يضمرون العداء لنا . . . »

اما الباب الثاني فتحدث فيه الفريق طونزند عن المرحلة الثانية من مراحل الغزو البريطاني للعراق ، وضمنه تفاصيل واسعة عن توجه القوات الغازية من مدينة العمارة إلى الكوت ، وعن معركة (كوت ـ الدغارة) واحتلال مدينة الكوت . وقد ضم هذا الباب عدة فصول تبعه ملحق خاص . . وفي كل السطور وما بينها لا يستطيع « طونزند » أن يخفي احداث المجابهة العراقية للعدوان البريطاني وبطولات الشعب العراقي البطل في الوقوف بوجه الغزاة . ولذلك يقول طونزند :

« إن العرب القاطنين في ضفة النهر اليمنى كانوا معادين لنا . وقد اخرجوا عداءهم من حيز الفكر إلى حيز العمل » .

وضم الباب الثالث اربعة فصول مع ملحق اشتملت بدورها على معلومات واسعة عن العمليات العسكرية للغزو البريطاني للعراق بعد احتلال الكوت وبالتحديد اساليب تخطيط القيادة العسكرية البريطانية للهجوم على بغداد ، ابتداءً من منطقة المدائن ، التي شهدت ارضها معركة كبيرة وضارية انتهت بانسحاب القوات البريطانية الغازية باتجاه مدينة الكوت . . وهنا يبرز ايضاً دور العراقيين وفرسانهم الابطال في مواجهة جحافل الغزو الاجنبي واجهاضه . وذلك يقول « طونزند » عن هذه الواقعة :

« وكان فرسان العرب يحومون حول قوتنا حينئذ على سابق عهدهم ، وكانت نار البنادق تطلق على قوتنا بلا انقطاع » . وفي الباب الرابع الذي تضمن سبعة فصول مع ملحق خاص ، يسلط فيه الفريق طونزند الضوء على عمليات الاندحار البريطاني واسلوب الاندحار إلى الكوت حيث تمت محاصرة قوات الغزو فيها ، رغم قيامها بعدة محاولات لفك الحصار عن المدينة ، باءت بالفشل جميعها بسبب الهجمات العراقية الباسلة على القوة المحاصرة ، المتمثلة بعبور نهر دجلة سباحة ومهاجمة مراكز ومحطات تمويل الجيش البريطاني . . وبهذا الخصوص يقول طونزند :

« وكان العرب الذين يقطنون البلدة يبعثون القلق والاضطراب في نفسي »
ويضيف ايضاً :

« كان العرب يطلقون علينا النار من كل مكان في حصار الكوت » وأن أعراب شمر وعنزة الذين يعد مقاتلوهم بالالوف ، والذين كان لعملهم تأثير سياسي شديد في باقي القبائل العربية . الأمر الذي ادى إلى انهيار معنويات القوات البريطانية كثيراً . وهذه العمليات الجريئة هي التي انهت حصار قوات الاحتلال البريطاني إلى الاستسلام ووقوع الفريق طونزند في الاسر .

ولا يخلو الباب الخامس من المذكرات من قيمة فعلية ذات طبيعة نفسية غالباً لأنه تضمن معلومات تفصيلية عن المعاناة التي تعرض لها طونزند في حياة الاسر عندما نقل إلى الاستانة (عاصمة الامبراطورية العثمانية) ولحين اعلان الهدنة مع تركيا ، فرغم توثيق التفاصيل اليومية للعلاقة الشخصية للكاتب مع الاشياء والافراد الآخرين إلا أن المعلومات تقترن بتفصيلات سياسية أو مرحلية تخص فترة زمنية حرجة من التاريخ .

وإنني إذ اضع بين يدي القراء الكرام هذه المذكرات بحلتها الجديدة وصياغتها التاريخية الجديدة ايضاً فلي أمل كبير أن اسد بعملية النشر فراغاً في المكتبة العربية ، وأن اقدم صورة شاملة تقريباً عن تاريخ العراق آنذاك ، تمتزج بالروح البطولية للشعب العراقي وشجاعته الفذة في تحدي الاحتلال ومجابهة الغزو الاجنبي والانتصار عليه رغم عدم التكافؤ في العدد والعدة .

وختاماً : ارجو أن اكون موفقاً في الاختيار وفي الجهد ، وفي السعي لخدمة الوطن والامة .

والله ولي التوفيق .

اللواء الركن
حامد احمد الورد

مقدمة : بقلم الفريق طاونزند

يعتمد التاريخ العسكري على دقة البحث وصدق الرواية في تدوين الحوادث وفي ايراد الاسباب المؤثرة فيها فتدوين التاريخ العسكري على هذا النمط إذ ما كانت حوادثه حديثة العهد ، ورأى المؤلف نفسه مرغماً على تناول موضوعات تمس عواطف جنود لهم علاقة بالتاريخ الذي يدونهُ ، ولكنني عندما ارى الوثائق الرسمية تبالغ في تشخيص درجة النجاح وتقلل من تقدير مبلغ الفشل ، وتشوه وجه الحقيقة في ذلك أفضل ـ والحالة هذه ـ أن اروي رواية اعمالي انا نفسي وادونها عن مفكراتي . لأنهُ لا شيء يؤثر في الرأي العام تأثيراً حقيقياً وجيهاً أشد من تأثير ايراد الحقائق على اسلوب بسيط لا يبقي مجالا للجدال وسوء الفهم .

إن جنودي قاموا باعمال كبيرة من ناحية نوعها ونتائجها باستيلائنا على شقة ارض يربو طولها على ثلاثمائة ميل وذلك بثلاث وقعات . وكانت تلك الوقعات معارك كبيرة فانتصارنا في وقعتي كـوت الامارة[1] وطيسفون[2] من أعظم انتصارات الجيش الهندي لأن هذا الانتصار فريد في بابه لبطولة الجند الذين كنت اقودهم . واني لواثق من أن القارىء يجد اللذة والفائدة في مطالعة ما كتبتهُ بشأن الخطط التي رسمتها لتينك الوقعتين .

---

(١) موضع مدينة الكوت انتصر فيها طاوزند على العثمانين واحتل مدينة الكوت .

(٢) وهي وقعة سلمان باك التي استطاعت فيها القوات البريطانية من تحقيق انتصار على القوات العثمانية عام ١٩١٥ .

وسيعلم القارىء أنني توخيت بلا استثناء الجري على اصول استخدام القوة الكبرى على اضعف نقطة في صفوف القوات المقابلة وذلك أنني قمت بحركة التفافية حول جناح العدو ومؤخرته بقوتي الكبرى - اي أنني قمت بتلك الحركة الالتفافية على الجناح الذي كان موطن الضعف في قوة العدو لأن ذلك الجناح كان أقرب نقطة إلى خط رجعته الطبيعي ولا يخفى أن هذا الخط هو خط مواصلاته على الدوام . وفي ذلك الوقت قمت بهجمة صورية من الجبهة بقوتي الصغرى لحصر القوات العثمانية في موقعها وسد ابواب الفرار في وجهها . وعلى هذا الصورة طبقت أصول نابليون[1] ومولتكه[2] الحربية على الخطط التي رسمتها للقتال ونفذتها إلى النهاية .

ولما كنت في سملا قلت للسر (بوكامب دف)[3] « أن استيلائي على بغداد يقتضي مني ثلاثين الف جندي إلى اربعين الف جندي وإذا تيسرت لي هذه القوة تعهدت بالاستيلاء على تلك المدينة والاحتفاظ بها . ولا يخفى عليكم أن القيام بتعرض سوق الجيش في ميدان حرب ثانوي بقوات لا تفي بالمرام عبث بمبدأ الاقتصاد في القوة وانهُ يقتضي لزوم جانب المدافعة في ميدان الحرب الثانوي إلى أن يحين وقت الشروع في التعرض الفاصل في ميدان الحرب الاولى » .

فاجابني : « انني متفق معك في الرأي كل الاتفاق يا طونزند . فاعلم أنك لن تخطو خطوة إلى الامام من كوت الامارة ما لم اضع تحت يدك قوة مؤلفة من ثلاثين الف جندي إلى اربعين الف جندي . فقد اتفقت رأينا على أن تزحف متقدماً من العمارة[4] وتقاتل جمال الدين باشا[5] وتحتل كوت الامارة . ولا بد من

---

(١) هو القائد الفرنسي ، واسمه لويس نابليون بونابرت امبراطور فرنسا الذي خاض حروباً طويلة في سبيل اقامة امبراطوريته الواسعة طيلة فترة حياته (١٨٥٢ - ١٨٧١) .

(٢) هو قائد الماني عظيم اشتهر بقهر الفرنسيين في حرب السبعين وعاش ما بين ١٨٠٠ - ١٨٩١) .

(٣) هو احد القادة الانكليز .

(٤) تقع مدينة العمارة على الجانب الايسر من نهر دجلة ، وعلى بعد ٩٥ كلم جنوب بغداد و ١٨٤ كم شمال البصرة إلى جهة الشرق .

(٥) قائد عثماني .

استيلائنا عليها نظراً إلى شأنها الخطير من وجهة سوق الجيش » . فوعدته بذلك واسفرت النتيجة عن انتصاري في وقعة كوت الامارة واحتلالي ذلك الموقع .

وبعد هذا الانتصار أبنت للسرجون (نكسون)[1] القائد العام للحملة العراقية أن استيلائي على بغداد يقتضي أن تضع الحكومة تحت امرتي فرقتين ـ أو نحواً من ثلاثين الف جندي . وإلا فارجح الفشل والخذلان كل الترجيح . ولكن الفريق (نكسون) اصر على تقدمي بلا تقوية . فلم يبق لي مناص من اطاعة الاوامر مع انهُ لو اقدم نابليون أو هنيبال[2] على حملة مثل حملتي بتلك القوة اليسيرة لكان نصيبه منها الخذلان والفشل . وإذا علم القارىء أن الفريق (مود)[3] زحف بعد ذلك للاستيلاء على بغداد بقوة تتألف من ١١٣٠٠٠ إلى ١٢٠٠٠٠ جندي مجهزة بكامل العدة من مدافع وميرة ومراكب بخارية وسكك حديدية وغيرها يقابل ذلك قوتي التي كانت مؤلفة من ١٣٠٠٠ جندي قدر شأن الملحوظة التي ابديتها للفريق (نكسون) حق قدره .

إن التقدم على تلك الحالة لم يكن من رأيي لأنني كنت اعتقد أن الفوز في ذلك المشروع لا يتم « الا بحركات » تنطوي على الاقدام والجرأة . لكنني شعرت آنئذانهُ إذا تيسر لغيري الفوز في مثل هذه الاحوال فارجح فوزي أنا كذلك لأنني كنت واثقاً من القوة التي كنت اقودها كل الثقة .

إن الانتصار في وقعة طيسفون لم يكن انتصاراً فاصلا إذ أنهُ في الوقت الذي طوقت فيه ميسرة العدو وهزمت فيه قوة تركية مؤلفة من نحو ١٨٠٠٠ جندي شر هزيمة ظهر خليل باشا[4] في ميدان القتال ظهور (بلوخر)[5] في « واترلو »[6] ومعه

---

(١) هو القائد العام للحملة البريطانية الغازية في العراق .

(٢) هو من القادة التاريخيين العظام .

(٣) هو قائد انكليزي اشترك في الحرب العالمية الاولى ، واستولى على كوت الامارة وعلى بغداد بوصفه القائد الاعلى للقوات البريطانية الغازية في العراق .

(٤) قائد تركي كبير .

(٥) بلوخر : قائد روسي استطاع أن يحقق نصراً على القوات الفرنسية في معركة واترلو ، وذلك على القائد الفرنسي نابليون

(٦) واترلو : هي الحملة التي انتصر فيها البروسيون على القوات .

فيلق جديد من جيش القوقاس . ومع ذلك عقدت العزيمة على الثبات في الميدان والمقاتلة إلى أن يرخي الليل سدوله لأن المجزرة كانت هائلة جداً الأمر الذي حملني على الاعتقاد بتراجع الترك تحت جنح الظلام . فوقعة طيسفون والحالة هذه تشبه وقعة « مارنغو » إذ أنهُ لما اصبح الصباح كان الترك قد تراجعوا مسافة سبعة أميال إلى ما وراء نهر ديالى . وكنت قد خسرت من جنودي ٤٥٠٠ مقاتل بين قتيل وجريح من ٨٥٠٠ مقاتل وبذلك بلغت خسارتي ٣٣ في المائة من مجموع قوتي ! وحينئذ خاب أملي في التقدم وأنا اشاهد الجيش التركي السادس امامي متحصناً وراء نهر ديالى فلم يبق لي إلا سلوك سبيل واحد وهو التراجع إلى الكوت والتحصن فيها .

وثبت آنئذ قبالة الجيش التركي السادس مدة اربعة ايام وفي اثناء ذلك كنت اخلي سراً منطقة القتال من الجرحى وارسلهم جنوباً وبدأت اروج الاشاعات بأنني عازم على الثبات في طيسفون . ثم انسللت ذات ليلة من الميدان وكان الجيش التركي ينشر ميسرته ليطوقني ويقطع عني خط الرجعة إلى الكوت .

فانسحبت ولم اترك ورائي مدفعاً واحداً ولا جريحاً واحداً والجيش التركي يجد في اثري وفضلا عن ذلك اخذت معي ١٥٠٠ اسير تركي . وفي ١ كانون الاول انثنيت فحملت على جبهة مقدمة الجيش التركي وجناحها . ثم استأنفت السير إلى الكوت بلا مضايقة وكان جنودي حينئذ على اتم الضبط ومرونة الحركة في « المناورة » .

وكل جندي يقدر هذا العمل حق قدره بعد وقعة طيسفون حيث قاتلنا بالحراب وتكردست اشلاء القتلى في الخنادق التركية وكانت المدافع تغنم على التناوب برؤوس الحراب وبلغت خسارتي ٣٣٪ من مجموع قوتي العاملة. وأجرأ على القول أن قيادة جيش متراجع وادارته على هذا النمط لأصعب محك يمتحن به القائد والجنود الذين يقودهم .

إن عزمي على الثبات في كوت الامارة حال دون طردنا من العراق . فلو

استأنفت التراجع إلى ما وراء هذا الموقع حيث مفترق نهري دجلة والحي[١] لقام كل سكان العراق ولتمكن العميد (المارشال) فون درغولتز[٢] من توجيه حركة التفافية نحونا من ذلك المفترق بطريق الحي إلى الناصرية[٣] والثبات في الكوت كان الواسطة الوحيدة لتمكين الحكومة البريطانية من جلب النجدات من خارج العراق إلى ميدان القتال لملاقاة الكارثة التي حلت بنا .

ولكنني اشترطت على السر جون نكسون لثباتي في ذلك الموقع أن ينجدني ويفك الحصار عني بعد انقضاء شهرين علي هناك وقد ابرقت اليه حينئذ انهُ إذا تأخرت النجدة عن ذلك الموعد استحال أمر نجدتنا وخلاصنا من قبضة المحاصرين . وهذا السبب وغيره من الاسباب الخطيرة الشأن جداً حملتني على طلب النجدة العاجلة . وكان عندي سبب مهم آخر يحملني على الالحاح في طلب النجدة المستعجلة وهو أن الترك حملوا علي في ليلة عيد الميلاد سنة ١٩١٦ فحبطت حملتهم ورجعوا . ولم يخلصني في تلك الليلة من ذلك المأزق غير بسالة فوجي اوكسفورد وبكس الخفيفين وفوج مهرتا المائة والثالث الخفيف . ولما بانت تباشير الصبح كنا قد طردنا القطعات التي حملت علينا برؤوس الحراب والقنابل بعد أن كبدناها خسائر فادحة .

واستحال علي وقتئذ شق منفذ لي في صفوف العدو للتملص من ذلك المأزق وذلك نظراً إلى شدة طغيان المياه وفيضان نهر دجلة . وقد سقطت الكوت بعد أن قاسينا صعوبات جمة وتحملنا مشاق عقلية وجسمانية يصعب على المرء وصفها وبعد دفاع عنيف اوشك أن يمر عليه خمسة اشهر . واعتقد أن حصارنا هذا كان اطول حصار في التاريخ العسكري البريطاني منذ حروب وليم الهولندي ومارلبرو . ولم اسلم الا بعد أن رأيت جنودي يموتون جوعاً على معدل عشرين جندياً ونيف في كل يوم وبعد أن امرني القائد العام للحملة العراقية ببرقية لاسلكية بالتسليم على

---

(١) الحي : منطقة تقع إلى الجنوب من الكوت .

(٢) قائد الجيش التركي السادس .

(٣) مدينة عراقية كبيرة تقع على نهر الفرات تسمى الآن (ذي قار) .

الشروط التي اتمكن من الحصول عليها لأنهُ لم يكن حينئذ قادراً على فك الحصار عني .

فقد ثبت في الكوت ثبوت مسينا[1] في جنوى[2] سنة ١٨٠٠ إذ تمكن نابليون بذلك من المثابرة على القتال والفوز على العدو في معركة مارنغو الفاصلة ، أو أنني وقفت في الكوت وقفة عثمان باشا[3] في بلونة إذ أنهُ فسح المجال للترك لجلب النجدات من آسية الصغرى . فثباتي على المحاصرة في الكوت مدة خمسة اشهر مكن الحكومة من جلب النجدات من الخارج إلى العراق ومهد السبل إلى الزحف بعد ذلك على بغداد واحتلالها بقوة من نحو مائة وعشرين الف جندي .

وقبل اسري قطع لي القائد العام للقوات التركية عهداً مكتوباً يقضي بمعاملة جنودي معاملة منطوية على الشرف والعناية . وبذلت كل ما في وسعي في الاستانة في سبيل تحسين احوالهم . واما معاملة القسوة والغضاضة التي عاملهم بها الترك اثناء سيرهم إلى محل الاسر فكان الباعث عليها تحريض ضباط اركان الجيش الالمانيين الملتفين حول انور[4] . ولا يخفى أن القيادة التركية العليا بأسرها أجمعت على توخي اذلال جنودنا وتحقيرهم على مشهد من سكان آسية الصغرى وذلك لاسباب سياسية . وفي تشرين الاول سنة ١٩١٨ أرسل مجلس النظار التركي في طلبي للتوسط بين الترك وبين البريطانيين لوضع شروط الهدنة . فاشترطت عليهم قبل الشروع في العمل أن يطلقوا سراح جنودي على الفور فأجابوا طلبي بلا تردد .

والذي فشلت في القيام بهِ في ميدان القتال انجزتهُ وانا رهين الاسر . فقد اقنعت الترك بالتسليم وبذلك قصرت مدة الحرب في ساحة القتال الاوربية عدة اشهر فنجم عن ذلك حقن دماء الالوف وتوفير الملايين من المال .

---

(١) قائد ثبت في جنوى سنة ١٨٠٠ .
(٢) مدينة في ايطاليا .
(٣) قائد تركي .
(٤) القائد التركي الذي أسر طوزند في حصار الكوت .

وقد تم كل ذلك في ١٧ تشرين الاول بعد الظهر سنة ١٩١٨ اثناء حديث جرى بيني وبين العميد (المشير) عزت باشا في ديوانهِ بالباب العالي[١] وفي عشية ذلك اليوم توجهت إلى الاسطول البريطاني بعد أن قطع الترك لي عهداً بفتح الدردنيل[٢] واعدت المعدات لعقد المؤتمر تواً عند وصولي جزيرة مدروس .

ولما بلغ النمسا[٣] خبر تسليم تركية سلمت فوراً على أثر ذلك وتلتها المانيا في التسليم .

ولا يخفى أن المرء سواء كان جندياً أو غير جندي لا يتاح له ابداء الحكم في الحركات العسكرية ما لم يلم الماماً صحيحاً بالقواعد الحربية الاساسية الست التي وضعها نابليون الكبير . لذلك خصصت الفصل الاول للبحث في هذه القواعد التي سار عليها تلميذاه كلوزفتز ومولتكه الكبير والتي يسير عليها اليوم اركان الجيش الالماني العامة والعميد (المارشال) فوش والقيادة الفرنسية العليا . أما الذين لا يهمهم أمر التعبئة العسكرية فليشرعوا في مطالعة الكتاب من الفصل الثاني . وأملي من الكثيرين الباحثين في الشؤون العسكرية وغيرهم ولا سيما رجال السياسة أن يطالعوا هذا الفصل لأن المذهب الالماني العسكري مبني على قواعد نابليون وقد طبقها الشعب الالماني في الكفاية على الشؤون المتعلقة بجيشهِ وسياستهِ .

فيرلوج ، رينام	الفريق الثاني
في ٦ آب ١٩١٩	تشارلس ف . ف . طونزند

---

(١) عميد تركي في الجيش العثماني .

(٢) مضيق بحري مشهور .

(٣) تقع في وسط اوربا ، يغلب على سكانها المذهب الكاثوليكي واللغة الالمانية .

الباب الأول

الفصل الاول

قواعد الحرب الاساسية

استنبط نابليون الكبير فن سوق الجيش الحديث ووضع قواعده الاساسية . وتنطبق هذه القواعد على التعبئة انطباقا على سوق الجيش وتمكننا من حل كل معضلة من معضلات التعبئة وسوق الجيش وتسري على الحروب البرية والبحرية والجوية على السواء :

فلنبحث الآن بحثاً مختصراً في قواعد نابليون الاساسية وهي : -

١ - الهدف الاصلي في سوق الجيش .

٢ - الاقتصاد في القوة .

٣ - القوة الكبرى .

٤ - تعرض سوق الجيش .

٥ - السرعة أو الاقتصاد في الاتجاه .

٦ - الامن .

١ - الهدف الاصلي

قال (هونيلوه)[1] « يجب أن ينحصر الغرض في قهر جيش العدو » .

وقال (مولتكه)[2] : « على القائد العام أن يسعى من اول الأمر بجميع قواته للقضاء على قوات العدو برمتها » .

---

(١) هو أمير بافاري عاش ١٨١٩ - ١٩٠١ .

(٢) قائد الماني عظيم اشتهر بقهر الفرنسيين في الحرب السبعينية وعاش ١٨٠٠ - ١٨٩١ .

وقد انطوت حروب نابليون باسرها على هذه القاعدة .

إذاً يجب أن يعين لمجموع الجيوش اتجاه عام تراعى في تعيينه الاحوال العسكرية والسياسية وقد يقتضي الأمر مراعاة الاحوال الاقتصادية كذلك . وهذا ينتهي بنا إلى الهدف الجغرافي .

ففي عام ١٨٧٠ نشر مولتكه البيان التالي : « الاتجاه العام باريس ، والهدف العدو اينما كان » .

وقد سار مولتكه على خطة الحركات التي رسمها (كلوزفتز)[1] لغزو فرنسا ووصفها عام ١٨١٤ بقوله « إذا نشبت الحرب بيننا وبين الفرنسيس انحصرت المسألة في قهر الجيش الفرنسي بادىء بدء ورمي انقاضه وراء (نهر لوار)[2] للاستيلاء على باريس[3] .

وكتب فون (شلختنغ)[4] قبل بضع سنوات قائلا « لقد نجحت خطة كلوزفتز في الحرب السبعينية لأن باريس رأس فرنسا وقلبها بلا جدال » .

ولا يكفي تعيين الهدف بقولنا هو العدو فحسب . بل يتحتم على كل آمر ، ولا سيما وهو يشاهد الجيوش الجرارة التي يقتضي سوقها وادارتها في هذه الايام ، أن يقف كل الوقوف على الغاية التي يتوخاها سائق الجيش بحيث يسير العمل الشخصي الذي يقوم به كل آمر ، حتى في ميدان القتال عينه ، على منهاج ينطبق على مقاصد القائد العام الذي رسم الخطة لتلك الحركات العسكرية . ولقد اصاب (جوميني)[5] في كتابه « سوق الجيش والتعبئة» إذ حصر جميع الترتيبات العسكرية في ثلاثة امور وهي أن يكون هدف القوة المحاربة الاولى اما قلب العدو

---

(١) قائد ومؤلف عسكري الماني عاش ١٧٨٠ ـ ١٨٣١ .
(٢) وهو اعظم نهر في فرنسا .
(٣) كانت هذه الخطة عين الخطة التي رسمتها المانيا لحركاتها الحربية عام ١٩١٤ .
(٤) مؤلف الماني عسكري .
(٥) (البارون هنري جوميني) قائد ومؤلف عسكري فرنسي عاش ١٧٧٩ ـ ١٨٦٩ .

واما ميمنتهُ واما ميسرته . فينبغي لكل مقاتل من الجندي البسيط إلى القائد العام أن يعلم هذا حق العلم .

ويقتضي أن يرمي نظر قائد الجيش إلى هدف ابعد من المعركة . إذ لا يخفى أننا إذا استظهرنا على عدو تعقبنا ذلك العدو الذي يتراجع غالباً في اتجاه يرغب في ستره ويكون ذلك الاتجاه على الاغلب الاتجاه الذي عينه سائق الجيش الظافر لمطاردة العدو فيه .

فلنا مما تقدم انهُ ينبغي لمطاردي الجيش المنهزم أن يعرفوا هذا الاتجاه لكي لا يركبوا متن الشطط في حركاتهم العسكرية .

ورب معترض على هذه النظرية يستند في اعتراضه إلى المثل السائر الذي ارسله نابليون الكبير بقوله : « على القائد أن يشرع في القتال في كل مكان ثم يرى » فيقول : « ينبغي للقائد العام أن يختار في ميدان القتال عينة المنطقة التي ينزل فيه الضربة القاضية على العدو اما إذا عين تلك المنطقة قبل الشروع في القتال جاء رأيه مبتسراً » .

ولكن قول نابليون هذا يصح في ميادين القتال المختصة بالحروب التي نشبت في اوائل المائة التاسعة عشرة إذ كان القائد العام يتمكن حينئذ من مشاهدة المنطقة التي كان يقاتل فيها اما بالعين المجردة أو بواسطة النظارة (المرقب) ونظراً إلى صغر ساحة القتال كان يتاح له جلب قوات جديدة إلى الموقع الذي يريده . فتصل تلك القوات في مدة تكفي لانزال الضربة القاضية على العدو .

ونظراً إلى اتساع جبهات القتال في عصرنا الحاضر يستحيل علينا اليوم العمل بنظرية نابليون التي المعنا اليها الآن . ولا يخفى أن سائق الجيش في هذه الايام يستعين بالتلغراف والتلفون وغيرهما من وسائل المخابرات للوقوف على مجرى الحوادث المختلفة في ساحة الوغى . ولكن إذا اراد عند الاقتضاء نقل جيشه من محل إلى آخر للقيام بحملة حقيقية على العدو يحتمل كل الاحتمال أن تتأخر تلك القوة عن بلوغ المكان المطلوب في الوقت المعين فتذهب جميع اتعابه واتعاب جنوده ادراج الرياح .

وعند انتصار الجيش انتصاراً مبيناً يقتضي أن يستفيد القائد العام من الظفر فيطارد الجيش المنهزم مطاردة عنيفة . وأن يبادر على اثر ذلك إلى الزحف على عاصمة العدو والاستيلاء عليها بلا امهال .

٢ ـ الاقتصاد في القوة

إن قاعدة الاقتصاد في القوة تتناول حشد كل جندي للقتال بلا استثناء مع تحاشي تفريق الجنود وافراز المفرزات التي لا جدوى منها . وقد عرف الكتاب العسكريون الفرنسيون هذه القاعدة بقولهم أنها حشد القوة الكبرى على الهدف الاصلي وتعيين القوة الصغرى للمعارك الصغرى . ولا يخفى أن الفوز كان حليف نابليون الكبير لما كان يراعي هذه القاعدة في اعماله الحربية ولكنهُ عبث بهذه القاعدة سنة ١٨١٣ فأسفرت مساعيهِ عن وقعة ليبزك[١] وكذلك عبث بها سنة ١٨١٥ في واترلو إذ فصل اربعين الف جندي بقيادة (غروشي)[٢] من مجموع قوتهِ البالغ عددها مائة الف فسحقهُ اعداؤه سحقاً . وكانت وقعة واترلو قضاء مبرماً على نابليون الكبير فلم يقم له قائمة بعدها . فالعبث بهذه القاعدة يؤول إلى الدمار والخراب لا محالة . وقد برهن لنا التاريخ على أنهُ كلما عبث جيش أو جيوش دولة من الدول المتحاربة بقاعدة الاقتصاد في القوة كان نصيب تلك الجيوش الانكسار حتما . ولنا من حروب المائتين التاسعة عشرة والعشرين امثلة مشهورة تبرهن على صحة قولنا هذا اهمها ما اصاب النمساويين سنة ١٧٩٦ ، وسنة ١٨٠٥ إذ فصل (ماك)[٣] في (اولم)[٤] وسنة ١٨٦٦ إذ فصلوا عن الجيش ثمانين الف مقاتل ارسلوهم إلى ايطالية .

---

(١) وهي معركة انتصرت فيها القوات النمساوية والروسية والبروسية على نابليون الاول عام ١٨١٣ .

(٢) وهو قائد فرنسي كبير اشتهر في حروب نابليون الكبير لا سيما في معركة واترلو سنة ١٨١٥ وعاش ١٧٦٦ ـ ١٨٤٧ .

(٣) قائد غـوي قهره نابليون الكبير .

(٤) وهي معركة انتصر فيها نابليون .

وكذلك ما حل بالروسيين سنة ١٨٠٦ وبنابليون الكبير في سنتي ١٨١٣ و ١٨١٥ وما اصابه لما ابقى في سنتي ١٨١١ و ١٨١٢ بعض جيوشهِ في اسبانية . وما أصاب الفرنسيين في حربهم مع بروسية سنة ١٨٧٠ والروس في منشورية سنة ١٩٠٤ واليابانيين إذ افرزوا نوجي[1] ومعهُ الجيش الثالث المؤلف من مائة وخمسين الف مقاتل لمحاصرة بورت اتر ولكن لسعد طالع اليابانيين لم يقم استوسل[2] بواجباتهِ فتمكن نوجي حينئذ من الالتحاق بمعظم القوات اليابانية امام موكدن . وكذلك فعلت دول البلقان المتحالفة فانهن بدل توحيد قواهن الكبرى للحملة على الهدف الاصلي ، وكان معظم القوات التركية في ميدان القتال ، اخذت كل دولة منهن تسعى وراء غايتها الخاصة . فانهن لو وحدن قواتهن لسهل عليهن كل السهولة سحق الجيش التركي والاستيلاء على الاستانة .

٣ ـ القوة الكبرى

إذا أمعن المرء النظر في حروب نابليون وفريدريك الكبيرين[3] انجلت له فوراً اسرار فوزهم في الحرب . ففي كل وقعة كانا يوجهان قوتهما الكبرى إلى اضعف نقطة في جيش العدو . ولنا من فن سوق الجيش أن موطن الضعف في قوة العدو ينحصر في خط مواصلات العدو وهذا الخط في التعبئة العليا هو خط رجعتهِ الطبيعي ـ اي خلط مواصلاتهِ .

فقد تم الفوز لنابليون في جميع وقعاتهِ العظيمة بمراعاتهِ قاعدتي الاقتصاد في القوة والقوة الكبرى . ويقول جوميني الذي مر ذكره أن القاعدة الاساسية لجميع الترتيبات العسكرية تنحصر في اجراء القتال بالقوة العظمى من قوات الجيش المتيسرة وبالحمل في الوقت عينهِ على موضع الضعف وهو اضعف موضع في صفوف العدو واما أن يكون هذا الموضع احد جناحيهِ واما أن يكون قلبهُ . ولما

(١) قائد ياباني اشتهر في حصار بورت ارثر في الحرب الروسية اليابانية وعاش ١٨٤٩ ـ ١٩١٢ .

(٢) قائد روسي قهره توجي في بورت ارثر ولد سنة ١٨٤٨ .

(٣) ملك بروسية المشهور عاش ١٧١٢ ـ ١٧٨٦ .

اوفد نابليون (ماسينا)[1] إلى بلاد البرتغال سنة ١٨١٠ قال له « أحمل على اضعف موضع في صفوف العدو وباكبر قوة تتيسر لك » . وكأني نابليون يقول لقائده حينئذ « أطلب موطن الضعف في خصمك واحمل على ذلك الموقع بقوتك الكبرى » . وخير مثل لهذا وقعة (اولم) إلى حيث اوفد النمساويون (ماكاً) وبذلك مكنوا نابليون من الاحداق بكلا الجناحين .

ولم يتفق أن رأى موطن الضعف في قلب جيش العدو إلا في وقعتين وهما (راتسبون) و (اوسترليتز)[2] وحدهما . أما امثلة انحصار موطن الضعف في الجناح فهي معارك (ايلو) و (فريدلاندة) و (جينة) و (واغرام) و (بوتز) و (لينيه) . أما معارك (غريفلوط) و (كونغراتس) و (موكدن) فهي امثلة للالتفاف حول الجناح وثنيه . ولنا من معارك نابليون سبعة وعشرون مثالا لانحصار موطن الضعف في جناح العدو يقابلها مثالان لانحصاره في قلب العدو .

ويقتضي أن تسير قاعدتا القوة الكبرى والاقتصاد في القوة جنباً إلى جنب لانهما في الواقع قاعدة واحدة .

٤ ـ تعرض سوق الجيش

قال نابليون « أن تعرض سوق الجيش وحده يؤدي إلى الظفر » . وقال فريديرك « أن الحرب هجوم » .

ولكن هذه القاعدة لا تصدق على الدول الضعيفة مثل سويسرا والدنمارك إذا وقعت الحرب بينهما وبين المانيا لكنها تصدق على الدول التي تتساوى قواتها مساواة محسوسة .

---

(١) قائد فرنسي عاش ١٧٥٨ ـ ١٨١٧ .

(٢) وهي من معارك نابليون البارزة التي انتصر فيها على النمسا عام ١٨٠٥ وكان مع النمسا روسيا وادت المعركة إلى تفتيت التحالف الثلاثي الذي يضم روسيا والنمسا وانكلترا .

وحروب سني ١٧٩٦ و ١٨٠٠ و ١٨٠٥ و ١٨٠٧ و ١٨٠٩ و ١٨٦٦ و ١٨٧٠ وحرب منشورية والحرب الاوربية الاخيرة جميعها تبرهن لنا على أن تعرض سوق الجيش وحده يؤدي إلى الظفر . والظفر دائماً حليف القائد (سواء كان ذلك القائد سائق جيش أو معبيء جيش) الذي يهجم وجميع قواته متحدة ومستورة في جميع الجهات ويقوم بعمله بلا تأخير وينزل الضربة القاضية على اضعف موضع في صفوف العدو بأعظم قوة متيسرة له .

وليس تعرض سوق الجيش في الحروب الحديثة مفيد فحسب بل هو أمر جوهري لا يستغنى عنهُ . وسائق الجيش الذي يتعمد التقدم في الاتجاه العام نحو معظم قوات العدو في ساحة القتال تواً بعد حشد قواته (وحشد القوات هو قاعدة الاقتصاد في القوة بعينها) ويحمل بقوتيهِ الكبرى والصغرى على العدو في الموضع الذي تقتضيهِ قاعدة سوق الجيش الحقيقة ـ وذلك الموضع هو اما احد جناحي العدو واما قلبهُ ـ لا بد له من نيل اعظم فرصة سانحة للفوز بشرط أن يعلم العلم الكافي بمواقع العدو وذلك بالاخبار التي ترده من دائرة استخباراتهِ ومن الجواسيس قبل اعلان الحرب وبعده وبالاخبار التي تأتيهِ بها خيالة سوق الجيش والاخبار التي يحصل عليها بالاستطلاع الجوي .

ولنا في هذا الشأن من الحرب الروسية واليابانية درس مفيد جداً على وجه خاص . فإن كروباتكن[١] ظن أنه لا يتمكن من التقدم والشروع في القتال قبل أن يتلقى الاخبار الصادقة عن قوة العدو ومواقعهِ . ولكنهُ لم يتلق الاخبار التي كان يتوقعها فلم يبد حراكاً وافضىٰ به الامر إلى الانكسار .

فقد برهنت لنا حرب منشورية على انهُ يجب على سائق الجيش أن لا ينتظر الاخبار قبل الشروع في التعرض . بل انما عندما يتم له وضع خطتهِ وحشد كل صنف من قواتهِ عليهِ أن يضع نصب عينهِ امراً واحداً وهو الزحف تواً إلى هدفهِ (وهدفهُ ينحصر في معظم قوات العدو التي في ساحة القتال) بجميع قواتهِ وهي

(١) قائد في الحروب الروسية اليابانية .

متحدة . وإذا أتاه الجواسيس والخيالة والطائرات بالاخبار التي تعينهُ في عمله كان بهِ والا فلا . ولكن عليهِ أن لا يتقدم خطوة واحدة إلى الامام قبل حشد جميع قواتهِ والا كان عمله عبثاً بقاعدة الاقتصاد في القوة . ولا بأس إذا سبقهُ العدو بضع ساعات أو بضعة ايام في التقدم . لأنهُ لا يفسح ، والحالة هذه ، مجالا لتنفيذ ارادة العدو في عمله وذلك فيما يتعلق باختيار موضع الهجوم . وقد علمتنا الحرب العظمى كذلك هذه الامثولة .

٥ ـ قاعدة السرعة أو الاقتصاد في الاتجاه

إن اقصر طريق وافضلها لبلوغ الهدف المطلوب تنحصر في الزحف على معظم قوات العدو التي في ساحة القتال .

قال العميد (المارشال) فوش : « أن ناموس سوق الجيش ينحصر في الحركة » . فعلى القائد العام أن يسرع في عمله بلا تأخير . ولنا من حروب سني ١٧٩٦ و ١٨٠٠ و ١٨٠٥ و ١٨٠٦ خير امثلة تبرهن لنا على صحة هذه القاعدة ، هذا فضلا عن انهُ كان لها اشد تأثير في النتائج التي انتهت اليها تلك المعارك . ولكن حركتهُ اخذت من سنة ١٨٠٧ فصاعدا تتناقل من بعد تلك السرعة العظيمة فكان فوزه في معاركه حينئذ ناقصاً . ونرى في معركة سنة ١٨١٤ بونابرت الحقيقي إذ برز إلى الميدان بسابق سرعتهِ العظيمة ولكن تلك السرعة في الحركة كانت حينئذ في غير اوانها لأن عدد اعدائهِ ازداد يومئذ حتى بات فوق ما يستطيع التغلب عليه .

ولنا من زحف جيش نابليون على بلجيكا في سنة ١٨١٥ مثالا باهراً لتوخي نابليون السير على قاعدة السرعة في الحركة . أما الروس واليابانيون فقد برهنوا في حرب ١٩٠٤ على أنهم لم يقدروا على الاطلاق شأن قاعدة نابليون هذه حق قدرها .

٦ ـ الامن

إن توخي حرية العمل و « المناورة » (الحركة العسكرية) بواسطة خيالة سوق الجيش تعضدها مقررات مختلفة من جيوش الجناح أو من جيوش الميمنة أو الميسرة لمن الوسائل العظمى التي نتمكن بها من ارغام العدو على الاذعان لارادتنا بدلا من أن نذعن نحن لارادته .

ولنا تقريباً من جميع حروب نابليون الكبير ، واضع اساس سوق الجيش الحديث ، امثلة على هذه القاعدة . ففي الحرب الايطالية سنة ١٧٩٦ نرى أن الشروط الاولى التي اشترطها نابليون لنجاح «مناوراته » التي بناها على خطوطه الداخلية انحصرت في توفير حرية العمل التامة لجيشه الصغير . ونراه كذلك متمسكا بقاعدة الاقتصاد في القوة إذ انهُ وحد جميع الفرق المتيسرة له وزحف بها فرقة تلو الاخرى على جيوش العدو الذي كان قد عبث بقاعدة الاقتصاد في القوة بتفريق قواته .

فكلما زحف نابليون على قوة من قوات ذلك العدو المتفرقة كان يستتر في جميع الاتجاهات الخطرة باقل قوة يتمكن من الاستغناء عنها . وعلى هذه الصورة تمكن من انزال الضربة القاضية على خصمه غير خائف شر المقاومة . وفي ذلك عينه كان يراعي قاعدة السرعة في حركاته . وأجرأ على القول أن حرب سنة ١٧٩٦ ستظل خير انموذج لسوق الجيش . ولكن نابليون بونابارت عبث في سنة ١٨٠٠ بقاعدة الامن حتى بات على شفا الانكسار في وقعة مارنغو .

وفي سنة ١٨٠٦ أوفد مقدمة سوق الجيش المؤلفة من فيلق كامل امام جيشه وذلك لكي يضمن حرية العمل لقواته . ولنا من جميع محارباته أن اهتمامهُ الاول كان على الدوام منحصراً في امن سوق الجيش . ولكن كلا البروسيين والنمسويين اهملوا هذه القاعدة سنة ١٨٦٦ فنجم عن ذلك أن (بينيديك)[1] قاتل في

---

(١) (لودفك فون بينيديك) قائد نمسوي عاش ١٨٠٤ ـ ١٨٨١ .

كونغراتس[1] فتالا لم تأت نتائجه طبقاً لرغباتهِ الاصلية واستخدم مولتكه بعض قواتهِ فقط في مقاتلة قوة العدو الكبرى . وفي سنة ١٨٧٠ لم يراع القادة الفرنسيون قواعد سوق الجيش وكذلك لم يظهر من اعمال مولتكه ما يدل على انهُ راعى قاعدة الامن . أما رجال اركان الجيش الياباني العامة فبرهنوا في حرب منشورية على انهم فهموا هذه القاعدة حق الفهم .

إن مذهب اركان الجيش الالماني في التعبئة طبقا لقواعد نابليون الاساسية وهي : -

(أ)

١ - إن الهدف الاصلي هو جيش العدو والغاية المنشودة هي القضاء على ذلك الجيش .

٢ - الزحف على جيش العدو ، وهذه الغاية (اي القضاء على جيش العدو) نصب عين القائد العام ، بقوات مؤلفة من عدة ارتال بحيث تتقدم على الجيش الزاحف قوة كبيرة من الخيالة تنحصر واجباتها في استكشاف محل قوة العدو الكبرى .

٣ - اتخاذ جبهة مسير متناسبة مع المسافة التي يستكشفها الجيش في الجبهة بحيث تمكن تلك الجبهة الجيش من الاحتشاد في يوم أو يومين .

٤ - عند العثور على قوة العدو الكبرى يجب أن تنثني جميع الارتال المتجانبة (المتوازية) على تلك القوة الكبرى فتهجم عليها في وقت واحد من الجبهة والجناح وتقطع عنها خط اعاشتها وميرتها الاصلي .

٥ - الاستفادة من الظفر الفاصل بمطاردة العدو مطاردة عنيفة .

٦ - ستر جناحي خط المواصلات الذي يربط القوة المحاربة ببلادها بجيوش سيارة والاستيلاء على الحصون التي تقف في سبيل تلك القوة .

---

(١) (كونغراتس) بلدة في بوهيمية من اعمال النمسا .

(ب) من وجهة التعبئة :

٧ - في مسيرات التعبئة ، وفي خطوط ارتال الفرق ، يجب وضع المدفعية بالقرب من رأس الرتل ، ووضع الذخيرة وراء الجنود المحاربة . ويجب استكشاف الجبهة والجناح بالخيالة . واستخدام جنود الدراجات للمواصلات في المؤخرة .

٨ - خدمة الامن : بدلا من الاكتفاء بالترصد في موقع واحد يجب ايفاد مفرزات ودوريات متوالية لاستكشاف العدو والتفتيش عنهُ وترصد الجناحين على مسافة ما .

٩ - في محاربة التعرض يجب الشروع اولا في استطلاع ترتيبات العدو المدافع استطلاعاً دقيقاً ومعرفة محل جناحيهِ . ووضع القوة الكبرى على ترتيب يمكنها من مهاجمة جبهة موقع العدو وجناح ذلك الموقع بأن يكون ذلك على الدوام بمشاغلة الجبهة والالتفاف حول احد الجناحين . ويجب اخفاء مسير التقرب على قدر المستطاع بواسطة الستر وانخفاضات الارض . وحين مقاتلة جناح العدو بقوات فائقة يجب في الوقت عينهِ محاصرة جبهتهِ بمدفعية قوية .

١٠ - في تعرض المدافعة يجب عضد الجناحين بالموانع والمواقع . والا اقتضت الحال ترتيب خدمات متوالية وراء الجناحين . وكذلك يقتضي ايفاد الخيالة أو مفرزات مختلطة للتفتيش عن العدو المهاجم وذلك للتثبت من الاتجاه الذي يدنو منهُ ، ويجب ترتيب الاحتياط العام على جانب الجناح مستتراً استتاراً وافياً بالغرض بحيث تتمكن القوة المدافعة من القيام بهجمة معاكسة (مقابلة) في اللحظة التي ينتهي فيها القتال إلى النتيجة الفاصلة . وينبغي نقل العتاد إلى وراء خط القتال وانشاء تحكيمات الصحراء (الميدان) في الجبهة والجناحين مع بذل العناية في ستر تلك الاعمال . ويقتضي تمهيد الطرق ومد الخطوط التلغرافية وراء الجبهة .

وقد وضع مولتكه هذا المذهب العسكري الذي اقتبسهُ من القواعد

الاساسية التي استنبطها نابليون واودعها رسائله التي كان يدونها اثناء حروبه المختلفة .

ومع جسامة الجيوش الجرارة التي ساقتها الدول إلى ميدان الحرب العظمى ـ تلك الحرب التي وضعت اوزارها الآن ـ نرى قواعد نابليون الاساسية اجل شأناً في القتال اليوم مما كانت عليهِ قبلا .

وقد كتب الزعيم (مير الاي) (ربنغتون) مقالا في هذا الصدد في عدد ٢٨ كانون الاول سنة ١٩٠٩ من جريدة التيمس جاء فيهِ : « علينا أن لا ننسى أن الاصول التي وضعها نابليون للقتال ما زالت مصدر الفنون العسكرية . ولا نتمكن من فهم المغازي التي تنطوي عليها هذه الفنون والاستفادة منها ما لم نستق علمنا من الينبوع الذي فاضت منهُ هذه الفنون عينهُ) .

ومن احاديث نابليون في جزيرة القديسة هيلانة حديث جرى له في ١٦ تشرين الثاني سنة ١٨١٦ وهو : ـ

« إن سر الاعمال العظيمة التي قام بها عظام قواد الجيوش في الأزمنة القديمة والقواد الذين نبغوا بعدهم وساروا على اثرهم ينحصر في مراعاتهم هذه القواعد . إن الناس ينسبون اعظم انتصاراتي الباهرة إلى سعد طالعي ويعزون فشلي إلى هفواتي ولكنني إذا دونت تاريخ حروبي دهش العالم إذ يرى أنني بذلت جميع قواي في مراعاة قواعد الحرب » .

وقد قال نابليون كذلك في الحرب : « على المرء أن يراعي قواعد القتال العظمى . والباقي يتممهُ الحظ » .

وكتب الارشدوق شارل الكبير[1] وهو خصم نابليون العنيد في وقعتي (اسبرن)[2] و (واغرام)[3] . سنة ١٨٠٩ يقول : « بعد تدويني تاريخ ثلاثين

---

(١) امير نمسوي اشتهر في حروب نابليون الكبير وعاش ١٧٧١ ـ ١٨٤٧ .

(٢) قرية في النمسا بالقرب من فيينا اشتهرت بوقعة سنة ١٨٠٩ .

(٣) قرية في النمسا تبعد ١١ ميلا عن فيينا إلى الجهة الشمالية الشرقية اشتهرت كذلك بوقعة ١٨٠٩ .

محاربة وقيامي بالمساعدة الشخصية في اثنتي عشرة محاربة اخرى من اشهر المحاربات اقول أنني لا اتمكن من ايراد مثال لمعركة واحدة راعى فيها القائد العام قواعد الحرب المراعاة المطلوبة ولم يخرج من المعمعان ظافراً » .

ويقول العميد (المارشال) فوش في كتابهِ (قواعد الحرب) : « أن لفن الحرب نظريات ، أو قواعد ، مختصة بهِ مثل باقي الفنون . والا فلا يصح لنا أن نسميهِ فناً » .

وقد قابل احد كتّاب جريدة الديلي العميد فوش في الآونة الاخيرة فصرح له هذا القائد الفرنسي بقوله : « أن قواعد الحرب واحدة على الدوام ولا فرق في ذلك سواء كان الجندي ماشياً في العراء أو كان في داخل دبابة إذ أن القواعد التي يقاتل بمقتضاها لا تتغير . وفن الحرب مثل فن البناء فقد تتغير المواد التي تشيد بها البناية فتكون اما خشباً أو حجراً أو فولاذاً . ولكن القواعد الثابتة التي يراعيها المهندس في بناء المنزل باقية على حالها لا تتغير ولن تتغير .

وإذا نظرنا من وجهة قواعد الحرب الاساسية في دروس سوق الجيش التي تلقيناها في ميادين الحرب العظمى رأينا أن الدول التجارية اهملت الامثولات التي تعلمنها من التاريخ في هذا الشأن فعبثت بقاعدة الاقتصاد في القوة فأسفرت الحرب العالمية عن نتائج اعتيادية لا بد من الانتهاء اليها حين العبث بهذه القاعدة الاساسية .

وقد قلنا في ما مر أن الفوز كان حليف نابليون في جميع المعارك التي راعى فيها قاعدة الاقتصاد في القوة ولكن السياسة والغرور حملاه في سنة ١٨١٣ على العبث بهذه القاعدة المهمة إذ أنهُ ابقى مائتي الف جندي ، حنكتهم الحروب ، في اسبانية (وكانت اسبانية حينئذ ميدان حرب ثانوي) ابان محاربته جيوش بروسية وروسيا والنمسا في المانية (وكانت المانيا يومئذ ساحة القتال الكبرى) حيث كان ينازع تلك الدول المتألبة عليهِ البقاء . وماذا كانت النتيجة ؟ ذلك أنهُ انهزم في وقعة ليبزك فطرده اعداءه إلى ضفة نهر الراين الغربية . فلو كانت القوة التي ابقاها

في اسبانية ـ وهي مؤلفة من مائتي الف مقاتل ـ معهُ في ليبزك لخرج من المعمعان ظافراً لأنهُ اوشك حينئذ أن ينتصر على اعدائهِ مع تفوق عددهم وقلة جنوده .

وكذلك فاتت هذه الامثولة الحكومة الفرنسية سنة ١٨٧٠ إذ أن فرنسا عبثت حينئذ بقاعدة الاقتصاد في القوة على صورة لم يسبق لها مثيل في التاريخ . وذلك أن الالمان قهروا الجيوش الفرنسية النظامية في الالزاس[1] واللورين الواحد تلو الآخر . ثم الف الفرنسيون جيشاً احتياطياً فعفا اثره في سيدان . وبعد هذه الكارثة جمعت فرنسا جيشاً مؤلفاً من سبعمائة الف مقاتل من الرديف والحرس الوطني والقوات السيارة وغيرها وبذلك تمكن الفرنسيون من مواصلة القتال مدة ستة اشهر . وقد سأل العميد (المارشال) فوش قراءه في كتابهِ المعنون (ادارة الحرب) قائلا : ترى ماذا كانت هذه الجيوش الثلاثة تتمكن من عمله لو اتحدت حين الشروع في الحرب ؟ وقد اجاب على هذا السؤال بقوله : لو فعل الفرنسيون ذلك لاسفرت النتيجة على الاقل عن بقاء الالزاس واللورين في حوزة فرنسا . وبمقتضى هذه القاعدة كان يتحتم على فرنسا أن توحد جميع تلك القوة في وقت واحد وأن تحشدها في محل واحد إذا كان ذلك في استطاعتها . وكانت هذه الامثولة نصب عيني لما دعتني الحكومة دعوة رسمية في سنة ١٩١٣ لابداء رأيي في القوة التي يتألف منها رديفنا ـ وهي قوة (التير يتوريال) ـ إذا ارتأيت وقتئذ أن نظام هذه القوة ، نظراً إلى كونها من جملة القوات التي تتأهب بها لمقابلة طوارىء الحرب ، محض عبث بقاعدة الاقتصاد في القوة ، وهو نظام لو علم بهِ نابليون بونابارت نفسهُ لاسف له كل الاسف . وذلك لأن نظام قوة التير يتوريال عندنا يقضي بأن لا تتألف هذه القوة وتنتظم عندنا الا عند اعلان الحرب . وانتصارنا في الحرب العظمى لا يصح اتخاذه حجة لتنفيذ هذه النظرية . لأن الجيوش الفرنسية ثبتت في ميدان القتال حتى اسرعنا إلى نجدتها بالجيوش التي الفناها على عجل ثم انضمت اميركا إلى صفوفنا . ترى هل كانت الرجعة إلى المارن واقعة لو كانت قوات رديفنا

---

(١) وهي احدى المقاطعات الفرنسية وكانت خلال فترة من التاريخ هي محط صراع بين الفرنسيين والالمان فكانت الالزاس واللورين تارة بيد فرنسا وتارة بيد المانيا .

(التير يتوريال) متأهبة للقتال حين اعلان الحرب ؟ وعندي أنهُ لو وقف رديفنا فوراً إلى جانب الجيوش الفرنسية ، نظاميها ورديفها ، في ساحة القتال لوضعت الحرب العظمى اوزارها في سنة ١٩١٤ .

إننا وصفنا قاعدة الاقتصاد في القوة وصفاً مختصراً بقولنا أنها اتحاد جميع الوحدات المتيسرة لتتهيأ للقتال وتحاشي تفريق القوات تفريقاً مضراً وفصل المفرزات بلا جدوى ، ونعني بهذا جميع المفرزات التي لا تحتم الضرورة انفصالها عن القوة الكبرى أو المفرزات التي لا تتمكن من الانضمام إلى القوة الكبرى للاشتراك في المعركة الفاصلة أو المفرزات التي لا تفصل أو لا تفرز أو لا تشاغل قوة مساوية لها أو اكبر منها من قوات العدو . وعندي أن اوفى ايضاح لهذه القاعدة هو أن يوزع القائد العام قواتهُ على صورة معقولة تنفيذاً لمقتضيات القاعدة الاولى . واقول بتعبير سوق الجيش يجب أن يعين القائد العام القوة الكبرى لساحة القتال الكبرى حيث يتوقع الحصول على النتيجة الفاصلة ، والقوة الصغرى لساحة أو لساحات الحرب الثانوية وهي الساحة أو الساحات التي يقف فيها موقف المدافعة .

واقول من وجهة التعبئة أن قاعدة الاقتصاد في القوة تنحصر في مشاغلة العدو بقوة صغرى كافية لايقافهِ في محله وهو ميدان القتال الثانوي . وفي ذلك الوقت عينه يجب تعيين القوة الكبرى على اعظم ما تكون لساحة القتال الكبرى وهي ساحة التعرض لانزال الضربة القاضية علي اضعف موضع في صفوف العدو باكبر قوة متيسرة .

والآن نأتي إلى البحث في المفرزات التي لها علاقة بهذه القاعدة فنقول :

إنهُ إذا ثبت لنا أن لا مفر من افراز مفرزة ما من القوة الكبرى فلا بد والحالة هذه من جعل تلك المفرزة على اقلها بحيث تكفي للقيام بالعمل الذي يطلب منها انجازه ثم ترتب هذه المفرزة بحيث نستطيع سحبها وضمها إلى القوة الكبرى ـ اي القوة الاصلية ـ للاشتراك في القتال . أو يقتضي ترتيب تلك المفرزة بحيث تتمكن

من مشاغلة قوة اعظم منها من قوات العدو وصد تلك القوة وبذلك تمنع مفرزتنا مفرزة العدو من الالتحاق بالاعداء في ميدان القتال الاصلي .

فقاعدتا الاقتصاد في القوة والقوة الكبرى اهم القواعد الحربية الاساسية التي وضعها نابليون الاول . وقد تمكن ذلك القائد العظيم من الانتصار على جيوش الدول الاوربية الاخرى بمراعاتهِ هاتين القاعدتين المهمتين اللتين كان قواد باقي الجيوش الاوربية يجهلونها كل الجهل . ولنا من محاربة نابليون في ايطاليا سنة ١٧٩٦ انموذجاً باهراً لهاتين القاعدتين من قواعد الفنون الحربية . ففي هذه المحاربة تفرقت القوات النمساوية في الانحاء الايطالية الشمالية جمعاء فسحق نابليون جميع تلك القوات الواحدة تلو الاخرى . فكان يتقدم بمسيرات تعرض سريعة فيتخذ له موقعاً مركزياً بين كل جيشين من جيوش النمسا المتفرقة فيشاغل احدهما بقوتهِ الصغرى ويسحق جيش العدو الآخر المنفصل عن رفيقهِ بقوتهِ الكبرى .

وكتب كلوسفتز في قاعدة الاقتصاد في القوة قائلا :

« إن اول واجبات القائد العام واهمها أن يوحد قواه . فعليهِ أن لا يفصل مفرزة من قوتهِ الكبرى الا المفرزة التي لا يرى بداً من فصلها للقيام بعمل ضروري جداً » .

ونرى نابليون إلكبير يشير إلى هذه القاعدة على الدوام في جميع مراسلاتهِ العسكرية وفي توبيخهِ لقواده والنصائح التي كان يسديها اليهم ، لا سيما في ما كان يكتبهُ أو يقوله إلى الامير يوجين أو الملك يوسف[1] لما كان يقود الجيوش في ميدان حرب ثانوي . فكان يقول له : « لماذا لم توحد قواتك ؟ » وكتب في سنة ١٨٠٨ قائلا : « أن اصول ضرب النطاق العسكري تصلح لمطاردة مهربي البضائع ومراقبة مراكز البريد على الحدود . فقل لي هل يقود متفقدو البريد جيشك ؟ » .

(١) اخو نابليون الكبير .

وفي حرب سنة ١٨٦٦ عبثت النمسا مرة اخرى بقاعدة الاقتصاد في القوة غير معتبرة بالامثولة التي تعلمتها من تاريخها . فإنها ، مع شدة احتجاج العميد (بينيديك) قائد القوات المحاربة العام ، فصلت عن قوتها الكبرى ثمانين الف جندي لمراقبة الحدود الايطالية في الوقت الذي لم تكن مهددة بخطر دخول ايطاليا في الحرب . وسرعان ما اسفرت النتيجة عن انكسار الجيوش النمساوية في وقعة كونغراتس (لوسادوفة) فانمحقت النمسا بعد سبعة ايام . فلو اشترك الثمانون الف جندي الذين فصلوا لمراقبة حدود ايطاليا في هذه المعركة لتم الفوز للنمسا لأن مولتكه بات في احد ادوار القتال على شفا الانكسار حتى أنهُ كاد أن يصدر الاوامر إلى جيشهِ بالانسحاب من ميدان القتال . ولو انتصرت النمسا في تلك الوقعة لتغير تاريخ اوربا الحديث .

وكلمتي الاخيرة في الاقتصاد في القوة هي أنهُ يجب أن توضع خطة واحدة أو منهاج واحد للحركات الحربية في ساحة القتال الكبرى وفي ميدان القتال أو ميادين القتال الثانوية .

ولا شك في أن التاريخ سيدون حملاتنا على غاليبولي والعراق وفلسطين كامثلة للعبث بقاعدة الاقتصاد في القوة . فما شأننا وشأن بغداد أو القدس ؟ ولا يخفى أن العراق وفلسطين كانا ميداني حرب ثانويين إذا قابلناها بساحة الحرب الكبرى في فرنسا حيث كنا نجاهد لاحراز الفوز والظفر . ولكن لا جدال في أن معارك غاليبول كبدت القوات التركية خسارة فادحة ولا نبالغ إذا قلنا أن حملاتنا على الترك هناك انهكت قوى الجيوش التركية فلم تقو بعد ذلك على القيام بهجوم معاكس لصد تقدمنا في ميداني الحرب الثانويين في العراق وفلسطين .

ويجدر بنا ، ونحن نبحث في قاعدة الاقتصاد في القوة ، أن نذكر الاعمال التي قام بها الاسطول طول مدة الحرب في سبيل سوق الجيش . ولم نعثر قط على مثال لمراعاة قاعدة الاقتصاد في القوة مراعاة دقيقة يفضل على ما اتاه الاسطول في هذا الشأن . وإذا أمعنّا النظر في توزيع القوات البحرية قبل الحرب بصورة

معقولة انجلت لنا هذه الحقيقة . فقوة اسطولنا الكبرى كانت في ساحة الحرب الكبرى وهي البحر الشمالي . وكانت قوات اسطولنا الصغرى في ميادين الحرب الثانوية وهي المحيط الهادىء والمحيط الهندي وبحر الظلمات (المحيط الاطلسي) وهلم جرا .

ولنا خير مثال لقاعدة السرعة أو الاقتصاد في الاتجاه من اعمال اركان الحرب الالمانية العامة حين الشروع في الحرب سنة ١٩١٤ . ولكن التعرض الالماني بلغ الغاية القصوى في (وقعة المارن) سنة ١٩١٤ - تلك الوقعة التي انكسرت فيها المانيا - وحينئذ ارتأت اركان الحرب الالمانية العامة رأياً رشيداً فقررت التحصن في الخنادق والاحتفاظ بالاراضي التي غنمتها الجيوش الالمانية . فعدلت حينئذ المانيا عن المهاجمة إلى المدافعة لتضجر الحلفاء وتحملهم على عقد صلح في مصلحتها .

لذلك استحال على المانيا بعد وقعة المارن توخي حرب « المناورة » أو الحركة بمقتضى قواعد نابليون الاساسية وباتت « حرب المواقع » أو « حرب الخنادق » ديدن المتحاربين حينئذ مع كونها ملائمة للمحاربات التي تجري في ميادين القتال الثانوية . وهذا يذكرنا بحروب المائة الثامنة عشرة . ودامت الامور جارية على هذا المجرى ، مع بضعة تقلبات ، إلى أن قام الالمانيون بتعرضهم الكبير في شهر آذار سنة ١٩٢٣ فانقلبت حينئذ « حرب المواقع » إلى حرب اركان و « مناورات » . ولكن سرعان ما انتهت هذه الحرب بعقد الهدنة . وكانت الحال على عكس ذلك في ميادين الحرب الثانوية في فلسطين والعراق وغيرهما فإنها كانت محاربات حركات و « مناورات » .

إن بطء سير الهجوم في حرب المواقع ، حيث يستفيد الجيش المدافع من خطوط أو مواقع دفاع متعاقبة ، ينهك قوى الجيش المهاجم . وينجم عن ذلك عدم التوصل إلى نتيجة فاصلة . ولا يخفى أن المدافعة في حرب المواقع تمكن الجنود المجندين على صورة مستعجلة من الاعتصام في الخنادق ووراء الستر أما في حرب الحركة والمناورة في ميدان مكشوف فيسهل انكسار اولئك الجنود المستجدين حين مقاتلتهم جنوداً متفوقين عليهم في التدريب . وفضلا عن هذا نرى أن حرب

التعرض المنطوي على الحركة والمناورة تقتضي قواداً دهاة ومحنكين في المناورة وجنوداً يتفوقون على غيرهم في التدريب على قوة السير وتحمل المشقات ومرونة الحركة ودقة الضبط .

إن السرعة في الحرب تتوقف بكاملها على خبرة الآمر واركانه وعلى جنود مدربين احسن تدريب . مثال ذلك أن ولنغتون[1] حين شروعه في المحاربة في البرتغال كان اركانه حديثي العهد بالشؤون العسكرية وكانت مدفعيته ضعيفة جداً بالنسبة إلى مشاته وكانت خيالته قليلة العدد ولم تتيسر له حينئذ وسائل النقل لذلك كان يكتريها من الفلاحين . وسيعلم القارىء أن مساعيَّ الحربية في العراق كانت على الدوام معرقلة نظراً إلى قلة وسائل النقل التي كانت متيسرة لي حينئذ لذلك كنت انتظر مدة طويلة بين زحفة واخرى إلى الامام . هذا بقطع النظر عن شدة ضعف جيشي من حيث العدد الذي يقتضيه التعرض .

قال نابليون : « لا تتخذ خطة الدفاع إلا عندما تسد جميع الابواب الاخرى في وجهك . فإذا ارغمتك الاحوال على اتخاذ هذه الخطة الممقوتة سواء كان ذلك لتوفير الوقت أو لتوحيد قواتك ومعداتك أو لاغراء العدو أو لتحويله عن قاعدة حركاته الحربية (أو لجره من مواقعه الحصينة) فارم في جميع اعمالك إلى تلك الغاية القصوى وهي التعرض » .

ولا يخفى أن التفوق في العدد تفوقاً عظيماً أمر محتم للقيام بتعرض سوق الجيش . فهذه الغاية ومرامي المانيا السياسية ومطامحها التي كانت تسعى لتحقيقها حملت اركان الجيش الالماني على اتخاذ خطة تعرض سوق الجيش في الميدان الغربي وكان ساحة القتال الكبرى . وفضلا عما كان عند الالمان قواد واركان متفوقون على غيرهم في التدريب والحنكة وجنود مدربون تدريباً سامياً في الحركات والضبط وذوو مقدرة عظيمة على السير . فاستعدادهم هذا مكنهم من القيام بتعرض واسع

(١) ارثر ولسلي وهو دوق ولنغتون اشهر قواد الانكليز في المائة التاسعة عشرة الد خصوم نابليون الكبير وقد قهر نابليون في وقعة وترلو الشهيرة سنة ١٨١٥ . وعاش دوق ولنغتون ١٧٦٩ - ١٨٥٢ .

النطاق . ولكن التعرض السوقي يقتضي موارد لا تنضب لتقوية القوات التي تساق إلى ميدان القتال بالرجال والذخيرة والميرة ويجب أن لا تخلو السكك الحديدية والطرق وغيرها من وسائل النقل والمواصلات من المشحونات . ولكن اركان الجيش الالماني اخطأوا في سنة ١٩١٤ في تقدير العدد المطلوب لمواصلة التعرض على شدته إلى النهاية . وهذه الشدة واجبة في هذا الشأن وجوبها في اطلاق المدافع على الحصون إذ يقتضي أن تزداد شدة القصف زيادة مطردة لأنه إذا توقف القصف لانقطاع العتاد والذخيرة عن المدفعية ذهبت اتعاب المحاصرين ادراج الرياح . وينحصر سبب فشل نابليون في سنتي ١٨١٢ و ١٨١٣ وغوستافوس ادولفوس وشارل الثاني عشر ملك اسوج (١٦٨٢ ـ ١٧١٨) وفزيديرك الكبير[1] وهنيبال في خطأهم في تقدير القوات والمعدات التي تقتضيها مواصلة التعرض على شدته وسد الفراغ الذي تحدثه الخسارة الفادحة في الجيوش اثناء التعرض من جراء مواصلة المساعي التي لا بد من مواصلتها .

وفضلا عما تقدم تزداد المسافة زيادة مطردة بين الجيش القائم بالتعرض وبين الوطن ومصادر الاعاشة والميرة المهمة في الوقت الذي لا يمكن الاعتماد على السكك الحديدية الممتدة في بلاد العدو . وتقتضي مواصلة الزحف والتقدم افراز مفرزات لا بد منها . فتفرز الجنود لحراسة خط المواصلات وللمحافظة على الجناحين وسترهما وهلم جرا .

وعلى هذه الصورة يبلغ تعرض سوق الجيش حده الاقصى وحينئذ يقضي الناموس الطبيعي الذي يعمل على اضعاف ذلك التعرض بتناقص التفوق الاصلي تناقصاً تدريجياً حتى يمسي امر الانتصار مبهماً .

فقد بلغ تعرض سوق الجيش الذي قامت به اركان الجيش الالماني العامة حده الاقصى في وقعة المارن سنة ١٩١٤ وكذلك بعد وقعة ڤردون سنة ١٩١٦ .

---

(١) احد الملوك البروسيين (١٧١٢ ـ ١٧٨٦) خاض حروب عديدة جعلت بروسيا اول دولة حربية في اوروبا .

وفي كلتا الوقعتين لما رأى الالمان أنهم فشلوا في انزال الضربة القاضية على رأس العدو انشأوا لهم خطوط مدافعة تحصنوا فيها وفي الوقت عينه حاولوا اضجار العدو لحمله على عقد الصلح . وقد ارغمت الاحوال جوفر وهيغ على اتخاذ خطة الهجوم والدفاع ، أو تعمد تأجيل القيام بعمل فاصل ، الامر الذي يحسبه كلوزفتس اقوى نوعي الحرب . وكان هذا الرأي رأي مولتكه عينهُ بعد الحرب السبعينية فقد قال : « لا ريب في اننا هاجمنا سنة ١٨٧٠ اقوى المواقع واستولينا عليها ولكن يجب أن نحسب حساب الضحايا التي قدمناها في سبيل ذلك . لذلك افضل القيام بالهجوم بعد رد هجمات عديدة يقوم بها العدو » .

فيجب السير على هذه الخطة في ساحة القتال الثانوية إلى أن تقوم القوة الكبرى بهجمة فاصلة في ميدان الحرب الكبير . ولنا مثال حسن لهذه القاعدة من حركات سوق الجيش التي قام بها ولنغتون في اسبانية ، التي كانت ساحة قتال ثانوية في الحرب الاوربية سنة ١٨١٣ ، إذ شرع في التعرض لما كان الحلفاء قائمين بالتعرض في مقاتلة نابليون في المانيا ، التي كانت حينئذ ميدان الحرب الكبرى .

ولا يفرق نابليون بين التعرض والمدافعة في تطبيق قاعدتي الاقتصاد في القوة والقوة الكبرى في سوق الجيش وفي التعبئة العليا إذ لا معنى عنده لكلمتي التعرض والمدافعة لأن نابليون يستعمل عبارة « السبق في الشروع في العمل » وسيان عندي سبق المرء غيره في الشروع في العمل ام لم يسبق لأنني ارى أن هذه العبارة تعني على الدوام التعرض أو المدافعة .

وقد تفلت فرصة السبق في الشروع في العمل من يد القائد العام وذلك اما لتأخره في حشد سوق الجيش واما لحشد الاعداء جيوشهم أو توزيعها بمقتضى قاعدة سوق الجيش بسرعة تفوق سرعته . وإذا نظرنا في حالة الحلفاء سنة ١٩١٤ رأينا أن انكلترا لم تكن مستعدة حينئذ ، لذلك قضت الضرورة على القائد الفرنسي العام بالمدافعة عن نفسه في كل محل تيسر له الثبات فيه .

ومع أن فريق عظيم من الكتاب ينسبون إلى مدافعة سوق الجيش فوائد جمة ، أرانا لا نستطيع أن نجرد معنى الضعف عنها لأنها على الغالب تحصر جميع

المساعي في المدافعة المستكنة إذ أن المدافعة المحضة البسيطة لا تنتهي إلى نتيجة فاصلة . واقصى ما تناله الدولة المحاربة من وراء مدافعة سوق الجيش صلح يعقده العدو لأنه يمسي منهوك القوى . وعلى هذه الصورة حمل فريديرك الكبير اعداءه على عقد الصلح عند ختام حرب السبع سنوات[1] وذلك بثباته على المدافعة في سيليزية . وقد حاول هندنبرغ ولدندرف في الحرب العظمى أن يحذوا بمدافعتها في بلجيكا حذو فريديرك الكبير بمدافعته في سيليزية . وينجم عن مدافعة سوق الجيش ضرر جسيم وهو فقدان قوة الشعب المعنوية في الوطن لأن تلك المدافعة تقتضي التخلي عن بعض الاراضي في بدء الامر . فلينظر القارىء إلى ما حل بسكان شمال فرنسا اثناء الحرب العظمى .

وليس باستطاعة القائد العام الحصول على انتصار فاصل بواسطة مدافعة سوق الجيش وجل ما يتمكن من الحصول عليه بهذه المدافعة ينحصر في تحاشي الانكسار . أما الغاية القصوى التي يتوخاها الجيش المحارب - وهي القضاء على جيش العدو والاستيلاء على بلاده - فلا تنال الا بتوحيد تعرضي سوق الجيش والتعبئة .

ولا بد لكل دفاع منتظم من حد ينقلب عنده الدفاع إلى التعرض إذا كان الغرض من القتال الانتصار في الحرب . لذلك كان يقتضي أن تكون وقعة المارن حد انقلاب دفاع الجيوش الفرنسية والانكليزية إلى تعرض في سنة ١٩١٤ وستظهر لنا الايام سبب عدم حدوث ذلك الانقلاب . وقد حاول الترك اتخاذ وقعة طيسفون (سلمان باك) حداً لانقلاب مدافعتهم في العراق إلى تعرض ولكنني اوقفت هجوم الترك المعاكس بثباتي في موقف المدافعة في الكوت مدة ستة اشهر وبعد ذلك لم يبق مجال للترك لطردنا من العراق .

ولا يخفى أن موقعاً جانبياً من مواقع سوق الجيش لمن الامور المفيدة جداً

---

(١) كان قائد القوات البروسية في حرب السبع سنوات فردريك الكبير وهي الحرب التي امتدت من سنة ١٧٥٦ - ١٧٦٣ بين فرنسا والنمسا من جهة وبروسيا وانكلترا من الجانب الآخر .

لتحول مدافعة سوق الجيش إلى تعرض . مثال ذلك ترتيبات « فوش » قبل اتخاذ خطة الهجوم بعد صد التعرض الالماني في شهر آذار من سنة ١٩١٨ . ففي بدء سنة ١٩١٨ اتخذت اركان حرب الجيش الالماني العامة وقعة (كامبري) حداً لتحول دفاعهم إلى هجوم بعد انقضاء سنتين على ذلك الدفاع .

الاصول التي اتخذها « مولتكة » لتطبيق قواعد نابليون

إن اركان الجيش الالماني العامة راعت مذهب « مولتكه » الحربي مراعاة شديدة .

وقد بنى « مولتكه » خططه الحربية التي رسمها لسوق الجيش والتعبئة العليا على خطط نابليون بونابارت الحربية .

فإنهُ حين القيام بالتعرض يستخدم نوعان من انواع مناورات سوق الجيش وهما : ـ

(أ) « المناورة » على جناح العدو ومؤخرته .

(ب) « المناورة » على قلب العدو .

وكذلك استخدمت اركان حرب الجيش الالماني نوعين من انواع المناورات في التعبئة العليا للقيام بمعركة تعرض وهما : ـ

(أ) القيام بمناورة التفاف حول جناح العدو ومؤخرتهِ بالقوة الكبرى .

(ب) مهاجمة القلب .

وفي كلتا الحالتين تفضل المناورة (أ) . وكان نابليون كذلك يفضل هذه المناورة على غيرها . ولنا من معارك نابليون سبعة وعشرون مثالا للمعارك التي من نوع (أ) يقابلها معركتان من نوع (ب) .

قلنا مما تقدم أن الخطة الفضلى تنحصر في اقتران حركة التفاف وهجوم على جناح العدو ومؤخرتهِ بقوة صغرى (أو « جناح المناورة التعرضي » على ما سماه مولتكه) ، ومهاجمة الجناح المنثني بالقوة الكبرى (أو « القلب » على ما سماها مولتكه) . وقد حذا مولتكه حذو نابليون في أنه اختار اضعف موضع في قوة العدو للهجوم عليه . وذلك الموضع ينحصر في جناح العدو وجنبه الاقربين إلى خط مواصلاته الطبيعي .

ولزيادة ايضاح هذه الخطة نقول أن مولتكه سار على خطة نابليون سيراً دقيقاً ، فهجم هجوم التفاف بقوته الصغرى على جناح العدو الاقرب إلى خط مواصلاته ، وعضد هجمة الالتفاف ، أو الاحاطة ، هذه بقوته الكبرى للهجوم على الجناح المنثني ، أو المطوق ، عينه .

وحاصر مولتكه جناح العدو الأبعد من خط رجعته (اي خط رجعة العدو) الطبيعي ـ وهو الجناح الذي لم يطوق أو لم ينثني ـ بتعرض مشاغلة أو بالقوة الصغرى التي سماها « جناح مدافعته » .

وجارى مولتكه نابليون في جعله هذه المنطقة من ساحة القتال منطقة دفاع محض .

وتستفيد هذه القوة الصغرى من الحواجز (الموانع) الطبيعية كمجاري الماء والغابات وغيرها ومن تحصين الميدان ومدافعة القرى والاماكن المسكونة وهلم جرا . وذلك لمشاغلة العدو واغرائه باستخدام احتياطه وغيره .

ويتم الهجوم التمهيدي بالقوة الصغرى يعضدها معظم المدفعية والمهندسون وفي اثناء هذا الهجوم التمهيدي تحيط القوة الصغرى ـ وهي قوة الثني أو الالتفاف ـ احاطة الشبكة بالجناح الاقصى وبمؤخرة الجناح الاقرب إلى خط رجعة العدو الطبيعي . ويشترك معظم الخيالة في هجوم الثني هذا وذلك بحركة الخيالة على جنب العدو الخارجي . اما القوة الكبرى فتحمل على جناح العدو المطلوب اتلافه وذلك عندما يظهر تأثير هجوم الاحاطة الذي قامت به القوة الصغرى .

ويجب اتخاذ هجوم القوة الكبرى اشارة إلى جميع القوات المتحاربة للشروع في التقدم فينبغي والحالة هذه أن تسحق الضربات المتوالية التي تضربها القوتان الكبرى والصغرى عن هجوم المشاغلة إلى الهجوم القطعي وتنهزم غالباً قوات هذا الجناح من جناحي العدو عندما تشعر بانسحاق الجناح الآخر .

وقد فطن نابليون ، كما فطن مولتكه واركان الجيش الالماني الذين قلدوه في خططه الحربية ، إلى أن زيادة تأثير النار زيادة عظيمة في الحروب الحديثة تزيد الصعوبة في اختراق قلب العدو فتزيد هجوم الالتفاف أو الثني شأناً . لذلك ينبغي لنا أن نعمد دائماً إلى مناورة الثني أو الالتفاف في سوق الجيش وفي التعبئة عندما نجد لنا متسعاً من المكان والاحوال التي تقتضيها المناورة للقيام بذلك العمل .

وانطوى مذهب « ويليزن » و « مولتكه » واركان الجيش الالماني على هذه النظرية الحربية التالية وهي : -

« إن براعة القائد العام تنحصر في مشاغلة جبهة القوات المعادية بقسم من قوته بينما يحمل بقوته الكبرى على جنب العدو » . وليست مناورة الثني السوقية (سوق الجيش) العظمى التي قامت بها اركان الجيش الالماني سنة ١٩١٤ سوى صورة طبق الاصل لمناورتي نابليون في معركتي اوسترلتز سنة ١٨٠٥[١] وجينة سنة ١٨٠٦ . وكان اتساع جبهة سوق الجيش في المناورة الالمانية بقدر اتساعها في كل من مناورتي نابليون في تينك المعركتين . فإذا قابلنا المعركة الالمانية بمعركتي نابليون انجلت لنا هذه الحقيقة على الفور .

ولا يخفى أن مجال المناورة في الساحة الغربية اثناء الحرب العظمى كان ضيقاً نظراً إلى الحيز الذي اشغلته جيوش الدول المتحاربة الجرارة بعد حرب المناورات التمهيدية في سنة ١٩١٤ . ولكن المجال كان واسعاً للمناورة ولامثلة المناورات الحربية في ميادين الحرب الثانوية كروسيا ورومانيا وفلسطين والعراق . ونظراً إلى

---

(١) انتصر فيها نابليون الاول على النمسا .

الجيوش الجرارة التي حشدتها الدول في ساحة فرنسا تحتم على هندنبرغ وفوش أن يشرعا في مناورة الاحاطة السوقية[1] أو الالتفاف السوقي من الهجوم السوقي الاولي على احد الجناحين . ولنا من مناورات هندنبرغ ولندرف في آذار ١٩١٨ مثال لتقليدهما مناورة مولتكه سنة ١٨٧٠ .

ففي بدء الحرب السبعينية ظلت ميمنة الجيش الفرنسي ، وكانت القوة التي كان يقودها مكماهون منفصلة في الالزاس[2] عن باقي القوات الفرنسية . اما ميسرة الفرنسيين ، وكان يقودها بازانفكانت في اللورين . فصمم مولتكه في اول الامر على اتلاف الميمنة ـ اي جيش مكماهون ـ بحركة التفاف تقوم بها قوته الكبرى وفي الوقت عينه عزم على مشاغلة جيش بازان بقوته الصغرى وبعد القضاء على قوة مكماهون حاول مولتكه أن يلتف بقوته الكبرى حول بازان فيقطع عنه خط اتصاله بباريس فيهزمه شمالا . فلو استبدلنا قوة مكماهون بالجيوش البريطانية وقوة بازان بالجيوش الفرنسية كان لنا من ذلك مثال لهجوم هندنبرغ السوقي على احد جناحي قوة العدو في سنة ١٩١٨ إذ حل هندنبرغ بقوته الكبرى على الجيوش البريطانية بينما شاغل الجيوش الفرنسية بقوته الصغرى . فلو اسفرت حركته عن اتلاف الجيوش البريطانية لدار بقوته الكبرى حول الجيوش الفرنسية فثناها وحل على جنبها ومؤخرتها ، ولا تقلبت في ذلك الوقت عينه مشاغلة قوته الصغرى للجيوش الفرنسية إلى تعرض كذلك . ولكن مناورة هندنبرغ حبطت نظراً إلى تماسك الجيوش البريطانية التي لما دفعها الالمانيون إلى الوراء ظلت متماسكة فلم تنهزم وفضلا عن هذا أن الالمانيين كانوا حينئذ قد فصلوا بعض جيوشهم وساقوها لمقاتلة روسيا . وإذا نظرنا في اختراق نابليون السوقي سنة ١٨١٥ لما هاجم بلوخر بقوته الكبرى بينما كان يشاغل ولنغتون بقوته الصغرى رأينا أن الالمانيين قلدوا مناورة نابليون هذه في تعرضهم الكبير سنة ١٩١٨ .

---

(١) كلما وردت كلمة سوقي أو سوقية فهي نسبة إلى سوق الجيش للاختصار .

(٢) الالزاس احدى المقاطعات الفرنسية ، وكانت خلال فترة التاريخ هي محط صراع بين الفرنسيين والالمان فكانت الالزاس واللورين تارة بيد فرنسا وتارة بيد المانيا .

وكان يسمي نابليون هذه الحركة . وبعض المؤلفين في الفنون العسكرية يسمونها ، المناورة على الصفوف الداخلية ، فكان يدخل موقعاً مركزياً بمسير سري سريع فجائي ثم يشاغل احد الجيوش المعادية بقوة صغرى ويحمل على جيش العدو الأخر بقوته الكبرى للقضاء عليه . وعند الفراغ من اتلاف هذا الجيش كان يسرع بقوته الكبرى للاتحاد مع قوته الصغرى المنهمكة في مشاغلة العدو وصد الجيش الآخر وذلك لكي ينزل بالعدو الضربة القاضية .

ولنا امثلة باهرة ، لهذه المناورة ولتطبيق قاعدة القوة الكبرى ، من معارك نابليون في سنتي ١٧٩٦ و ١٨١٤ لما ارغمته الاحوال ، نظراً إلى تفوق اعدائه عليه في العدد ، على اتخاذ خطة دفاع وتعرض . وكان إذا تحتم عليه البقاء في مكان ورأى ضرورة سلامته من شر/حملات العدو ، كما كانت الحال في درسدن سنة ١٨١٣ أو باريس سنة ١٨١٤ أومانتوي في سنة ١٧٩٦ ، جعل ذلك المكان قاعدة مناورته على موقع مركزي .

وفي جميع الاحوال نرى أن اصول تعيين الهدف وتطبيق قاعدة القوة الكبرى هي عين الاصول التي نتوخاها في التعرض . فبضم القوة الكبرى إلى احدى القوى الصغرى المنهمكة في مشاغلة العدو يتمكن القائد العام من اتلاف قوة العدو المنفصلة . ويجب في اثناء هذه الحركة مشاغلة قوة العدو الاخرى بقوة صغرى كافية لذلك وهي متحصنة في الاستحكامات للقيام بالمدافعة . ففي محاربة « نابليون » سنة ١٨١٣ هجم « بلوخر » على « مكدونلد » وكانت حينئذ قوة مكدونلد الصغرى متحصنة في الخنادق على ما ينبغي لها . فاسرع نابليون بقوته الكبرى إلى الانضمام إلى مكدونلد لسحق بلوخر . وفي ذلك الوقت عينه كان الاعداء تضايق اودينوت فطلب النجدة . وبعد القضاء على جيش بلوخر هرع نابليون إلى نجدة اودينوت بقوته الكبرى .

وتقضي اصول القتال أن لا تزيد المسافة بين القوة الكبرى والقوة الصغرى على مسيرين قصيرين أو ثلاثة مسيرات قصيرة .

ولنأت الآن إلى توزيع القوات ، أو تقسيم الجيوش إلى جماعات لاجراء

المناورة على موقع مركزي فنقول : إن المسألة في هذا الشأن مسألة اقتصاد في القوة . فإن القائد العام يلزم جانب الاقتصاد في القوة التي تتألف منها القوة الصغرى لزيادة القوة الكبرى التي ينزل بها الضربة القاضية على رأس العدو .

وفي سنتي ١٩١٧ و ١٩١٨ حرك هندنبرغ ولودندروف الجيوش الالمانية على موقع مركزي مقلدين مناورة سوق الجيش التي قام بها نابليون سنة ١٨١٣ .

ولكنهما فشلا في مسعاهما على ما ذكرته سابقاً فشل نابليون سنة ١٨١٣ وذلك نظراً إلى الفرق العظيم في العدد بين الفريقين المتحاربين . وكذلك عبثت اركان الجيش الالماني بقاعدة الاقتصاد في القوة بايفادها قسماً من الجيوش الالمانية إلى روسية بلا سبب لأن روسية كانت ميدان حرب ثانوي ، كما فعل نابليون سنة ١٨١٣ ماثتي الف مقاتل في اسبانية التي كانت حينئذ ميدان حرب ثانوي .

والآن اختم هذا الفصل بايراد نبذة من محاضرة القيتها سنة ١٩١٣ وإلى القارىء تلك النبذة : ـ

إن لفن الحرب نظريات وقواعد مختصة به كما لباقي الفنون ويستغرق درسه عمر الانسان كله . فقد قال جوميني ، انني ارى أن مدرسة القيادة العليا الحقيقية تنحصر في نظريات جيدة مبنية على قواعد صحيحة تؤيدها الحقائق ويقويها درس التاريخ .

« ولم ينقض زمن على قواعد الحرب الاساسية العظمى التي وضعها نابليون الكبير ، واضع اصول سوق الجيش الحديثة ومصدر المعرفة العسكرية باسرها في يومنا هذا ، كانت فيه هذه القواعد اجل شأناً واعظم فائدة مما هي عليه الآن وذلك نظراً إلى الجيوش الجرارة التي تجيشها الدول . لأن الدول اليوم ليست على سابق عهدها في الحروب فإنها لا تتحارب الآن بجيوش بل بحزائق (مجموعات) جيوش . لذلك يتحتم على قادة الجيوش الحديثة وامرائها أن يتعمقوا في درس اصول سوق الجيش والتاريخ العسكري وأن يسبروا بمعرفتهم غور قواعد نابليون الحربية . وقد نهج مولتكه هذا المنهج في تدريب ضباط اركان الحرب الالمانيين قبل

سنتي ١٨٦٦ و ١٨٧٠ . وكذلك الكارثة التي حلت بالفرنسيين في الحرب السبعينية علمت الفرنسيين درساً لم ينسوه ولن ينسوه . إذ أن القادة الفرنسيين كانوا قبل تلك الحرب عالمين عن درس الفنون العسكرية وجاهلين قواعد نابليون الحربية الاساسية التي حاربهم مولتكه بها فعاقبتهم الحوادث على غفلتهم وجهلهم عقاباً صارماً . ولكن بعد الحرب السبعينية انكبت اركان الجيش الفرنسي على درس قواعد نابليون كل الانكباب . ولنا في العميد (المارشال) بازان مثال القائد الذي يجهل قواعد الحرب الجوهرية . وسرعان ما برهنت الحوادث على أنه لم يكن كفوءاً لتسلم زمام قيادة الجيش فسقط وسقط شرف فرنسا معه . وإذا طالع المرء اوامر الحركات التي كان يصدرها يومئذ انجلى له جهل بازان المطبق في فن الحرب .

« ولسعد طالع فرنسا أن قام فيها مؤلفون في الفنون العسكرية امثال ، لانغلوي ، وبونال ، وميار وفوش ، الذين دعوا رجال الجيش إلى درس مذهب نابليون الحربي وذلك ليس بتقليد غزاتهم الالمان بل باستقاء علمهم من مصدر تلك المعرفة الاصلي وهو نابليون بونابارت الكبير كما فعل الالمان وكان مولتكة يفاخر غيره في سنة ١٨٧٠ بقوله أنه القائد الوحيد الذي فقه قواعد نابليون في اوروبا في ذلك العهد . ويجب ، في تدريب الضباط للقيادة العليا ، أن نضع نصب اعيننا الصفات التي يقتضي أن تتوفر في القائد العصري . فيجب أن يكون نشيطاً قديراً ذكياً ذا فراسة رابط الجأش وثابت الجنان مهما تقلبت عليه الاحوال . وفضلا عن هذه الصفات والاخلاق يجب أن تتوفر في القائد العام وفي قواد الجيوش والفيالق والفرق مقدرة عظيمة على تقرير امور معقولة جليلة الشأن لأن ابداء رأي مغلوط قد يسوق الوف الجنود إلى حتفهم بلا جدوى . لذلك يتحتم على القواد أن يتضلعوا من فن الحرب فيصلوا آناء الليل باطراف النهار في الانكباب على معالجة المسائل الحربية السامية المنطوية على سوق الجيش والتعبئة العليا لكي لا يفوتهم شيء من مطاليب العصر الحديث ، ولكي يقفوا وقوفاً تاماً على التاريخ العسكري الصحيح .

« وكان يكفي في المائة التاسعة عشرة أن يتسلم زمام القيادة العامة قائد ذو خبرة في الحرب مقدام في القتال ، وأن يتيسر لذلك القائد ضابط اركان حرب سامي المقدرة حر الضمير صادق الخدمة امثال غنيسينو ومغلنغ ، اللذين التحقا ببلوخر في سني ١٨١٣ و ١٨١٤ و ١٨١٥ .

ولكن ما جاز عمله في المائة التاسعة عشرة لا يصح اتيانهُ في المائة العشرين ، لان فن الحرب في المائة التاسعة عشرة كان ابسط بكثير مما هو عليهِ الآن . إذ كان يكفي القائد العام ، في اوائل المائة التاسعة عشرة ، وحتى في اواسطها ، لتسلمهُ زمام الجيش وايفاء القيادة حقها ، أن يكون قويم السجية رابط الجأش وأن يساعده في القيادة رئيس اركان جيش قدير .

« اما اليوم فنرى أن القائد العام لا يقود جيشاً واحداً بل يقود مجموع جيوش في جبهة سوقية يحتمل أن تمتد على مسافة مائة ميل أو مائتي ميل . فلا نخال ، والحالة هذه ، على الاطلاق أن قائداً عاماً جاهلا مستسلماً لأركان جيشهِ يتمكن من ادارة الجيش وسوقهِ لحظة واحدة .

وقد كتب الفريق ، فون بنكر ، وهو من مفتشي شؤون المدارس العسكرية في بروسيا قبل بضع سنوات قائلا ، أن القائد إذا علم أن ذهنهُ مستنير بمعارفهِ المكتسبة تمكن من الاحاطة علماً بالحالة التي بيت فيها في حوائق (ظروف) غير اعتيادية ، وتتكامل سجيتهُ ويسهل عليهِ ابداء الحكم في حل معضلات الامور حلا جلياً سريعاً وتنفيذ ذلك الحكم تنفيذاً صارماً . أما القائد العالم بجهله فهو على الدوام فاقد الرأي وكثير التردد ومرتبك في امره وتؤول اعماله إلى ضياع القوة الروحية في الجيش .

فالمعرفة اذن من الشروط الواجب توفرها في القائد لأنها تنشىء فيهِ ملكة تمييز الامور والثقة وموهبة ابداء الرأي الصائب والمقدرة على العمل ، وكذلك توجد المعرفة رجال العمل وترقي السجايا . ويقتضي للذي يطلب الاضطلاع من فن سوق الجيش أن يكون سديد الرأي سليم الادراك وفوق كل ذلك يحتاج إلى معرفة تامة راقية في التعبئة . ولكن إذا لم تتوفر هذه المعرفة الجوهرية المتعلقة

بالتعبئة في القائد انقلبت آراؤه في ميدان العمل وبالا عليه وعلى جيشه . لذلك نرى أن لا يشرع الضباط في تطبيق مسائل التعبئة قبل أن يدخلوا الدورة الثانية في مسلكهم العسكري .

« وقد قال جوميني في هذا الصدد ، إذا لم تصنع النظرية الصحيحة ، المبنية على قواعد حقيقة والمستندة إلى الحقائق والتاريخ ، رجالا عظاماً ـ لأن الرجال العظام يصنعون انفسهم في الاحوال الملائمة ـ صنعت على الاقل رؤساء ذوي مقدرة كافية ليشغلوا المراتب الثانوية اشغالا تاماً تحت امرة قواد عظام .

« وقد بسط لنا مولتكه الاصول التي يجب اتباعها في تدريب الضباط في المدرسة العسكرية على ابداء الرأي والحكم . وهو يقول أن الغاية من تلقين المعرفة العسكرية تنحصر في تعليم الطالب اصول النظرية التي يتعلمها من استاذه . ولبلوغ هذه الغاية لا يكفي الطالب أن يكون مستمعاً على الدوام بل عليه أن يجري التمرينات التي تطبق فيها القواعد التي يتعلمها . ويقول الفريق ، بنكر ، على الطلبة أن يطبقوا معرفتهم النظرية تطبيقاً عملياً وأن يحث الضباط الذين يتعلمون الفنون العسكرية على تطبيق ما يتعلمونهُ تطبيقاً يقومون به هم انفسهم . وقد برهنت لنا حرب سنة ١٨٦٦ برهاناً عملياً على فائدة تدريب الضباط في مدرسة مولتكه إذ أن آمري المقدمات الذين كانوا قد خرجوا حديثاً من المدرسة العسكرية كانوا يقودون تلك المقدمات بسهولة كلية ونفوذ شديد .

« إن تطبيق قواعد الحرب تطبيقاً عملياً على امثلة تاريخية لخير تدريب على اختبار فن القيادة . ولا ننس أن مشاهير قواد الجيوش والفيالق والفرق الذين دربهم مولتكه لحربي ١٨٦٦ و ١٨٧٠ لم يكونوا قد رأوا بندقية تطلق في القتال . أما الفرنسيون الذين كسرهم القواد الالمان شر كسرة فجعلوهم عبرة للمعتبرين فكانوا جميعهم على وجهِ التقريب قد خاضوا غمرات حروب عديدة مع اقوام متمدنة وغير متمدنة وخرجوا منها كراماً ولكنهم كانوا يجهلون قواعد نابليون الاساسية . أما اليوم فقد تغيرت الحال إذ أن اركان الجيش الفرنسي متعصبون شديد التعصب لقواعد نابليون الحربية كالروس واليابانيين .

الفصل الثاني

« غزو البصرة »

قبل الشروع في ايراد اخبار حركاتي الحربية في العراق احب أن القي نظرة . سريعة على ميدان الحرب الثانوي هذا قبل وصولي اليه .

ففي اوائل شهر تشرين الاول عام ١٩١٤ صدرت الاوامر السرية إلى لواء المشاة السادس عشر من الفرقة السادسة (وهي فرقة بونة) بالاقلاع من بومبي إلى الخليج العربي . وكان قائد هذا اللواء امير اللواء « ديلامين » وكانت الحكومة قد زودت هذا القائد بالاوامر المقتضية للقيام بمظاهرة حربية عند راس الخليج العربي واحتلال جزيرة عبادان لحماية آبار النفط هناك واحتلال ميناء البصرة إذا تيسر له ذلك . وفي ٥ تشرين الثاني اعلنت الحرب على تركيا فاقلع باقي فرقة بونة السادسة بقيادة الفريق الاول « السر ارثر باريت » من بومبي وانضم إلى اللواء السادس عشر الذي كان حينئذ قد نزل إلى البر في جزيرة البحرين المشهورة بمغاصات اللؤلؤ التي في مياهها . فاصبحت قوة الحملة العراقية فرقة كاملة أو نحواً من خمسة عشر الف مقاتل[١] .

ووصل الفريق باريت مع مقر الفرقة السادسة العراق حول ١٤ تشرين الثاني . فاستولى على الفاو[٢] الواقعة عند مصب شط العرب وكل ما فيها من

(١) وتسمى هذه الحملة كذلك حملة (د) الهندية .
(٢) قضاء تابع لمحافظة البصرة في جنوبها .

الابنية منارة للمراكب وحصن وقد استولت عليها سرية مشاة نزلت إلى البر بالقوارب وذلك بعد اطلاق بضع عيارات نارية . ثم اتحدت الفرقة عند مصب شط العرب وهذا الاسم يطلق على النهر العظيم المؤلف من اتحاد دجلة والفرات . ولو شاءت هذه الفرقة لتوجهت تواً إلى البصرة . واعتقد أن البصرة كانت هدف حركات هذه القوة الذي عينه مقر الجيش في الهند . ولكن لم تتيسر النقلية بالكلية لقوة باريت لذلك عدل القائد عن التقدم .

وجاء هذا العمل طبقاً لتقاليدنا في حملاتنا الحربية التي نوفدها إلى البلاد الاجنبية . واذا استثنينا حرب القوم التي لا نتعلم منها امثولة تتعلق بسوق الجيش غير تقاعدنا عن العمل رأينا انهُ إلى حرب ١٩١٤ ـ ١٩١٨ ـ وهي هذه الحرب العظمى كانت حرب شبه جزيرة اسبانية (وهي حروب الانكليز والفرنسيين في ايام نابليون) الحرب الوحيدة التي قاتل فيها الجيش البريطاني بقوة اكبر من فيلق واحد في قارة اوروبا وليعلم القارىء انني عندما ابحث في حرب شبه جزيرة اسبانية يشمل كلامي محاربة سنة ١٨١٥ . وشرعنا في تلك الحرب كذلك على هذا النمط . ولا يخفى أن السر ارثر ولسلي نزل إلى البر في خليج مونديغو عام ١٨٠٨ بقوة تشبه قوة الفريق باريت عام ١٩١٤ بلا نقلية على الاطلاق تمكنه من المسير خطوة واحدة عن المراكب الراسية عند الشاطىء .

إن تاريخنا العسكري من بدء حرب السبع سنوات يتألف على الاغلب من تاريخ حملات بحرية إذ كنا نضع في السفن قوة عسكرية صغيرة وننزلها إلى البر على جزيرة من الجزر أوشاطىءمن الشواطىء بلا نقلية تمكنها من التوغل في البر والابتعاد مسافة ثلاثة اميال عن الشاطىء . فكانت القوة التي ننزلها إلى البر اما أن تتخذ موقعاً لا شأن له على حافة البحر إلى أن يدنو منها جيش العدو فيرغمها على ركوب السفن مرة اخرى واما أن تهاجم بلدة وميناء واما أن تستولي على حصن واما أن يردها العدو على اعتابها .

ففي الحرب العظمى كانت ساحة القتال الكبرى في فرنسا لأن معظم قوات العدو كانت في ذلك الميدان وكان الانتصار في الحرب يقضي علينا بأن نتلف تلك

مقرها في البصرة وكانت هذه الفرقة ناقصة جداً عن العدد المطلوب ومعظم جنودها من العرب سكان البلاد الذين كان يقوم بتعليمهم ضباط ومعلمون من الترك متوخين في ذلك عين الاصول التي نراعيها في تعليم افواجنا الهندية . ولكنهم كانوا دون جنودنا الهنود في الكفاية وفي التمويل عليهم . وثانياً من « الآلاي » الثالث والعشرين التركي الذي كان قد ارسل إلى العراق قبل نحو من تسعة اشهر قصاصاً له على سوء سلوكه. وثالثاً من بعض وحدات الخيالة ومدفعية الميدان (الصحراء). وكان مجموع القوة يبلغ نحو من خمسة آلاف جندي بقيادة الزعيم صبحي بك والي ولاية البصرة العسكري .

وانزلت قوة الفريق باريت لوائي المشاة السادس عشر والثامن عشر بصعوبة الى بر في جنوب الموقع وكان ذلك الموقع خط تحصينات ممتد في غابة نخل على ضفة النهر . اما اللواء السابع عشر فلم يكن قد وصل حينئذ . فقامت هذه القوة التي نزلت إلى البر بهجمة على الجبهة فاسفرت تلك الهجمة عن انسحاب الترك إلى البصرة . لكن لم تتيسر الوسائل المقتضية لانزال القوة إلى البر مثل زوارق بخارية وسحابات (قوارب بخارية لسحب السفن) وقوارب مسطحة القعر « وفلوكات » (مهيلات) وقوارب سفرية (تفكك لحملها ونقلها) وهلم جرا مما يستطاع حمل اي مقدار كان منه على ظهر السفن وتمكن القوة العسكرية من النزول إلى البر في المحل المطلوب وذلك بسفرة واحدة بين النقليات والبر . فنقص هذه المعدات جعل نقل قوة « باريت » من السفن إلى البر من الاعمال المحفوفة بالصعوبات والمشقات والمخاطر . وقد غرق عدة جنود اثناء النزول وبلغني أن عتاد المدافع كان ناقصاً جداً عن المقدار المطلوب حتى كادت القوة لا تتمكن من استخدام المدفعية في القتال . ولسعد طالع القوة أنها لم تلق مقاومة في نزولها إلى البر .

دخلت هذه القوة البصرة في ٢٢ تشرين الثاني فاخذت حينئذ السفن تمخر في النهر شمالا وتجمع القوارب والزوارق التي تصادفها في طريقها وساعد الحظ باريت في حركاته واستخدامه القوارب والزوارق و « البلمات » و « المهيلات » التي تعود لسكان البصرة .

وعملا بالاوامر الصادرة إلى باريت احتل القرنة . والقرنة واقعة عند مفترق نهري دجلة والفرات وعلى مسافة خمسة وثلاثين ميلا إلى شمال البصرة وهي من اهم المواقع الحربية في العراق . أنني بحثت في مقدمة هذا الكتاب في اجراء المناورة على موقع مركزي أو المناورة على الخطوط الداخلية . وكنت على الدوام ارى أنه لما كان العراق ميدان حرب ثانوي وجب علينا اتخاذ خطة المدافعة في مدينة البصرة وولايتها بمناورة تشبه المناورة على موقع مركزي .

فلو كانت مقاليد الامور بيدي لنفذت هذه الخطة باحتلال القرنة ، الواقعة على مفترق دجلة والفرات ، والناصرية والاهوار وذلك بالتحصن بالقوة الصغرى تحصناً قوياً مع ما يكفي القوة مدة ستة اشهر من العتاد والمؤن . لأن هذه المدن هي المنافذ الوحيدة لزحف العدو على ولاية البصرة . ولكنت وضعت القوة الكبرى في جوار مدينة البصرة في معسكر محصن اضع فيه المدافع وضعاً يهدد مدينة البصرة ومبناءها . وقد قلت في ما مر أن المسافة بين القوتين الكبرى والصغرى يجب أن لا تزيد على ثلاث مسيرات قصيرة ولكن السكك الحديدية والسفن التجارية في نهر صالح للملاحة تمكن القائد العام من زيادة هذه المسافة إلى مسير يومين بالبواخر ويوم ونصف يوم بالسكك الحديدية .

إن القرنة واقعة على مسافة اربعين ميلا شمال البصرة بطريق النهر وتقطع الباخرة هذه المسافة في يوم ونصف يوم وهي تمخر شمالا .

اما الناصرية فتبعد عن البصرة بالنهر مسافة ثمانين ميلا بطريق القرنة . والملاحة اليها صعبة لأن النهر يكون في الطريق بحيرة ضحلة لذلك يستحسن وضع قوة متوسطة في القرنة لتقوية حامية الناصرية على جناح السرعة قبل وصول القوة الكبرى التي تسير ببطء من البصرة . وعلى مر الزمن تنشأ سكة حديدية تصل البصرة رأساً بالناصرية . وقد تم انشاء هذه السكة بعد سقوط الكوت .

واعيد ما قلتهُ سابقاً انهُ لو كانت مقاليد الامور بيدي لانشأت معقلا كبيراً على هيئة معسكر محصن بالقرب من البصرة من حيث تهدد مدافعي مدينة البصرة

وميناءها وتحافظ على الامن فيها . وتخزنت في هذا المعقل من المؤنة والذخيرة ما يكفي قوتي كلها مدة سنة كاملة مع كل ما تحتاج اليه من ساحات المهندسين والمدفعية والتجهيزات والملابس وتجهيزات المستشفيات والمدخرات والنقلية وهلم جرا بحيث تشمل هذه الذخائر العتاد الذي تحتاج اليه القوة طول السنة . وكذلك لانشأت في هذا المعقل اهراء لخزن القمح ومطاحن لطحنهِ حتى انهُ إذا اتفق أن جيوشنا في العراق غلبت على امرها لانسحبنا إلى هذا المعقل ودافعنا عن انفسنا مدة سنة بمساعدة المراكب الحربية . ولاصبحت البصرة على هذه الصورة قاعدة الحركات الحربية وقاعدة جميع الاحتياطات التي نتخذها للمدافعة . فمهما طرأ علينا من الانكسار أو الصد أو الهجوم من جراء تفوق قوات العدو علينا تفوقاً عظيما في العدد والعدد وحله علينا من احد المنافذ الثلاث لتمكنا من اجراء المناورة على صورة تكفل لنا النجاح وذلك اذا تمكنا ، حين هجوم القوات المتفوقة علينا ، من توحيد قواتنا وعتادنا وذخائرنا ومؤننا بحيث تكفينا مدة حول كامل ونحن في ذلك المعقل أو الملجأ .

فاذا لم يتيسر للقائد العام معقل في ميدان الحرب الثانوي واتفق أن قوات العدو صدتهُ أو كسرت جيوشهُ وقعت جميع مواده الحربية ومستودعاته وارزاقه وملابسه المتفرقة بحكم الصدفة هنا وهناك ، على ما تقتضيهِ الصدفة ، في يد الاعداء فوراً حين استظهارها عليهِ في ساحة القتال . ولكن إذا انشأ ذلك القائد لقوتهِ معقلا فلا تتغلب الاعداء عليهِ . وما دام ذلك المحل المركزي في حوزة القائد لا بأس من انكسار الجنود في القتال لأنهم يتمكنون من الراحة في الاماكن المحصنة ، أو الموقع المركزي المنيع وقد يكتب لهم الظفر أو يشاغلون من قوات الاعداء ثلاثة اضعاف عددهم بثباتهم تحت الحصار وبذلك يمهلون الحكومة مدة ثلاثة اشهر أو اربعة اشهر لارسال جيش من وراء البحار لفك الحصار عنهم . ولكن لما كان ذلك الموقع المركزي غير موجود لم نستطع تقرير مصير البصرة ولا تلافي ضياع المواد التي جمعناها للمدافعة متيسراً .

فاذا انشأ القائد العام موقعاً مركزياً كالذي مر وصفهُ ازال القلق من أفئدة

جنوده . فلن يشعر الجندي بعد ذلك بانهُ معلق في الهواء في بلاد العدو وهو متوغل فيها مسافة بعيدة كما كانت قوتي في العزيزية أو في طيسفون (سلمان باك) اي على مسافة نحو من ٣٥٠ ميلا أو ٣٩٠ ميلا من البصرة بلا جنود وراءها تحمي ظهرها . فلو تم انشاء تلك القاعدة المحصنة لعلم الجميع أن وسائل المدافعة عن البصرة كانت سبباً مهما لضمان سلامة القوة وراحتها وطعامها وشرفها . واقول بالاختصار انهُ لو تم ذلك لرسخت قدمي في العراق باقل نفقة تتحملها انكلترا ولاصبحت القوة في حرز حريز إلى الوقت الذي تقرر فيهِ الحكومة شروعي في الهجوم وتمدني بالجيوش المقتضية لذلك والافضل أن يكون ذلك حين اتخاذ خطة الهجوم في ميدان الحرب الكبرى وهي فرنسا .

ولنعد الآن إلى بحثنا الاول فنقول أن الفريق « باريت » احتل القرنة وهي موقع عسكري جليل الشأن لأنها واقعة على ملتقى نهري دجلة والفرات اما الفريق « فراي » فزحف بقوتهِ وهي لواء المشاة الثامن عشر . وبعد قتال طفيف جرى في المزيرعة ، الواقعة على ضفة دجلة اليسرى وقبالة القرنة ، تراجع بعض القوة التركية وسلم البعض الآخر بقيادة صبحي بك للفريق « فراي » وكان ذلك في اليوم التاسع من شهر كانون الاول . وقد اسرت قواتنا حينئذ ١٢٠٠ جندي وتسعة مدافع .

وعلى اثر هذه الواقعة تحصن الفريق « فراي » بلوائهِ الثامن عشر على ضفة دجلة اليمنى وعلى مسافة ميل شمال القرنة .

وفي نهاية شهر كانون الاول وصل صخريجة ، وهي واقعة إلى شمال بحران (في الترجمة التركية « عران » أو « قناة عران ») ، فوجان تركيان وتحصنا هناك . أما العرب القاطنون في البطائح فاخذوا يضايقون جنودنا في القرنة باطلاق النار عليهم .

وكان ينقص فرقة الفريق باريت إلى ذلك الحين لواء واحد . فوصل في تلك الاثناء اللواء السابع عشر من الهند وسار تواً إلى المعسكر في القرنة وبذلك كملت قوة هذه الفرقة .

وكان قائد هذا اللواء الجديد اللواء « دوبي » . فقام في ١ كانون الثاني عام ١٩١٥ بهجمة استكشاف في جهات صخريجة ورجع إلى القرنة . وطبعاً أن الترك ابرقوا حينئذ إلى المراجع العليا يقولون أنهم « ردوا الانكليز » فاشتدت عزائمهم من جراء ذلك . وسرعان ما اخذت قطعات كبيرة منهم تتوافد إلى ميدان القتال . ثم جرت هجمة استكشاف اخرى في ٢٠ كانون الثاني من المزيرعة على ضفة النهر اليمني لاستطلاع موقع العدو ورفع تقرير في مقدار قوتهِ . وخسر الترك حينئذ ما يربو على اربعمائة جندي منهم قائدهم الجديد سليمان عسكري الذي اصيب بشظية من مقذوفات مدفعيتنا فجرحتهُ ولم يخسر البريطانيون خسارة تذكر . واتخذ العدو رجوع قوتنا بعد الاستطلاع ذريعة لنشر انباء انتصار جديد وكان منهج « قوتنا الاستطلاعية » على هذا النمط بلا استثناء . ولكن اهم الاسباب التي تجعل هذه الخطة موضوعاً للانتقاد هو أن القوة تقوم بهذا العمل من غير أن تسير على خطة معينة ولما كانت حركة الاستطلاع تقتضي تراجع القوة فالعدو يحسبها انتصاراً له .

واسفرت هذه الاستطلاعات عن زيادة مساعي الترك زيادة جمة وانشائهم موقعاً هائلا في البحران (عران) . فانتقل التشبث منا إلى الترك واتخذ البريطانيون خطة الدفاع . لذلك انشأت قوتنا معسكراً محصناً في المزيرعة على ضفة دجلة اليسرى وقبالة القرنة وكان هذا المعسكر ذا جبهة وعمق يكفيان فرقة واحدة . ولكن لم تعسكر قط فيهِ قوة تزيد على لواء واحد .

ولم ينو الترك التقدم على خط دجلة . وكان سليمان عسكري حينئذ قد شرع في حشد معظم قواتهِ في الناصرية استعداداً للزحف على البصرة بطريق الصحراء . وكان ينوي مراقبة البريطانيين ومشاغلتهم على خط دجلة في القرنة بقوة صغرى متحصنة في نواحي بحران (عران) وفي ذلك الوقت عينهِ يسوق رتلا ، معظمه مؤلف من رجال القبائل العربية بقيادة محمد فاضل باشا الداغستاني ، من العمارة بطريق الحويزة إلى نهر الكارون في الاحواز ومن هناك يتهدد المحمرة والملاحة في شط العرب السفلي .

فاغرت خدعة العرب هذه الفريق « باريت » بتجريد جريدة « مفرزة) ، مؤلفة من رتل مختلط من الجنود الهندية بقيادة امير اللواء « ربنصن » ، وهو من ضباط المدفعية البريطانية ، للزحف بطريق نهر الكارون لملاقاة تلك القوة . فجرى بين مفرزتنا وبين تلك القوة وقعة في اوائل شهر شباط فارغمت قوتنا على التقهقر وخسرت مدفع ميدان (صحراء) . ولكن محمد باشا الداغستاني لم يغتنم فرصة تقهقرنا لمطاردتنا بل رجع إلى الاحواز فوجد له مأمناً في ذلك الموقع المحصن .

وفي تلك الاثناء كانت قوة سليمان عسكري بك تتجمع في الناصرية لمهاجمة البصرة من الجهة الشمالية الغربية بطريق الصحراء . اما السر ارثر باريت فانشأ معسكراً محصناً في الشعيبة وهي إلى غرب مدينة البصرة على الطريق التي تؤدي إلى البصرة . فاحتل اللواء السادس عشر المواقع المحصنة . وبعد مدة قصيرة تعززت هذه القوة باللواء الثامن عشر الذي انسحب من القرنة . وكانت افواج اللواء الثلاثين المتقدمة وكان هذا من الوية الفرقة الثانية عشرة الجديدة التي تألفت في مصر قد وصلت البصرة بقيادة الفريق الثاني « ملس » فارسلت إلى المعسكر المحصن حيث تسلم الفريق « ملس » القيادة لأنه كان الضابط الاقدم .

اما اللواء السابع عشر من ألوية الفرقة السادسة فظل في القرنة بمنزلة قوة حامية لها . وسبق اللواء الثاني عشر ، من الفرقة الثانية عشرة الجديدة ، إلى الاحواز بطريق نهر الكارون .

فهذا كان وضع قواتنا في شهر آذار وفي اوائل شهر نيسان عام ١٩١٥ .

وفي تلك الاثناء وصل الفريق « السر جون نكسن » وهو من ضباط الجيش الهندي ـ لتسلم زمام قيادة الحملة العراقية باسرها وكانت هذه القوة قد بلغت حينئذ فرقتين فسميت فيلقاً . ولكن الفرقة الثانية عشرة بقيادة الفريق « غورنج » لم تكن كاملة لأنها كانت بلا مدفعية .

ولما وصل الفريق « نكسن » استقال « السر ارثر باريت » نظراً إلى اعتلال

صحته فغادر البصرة قاصداً بلاد الهند فخلفه كاتب هذه السطور في القيادة . وقبل وصولي العراق جرت وقعة الشعيبة في ١٤ نيسان . فهجم سليمان عسكري[1] على المعسكر البريطاني المحصن بقوة مؤلفة من نحو من عشرين الف محارب من عرب وكرد ، معظمهم جنود غير نظامية ودرك وترك ومعهم من خمسة عشر إلى عشرين مدفعاً جبلياً . وبعد معركة شديدة دامية وقعت في الشعيبة وغابة البرجيسية كان القتال فيها سجالا تراجعت القوة التركية إلى الناصرية حيث انتحر سليمان عسكري فخسر الترك في هذه الوقعة ثلاثة آلاف جندي بين قتيل وجريح وثمانمائة اسير . وكانت خسارة الجنود البريطانية والهندية كذلك فادحة . وقد قلبت صفحات مفكرتي فوجدت أنني قد دونت فيها أن خسارتنا بلغت الف مقاتل بين قتيل وجريح منهم ثمانية عشر ضابطاً قتيلا واثنان واربعون ضابطا جريحاً . وكثيراً ما وصف لي بعضهم هذه الوقعة بقولهم أنها لم تكن محاربة نظامية . اما امير اللواء « ديلامين » والفريق الثاني « ملس » فقالا لي أنها كانت « محاربة جنود نظامية » .

وبعد انقضاء بضعة ايام على وقعة الشعيبة وصلت البصرة من « كراجي » في باخرة بريد . وكنت قد جئت إلى « كراجي » من « راولبندي » الواقعة في مقاطعة البنجاب من اعمال الهند حيث كنت قائد فرقة حين تعييني لقيادة فرقة في ميدان الحرب . ولم يسعدني الحظ للاشتراك في المحاربات التي جرت في فرنسا . ولما ارتقيت عام ١٩١١ إلى رتبة فريق ثان يوم كنت آمر لواء في جنوب افريقيا عينوني على الفور لقيادة فرقة « ايست انغليان » من قوة الرديف (التريتوريال) . وفي سنة ١٩١٣ اعتزلت قيادة تلك الفرقة فاوفدوني على الفور إلى الهند . وفي السنة التالية اعلنت الحرب العظمى ولسوء حظي ظلت فرقة « راولبندي » الثانية في الهند لحماية تلك البلاد . وكانت هذه الفرقة مؤلفة من كتائب مشاة وآليات بريطانية من خيرة الجنود حتى أنني لم اصادف مدة ست وثلاثين سنة قضيتها في الجيش جنوداً يفوقون جنود تلك الفرقة في الكفاية . ولما كان بعض افواجنا الهندية

---

(١) قائد تركي كان يدافع عن مدينة البصرة وشارك في معركة الشعيبة وهو برتبة عميد .

من صفوة جنود الجيش الهندي كان الجيش على الدوام بعد الفرقة الثانية زهرة فرق الجيش واولى الفرق الصالحة للخدمة الفعلية . فوقع امر بقائنا في الهند وقع الصاعقة علينا . وطبعاً أن الجنود البريطانية حنقت لبقائها في الهند . فظلت صفوة جنودنا النظامية ، القديرة على العمل والكاملة التدريب ، حاميات للهند لتقضي الوقت في البطالة اما الجنود التي كانت تجند على صورة مستعجلة فكانت ترسل من جميع انحاء الامبراطورية البريطانية إلى فرنسا .

ولا يخفى أنه كان يتحتم على الحكومة أن تبقي قسماً من الجيش مرابطاً في شمال غرب الحدود الهندية استعداداً للطوارىء التي كان يحتمل أن تثيرها بلاد الافغان وقبائل الحدود . فلو اشتبكت الهند حينئذ في الحرب لامست ميدان حرب ثانوي ولسهل الدفاع عنها بجنود متحدة بريطانية من الجنود الاوروبية تأتي بها الحكومة من عبر البحار . وكان الاولى بالحكومة وقتئذ أن تسوق الجنود المدربة تدريباً تاماً مثل الفرقتين الاولى والثانية المرابطتين في شمال الهند ، إلى ميدان الحرب الكبرى .

فليتصور القارىء شدة جذلي لما تسلمت ذات ليلة من ليالي شهر نيسان من عام ١٩١٥ ، وانا اتناول العشاء في « نادي رولبندي » ، برقية من وزير الحربية إلى القائد العام ينبئني فيها أنني قد تعينت قائد الفرقة السادسة للخدمة الفعلية في العراق خلفاً للفريق « باريت » . وبعد انقضاء بضعة ايام على هذه الحادثة وجدتني ادنو من « كراجي » في قطار اشد قطارات العالم اغبراراً وحرارة ومعي مرافقي الرئيس (يوزباشي) باستو من كتيبة المشاة (آلاي) « يوركشير » .

واستغرق سفري من « كراجي » إلى البصرة بطريق الخليج العربي نحواً من خمسة ايام وكانت تقلني في تلك السفرة الباخرة « دواركة » من بواخر شركة الملاحة البريطانية والهندية » . واقلعت بنا الباخرة من « كراجي » في ليلة ١٨ ـ ١٩ نيسان . وشاع هناك أن الاوامر صدرت إلى الجنود الهندية التي كانت حينئذ في مصر وفرنسا بالسفر إلى العراق وأن في بغداد عدداً عظيما من الضباط الالمان .

وقد كتبت في مفكرتي يوم ١٩ نيسان وانا على ظهر الباخرة « دوّاركة » ما يأتي : - « استيقظت الساعة ٦ صباحاً وكنت نائماً على ظهر الباخرة . والسفينة تمخر غرباً اربع عشرة عقدة في الساعة والبحر هادىء . ويشاهد البر من جانب الباخرة الايمن عن بعد نحو من عشرين ميلا . والظاهر أن قوتنا ستصبح في المستقبل جيشاً محارباً عظيما للاستيلاء على العراق واحتلاله كما استولينا على مصر واحتللناها . وكان العراق في عهد « الامبراطور الروماني يوستينيانوس » اغنى منابت القمح في الدنيا وكان فيه يومئذ عدة ترع وسدود واحواض لخزن الماء . وغزا الفرس هذه البلاد فدمروها وهدموا مدنها بالسيف والنار بمعنى هاتين الكلمتين الحرفي . وكان « بيلياريوس » قد احيى للمرة الاخيرة مجد « العاهلية الرومانية الشرقية » المحتضرة باسترداد ايطاليا وروما وشمال افريقية من البرابرة وكذلك استرد عام ٥٤١ م بعض انحاء العراق وذلك أنه توغل في البلاد جنوباً إلى أن وصل مدينة طيسفون (سلمان باك) المحصنة . واتذكر حديثاً جرى بيني وبين « هانوتو » في فرنسا عام ١٩١١ إذ كنت اتصيد في غابة حي في « شانز » فنصحني « هانوتو » يومئذ أن ابتاع « سيرة بيليساريوس » قائلا : « أن التاريخ سيعيد نفسه وربما قيض الله لك أن تحارب في البلدان التي حارب فيها ذلك القائد الروماني . وستصبح تلك البلدان مرة اخرى ساحة حرب عظمى » . ومنذ ذلك الحين رأينا ايطاليا تجرد حملتها على طرابلس الغرب ونحن نحارب الآن في مصر والعراق حيث حارب « بيلياريوس » . فحقاً أنه لمن الامور الغريبة أن نرى التاريخ يعيد نفسه فإنني ربما اصبحت يوماً حاكم العراق العسكري . فعلي بالجذل الآن بعد شهور الشقاء التي قضيتها منذ اعلان الحرب في الهند كأنني كلب حراسة لحدود « بانو » وادرب الجنود في بندي يوم كنت اذوب شوقاً إلى فرنسا التي احبها حبي لانكلترا .

« ٢٠ نيسان . دخلنا مرفأ مسقط الساعة ٣٠ : ٩ صباحاً وكانت الباخرة تمخر بنا نحو شاطىء عمان منذ الساعة السابعة صباحاً . ويسمى شاطىء عمان « شاطىء القرصنة » . ومسقط بلدة صغيرة مبنية بين لهب مرتفعة فيها حصن برتقالي قديم غريب المنظر . وجل ما في مسقط قصر سلطان مسقط ودار المعتمد

السياسي البريطاني العقيد « بن » وهو من ضباط الجيش الهندي . وكان هناك مفرزة من الفوج البلوخي ١٢٦ ومفرزة اخرى من فوج « رسل » المشاة ٩٥ وكانت هذه الجنود مرابطة في شواهق تحرس المنافذ التي تؤدي إلى تلك البلدة » .

وفي فجر ٢٣ نيسان عبرنا سد شط العرب في الفاو فوصلنا البصرة وقت الظهر وهي تبعد عن الفاو نحواً من ستين وسبعين ميلا بطريق النهر . وكان الحر شديداً في الخليج العربي لا سيما في جزيرة الكويت الصخرية حيث وقفنا لتسليم البريد ولكنني وجدت البصرة اشد حرارة من الكويت . وقد ذكرني السير في النهر وغابات النخيل القائمة على ضفتيه بالنيل عند الاقصر واسيوط .

وكان الفريق نكسـن قائد الحملة العراقية في دار القنصلية البريطانية ، التي كانت محل اقامته ومقره . فاجتمعت به وقال لي اثناء الحديث الذي دار بيننا أنه مزمع على تعييني لقيادة القوات التي ستقاتل بين القرنة والعمارة . بمعنى أن الفريق نكسـن كان قد عزم على ايكال امر طرد الترك من مواقعهم في شمال القرنة إلي على أن ازحف مسافة تسعين ميلا شمالا واحتل العمارة وهي بلدة مهمة وقال لي الفريق « نكسن » حينئذ أنها ضمن ولاية البصرة . فانحصر عملي في القيام بهذه الحركة واقتضى الامر أن استعد لعملي على جناح السرعة المستطاعة وأن ابعث بالخطة التي ارسمها لحركات الجيش إلى قائد الحملة الفريق نكسون لكي يهيء لي على الفور رئيس اركان جيشه الفريق « كمبل » ـ وهو من ضباط المدفعية الملكية ـ الوسائل التي يقتضيها تنفيذ تلك الخطة . واعطيت في البصرة منزل تاجر يوناني وهو المستر « انتيباس » فالفيت الرجل على غاية اللطف واكرام الضيف . اما اركان جيش فرقتي فنزلوا في المنزل المجاور لمنزلي وكان مبنياً على ضفة نهر العشار . وحينئذ امرت بأن يعدوا لي قارباً بخارياً ليأخذني إلى القرنة لاشاهد اللواء السابع عشر والمعسكر المحصن ولاستطلع موقع العدو شمال تلك البلدة وعلى مقربة منها . وقبل ذهابي من البصرة إلى القرية قطعت النهر فذهبت إلى « دير حاميه » الواقعة إلى غرب المدينة وتفقدت شؤون لواء المشاة الثامنة عشرة بقيادة الفريق الثاني « فراي » وكان هذا اللواء من الوية فرقتي . اما « الفوج الثاني من

كتيبة المشاة « نورفوك » من افواج هذا اللواء فكان مقيما في البصرة داخل البيوت لتخف عنه وطأة الحر . والحق يقال أنني لم اعجب العجب الكثير بمنظر الافواج الهندية الثلاثة وكان لواء المشاة الثامن عشر مؤلفاً من هذه الافواج الثلاثة ومن فوج « نورفوك » . وكانت هذه الافواج الهندية جميعها من افواج بومباي المشاة ولكن لا مقايسة بين منظر هذه الافواج ومنظر الافواج الهندية الشمالية . انما إذا تعرضت هذه الجنود إلى نار المدفعية المنتظمة فليست دون الافواج الهندية الشمالية بل كانت جنود اللواء الثامن العشر تفوق الجنود الهندية الشمالية من بعض الوجوه .

وكان مقر لواء المشاة السادس عشر قبل مجيئه إلى العراق في « بيلاغوم » من اعمال الهند لأنه كان من الالوية التي تتألف منها الفرقة السادسة الهندية أو فرقة « بونة » . وكان هذا اللواء مؤلفاً من الوحدات التالية : ـ

الفوج الثاني من كتيبة مشاة (آلاي) نورفوك وقد امتاز على غيره في وقعة الشعيبة فوج راجبتس السادس (وكان قد افرز إلى الاحواز) .

فوج ماهرتاس ١١٠ .
فوج راجبتس ١٢٠ .

وبعد الظهر رجعت إلى البصرة وفي اليوم التالي تفقدت شؤون فوج نورفوك الثاني وكذلك لواء المشاة السادس عشر بقيادة امير اللواء « ديملاين » وكان هذا اللواء في البصرة . وبعد ذلك بمدة قصيرة توجهت إلى البصرة في زورق بخاري .

وكانت البصرة في الازمنة القديمة ثغر العراق البحري ونقرأ في كتاب « الف ليلة وليلة » أنها كانت موطن «السندباد البحري » . اما اليوم فهي بلدة صغيرة من آثار القرون الخالية على شط العرب وعلى مسافة سبعين ميلا من مصبه في الخليج العربي وليس في مينائها ارصفة ومستودعاتها قليلة وكذلك الوسائط التي فيها لتسهيل الملاحة النهرية يسيرة فالبواخر التي تمخر في الاوقيانوس ويغطس منها ١٩ قدماً في الماء تصل البصرة اما البواخر التي يغطس منها في الماء من ٧ اقدام ونصف

قدم إلى ١٢ قدماً فتصل القرنة وهي تبعد عن البصرة مسافة ٤٠ ميلا إلى الشمال بطريق النهر .

وكان الفصل فصل الفيضان فارتفع النهر على ضفتيه وغطى القيعان على مسافة اميال إلى اقصى امتداد النظر . ولا يخفى أن في تلك الاراضي واحات من مجموع اشجار النخل أو غابات نخل وكذلك فيها في بعض الاماكن قرى عربية مؤلفة من منازل ذوات سقوف مسطحة مبنية من اللبن على مرتفعات تشبه الجزر في الاوقيانوس . وقد ذكرني هذا المنظر بمشاهد النيل حين ارتفاعه بين القاهرة واسيوط الامر الذي جعلني افكر في نوع المحاربة التي سأقوم بها بالقرب من القرنة . وظهر لي حينئذ أن لا وسيلة لي إلى التقدم بغير القوارب لأنه اثناء فيضان دجلة يغمر الماء ضفاف النهر بلا استثناء فيستحيل المسير وحركة العجلات على قسم عظيم من الاراضي .

وفي تلك الليلة عينها وصلت القرنة لأن زورقي كان سريع السير . وهناك دار بيني وبين امير اللواء « دوبي » آمر لواء المشاة السابع عشر حديث طويل كان موضوعه الوقعة التي كنا مزمعين على القيام بها . وكنت قد اجتمعت سابقاً « بدوبي » في « مندلاين » عام ١٩٠٣ لما كنت في فوجي وكان فوج الرويال فيوزيلير الاول وكان « دوبي » حينئذ آمر الفوج الهندي المرابط في « برمة » وكان مشهوراً بالبسالة والنشاط . فقال لي أن موقع الترك حصين جداً نظراً إلى الترع العميقة التي تقطع الجبهة والبحر المتكون من فيضان النهر وكثافة ادغال القصب هناك . وكانت معاقل الترك مبنية على تلال رملية صغيرة مرتفعة في وسط البضائع فوق الماء كانها جزر . ولكنني عزمت على مشاهدتها بعيني عند انفلاق الصبح . وكان امير اللواء « دوبي » مقيما في بقعة ارض ضيقة يابسة في القرنة عند مفترق دجلة والفرات . وكان المركب الحربي « اودون » راسياً في دجلة عند القرنة .

ولما اصبح الصباح ارتقيت برج رصد مصنوعاً من اخشاب وكان غير محكم الصنع كانه منارة مبنية على رمل ، يبلغ ارتفاعه إلى اعلى شرفة فيه مائة قدم وكان

يطل على اعالي اشجار النخل . فشاهدت من ذلك البرج موقع العدو خير مشاهدة فرأيته منيعاً جداً .

وكنت انظر في المرقب وكان الضباط الذين معي يوضحون لي ذلك الموقع بوصف مسهب . وكان منظر السهول ، وقد غمرتها مياه دجلة الفائض حتى عفا اثر مجراه ، شبيها بمنظر بحيرتي « سوبيرير » و « مشغان » في اميركا وبرزت في وسط المياه الجزائرية من تلال رمل وكانت تلك التلال المعاقل التركية .

وكان موقع « بحران » اهم خطوط مدافعة الترك فقد شاهدت هناك تلال رملية على هيئة نصف دائرة مرتفعة فوق الماء وبضعة منازل تدل على أنها كانت قرى ورأيت اشباحاً اخرى ظهرت كأنها مزاغل (كوى) مدافع في معقل أو معقلين . وكان كل ذلك على مسافة نحو من عشرة آلاف يارد أو ستة اميال . اما موقعا « روطة » و « مزيبلة » فكانا ظاهرين وكان امام الموقع التركي خط الحجاب وهو مؤلف من « تل معقل نورفوك » ، (تل العرار) على مسافة تتراوح بين ٣٥٠٠ و ٤٠٠٠ يارد من برج الرصد ، وتل الشجرة الواحدة (تل السدرة قبالة تل نورفوك وقائم على لسان رملي مرتفع فوق الماء ، وكان ذلك اللسان في الواقع ضفة دجلة اليسرى) « تل البرج الواحد » و « تل المدفعين » . وكان هذا الخط محمياً من بحران (ابي عران) على مدى ٥٠٠٠ يارد .

وكانت نار المدفعية تحمي موقع بحران من روطة ومزيبلة . وكانت « صخريجة » على مسافة ٤٥٠٠ يرد من مزيبلة . واتصل بي حينئذ أن الترك بثوا الالغام في دجلة شمال المانع النهري عند « فورت سنايب » وهو منتهى خط دفاع القرنة إلى الشمال . وروت التقارير التي رفعتها دائرة استخباراتنا أن القوة التركية كانت فرقة صغيرة مؤلفة من ستة افواج وعشرة مدافع ونحو من ستمائة من العرب حاملي البندقيات والمركب الحربي النهري « مر مريس » ونحو من ١٢٠٠ عربي من قاطني البطائح مسلحين بالبندقيات وكانوا مرابطين في تلك البطائح وبين اوغال القصب الكثيفة على الجناح الغربي من تل « نورفوك » ومعاقل « تل المدفع » .

والمحتمل أن العرب كانوا مرابطين هناك ليقوموا بهجمة معاكسة ليحولوا دون تقدم مشاتنا نحو الموقع التركي ليمنعونا من القيام بحركة التفافية من الجهة الغربية .

وكان وضع المدافع التركية على الوجه التالي : ـ

مدفعان على تل المدفع
مدفعان على تل البرج
اربعة مدافع على بحران
مدفعان على روطة

وكان الموقع التركي في ذلك الحين منيعاً جداً وسبب تلك المنعة الوحيد فيضان النهر . والحق يقال أن حلة « ولف » على « كوبيك » لا تذكر ازاء حلتي هذه . لأن الخطة المرسومة للمناورة كانت تقتضي أن اقوم بقوتي الكبرى بحركة التفافية حول المعاقل من الجهة الغربية . ولكن فيضان الماء الذي حول السهول إلى بحر عميق والبطائح (المستنقعات) حالت دون ذلك . فلم يبق لي ، والحالة هذه سوى مهاجمة الجبهة مهاجمة منتظمة في ادوار متعاقبة كما هي الحال في محاربات الحصار . ولا يخفى أن الهجوم على هذه الصورة في منتهى العقم وغاية الكلفة ، ولا يسفر في ايامنا هذه عن نتيجة فاصلة إذا ثبت العدو وراء مدافعه وجميع الاسباب كانت تحملني على الاعتقاد بأن العدو سيثبت .

قال الفريق « فون ڤليزن » : « أن القائد الماهر يشاغل جبهة العدو بقسم من قواته بينما يحصر جل مساعيه في الحمل على جناح العدو بقوته الكبرى » ولو ذكر أن ذلك الجناح هو الجناح الاقرب إلى خط رجعة العدو الطبيعي ـ اي خط مواصلاته ـ لاجاد وافاد . لأنه نظراً إلى زيادة تأثير النار الشديد في الهجوم على جبهة العدو اي قلبه تتعاظم الصعوبات في هذا الهجوم ويضعف جداً امل النجاح فيه ويحتمل أن تفشل القوة المهاجمة فيلتف العدو حولها ويبيدها . ولا شيء على الاطلاق يغريني في الاحوال الاعتيادية بمهاجمة الجبهة بقوتي كلها . ولكن ما العمل وانا اتسلم للمرة الاولى زمام القيادة في ميدان القتال ولا مفر لي من مهاجمة الجبهة

وحدها ولا سبيل لمشاتي سوى التقدم في المراكب الحربية في دجلة اذا استطعنا التقاط الالغام .

وهنا يرى المرء الفرق بين الامور العملية والامور النظرية .

فإنني بت حينئذ ازاء عمل صعب جداً وانا جاهل امر الجنود الذين كنت اقودهم . وظهر لي ، والحالة تلك ، أن كفة الميزانية راجحة في جانب الترك . واعتقد كل الاعتقاد أنني لو كنت في محل القائد التركي لكسرت الجنود البريطانية شر كسرة وكبدتها خسارة فادحة . ولم يتم لنا الفوز في تلك الوقعة الا لأن القائد التركي كان جباناً لا يملك مثقال ذرة من الحزم . فإنه لما استولينا على حجابة مواقعه الامامية اركن إلى الفرار بدلا من الثبات في وجهنا على ما سيطالعه القارىء في وصف معركة القرنة » .

وبعد اطلاق بضعة اطلاقات من فوهات المدافع لمعرفة المسافة رجعت إلى البصرة . وكان القلق قد اخذ مني كل مأخذ لخطورة العمل الذي كنت مزمعاً على الاقدام عليه ولم يصعب علي حينئذ معرفة ما كان يخالج قلب « دوبي » ورجاله فإنني الفيتهم شاعرين بحراجة الموقف لأنهم كانوا يعتقدون باننا عرضنا انفسنا للانكسار باقدامنا على مهاجمة العدو في مراكب مع أنهم كانوا جنوداً اشداء ثابتي الجنان غير عارفين للخوف معي . ولكن ما الحيلة وليس لنا باب آخر ندخله .

لذلك ارغمت على العدول عن القيام بحركة (مناورة) التفاف واسعة النطاق نحو الجبهة الغربية من المواقع التركية بطريق نهر « الهوير »[1] (نهر بنت الباشا) لأن اختراق منطقة الاعشاب والماء العظيمة كان من رابع المستحيلات .

والحق يقال أنني رأيت الموقع التركي امنع من عقاب الجو لذلك طلبت إلى « السر جون نكسون» القائد العام أن يأتي إلى القرنة ويشاهد موقع العدو بام عينه .

---

(١) يقع في قرية الهوير التابعة لقضاء القرنة في محافظة البصرة .

الفصل الثالث

(التأهب لغزو القرنة)

دار الحديث بيني وبين السر « جون نكسون » في ٢٣ نيسان فاقترحت عليه خطة رسمتها للقتال وهي طرد العدو إلى شمال العمارة . وكان العدو حينئذ متحصناً على كلتا ضفتي دجلة في القرنة .

إن فيضان نهر دجلة يغمر الاراضي التي يجري فيها فيحول ذلك الفيضان دون القيام بالمناورات الحربية مهما كان نوعها. لذلك رسمت خطتي على صورة تقضي بقيام فرقتي بهجمة تمهيدية ـ اي بالهجوم على جبهة العدو المرابط على كلتا ضفتي دجلة شمال القرنة ـ بينما تقوم الفرقة الثانية عشرة بقيادة الفريق « غورنج » بحركة التفاف سوقية في الجبهة الغربية من « الاحواز » أو « الحويزة » وكنت اعتقد أننا نتمكن من العثور على طريق أو درة تؤدي إلى دجلة بجوار « قلعة صالح »[1] . لأنه اتصل بي حينئذ أن الترك والالمان كانوا قد عثروا على طريق تؤدي من « العمارة » إلى « الاحواز » بطريق الحويزة فنقلوا المدافع عليها . فاذا قامت الفرقة الثانية عشرة بمناورة الالتفاف على الصورة التي ذكرتها تراجعت عفواً القوة التركية المتحصنة على كلتا ضفتي دجلة شمال القرنة .

ولما رجعت من القرنة إلى البصرة في ٢٧ آذار قال لي « السر جون نكسون » أنه استحسن خطتي لكنه رآها تؤول إلى خرق حياد بلاد عربستان . لأنه إذا قاتلت الفرقة الثانية عشرة العدو وهزمته فلا بد من مطاردته حينئذ إلى العمارة .

---

(١) احد الاقضية التابعة لمحافظة ميسان (العمارة سابقاً) .

وقد دونت في مذكرتي ما يأتي : « أن هذه الخطة تفر عن النتيجة التي تنتهي اليها خطتي عينها » .

وكنت في ذلك الحين اسعى لحشد فرقتين للقتال لذلك طلبت يومئذ من المقر العام أن يرسل الفوج ١١٩ إلى القرنة لينضم إلى فرقتي لأنه كان من افواج لواء امير اللواء « دوبي » وكان مرابطاً في البصرة . وكذلك طلبت أن يرسل المقر سرية النسافة السابعة عشرة من البصرة إلى لواء « دوبي » في القرنة ، وأن يسمح لي بسوق اللواء السادس عشر بقيادة « ديلامين » إلى الامام إلى ضفة دجلة الشرقية بالقرب من « قيتبان » على مسافة خمسة عشر ميلا شمال البصرة .

واتفق أن ثلاث سرايا « باثانية » من جنود وراء الحدود مختصة بكتيبة المشاة (آلاي) الهندية تمردت . فشاع أن اولئك الجنود اطلقوا النار على رفقائهم في معركة « الساحل » وقالوا جهراً أنهم لا يحاربون الترك لأنهم اخوانهم في الدين . لذلك اقترحت على المقر العام أن يؤلف من هذه السرايا المتمردة الثلاث فوج عمال صغير في البصرة اما السرايا الخمس الباقية من هذه الكتيبة (مشاة) فتظل في فرقتي لأن هذه السرايا لم تكن من وراء الحدود وكان جنودها على غاية ما يرام من التدريب واستشاطوا غيظاً على اولئك الجنود المتمردين لأن سلوكهم الشائن حط من كرامة الفوج الذي ينتسبون اليه . اجل أن تلك الكتيبة (مشاة) خسرت ثلاث سرايا من سراياها ولكنني كنت واثقاً من أن السرايا الخمس الباقية ستحافظ على سمعة تلك الكتيبة .

ووافق القائد العام على استخدام صنوف المدفعية التالية في حملتي على القرنة : ـ

القسم البري . المدفعية البرية : ـ

اربعة مدافع قصيرة بقطر خمس عقدات، ١/٥ هانتس، من مدفعية الميدان البريطانية مدفعان بقطر ٤ عقدات ـ البطارية المائة والرابعة النقلية من مدفعية الحامية البريطانية .

مدفعان بقطر ٥ عقدات ـ البطارية ٨٦ الثقيلة من مدفعية الحامية البريطانية .

آمر الجماعة العقيد «هـ . د . غرير» من المدفعية البريطانية وكانت هذه المدافع موضوعة في القرنة وبالقرب منها .

القسم النهري . مدفعية ثقيلة سيارة موضوعة على «بوارج» (سفن) .

مدفعان بقطر ٤ عقدات ـ البطارية ١٠٤ الثقيلة من مدفعية الحامية البريطانية وكانت موضوعة في «الكمرك» .

مدفع واحد بقطر ٥ عقدات ـ البطارية ٨٦ الثقيلة من مدفعية الحامية البريطانية ـ من خورابوست (امر بادخالها) .

مدفع واحد بعيار ١٨ «بونداً» من مستودع العينة .

وكان المحتمل أن يعهد بقيادة الجماعة إلى العقيد «مولسورث» اما في ذلك الحين فكان آمرها الملازم الثاني «جونسن» من مدفعية الحامية البريطانية لأنه كان اقدم ضابط في الجماعة .

البطارية الجبلية الثلاثون

البطارية الجبلية ٣٠ مؤلفة من ستة مدافع موضوعة على «بلمات» (قوارب) وآمرها المقدم (البكباشي) هـ . ج . كوتر من المدفعية البريطانية .

وبادر حينئذ امير اللواء «غ . ب . سمث» من المدفعية البريطانية وآمر مدفعية الفرقة السادسة إلى اعداد «البوارج» و «البلمات» التي تحتاج اليها هذه المدفعية .

وطلبت إلى الفريق نكسن أن يضم إلى مدفعيتي بطارية سريعة المرمى وبعيدة المدى من بطاريات مدفعية الميدان البريطانية ولكنه لم يتمكن من اجابة طلبي .

وكان عندي ثلاثمائة اطلاقة (قنبلة) لكل مدفع ثقيل وقصير .

وكذلك طلبت من المقر العام أن يرد إلى فرقتي خيالتها وسرية مخابرتها .

فاجابني الفريق « كمبل » رئيس اركان الجيش أنه كان عالماً برغبتي في لم اشتات فرقتي ولكنه قال « لا تنس أن لا جنود عندنا لخط المواصلات وأن الفرقة الثانية عشرة بعيدة عنا الآن . فعليك أن توفر من فرقتك الجنود الذين يقومون بذلك العمل » .

وكذلك لم يستغن المقر العام عن سرية النسافة لكي تنضم إلى فرقتي .

ويعلم القارىء مما تقدم أنه في الوقت الذي اوشكت على خوض غمرات المعركة وسعيت لحشد فرقتي للقتال ارغمت على فرز قسم من جنودي للمحافظة على خط المواصلات وابقاء اللواء الثامن عشر في الديوانية لحماية حصن « دير حامية » ليستر البصرة من الجهة الجنوبية الغربية .

ويجدر بالمرء أن ينظر في هذه الحالة ليقف على اساليب الحكومة في تجريدها هذه الحملة لغزوة العراق فقد ارتكبنا فيها جميع الغلطات التي ارتكبناها في حملاتنا البحرية في المائة (القرن) الثامنة عشرة واوائل المائة التاسعة عشر مع اضافة هفوات اخرى إلى غلطاتنا السابقة حتى أنه لو قام نابليون نفسه بحملة مثل هذه لاخفق في مسعاه . فلم يكن عندي للشروع في وقعة القرنة سوى لوائين من الويتي الثلاثة مع أنني قلت لاولي الشأن أن قاعدة الاقتصاد في القوة تقضي بأن اعطي اللواء الثامن عشر ـ ما عدا فوج واحد ـ للشروع في القتال . لأن فوجاً واحداً كان كافياً لحماية حصن « دير حامية » الذي لم يكن معرضاً لهجوم العدو . وما زاد الطين بلة أننا كنا في هذه الحملة متمسكين بالعادة الهندية القديمة وهي أن جميع الكتبة في المقر العام بالبصرة كانوا من جنود فرقتي المقاتلين . والانكى من ذلك أن جميع جنود الانضباط وخدمة ضباط اركان الحرب كانوا من المقاتلين في فرقتي .

والحق يقال أن قلب القائد الذي تهمه مراعاة قاعدة الاقتصاد في القوة ينفطر اسى هذه الحالة ! ولكنني لم استسلم إلى اليأس بل اقنعت « السر جون نكسون»

أن يطلب قوة من رديف « درست » من الهند ليكملوا صفوف قوة « درست » التي باتت وقتئذ ستمائة حامل بندقية فقط ومنهم خدمة الضباط . وكذلك رجوت منه أن يصدر امراً برد جميع الخدمة من الجنود البريطانيين إلى وحداتهم .

وكانت الفرقة السادسة حين تسلمي مقاليد قيادتها في البصرة موزعة على الوجه التالي : ـ

لواء المشاة السادس عشر بقيادة امير اللواء « ديلامين »[1] وكان في البصرة ومؤلفاً من :

فوج « دورست » ١٠٤ من حملة البندقيات .
وفوج « مهرته » ١١٩
والفوج « البنجابي » ٢٠
وفوج المشاة ١١٩ وكان ملحقاً بهذا اللواء

لواء المشاة السابع عشر بقيادة امير اللواء « دوبي » (ما عدا فوج المشاة ١١٩ الذي كان في البصرة وملحقاً باللواء ١٦) ـ وكان هذا اللواء في القرنة .

لواء المشاة الثامن عشر بقيادة الفريق الثاني « فراي » وكان في دير حامية ومؤلفاً من : ـ

جنود « نورفوك »
وفوج « مهرته » ١١٠
وفوج المشاة ١٢٠
وفوج « راجهتس » السابع .

وكان بعض جنود فرقتي ملحقاً بالفرقة الثانية عشر في الاحواز وكانت مدفعية الميدان البريطانية ـ كذلك ملحقة بتلك الفرقة التي ارسلتها الحكومة من الهند بلا مدفعية .

---

(١) كان قائداً للحملة البريطانية التي تحركت من الهند متوجهة إلى العراق عام ١٩١٤ .

وذهبت في ٢٨ نيسان مرة اخرى إلى القرنة . وكنت قد نظرت في مسألة « البلمات » ـ وهي قوارب عراقية صغيرة ذوات مجاذيف . وكان القائد العام قد اصر علي باستخدامها لمهاجمة مواقع الترك في القرنة . وكنا قد اتفقنا على تصفيح « البلمات » باتراس الرشاشات (المدافع الرشاشة) بحيث توضع الاتراس في مقدمة « البلم » فاقتضى لكل فوج ٣٢ « بلماً » مصفحاً و ٥٠ « بلماً » غير مصفح ـ اي ٣٢٨ « بلماً » لكل لواء ، وكان ماء دجلة زائداً جداً في ذلك الوقت . وكنا قد التقطنا ثلاثة الغام تركية على مسافة ستة اميال من القرنة بواسطة سحابة (سفينة لسحب السفن الاخرى) مصفحة تدعى « لويس يلي » وكانت الالغام مربوطة إلى كل ضفة من ضفتي النهر بسلك مائي مسترخ فاذا لم تصطدم السفينة باحد الالغام دفعت السلك وهي تمخر على مهل إلى الامام وسحبت الالغام بعنف فيصطدما باحد جانبيها .

وفي ٢٩ نيسان تفقدت شؤون اللواء السابع عشر . فوجدت « مشاة اوكسفورد الخفيفة » على وجه خاص صالحة للقتال مع أن الحر كان شديداً جداً . وكذلك القيت باقي اللواء ولا سيما كتيبة المشاة البنجابية » فانها كانت كتيبة جيدة جداً . ورأيت المعسكر المحصن في القرنة قوياً وعندي أنهم كانوا قد بالغوا في تحصينه .

وكان التصيد جارياً في الليل اذ كان العراقيون يدنون من معسكرنا ويطلقون النار علينا ، وفي ١٩ نيسان رجعت إلى البصرة فوصلتها نحو الساعة ٣٠ : ٤ بعد الظهر وكان خروجي من القرنة الساعة ٣٠ : ١١ قبل الظهر لأن المسافة بينهما في النهر نحو من اربعين ميلا وحين ذهابي إلى البصرة كان تيار النهر قوياً ولما وصلتها رأيت خيلي قد وصلت من الهند وكانت حالتها حسنة جداً .

واضطررت حينئذ إلى رفع شكواي مرة اخرى إلى المقر العام لأنني رأيت جنودي تؤخذ للقيام بخدمة الاعاشة في قاعدة الجيش ولخط المواصلات . فإن قائد خطوط المواصلات ـ الفريق الثاني « دافسن » ـ كان يصدر الاوامر إلى وحداتي الموفدة لحماية خط المواصلات وعند ذلك اخذ ضباط المقر العام يأخذون

« مراسلاتهم » من جنود « نورفوك » وهلم جرا . وذلك لأن مقر الجيش في الهند لم يرسل جنوداً لحماية خط المواصلات . ولم يكن هذا العمل مجلبة للاخذ والرد بين المقرين فحسب بل سبب تفريق القوات المتحاربة ولا يخفى ما في هذا التفريق من الاضرار العظمى من الوجهة العسكرية .

وفي تلك الاثناء بلغنا أن العرب كمنوا بالقرب من الاحواز لسريتين من سرايا كتيبة الخيالة الثالثة والثلاثين من لواء « غورنج » فقتلوا منها ثلاثة ضباط بريطانيين ومن ١٢ إلى ١٤ جندياً . ورواية الخبر أن هذه المفرزة كانت تستطلع بقيادة المقدم (البكباشي) « اندرسن » فصادفت مضرب عرب فرحب بهم الشيخ واخبرهم عن احوال الموقع التركي وبعد أن اطعمهم العرب واسقوهم هجمت قوة كبيرة من فرسان العرب على المفرزة .

وكانت الفرقة الثانية عشرة بقيادة الفريق « غورنج » تتجمع حينئذ على نهر الكارون وعلى مسافة ميلين إلى شمال بركة .

وفي ٥ أيار تفقدت شؤون اللواء الثامن عشر بقيادة الفريق « فراي » وكان هذا اللواء مرابطاً في « دير حامية » ومنفصلا عن البصرة ببحيرة تكونت من ارتفاع نهري دجلة والفرات الامر الذي جعلنا ننظر في مسألة بقاء هؤلاء الجنود على شاطىء تلك البحيرة العظيمة البعيد لأنهم إذا ظلوا هناك وطرأت طوارىء تقتضي تعزيزهم بجنود من البصرة فلا بد من مكابدة مشقات جمة في تعزيزهم لأن الامداد لا يستطاع أن يرسل اليهم الا في « بلمات » بطيئة السير .

وقد قطعت تلك البحيرة في مدة ساعتين « بالبلم » ولم يكن معي غير مرافقي (ياوري) . فنزلت في « البصرة القديمة » التي يدل على موقعها تلال رملية وهي مدينة (الف ليلة وليلة) في الزمن الغابر . ولم يبق من تلك المدينة العظيمة الآن غير بلدة (الزبير)[1] فتفقدت شؤون معقل جديد كانوا يشيدونه حينئذ هناك وكان على وشك الانتهاء فالفيته قويا ومشيدا تشييدا حسناً . وكان فيه

(١) الزبير : احد اقضية مدينة البصرة .

ماء مالح يصلح للاستعمال حين وقوع الطوارىء . (ولا يخفى أن ماء شط العرب عند مصبه في الخليج العربي مالح ملوحة ماء البحر) . واقتضى تمهيد لارض حول هذا المعقل بذل مساع جمة . وبتمهيد الارض واقالة المرتفعات التي فيها اصبح ذلك المعقل متسلطاً على تلك البقعة من محل النزول إلى البر إلى الزبير غربا وإلى اقصى محل تصل اليه مقذوفات المدافع ذوات المدى الطويل جنوبا وإلى حصن الشعيبة[1] شمالا بغرب . فرأيت حينئذ أن فوجاً واحدا يكفي لحماية هذا المعقل مع خمسمائة اطلاقة لكل بندقية . وهذا الذي قلته للسر جون نكسون الذي بسطت له ضرورة الاستغناء عن معسكر دير حامية المحصن والاستفادة من حاميته المؤلفة من لواء واحد والعدول عن تفريق القوة وجلب الجنود تواً إلى البصرة . وكذلك اقترحت وضع أهم ما يبقى من القوات في معقل البصرة القديمة وبذل المال بسخاء لشيخ الزبير ليأتينا باخبار الترك على وجه السرعة . لأن شيخ الزبير كان على الدوام مخلصاً لنا ويسعى لمناصرتنا . وعلى هذه الصورة يصبح معقل البصرة القديمة (رأس جسر) لجنودنا المرابطة في (البصرة الجديدة) .

ولمنع نضوب الماء قلت انهُ يقتضي انشاء طريقاً مرتفعة مرصوصة بالحصباء أو خط « ترامواي » يصل البصرة بذلك المعقل الذي اقترحت تسميته « بحصن جورج » . واعتقد أن الفريق نكسن عمل بجميع اقتراحاتي هذه .

وكان مقر الفرقة السادسة لما تسلمت زمام قيادتها مؤلفاً على الصورة التالية : ـ

مرافقي الخاص : الرئيس باستو من كتيبة يوركشير .

الاركان :

ضابط ركن من الدرجة الاولى (رئيس اركان جيش الفرقة) : « ر . ن . غامبل » ، حامل وسام الاستحقاق ـ من الجيش البريطاني .

---

(١) وهو ثكنة عسكرية ، قرب قضاء الزبير .

ضابط ركن من الدرجة الثانية : المقدم « غ . أ . ف سانـدرس» ـ من قسم المهندسين في الجيش البريطاني .

ضابط ركن من الدرجة الثالثة : الرئيس « ب . غ . بيل » ـ من الفنية ٨١ .

وكيل معاون مدير الادارة : المقدم « ج . هـ . م . داڤي » ـ من كتيبة بونة .

معاون مدير الميرة : الزعيم « ل . و . شكسبير ـ من الجيش الهندي .

وكيل معاون مدير الميرة : الرئيس « ف . هـ . ستاپلتن » ـ من الفوج الخفيف الاول من مشاة اوكسفورد .

الادارة :

معاون مدير القسم الطبي : الزعيم « ب . هيهر » ، من القسم الطبي في الجيش الهندي .

وكيل معاون مدير القسم الطبي : العقيد « هـ أ . ب . برون ميسن » ـ من القسم الطبي في الجيش البريطاني .

معاون مدير الاعاشة : « أ . س . ر . انسلي » ـ من قسم الاعاشة والنقلية (معاون مدير النقلية الموقت لخط المواصلات) .

معاون مدير النقلية : المقدم « أ . أ . برستن » ـ من قسم الاعاشة والنقلية .

مدير قسم المهندسين : العقيد ف . و . ايڤانس ـ من مهندسي الجيش البريطاني .

وكيل معاون مدير العينة والاعاشة : الرئيس « ر . هـ . بغ » ـ من المدفعية البريطانية .

معاون مدير المخابرات : الرئيس : « هـ . س . كارديو » من السرية ٣٤ من مخابرات الفرقة .

آمر الانضباط .

امين الخزنة : الملازم « ع . سي . ر . هدلستون » ـ من الفوج الثاني والعشرين البنجابي[١] .

ذكرت في ما مر أنني تفقدت شؤون اللواء السادس عشر المعسكر في البصرة . والآن اقول أنه بعد هذه المحادثة بمدة قصيرة فاضت مياه دجلة فغمرت ذلك المعسكر وحينئذ ارغم هذا اللواء على ترك معسكره والعسكرة داخل مدينة البصرة في البيوت . وكان رأيي في بادىء الامر أن يعسكر على ضفة نهر دجلة الشرقية قبالة مدينة البصرة ولكن المياه ما لبثت أن غمرت هذا المحل كذلك .

وفي ٩ ايار ذهبت إلى القرنة مرة اخرى فرأيت آمر اللواء «دوبي» قد جهز مفرزة للاستطلاع واوفدها في باخرة ذات رفاس خلفي من مراكب النيل القديمة وكانت المفرزة مؤلفة من ثلاثين جندياً من فوج اوكسفور حملة البندقيات بقيادة الملازم « كوكسن » من ضباط البحرية البريطانية . وكان الغرض من تجريد هذه المفرزة ارتياد نهير الهوير لمعرفة مقدار صلاحه للملاحة . فظهر أن عرض هذا النهر اثنتا عشرة قدماً وعمقه ست اقدام فقط وأن على ضفتيه دغل قصب يستر الارض بحيث لا يرى الواقف على ظهر الباخرة السفلى شيئاً .

ولما اخذت الباخرة « شوشن » تتهادى ماخرة في ذلك النهر بادر العرب إلى اصلائها ناراً حامية من جميع الجهات فقفلت راجعة بعد أن جرح اربعة من رجالها بينهم الملازم كوكسن الذي اصيب حينئذ بجرح بليغ في كتفه بعد تضميد الجرح صعد برج الربان واخرج الباخرة من ذلك المأزق .

---

(١) احد الكتائب التي يعود اصل جنودها إلى اقليم البنجاب الهندي ، وكانت ضمن الحملة البريطانية .

وفي ١٠ أيار جربت اطلاق المدافع القصيرة (مدافع هوتسر) على « تل الشجرة الواحدة » و « تل البرج » وكان تأثر الاطلاقات بالقنابل الشديدة الانفجار في « تل البرج » حسناً جداً .

وفي هذا اليوم عينه تلقيت اوامر صريحة من « السر جون نكسن » تقضي بطرد العدو من موقعه في شمال القرنة واحتلال العمارة . وكانت قوتي مؤلفة من الفرقة السادسة (ما عدا اللواء الثامن عشر) وبعض المدفعية الثقيلة واسطول نهري صغير نيط امره بي لاستخدامه في القتال .

قلت فيما سبق أن العمل الذي كلفني « السر جون نكسون» بالقيام به كان محفوفاً بالصعوبات الجمة وانحصر في القيام بمعركة محفوفة بالمخاطر لأن الاراضي المغمورة في المياه ارغمتني على مهاجمة العدو من الجبهة ولا يخفى أن مهاجمة اعظم انواع الهجوم كلفة واشدها خطراً وابعدها عن الفوز . ولو قيض الله لي الخروج من المعمعة ظافراً تحتم علي حينئذ أن اطارد العدو مسافة تسعين ميلا إلى العمارة وهي اهم المدن الواقعة إلى جنوب بغداد وفيها مقر للحكومة ومستودعات ومدخرات وحامية يحتمل أن تدافع عن المدينة دفاعاً شديداً . ولا يخفى أن احوالا مثل هذه تقضي على القائد بعدم الانقطاع عن اجراء الحركات الحربية في ميدان القتال . ونعلم جميعاً أنه عندما يتقدم الضباط القادة إلى امتحان الترقية وتعطيهم لجنة الامتحان مسائل صعبة مثل هذه المسألة لاختبار كفايتهم في التعبئة يحكون رؤوسهم لصعوبتها واني لمعتقد أنه لو اعطيت مسألة مثل مسألتي هذه للفرقاء الثانين الذين يتقدمون إلى امتحان الترقية إلى رتبة امير فيلق لحكوا كذلك رؤوسهم من جراء صعوبتها . واتخطر أن الحديث دار بعد ذلك بيني وبين قائد الجيش الهندي العام حول هذه الحركة فضحك حينئذ وقال لي « طالما سمعتك تتمنى لو اتيح لك حل معضلة من اصعب المعضلات في ساحة الحرب . فقد تم لك الآن ما كنت تتمناه في الحركة التي اجريتها في القرنة والعمارة » .

واعيد الآن ما قلته في ما مر من أن المهندسين الالمان الملحقين بجيش العدو بثوا الالغام في نهر دجلة وانهم اغرقوا « معونتين » كبيرتين من حديد في مجرى هذا

النهر لمنع سير مراكبنا الحربية بالقرب من « ورطة » .

وجاء في الاوامر التي اصدرها الي الفريق «نكسون» في ١٠ أيار ما يأتي « لا تكتف بطرد العدو من موقعة الحاضر بين عطفة من عطفات النهر المسماة « بير درب بيند » والقرية واغتنام مدافعه بل واصل الحركات واطرد العدو في النهر شمالا واحتل القرنة » . وقد الفت نظري إلى مراعاة الامور التالية اذا فزت في المعركة : ـ أن احتل روطة (حيث استخدم الجنود لرفع المانع الاول الذي روت الاخبار بأن العدو وضعه في النهر لمنع تقدمنا) و « العزير » (لأنه موقع موافق على خط المواصلات وهو على مسافة ٢٢ ميلا إلى شمال القرنة) ثم « قلعة صالح » (وهي واقعة على خط المواصلات وتبعد ٥٦ ميلا عن القرنة . وتتسوق قبيلة « ابي محمد » بضائعها من اسواق هذه البلدة التي يبلغ عدد سكانها الالفين) ثم « ابا سدرة » (وهي محل التقاء قناة « المجر الكبير » بنهر دجلة) ـ وهنالك طريق تقطع البطائح من الناصرية على مسافة ٧٦ ميلا من القرنة .

وكانت العمارة في تلك الاثناء مركزاً مهماً للادارة التركية المدنية والعسكرية . وهذه البلدة واقعة على مسافة ٨٧ ميلا من القرنة .

وكانت القوة المتيسرة لي حينئذ للقيام بالحركة التي مر ذكرها مؤلفة من الوحدات التالية : ـ

اللواءان السادس عشر والسابع عشر (اما اللواء الثامن عشر فظل في البصرة وجوارها للقيام باعمال اخرى كما قلت سابقاً .

والجنود الملحقة بالفرقة من كتيبة « نورفوك » للمشاة .

وسرية الفنية ٨٤

والبطارية الجبلية ٣٠

والبطريتان الثقيلتان ٨٦ و ١٠٤

وبطارية مدافع « هانتس » القصيرة ٥/١ (من قوة الرديف ـ التريتوريال) . وقطار لوضع الجسور وسرية نسافة « سرمر » .

سرية مخابرة الفرقة السادسة (سرية المخابرة ٣٤) .

اما الاسطول النهري الذي نيط امره بي فكان مؤلفاً مما يأتي : ـ

المراكب الحربية « اسبيغل » و « كلايو » و « اودن » .

والزوارق البخارية المسلحة « شيطان » و « لويس بلي » و « لورنس » و « ماينر » (وكانت هذه السفن سحابات باتراس مدرعة) .

ومركبا خيل من البحرية وكان عليهما مدافع بقطر ٧ ، ٤ العقدة .

ومراكب لنقل الجنود وهي « المجيدية » و « بلوس لنج » .

وفي ١١ أيار رفعت إلى « السر جون نكسون» الخطة التي رسمتها لحركاتي في المذكرة التالية : ـ

المذكرة « ١ »

(أ) ارفع هذه المذكرة باسطاً فيها الخطة التي رسمتها لمقاتلة العدو من اجل الاستيلاء على موقعه شمال القرنة وهذا الموقع يمتد على كلتا ضفتي دجلة الفائضة مياهه على خط المزيلة وعطفة « بير درب بيند » وروطة مع مواقعه الامامية الواقعة على خط نهير « بربك » ـ اي « تل المدفع » و « تل البرج » و « تل الشجرة الواحدة » (على الضفة الشرقية) .

(ب) وإن احتل العمارة بعد الاستيلاء على هذا الموقع الهائل .

(ج) وابين عدد الجنود المطلوبين لحماية خط المواصلات من القرنة إلى العمارة شمالا .

اولا : بعد امعان النظر ودقة الملاحظة وجدت ثلاث طرق للهجوم ابسطها على وجه الاختصار : ـ

١ ـ مهاجمة جبهة العدو بالاسطول الموجود في النهر مستعيناً بقوة صغرى مؤلفة من المشاة والمدفعية على ضفة دجلة الغربية .

وفي ذلك الوقت عينه تقوم القوة المعينة لحركة الهجوم الالتفافية ـ أو جناح مناورة التعرض ـ وهو القوة الكبرى ـ بحركة التفافية على مسافة خمسة آلاف يارد الى غرب نهر دجلة فتضرب القوة الكبرى العدو المرابط في المزيبلة بحركة واسعة وتهدد خط رجعته . ولا يخفى أن القيام بمناورة كهذه على ارض يابسة لمن ابسط الحركات وافضلها .

٢ ـ ولكن عمق المياه الغامرة للبطائح وعظم عمق مياه الجداول الواجب عبورها وارتفاع نبت القصب كل ذلك يجعل خوض هذه المياه وتسيير البلمات المدرعة وغير المدرعة فيها عملا شاقاً جداً . وفضلا عن هذا قد برهن لنا الاستطلاع الذي اجريناه في نهر « الهوير » في ٩ أيار على أن مقاومة العرب في البطائح سبب كاف لمنعنا عن القيام بحركة التفافية من الجهة الغربية وتكاد هذه الحركة تكون من الامور المستحيلة الا اذا ساقنا اليأس والقنوط إلى ذلك .

واني لآسف كل الاسف لهذه الحالة لأنه لو اتيح لنا القيام بمثل هذه « المناورة » لالتففنا حول مواقع مدافع العدو واستولينا عليها عفواً وعلى مقدمته كذلك ولتمكنا اخيراً من الحمل عليه بالحراب . ولا سبيل غير ذلك لقهر الترك على الفور مهما كان العدو راسخ القدم وثابت العزيمة وراء خطوط دفاع منيعة فلو تيسر لي القتال على ارض يابسة لما قمت بغير هذه « المناورة » .

٣ ـ واستطيع اجراء هذه المناورة عينها باستخدام ضفة دجلة الشرقية لحركة الالتفاف بالقوة الكبرى ـ أو جناح مناورة التعرض . ولكن في هذا العمل محظوراً وهو أن هذه الحركة تقتضي عبور نهير « روطة » تحت نيران مدافع العدو في ابان فيضان دجلة الامر الذي لا يهدد خط رجعة الترك .

٤ ـ مهاجمة الجبهة مهاجمة موجهة إلى قلب العدو مستعيناً بحركة التفاف على ضفة النهر الشرقية تقوم بها قوة صغرى من المشاة على أن تقوم القوة الكبرى وجميع المدافع الثقيلة والاسطول النهري بمهاجمة الجبهة والفوز في ذلك يتوقف على تعاون القوة البرية والسفن تعاوناً شديداً وعلى تأثير نار المدافع الثقيلة التأثير المطلوب .

٥ - ويقتضي القيام بهذه الحركة على صورة منتظمة في ادوار متوالية بلا عجلة كما هي الحال في محاربات الحصار .

وبعد اعمال الفكرة والنظر الدقيق قررت قسراً مني على اجراء الحركة التي وصفتها في المادة (٤) ولكن الاستطلاع الذي اشرت اليه في الفقرة (٢) يدلنا دلالة جلية على المجازفة والمخاطر والمشقات التي ينطوي عليها القيام بحركة التفافية من الضفة الغربية . وقد برهنت كذلك في المادة (٣) على عدم موافقة الضفة الشرقية للقيام بحركة التفافية .

وساهاجم جبهة موقع العدو شمال القرنة في ادوار متوالية على الوجه التالي : -

الدورة الاولى

مهاجمة « تل البرج » و « تل المدفع » لاختراق خط نهير « بربيك »

قوة مهاجمة الجبهة ١	لواء المشاة السابع عشر ما عدا الفوج الثاني والعشرين البنجابي ونصف السرية ١٧	
القوة الكبرى على ضفة النهر الغربية	سرية النسافة وسرية الجسارة ونصف سرية نسافة « سرمور » وسرية النسافة ٢٢ وبطارية من المدفعية البريطانية وبطارية المدافع القصيرة (هوتسر) والمدفعية الثقيلة على الضفة الغربية	بقيادة امير اللواء « دوبي »
تبقى هذه القوة في المراكب إلى أن تسنح لها الفرصة للنزول إلى البر	لواء المشارة السادس عشر	بقيادة امير اللواء « ديلامين »
في النهر	البواخر النهرية (انظر المذكرة «ب» الملحقة بهذا) . والبواخر المسلحة (انظر كذلك المذكرة « ب » الملحقة بهذا) .	بقيادة الضابط البحري الاقدم

الاحتياط العام يتبع القوة التي تهاجم الجبهة في السفن الى حين سنوح الفرصة	الفوج الثاني والعشرين من كتيبة مشاة نورفوك وسرية الفنية الثامنة والأربعون	
القوة التي تقوم بهجمة الالتفاف	مفرزات مختلطة من الفوج الثاني والعشرين البنجابي .	بقيادة العقيد « بلويزجدنسن »
تكون على ضفة النهر الشرقية .	نصف سرية النسافة . مدافع على ارماث (اما مدافع ثقيلة اذا كان ذلك مستطاعاً واما مدافع بعيار ١٨ بوند على ارماث أو عوامات) .	

٦ ـ تطلق النيران من فوهات المدافع التي تهاجم الجبهة ومدافع المراكب على « تل البرج » و « تل المدفع » لحصر الاعداء المدافعين في مكانهم وتدمير مدافعهم وهلم جراً . ثم تحول النار إلى « تل نورفوك » حين تقدم القوة التي تهاجم الجبهة .

٧ ـ إن القوة المكلفة بالقيام بهجوم الالتفاف من الضفة الشرقية تتقدم من المزيرعة على خط متواز يبعد نحواً من خمسة آلاف يرد من دجلة وذلك للالتفاف حول تل الشجرة الواحدة وصب النار الجنبية على « تل البرج الواحد » و « تل المدافع » من ذلك المحل أو من جواره وللاستيلاء على التلال الرملية الواقعة على مسافة ٣٥٠٠ يارد إلى شرق بحران (عران) . وفي تلك الاثناء يتقدم مشاة القوة المهاجمة وهم اللواء السابع عشر بحيث يحمي امير اللواء دوبي ميسرتهُ ـ وهي جناحهُ الغربي ـ بمفرزة جانبية (اي قوة البلمات) ويسير مركب حربي صعوداً في نهر الهوير لتحويل العرب إلى تلك الجهة . ويستولي حينئذ المشاة الذين في البلمات على « تل نورفوك » و « تل البرج » و « تل شرابتل » . واذا استطاع هؤلاء المشاة فليستولوا على « تل المدفع » وعلى موقعي « العلوة » و « القلعة » كذلك .

٨ ـ ينظف النهر من الالغام تحت ستر النار المذكورة بواسطة زوارق بخارية تحميها قلوس (حبال) فولاذية تربطها بعضها ببعض وهذه الزوارق تستر تقدم

الاسطول تحت مصب نهير « بربيك » و « تل الشجرة الواحدة » حيث تطلق المراكب الحربية مدافعها على بحران (عران) وفي هذه الاثناء تنقل السحابات والبوارج والزوارق المدفعية الثقيلة من القرنة لوضعها بواسطة الارمات وغيرها على « تل البرج الواحد » و « العلوة » (والظاهر أن في هذا المحل ارض يابسة واسعة) .

٩ - يسعى اللواء السابع عشر للمرابطة على « تل المدفع » و « التلال الرملية » . اما اللواء السادس عشر فينقل لاحتلال « العلوة » و « القلعة » إذا كان ذلك مستطاعاً (وإذا اقتضى الامر ينقل هذا اللواء ليلا) .

وبوضع المدفعية الثقيلة المختصة بالقوة التي تهاجم الجبهة على « تل البرج الواحد » و « العلوة » تنتهي دورة هذه الحركة الاولى . وإذا ثبت العدو في مواقعه يحتمل أن يستغرق هذا العمل النهار كله .

الدورة الثانية

١٠ ـ بعد تنظيف النهر من الالغام يسرع الاسطول النهري نحو « بحران » وتسهل سيره في النهر المدفعية الثقيلة من « تل البرج الواحد » و « التلال الرملية » (وهذا المحل واقع على الضفة الشرقية في طرف التلال الرملية الغربية وعلى مدى ٣٥٠٠ يرد من بحران) .

١١ ـ يزحف اللواءان السادس عشر والسابع عشر مع النسافة والجسارة السائرين امام الارتال على بحران (عران) . ويعبر اللواء الاحتياطي (في سحابات وبوارج) من ضفة النهر الشرقية ويصبح احتياط الفرقة العام الا إذا ظهر أن زحفه على روطة افضل لنا وهلم جرا .

الدورة الثالثة

(مزيلة)

١٢ ـ تحمل الفرقة بالحراب حملة عنيفة على خط التلال الصغيرة والمستحكمات وتعضد هذا الحملة نيران المراكب الحربية التي تطلق حينئذ ناراً

جنبية على التلال الصغيرة من النهر ويفرز الضابط البحري الاقدم سفينة أو اكثر لازعاج « روطة » ومدافع « مزيبلة » .

(وهذا العمل يقتضي اقالة الموانع المحتمل وجودها هناك) .

المذكرة « ب »

١٣ ـ اتوقع أن يركن العدو إلى الفرار حين الشروع في الدورة الثالثة أو قبيل ذلك وأن جميع المناورات التي تتلو ذلك تجري مجرى حسناً .

وساجعل اللواء السادس عشر (الجماعة الاولى) يركب البواخر ليجد في اثر السفن الحربية التي تسير حينئذ امام القوة لتوالي انزال الضربات على العدو المنهزم وتواصل مطاردة العدو والفتك به بقيادتي .

وسأرافق الجنود المتقدمة واصدر الاوامر إلى آمر اللواء الاقدم بجمع شتات الفرقة والالتحاق بي على ظهر السفن وقصدي من ذلك دخول العمارة مع العدو . ويحتمل أنني سارغم على مقاتلة العدو في العمارة . فينبغي لي والحالة تلك توحيد قوتي مرة اخرى لكي اقهر العدو واحتل العمارة .

١٤ ـ قلتم في مذكرتكم انكم لا تتمكنون من اعطائي جنوداً اضعها في القرنة والمواقع الجديدة التي اقترحتم ـ لا بل فرضتم ـ علي احتلالها وانكم لا تعلمون متى تتمكنون من رد الفريق « فراي » وباقي اللواء الثامن عشر الي . فإذا احتللت العمارة وحصنت ذلك المكان على صورة تمكنه من الثبات ازاء العدو ارسل باقي الفرقة إلى القرنه . واظن أن « السر جون » يرمي إلى هذه الغاية إذ ينبغي له أن يبقي تحت يده في منطقة البصرة قوة مركزية .

١٥ ـ إن لواء واحداً يكفي لحماية العمارة .

يكفي فوجان لحاميات هذه المواقع كلها من القرنة إلى الموقع الاخير على خط العمارة .

اما القرنة فيكفيها فوج واحد ومركب حربي . ويقتضي لمزيبلة سريتين مزدوجتين ولقلعة صالح نصف فوج و « لابي سدرة » سرية واحدة . وقاعدة الاقتصاد في القوة تقضي بان تكون الحامية على اقلها .

ملحوظات عامة تتعلق بالمذكرتين « ا » و « ب »

١٦ ـ اعتقد أن هاتين المذكرتين تبسطان مقاصدي بسطاً وافياً لقائد الحملة العراقية العام . وسأملي اوامر الحركات واصدرها عند الاقتضاء . مثال ذلك أنني لا اصدر اوامر الحركات الا قبل الشروع في مهاجمة القرنة للمرة الاولى بيوم . وستكون هذه الاوامر مختصرة مفيدة . اما الاوامر المتعلقة « بالاسطول النهري » والارماث و « البلمات » وغيرها فسأصدرها في مذكرات على حدة . وإذا لم افعل ذلك جاءت الاوامر المتعلقة بحركاتنا هذه ـ التي تشمل القوات البرية والبحرية ـ طويلة جداً . وفي الدورتين الثانية والثالثة سأملي الاوامر فارسلها مختصرة جداً بالاشارات ويحتمل أن يكون ذلك من دكة مقدم المركب الحربي . وعلى الارجح أنني سأشير في هذه الاوامر إلى اعداد الفقرات الواردة في المذكرتين وارسل نسخة من تينك المذكرتين إلى كل من آمري الالوية والضابط البحري الاقدم ورؤساء اركان الجيش .

١٧ ـ وارجو أن تردوا إلي من الفرقة الثانية عشرة احدى بطاريات الميدان المختصة بفرقتي فإنني احتاج إلى ستة مدافع بعيار ١٨ « بونداً » لاضعها على ظهور البواخر لأن المدافع الجبلية شديدة الرفس إلى الوراء حين اطلاقها والمدافع الثقيلة الموضوعة على « البوارج » بطيئة الاطلاق فاطلاقها لا يتم بالسرعة المطلوبة .

وسأضع المدافع في السفن على الوجه التالي : ـ

مدفعان على « المجيدية »

مدفع أو مدفعان على « ملامير »

مدفع على « سلامي »

وساسوق هذه المراكب إلى الامام للاشتراك في القتال[1] .

(١) كان لواء مدفعية الميدان المختص بفرقتي قد ألحق بالفرقة الثانية عشرة ولم ترد الي البطارية التي طلبتها .

١٨ ـ واطلب أن تردوا إلي سرية النسافة ١٧ المختصة بفرقتي وسأرد إلى الفرقة الثانية عشرة (اي قوة خط المواصلات) سرية نسافة « سرمور » واظن أن هذه السرية تختص بالفرقة ١١ .

١٩ ـ اطلب تعيين العقيد « انسلي » معاوناً لمدير الاعاشة واطلب كذلك تعيين ضابط جديد معاوناً لمدير النقلية بدلا من « اسوان » الذي كفت يده عن العمل نظراً إلى اعتلال صحته .

٢٠ ـ اقترح تعيين الملازم « مارش » (من ضباط البحرية الهندية) ضابطاً للنقلية النهرية .

٢١ ـ يقتضي أن يكون ربابنة سفن النقلية واقفين على احوال النهر فتتقدم اولا « المجيدية » و « بلوس لنج » و « سلامي » ثم « السحابات » وتتقدم على اثر هذه المراكب السفن ذوات الرفاسات لأن ربابنتها حديثو العهد بالنهر .

وتنشأ مراكز الأمداد بالتجهيزات والذخيرة في الاماكن التالية : ـ

القرنة ـ ليوم شروعنا في الحركة .

العزير ـ من يوم سوق احتياطنا إلى الامام .

قلعة صالح والمجر الكبير ـ يوم وصول جنودنا المتقدمة الموقع التالي .

واقول مثالا لما تقدم أنه في اليوم الذي تصل جنودنا المتقدمة ـ قلعة صالح ـ تتسلم قوة خط المواصلات قبر عزر التمكن مؤخرة قوتي من الخروج من ذلك المكان والتقدم في النهر .

٢٣ ـ إن رئيس اركان جيشي يعد قائمة باسماء السفن والارماث ـ وتشمل هذه القائمة الزوارق البخارية كذلك ـ التي لا بد من استخدامها لسرعة نقل الاوامر ولتنفيذها تنفيذاً سريعاً .

المذكرة . « ج » لتنظيف النهر من الالغام اقترح أن نحمي زوارقنا

وسحاباتنا كما حمي الفريق « غوردون » باشا بواخره عام ١٨٨٥ يوم صادفنا تلك البواخر في « المتمة »[1] . وكان الدراويش يومئذ يصلون ، في الغلب الاحيان ، تلك البواخر ناراً حامية على مسافة قريبة من فوهات مدافع كروب التي كانت في حوزة الدراويش وكانت موضوعة على تلال منخفضة . وكانت تلك البواخر سفناً خشبية ذوات رفاسات من نوع البواخر النهرية وكان فيها صفائح خلاقين وعوارض مبنية على هيئة تشبه ثلاثة حصون بمنافذ (مزاغل) موضوع في مقدمتها ـ واحياناً في مؤخرتها ـ مدفع . وكانت بواخر غردون هذه متينة جداً فتحملت قصف مدافع كروب الشديد .

* * *

وفي اليوم الذي رفعت فيه هذه المذكرات إلى المقر العام اصدرت مذكرة تبحث في الحركة التي كنت مزمعاً على القيام بها ووجهت الخطاب فيها إلى جميع امراء قوتي كآمري الالوية والضابط البحري الاقدم ورؤساء اركان الجيش . ودار الحديث حينئذ بيني وبين « السر جون نكسون» ورئيس اركان جيشه العام فانتهى بنا ذلك الحديث إلى مسألة استقلال الآمر البحري في حركات القوتين البحرية والبرية المتوحدتين . فقلت « للسر جون نكسون» أنه لا يجوز وضع مسألة انقسام القيادة على بساط البحث وأن التاريخ مشحون باخبار العواقب الوخيمة التي تؤدي اليها القيادة المنقسمة لذلك يجب أن تكون زمام القيادة العليا في هذه الحركات بيدي وطلبت إلى الفريق «نكسون» أن يصدر الاوامر بذلك إلى الضابط البحري الاقدم . فوافق الفريق «نكسون» على كلامي وفعل بما قلته له .

وكانت البصرة حينئذ قائمة على قدم وساق في اعداد « القوارب » المدرعة لنقل الجنود على غمر النهر والبطائح للدنو من موقع العدو وفي وضع المدفعية الثقيلة على دكاك المدافع المبنية على « معونات » حديدية ، وفي اعداد البواخر النقالة وهلم جرا . وقد احسن الزعيم « ايفانس » (من ضباط قسم المهندسين

(١) بلدة واقعة على ضفة النيل في بلاد النوبة بافريقية .

البريطانيون) والنسافة الذين معهُ العمل في ما قاموا به وكان لاختبار مهندسي فرقتي السابق في الامور المتعلقة بالنقل والقوارب فائدة جلى .

وكان امر تقدم المشاة في قوارب اول مظاهر استعدادنا لوقعة القرنة المقبلة ولم يتيسر لنا حينئذ في البصرة لتسهيل هذا التقدم غير « قوارب » العرب التي قررنا أن نضع في كل بلم منها ضابط صف وتسعة جنود لانها لا تسع اكثر من ذلك . وكل ما تيسر لنا من هذه البلمات كان يكفي لنقل لواء المشاة السابع عشر وحده . ويضيق بي المجال في هذا الكتاب لسرد ما اصدرته إلى الفرقة من الاوامر المتعلقة بتوزيع « البلمات » على الوحدات وبقائمات العدد والمدخرات والارزاق التي تشحن بها القوارب . ولو فسح لي المجال لتدوين هذه الاوامر لاستفاد منها المهتمون بالشؤون العسكرية ولزادوا اتساع نطاق التدابير المستعجلة التي اتخذناها للقيام بهذه الحركة المتراوحة أي أنها تجري على البر والماء معاً التي تشبه من بعض الوجوه حركة نزول قوة « ابروكرومبي »[1] إلى البر في ابو قير[2] عام ۱۸۰۱ إلا أن حركتي تختلف عن حركة ابركرومبي في أمر واحد وهو أن قوتي كانت في بلمات واما قوة ابركرومبي فكانت في زوارق السفن .

لما وصلت القرنة في اوائل عام ۱۹۱٥ امرت اللواء السابع عشر بالشروع في التمرن على تجذيف « البلمات » الذي يشبه تجذيف القوارب في نهر التيمس . وكانت قطعة عسكرية مختصة بالبلمات تتمرن في اوائل آذار على هذا التجذيف استعداد للقيام بحركة متراوحة (برية ومائية) صغيرة قد تقضي الاحوال علينا بالقيام بها في المياه الغامرة للاراضي المحيطة بالقرنة . ومع قلة « البلمات » والتجهيزات تقدم المتمرنون على التجذيف تقدماً حسناً في عملهم حتى أنه لما امرت هذا اللواء بتوسيع نطاق تجذيف القوارب في اواسط نيسان كان لدينا من كل فوج ۳۲ جندياً من الجنود الذين تمرنوا على التجذيف فساعدونا في ذلك المشروع مساعدة لا تقدر بمال . وحينئذ عزمنا على وضع اللواء كله في البلمات ليقطع بها

---

(۱) السر رالف ابركرومبي قائد انكليزي قهر الفرنسيين عام ۱۸۰۱ في الاسكندرية بمصر .

(۲) بلدة مصرية واقعة على خليج مسمى بهذا الاسم في شاطىء البحر المتوسط .

البطائح لمهاجمة المواقع التركية في انحاء النهر الشمالية . واقتضى هذا الهجوم تدريب ١٢٦ جندياً من كل فوج ومقدار ما يسمح لنا الوقت والتجهيزات به فضلا عن هؤلاء . فخصصنا ١٦ قارباً لكل سرية و ٣٢ جندياً لتجذيف تلك القوارب واقتضى كذلك أن يتوفر لدينا العدد الكافي من الجنود المتمرنين على تجذيف القوارب احتياطاً للتعويض عن الخسارة المحتمل وقوعها في الجنود الجذافين الذين يشتركون في الوقعة . وكنا في شهر ايار منهمكيـن في العمل كل الانهماك ولم يعق سير ذلك العمل امر ما سوى قلة القوارب إذ أننا لم نتمكن من الحصول عليها قبل نهاية الشهر ولكن في ٢٨ ايار قمنا بتجربة شاملة فكان المرء يشاهد مشهداً غريباً وذلك أن اللواء باسره كان يتحرك في قوارب .

وكان « السر جون نكسون» قد ارتأى تدريع العدد الكثير من هذه القوارب بصفائح فولاذ لحمايتها من نيران البندقيات . فجربنا قارباً من هذه القوارب المدرعة في نهير « العشار » فاسفرت التجربة عن نجاح باهر ولكننا ـ ويا للاسف ـ نسينا أن البطائح المغمورة بالماء حول القرنة لم تكن مكشوفة بل كانت مغطاة بادغال قصب مختلفة الكثافة لذلك اعاقت هذه الدروع سير القوارب حيث كان القصب خفيفاً وحالت دون سيرها حيث كان هذا النبات كثيفاً لأن تلك الدروع كانت تعلو عدة اقدام فوق كل جانبي القارب ثم تنثني إلى أن تصل الماء . ولكننا ابقينا هذه الدروع على حالها لأنها كانت تحمي القوارب من نيران البندقيات ولأن الفريق «نكسون» كان شديد الميل إلى بقائها . وحينئذ تلافينا ضررها بأننا ربطنا كل قاربين معاً لتثبيتها وثنينا الصفائح لكي لا تنخفض عن مستوى جانبي القارب . وكنا نتوقع أنها تسير والحالة هذه سيراً حسناً في دور الهجوم الاول حيث لم تعقها كثافة القصب . وقد برهنت حوادث القتال على صدق ظننا .

وكان ربع القوارب المختصة بكل فوج مدرعة اما ثلاثة الارباع الاخرى منها فكانت غير مدرعة . وفضلا عن ذلك وضعنا الرشاشات والبطارية الجبلية ٣٠ على ارماث مدرعة مصنوعة لهذه الغاية . ووضعنا المستشفى السيار المختص بالميدان على قوارب خفيفة غير مدرعة . أما باقي القوارب فجهزناها بسواري (عواميد)

خيزران للتجذيف مع مجاذيف قصيرة اعطيناها للجنود غير المدربين على التجذيف لاعانة الجنود المدربين الذين كانوا يسيرون القوارب بسواري الخيزران . وكانت السارية الواسطة الوحيدة لتسيير القوارب في ميدان القتال حيث كان الماء قليل العمق والقصب نابتاً ولكن قعر النهر كان قوياً . ولا نقول أن جميع الجنود الذين دربناهم على صورة مستعجلة على التجذيف كانوا ملاحين ماهرين بل نقول أنهم على وجه عام كانوا مدربين تدريباً يكفي لانفتاح اللواء من نظام المسير إلى نظام الارسال المنضم[1] ثم لتقدمهِ للهجوم على نسق (خط) سرايا بالمقدار الكافي من دقة المناورة . فهذه كانت حركتنا التمهيدية .

ووقعت حينئذ حادثة اسفت لها كل الاسف وهي حرماني خدمات امير اللواء « دوبي » من الضباط اركان الفيلق الهندي وكان آمر لواء المشاة السابع عشر . فإنهُ اجيز له السفر إلى انكلترا استشفاء لعلة اصابت كعب قدمهِ من جراء سقوطهِ على ظهر باخرة نقالة اثناء هيجان البحر . وكانت حالة كعبهِ هذا تزداد سوءاً فرأى الفريق نكسون أن علتهُ هذه تعيق عمله في ميدان القتال الامر الذي اسف له امير اللواء « دوبي » نفسه كل الاسف . لذلك طلبت تعيين الزعيم « كليمو » آمر الفوج الرابع والعشرين البنجابي امير لواء مؤقت ليتولى قيادة اللواء السابع عشر فاجيب طلبي على الفور .

---

(١) وهو تشكيل عسكري تكون المسافة فيهِ بين القطعات بطول خط جبهة القطعة .

الفصل الرابع

(وقعة القرنة)

جاءت اوامر الحركات والوصايا الملحقة بها طويلة جداً على غير ما كنت ابتغيه لأنهُ لما كانت حملتي مؤلفة من قوات برية وبحرية استحال علي ايجازها اكثر من ذلك . وكذلك استحسنت اصدار هذه الاوامر وذيولها قبل الشروع في الحركات باربع وعشرين ساعة لكي يتسع المجال لآمري الوحدات البرية والبحرية فهمهما حق الفهم ويتفاوضوا فيها .

وفي ٢٩ أيار بعد الظهر فرغت من توزيع القوات استعداداً للقتال . فكان اللواء السابع عشر معسكراً حينئذ في القرنة وكان متأهباً للزحف على موازاة ضفة دجلة اليمنى في قوارب أو في « بلمات » . وكانت كتيبة المشاة البنجابية في قرية المزيرعة مستعدة للزحف على موازة الضفة اليسرى . وكانت هاتان القوتان كلتاهما معسكرتين في واحة من شجر النخيل .

وكانت الجماعة الاولى (اي لواء المشاة السادس عشر) في السفن الراسية في شط العرب بجوار المزيرعة .

والجماعة الثانية (اي قوة الاحتياط العام) في سفن راسية في شط العرب عند ذيل الجماعة الاولى .

والجماعة الثالثة (اي مدفعية الفرقة) في « بوارج » مربوطة برصيف القرنة .

والجماعة الرابعة في سفن راسية عند ذيل الجماعة الثانية .

واوعزت إلى الضابط البحري الاقدم أن يضع مركب حرس في ذيل الجماعة الرابعة بمنزلة ساقة ومركباً آخر في الفرات بمنزلة ميسرة . وامرت بأن يسير المركبان ـ « الشيطان » و « لويس بلي » ـ امام المراكب الحربية في دجلة بحيث يكون سيرهما متناسياً مع تقدم اللواء السابع عشر .

وكان الحر شديداً جداً واصيب حينئذ كثير من الجنود ـ ولا سيما البريطانيون منهم ـ بالرعن وفي ٢٩ أيار طفقت اتخوف لئلا يفتك الحر الشديد بالجنود فتكا عاما .

وأخذ القلق مني كل مأخذ لتغيب لواء المشاة الثامن عشر عنا وهو اللواء الذي حاولت جلبهُ من القرنة . وشعرت حينئذ بأنه كان ينبغي لي أن اضم هذا اللواء إلى فرقتي للاشتراك في القتال . وكانت البصرة تبعد عنا نحواً من ثلاثين ميلا ولم يكن ثمة خطر على حصن (القديس جورج) إذا هجرناه مدة اسبوع . وكانت جميع الامور تحملني على الاعتقاد بأن الترك سيقاوموننا مقاومة شديدة في تلك الوقعة المقبلة ويكبدوننا خسارة فادحة وذلك نظراً إلى فيضان الماء ومنعة موقع العدو . فلو قاومنا الترك لكلفنا انفصال لواء المشاة الثامن عشر عنا الشيء الكثير ولكن الله قيض لنا قائداً تركياً جباناً غير كفي للقيادة فسهل علينا الانتصار على العدو كل السهولة .

وبعد ظهر اليوم الثلاثين من ذلك الشهر ارتقيت برج الرصد والقيت نظرة اخرى على الموقع الذي كنت مزمعاً على مهاجمتهِ . وكان كل شيء معداً للغد . فارسلت رائد الطرف فوق اعالي النخيل شمالا فشاهدت بحراً خضما فيهِ جزائر صفراء كانت معاقل احتلها الترك وشاهدت كذلك معاقل غير هذه في بحران ورأيت الناس يتنقلون فيها وابصرت سواري السفن في المزيبلة . فاستحوذ حينئذ علي القلق والاضطراب لانني لم اكن قادراً على القيام بحركة التفافية مهما كان نوعها ولأن الاحوال قضت علي بمهاجمة الجبهة دون غيرها ـ الامر الذي كان محفوفاً بخطر الانكسار والخذلان . ورأيت أنني اتمكن بصعوبة من توجيهِ النار الجنبية إلى « تل نورفوك » الواقع على ضفة النهر اليمنى والتأهب للاستيلاء على الهدف

الاول ، وذلك باستيلاء كتيبة المشاة البنجابية الثانية والعشرين على « تل الشجرة الواحدة » الواقع على ضفة النهر اليسرى ، ثم اقوم بحركة عنيفة من « تل نورفوك » للاستيلاء على حجاب العدو المؤلف من « تل المدفعين » وتل « البرج الواحد » . وكان ذلك الحجاب خط دفاع العدو المهم في بحران .

ولم يكن فينا من يأمن شر الالغام التي بلغنا أن الاعداء بثوها في النهر . وكان القلق مستحوذاً على الضابط البحري الاقدم الرئيس « نن » ـ مع ما كان عليه من المقدرة والبسالة ـ حينما قلت له أنني اريد أن تنظم المراكب الحربية سيرها على سير المشاة الذين كانوا يتقدمون في البلمات . وقد طلبت منهُ ذلك لأنني رأيت أن النار التي تصبها مدافع المراكب الحربية على « تل نورفوك » و « تل المدفعين » و « تل البرج الواحد » تعين المشاة عوناً عظيما على الزحف عند دنوها من العدو ، وتمكن بذلك القوة الزاحفة من التقدم . وقد برهنت لنا الحوادث التي جرت بعد ذلك على اصالة هذا الرأي . وكذلك رأيت حينئذ أن موقع بحران المهم كان امنع المواقع التي يتحتم علينا اقتحامها في اليوم الثاني من ايام المعركة وانهُ يحتمل أنني ساتكبد خسارة فادحة هنا . ولم اتوسم في ما كنت ارصده من اعلى البرج ما يحملني على التفاؤ ل بنتائج تبعث على الارتياح .

فلو رد الترك هجوم لواء المشاة السابع عشر لانكسرنا شر كسرة ولاستحال علينا التراجع حينئذ وذلك لأن مشقات جذب القوارب ودفعها وتجذيفها في وسط الماء المغطى بالقصب كانت جمة ولأن سيرنا كان بطيئاً جداً . فلو حلت بنا كارثة الانكسار لغرق الجرحى باسرهم ولخسرنا جميع القوارب اما بفقدها وغرقها واما بهجرها واستيلاء العدو عليها . واقول من الوجهة الاخرى انهُ لو كانت قوتي مؤلفة من عشرين الف جندي لما تمكنت من الاستيلاء على المواقع التركية بلا « بلمات » ولم يكن لدينا من تلك البلمات سوى ما يكفي للواء واحد . وكان خوض المياه مستحيلا على المشاة لأن الماء كان اعمق من أن يتمكنوا من الخوض فيه وكانت المجاري التي يتحتم عليهم عبورها كذلك عميقة جداً . ولم تكن المراكب الحربية وحدها كافية لقهر الترك وكانت الالغام مبثوثة في نهر دجلة ولم يكن اغراق

المراكب « اسيغل » و « اودن » و « كلايو » صعباً على مدافع الميدان التي كانت في المعاقل التركية لأن دروع تلك المراكب لم تكن كافية لسلامتها من العطب ازاء النار التي تصبها مدافع المعاقل التركية . وكانت مراكبنا الحربية هذه مصنوعة قبل خمسين عاماً وكانت تستخدم قبلا لمنع تجارة الرقيق في شواطىء افريقية الغربية والخليج العربي . فلو اصابتها قنبلة واحدة من قنابل مدافع الميدان تحت خط الماء لاغرقتها . فكان نجاح المعركة باسرها ـ والحالة هذه ـ معلقاً بنجاح لواء المشاة السابع عشر في زحفه .

وكنت افكر اثناء نزولي سلم الرصد في انهُ لم يقدم قائد قبلي اقدامي على خوض غمرات هذه المعركة الفريدة في بابها وانا في اول عهدي بقيادة الجيوش في ساحة الوغى . والذي زاد الطين بلة أن آمر اللواء السابع عشر كان ينظر إلى هذه الحركة برمتها نظر القانط القلق لأنهُ لم يكن اميناً من البلمات في زحفهِ .

فلو ثبت الترك وراء مدافعهم لاصابنا ما اصاب « بكنهام » في « نيو اورليانس » فقضوا علينا القضاء المبرم . ولم اتوقع حينئذ أن الترك يعجلون تلك العجلة الغريبة في تقهقهرم بعد استيلائنا على حجاب خط دفاعهم الاصلي في القتال الذي جرى بيننا وبينهم . وكذلك كان القلق قد اخذ كل مأخذ من الرئيس « نن » قبل الشروع في الوقعة لأن مراكبهُ الحربية في نهر دجلة كانت هدفاً قريب المنال للمدافع التركية الموضوعة في المعاقل التي مر ذكرها . ولا اعلم كيف اخطأت مقذوفات مدافع العدو تلك المراكب التي كانت تمخر في دجلة ببطء وهي ظاهرة للعيان فوق الماء نظراً إلى عظم حجم كل منها .

وكنت مهتماً على الدوام بزحف المشاة في تلك البلمات الضعيفة التي كانت تمخر في المياه العميقة المغطاة بالقصب الكثيف للدنو من المعاقل التركية التي كانت تصب عليهم مدافعها مقذوفات شرابنل . وكان شأني حينئذ أن المصارع الذي يتسابق لنوال جائزة الفوز في حلقة المصارعة فينتظر بفارغ الصبر وقت الشروع في النضال الذي يجهل نتيجتهُ . وفي تلك الليلة قلت لخادمي « هوتمور » ـ وكان قد قضى حينئذ خمس عشرة سنة في خدمتي ـ « أنني مضطرب البال » . فأجابني

« اطمئن بالا يا مولاي لأن الامور جارية على ما يرام وسيخدمكم الحظ على عادته » . فسرت كلمات خادمي هذه عني بعض القلق مع خلوها من المعنى الحقيقي . ولا اعتقد انهُ كان في تلك الفرقة باسرها انسان يعلم مبلغ قلقي في تلك الليلة .

واستقر رأيي حينئذ على أن اتخذ الدارعة « اسبيغل » مقراً لي فادير حركات القتال منها . وكانت هذه الدارعة معقودة اللواء للضابط البحري الاقدم . وكنت اذا وقفت في سلوقيتها اتمكن من مشاهدة ساحة الحرب خير مشاهدة ومن ادارة حركات القتال ادارة كاملة . ولما كانت « اسبيغل » من المراكب القديمة الطرز وكانت كاملة بمعداتها وتجهيزاتها فكنت استطيع ارتقاء دكتها الامامية حينما اشاء ذلك وارسل رائد الطرف إلى الارجاء البعيدة .

وفي تلك الليلة تفقدت قبل انتقالي إلى « سبيغل » شؤون الاسطول كله متجولا في زورقي البخاري فكنت اتوقف في مقرات الجماعات والالوية المختلفة فرأيت الجميع مستعدين للقتال . وتناولت طعام العشاء على مائدة الرئيس « نن » ثم اضطجعت في قمرتي من غير أن اخلع عني ثيابي لأننا كنا قد عزمنا على الشروع في المعركة صباح اليوم التالي باكراً جداً وكان يوماً مشحوناً بالحوادث التي هيجت اعصابي .

ففي فجر ٣١ أيار سنة ١٩١٥ نهضت من سريري ولما حانت الساعة السادسة اخذت الدارعة « اسبيغل » تمخر بنا في النهر ببطء فمرت في وسط جسر القوارب المفتوح وفي المانع النهري المقطوع إلى أن القت مرساتها شمال « فورت سنايب » . ولما ارتقيت دكة الدارعة الامامية شاهدت « بلويس جونسن » يزحف على ضفة النهر اليسرى بالفوج البنجابي ٢٢ زحفاً كلهُ همة ونشاط للاحاطة بموقع « تل نورفوك » . وشرعت مدافعنا الثقيلة الموضوعة في القرنة في قصفها على الحجاب التركي في الوقت المعين . وكانت هذه المدافع تعين لواء المشاة السابع عشر الذي ركب البلمات حينئذ . وكان منظر هذا اللواء وهو في البلمات منظراً غريباً جداً . وكان جنود « بلويس جونسن » يزحفون في الجهة الشرقية وقد

انتشروا على جبهة واسعة واخذوا يلتفون حول « تل الشجرة الواحدة » . فاستولوا على هذا الموقع بخسارة طفيفة إذ أنهم لما اصبحوا على مسافة تتراوح بين ٤٠٠ و ٥٠٠ يارد من ذلك التل اخذوا يهرولون نحوه تحت نار بندقيات غير منتظمة كانت تطلقها حامية المعقل المؤلفة من جنود عرب غير نظاميين .

وانفجرت بضع قنابل « شرابنل » بالقرب من الدارعة « اسبيغل » . وكانت النار تطلق علينا من الحصون فسقطت قنبلة أو قنبلتان إلى جانب المركب الذي اصابته القنابل مرة أو مرتين . فنزلت إلى ظهر المركب لأن الدارعة اخذت حينئذ تمخر في النهر لتنظيم سيرها على سير لواء المشاة السابع عشر الذي كان في البلمات . وكان يتقدمنا المركبان « الشيطان » و « لويس بلي » وهما السحابتان المدرعتان اللتان كانتا تنظفان النهر من الالغام . وشرعت الدارعة « اسبيغل » تطلق مدفعها ذا العيار ٧ ، ٤ العقدة من سلوقيتها وحينئذ وجهنا جميع المدافع بريتها وبحريتها نحو « تل نورفوك » الذي كان على مسافة ٢٥٠٠ يرد منا وهي المسافة المطلوبة لتأثير بطارية المدافع القصيرة التي كانت في قرية النخيلات . فبات ذلك التل شعلة نار لا تبقي ولا تذر . وكانت نار « تل البرج الواحد » و « تل المدفعين » ضعيفة كل الضعف وعرف حينئذ مدفعيونا جميع المسافات بحيث لم يخطأوا ياردأ واحدأ في تنديرها . وكان مدفعيونا يبادلون الترك اطلاق المدافع من مدة طويلة .

وكنت في كل دقيقة اتوقع أن تنفجر الالغام فتدمر المركبين « الشيطان » و « لويس بلي » اللذين كانا يتقدمانا بكل اقدام وبينهما سلسلة حديد لانتشال الالغام من النهر . ولكن لم ينفجر لغم فخيل الينا حينئذ أن لا الغام في النهر على الاطلاق وأن الاشاعات الدائرة حول خبراء الالمان ومعوناتهم الملأى بالالغام كانت اكاذيب ملفقة لتضليلنا . ولكننا علمنا بعد ذلك انهُ كان في النهر الغام عديدة انما لم تكن الالغام التي تنفجر بالمصادمة بل كانت من النوع الذي ينفجر بتيار كهربائي بواسطة مفاتيح موضوعة على لوح ازرار كهربائية . وسبب عدم انفجار تلك الالغام حين مرورنا عليها هو أن الشريط الذي كان يربطها بلوح الأزرار الكهربائية

امتد على مسافة طويلة تحت الماء فتطرقت اليه الرطوبة . وقد انفجر لغم منها عند مؤخر المركب « اودن » الذي كان يقفو اثر « اسبيغل » على مسافة قريبة منها وكان الانفجار في لحظة مرورنا عن ذلك اللغم .

وكنا في الدارعة « ابيغل » ننظم سيرنا على سير لواء المشاة السابع عشر الذي كان يزحف زحفاً محفوفاً بالمشقات بين القصب الكثيف . وكانت مدافعنا تقصر مدى رميها بلا انقطاع فاسكتت مدافع المعاقل التركية . ولما خرج جنود اوكسفورد من بلماتهم واندفعوا حاملين على « تل نورفوك » بالحراب حولت جميع المدافع نيرانها عن « تل المدفعين » و « تل البرج الواحد » واخذت تصبها على « تل نورفوك » وقتل اثناء هذه الحملة الرئيس « بروك » وكان اول من دخل هذا المعقل في مقدمة سريته . وكلفنا الاستيلاء على هذا التل خسارة طفيفة جداً . ثم طفق الهجوم يتقدم موجهاً نحو باقي معاقل حجاب العدو فهاجمنا « تل المدفعين » و « تل البرج الواحد » وقد جرى ذلك اثناء ارسالي « كلايمو » اشارة تهنئة لفوجي مشاة « اوكسفورد » و « بكسن » الخفيفين .

وكانت مقاومة « تل البرج الواحد » و « تل المدفعين » لهجومنا على غاية الضعف . والحق يقال أننا لا تعد مقاومة ذينك المعقلين مقاومة تذكر . وكانت المدفعيات البرية والبحرية جميعها تصب نيرانها على ذينك المعقلين اللذين لم يكادا يجيبان على نارنا . وكان تأثير مدافع اسطولنا النهري ذوات العيار ٧ ، ٤ شديداً في ذينك المعقلين إذ أنها دمرتها تدميراً . وما لبثت أن ظهرت الراية البيضاء منتشرة فوق « تل المدفعين » وذلك لما رأى الترك فوج المشاة ١٠٣ الخفيف يدنو منهم . وقبيل الساعة ٣٠ : ١١ استولى جنود اوكسفورد على « تل البرج الواحد » . وبذلك اصبح الهدف الاول في قبضة يدي وكان هذا الهدف حجاب الترك المؤلف من « تل نورفوك » و « تل المدفعين » و « تل البرج الواحد » وخط نهر « برباخ » .

ورأيت اننا لم نبق في « تل البرج الواحد » حجراً على حجر ولم اجد هناك غير مدفع ميدان من نوع كروب وملازم مدفعي تركي اما الحامية فكانت قد انهزمت .

واشتد الحر حينئذ اشتداداً عظيما وكان ضوء الشمس مما لا يطاق احتماله .
فامرت بخروج القوة باسرها من السفن إلى البربين « تل نورفوك » و « فورت سنايب » وكان رأس القوة إلى جانب « تل نورفوك » وعسكر لواء المشاة السابع عشر في العراء شمال خط نهير « برباخ » في الحجاب الذي استولى عليه وعسكر فوج المشاة الخفيف ١٠٣ على « تل المدفع الواحد » والفوج ١١٩ في قرية « العلوة » الخربة وفوج اوكفورد الخفيف على « تل البرج الواحد » . واصدرت اوامر الحركات بمواصلة الهجوم على موقع بحران المهم عند بزوغ نور الصباح التالي وذلك بحركة التفافية يقوم بها اللواء السابع عشر إلى الجهة الغربية حول المرتفع العمودي الذي يكون ذلك الموقع لاننا حسبنا الماء إلى الجهة اليسرى (اي الجهة الغربية) قليل العمق . وامرت الفوج البنجابي بأن يتحرك من « تل البرج الواحد » الواقع على جانب النهر الآخر وينضم إلى اللواء السابع عشر . اما الدارعة « اسبيغل » فالقت مرساتها إلى جانب نهير « برباخ » العميق . ولم يطلق العدو حينئذ مدافعه علينا ولكن لما انثنى المركبان اللذان كانا ينتشلان الالغام في عطفة دجلة شمال نهر « برباخ » اطلق الترك مدافعهم عليهما من بحران فقفلا راجعين من ساعتهما . فاتخذنا حينئذ جميع الاحتياطات لمنع الترك من بث الالغام في النهر ليلا . وكانت خسارتنا حتى ذلك الوقت طفيفة جداً لا يعبأ بها ولكنني كنت اتوقع أن تعترضنا صعوبات جمة في دور القتال الثاني . وكذلك توقعت أن يقاومنا العدو مقاومة عنيفة في بحران (اي عران) لأنني لم اتوقع حينئذ أن الترك ينهزمون تحت جنح الظلام .

وعثرنا في « تل البرج الواحد » على عدة الغام ففجرناها واكتشفت البحرية كذلك بعض الالغام في النهر . وعثرنا في جزيرة رملية صغيرة تبلغ مساحتها نحواً من عشرين يرداً مربعاً وعلى مسافة سبعمائة على الجهة الشمالية الغربية من هذا التل على لوح الازرار الكهربائية لفجر جميع الغام الرصد التي كانت في النهر . وكان العدو قد كلف ضابطاً بحرياً تركياً طاعناً في السن لفجر تلك الالغام . ولما اتوا بهذا الضابط الي وانا في سلوقية المركب « اسبيغل » طلبت منهُ أن يذهب تواً إلى نشالة الالغام « لويس بلي » ويشير إلى مواضع الالغام الباقية في النهر لأننا كنا

نتوقع أن نعثر على العدد العظيم منها اثناء اقترابنا من بحران . فانصاع ذلك الضابط إلى امرنا من غير أن ينبس بكلمة ووجهه يطفح بشراً فكان لسلوكه هذا وقعاً جميلاً في نفسي . وقيل لي بعد ذلك أنهُ كان ـ وهو جالس في مقدمة المركب الذي ينشل الالغام ـ على غاية النشاط والتيقظ فخدمنا خدمة جليلة الشأن . واستحوذ القلق علينا جميعاً من جراء تلك الالغام ولكننا كنا نلهو بتنقل الضباط والجنود على التلال بكل لطف وحذر . ولم يجرأ احد على التقاط قبعة عتيقة أو زمزميه منبوذة .

إن القوارب مكنت المشاة من القيام بحركة عبور المياه الغامرة للاراضي وادغال القصب الكثيفة والاستيلاء على المعاقل التركية ولكن لما جاء دور الزحف على مسافات طويلة في وسط القصب الكثيف لم نستفد مثقال ذرة من البلمات المدرعة التي كانت تتأخر مسافة بعيدة عن البلمات الخفيفة غير المدرعة حتى في المياه المكشوفة . وفي دور الزحف الاول تأخرت البلمات المدرعة كثيراً عن غيرها حتى أن السريتين الثانية والثالثة من سرايا فوج اوكسفورد مرتا بها وسبقتاها فباتت تلك البلمات المدرعة في ذيل ذلك الفوج كأنها احتياط عام له .

وكان سير القتال في هذه المعركة بطيئاً جداً . مثال ذلك أن فوج « مهرتة » ١٠٣ كان زاحفاً على « تل المدفعين » وكانت النار التي تصبها الحامية التركية على فوجنا هذا من ذلك المعقل ضعيفة جداً . وقبل أن يصل الفوج « تل المدفعين » بساعة نشرت حاميتهُ الراية البيضاء . ولكن قوتنا هذه لم تتمكن من الاستيلاء على ذلك المعقل الا بعد اذان الظهر بمدة طويلة مع انهُ لم يكن في المعقل سوى ثلاثمائة اسير غير مجروح ومدفعي ميدان . ونحمد الله على ميل الترك إلى التسليم لأن « تل المدفعين » كان خارج مدى مدافعنا القصيرة الموضوعة في قرية النخيلات وكذلك لم تطله المدافع الاخرى . لذلك لم يجرح سوى جندي أو جنديين من حامية « تل المدفعين » ولم يقتل احد منها اما في « تل نورفوك » و « تل البرج الواحد » فكانت الخنادق ملأى باشلاء القتلى لا سيما في « تل نورفوك » .

وقضى العدو تلك الليلة هادئاً اما نحن فقضيناها في السهر على قوتنا كل

السهر ولا سيما على سلامة الاسطول النهري . وفي اول مساء ذلك اليوم امليت اوامر الحركات المتعلقة بهجومنا على خط مقاومة الترك المهم في اليوم التالي . وكانت الاوامر مختصرة جداً لأن الهجوم التالي كان في الواقع مواصلة زحف اللواء السابع عشر على موقع بحران متوخين في هذا الزحف عين المنهج والاسلوب اللذين سرنا عليهما في دور القتال الاول . وكان هذا اللواء معززاً بالفوج البنجابي الثاني والعشرين الذي نقلناه من « تل الشجرة الواحدة » الواقع على جانب النهر الآخر إلى « تل البرج » . وكذلك كان اللواء السابع عشر مرتباً على ترتيبهِ السابق : وذلك بأن يؤلف فوج المشاة الخفيف ١٠٣ والفوج ١١٩ الميسرة البعيدة ويقومان بحركة التفافية واسعة على المزيبلة وخط التلال الرملية العمودي الممتد شمالا من بحران . ويسند الفوج البنجابي ٢٢ فوج اوكسفورد في الهجوم الجبهي على بحران . اما الهجوم البري فتعضده نيران المراكب الحربية والمدفعية النهرية التي تواصل التقدم . وجعلت اللواء السادس عشر يتقارب في السفن تأهباً للنزول إلى البر في بحران عندما يشرع فوج اوكسفورد في الهجوم على هذا الموقع وذلك اذا استمر الترك على المقاومة وقضى اللواء السابع عشر ليلتهُ في نزع الدروع عن « البلمات » المدرعة .

وشرعنا في صباح اليوم الاول من شهر حزيران قبل شروق الشمس في اطلاق مدافع المدفعية والمراكب الحربية على طرف مرتفع بحران الجنوبي متخذين دكاك المدافع التركية هدفاً لنا وذلك لفتح الطريق للواء السابع عشر .

وقد تأخر اللواء السابع عشر في زحفهِ نظراً إلى تفرق الاماكن التي عسكر فيها وكثافة ادغال القصب . وكان هذا اللواء حينئذٍ قد تجمع على « تل المدفعين » . ولما اخذت الدارعة « اسبيغل » تسير بنا امام باقي المراتب البحرية وراء السفينتين اللتين كانتا تتقدمانها على الدوام لتنظيف النهر من الالغام لحظت امراً غريباً وهو سكوت مدافع العدو وشاهدت اللواء ١٧ مجداً في زحفهِ . وعلمت بعد ذلك أن القصب كان كثيفاً جداً في طريق هذا اللواء حتى انهُ ارغم على أن يترك وراءه الارمات الثقيلة الموضوعة عليها الرشاشات . وقد برهنت لنا هذه

الحادثة على صحة نظريتنا في نزع اتراس البلمات المدرعة التي لم يكن لنا بد حينئذ من نزعها .

ولم يطلق علينا العدو اطلاقة واحدة ولم يرمنا بقنبلة مدفع اثناء سير المركب « اسبيغل » بنا في عطفة دجلة إلى شرق نهير « بربخ » فواصلنا سيرنا نحو بحران وقد اخذ منا الدهش كل مأخذ لذلك السكوت العميق أو كان قد وصل حينئذ ثلاث طائرات من البصرة والقرنة فطارت للاستكشاف وفي اثناء زحفنا ظهرت طائرة منها فوق رؤوسنا فحيت هذه الطائرة الدارعة « اسبيغل » والقت علينا رسالة قالت فيها أن العدو قد خرج من بحران وهو جاد في الهزيمة شمالا . وكانت هذه المرة الاولى التي ظهرت فيها الطائرات في جو العراق فاحتل جنود اللواء السابع عشر العمارة . فتقدمت نصف سرية إلى طرف المرتفع الشمالي وشرعت تلك المفرزة في اطلاق النار على الشرذمة الاخيرة من الترك الذين كانوا يحاولون ركوب قوارب النقلية في المزيلة فاصبحت الآن المسألة مسألة مطاردة الترك مطاردة عنيفة سريعة حتى العمارة بالاسطول النهري . فامرت حينئذ رئيس اركان جيش الفرقة بأن يجمع الجنود والنقلية في بحران اما انا فذهبت مع الرئيس (نن) في زورق بخاري إلى مصب نهير روطة لاتحقق صحة ما كان يروى لنا مراراً عديدة عن (العونة) الحديدية التي قيل أن الترك اغرقوها لسد مجرى النهر . لانهُ لو صحت الرواية لتأخرت مطاردتنا للعدو مدة يومين أو ثلاثة ايام . فرأينا تلك المعونة الغارقة ولكنها والحمد لله لم تسد الا نصف المجرى وكان المجال كافياً لمرور المراكب الحربية إلى يسار تلك المعونة . ونزل نوتية الزورق البخاري إلى النهر وطفقوا يقطعون اسلاك الالغام التي كانت هناك وكانوا يشتغلون في تقطيع تلك الاسلاك والماء مرتفع إلى وسطهم . ثم قفلنا راجعين إلى بحران فذهبنا إلى الدارعة « اسبيغل » وهناك امليت اوامر حركات المطاردة على الوجهِ التالي : ـ

اوامر الفرقة السادسة
العدد ١٩

١ - إن قائد الفرقة ينوي التقدم إلى العزيز .

ط - على اللواء السادس عشر أن ينزل على الفور من السفن حاملا معهُ الامتعة والخيام وارزاق تكفيهِ عشرة ايام .

٣ - على آمر اللواء السادس عشر أن يوفد اليوم فوجاً إلى المزيرعة . واما باقي اللواء فيظل في بحران وسيرسل في طلبهِ عندما تتيسر السفن في العزير وستعود النقلية التي تنقل اللواء السابع عشر إلى بحران لنقل اللواء السادس عشر .

٤ - تظل البطارية الجبلية الثلاثون في بحران تحت امرة آمر اللواء السادس عشر .

٥ - على اللواء السابع عشر وعلى نصف سرية النسافة ٢٢ أن يركبا المراكب « بلوس لنج » و « المجيدية » حاملين معهما باقي الارزاق وذلك عند نزول اللواء السادس عشر من هذه المراكب .

٦ - على كتيبة مشاة نورفوك أن تركب السفينة وترافق اللواء السابع عشر .

٧ - على المدفعية النهرية - ما عدا المدفع بعيار ١٨ « بونداً » الذي يظل على صورة مؤقتة في بحران - أن ترافق اللواء السادس عشر . وتلتحق حينئذ بطارية الميدان ٦٣ باللواء السابع عشر في السفن .

- على آمر اللواء السابع عشر أن يصدر أمر المسير للنقلية .

الفصل الخامس

غزو العمارة

التقيت « بالسر جون نكسون» في بحران قبل مغادرتي هذا الموقع . وكان « السرجون » قد وصل بحران في باخرة فقلت له حينئذ أنني عازم على مطاردة العدو بالاسطول النهري . وأطلعتهُ على الاوامر التي اصدرتها إلى الفرقة وقلت له كذلك أنني معتقد بتمكني من دخول العمارة مع الترك المنهزمين اليها لكي لا افسح لهم مجالا للم شعثهم هناك وتنظيم وسائل المدافعة عن ذلك الموقع .

فشرع الاسطول النهري في مطاردة الترك وكان المركب الصغير « الشيطان » يتقدم الاسطول بقيادة الملازم « سنغلتون » من ضباط البحرية البريطانية . وسارت المراكب الحربية « اسبيغل » و « كلايو » و « اودن » وسحابتا « لويس بلي » و « سمانة » و « وراء « الشيطان » . اما انا فلبثت على ظهر الباخرة « اسبيغل » وفي الساعة ٣٠ : ٥ بعد الظهر شرعنا في اطلاق النار على باخرة تركية تدعى « الموصل » ومركب حربي تركي يسمى « مرمريس » من مدفعين من مدافعنا قطر فوهة كل منهما ٧ ، ٤ العقدة كانا في مقدمة المركب الحربي « اسبيغل » . وكنا نطارد ذينك المركبين على مسافة تقارب ثمانية آلاف يرد فاصابت قنابلنا « الموصل » فثغرتها في محلين أو ثلاثة محلات ولكننا لم نلحق بها ضرراً جسيماً يكفي لاغراقها قبل تخييم الظلام . وكنا في ذلك الوقت قد قربنا من العزير الذي يبعد مسافة نحو من عشرين ميلا عن المحل الذي شرعنا منهُ في مطاردة العدو في صباح ذلك اليوم . واستولينا هناك على ثلاث « معونات » كبيرة ملأى بالذخائر الحربية واسرنا مائتي أو ثلاث مائة ضابط وجندي تركي من قوة درك العدو . واستولينا كذلك على

ثلاثة مدافع ميدان و « معونة » فيها الغام .

ثم غادرت العزير بعد أن امرت الزعيم « غامبل » رئيس اركان جيشي وغيره من ضباط اركان الجيش بجمع وحدات الفرقة هناك وارسالها بعدي إلى العمارة في قدمات مؤلفة من الوية على اسرع ما يستطاع . وعند طلوع القمر في الساعة ٢ قبل الظهر استأنفت مطاردة العدو في الدارعة « اسبيغل » ولم يصحبني حينئذ سوى الرئيس « بيل » من ضباط اركان جيشي ومرافقي الرئيس « باستو » . وكان المركب قد جنح بنا مرتين أو ثلاث مرات في اليوم السابق بعد الظهر في عطفات النهر الحادات الزوايا حيث كان المجال ضيقاً لدوران « اسبيغل » التي كان طولها بين ١٥٠ قدماً و ٢٠٠ قدم وعمق ما غطس منها في الماء يبلغ من تسعة إلى عشرة اقدام . وكان تسييرها بواسطة دولاب قديم العهد يدار باليد موضوع بين ظهريها وكنا على الدوام نسمع صوت ضابط الملاحة يصرخ من جسر المركب « دورتان إلى اليمين » أو « دورتان إلى اليسار » وكان يجيبهُ عريف الملاحة ـ وهو يدير الدولاب بين ظهري السفينة بمساعدة نوتي آخر ـ مكرراً تلك الجمل قائلا « دورتان إلى اليمين . سيدي ! » الخ . وكان هذا العمل يستغرق وقتاً طويلا فلم نستطع تسيير السفينة بالسرعة الكافية في عدوة النهر الضيقة لأن دجلة كان يتمعج تمعج الثعبان في البطائح الفسيحة المغطاة بالقصب الكثيف بين بحران والعمارة . وكنا دائما نخرج من المآزق بسرعة ولم يلحق بالمركب ضرر لأن البطائح كانت لينة . وقد دهشت لتوغل مراكب كبية مثل « اسبيغل » و « اودن » و « كلايو » في دجلة شمالا على تلك المسافة . وكانت الهيبة والعجب يأخذان من المرء كل مأخذ وهو يشاهد تلك المراكب تمخر في النهر قاطعة تلك البطائح المترامية الاطراف في منطقة العزير . وكانت بحبالها وساريها تشبهُ السفن الشراعية العظيمة اكثر منها بالمراكب البخارية .

وشرعنا في الساعة ٢٠ : ٤ صباحاً في اطلاق القنابل مرة اخرى على « مر مريس » التي ظهر لنا حينئذ أنها تحترق وانها منقلبة على جانبها . وكان المركب « كلايو » وراءنا يصليها ناراً حامية من احدى عطفات النهر قبل ذلك الوقت .

وفي هذا الحين جنحت « اسبيغل » مرة اخرى فرأينا أننا لا نتمكن من التقدم نظراً إلى قلة عمق الماء والظاهر أن « مر مريس » جنحت لهذا السبب عينه . فسرت انا والرئيس « نن » في زورق إلى « مر مريس » التي هجرها نوتيتها . فرأينا إلى جانبها معونتين كبيرتين مشحونتين عتاد بندقيات وتجهيزات . وكانت النيران تلتهم « مر مريس » فلم نجرأ على الصعود اليها نظراً إلى شدة الحرارة وخيفة من انفجار مستودع عتادها . وكان عرب البطائح المسلحون بالبندقيات والمشهورون بالشجاعة والبأس منهمكين قبل وصولنا في نهب البندقيات والعتاد من المعونتين التركيتين . وقال لنا الجرحى الترك الذين لقيناهم هناك أن العرب نهبوا الشيء الكثير من البندقيات والعتاد وقتلوا الكثيرين من الترك الذين فروا من المعونتين إلى البطائح . فركبت حينئذ انا والرئيس « نن » الباخرة الخفيفة المسماة « كومت » وواصلنا مطاردة العدو بالمراكب الحربية الخفيفة تاركين المراكب الثقيلة « اسبيغل » و « كلايو » و « اودن » في مكان بعيد نحواً من سبعة اميال إلى شمال العزير . فوجدنا الباخرة النهرية التركية « الموصل » مربوطة إلى ضفة النهر وقد نشر الترك فوقها الراية البيضاء وكان عليها عدة ضباط ترك معظمهم من ضباط القسم الطبي وسرية مشاة وبعض الجرحى . وكانوا مرتاحين كل الارتياح إلى التسليم لأن فرائصهم كانت ترتعد خوفاً من العرب . فرأيت أن قنابل مدافعنا قد دمرت اعلى تلك الباخرة التركية ولكن بدنها كان سليما . وفي الساعة ١١ قبل الظهر استأنفنا المطاردة وفي الساعة ١٥ : ٢ ظهرت لنا قلعة صالح . وهنا يسهل على الجيش المناورة على كلتا ضفتي النهر إلى العمارة . وتغير الهواء من شدة رطوبة البطائح بين القرنة والعزير وحرارتها التي لا تطاق إلى هواء يابس جداً بالنسبة إلى هواء المستنقعات ولكن الهواء كان لا يزال شديد الحرارة .

ووصلت الباخرة « كومت » قلعة صالح في الساعة ٣٠ :٣ بعد الظهر وذلك بعد أن فرقت نيراننا شمل بضعة فرسان من الخيالة التركية وسرية مشاة خارج هذا المحل . وعندما دنونا منهم خرجوا الينا ولما اطلقنا عليهم بضع قنابل من مدفعنا الموضوع في سلوقية الباخرة « كوميت » والذي عياره ١٢ بوندا انهزموا عدواً على

ظهور خيلهم . ورأينا قلعة صالح بلدة بحجم القرنة . وجاء شيخها إلى الباخرة « كوميت » فامرتهُ أن يعد لي ارزاقاً تكفي خمسة عشرة الف جندي ادفع له ثمنها . وقلت له أن الخمسة عشر الف جندي الذين ذكرتهم له قادمون ورائي وسيصلون البلدة بعد وقت قصير . وقد قلت ذلك بناء على ما اعلمهُ من امر العرب اذ لا بد من أنهم سيبلغون الترك الذين في العمارة ما قلتهُ لهم بواسطة رسول يوفدونهُ على ظهر بعير ساعة ابتعادي عنهم . واعتقدت حينئذ أن هذه الاشاعة ستحمل الترك على الاقلاع عن المقاومة وتجعلهم يغادرون العمارة ويستأنفون هزيمتهم شمالا[1] . ثم اقلعت بنا الباخرة « كوميت » مواصلة سيرها في النهر إلى أن خيم الظلام وحينئذ ربطناها إلى ضفة النهر وكانت « الشيطان » قد تقدمتنا على مقربة منا .

وفي الساعة ٥ من صباح ٣ حزيران تحركت الباخرة فاقلعت بنا نحو العمارة . فتوقفت عند ابي سدرة وكنا حينئذ على مسافة اثني عشر ميلا من العمارة . وكنت في بادىء الامر اميل إلى الانتظار ريثما يصل لوائي المتقدم في سفنه لانهُ كان من المحتمل أن يدافع الترك عن البلدة . والحق يقال أنني كنت معتقداً كل الاعتقاد أن الترك سيحاربوننا وانهُ لمن الامور المضحكة أن اتمكن من الاستيلاء على العمارة بالسحابة المدرعة « الشيطان » وليس فيها سوى مدفع بعيار ثلاثة بوندات ومقدار عشرة نوتية وبالباخرة « كومت » وهي باخرة نهرية صغيرة ذات رفاس ومسلحة بمدفع عياره ١٢ بونداً ومجموع رجالها خمسة عشر ملاحاً وجندياً بريطانياً يقومون باعمال الملاحة .

وكان الرئيس « نن » يلح علي بالاقدام والمغامرة وهذا دأب رجال البحرية . ولكنني قلت له : « كلا ، أنني لا اركب متن الشطط . فعلي أن اجمع الجنود قبل الهجوم لأنني واثق من أن الترك سيدافعون عن البلدة » . وبعد التريث مدة ساعة قلت للرئيس « نن » أنني سأعمل بنصحه فاتقدم نحو العمارة واجرب حظي . واوعزت اليهِ بأن يأمر « الشيطان » بأن تسبقنا على مسافة ميلين بمنزلة مقدمة لنا ثم

---

(١) إن حيلتي هذه انطلت على الترك فاستفدت منها فائدة كبيرة .

تبعتها « كومت » والسحابتان المدرعتان « سمانة » و « لويس بلي » وكان معنا ثلاثة مدافع بعيار ٤،٧ العقدة في قوارب خيل مربوطة إلى تلك المراكب .

ورأينا السحابة « الشيطان » مارة بالعمارة وهي تجد في مطاردة الباخرة التركية . وفي الساعة ٣٠ : ١ بعد الظهر وصلنا قبالة دائرة « الجمرك » في العمارة فأتى إلى مركبنا حينئذ حليم بك ـ قائد القوة التركية في وقعة القرنة ـ وعاصم بك ـ متصرف العمارة ـ وثلاثة أو اربعة زعماء (مير الايات) ومعهم ثلاثون أو اربعون ضابطاً . وجميع هؤلاء اتوا ليسلموا انفسهم الينا . وارسل الينا فوج تركي اطفائي[1] خبراً يعلمنا فيه بانهُ عازم على التسليم في الثكنة وكان هذا الفوج قد جاء من الاستانة . فاوعزت إلى الرئيس « نن » بأن يوفد ضابطاً من ضابطيه البحريين ـ وكان على ظهر باخرتنا « كومت » حينئذ ملازمان فقط . فاوفد الرئيس « نن » ملازماً ورئيس النوتية وجندياً بريطانياً من فوج « دورست » كان ، على ما يخيل ، الي مستخدماً بصفة كونه نوتياً . فتسلم هؤلاء الثلاثة الفوج كله وساقوه إلى رصيف الميناء وهناك اركبوه معونة حديد كبيرة لانني اردت أن يضعوه في تلك المعونة التي جيء بها إلى وسط النهر والقت مرساتها حيث باتت تحت رحمة مدافعنا . وليعلم القارىء انهُ لم يكن معي حينئذ سوى مقدار خمسة وعشرين ملاحاً وجندياً بريطانياً .

ومثلت حينئذ دوراً مع متصرف العمارة لايهام الترك بقوتي واخفاء ضعفي . فطلبت منهُ ارزاقاً وقلت له أن ورائي قوة مؤلفة من خمسة عشر الف جندي ستصل العمارة بعد وقت قصير ومع هذه القوة اسطول مؤلف من المراكب . فاجابني أن لديه كميات كبيرة من « البسكويت » . فقبلت « البسكويت » متذمراً ولكنني الححت عليه بجمع الاغنام للجيش بلا امهال .

وفي تلك الاثناء سمعنا اصوات مدافع السحابة « الشيطان » فخلناها تطلق

---

(١) كان هذا الفوج احد فوجي الاطفاء اللذين اوفدا من الاستانة لتقوية حليم بك قائد الفرقة الثامنة والثلاثين .

النار على الجنود الترك الذين انهزموا من العمارة قبل وصولنا . ولكننا علمنا منها حين رجوعها وقت الشفق في ذلك اليوم أنها اطلقت مدافعها على مقدمة قوة محمد فاضل باشا الداغستاني المتراجعة إلى العمارة من الحلفاية لأن مفرزة من قوة غورنج التي كانت تتحرك من الاحواز دنت من قوة الداغستاني فارغمتها على التراجع . والظاهر أن قوة الداغستاني كانت تجهل امر احتلالي العمارة . فلما شرعت « الشيطان » في اطلاق النار على هذه المقدمة التي كانت تسير على موازاة ترعة « المشرح » إلى الجهة الشمالية الشرقية من البلدة تفرق رجالها شذر مذر وانهزموا في الصحراء ويحتمل أنهم كانوا يقصدون عطفة من عطفات النهر في الشمال للاستفادة منها . وسار على اثر هذه المقدمة رتل القوة التركية الاصلي . وكانت العمارة قد سترت جميع هذه الحركات عن اعيننا لأن تلك البلدة كانت حائلة بيننا وبين قوة العدو .

ومرت ليلة ٣ حزيران بسرعة وتعشى معي ومع « نن » ضابط تركي مهندس وكان يتكلم الفرنسية مثل الكثيرين غيره من ضباط الجيش التركي وكان يتكلم بلهجة الاحتقار عن حليم بك . وكذلك تعشى معنا في تلك الليلة مهندس بحري تركي من ضباط « مر مريس » كان يحسن التكلم بالانكليزي . وقد علمت انهُ يحسن هذه اللغة بعد حديث دار بيني وبين الرئيس « نن » اذ قلت « لنن » انهُ يجب أن ترسو « المعونة » بجميع الاسرى الترك الذين عليها قريباً منا تحت فوهات مدافعنا بحيث يسهل علينا اغراقهم جميعاً إذا علموا عددنا الحقيقي وحاولوا الفرار وليس الفرار بصعب عليهم . وبعد ذلك لم اسمح لصديقي المهندس التركي بمفارقتي إلى أن وصلت جنود « نورفوك » .

وفي صباح اليوم التالي ـ اي ٤ حزيران ـ اخذ العرب القاطنون بلدة العمارة يستولون على منازل الضباط الاتراك ، ومستودعات الاطعمة ، ولم يكن حينئذ لدي ربيئات انزلها إلى البر لاعادة النظام إلى نصابهِ . وكان العرب ينقلون الاثاث والطنافس والاسرة والاحرامات وغيرها من دور الحكومة والمستشفى فكان المشاهد يراهم يسرحون كالنمل على ضفة النهر وهم يجدون في عملهم ذلك . ولم نتمكن

من مشاهدة ما كان يجري داخل البلدة ولكنا كنا نسمع من آونة إلى اخرى اصوات اطلاقات نارية من فوهات البندقيات . فاقتضى الامر منع الفوضى على الفور فامرت بأن تشرع الرشاشة الموضوعة على برج الباخرة « كومت » في اطلاق النار على العرب الذين ينهبون المستشفى الكبير على ضفة النهر فسقط اربعة أو خمسة اشخاص منهم . فهدأت الامور على ساحل النهر ولكن صوت اطلاق النار اشتد داخل المدينة . وسرعان ما علم العرب أن عددنا كان قليلا جداً ، وأنني لا اتمكن من الاستغناء عن جندي واحد انزله إلى البر لا سيما ومعي سبعمائة أو ثمانمائة اسير تتحتم علي حراستهم . وشد ما كان سروري لما بلغني أن المراكب بدت للعيان . اما فوج « نورفوك » فوصل قبل الظهر ولم يقع بعد ذلك اضطراب في البلدة .

وقبيل عشية ٥ أو ٦ حزيران جمعت سائر قطعاتي في العمارة . ووصل كذلك الفريق نكسون واركان حرب المقر على باخرة قائد الحملة العام فهنأني نكسن تهنئة صميمة بنجاحي في المعركة . وقد كتب لي النصر من غير خسارة .

وانني ما زلت افكر دائما في انهُ لم يعلم احد غيري وغير ضباط اللواء السابع عشر وجنوده وضباط البحرية الصعوبة التي كانت محفوفة بها تلك الحركات والانكسار الذي كنا معرضين له . فلو تأخرت ساعتين من الوقت الذي وصلت فيهِ العمارة للقيت من الترك استعداداً للمقاومة . ولم يحمل حليم بك وضباطه وجنوده على التسليم الا طلبي من شيخ قلعة صالح الطعام لخمسة عشر الف جندي لأن ذلك الشيخ بلغ الترك هذا الخبر فسلموا للقضاء المحتوم . أما الترك الذين لم يرضوا بالتسليم فواصلوا الهزيمة شمالا .

واول ما نويت القيام بهِ بعد استيلائي على العمارة هو جمع فرقتي باسرها في هذا الموقع بحيث اضم اليها اللواء الثامن عشر الذي كان لا يزال في « حصن القديس جورج » الواقع إلى غرب البصرة قائماً بحراسة طريق الناصرية حيث لمت القوة التركية شعثها بعد رجعتها في وقعة الشعيبة . وكان السر جون نكسن في هذه الاثناء يفكر في الاستيلاء على الناصرية باستخدام اللواء الثامن عشر لتعزيز الفرقة الثانية عشرة الضعيفة التي كان يقودها الفريق غورنج . وكانت هذه الفرقة بلا

مدفعية ميدان كما ذكرت سابقاً . وكان ينوي أن يرد الي اللواء الثامن عشر بعد الاستيلاء على الناصرية لازحف بهِ من العمارة للاستيلاء على كوت الامارة وهي موقع مهم من وجهة سوق الجيش نظراً إلى مركزها التجاري والى كونها واقعة على ملتقى نهري دجلة والحي . ونهر الحي هذا يوصل كوت بالناصرية .

اما الموقف الحربي في منطقة دجلة بعد استيلائنا على العمارة فكان على الوجهِ التالي :

واعتمادا على الاخبار التي تلقتها دائرة استخباراتنا عن الجيش التركي قدرنا القوات التركية المرابطة على خط دجلة والقوات التي كان باستطاعة الترك أن يسوقوها حينئذ إلى هذا الخط على الصورة الآتية : ـ

في بغداد :

فوج تركي نظامي .
فوجان احتياطيان تجهيزاتهما ومعداتهما غير كاملة ولم يكن لديهما مدافع .

في الكوت :

فوج تركي نظامي قاتل في العشيبة .
اربعة افواج عربية قاتلت في الشعيبة .
فوجان جرى تأليفهما في الآونة الاخيرة في بغداد ولكن تجهيزاتهما لم تكن كاملة .
١٢ مدفعاً استخدمها الترك في وقعة الشعيبة .

قوات متراجعة بين الكوت والعمارة :

باقي قوة حليم بك المتراجعة من القرنة .
باقي قوة الداغستاني المتراجعة من عربستان .
باقي فوجي اطفاء ممن لم نأسرهم في العمارة في ٣ حزيران .

ولم تكن هذه القوات التركية بالمقدار الذي يخيفنا وكان جانب عظيم منها ينقصها الانتظام والمدفعية . وكانت قوة حليم بك قد خسرت جميع مدافعها

ويستبعد أن يكون الداغستاني قد تمكن من اخذ مدفعيته معهُ في تراجعه السريع بطريق الصحراء الطويل . ويحتمل انهُ رمى معظم مدافعهِ في البطائح أو تخلى عنها قرب الحلفاية لانهُ لم يصل العمارة من قوتهِ غير المقدمة التي قطعت عليها فرقتنا السادسة طريق الرجعة . وفي ٣ حزيران كان محمد فاضل باشا الداغستاني قد غادر جميع مدافعهِ وراءه .

وبلغنا حينئذ أن النجدة التي يحتمل أن يرسلها الترك من الاناضول أو قفقاسيا لتعزيز قواتهم في العراق ينبغي لها أن تواصل السير الشاق عدة اسابيع لقطع المسافات الشاسعة قبل وصولها بغداد . وفضلا عما تقدم بلغنا انهُ يستبعد جداً أن يستغني الترك عن قطعات فيها الكفاية لفصلها عن قواتهم العظمى في الاناصول أو قفقاسيا لارسالها إلى العراق . ولم تتلق دائرة استخباراتنا أخباراً يعول عليها تؤيد وصول نجدات هذا شأنها إلى بغداد . وكان لدائرة استخباراتنا عمال في بغداد يعول عليهم في موافاتنا بالاخبار الصحية عن وصول قطعات كبيرة من الجنود التركية إلى تلك المدينة .

فرأى حينئذ اركان جيش مقر الحملة العراقية أن نور الدين بك القائد التركي الجديد (الذي كان قد وصل حديثاً قادماً من الاستانة وشاع عنه حينئذ انه قائد قدير) لا يستطيع مهما بلغت مقدرتهُ على القيادة القيام بهجوم يعتد بهِ قرب العمارة بالقوات المتيسرة له على لوائين من الوية فرقتي السادسة تعضدهما المدفعية الثقيلة والمدافع البحرية ومعهما طائرات وتلغراف لاسلكي وهلم جرا . وكان لدي قوة بحرية ذات كفاية يعول عليها . اما البواخر التي كان الترك لا يزالون يستخدمونها في اعالي دجلة فكان ينقصها الفحم والنفط والمدخرات على تباين انواعها .

وكان عرب البطائح يقطعون على الدوام خطوط المخابرات بيننا وبين القرنة فانهم قطعوا سلك التلغراف بين قلعة صالح وبين العزير الامر الذي جعل جنود خط المواصلات يبادرون إلى معاقبة اولئك العرب معاقبة صارمة وكذلك حمل دائرتنا السياسية على بذل المال لهم .

وطلب مني « السر جون نكسون » ان ابعث اليه بآرائي في الوضع الذي تكون عليه فرقتي في العمارة قبل زحفي على كوت الامارة في شهر أيلول . فاقترحت حينئذ ايفاد مفرزة أمن مختلطة مؤلفة من سريتين إلى موضع على ضفة دجلة يبعد عن العمارة اربعين او خمسين ميلا شمالا ويقتضي لوصول هذه المفرزة ذلك الموضع سفر يوم أو يومين بالبواخر وذلك لكي تعد هذه المفرزة محلا لنزول الطائرات بحيث يصبح ذلك المحل قاعدة لاستكشاف المواقع التركية في كوت الامارة . أما معظم الفرقة فيظل متحداً في العمارة محصناً تحصيناً خفيفاً على ضفة دجلة اليمنى قبالة البلدة وستظل البلدة هادئة بتسلط مدافعنا عليها . وكان عرب العمارة حتما يضمرون العداء لنا والمسالمة للترك لذلك لم استحسن سكنى جنودي في شوارع البلدة وازقتها الضيقة .

وكذلك اقترحت وضع مفرزة أمن صغيرة في الحلفاية على ترعة المشرح التي تبعد نحواً من ١٦ ميلا إلى جنوب شرقي العمارة وقد اقترحت وضع هذه القوة هناك لأنني رأيت ذلك الموقع مهماً ومسلطاً على طريق الاحواز الذي يستطاع الاحداق منهُ بالعمارة . ونستطيع كذلك في بضع ساعات ضم هذه المفرزة إلى الفرقة المرابطة في العمارة . واقترحت ايضاً وضع مفرزة مؤلفة من سرية واحدة في قلعة صالح الواقعة على مسافة عشرين ميلا إلى جنوب العمارة . وقلعة صالح هذه بلدة مهمة . ولما كنت لم اتمكن من اقناع مقر الحملة للايعاز إلى قوة خط المواصلات باحتلال هذا الموقع جعلت حاميتها على اقلها . وكنت كمضارب في حديد بارد كلما طلبت إلى المقر أن يكلف قوة خط المواصلات بالقيام بالعمل المختص بها . لأنهُ لم يكن لدى المقر جنود يعطونهم ولا يخفى أن استخدام جنود الصف الاول في خط المواصلات عبث بقاعدة الاقتصاد في القوة . فكنا ـ ونحن في العراق ـ نأخذ بلا استثناء جنود خط المواصلات من جنود الخط الاول فكان شأننا في ذلك شأن صانع اللبن بلا تبن . وقد رأيت أن هذا الامر محفوف بالاخطار الجمة في زحفي إلى ما وراء العمارة شمالا .

وطلبت ارزاقاً احتياطية لمدة ستة اشهر اخزنها في العمارة وما يتناسب مع

هذه الأرزاق من عتاد المدافع والبندقيات ـ اي الف اطلاقة لكل بندقية وخمسمائة اطلاقة لكل مدفع . ولا يخفى أن قواعد الحرب المتعارفة على وجه عام تقضي بأن يكون لدى القوة المنفصلة عن غيرها والتي يتحتم عليها القيام بأود نفسها ـ كما كان شأن قوتي حينئذ ـ ما يكفيها من الارزاق والمؤن والذخائر الحربية لمدة ستة اشهر .

وقلت انهُ إذا زحف نور الدين علي وانا في العمارة فلا بد لي من القيام بالتعرض عندما يصبح على مسيرة يوم مني . ونويت حينئذ أن اقوم بحركة تنطوي على الدفاع والهجوم في وقت واحد . فكنت قد صممت على المدافعة عن العمارة بقوتي الصغرى المتحصنة على ضفة النهر قبالة البلدة واحمل على معظم قوة نور الدين بك بقوتي الكبرى .

فوافق « السر جون نكسون» على رأيي هذا الذي يرمي إلى توحيد القوة الكبرى لتصبح على قدم الاستعداد لانزال الضربة القاضية على العدو .

وكذلك وافق على وضع سرية مزدوجة على مسافة تتراوح بين اربعين وخمسين ميلا شمال العمارة بحيث توضع هذه المفرزة على ضفة الفرات لستر محطة الطيران .

وكذلك اقتنع بوجوب وضع مفرزة في الحلفاية .

ووافق على وضع مفرزة في قلعة صالح .

ولكنهُ لم يوافق على اقتراحي المتعلق بحامية العمارة ووضع معظم تلك الحامية على ضفة النهر خارج البلدة لانهُ رأى من المحتمل أن يداهم القوة خطر يأتيها من البلدة وسكانها . ولكنهُ رأى أن الضرورة تقضي بأن توضع الحامية التي تظل في العمارة بعد سحب القوة العظمى على عين الضفة الواقعة عليها البلدة مع المحافظة على المقدار المطلوب من رؤوس الجسور وذلك للاحتفاظ بالبلدة وتأمين مواصلة التجارة . وكذلك استحسن الاستفادة من دور الصنعة والمدخرات وغيرها من المؤسسات الجيدة التي كانت في البلدة وعارض في وضع مستودعاتنا الامامية على ضفة النهر اليمنى الخالية من الابنية والارصفة .

واما في ما يتعلق بتعيين المحل الذي اضع فيه قوتي الكبرى فنصحني الفريق «نكسون» بأن استشير معاون مدير القسم الطبي المختص بفرقتي قبل نقل الجنود البريطانيين من الابنية في فصل الصيف وفي ما سوى ذلك فانهُ كان موافقاً على كل تدبير اراه موافقاً لسكن باقي الجنود . ولكنهُ كان معارضاً في أمر وضع الجنود في الخيام ما دامت الابنية متيسرة .

ورأى أن طلبي بالارزاق والعتاد لمدة ستة اشهر مبنياً على خطأي في تقدير المقدار المصرح بهِ من ذلك للقوة التي كان يقودها . لأن كل المقدار الذي وافق عليهِ مقر الجيش في الهند وصرح باعطائهِ لجيش العراق من هذه الارزاق والعتاد الاحتياطية كان لمدة ستة اسابيع فقط . وليس من المحتمل زيادة المقدار لاسباب وجيهة .

فاقتضى الامر أن اعطي هذا المقدار من الارزاق والعتاد وستستمر القيادة الهندية العامة على امدادي بمواد الاعاشة من وقت إلى آخر بمقتضى اوامر قائد الجيش . اما في الوقت الحاضر فلا ينقص المقدار الاحتياطي عما يكفي لمدة شهر ما عدا الارزاق التي يستطاع الحصول عليها في العراق .

اما مقدار عتاد البندقيات والمدافع المخصص للفرق فهو المقدار الذي يحمله الجنود بمقتضى الانظمة المرعية مع المقدار المخصص لرتل عتاد الفرقة .

ويخزن مقدار آخر من هذا العتاد في مستودع العينة الامامي في خط المواصلات ويوضع هذا المستودع في العمارة . وقال الفريق «نكسون» أن القيادة الهندية العليا تتعهد باعطاء المقدار الذي يعينهُ قائد الجيش من هذه الارزاق والعتاد من وقت إلى آخر للحفظ في هذا المستودع مع مقدار كاف من العتاد اتصرف بهِ حين طروء الطوارىء .

وهنا انشر نسخة من جوابي على ملحوظات القائد العام الفريق «نكسون» :

مقر الفرقة السادسة

العمارة في ٦ حزيران سنة ١٩١٥

إلى رئيس اركان الجيش
بمقر الجيش

مذكرة :

١ ـ هذا جوابي على مذكرتكم المرقومة ١٣٩/١١٣ .

٢ ـ لقد فهمت فحوى الفقرة ١ من مذكرتكم .

٣ ـ لقد فهمت فحوى الفقرة الثانية وسأذهب غداً أو بعد غد لانتقاء ذلك الموقع .

٤ ـ جواباً على الفقرة ٣ اقول أنني قد عدلت عن الفكرة المتعلقة بهذه المفرزة بطيبة خاطر لأنهُ لم تجر الموافقة على باقي المفرزات جميعها ولكنـي حسبت ذلك الموقع من الشأن بمكان لايفاد مفرزة اليهِ حيث تتمكن ذلك المفرزة من الانضمام إلى الفرقة في يوم وذلك لأن الترك ثبتوا في ذلك الموقع مدة طويلة وهو موقع ذو شأن بالنظر إلى الحلفاية الاحواز وغيرهما وإلى نفوذ العرب هناك .

٥ ـ جواباً على الفقرة ٣ . إن اوامر قائد الجيش مطاعة ولكن لا بد لي من القول انهُ اذا وجب سحب قوتي العظمى وابقاء فوج واحد فقط هنا ارى في هذا الصدد رأيا لا يتغير وهو أن الفوج سيتعرض لخطر عظيم ببقائهِ في البلدة بين العرب في الوقت الذي تزحف علينا قوة تركية كبيرة لمهاجمتنا . وستظل البلدة تحت سيطرتنا بتسلط مدافعنا الموضوعة على الضفة الغربية عليها .

إنني عالم بالفائدة التي نناها من استخدام المخازن التركية الجيدة الواقعة على ضفة لا توافق حركاتنا ولكن لو اقتضى الامر مقاتلة الترك من اجل هذه المخازن لسهل علي الاستيلاء على البلدة إذا هاجمتها جنودي من الضفة الغربية اثناء هجوم المراكب الحربية عليها من الماء .

٦ ـ جواباً على الفقرة ٦ . إنني لم اقترح اخراج الجنود البريطانيين من منازلهم في هذا الفصل .

٧ ـ جواباً على الفقرة ٧ . طبعاً ينبغي لي أن انظر من الوجهة التعبيوية في موقف فرقة ضعيفة منفصلة عن الجيش في العمارة إذ أنني لم استصوب بقاء قوة هنا وليس معها من المؤن والارزاق الاحتياطية سوى ما يكفيها ستة اسابيع فقط . لأن القاعدة المرعية في مثل هذه الاحوال هي أن يتوفر من الارزاق والعتاد الاحتياطية ما يكفي القوة ستة اشهر إذا كان من المحتمل انفصال تلك القوة عن باقي الجيش وانقطاع موارد الاعاشة عنها .

فاذا لم احصل منكم الا على مؤونة ستة اسابيع فقط فلا بد لي حينئذ من ابتياع الارزاق التي احتاج اليها في الاسواق المحلية وخزنها هنا[1] . لأنهُ اذا صدكم العدو في الناصرية اثناء ما تتهددني القوة التركية من بغداد وعرب البطائح يحولون بيني وبينكم لا يتمكن حينئذ مفتش خط المواصلات من مساعدتي مساعدة تذكر . وهذا امر واقع لا ريب فيه .

إن الامر الذي حملني على طلب الف اطلاقة لكل بندقية و ٥٠٠ اطلاقة لكل مدفع هو عين السبب الذي حملني على طلب ارزاق احتياطية لستة اشهر ولا أرى دخلاً « للنظامات » التى ذكرتموها في هذه المسألة .

وقد فهمت ملحوظتكم المتعلقة بمستودع العينة الامامي في العمارة .

٨ ـ سأصدر الاوامر إلى اركان جيشي ليهيئوا رداً تاماً على مذكرتكم المرقومة ١٣٩/١١١/ . بحيث يكون هذا الرد مبيناً على خطة حركاتي وسأبعث بهِ اليكم بعد يومين لأن هذا الرد يحتوي على بعض التفصيلات والايضاحات المتعلقة بانشاء الجسور .

الفريق الثاني ج . ف . ف . طونزد
آمر الفرقة الهندية السادسة

ثم قمت بعد ذلك بسفرة استكشاف على مسافة نحو من اربعين ميلا في دجلة شمالا ورجع الفريق «نكسون» إلى البصرة لاعداد المعدات للاستيلاء على

---

(١) انني اشتريت بعد ذلك الأرزاق التي كنت محتاجاً اليها وخزنتها في كوت العمارة .

الناصرية وكان الفريق غورنج مكلفاً بالقيام بهذه الحركة وقد استعار المقر مني اللواء الثامن عشر ومدفعية الميدان المختصة بفرقتي كلها للقيام بهذه الحركة . ورأيت حينئذ أن المقر كان لا ينقطع عن اخذ مدفعيتي ونسافتي مني لاستخدامها في حركات منطقة الغراف ووادي القرنة . وقد دلت هذه الاعمال على وجود الخلل في نظامنا كما برهن على ذلك ما كان ينقص الحملة من وسائل النقل البرية والبحرية ومن المدخرات الطبية وغيرها وقد انتقدت « لجنة العراق » هذه الامور نقداً شديداً جداً .

فهذه كانت حركات الاستيلاء على العمارة في ٣ حزيران وكانت وطأة الحر شديدة والهواء غير موافق للصحة حتى كان عدد المرضى من الجنود بعد وصولنا العمارة بعشرة ايام متراوحاً بين ١١٠٠ و ١٢٠٠ وفضلا عن هؤلاء أنني تركت في العمارة مرضى كثيرين .

وعند رجوعي من الاستكشاف شمال العمارة شعرت بأنني قد اصبت بضربة الشمس واعتراني تقيوء واسهال . وفي مدة ثلاثة ايام استحوذ الضعف علي حتى أنني بت كأنني طفل مصاب « بالحمى الراجعة » وقال لي الاطباء بعد ذلك لما كنت في بومبي أن الاعراض كانت اعراض حمى مختصة بالاقاليم الشرقية في افريقية . فنقلوني إلى البصرة لأنه لم يكن في العمارة ثلج . وفي البصرة التقيت « بالسر جون نكسون» فارسلني في مركب مستشفى إلى بومبي لعلني استفيد من تبدل الهواء ووعدت نكسون بأنني ساعود بعد شهر لأنه كان امامي حينئذ الزحف من العمارة في اوائل ايلول للاستيلاء على كوت الامارة . ولم يخلصني من تلك العلة سوى قوة بنيتي . وكان بيني وبين الموت قيد شعرة في هذه السفرة التي لقيت فيها كل راحة وعناية من المقدم « سيمنز » من اطباء الجيش الهندي وهو من خيرة الاطباء المشهورين ومن الطف الناس الذين لقيتهم في حياتي .

وبعد أن قضيت اسبوعاً في « مستشفى القديس جرجس » في بومبي نقلوني إلى « سملة » بناء على طلب صديقي « السر جيمس روبرت » من اطباء الجيش الهندي فقضيت مدة في منزله . وعمل الاطباء لي عملية جراحية هنا فزالت عني

الحمى بسرعة . وكنت حينئذ شديد الضعف اكاد لا اتمكن من صعود سلم الدار ولكنني غادرت سملة قاصداً البصرة في اواخر تموز بعد أن قضيت مدة في ضيافة « اللورد يدنغ » نائب الملك في الهند وقابلت القائد العام وكلاهما أطنبا في الثناء على الحركات التي قمت بها في الوقعةِ التي جرت بين القرنة والعمارة .

وانهك الحر الشديد الذي شعرت به في القطار بين « لاهور » و « كراجي » قواي على ضعفها وضامني كذلك حر الخليج العربي وهيجان البحر اثناء سفري الذي وقع في فصل هبوب « الرياح الموسمية » .

فوصلت البصرة مرة اخرى في الاسبوع الاول من شهر آب وفاوضت « السر جون نكسون » هناك في أمر زحفي على كوت الامارة الامر الذي قررته الحكومة اثناء اقامتي في « سملة » .

ملحق الباب الاول

هذه مذكرة اصدرتها إلى جميع الضباط الاقدمين - اي إلى آمري الالوية والضابط البحري الاقدم ورؤ ساء اركان جيشهم .

١ - توزيع الفرقة جماعات معدودة وذلك لتسهيل اوامر الحركة والانتقال والسكنى والوقوف وهلم جرا ولا يراد تلك الاوامر على صورة بسيطة .

جماعة المقدمة . يقودها امير اللواء « دوبي » وهي مؤلفة من :

لواء المشاة السابع عشر ويتألف على الوجه التالي :

فوج اوكسفورد
فوج المشاة الخفيف ١٠٣
الفوج البنجابي ٢٢
فوج المشاة ١١٩
نصف سرية النسافة ٢٢
البطرية الجبلية ٣٠
حضيرة مستشفى سيارة هندية
حضيرتا مستشفى سيار هنديتان
حضيرة من سرية المخابرة ٣٤ المختصة بالفرقة
تنشر اعلام حمراء على المراكب المعينة لنقل هذه الجماعة .

(الجماعة الاولى)

وهي مؤلفة من لواء المشاة السادس عشر بقيادة امير اللواء « ديلامين » ويتألف هذا اللواء على الوجه التالي :

فوج دورستس
فوج حملة البندقيات ١٠٤
فوج مهرتة ١١٧
حضيرة مستشفى سيار بريطانية
حضيرتا مستشفى سيار هنديتان
نصف سرية النسافة ٢٢

تنشر اعلام خضراء على المراكب المعينة لنقل هذه الجماعة

الجماعة الثانية (وهي الاحتياط العام)

تحت امرة قائد الفرقة وهي مؤلفة من :

كتيبة مشاة نورفوك الثانية
الفنية ٢٨
تنشر اعلام صفراء فوق السفن المعينة لنقل هذه الجماعة

الجماعة الثالثة (المدفعية)

بقيادة امير اللواء « سمث » وتتألف من :

الصنف ١ المدفعية البرية

الصنف ٢ مدفعية ثقيلة سيارة توضع على السفن

الصنف ٣ مدفعية خفيفة سيارة

وتنشر السفن التي تنقل هذه الجماعة اعلاماً زرقاء

الجماعة الرابعة

وهي رتل عتاد الفرقة وتشتمل كذلك على عتاد المدفعية الثقيلة
ومركب المستشفى
ومواد إنشاء الجسور
وسفينة الترميم
ومدخرات الهندسة
وتنشر هذه الجماعة اعلاماً نصف العلم الايسر ازرق والنصف الأخر ابيض

الجماعة الخامسة

رتل اعاشة الفرقة ـ طعام الفرقة ـ ويقسم هذا الرتل بين الجماعات في السفن المختصة بكل جماعة وليست الجماعة الخامسة بموجودة في الوقت الحاضر .
تنشر هذه الجماعة اعلاماً زرقاء في كل منها كرة بيضاء .
الهجوم على المواقع التركية شمال القرنة

٢ ـ تتخذ القوة وضع التهيوء للحركة في ٢٩ أيار بعد الظهر على الترتيب التالي :

جماعة المقدمة في القرنة براً .
الجماعة الاولى في السفن خارج المزيرعة عند مصب شط العرب .
الجماعة الثانية في السفن عند ذيل الجماعة الاولى في جهات مصب نهر السويب .
الجماعة الثالثة في السفن جنوب القرنة في الفرات وإلى شرق معسكر القرنة في دجلة على موازاة رصيف القرنة .
الجماعة الرابعة عند ذيل الجماعة الثانية .

٣ ـ يعين الضابط البحري الاقدم مواقع الاسطول والمراكب الحربية ويخصص مركبا للحراسة إلى غرب الجماعة الثالثة في الفرات ومركبا آخر للحراسة

عند ذيل الجماعة الرابعة . ويأمر المركبين اللذين ينظفان الالغام بالاستعداد ويعين الوقت الذي يرفع فيه جسر القوارب والشبكة والمانع النهري وتصدر اوامر اركان الفرقة بمقتضى ذلك .

٤ ـ يركب قائد الفرقة ومقرها مركب القائد « اسبيغل » .

٥ ـ مهمة قائد الفرقة :

إن مهمتي لا تنحصر في طرد العدو من موضعه الحاضر بين « بير درب بيند » والقرنة فحسب بل تتناول كذلك مطاردة الترك باحتلال العمارة .

٦ ـ المقصد العام لقائد الفرقة :

إنني كتبت في هذا الصدد مذكرة هي عين المذكرة التي ارسلتها إلى « السر جون نكسون » وبسطت فيها خطة حركاتي .

وعلق قائد الحملة العراقية الملحوظات التالية على خطة حركاتي :

العدد ٣٩/٥٧/ .

التاريخ ١٩/٥/١٥/ .

إلى قائد الفرقة السادسة .

عطفاً على مذكرتك السرية المتعلقة بالقرنة المرجو أن تطالع مذكرة قائد الحملة المربوطة بهذا وقد امرني أن اضيف اليها الملحوظات التالية :

١ ـ إن معظم نجاح الحركات التي تقوم بها متوقف على عمل الاركان ولا سيما على صراحة اوامر الحركات وكمالها .

لذلك يرغب آمر الحملة بأن تبذل العناية القصوى في نص هذه الاوامر وتراعي الوصايا المدونة في كتاب « نظامات الخدمة السفرية » كل المراعاة . ويقتضي أن تكون كل المذكرات التي تصدرها ـ ما عدا اوامر الحركات ـ مختصرة ومفيدة على قدر الاستطاعة .

٢ - يجب أن تكون الاوامر التي تنظم بها عمل المدفعية صريحة جداً لانني رأيت بعض الغموض في الفقرتين ٨ و ٩ من مذكرتك ولم تذكر مهمة المدفعية الجبلية . لذلك المرجو أن تستفيد كل الاستفادة من مساعدة آمر اللواء « سمث » الذي اضعه تحت امرتك لهذه الغاية .

٣ - وهناك مسألة اخرى على غاية الخطورة يقتضي الانتباه اليها وهي أنه يجب من بدء الامر أن تتفاهم انت والضابط البحري الاقدم تفاهماً لا يبقي مجالا للشك في الشؤون المتعلقة بمهمة الاسطول واقترح أن تطلع الضابط البحري الاقدم على رغائبك على وجه السرعة المستطاعة وتوعز اليه بأن يصدر الاوامر المتعلقة بحماية المركبين اللذين ينظفان النهر من الالغام[1] بنار المدافع وهلم جرا لادماج هذه الاوامر في اوامر الحركات لكي لا يبقى مجال لسوء الفهم .

٤ - إن قائد الحملة يرى رأيك في أنه ليس من المستطاع انزال المدفعية الثقيلة إلى المواضع المذكورة في الفقرتين ١٢ و ١٥ من مذكرتك ويرى الافضل العدول عن هذه الفكرة على الفور .

٥ - واقول بشأن هجومك للالتفاف حول الجناح أن قائد الحملة لا يرى الا فائدة قليلة من القيام بحركة على الضفة الشرقية لخدعة العدو كالحركة التي رتبتها على الضفة الغربية بطريق نهر « الهوير » . وربما حملك هذا الامر على تعديل مقصدك الذي ذكرتهُ في الفقرة ٨ وذلك أن الهجوم للالتفاف حول الجناح باتخاذ « تل الشجرة الواحدة » هدفاً اولا يقتضي الابتعاد عن النهر مسافة خمسة آلاف يرد . لأن حركة مثل هذه - وإن كانت محمية بجناح - تمكن العدو الموجود في ادغال الحلفاء التي على ضفاف نهر « السويب » من مضايقتنا وتأخير الزحف لأنهُ يصعب مقاتلة العرب المختبئين في ادغال القصب .

٦ - واقول بشأن الفقرة ٩ انهُ لا شك في أن بعض الحجج تسوغ تأخير

---

(١) كنت قد لمحت في اوامر الحركات إلى أن آمر مركبي تنظيف النهر من الالغام قد تلقى الوصايا الوافية من الضابط البحري الاقدم ولولا ذلك لجاءت اوامر الحركات طويلة مسهبة بلا جدوى .

هجوم اللواء السابع عشر إلى حين الاقتراب من تل الشجرة الواحدة . ولكنني اقول لك أن هجوم هذا اللواء يستغرق وقتاً طويلا قبل بلوغ ذلك الموضع وانهُ سيبتعد عن الاستناد في موضع منفصل وفضلا عن ذلك أن المركبين اللذين ينظفان النهر من الالغام لا يستطيعان المرور عن « تل نورفوك » قبل طرد حملة بندقيات العدو من ذلك الموقع بالزحف عليهم من جهات « فورت سنايب » .

٧ ـ أما في ما يتعلق بما جاء في الفقرة ٨ من مذكرتك بشأن استخدام المدافع بعيار ١٨ بونداً على ارمات فأقول أنهُ بلغ المقر العام أن الماء قليل العمق بحيث لا يستطاع اجراء هذه الحركة فيه . ويحتمل أن تجنح الارمات إلى الشاطىء ولكن تلك أن تختبر ذلك بنفسك لعلك تجد النهر صالحا لسير هذه الارمات فيهِ .

٨ ـ يقتضي أن تتناول اوامر الحركات (التي يرغب قائد الحملة في الاطلاع عليها الآن) دور الحركات الاول فقط . ولكن لا ضرورة لاستثناء الاستيلاء على بحران من دور الحركات هذا وذلك إذا امكنك مجرى الحركات من التوصل إلى هذا الموقع في اليوم الاول .

ولا يخفى أنه لا يستطاع ادماج الاوامر الدقيقة المختصة بهذا الهجوم في اوامر الحركات بل ينبغي لك اصدارها في ساحة القتال .

٩ ـ اما في ما يتعلق بالفقرة ٢٣ فاقول أن اقالة المانع من الحركات العسكرية البرية ولكنني اخبرك أن الضابط البحري الاقدم الذي استشرناه في الامر قبل مدة افصح عن استعداده لبذل كل ما في وسعهِ في مساعدة القوة البرية على ذلك .

١٥/٥/١٩ — أ . ف . كمبل

رئيس اركان الجيش

إلى رئيس اركان الجيش

لا ارى داعياً يدعو الفريق طاونزند إلى الاسهاب في بسط مقاصده في الفقرة ٦ على هذه الصورة[1] .

---

(١) انني اسهبت في المذكرة لبسط آرائي « للسر جون نكسون» بسطاً وافياً ولم يكن لذلك شأن في اوامر الحركات .

لأن ذلك ينافي مقتضيات الامور العملية ولا يتعلق باحد غيره .

وقد بحثت معك في عدة امور ارجو الفات نظره اليها .

ويقول الفريق طاونزند في ملحوظاتهِ العامة انهُ سيصدر اوامر الحركات ومذكرة خاصة قبل الشروع في الحركة بيوم . فلكي اتمكن من ابداء رأيي في ذلك ارجو أن تطلب منهُ أن يكتب تلك الاوامر والمذكرة الآن لكي اطلع عليها واخبره بأن يرسلها الي على اسرع ما يستطيعهُ .

١٥/٥/١٩ جون نكسن

فريق

اوامر الحركات لوقعة القرنة
اوامر الفرقة السادسة
الأمر العدد ١٦

في ٢٨ أيار السنة ١٩١٥

راجع خارطة القرنة بمقياس عقدة لكل ميل .

الموقف العام .

١ ـ (أ) لم يطرأ تغيير يذكر على ترتيبات العدو في مواضعهِ الواقعة على كلتا ضفتي دجلة شمال القرنة .

إن مواضع العدو المهمة هي بحران وروطة والمزيلة وصخريجة والمواضع المتقدمة لروطة على التلال الرملية والمواضع المتقدمة لبحران في « تل نورفوك » و « تل الشجرة الواحدة » و « تل البرج الواحد » و « تل المدفع » .

(ب) إن المواضع المتقدمة ـ وهي « تل البرج الواحد » و « تل المدفع » و « تل الشجرة الواحدة » ـ محمية من بحران حيث المسافة دون خمسة آلاف يرد . أما تل الشجرة الواحدة فهو على مسافة ستة آلاف يارد .

وتحمي نار المدفعية موقع بحران من روطة والمزيبلة . أما صخريجة فهي على مسافة اربعة آلاف وخمسمائة يرد من المزيبلة .

(ج) ويحتمل أن العدو قد بث الالغام في دجلة شمال المانع النهري بالقرب من « فورت سنايب » .

(د) ولنا من تقارير دائرة استخبارتنا أن القوة التركية تتألف من خمسة افواج على وجهِ التقريب وعشرة مدافع ونحو من ستمائة مجاهد والمركب النهري « مر مريس » ونحو من ١٢٠٠ عربي حامل بندقية مع مدفع من المدافع التي سبق ذكرها في البطائح الواقعة على الجانب الغربي « لتل نورفوك » و « تل المدفع » . ويحتمل أن هذه القوة تنوي القيام بهجوم معاكس لصد زحف مشاتنا على موازاة ضفة دجلة الغربية .

والمدافع موضوعة على الوجهِ التالي :

مدفع في الرملة (في البطائح الواقعة غرباً)
مدفعان على « تل المدفع »
مدفع على « تل البرج الواحد»
مدفع في بحران (عند البرج الشرقي)
مدفع في روطة
اربعة مدافع وصلت في الأونة الاخيرة ولم يتعين موقعها إلى الآن
ولكن يحتمل وضعها على الصورة الآتية :
مدفع في روطة
وثلاثة مدافع في بحران

٢ ـ إن فيضان المياه التي قد غمرت الارضين تجعل هذا الموقع حصيناً فيقتضي أن نقوم بحركات منظمة في ادوار قتال متعاقبة كما في محاربة الحصار ويجب بذل كل ما في الوسع لكي تصب القوات التي على جانب دجلة الغربي والاسطول النهري والقوة التي على جانب النهر الشرقي نيرانها مجموعة على مواقع العدو .

المقصد العام لقائد الفرقة .

٣ - يهاجم العدو في ٣١ أيار من الجبهة والجناح .

(أ) الهجوم على الجبهة . تهاجم القوة جبهة العدو هجوماً فاصلا بحيث تزحف على مواضع العدو على ضفة النهر الغربية وتعضدها في هذا الهجوم المدفعية والاسطول النهري وتعاونها في ذلك القوة التي تهاجم الجناح على ضفة دجلة الشرقية .

(ب) المظاهرات شرقاً وغرباً .

٣ - توزيع القطعات لدور القتال الاول .

(أ) جماعة المقدمة

قوة مهاجمة الجبهة بقيادة العقيد « كليمو » حامل « وسام الامتياز . وتنشر هذه القوة اعلاماً حمراء .	لواء المشاة السابع عشر (ما عدا الفوج البنجابي ٢٢) مع حضيرة مخابرة اللواء ونصف سرية « سرمور » النسافة وحضيرة مستشفى سيار بريطانية وحضيرة مستشفى سيار هندية
قوة مهاجمة الجناح بقيادة العقيد « بلويس جونسن . وتنشر هذه القوة اعلاماً حمراء .	(ب) الفوج البنجابي ٢٢ وحضيرة من البطارية الجبلية ٣٠ ونصف سرية « سرمور » النسافة وحضيرة مستشفى سيار هندية
بقيادة آمر المدفعية وتنشر اعلاماً زرقاء .	(ج) الجماعة الثالثة . المدفعية القسم البري والقسم النهري ونصف سرية النسافة ٢٢ قطار الجسارة

الجماعة الاولى : بقيادة آمر اللواء السادس عشر . وتنشر اعلاماً خضراء .

(د) لواء المشاة السادس عشر ويتألف من :
فوج « دورست » الثاني
وفوج حملة البندقيات ١٠٤
والفنية ٤٨
وحضيرة مخابرة اللواء
وبطارية الميدان ٦٣
ونصف سرية النسافة ٢٢
وحضيرة مستشفى سيار بريطانية
وحضيرتين مستشفى سيار هنديتين
وتكون جميع هذه القطعات في السفن

الاحتياط العام بقيادة العقيد « بيبلي » حامل وسام الامتياز

(هـ) كتيبة مشاة نورفوك الثانية
وحضيرة مستشفى سيار بريطاني
وحضيرة مستشفى سيار هندي

٤ ـ اوامر الهجوم ـ دورة النار

والهدف خط نهير بربخ

(أ) تشرع المدفعية البرية في القصف على موضع العدو الساعة ٥ قبل الظهر في ٣١ ايار بحيث توزع النار على الوجهِ التالي :

« تل نورفوك »
و « تل الشجرة الواحدة »
و « تل البرج الواحد »
و « تل المدفع »

وذلك بمقتضى الوصايا (التعليمات) المفصلة التي يصدرها آمر المدفعية . ويعاون هذه القوة الاسطول النهري في اطلاق المدافع على « تل نورفوك » و « تل المدفع » .

ويتأهب القسم النهري للحركة من مثابتِهِ (محل اجتماعهِ) في القرنة وذلك حين صدور الامر بذلك وقد تخصصت « السحابات » لهذا الغرض .

(ب) وتزحف القوة التي تهاجم الجناح من محل تجمعها في غرب « فورت سنايب » الساعة ٦ صباحاً . وتكون اهدافها .

« تل نورفوك »

و « تل البرج الواحد »

و « تل المدفع »

وعلى الآمر أن يعني بحماية ميسرة قوتِهِ اثناء هذا الزحف .

(ج) تزحف القوة التي تهاجم الجناح من مثابتها في الساعة الاولى قبل الظهر ، وهدفها « تل الشجرة الواحدة » . وعلى الآمر أن يوقت حركتهُ على وقت شروع المدفعية في القصف .

(د) على آمر القوة التي تهاجم الجناح أن يوفد مفرزة لفجر الالغام المبثوثة بالقرب من ضفة النهر بنار البندقيات .

(هـ) يقوم الاسطول النهري بتنظيف النهر من الالغام بقيادة الضابط البحري الاقدم اثناء قصف المدفعية . وتنظم حركة تقدم المراكب الحربية وسفن القسم النهري على حركة المركبين اللذين ينظفان النهر من الالغام .

٥ ـ تنقل الجماعة الاولى (اي اللواء السادس عشر) والجماعة الثانية (اي الاحتياط العام) في السفن النقلية في النهر على الوجهِ التالي :

المجيدية

وبلوس لنچ

و ب ١

و پ ٣

٦ ـ وتظل سفينة العينة ومركب المستشفى ورحبة المهندسين (اي الجماعة الرابعة) ورتل اعاشة الفرقة (اي الجماعة الخامسة) في القرنة .

٧ - ويكون مقر تضميد القوة في « تل نورفوك » ويؤخذ المضمدون من مستشفى الميدان السيار الملحق بالاحتياط العام .

٨ - التقارير :

ترسل التقارير إلى مقر الفرقة في الباخرة « اسبيغل » من الساعة السادسة صباحاً في ٣٠ أيار .

الزعيم ر . ن . غامبل
رئيس اركان الفرقة[1]

(١) قضت الضرورة علي بأن ابقي الفوج ١١٧ المختص بلواء المشاة السادس عشر في القرنة بمنزلة حامية لها . وكان هذا الفوج القوة الصغرى التي تيسر لي وضعها هناك لانهُ كان من المحتمل أن يقوم عرب البطائح بهجمة معاكسة شديدة على القرنة وذلك عندما يشعر القائد التركي بزحفنا على موقعهِ .

الباب الثاني

الفصل الأول :

الفصل الثاني :

(الفصل الاول)

التوجه من العمارة إلى كوت الامارة

حكمت اللجنة الطبية في « سملة » في ٧ آب بأنني اصبحت قادراً على الرجوع إلى العراق لتسلم قيادة فرقتي . وقد تصفحت مفكرتي فرأيت أننا كنا قد عقدنا العزيمة على الزحف إلى بغداد . وهنا اورد رسالة تنطوي على عزمنا هذا . وتاريخ هذه الرسالة ٨ آب سنة ١٩١٥ وقد بثت بها من سملة إلى صديق لي[١] كان يشغل حينئذ منصباً رفيعاً في وزارة الحربية في لندن . وإلى القارىء تلك الرسالة :

« لا تدهش لعنواني هذا لأنهُ اعترتني نوبة الحمى الراجعة في العمارة حول ٩ حزيران فارسلت إلى بومبي للاستشفاء ومن هناك اخذت إلى سملة . وقد قررت اللجنة الطبية امس شفائي وستقلع بي السفينة من كراجي في ١٥ آب لتسلم قيادة فرقتي في العراق . وكانت وطأة المرض شديدة علي ولكنني تماثلت إلى الصحة على جناح السرعة ويعزو الاطباء هذه السرعة إلى قوة بنيتي .

« واعتقد أنني سأزحف من العمارة إلى كوت الامارة فوراً عند التحاقي بفرقتي اما مقر فرقتي فهو في العمارة . وتنحصر المسألة الآن في الحد الذي نقف عنده في العراق . وكنت في ضيافة نائب الملك في الشهر المنصرم ولكنني لم اتمكن من الوقوف على شيء منهُ يتعلق بالسياسة التي نتوخاها في العراق . فقد استولينا الآن على ولاية البصرة القديمة واشهر مدنها العمارة والناصرية والبصرة .

---

(١) وهو العميد السر جيمس ولف مري .

« ولا يخفى أن قوتنا غير كافية للوثوق من الاستيلاء على بغداد لأنهُ على ما بلغني أن الترك يحصنون تلك المدينة وقد نصبوا فيها مدافع ثابتة . ولا قبل لنا بالتعرض لخطر الانكسار في الشرق . فتصور عواقب انسحابنا من بغداد وقيام جميع العرب الذين يقطنون تلك البلاد وراءنا . هذا بغض النظر عن قيام الافغان علينا بعد ذلك لان امير بلاد الافغان يلاقي صعوبات جمة في منع بلاده من الاشتراك في الحرب . أجل لا بأس من الانكسار والانسحاب في فرنسا والشاهد على ذلك التراجع من « مونس » إلى « المارن » ولكننا لا نتمكن من المحافظة على منزلتنا في الشرق إذا انكسرنا في ميادين قتاله أو ارتددنا فيها على اعقابنا .

« واعلم أن فرقتي (وهي الفرقة السادسة) هي الفرقة الوحيدة الكاملة من الفرقتين التي لنا في العراق . اما الفرقة الثانية عشرة التي يقودها الفريق « غورنج » فهي بلا مدافع ولا قطعات فرقة لأن نكسون يأخذ هذه القطعات مني ويعيرها للفريق « غورنج » عندما يقتضي الامر أن يزحف « غورنج » إلى ناحية من نواحي ساحة القتال .

« وإنني لمعتقد بأن الضرورة تقضي علينا بالاحتفاظ بالاراضي التي استولينا عليها وبعدم مجاوزة الحد الذي بلغناه ما دام العدو حائلا دون تقدمنا في الدردنيل كما هو الامر الواقع الآن . ولا يخفى أن جميع الحركات التعرضية التي تقوم بها في ساحات الحرب الثانوية غلطات فادحة في فن سوق الجيش سواء كان ذلك في الدردنيل وفي مصر أو في العراق أو في افريقيا . وإني لاستغرب كل الاستغراب اسباب قيامنا بهذه الحملات التي نعبث بها باهم قواعد الحرب الاساسية لا سيما بقاعدة الاقتصاد في القوة . ولنا من التاريخ أن الدولة التي لا تراعي هذه القاعدة ينقلب عملها وبالا عليها . لذلك يقتضي أن نحشد كل جندي من جنودنا في فرنسا حيث يبت في مصير الامم وفي مصير ساحات الحرب الثانوية . وإني لادهش كل الدهشة للحملة التي جردناها على الدردنيل .

« ويجدر بنا أن نعتبر بالانسحاب الروسي عام ١٨١٢ . فموقع نابليون السابق الذي اتخذه في السنة ١٨٠٧ عند ملتقى الانهر « ناريف » و « بوغ » و

« اوكرا » و « فستولا » يمكن قوة الالمان الصغرى المرابطة في ذلك الموقع من مشاغلة قوة تعادل ضعفها . وسوف يدمر الالمان جميع الجسور والسكك الحديدية على مسافة شاسعة وبذلك يمنعون احتمال قيام الروس بزحف عام إلى الغرب قبل انقضاء مدة طويلة . وهذا يعني كذلك أن قوة الالمان الكبرى في الساحة الروسية التي تربو على المليون جندي ستنقل إلى الساحة الغربية للاخذ بخناق الانكليز والفرنسيين . وإني لمعتقد أن الالمان اما أنهم سيثنون جناح الجيش الفرنسي الجنوبي الشرقي واما أنهم سيلتفون حول ذلك الجناح لانهُ الجناح الاقرب لخط رجعة الحلفاء الطبيعي إلى قاعدتهم الحقيقية وهذه القاعدة واقعة في « لوار » .

« فارى الحالة حرجة جداً وعلى اشد الخطورة وبارقة الامل الوحيد هي انكم قد تنفستم الصعداء فسنحت لكم فرصة التأهب لمقابلة الزوبعة المقبلة .

« واخاف انكم لا تهتمون بنا نحن الذين ههنا لأن اهتمامكم قليل بالحركات التي تجري في العراق مع أننا نقاتل العدو الذي تقاتلونه في الدردنيل فضلا عن الحر الشديد الذي نقاسيه هنا حتى أن عدد المرضى الذين اخذوا إلى المستشفى عند مبارحتي العمارة في اواخر حزيران بلغ الالفين والاربعمائة .

«لقد اثني علي ثناءً عاطراً هنا وجليت في مضمار السبق في مطاردة العدو. وكانت خسارتي قليلة في القتال لأن المدفعية والمدافع الثقيلة المتراوح عيارها بين اربع عقدات وخمس عقدات و ٧ ، ٤ العقدة تغلبت كل التغلب على مدافع العدو فلم يتمكن مشاته من رفع رؤوسهم لمقابلتنا » .

وعلمت من الحديث الذي دار بيني وبين موظفي الحكومة في سملة رد منهم بعض موظفي ديوان الشؤون الخارجية أن مسألة احتلال كوت الامارة كانت معلقة حتى كتابة هذه الرسالة ولكن نظراً إلى الحاح الفريق «إنكسون» وحكومة الهند كان الشك قليلا جداً في موافقة الحكومة البريطانية على القيام بهذه الحركة .

وقد علمت حينئذ من موظف كبير يشغل منصباً مهماً جداً في ديوان الشؤون الخارجية أن الحكومة لم تفكر آنئذ في مسألة الزحف على بغداد ، فقال أن وزارة

الخارجية تعارض اشد المعارضة في هذا الباب ما لم تصبح القوات المتيسرة لنا فوق ما يقتضيه القيام بهذه الحركة . إلى أن قال : « إذا سارت الامور سيراً حسناً في الساحة الغربية الكبرى باتت بغداد سهلت المنال فنستولي عليها متى شئنا » . ولكن الحكومة الهندية لم تر هذا الرأي .

وفي ١٠ آب تناولت طعام المجوري على مائدة السر « بيحم دف » القائد العام للجيوش الهندية في منزله وبعد أن فرغنا من تناول الطعام دار الحديث الطويل بيننا في مكتبه .

فعلمت منهُ انهُ قد تقرر أنني على الارجح سازحف على كوت الامارة تواً حين وصولي العمارة ـ اي أنه تقرر أن ازحف على مسافة ١٢٠ ميلا آخر شمالا لأن « السر جون نكسن » قد ادلى ببراهين قوية تسوغ القيام بهذه الحركة ولكن الموافقة على ذلك لم تصل من انكلترا حتى تلك الساعة .

فقلت حينئذ للقائد العام أنني اتكفل بقهر نور الدين المتحصن في موضع يستر كوت الامارة واهزمه إلى دجلة ولكنني ارجو أن لا تصدر الي الاوامر بالزحف على بغداد بالقوة المتيسرة لي في الوقت الحاضر . وليس من شأني أن ابين الخطر العظيم المنطوية عليه مواصلة تعرض سوقي بقوات غير كافية ومن غير قطعات لخط المواصلات الذي ورائي وطول هذا الخط يتراوح بين مائتين وثلاثمائة ميل . فوافق على كلامي كل الموافقة وقال لي قولا اكيداً وهو « ثق يا طاونزند انك لا تزحف من كوت الامارة قيد عقدة ما لم اضع تحت امرتك القوة الكافية » .

فاجتبه « أن استيلائي على بغداد يقتضي أن تضع الحكومة تحت يدي فيلقاً كاملا » . فشكا الي امره قائلا « أن كل واحد يطلب مني جنوداً وليس لديَّ جندي واحد اتمكن من الاستغناء عنه لأننا دائما نتوقع قيام الافغانيين والحدود علينا » . ففكرت حينئذ في أن هذه الاسباب ترجح كفة عدم الزحف على بغداد ولكنني لم ابد هذه الملحوظة للقائد العام .

ومما قاله القائد العام « أن الاخبار الواردة من فرسوفية اخبار سوء لنا نحن

الذين في الهند وذلك من الوجهة السياسية . وقد اخذ الشرق باسره يرى أن المانيا سوف تخرج من الحرب ظافرة) . ووافقني في رأيي من أن التراجع الروسي ليس خطير الشأن من الوجهة العسكرية ولكن المضرة ناجمة عن التأثير السياسي الناجم عن ذلك .

وقال لي أنه قد اوفد الف جندي من جنود الرديف إلى العراق لتسد الفراغ في فرقتي . ورأيت القائد العام حينئذ قد اضنكه التعب وانهكت قواه الاعمال الشاقة فنصحته بأن يقضي اواخر الاسبوع في التلال إلى ما وراء سملة حيث يغير الهواء ويرتاح من عناء الاشغال . فاجابني أنه إذا فعل ذلك تراكمت اشغاله عليه إلى درجة يصعب عليه انجازها . وقال « أنني لفي حاجة إلى فريق اقدم اعول على اخلاصه ومقدرته كل التعويل بحيث يصلح لأن يصبح وكيلا للقائد العام فيقوم باعمالي حين تغيبي في الاجازات القصيرة » ولكنه لم يجد رجلا يجعله موضع ثقته .

وغادرت سملة في ١٣ آب قاصداً كراجي فشعرت بحر شديد في السهول . وفي كراجي ركبت في ١٦ آب الباخرة « دمرة » وهي من بواخر البريد السريعة التي تمخر في الخليج العربي فاقلعت بي هذه الباخرة تتقاذفها الأعاصير الموسمية .

وفي ٢٠ آب القت هذه الباخرة مرساتها في مياه ابي شهر فرأينا الحكومة البريطانية قد احتلتها بفوجين بقيادة امير اللواء « بردكنغ » وقد جرى قتال على مسافة عشرين ميلا في داخل البلاد فنزل إلى البر بعض الجنود البحرية من المركب الحربي « جونو » وبعض المشاة الهنود فقتل من البحرية تسعة جنود وجرح سبعة عشر جندياً وقتل في المعركة قائد المركب « جونو » . اما الهنود فخسروا خمسين جندياً بين قتيل وجريح . وقيل أن العرب تراجعوا من المروج وغابات النخيل التي في تلك الانحاء .

وفي عشية ذلك اليوم اقلعنا من ابي شهر فوصلنا البصرة في ٢١ آب فقابلت « السر جون نكسن » تواً في منزله وفاوضته بشأن زحفي من العمارة على قوة نور الدين المرابطة في كوت الامارة .

وقد علمت من تقارير قلم الاستخبارات التي اعطانيها « كمبل » - رئيس اركان الجيش - للمطالعة أن قوات نور الدين كانت مرابطة على كلتا ضفتي دجلة في محل يدعى « السن » بحيث تستر كوت الامارة وأن نور الدين باشا كان قد شرع في تقوية ميمنته على ضفة النهر اليمنى لكي تصبح منيعة جداً . وارتأى « كمبل » أنه لا بد من وجود مانع طبيعي على ضفة النهر اليسرى بستر ميمنة نور الدين ولا علم لنا بذلك المانع . وطلب « السر جون نكسن » مني أن اظل عنده ثلاثة أو اربعة ايام قبل ذهابي إلى العمارة لكي يتسع لنا المجال للبحث ملياً في المسألة بحذافيرها ولم يعلم سبب تأخير الموافقة على الزحف على كوت الامارة وقال لي أنه علي باتمام فرقتي استعداداً للزحف إلى ذلك المكان . لذلك عزمت على اخذ بعض قطعات خط المواصلات منهُ فضلا عن القوات التي كانت متيسرة لي لأن الفرقة الثانية عشرة كانت تقوم بالمحافظة على خط المواصلات .

واستولى غورنج على الناصرية في ٢٤ تموز بعد مقاومة عنيفة لقيها من الترك مدة اسبوع فتراجع معظم قوات الترك شمالا على موازاة نهر الحي وشاع أن تلك القوات المتراجعة انضمت إلى قوة نور الدين في كوت الامارة . وكان نور الدين باشا قد وصل بغداد قادماً من الاستانة واشتهر عنهُ حينئذ أنه قائد عصري . فتحصن في موضع « السن » على كلتا ضفتي دجلة على مسافة ثمانية اميال إلى شرق كوت الامارة وكان قد حشد جميع القطعات المتيسرة له في هذا الموضع . وكذلك تواردت الاخبار من عمال قلم الاستخبارات في « السن » أن الترك يسعون لسد النهر .

وكانت قوة نور الدين باشا مؤلفة من ثلاث فرق وهي : الفرقة الخامسة والثلاثون في الكوت وكانت هذه الفرقة قد تراجعت من الناصرية والارجح أن رجالها لم يزيدوا على ثلاثة آلاف جندي .

والفرقة السابعة والثلاثون (وهي الفرقة الاحتياطية من بغداد) وكان عدد رجالها يتراوح بين الاربعة آلاف والخمسة آلاف جندياً .

والفرقة الثامنة والثلاثون (وكانت مؤلفة من قطعات عربية) انخفض عددها إلى نحو ٣٥٠٠ جندي .

وقد رأى قلم استخباراتنا أن القوات التي يحتمل تعزيز قوة نور الدين بها في المستقبل القريب تبلغ ما يأتي :

(أ) فيلق مؤلف من اثني عشر فوجاً وكل فوج من خمسمائة جندي نقلها الترك من وان وارضروم وقيل أن هذا الفيلق وصل الموصل في ٩ آب وأنه سيغادر الموصل قاصداً بغداد في ١١ آب .

وقيل أن هذه القوة ستنتقل في « كلكات » . وقد علمنا من سكان البلاد أن اقصى ما يستطاع نقله من هؤلاء الجنود في كل يوم ٢٠٠ جندي . ويستغرق صنع « الكلكات » وقتا طويلا لأن صنعها يقتضي جلب الخشب من الجبال ودبغ الجلود . وتقدر المدة التي يقطع فيها « الكلك » المسافة بين الموصل وبغداد بالنهر خمسة عشر يوماً على اقل تقدير في مثل هذا الفصل من فصول السنة .

ويرجح أن سفر القوة سيراً على البر اسرع وفي اثناء السير يرجح كل الترجيح سير القوة على الطريق الممتدة على موازاة ضفة النهر اليسرى وطول هذه الطريق نحو من ٢٥٠ ميلا وهذه الطريق اطول من الطريق الممتدة على موازاة الضفة اليمنى غير أنها افضل للاعاشة .

(ب) وكان لدى الترك في خانقين خمسة افواج يتألف كل فوج منها من ستمائة جندي وكانت هذه القوة هناك بمنزلة مفرزة لحماية ذلك الجناح . وقد علمنا من احد مخبرينا أن القائد التركي في الكوت يتوقع انضمامها اليه هناك . ولكن الاخبار لم تؤيد هذه الرواية سواء كان ذلك من حيث العدد أو من حيث الانتقال إلى الكوت . وجل ما علمناه من ذلك أنه كان لدى الترك قوة في خانقين امرها مجهول عندنا .

وكان الترك كذلك منهمكين في تحصين طيسفون (سلمان بك) وذلك للدفاع عن بغداد إذا انكسر نور الدين باشا في « السن » وقضي عليه بالتراجع .

وبلغنا أن الترك كانوا منهمكين كذلك في بناء السطوح المائلة والجسور على مجاري المياه على ضفة دجلة اليسرى في الجادة العامة المؤدية من بغداد إلى كوت وذلك لنقل المدافع .

وقيل أن في الكوت ثلاث بواخر وأنه تمخر بين بغداد والكوت باخرتان اخريان .

وكان نور الدين باشا قد ساق حينئذ مفرزة ستر مختلطة من الكوت والسن جنوباً إلى محل يدعى « الشيخ سعد » .

وفي ٢٣ آب اعطاني رئيس اركان الجيش الوصايا العامة المختصة بي وهي : -

المقر العام للحملة العراقية
البصرة في ٢٣ آب السنة ١٩١٥

إن مهمتك تنحصر في ابادة العدو وتشتيت شمله واحتلال كوت الامارة لتوطيد دعائم سيطرتنا على ولاية البصرة . ويتبين لك من تقارير قلم استخباراتنا المعطاة لك أن العدو يتأهب لصد زحفك .

وقد وضعنا القطعات التالية تحت امرتك لانجاز المهمة الموكول اليك امرها وهي : -

الفرقة السادسة : -
كتيبة الرماحة السابعة .

جنود الفرقة بطارية مدافع مكسيم من الفرقة الثانية عشرة عند اعادة تأليفها وتنظيمها[1]

لواء مدفعية الصحراء العاشر .

---

(١) وكانت هذه القطعات جميعها مختصة بالفرقة السادسة . وكانت قد اخذت منها قبلا لاتمام الفرقة الثانية عشرة شمال القرنة .

$\frac{1}{5}$ بطارية مدافع هانتس القصيرة .

البطارية ٨٦ الثقيلة قطر مدافعها ٥ عقدات .

البطارية الثقيلة ١٠٤ قطر مدافعها ٤ عقدات (توضع هذه المراكب ما عدا حضيرة واحدة) .

جنود الفرقة مدفعان بعيار ١٥ بونداً بمنزلة مدافع موضعية .

الفنية ٤٨ (١) .

سريتا النسافة ١٧ و ٢٢ (١) .

رتل عتاد الفرقة السادسة (١) .

اربعة مدافع بعيار ٧ ، ٤ العقدة على السفن .

المراكب المسلحة « كومت » و « شبطان » و « سمانة » .

طائرتان في بدء الامر ويحتمل أن يضاف اليهما طائرتان أخريان بعد ذلك .

جهازا تلغراف لاسلكي نقال يوضع احدهما على الباخرة « بلوس لنج » .

وعند احتلال الكوت يرسل اليها جهاز التلغراف اللاسلكي المختص بالعجلات والموجود الآن في العمارة .

وسيساعدك الرئيس « ليجمان »[1] معاون الضابط السياسي في الامور المختصة بعلاقاتنا بالعشائر على كلتا ضفتي النهر . وسيطلعك على ميولهم والوسائل المثلى لمعاملتهم . وتقضي الضرورة بمد خط تلغرافي دائم والمحافظة عليه وسينشأ هذا الخط كلما تقدمت في زحفك .

وكذلك يقتضي رفع تقرير في عدد المواضع المختصة بالاعاشة والمستودعات وغيرها وتعيين محلاتها على خط المواصلات بين العمارة والكوت .

---

(١) ضابط وسياسي بريطاني ، قتله الشيخ ضاري في مدينة الفلوجه .

ويقتضي في اول الامر أن تحمي قطعاتك هذه المواضع. وقد اصدرنا الوصايا المتعلقة بخطة المدافعة عن موضعي « علي الغربي » و « الشيخ سعد »[1] لذلك يجب أن تكون المواد المقتضية لهذه المواضع مرافقة لقوتك وذلك لكي لا تتكلفوا الرجوع إلى العمارة في طلبها .

قد وضعنا خطة لحشد لوائين الا فوج واحد في « الشيخ سعد » وقد بحثنا في هذه المسألة بحذافيرها في مؤتمر عقدناه في ٢٣ آب[2] لذلك يقتضي العمل بهذه الخطة بعد تعديلها بمقتضى الاقتراحات التي ابداها المؤتمر .

وعليك أن تأمر باعداد خطة مفصلة للزحف إلى الكوت بحيث تشمل الامور التالية : ـ

(أ) الوسائل المنوي اتخاذها للهجوم على موضع « السن » واحتلال كوت الامارة .

(ب) الوصايا المنوي اصدارها إلى آمر القطعات الهوائية للاستطلاع بالطائرات على أن لا تغفل عن المدى المحدود الذي تتمكن الطائرة من الاستكشاف فيه مراعية في ذلك أمر الامن وخط المواصلات . مثال ذلك لا يجوز أن تستكشف الطائرات في الكوت ما لم يصبح موقعك في « الشيخ سعد » امينا وما لم تنشأ هنالك قاعدة للطيران .

عندما يتيسر لك احتلال كوت الامارة عليك بأن تقابل رؤساء العشائر المهمين وتعين حاكما عسكريا ليشرع في ادارة شؤون المدنية .

ستوفد « جماعة تدمير » بقيادة الملازم « سليتر » ومعها الغواصون والمواد

---

(١) اثناء تغيبي في « سملة » .

(٢) وضعت خطة حشد لوائين في الشيخ سعد وانا غائب . ولم اوافق على ذلك لان القوة بحشدها في هذا الموضع تمسي تحت تأثير حركات العدو ولم انبس حينئذ ببنت شفة ولكنني عزمت على العبث بهذه الخطة عند وصولي العمارة .

المتفرقعة لتلتحق بقوتك وتقبل الموانع الموجودة في « السن » ـ على ما علمناه من التقارير الواردة الينا ـ وتقوم بغير ذلك من الاعمال الضرورية .

أ . كمبل

رئيس اركان الجيش

وهذه المرة كذلك خولت الاستقلال في القيادة بحيث اضع خطة الحركات كما خولت هذه السلطة سابقاً في زحفي من القرنة إلى العمارة .

وعزمت على تقسيم قوتي إلى الجماعات التالية وذلك لتسهيل اوامر الحركات والاسراع فيها : ـ

الجماعة الاولى	لواء المشاة السادس عشر	
بقيادة امير اللواء	ونصف سرية النسافة ٢٢ .	
« ديلامين »	وحضيرة مستشفى سيار بريطانية .	
	وحضيرتا مستشفى سيار هنديتان .	تنشر علماً
	وحضيرة مخابرة من حضائر السرية ٣٤ .	اخضر
الجماعة الثانية	لواء المشاة السابع عشر .	
بقيادة أمير اللواء «هوتن»	ونصف سرية النسافة ١٧ .	
	وحشيرة مستشفى سيار بريطانية .	تنشر علماً
	وحضيرتا مستشفى سيار هنديتان .	احمر
	وحضيرة مخابرة من حضائر السرية ٣٤ .	
الجماعة الثالثة	لواء المشاة الثامن عشر .	
بقيادة الفريق الثاني «فراي»		
	ونصف سرية النسافة ٢٢ .	
	وحشيرة مستشفى سيار بريطانية .	تنشر علماً
	وحضيرتا مستشفى سيار هنديتان .	اصفر
	وحضيرة مخابرة من السرية ٣٤ .	
الجماعة الرابعة	مدفعية الفرقة .	
بقيادة امير اللواء	ونصف سرية النسافة ١٧ .	تنشر علماً
« سمث »	وسرية المخابرة ٣٤ المختصة بالفرقة .	ازرق
آمر المدفعية	وقطار جسارة .	
	والفنية ٤٨ .	

الجماعة الخامسة بقيادة الضابط المدفعي الاقدم	رتل عتاد الفرقة . مركب المستشفى السيار والمستشفى الاعتيادي . مركب مدخرات الهندسة ومواد الترميم .	تنشر علماً ابيض وازرق
رتل اعاشة الفرقة	يظل على الدوام في مراكب النقيلة النهرية .	ينشر علماً ازرق فيه كرة بيضاء

وعند ركوب سفن النقلية في النهر على كل سفينة من السفن المعينة لنقل الجماعات المذكورة أن تنشر العلم المختص بجماعتها .

وعلى الضابط البحري الاقدم الرئيس « مكنزي » أن يتولى قيادة الاسطول النهري .

وقر الرأي على أن اغادر البصرة في ٢٥ آب قاصداً العمارة على ظهر الباخرة « جلنار » وقبل ركوب الباخرة جرى بيني وبين « السر جون نكسن » حديث قلت له فيه أنني سارسل اليه خطتي الحربية عند وصولي العمارة وابرق اليه برسالة انبئه فيها عن وقت شروعي في الزحف إلى « الشيخ سعد » .

وقلت « للسر جون نكسن » حينئذ أنني إذا قهرت الترك في المعركة وهزمتهم هناك كما هزمتهم في القرنة طاردتهم إلى بغداد . اي أنهم إذا انهزموا لا يلوون على شيء ولم يبدوا مقاومة اتحمل حينئذ تبعة دخول بغداد . وقد علمت أن الحكومة لم ترد أن ندخل بغداد ثم يرغمنا العدو المتفوق علينا بعدده على الخروج وذلك إذا عزز الترك قواتهم بنجدات يوفدونها من الاناضول لاسترداد هذه المدينة . اما الاوامر الرسمية التي زودتها فكانت تقضي بأن ابيد قوة نور الدين واشتت شملها واحتل كوت الامارة . ولكن ابادة قوة العدو تقتضي مطارته وإذا اخلى الترك بغداد سرت اليها في اسطول المراكب المسلحة بالمدافع تاركا معظم قوتي في موضع طيسفون وآخذ معي فوجاً واجلب النساء الاوربيات اللواتي كن مأسورات هناك .

وطلب مني « السر جون نكسن » أنه إذا عقدت العزيمة على دخول بغداد فعلي بأن ابعث اليه ببرقية انبئه فيها بذلك لأنه ربما تمكن من الالتحاق بي ليدخل بغداد معي .

وقال لي « السر برسي كوكس »[1] الضابط السياسي أنني إذا دخلت بغداد فكأنني دخلت الاستانة لأن بغداد ليست دون الاستانة شأناً . وستردد جميع ارجاء آسية خبر دخولي هذه المدينة .

واقلعت بنا الباخرة « جلنار » في الساعة الثانية بعد الظهر وكان عليها الف جندي من جنود الرديف والاحتياط البريطانية لسد الفراغ في الافواج البريطانية المربوطة بالفرقة السادسة وكانت تلك الافواج « نورفوكس » و « دورستس » و « اوكسفوردس » ووصلت صباح ٢٨ آب الساعة ٣٠ : ٧ العمارة فنزلت في الدار المعدة مقراً لقوتي وسرت انظر في الخطط التي وضعتها لزحفي ووجدت جميع قطعات المدفعية المعينة لقوتي تصل في كل يوم .

ولم استحسن حشد لوائين من الوية فرقتي في الشيخ سعد حيث تمسي هذه القوة عرضة لتأثير حركات العدو فيها . وقد وضع هذه الخطة المؤتمر الذي انعقد اثناء غيابي . فابرقت على الفور إلى مقر الجيش العام منبئة أنني من اجل الاقتصاد في الوقت سأحشد كل فرقتي في علي الغربي حيث تصبح خارج منطقة تأثير العدو ثم ازحف برتل المسير . وقلت للمقر « وستقفون على هذا في الخطة التي وضعتها لحركاتي والتي سأبعث بها اليكم بعد وقت قصير » .

وقال لي حينئذ الملازم « كولي »[2] قائد الباخرة « المجيدية » واحد ضباط الاحتياط البحري المتطوعين أن لا باخرة من البواخر التي من نوع(P تتمكن من مجاوزة مسافة خمسة عشر ميلا إلى ما وراء علي الغربي والنهر على حالته الحاضرة . لأن الملازم كولي قضى عدة سنين في قيادة الباخرة « المجيدية » التي كانت من بواخر الشركة « لنج » التي تمخر بين بغداد والبصرة . فابرقت بهذا إلى مقر الجيش العام وطلبت إلى هذا المقر أن يبعث إلي بقائمة تحوي جميع اسماء السفن والمراكب

---

(١) رئيس الضباط السياسين البريطانيين في العراق واصبح بعدها المندوب السامي البريطاني في العراق .

(٢) قتل بعد ذلك على ظهر الباخرة جلنار لما حاول خرق خط الحصار ووصول الكوت بالارزاق التي كان ينقلها إلى فرقتي .

المتهسرة للحملة ورأيت حينئذ أنه كان في المستشفى خمسمائة مقاتل من رجال فرقتي طريحي الفراش في مستشفى العمارة . وإن عندي في العمارة ارزاقاً لجنود بريطانية تكفيهم ١٠٥ ايام وارزاقاً للجنود الهندية تكفيهم ١٢٩ يوماً وحبوباً تكفي الخيل والبغال ١٢٧ يوماً لأنني حين مغادرتي العمارة امرت « انسلي » بابتياع الارزاق من الاسواق المحلية لكي لا احتاج إلى ارزاق الحكومة فوجدت بأنه قد خزنا من الارزاق المحلية ثلاثين الف « موند »[1] من التبن واربعين الف « موند » من الشعير وتسعة آلاف « موند » من « الحشيش » وثلاثة آلاف « موند » من الارز و ٩٢٧ « مونداً » من البصل و ١١٥٦ « مونداً » من الوقود . فكان لدي علف من الحشيش والتبن والشعير ما يكفي الحيوانات ستة اشهر على وجه التقدير .

وفي ٢٨ آب بعد الظهر وضعت خطة حركاتي فليطالعها القارىء مع الملحوظات المعلقة عليها في ذيل الجزء الثاني من هذا الكتاب . وقد وضعتها على عين الاسلوب الذي يسمونه خطة الهجوم الالماني وهذه الخطة نسخة طبق الاصل « للمناورة » التي كان نابليون مغرم باجرائها حين التعرض سواء كان ذلك في سوق الجيش ام في التعبئة العليا . وشأن هذه الحركة اليوم شأنها قبل مائة عام لأن قواعد سوق الجيش الاساسية العظمى لا تتغير على الاطلاق . وعلى ما ذكرته في المقدمة أن « مولتكه » اخذ هذه الخطة عن نابليون وهو اعظم تلامذة ذلك القائد العظيم . وقد قال مولتكه « أن صناعة القائد العام تنحصر في مشاغلة جبهة العدو ببعض قوته بينما يستخدم قوته العظمى للهجوم على جناح ذلك العدو » . وهذا مذهب اركان الجيش الالماني وهو مذهب نابليون الكبير قبل مائة عام . وقد تمكن مولتكه بالسير على هذه الخطة من نيل النصر الباهر على النمساويين عام ١٨٦٦ وعلى الفرنسيين عام ١٨٧٠ . وما انفك اركان الجيش الالماني واركان الجيش الفرنسي سائرين على هذه الخطة التي وقفوا على فوائدها مما اختبروه في حرب السنة ١٨٧٠ . وهذه الخطة تشمل قاعدة الكتلة الاساسية وهي ضرب اضعف موضع

---

(١) أن الموند وزنة مقدارها ٨٨ رطلا انكليزياً . و ٣٠٠٠٠ موند يساوي ١١٨٣ طناً انكليزياً . وسيرى القارىء الحكمة التي انطوت عليها هذه الصفقة لأنني تمكنت من الثبات في الكوت بفضل هذه الارزاق .

في قوة العدو باعظم عدد متيسر للقائد . فيقتضي أن تراعى هذه القاعدة في جميع الخطط التي توضع لسوق الجيش والتعبئة العليا إذا اراد القائد أن يستفيد من تلك الخطط .

وإذا أمعن المرء النظر في حروب نابليون رأى أن خطط نابليون مبنية على توجيه القوة الكبرى على اضعف موضع في قوة العدو وهذا الموضع اما أن يكون احد جناحيه واما قلبه سواء كان ذلك في ساحة الحرب ـ من وجهة سوق الجيش ـ ام في ميدان المعركة ـ من الوجهة التعبيوية . ولنا من انتصارات نابليون سبعة وعشرون مثالا لحركة الالتفاف بالقوة الكبرى حول جناح العدو ومؤخرته ـ اي الجناح الاقرب إلى خط رجعة العدو الطبيعي . وطبعاً أن هذا الخط هو خط مواصلاته . ولنا مثالان فقط من انتصارات نابليون حيث نجد قلب العدو اضعف موضع في قوته .

وجميع الانتصارات التي تمت في المعارك الفاصلة التي وقعت في المائة التاسعة عشرة وفي اوائل المائة العشرين انما تمت بحركة احاطة أو حركة التفاف وهذه الحركة بسيطة وملائمة لكتلات الجيوش العظيمة . ومعارك « كونغراتس » و « غرافيلوت » و « ميدان » و « موكدن » امثلة تبرهن لنا صحة هذه القاعدة . والامر الوحيد الذي نستطيع أن نرى فيه أن حركة اختراق جبهة العدو تسفر عن النجاح ينحصر في المعركة التي تقع بين جيشين متحركين اي في معركة مصادمة شديدة وذلك عندما يكون احد الجيشين سائراً وقطعاته متحدة وفي ارتال متوازية قريب بعضها من البعض الآخر فيصطدم هذا الجيش بجيش آخر يسير في ارتال موزعة توزيعاً واسعاً على جبهة واسعة جداً على النظام الالماني .

فاذا انكب المرء على درس حروب « نابليون » و « فريدرك الكبير » و « مولتكه » انجلى له من ساعته سر توجيه قاعدة القوة الكبرى على اضعف موضع في قوة العدو وذلك في خطط سوق الجيش والتعبئة التي رسمها اولئك القواد الثلاثة .

وإذا نظرنا في الامر من حيث التعبئة رأينا أن امل النجاح في الهجوم على

قلب العدو قليل أو معدوم إلا إذا تيسر للقائد الهاجم عدد عظيم من المدافع لأن زيادة الكفاية في الدفاع تزيد في صعوبة اختراق القلب وتضعف امل الفوز في مثل هذا الهجوم . وفضلا عن ذلك أنه إذا فشلت القوة المهاجمة في سعيها اسفر فشلها عن احاطة العدو بها نفسها وابادتها . وهجوم الاحاطة أو الالتفاف اليوم اشد ضرورة مما كان عليه قبلا .

ولنا من الفصل ١٢٠ من « كتاب النظامات السفرية » الجزء الاول « في الحركات » المطبوع للسنة ١٩٠٩ والمعاد طبعه السنة ١٩١٤ والذي وضعناه دستوراً لجيشنا أننا قد اعترفنا بصحة هذه القاعدة بحيث لا يبقى ريبة لمستريب وقد جاء في الفصل المذكور الفقرة التالية : ـ

« نرى الافضل أن نوجه الضربة الفاصلة إلى احد جناحي العدو بحيث يختار الهدف اما قبل الانفتاح واما بعده وذلك على ما تقتضيه الاحوال . ويسهل توسيع نطاق تأثير النار على الغالب عندما ترمي خطة القتال إلى الالتفاف حول احد جناحي العدو أو حول كليهما » . وقد رأيت في السنين الاخيرة أن الضباط الكبار يقولون بالالتفاف على كلا جناحي العدو . فاقول أن هذا جائز إذا كان عدد قواتنا يفوق جداً عدد قوات العدد كما تفوق عدد رجال نابليون على عدد رجال « ماك » في « اولم » وتفوق عدد رجال « مولتكه » على عدد رجال « ما كما هون » في سيدان . والا فالاحاطة بكلا الجناحين ضعف وعبث بقاعدة الاقتصاد في القوة . ولنا من حروب نابليون مثال واحد للاحاطة بكلا جناحي العدو وذلك في وقعة « اولم » . واتخطر أنني في عام ١٩١٣ القيت محاضرة في انكلترا وبعد الفراغ منها قال لي قائد من كبار قوادنا : « ولكننا نرى ولنغتون قد احاط بكلا جناحي الفرنسيين في فتورية » . فاجبتهُ : « للمرء أن يفعل ما يشاء في حركاته ازاء قائد غير كفي مثل الملك يوسف . ولكن لو كان نابليون اومسينا أو مارمونت خصم ولنغتون لما اقدم ولنغتون على تلك الحركة في فتورية » . ونرى في الواقع أن ولنغتون قام بهجمة جبهية محضة في وقعة فتورية . ولم تكن قط هجمته التفافا حول الجناح أو احاطة بالجناح .

ويقال احياناً أن حركة الالتفاف محفوفة بالخطر الشديد وهذا هو السبب الذي جعل مولتكه الشديد الحذر أن يعدل عن الحركة التي كان نابليون مغرم بها وهي الهجوم على الجناح للالتفاف حوله وفضل عليها حركة اخرى اقل خطراً منها وهي الاحاطة بجناح العدو أو الانطباق على ذلك الجناح . ولا يخفى أن نتائج حركة الاحاطة قليلة بالنسبة إلى النتائج التي تسفر عنها حركة الالتفاف العظيمة . وقد قال نابليون في هذا الصدد « على الخائف من الخسارة أن لا يلعب بالورق » .

وإذا كانت الفرجة بين القوة القائمة بهجوم الالتفاف والقسم الآخر من القوة المحاربة واسعة إلى درجة الخطر فللقائد أن يضع قوة متوسطة في تلك الفرجة كما كان نابليون يفعل في معاركه . مثال ذلك كان فيلق « برنادوت » موضوعاً بين قوة « نابليون » وبين فيلق « دافوست » الذي انجز حركة الالتفاف في « بينة » وكان فيلق « دافوست » يبعد نحواً من اربعة عشر ميلا من قوة « نابليون » .

وإذا كانت هذه الفرجة في قوة صغيرة مستقلة في حركتها كالفرقة أو الفيلق مثلا يجب أن يكون اتساعها بمقدار المسافة المؤثرة لمدفعية الصحراء ـ اي يجب على قاعدة أن لا تجاوز خمسة آلاف يرد أو ثلاثة اميال . وإذا كانت القوة مؤلفة من جيش يكون اتساع هذه الفرجة بمقدار مدى المدفعية الثقيلة . اما إذا كانت القوة مؤلفة من مجموع جيوش إذ تتألف القوة الصغرى من جيش يهجم على الجبهة بينما تؤلف الجيوش الاخرى القوة الكبرى التي تقوم بحركة الالتفاف فيجب أن لا يزيد اتساع هذه الفرجة على مسير (مرحلة) قصير أو مسيرين قصيرين على الاكثر وذلك على ما تقتضيه الاحوال ومبلغ تدريب قوة العدو وضبطها ونفوذها . والذي يطالع تاريخ حروب نابليون يستفيد منها كل الفائدة إذ يرى أنه كلما كانت الاحوال غير ملائمة للحركة الالتفافية كان يتخذ الوسائل والحركات المستعجلة لتنفيذ حركاته ومقاصده الاصلية[1] .

وجل ما فعله الالمان أنهم ساءوا على خطة نابليون اما معظم القواد

---

(١) طالع اخبار ما عمله نابليون في معارك « بوتسن » و« واغرام » و« اوستر لتس » .

الفرنسيين فقد استحسنوا في السنين الاخيرة مهاجمة قلب العدو بالقوة الكبرى ويسمون هذا النوع من الهجوم « الاختراق » .

ومن الغريب أنني لما كنت ملحقاً عسكرياً في باريس عام ١٩٠٥ الفيت أن الكثيرين وحتى المدرسة الحربية على وجه عام كانوا يعتقدون بأن نابليون كان مغرماً بحركة الهجوم على قلب العدو . ولا شك في أن دعواهم هذه باطلة . ولم يهجم نابليون على قلب العدو الا في معركتين وهما « اوسترلتس » « وراتسبون » . وقد توصل إلى جميع انتصاراته العظيمة بالهجوم على جناحي العدو ومؤخرته . اي بالالتفاف حول العدو[1] .

ولم يكتف القواد الفرنسيون باستحسان الهجوم على قلب العدو فحسب بل أنهم لم يرسموا خطط حركاتهم قبل المعركة . فكانوا يتريثون إلى وقت الشروع في المعركة لكي يقفوا على اضعف موضع في قوة العدو وكانوا يميلون ميلا شديداً إلى حسبان موطن الضعف هذا في قلب العدو . ولكن هذه الطريقة تؤول إلى كثير من التقلب والتردد وفضلا عن ذلك أن اتساع جبهات القتال في هذه الايام اتساعاً عظيما يحول دون القيام بحركات فورية . فإذا وضع القائد خطته قبل ابتداء المعركة عرف موقفه وعقد العزيمة على تنفيذ خطته رغم كل مساعي العدو للحيلولة دون ذلك . فتسير جماعاته وارتاله المتنوعة إلى اهدافها بلا تردد ويعلم أن جناح العدو الذي يحمل عليه بقوته الكبرى قد استكشف استكشافا تاماً وأن الاستيلاء على بعض المحلات لا فائدة منهُ لأن ذلك يفسح المجال للعدو للانسحاب إلى موقع جديد بالراحة والاطمئنان .

وقد اسهبت جداً في البحث في امور خارجة عن الموضوع الذي نحن في صدده وغايتي من ذلك أن ابسط لطلاب الفنون العسكرية الاسباب التي حملتني على توخي هذه الخطة التي رسمتها لحركتي قبل المعركة والآن اعود إلى البحث الاصلي فاقول سائلا : -

---

(١) ولنا من وقعة « بورودينو » مثال لقيام نابليون بحركة التفاف حينما كانت قوة العدو معادلة لقوته . ولنا من وقعة « لوتسن » مثال آخر لذلك ، ولكن هذه الوقعة كانت وقعة مصادمة .

ما الذي كان العدو قادراً على اتيانه لاحباط الحركة التي رسمت خطتها قبل المعركة يا ترى ؟ فقد دونت في مفكرتي يومئذ الطوارىء المحتمل وقوعها اثناء قيامي بتلك الحركة التي كان قصدي الاولي منها التغلب على قوة نور الدين باشا في موضع « السن » واحتلال كوت الامارة . وإلى القارىء ما دونته في مفكرتي حينئذ : ـ

(أ) يحتمل كل الاحتمال أن تعزز قوة نور الدين المؤلفة من فرقتين ضعيفتين بفرقة اخرى من الموصل قبل شروعي في الهجوم عليه . فقد راجت اشاعات كثيرة عن أن الجنود الاتراك|وصلت بغداد قادمة من الموصل . فقوة نور الدين باشا تصبح ـ والحالة هذه ـ مساوية لقوتي . اجل أنني سأتفوق عليه بقوة المدفعية انما موقع نور الدين منيع جداً على ما يقال (وقد برهنت الحوادث التي عقبت ذلك على صحة هذا القول) .

(ب) يحتمل أن نور الدين ينسحب حين دنوي منه ويتراجع لاحتلال طيسفون (سلمان باك) للمدافعة عن بغداد . ولكن هذه الحركة بعيدة الاحتمال لأنه يصل اناء الليل باطراف النهار في سبيل تحصين موضع « السن » .

ونظراً إلى عدم تيسر الوسائل النقلية الكافية يستحيل تنفيذ الخطة على قاعدة السرعة الاساسية وهي جوهر القاعدة التي تعلمنا بأن التعرض وحده يؤدي إلى النصر . ويستطيع القائد أن يباغت عدوه بسرعة حركته . ونظراً إلى نقص وسائل النقلية البرية والبحرية التي تيسرت لنا كنا نتعوق كثيراً جداً في زحفنا شمالا بعد كل مرحلة نقطعها .

فإذا انسحب نور الدين حين دنوي منه واخبرتني بذلك طائرتي على الفور فلا بد من زحفي عليه بالرتل « ب » (وكان هذا الرتل مؤلفاً من اللواء الثامن عشر وبعض المدافع) في سفن الاسطول النهري ـ لأنه لم يتيسر لي من السفن لنقل قوة تزيد على لواء واحد ـ وادرك قسما من قوة العدو وابيدها . ولكنني إذا لم اتمكن من ادراك نور الدين اعود إلى الكوت واحصن موقعي فيها لأن اوامر الهند تقضي بأن لا اتعدى الكوت في زحفي .

(ج) يحتمل أن قوة نور الدين تتعزز بقوات كبيرة فيرى ذلك القائد التركي حينئذ أن قوته كافية للزحف علي ومقاتلتي قتال مصادمة . فإذا وقع ذلك عمدت إلى القيام بمعركة دفاع وهجوم .

إن نظام نابليون لمعركة مثل هذه مبني على عين القواعد الموضوعة لقتال التعرض المحض وتانك القاعدتان هما « الاقتصاد في القوة » والقوة العظمى » . اما القوة الصغرى فتستخدم في المدافعة المستكنة على اهم طريق لدنو معظم قوة العدو ، على أن تتحصن هذه القوة الصغرى وراء مانع من الموانع تحصناً منيعاً إذا استطعنا إلى ذلك سبيلا . ويتقوى كذلك موقع القوة الصغرى بالدهاء الذي يفرغه المهندس في تحصين موضعها مثل اعمال الميدان والقرى المحصنة وهلم جراً . ويجب أن تكون هذه التحصينات حجاباً امام موقع المدافعة على هيئة مواقع امامية . وكذلك يجب الحاق معظم المدفعية بالقوة الصغرى لزيادة مقدرتها على المدافعة .

وارى الافضل استخدام القوة الكبرى مع وضع الخيالة إلى جناحها الخارجي على وجه استخدامها في قتال التعرض ، واخفائها قبل القتال في الجناح الاقرب إلى خط رجعتي الطبيعي اي خط المواصلات بحيث اتمكن من استخدامها للتعرض[1] على قوة العدو الكبرى لأنه إذا كان العدو ملما بفنون التعبئة فلا بد من أنه يحيط بجناحي الاقرب إلى خط رجعتي الطبيعي . ففي معاركي التي كان احد جناحي فيها دائما مستنداً إلى دجلة لم يبق شك في أمر الجناح الذي يحيط به العدو إذا كان العدو متخذاً خطة التعرض وذلك الجناح هو بلا استثناء خط الصحراء .

وعندما تشتبك رؤوس ارتال قوة العدو الزاحفة على القوة الصغرى في القتال يقتضي قاعدة أن احمل بقوتي الكبرى على جناح العدو . وهذه الحركة خير وسيلة لاحباط هجوم الالتفاف المالي .

ولا يهمنا جداً إذا اتفق أن جناح العدو القائم بحركة التعرض التف حول

---

(١) بمعنى الهجوم .

الجناح المقابل للجناح المختص بخط رجعتنا الطبيعي لأن زحف ارتال قوتنا الكبرى وحده على جناح العدو المهاجم يشل على الفور كل الحركة التي يقوم بها ذلك المهاجم ويوقعه زحف ارتالنا المذكورة في الحيرة والارتباك وربما ادى به الامر إلى الهزيمة . وسيرى المطالع في كتابي هذا أنني قمت بهذه الحركة لقتال الساقة في ام الطبول في ١ كانون الاول السنة ١٩١٥ لما ادركني الترك فارغمت فجأة على مقاتلتهم قتال دفاع . فرتبت قوتي على الترتيبات التي وصفتها فاستخدمت لواء الجنود الراكبة ومدفعية الخيالة للقيام بهجمة معاكسة على جناح العدو المهاجم وعضدت هذا الهجوم بكل مدفعيتي . فتوقف العدو وتردد في امره ثم اركن إلى التراجع فتمكنت حينئذ من الانقطاع عن مقاتلة العدو والانسحاب بانتظام حسن .

ولا يخفى أن المباغتة في ايامنا هذه اصعب منالا مما كانت عليه في الايام السالفة نظراً إلى وسائل الاستكشاف الحديثة وهي الطائرات . ولكن مسيرات الليل تمكن القوى الصغرى المؤلفة من اربعين الف إلى خمسين الف مقاتل من مباغتة العدو المباغتة المطلوبة . وحتى إذا كانت القوة مؤلفة من مجموع جيوش تستطيع مباغتة العدو اكثر مما يخاله الكثيرون . وما رأي القارىء في حركة الالتفاف التي قامت بها القوة الالمانية باختراق بلجيكا إلى فرنسا عام ١٩١٤ بينما كانت قوة الالمان الصغرى متحصنة في المعاقل والخنادق في « الالزاس » و « اللورين » ؟ وسيعلم القارىء أن « السر جون نكسن » لم يتمكن من اعطاء النقلية البرية الكافية لنقل قوتي بـاسرها . ولما تفقدت المعدات المتيسرة لي الفيت الرتل « ب » بلا نقلية .

ولا نبالغ مهما وصفنا الخطر الذي ينجم عن انقاص النقلية البرية التي تقتضيها الحملات العسكرية . فكان لواء من الويتي الثلاث محصوراً على ضفة النهر لا يتمكن من الابتعاد عن النهر والسفن مسافة تربو على ثلاثة أو اربعة أميال نظراً إلى عدم تيسر النقلية لهذا اللواء . وهذا يذكرني برسالة الاحتجاج التي رفعها « ولنغتون » إلى « اللورد » كاسلريغ » عام ١٨٠٨ لما نزلت الحملة البريطانية التي

كانت اصغر من قوتي هذه إلى البر في البرتغال في خليج « منديغو » لمساعدة الشعب البرتغالي على طرد الفرنسيين من تلك البلاد . وقد كتب ولنغتون محتجاً : ـ « إن الحركات في هذه المنطقة جديرة باهتمامكم الشديد لأن كيان الجيش يتوقف عليها ولكن الاشخاص الذين بيدهم زمام ادارتها غير قادرين على ادارة امر من الامور خارج البناية التي يشتغلون فيها . وسارغم على ترك مدافع ، سبنسر ، ورائي لعدم توفر وسائل نقلها ولولا خيل ادارة الاعاشة الارلندية لارغمت على ترك مدافعي ورائي كذلك . فلا تفسح لاحد مجالا لحملك على تجريد حملة عسكرية الى اي ناحية كانت من نواحي اوربا بلا خيل لجر مدافعها » .

إن ديدن البريطانيين ارسال الحملات العسكرية إلى الخارج بلا نقلية وكانت هذه العادة عامة طول مدة حرب السبع سنوات على وجه التقريب وقبل ذلك بمدة طويلة ومن حروب شبه الجزيرة الاسبانية إلى يومنا هذا . وعندي أن سبب ذلك يعزى إلى كون الحملات العسكرية البريطانية على الغالب برية وبحرية في وقت واحد . مثال ذلك أننا كنا ننوي الاستيلاء على جزيرة من جزائر الهند الغربية أو الهجوم على بلدة واقعة على شواطىء اميركا الشمالية أو الجنوبية واحراق تلك البلدة . فلم تقتض تلك الحملة مسيرات إلى داخل البلاد أو حركات حربية لانجاز مهمتها . فكانت الحملة تنزل إلى البر أو كان العدو يطردها من الشاطىء عند نزولها . أو أن الحملة كانت تحمل على البلدة فتستولي على الميناء ثم تستولي على ذلك الثغر بالهجوم وإذا حبط الهجوم اسرع رجال الحملة إلى السفن واخذ كل من القائد وامير البحر يلوم احدهما الآخر بالتردد وغيره فتقلع الحملة لغزو محل آخر لا خوف عليها منه وربما كان ذلك المحل « بورتوريكو » أو « هافانة » أو « بونسيرس » . ولنا من التاريخ العسكري أن الذين ينفقون على الجيش هم على الاغلب اناس همهم كسب الفخار بالتقتير والبخل غير عالمين أن الاقتصاد الحقيقي ينحصر في توفير اسباب الكفاية . والارجح أن لا ميزة لهؤلاء غير بخلهم واعتقد أن هذه الحرب بالنظر إلى ساحة القتال في فرنسا هي الاولى في تاريخ الحروب البريطانية من حيث توفر الوسائل النقلية فيها ـ أي أن المال انفق فيها بلا حساب .

ونغيرت اركان فرقتي أو بالاحرى جرى فيها تعديل وتسوية منذ حركات العمارة والقرنة فقد ارتقى « غامبل » رئيس اركان فرقتي إلى رتبة « أمير اللواء » وحل محله الزعيم « ايفانس » من ضباط الهندسة[1] . وتعين الرئيس « بيل » من ضباط الجيش الهندي ضابط ركن من الدرجة الثانية وكان ضابط ركن من الدرجة الثالثة في حركات القرنة والعمارة . واصبح الرئيس « مورلاند » من فوج مشاة اوكسفور وبكس الخفيف ضابط ركن من الدرجة الثالثة وظل المقدم « دافي » من ضباط الجيش الهندي في منصبه وهو معاون مدير الادارة . وكان العقيد « جتي » من ضباط الجيش الهندي معاون مدير الميرة . وحل المقدم « غلكرايست » من ضباط الجيش الهندي الذي انتقل إلى اركان من اللواء الثامن عشر حيث كان رئيس ركن محل « استابلتن » من ضباط فوج مشاة اوكسفورد وبكس الخفيف وكان معاون مدير الادارة والميرة .

ولم يزل الزعيم « انسلي » معاون مدير الاعاشة كما كان في حركات القرنة والعمارة . وظل الزعيم « هيهر » معاون مدير الامور الطبية وكان مساعده المقدم « برون ميسن » من ضباط القسم الطبي في الجيش البريطاني وكان الرئيس « بيغ » من ضباط المدفعية البريطانية ضابط العينة . والمقدم « فوربس » من ضباط قسم الاعاشة والنقلية معاون مدير النقلية .

إن اعداد المعدات لسير القوة براً من اهم واجبات الاركان ولكن اعداد المعدات لزحف قوة زحفاً بعضه يتم براً وبعضه نهراً لمن اهم واجبات اركان الجيش التي تفوق غيرها شأناً . وقد قلت سابقاً أن النقلية النهرية والبرية التي كانت متيسرة لفرقتي كانت غير كافية . وكان ديدننا في هذه الحملة كما في الحملات السابقة وذلك أننا كنا نحاول صنع اللبن بلا تبن . ولا يخفى أن هواء البلاد غير الموافق للصحة جعل للتدابير والنظامات الصحية شأناً عظيماً وأن مهاجمة القوة التركية التي يقودها قائد مشهور مثل نور الدين باشا والمتحصنة في موضع اقوى من

---

(۱) وكان آمر هندسة الفرقة إلى هذا الوقت .

موضعي جعلتني اتوقع تكبد خسارة فادحة . وقد الفيت في الزعيم « هيهر » خير الاطباء واوسعهم خبرة . فكان صائب الرأي ولم يفكر في تحويل القوة المقاتلة إلى قطار مؤلف من حاملي نقالات المرضى ولكنه استفاد كل الاستفادة المستطاعة من قسم الاعاشة والنقلية لتوفير الوسائل لاعداد المستشفيات السيارة . ولكن ليس في استطاعة المرء أن يطلب المستحيل . ولو حاولنا أن نعطي مرضانا وجرحانا في العراق ما يعطي المرضى والجرحى في شمال فرنسا لما استطاعت حملتنا من تعدي البصرة أو القرنة في زَحفها شمالا . وقد قال لي « السر جون نكسن » لما طلبت اليه أن يمدني بالجنود في زحفي من العمارة لاستولي بتلك الجنود على الكوت : « عليك بأن تفصل ثوبك مما عندك من القماش » .

وبعد أن فرغت من وضع المنهج الذي اسلكه في اطعام جيشي الصغير وتعيين نوع الارزاق التي اعطيها لكل انسان وحيوان ومقدارها واعداد الوسائل لنقل المرضى والجرحى وتعيين مقدار الاعاشة والعتاد لكل جندي ومدفع انتهيت إلى امر من اهم الامور وهو تنظيم ما عندي من ١٣٠٠٠ مقاتل ووضع خطة الحركات التي اقهر بها العدو وابيده إذا استطعت إلى ذلك سبيلا . فقمت أنا وحدي بحل مسألة التعبئة العليا وسوق الجيش هذه ، ووضعت دائرة اركان الجيش العامة أو امري ومقرراتي في اوامر الحركات . ولكن نجاح حركاتي توقف على وجه قيام معاون مدير الميرة ومساعده ومعاون مدير الاعاشة ومعاون مدير الامور الطبية باعمالهم بمقدار ما يتوقف ذلك على خطط التعبئة وسوق الجيش التي رسمها . والاعمال التي قام بها هؤلاء الضباط الاركان لتسهيل زحفي إلى كوت الامارة ومن هناك إلى القرب من بغداد ثم ثباتي مدة خمسة اشهر في الكوت الواقعة على مسافة ٣٩٠ ميلا من البصرة والبحر تشهد لنفسها . ولا اتمكن من مدح هذه الاعمال بكلام ابلغ من بيان ما تم لنا بواسطتها .

وكان آمرو الالوية في فرقتي الضباط الآتية اسماؤهم : ـ

امير اللواء « ديلامين »	حامل وسامي « الحمام » و « الامتياز » قائد لواء المشاة السادس عشر

أمير اللواء « هوتن »	قائد اللواء السابع عشر[1]
الفريق الثاني « فراي »	حامل وسام « الحمام » ومن ضباط الجيش الهندي
	قائد اللواء الثامن عشر
أمير اللواء « سمث »	من ضباط المدفعية البريطانية .
	قائد مدفعية الفرقة السادسة

وكان آمر هندسة الفرقة عين آمر هذه الوحدة في حركات القرنة والعمارة وهو المقدم « ونسلو » من ضباط المدفعية البريطانية .

وكان آمروا الافواج في الفرقة السادسة الضباط الآتية اسماؤهم : -

اللواء السادس عشر :

فوج دورست الثاني	المقدم «ف. و. راد كلف »
الفوج البنجابي ٢٠	المقدم « ر. س. سانت جون »
فوج ولسلي لحملة البندقيات ١٠٤	العقيد « سي. ب. ل. كليري »
فوج مهرتة ١١٧	العقيد « هـ. ك. مكجورج »

اللواء السابع عشر :

فوج اوكسفور ويكس الخفيف الاول	العقيد «أ. أ. أ. ليثرج » حامل وسام «الامتياز»
الفوج البنجابي ٢٢	العقيد « ت. ج. بلويس جونسون »
فوج « مهرتة » الخفيف ١٠٣	العقيد « و. ه. برون »
الفوج ١١٩	العقيد « ج. ر. دارلي »

اللواء الثامن عشر :

فوج « نوفوك » الثاني	المقدم «ف. سي. لوج »
فرج راجبتس السابع	العقيد « هـ . و . بار »
لواء المدفعية ١٠	العقيد « أ. س. كليف »
البطارية ٦٣	المقدم « هـ. ب. سمث »
البطارية ٧٦	العقيد « ت. نيفنسن »
البطارية ٧٢	المقدم « هـ. ن. سانت جون مول »

---

(١) حل محل الزعيم « غامبل » من ضباط الجيش البريطاني الذي رقيته من ضابط ركن من الدرجة الاولى إلى رتبة آمر اللواء السابع عشر ولكنه مرض اثناء غيابي عن العمارة .

كتيبة هاريانة الرماحة السابعة	المقدم «ح. ب. أ. كاربيجي»
الكتيبة السادسة عشرة	المقدم سي. د. ميرز، حامل «وسام فكتوريا»

وقد بذلت كل ما في وسعي لسد نقص الصفوف بمقتضى قاعدة الاقتصاد في القوة. مثال ذلك عند وصولي العمارة سرت توا إلى دار النقاهة هناك لتفقد شؤونها. ولا يخفى أن معاهد من هذا النوع كثيرة التعرض لسوء الاستعمال إذا لم يسهر الذين بيدهم زمام الامور على تفقد شؤونها لأن المتمارضين يتهافتون على دخولها تهافت الجياع على القصاع. لذلك يقتضي أن يعهد بادارتها إلى ضابط عسكري رفيع المقام ينتقى على صورة خاصة للاشراف عليها بحيث يكون من ذوي الحزم والعزم والعدالة. وعلى قائد القوة أن يتفقد شؤون هذه المعاهد مراراً عديدة. ففي ٥ أيلول الفيت هناك نحواً من ثلاثمائة أو اربعمائة جندي قادرين على الالتحاق بافواجهم توا ولا يخفى أن هذا العدد كاف لترجيح كفة الميزان في المعركة. اما الباقون فكانوا غير قادرين بوحداتهم نظراً إلى ضعفهم ولكنهم كانوا قادرين على استخدام البندقية فجعلتهم حامية للعمارة حيث لا يقومون بعمل من الاعمال. وكان الجنود في العمارة قد تمرنوا على استعمال القنابل اليدوية وكانت الطائرات قد تمرنت على رمي المدفعية.

وكذلك اوصيت جميع آمري الوحدات ورؤساء الدوائر ببذل كل ما في وسعهم للاقتصاد في الجنود. فقلت لهم «أن كل جندي يستخدم في خط المواصلات ينقص من صفوف المقاتلين بندقية». اما للحاميات في كل موضع من مواضع خط المواصلات فامرت باستخدام الجنود النقه[1].

ويقتضي أن تكون هذه الحاميات على اقلها. لأن الاستفادة من الارض والاماكن المحصنة استفادة منطوية على الحذق والمهارة تعوض حتما عما ينقص القوة من الحجم.

ولم يعين لي مقر الجيش العام في البصرة سوى احدى عشرة باخرة ـ منها

(١) كان هذا دأب نابليون بلا استثناء. وكثيراً ما يكرر هذه الوصية في مراسلاته العسكرية.

سحابتان - وثلاث وعشرين « بارجة » « ومعونة » .ولم يكن بين « المعونات » سوى ثلاث لها سطوح لحمل الحيوانات عليها . وكانت احدى البواخر سفينة مستشفى واسمها (الموصل) وهي الباخرة التي غنمتها من الترك حين مطاردتي اياهم من القرنة إلى العمارة . وكان لدى المقدم (ونسلو) من ضباط الهندسة ست (مهيلات) فيها المدخرات على الوجه التالي : -

(المهيلة) الاولى :	فيها ارصفة لانزال الجنود إلى البر
(المهيلة) الثانية :	تحمل مواداً لمواضع الدفاع الواقعة على خط المواصلات
(المهيلة) الثالثة :	تحمل مواداً لمواقع الدفاع أو لاسكان الجنود في المعسكرات
(المهيلة) الرابعة :	فيها المواد المتفرقة
المهيلتان الخامسة والسادسة :	فيهما معدات قطار الجسور

ووزعنا اكياس « ويتلي » على جميع الافواج لنقل الماء إذا اقتضى الامر ذلك ولصنع الارماث والمقدار الذي تمكنا من الاستغناء عنه من الحبال .

وكان لدى الفرقة السادسة ٣٣٠ عجلة نقل و ٧٤٠ حيواناً وبذلت كل ما في وسعي للحصول على اكثر من ذلك لتتمكن قوتي الكبرى من القيام « بمناورة » التفاف واسعة النطاق في الصحراء . وطلبت إلى المقر أن يبتاع لي جمالا لهذا الغرض ولكن الجمال القليلة العدد التي حصلت عليها كانت هائجة فلم نتمكن من تدريبها لنقل الاحمال . وقد دهشت لهذا الأمر إذ أنني تخطرت ما خبرته في حملة النيل في الاعوام ١٨٨٥ و ١٨٩٦ - ١٨٩٨ .

ولما كانت الاوامر قدصدرت إلي بالقيام بتعرض واسع النطاق اقتضى ذلك استعداداً عظيماً من الجنود والتجهيزات والنقلية البرية والبحرية . واقول بالاختصار أنه كانت تنقصني جميع المعدات التي يتطلبها تعرض سوق الجيش . فكان عدد الجنود غير كاف للتعرض الذي يتطلب تفوقاً في العدد . ولم يتيسر لي مقادير كبيرة من القوات المعززة والذخائر والارزاق التي تقفو عادة اثر القوة المهاجمة . وكذلك لم اتمكن من تطبيق قاعدة السرعة على حركاتي وهي من الامور

الجوهرية التي يجب أن يقرن التعرض بها لعدم توفر الوسائل النقلية لقوتي . واقول هذا بقطع النظر عن خط مواصلاتنا الممتد على مسافات طويلة جداً مخترقاً بلاد العدو. ولنا من التاريخ العسكري أنه إذا اتخذنا خطة التعرض السوقي وكانت مصادر قوتنا ومعداتنا غير كافية لامدادنا ، حتى نبلغ الغاية القصوى التي نتوخاها ، انتهى بنا الامر إلى الفشل وإن كانت الخطة التي رسمناها لذلك التعرض من خيرة الخطط الحربية واشدها انطواء على البسالة والاقدام . ولنا من حروب « هانيبال » و « جارلس الثاني عشر الاسوجي » ونابليون عام ١٨١٢ امثلة تبرهن لنا صحة هذه النظرية . والمثال الأخر لهذا فشل مساعي اركان الجيش الالماني العامة سنة ١٩١٤ إذ أن الالمان اخطأوا في تقدير القوات والمعدات الكافية للقضاء على جيوش فرنسا والتغلب على ما بقي من قوة المقاومة في بلاد الفرنسيس . فقاعدة الاقتصاد في القوة تتطلب أن تكون القوة المعينة لساحة الحرب الثانوية على اقلها وأن تتخذ هذه القوة خطة الدفاع .

واعيد هنا رأيي الذي بسطته في ما مر وهو أنه بعد استيلائنا على العمارة والناصرية كان الامر يقضي علينا بأن نحصن موقعنا في ولاية البصرة على الوجه الذي بسطته على صفحات هذا الكتاب السابقة وذلك بتحصن القوة الصغرى تحصنا منيعاً في العمارة والناصرية والاحواز وبتحصن القوة الكبرى في الموقع المركزي وهي البصرة مع توفير وسائل نقل الماء الكافية لضم اي القوتين بالقوة الكبرى على جناح السرعة حينما تمسي تلك القوة الصغرى عرضة للخطر وبعدم اتخاذ خطة التعرض السوقي في العراق الا عند فوز الحلفاء في شبه جزيرة غاليبولي أو في فرنسا وهي ساحة الحرب الكبرى .

وتلقيت برقية من رئيس اركان الجيش في ٢٩ آب يطلب مني فيها أن ابسط له الخطة التي اسير عليها إذ اقتضى الامر مطاردة الترك لبغداد بعد معركة « السن » فاجبته أنني سأطارد الترك حينئذ بالاسطول النهري كما طاردتهم بعد وقعة القرنة وذلك أنني سأحاول أن اسد ابواب الفرار في وجه مفرزات العدو المتراجعة وابعادها عن النهر وامرت الفرقة بأن تتبعني بالسير براً بقيادة الفريق الاقدم الذي

يتلوني في القيادة . وربما وضعت قوتي في طيسفون (اي سلمان باك)[1] بينما ادخل بغداد بالاسطول النهري للاستطلاع واقوم بالعمل الذي تقتضيه الاحوال واخلص النساء الاوربيات المأسورات هناك . وربما استصحبت فوجاً ورشاشات في الاسطول النهري .

وطلبت من رئيس اركان الجيش أن يخفض حامية قلعة صالح التي كانت مؤلفة من فوج واحد فيجعلها سرية واحدة . وكانت هذه الحامية فوج « غركا » السابع من افواج الفرقة الثانية عشرة وقد اقترحت أن توضع هذه الحامية في العمارة حين زحفي ورأيت أن يكون خط المواصلات بين قلعة صالح والكوت تحت امرتي إلى أن تنتهي حركاتي .

ولم يصلني حتى ذلك الوقت اللواء الثامن عشر الذي كان ينقصه فوج « نورفوكس » وكنت اتوقع وصوله الحلة وكان قبلا معي بالحلة . لذلك بعثت برسالة خصوصية إلى « السر جون نكسن » في ٣١ آب بينت له فيها رغبتي في انضمام ذلك اللواء إلى باقي فرقتي على اسرع ما يستطاع . لأنه كان يحتمل انسحاب نور الدين باشا بقوته إلى طيسفون وعدم توقفه في « السن » فإذا انسحب من السن استأذنت المقر في مطاردته ومهاجمته في طيسفون . وقلت « للسر جون نكسن » أنني احث الضباط على الدوام على توخي الاقتصاد في القوة في توزيع القطعات على خط المواصلات لأن الاقتصاد أمر جوهري لا بد من مراعاته في هذا الشأن . ولأن التفريط في جندي واحد يعني خسارة بندقية في المعركة التي يتوقف عليها مصير البلاد باسرها . فكنت اخفض الحاميات في جميع المواضع فاجعلها على اقلها . وكل ما كان يقتضي لهذه المواضع تحصينات مغطاة ومسقوفة ومحمية من النار الجنبية والخلفية وميدان رمي مكشوف ومنبهات تنبه من تلقاء نفسها وخمسمائة اطلاقة لكل بندقية . مع ما يكفي من الطعام لمدة ثلاثة اشهر وماء في الموقع الذي توضع فيه الحامية عينه . وارى أن فصيلا واحداً يكفي لحماية موضع واقع على خط المواصلات .

---

(١) أن هذا الموقع يهدد مدينة بغداد غير المحصنة .

وكنت قد حولت العمارة إلى مركز تدريب للجنود فاصبحت كأنها « راولبندي » في الهند وكان الجنود منتشرون في جميع انحاء السهول الممتدة على ضفة النهر اليمنى وتفقدت في صباح ذلك اليوم شؤون اللواء السابع عشر اثناء « مناورة » الهجوم فسرني جداً ما شاهدته من أمر ذلك اللواء .

وخولت الزعيم « انسلي » باستخدام ثلاثمائة رجل لتفريغ الارزاق من السفن لأنه لم يكن لي بد من اكفاء الجنود المقاتلين عناء هذه الاشغال في ذلك الحر الشديد وهم على وشك الشروع في سير شاق جداً .

واسفرت مساعي لمنع تفريق القوة على خط المواصلات عن أن اعهد بحماية هذا الخط من العمارة إلى الكوت إلى الفرقة الثانية عشرة لكي تتمكن قوتي من لم شعثها للقتال .

اما في ما يتعلق بنقل الاطعمة إلى الامام فجعلت القدمة الاولى تحمل ارزاق عشرة ايام للقوة كلها والقدمة الثانية ارزاق عشرين يوماً والقدمة الثالثة ارزاق ثلاثين يوماً .

وفي اليوم الاول من شهر أيلول نشرت في الاوامر وجه توزيع الفرقة على الوجه الذي بسطته في ما مر من اجل تسهيل اوامر الحركات وسرعة تنفيذها واسكان الجنود في المنازل والمعسكرات . فقلت للزعيم « هيهر » معاون مدير الامور الطبية انهُ عليه بأن يحسب حساب الخسائر على معدل ٦ بالمائة وأننا سنحتاج إلى طبيب واحد لكل اربعين مريضاً .

وكان عندي لكل مدفع من مدافع لواء المدفعية العاشر ٦٠٠ اطلاقة ولكل مدفع من المدافع التي بعيار اربع عقدات وخمس عقدات والمدافع القصيرة ٣٠٠ اطلاقة ، ولكل بندقية من بندقيات المشاة كذلك ٣٠٠ اطلاقة . وبلغ مجموع المقاتلين في قوتي ١٠٢٧٥ مقاتلا مع ثلاثين مدفعاً . وقد استثنيت من ذلك « فوج الرديف هانتس » الذي تقرر بقاؤه في العمارة .

وكان قد وصل حينئذ احدى عشرة باخرة وخمس وعشرون « بارجة »

فشرعت في اليوم الاول من أيلول في نقل القطعات إلى علي الغربي لتجمع قوتي في موضع امامي . وقد كتب إلي المقر العام أن انتبه إلى تأخر زحفي مدة خمسة عشر يوماً نظراً إلى طلبي النقلية . ولما كنت قد طلبت اقل ما يستطيع المرء طلبه للمقاتلة به فصرت اقول ترى هل المقر العام يريدني أن افوز في القتال وأنا محبوس في السفن ؟

وقد صدرت إلي الاوامر الآن كما صدرت إلي في الحركات التي قمت بها من القرنة إلى العمارة بأن ارسم الخطة لحركة صعبة دقيقة وانجز تلك الحركة الوسائل المتيسرة لي للقيام بهذه المهمة غير وافية بالمرام على الاطلاق . وقد دونت في مفكرتي اموراً تتعلق بهذه الحركة وهي : « لا أحد يعرف ما أنا مزمع على القيام به في الزحف إلى الكوت . انما اعلم هذا وهو أنني لو كنت في محل نور الدين الباشا لالفاني القائد البريطاني متحصناً في موضع منيع متوغل في البر على مسافة سبعة أو ثمانية اميال ولعلمت بالاخبار التي يأتيني بها الجواسيس أن النقلية المتيسرة للبريطانيين قليلة ما عدا البواخر والسفن . اي أنني لو كنت في محل نور الدين باشا لتحصنت في موضع سوقي جانبي قبالة الخط الذي يزحف عليه العدو بطريق النهر والآن سأحاول تأليف نقلية حمير إذا تيسر لي ذلك » .

وقد بعثت إلى « السر جون نكسون » بالرسالة الخصوصية التالية إلى البصرة في ٢ أيلول ابث فيها شكواي من نقص النقلية : ـ

« إنني لآسف كل الاسف نظراً إلى كوني مرغماً على وضع خططي بمقتضى الوسائل النقلية النهرية والبرية المتيسرة لي . فالفت نظرك إلى البرقية التي بعث بها إلي كمبال اليوم صباحاً . فقد خفضت الوحدات فجعلتها على اقلها . ولدي من الجنود اكثر مما كان لدى اللورد ولسلي في حملة النيل عام ١٨٨٥ . فقد كلفتني بانجاز مهمة تنطوي على حركة من اصعب الحركات التي خبرتها مدة ثلاثين سنة قضيتها في الجندية واهمها . فمن ذا الذي يعلم ما خبأته لي الايام من الحركات التي اقوم بها في المستقبل ؟ ويحتمل أنني ادخل بغداد وربما كان ذلك بغير طريق

النهر[١] . وربما القيت نور الدين قد تحصن في موقع جانبي بالنسبة إلى خط الزحف بطريق النهر وذلك على مسافة بضعة اميال في البر لأنه لا بد له من العلم بقلة وسائلنا النقلية ما عدا السفن منها وذلك من الاخبار التي تأتيه بها دائرة استخباراته . فلو كنت محل نور الدين لفعلت هذا واوقعت القائد البريطاني في موقف حرج .

« وقد كتب إلي رئيس اركان الجيش يقول بأنني قد اخرت الحركات مدة خمسة عشر يوماً بطلب النقلية . فارجو أن يكون مازحاً في كلامه . وأوغل في مطاردة العدو إذا تيسرت لي نقلية البغال ولست مزمعاً أن اؤلف نقلية حمير أو عتالين ليحلوا محل ما ينقصني من البغال التي اطلبها . والآن اجمع قوتي في موضع امامي وهو علي الغربي . وتتألف مفرزة الستر من لواء ديلامين فهو الآن مرابط على الضفة اليمنى في علي الغربي لذلك تراني اجمع القوة على تلك الضفة . ومفرزة العدو المختلطة في « الشيخ سعد » هي كذلك مرابطة على الضفة اليمنى[٢] . وسنسير من هذه الضفة إلى الشيخ سعد ثم نقطع النهر إلى الضفة اليسرى . واذكر أننا لم نطارد العدو بعد وقعة الشعيبة لأن الوسائل النقلية لم تكن متيسرة لنا حينئذ وكذلك لم نطارد العدو بعد وقعة الناصرية لهذا السبب عينه على ما بلغني فاسفرت النتيجة عن أن الالفين جندياً تركيا الذين انهزموا من الناصرية انضموا الآن إلى قوة نور الدين في « السن » .

وجرت في ٣ أيلول مناوشة خيالة على مسافة تسعة اميال إلى شمال « علي الغربي » . وقد جرت هذه المناوشة بين سرية من سرايا الكتيبة الهندية الرماحة السابعة التي كانت تحرس الجماعة التي كانت تصلح التلغراف وبين مائتي خيال تركي . فاوفد « ديلامين » الفوج البنجابي الثاني والعشرين لعضد الخيالة ولكن الخيالة التركية انسحبت قبل وصول هذا الفوج .

---

(١) واعني بهذا أنه ربما قضت علي الاحوال بسير مسير أو مسيرات طويلة براً وأنا مبتعد عن النهر .

(٢) وأنا كذلك اوهمت نور الدين باشا بأنني كنت مزمعاً على الشروع في الهجوم من الضفة اليمنى .

وفي ٣ أيلول ابرقت إلى رئيس اركان الجيش طالباً منه أن يرسل إلي اربعين زوج بقر وخمس عجلات عتاد لأنني كنت عازماً على استخدام المدفعين الذين بعيار ٤ عقدات ومدفعين على الاقل من المدافع التي بعيار خمس عقدات على البر إذ أن هذه المدافع تشد ازر قوتي في القتال . وكان ٢٥ ثوراً من هذه البقر في القرنة و ١٦ ثوراً منها في العمارة والباقي وهو ٣٩ ثوراً منها فكانت في البصرة . وحملت إلي هذه الثيران قدمة السفن الاخيرة التي اقلعت راجعة من علي الغربي إلى العمارة لنقل مواد الاعاشة .

وفي ٢ أيلول تلقيت برقية بأن اللواء الثلاثين من الوية الفرقة الثانية عشرة تعين لحراسة خط مواصلاتي بين العمارة وكوت الامارة على الوجه التالي : ـ

في العمارة	مقر اللواء الثلاثين
	والفوج الاول من كتيبة مشاة «هانتس» الرابعة وجناح الفوج البنجابي ٢٤
في علي الغربي	جناح الفوج البنجابي ٢٤
في كوت الامارة	الفوج البنجابي ٧٦
	والفوج السابع من كتيبة مشاة « غركا » الثانية .

وتركت الحامية حينئذ « قلعة صالح » بناء على اقتراحي . وقد قلت في مفكرتي أنني كنت اتوقع أن اتمكن من الشروع في المعركة في ٢٣ أيلول إذ أنني حسبت نفسي قادراً على الزحف من « علي الغربي » . في ٢١ أيلول . وحسبت بأنه يجب أن يتيسر لي طعام يكفي لقوتي اربعين يوماً من يوم شروعي في القتال .

وفي ٣ أيلول ابرقت إلى امير اللواء « ديلامين » الذي كان حينئذ في علي الغربي بأن يشتري المقدار الذي يتمكن من شرائه من الارزاق المحلية ويجمع ما يتيسر له جمعه من وسائل النقل المحلية لأن مقر الجيش العام حرمني الحصول على البغال إذ كان يقصني ثلاثمائة بغل من البغال التي كنت محتاجاً اليها . فابرق الي ديلامين ينبئني بأنه قد ابتاع مائة جمل ومائة ثور وحمار وهذا يعادل ثلاثمائة بغل وهو المقدار الذي كان يقصني منها وأنه فضلا عن هذا طفق يبتاع الشعير والتبن . وانبأني كذلك أنه علم من الاخبار التي بلغته هناك بشأن ضفة دجلة اليسرى حول

(السن) أن البطيحة المرسومة على الخارطة موجودة هناك وأن عمقها على ضفة النهر اليمنى يبلغ ثماني عشرة عقدة . اما البطيحة المعينة على الخارطة والواقعة على ضفة النهر اليسرى فهي آخذة في اليبوسة ولكنه يشك في امر صلاحها لجر المدافع الثقيلة عليها وأن بين النهر والبطيحة مقدار ميل واحد فقط من الارض اليابسة .

وحينئذ وثقت من أن هذه البطيحة لا تحول دون قيامي بحركة الالتفاف التي عقدت العزيمة على القيام بها لأنني لم افكر قط في اخذ مدافع ثقيلة معي اثناء هذه الحركة . إذ أنني كنت قد عزمت على وضع مدفعية الفرقة ومنها المدافع الثقيلة على ضفة النهر لعضد القوة الصغرى والاشتراك في الهجوم على جبهة موضع العدو .

وبناء على الانباء التي تلقيتها بشأن نور الدين باشا وقوته في ٢٣ آب ظهر أن القوة التركية كانت مؤلفة من سبعة آلاف إلى ثمانية آلاف مقاتل مع ثلاثة آلاف خيال عربي . وكان الترك قد وضعوا ثمانية عشر مدفعا في « السن » . وكان نور الدين باشا قد اخذ في التحصن منذ اوائل شهر حزيران وقد استجلب مواد السكك الحديدية من صفائح وعوارض وكذلك استجلب خشبا من بغداد لتقوية مستحكمات ميدانه . وبلغنا أن الترك قد وضعوا مانعاً في النهر بين خطي الاستحكامات على كلا جانبي النهر . وقيل أن المانع كان مصنوعا من « مهيلتين » وثماني « بارجات » مربوط بعضها ببعض بسلسلة ومملؤة بالأجر والرمل . وكان المانع موضوعا في محل يصلح للملاحة في النهر ـ وعرض دجلة عند السن يبلغ نصف عرضه في شط العرب بالبصرة .

وكان على الضفة اليمنى ثلاثة خطوط من الخنادق الواحد وراء الآخر مع خنادق اخرى تقطع هذه الخطوط وهلم جراً . وكان على الضفة اليمنى استحكامات واحد فقط وكان لجناح مفتوحا إلى الصحراء[1] .

وكانت الارض مكشوفة وعلى الاغلب لا موانع فيها ولكن الحركات فيها إلى

---

(١) ولكن الاعداء كانوا منكبين على الحفر اليوم طوله ولا يخفى أن الترك يحفرون حفر الخلد على غاية السرعة . وكان موضع الضفة اليمنى قويا يوم الشروع في القتال .

شهر تموز صعبة على وجه عام . وكان لدى العدو جسر من قوارب يمتد من ضفة إلى الاخرى وكان هذا الجسر واقعا على مسافة كافية وراء خط الاستحكامات وخارج مدى نار المدفعية .

وبلغنا أن العدو يحفر الخنادق ويتحصن في موضع من المواضع الواقعة في طيسفون (سلمان باك) حيث كان قد وضع خمسمائة جندي . وقيل كذلك أن لدى الترك في بغداد ١٥ مدفعا ينوون تحصين الكوت بها .

وراجت الاشاعات بأن هناك قوات تركية على الطريق قادمة من الاستانة وحلب لتعزيز القوات التركية المحاربة في العراق ، ووصل في حزيران ٢٠٠٠ جندي من جنود الاناضول وفوج من حلب . وقيل أن جمال باشا عازم على المجيء من سورية إلى بغداد بفيلقيه .

وكان لدى نور الدين باشا ست بواخر نهرية وثلاثة زوارق بخارية .

وكانت طريق الصحراء من الكوت إلى العزيزية جيدة وكانت هنالك طريق مركبات ممتدة من العزيزية إلى بغداد .

وفي ٦ أيلول كتبت الرسالة الخاصة التالية إلى « السر جون نكسون » : -

« يخيل إلي أن قوة نور الدين باشا قد تعززت وقد زاد عدد مدافعها ولكنني لا اتمكن من الجزم بحقيقة الواقع قبل أن تقوم طائراتي باستطلاع موقع العدو .

« اما رأيي الخاص فهو اما أن تكون قوة نور الدين باشا ضعيفة فلا يتمكن من الزحف علي واما أنه يجهل فنون الحرب جهلا مطبقا . وبرهاني على هذا . إن الحالة كانت تقضي بأن لا يوفد ديلامين إلى علي الغربي بلا ترو حيث بات اقرب إلى قوة العدو منه إلى الفرقة التي ينتسب اليها .

« فلو كنت في محل نور الدين باشا لمحوت أثر قوة ديلامين . لأن المسافة المعينة بمقتضى قاعدة ستر القوة يجب أن تكون بمقدار مسيرين قصيرين أو مسير واحد اما في الانهر التي تمخر فيها البواخر فيجب أن تزيد معظم هذه المسافة على

عشرين ميلا . ولما عدت ورأيت ما تم لم يهدأ لي بال إلى أن ضممت اللواء السابع عشر إلى لواء ديلامين . ولا يخفى أن الكوارث تحل بالجيوش من جراء ارتكاب هفوات تعبيوية مثل هذه الهفوة . فإنني مستعد للمخاطرة بكل أمر عند اقتضاء الحال ولكنني لا ارتكب هفوات تعبيوية مثل هذه . فلا اخاطر هذه المخاطرة .

« واخاف أن تحسبوا زحفي بطيئاً ولكن لا بد من هذا البطء وانا مرغم على نقل الجنود والمدخرات بمقادير قليلة بذهاب النقلية وايابها عدة مرار لانجاز هذا العمل . ولا اعتقد أن عند نور الدين باشا ثلاثين مدفعاً . فإذا صح أن لديه هذا المقدار من المدافع لا يكون الامر سهلا علينا . وارى أن كل المدافع المتيسرة له لا تزيد على ١٨ مدفعاً ولكنني اسمع في كل يوم أن قواته في ازدياد . وعندما اصبح على مسافة تمكنني من مقاتلة نور الدين فثق بأنني سآخذه بخناقه .

وفي ٨ أيلول تفقد (هيهر) ضباط الصف والجنود البريطانيين الذين كانوا في طور النقاهة بالعمارة فاسفر تفقده عن اضافة ٦٧ مقاتل آخر إلى قوتي من البريطانيين و ١١٠ مقاتلين من الهنود .

ولما شاهدت معظم قوتي يشرع في الذهاب إلى علي الغربي حيث كانت تتجمع القوة قدمات تتألف كل قدمة من لواء محمول في السفن قفوت أثر تلك القوة في ١٠ أيلول مع اركان فرقتي على الباخرة مجيدية بقيادة الملازم (كولي) من ضباط البحرية . فوصلنا علي الغربي في ١١ أيلول الساعة الحادية عشر قبل الظهر فاخبرني ديلامين أن مفرزات العدو التي كانت مرابطة في بيت قنفذ قد تراجعت .

وكنت الآن قد جمعت كل قوتي على وجه التقريب في علي الغربي . ولم يبق في العمارة سوى البطرية الثالثة والستين من المدفعية وبطارية المدافع القصيرة على أنه ترتب نقل هاتين البطاريتين بالبواخر « والبارجات » لتنضما إلى قوتي في « الشيخ سعد » وكانت قوتي الآن مؤلفة من ١١٠٠٠ مقاتل مع ثلاثين مدفعاً هذا ما عدا اللواء الثلاثين من الفرقة الثانية عشرة الذي نويت استخدامه في القتال مع أنه كان معيناً لحماية خط المواصلات وما عدا البطريتين اللتين مر ذكرهما الآن واللتين تقرر مجيئهما من العمارة والتحاقهما بي .

فتألفت القوات التي تيسرت لي للقتال مما يلي : -

الفرقة السادسة (وهي مؤلفة من الالوية السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر) التي تعززت بعد ذلك بانضمام نصف لواء الثلاثين اليها بقيادة العقيد « كلايمو » حامل « وسام الامتياز » .

وتألفت قطعات الفرقة مما يلي : -

الكتيبة الرماحة السابعة (وكتيبة الخيالة السادسة عشرة بعد ذلك) .

وبطرية مكسيم من الفرقة الثانية عشرة .

ولواء المدفعية العاشر .

ورتل عتاد الفرقة .

والبطرية الخامسة من لواء المدفعية القصيرة الخامس .

والبطرية الثقيلة ٨٦ وعيار مدافعها ٥ عقدات .	محمولة
والبطرية الثقيلة ١٠٤ وعيار مدافعها ٤ عقدات	على
(الا حضيرة واحدة) .	البارجات

ومدفعان عيارهما دظ بونداً بمنزلة مدافع ثابتة .

وسرية الفنية ٤٨ .

وسرية مخابرة الفرقة ٣٤ .

وسريتا النسافة ١٧ و ٢٢ مع قطار جسارة .

وحضيرة نور الاستكشاف .

وسرية مخابرة الفيلق .

والمستشفيات السيارة ١ و ٢ و ١٠٦ .

وحضيرتان من مستشفى التطهير ١٩ .

واربعة مدافع على قوارب خيل عيارها ٧ ، ٤ العقدة .

والزوارق المسلحة « الكومت » « والشيطان » « والسمانة » وتعززت بعد ذلك بطائرتين بحريتين .

وطائرتان (وتعززتا بعد ذلك بطائرتين اخريين) .

وجهازان لاسلكيان يحملان على الدواب .

فبلغ المجموع ١١٠٠٠ مقاتل .

ونويت أن ازحف بالفرقة من علي الغربي في رتلين على الصورة التالية : -

الرتل (أ) اللواءآن السادس عشر والسابع عشر وبطريتان بالمسير براً على ضفة النهر اليمنى .

الرتل (ب) اللواء الثامن عشر ومدفعية الفرقة

ورتل عتاد الفرقة على

ورتل اعاشة الفرقة السفن

والمستشفى السيار

وفي ١١ أيلول استطلعت موضع الشيخ سعد في الزورق المسلح « الكومت » ومعي الضابط البحري الاقدم الرئيس « مكنتزي » من ضباط البحرية . وبعد اطلاق بضع اطلاقات انهزم نصف رعيل من خيالة العدو وساعدتنا رشاشاتنا الموضوعة على جسر المركب في حمل ذلك الرعب على الفرار . والفينا مفرزات العدو المختلطة التي كانت هناك للمحافظة على الامن قد اخلت الشيخ سعد ورجعت إلى قوة الترك العظمى في السن حين دنونا منها .

وتوقفت الفرقة في عطفة النهر في « مصندق » وكان الحر شديداً جداً لا يطاق لأن درجة الحرارة كانت تتراوح بين ١١٠° و ١١٦° بمقياس فهرنهيت في الظل وكانت الخسارة قليلة من جراء الحر اثناء السير الذي دام من الفجر إلى الساعة ٨:٣٠ صباحاً فقط . ففي ١٢ أيلول مرض من الحر ٦٧ جندياً منهم ٣٩ جندياً

بريطانيا مات واحد منهم و ٢٨ جنديا هنديا . وفي ١٣ أيلول مرض من الحر ٢٥ جنديا بريطانيا و ٩ جنود هنود وبعد هذا التاريخ لم يمرض أحد من الحر .

وفي ١٤ أيلول قام المقدم « ريلي » باستكشاف موضع العدو في السن بالطائرات بالقرب من كوت الامارة . فقطع مسافة ٢٨ ميلا ذهاباً أي أنه جاز الكوت مسافة ثلاثة أو اربعة اميال ـ واستغرقت سفرته ذهاباً واياباً ٥٦ ميلا . فعلمنا من الاستكشاف أن الترك هجروا خنادقهم ومعسكراتهم الواقعة على ضفة النهر اليمنى . وقد تمكن الراصد من مشاهدة محلات المدافع ولكنها كانت خالية من المدافع وشاهدت الطائرات معسكرات على الضفة اليسرى وكذلك شاهدت « معونات » وبواخر كانت في النهر هناك . وظهر بعد ذلك أن الاعداء كانوا قد اخفوا مدافعهم وكانوا قد وضعوا المشاة في خنادق مستورة حيثما شاهدوا الطائرات مقبلة نحوهم .

ولما بلغني هذا الخبر امرت باستكشاف جوي آخر وباستكشاف نهري يقوم به الاسطول على أن يتحرش قسم منه بالاعداء فيحملهم على اظهار مدافعهم لأنني كنت اعتقد بأن الاعداء كانوا قد اخفوا انفسهم عن اعين الراصدين الذين اوفدناهم . ولما عاد الاسطول من الاستكشاف الفيت الضابط البحري الاقدم مقتنعاً بأن قوة نور الدين باشا باسرها كانت مرابطة في « السن » وقد علم معاون الضابط السياسي (المقدم « ليجمان » من ضباط كتيبة مشاة « سكس ») أن الترك يحفرون الخنادق على خط يقطع البرزخ المتكون من الارض اليابسة بين بطائح « سواده » و « سويجة » في الطرف الشمالي من اطراف الموضع الواقع على ضفة النهر وقد وصل الترك ستة مدافع اخرى وبعض الخيالة . وقيل كذلك أن هناك بطيحة كبيرة واقعة على هذه الضفة . ولا يخفى أن هذا الموضع كان الجناح الذي نويت الالتفاف حوله بقوتي الكبرى .

وزحفت مرة اخرى في ١٥ أيلول إلى « ابي رمانة » الواقعة على مسافة نحو من ثمانية اميال من موضع العدو .

ولم يكن لي بد من الوقوف في هذا المحل انتظاراً لوصول البطرية الثالثة

والستين وبطرية المدافع النظيرة مع باقي الارزاق من العمارة . واقتضى نقل هاتين البطريتين مع الارزاق ارسال جميع السفن إذ وصلت السفينة الاخيرة من السفن في تلك الليلة . وكنت قلقا جداً لهذا التأخر الذي كنت احسب له الف حساب وكان سبب التأخير أن المقر لم يعطني العدد الكافي من البارجات ذوات الظهور .

وافرغ الاعداء كل جهدهم في حفر الخنادق وبذلك كانوا يزدادون قوة يوماً فيوماً . وبلغني أن نور الدين يقوي ميسرته القصوى ، وأن هنالك بطيحة واقعة على جناح العدو الشمالي (اي ميسرته) الامر الذي اشغل بالي جداً . وعند وصول الفرقة « ام الرمانة » جعلتها تعسكر في العراء على الضفة اليمنى . ونظراً الى عمق الماء اقتضى الامر أن يؤتى بالسفن إلى تلك الجهة لولا ذلك لعسكرت على الضفة اليسرى لأنه يتحتم علي العبور اليها من الضفة اليمنى قبل الشروع في القتال .

وكلمت المقدم « ريلي » في الامر وطلبت منهُ أن يقوم باستكشاف جوي آخر وكذلك امرت الخيالة أن تقوم بالاستطلاع لمعرفة مساحة الارض اليابسة الممتدة بين البطيحتين وللبحث عن الخنادق التي قيل أن الترك كانوا يحفرونها في هذا المحال . والمقدم « ريلي » من اجرأ الطيارين وللبحث عن الخنادق التي قيل أن الترك كانوا يحفرونها في هذا المحال . والمقدم « ريلي » من اجرأ الطيارين واقدرهم وقام بخبر استكشاف من الشيخ سعد وعلم أن الترك ليسوا على الضفة اليمنى بل على الضفة اليسرى وأنهم متحصنون تحصناً منيعاً في الخنادق الممتدة من ضفة النهر في الجهة الشمالية الغربية

وكان نور الدين باشا قد وضع على الضفة اليمنى قوة صغرى في خنادق امتدت مسافة ميلين ونصف ميل وكانت محفورة على موازاة ترعة قديمة . وقد صنعوا جسراً من القوارب يقطع النهر ويصل هاتين القوتين احداهما بالاخرى وكان النهر قد فرق بينها .

وفي ١٦ أيلول اسفنا غاية الاسف لخسارة طائرة وضابطين وقد رأى الاسطول هذه الطائرة تنزل بالقرب من خنادق الترك حيث اصلاها العدو ناراً حامية من بندقياته . وشوهدت الطائرة تنزل لاول مرة وهي على ارتفاع ٤٥٠٠ قدم . ولما طارت فوق خنادق العدو على الضفة اليسرى انهال عليها وابل الرصاص وشوهد نحو من ثلاثمائة أو اربعة مائة جندي هرعوا من الخنادق التي كانوا مختفين فيها واحدقوا بالطائرة عند نزولها إلى الارض . وقد نزلت من غير أن تتحطم . واخذت السفن على الفور تصب النار عليها وانبطح الجنود على الارض . فكتبت إلى القائد التركي رسالة بعثت معها نقوداً وملابس لضابطي الطائرة لأنني حسبت أنهما لم يزالا على قيد الحياة وانما فعلت ذلك ثقة مني بكرم نور الدين باشا وبروح الالفة التي كانت حلقاتها في السابق مستحكمة بين الضباط البريطانيين والترك ولكن ويا للاسف كانت تلك الروح آخذة في الزوال حينئذ من جراء دسائس الالمان .

وانجز المقدم « ريلي » الاستكشاف الجوي الذي اوعزت اليه باجرائه على غاية ما يرام . وكانت المراكب المسلحة تعضده فعاد بعد أن انجز عملا مفيداً جداً وهو أنه جاء بخارطة رسمها وبتقرير مفصل عما استكشفه . ودل ظهور خيام عديدة على تعزيز القوات التركية . وامتدت خطوط متاريس العدو وخنادقه ومعاقله على مسافة ١٢ ميلا وكانت هذه الخطوط على نظام خطوط دفاع « طورس فدراس »[1] وعلى احدث طرز امتدت على كلتا ضفتي النهر . ولم اتحول عن الخطة التي رسمتها للهجوم على العدو لأن المجال على الارض اليابسة كان يكفي لقيامي بحركة التفافية على ميسرة الترك .

وعلمت من استكشاف الخيالة أن الارض بين البطيحتين كانت صلبة وصالحة للحركة وكان عرضها ميلين وكانت الطريق المؤدية إلى هذا الممر من قرية النخيلات كذلك جيدة وصالحة لحركات ثلاثة اصناف من صنوف الجيش .

---

(١) بلدة واقعة شمال لشبونة عاصمة البرتغال حيث أنشأ ولنغتون خطوط دفاعه المشهورة عام ١٨١٠ .

وفي ١٧ أيلول ابرقت إلى قائد الجيش اصف له النتيجة التي اسفرت عنها الاستكشافات . فبينت له أن موقع الترك هائل جداً وأنني مزمع على استخدام فوجين من افواج اللواء الثلاثين على خط المواصلات بين علي الغربي والفرقة السادسة وذلك بمنزلة تعزيز للقوة لأن جميع الاخبار التي تلقيتها تنبئني أن قوة نور الدين باشا قد تعززت بنجدات قوية فلم يبق شك في أن موقع الترك اقوى جداً من المواقع التي صادفنا إلى الآن في محاربتنا . لذلك احتاج إلى كل جندي اتمكن من الحصول عليه . فاجيب طلبي واعطيت نصف اللواء الذي طلبته وكان آمره الزعيم « كلايمو » الذي افادني فائدة جلى في وقعة القرنة .

وفي ١٨ أيلول امرت بتحصين المعسكر الذي عسكرت فيه القوة في العراء تحصيناً خفيفاً بحيث يصبح في الواقع معسكراً محصناً . وبهذه الواسطة اقتصدت في الستارات أو مفرزات حراسة القوة ولم اضع سوى حضائر حراسة صغرى في المنافذ التي يحتمل دنو العدو منها . وقويت المفرزة التي سقتها إلى الضفة اليسرى مراعياً في ذلك الاصول المتعلقة برأس الجسر وانشأت طريقاً جيدة تتجه نحو العدو على الضفة اليمنى لاخدعه في أمر الجهة التي انوي الهجوم عليه منها .

ويرى القارىء أن القوة كانت الآن قد انقسمت إلى قسمين للشروع في القتال وهي القوة الكبرى والقوة الصغرى . وذلك منذ اللحظة التي تحركت فيها من علي الغربي مع أنني لم اذكر ذلك في الاوامر .

فاصدرت الاوامر بحل « الجماعات » أو « مناطق الالوية » التي كانت قد تألفت من اجل السكن في المعسكرات وذلك عندما تزحف القوة من هذا المعسكر لأننا كنا قد صرنا على مسافة تمكننا من مقاتلة العدو . وكذلك اصدرت الاوامر إلى آمري الالوية بأن يؤمروا آمري الوحدات بأن لا يسمحوا لغير حاملي النقالات بنقل الجرحى الذين يسقطون في ميدان القتال . وقلت في هذا الصدد أنه من اهم الامور الجوهرية لخير الجرحى دون غيرهم أن نفوز في المعركة وكلما قل عدد الجنود الذين يخرجون من الخط الامامي للاعتناء بالجرحى زاد املنا في احراز النصر . إلى أن قلت أننا رأينا احياناً أن الكثيرين من الجنود كانوا يخرجون من صفوفهم اثناء

القتـال ـ لا سيما في وقعة الشعيبة ـ لنقل الجرحى إلى الوراء الامر الذي كان يتهددنا بسوء المغبة في القتال . وهذا خطأ فاحش لا يصح السكوت عنهُ وإذا تكرر وقوعه فالتبعة في ذلك واقعة على آمري الوحدات . ولا يخفى أن كثيراً ما تقع حوادث مثل هذه اثناء القتال يصعب على المرء تلافيها إلا إذا شدد النكير على الآمرين كل التشديد . ونرى على الدوام مقادير كبيرة من الجنود يخرجون من صفوفهم ويذهبون إلى الوراء بحجة العناية بالجرحى ولا يعودون إلى مواضعهم مرة اخرى . ويتخطر الواقفون على التاريخ العسكري أن الفريق « كولن كامبل » في وقعة « الما » صرح على رؤوس الاشهاد « للواء الجبلي » أن كل جندي يخرج من صفه بحجة اسعاف الجرحى يعلق اسمه على جدران قريته في الوطن في قائمة اسماء الجبناء . وكان « كولن كامبل » جنديا حنكته حروب شبه جزيرة اسبانية وعلم كل العلم الخطر الذي ينشأ عن هذه الهزيمة من خط القتال .

واوعزت إلى معاون مدير الميرة بأن يبلغ الضابط البحري الاقدم وقت اقلاع جميع السفن من علي الغربي شمالا لكي يوفد الضابط البحري الاقدم مركباً مسلحاً لملاقاة تلك السفن وحراستها عندما تمر بعطفة النهر عند « خرابات عورة » .

ولما انجز المقدم « ريلي » استكشافه وخارطاته حصلت على العلم الوافي الدقيق بترتيبات العدو . فاصدرت اوامر القتال إلى امراء الالوية والضابط البحري الاقدم وفي ذلك الوقت عينه امرت اركاني بأن يضعوا اوامر الادارة التي تربط باوامر القتال بحيث تتضمن الاوامر المتعلقة بشؤون النقلية البرية والمائية واعداد المعدات للعناية بالجرحى . ورأيت أن الضرورة تحتم علي اصدار هذه الوصايا العامة لأنني لم اتول أمر تدريب الفرقة تدريباً تعبيوياً اثناء السلم بل تسلمت زمام قيادتها ابان القتال . وقد نشرت هذه الوصايا بكاملها في ذيل القسم الثاني من هذا الكتاب ويظهر منها شدة تمسكي بقواعد الحرب التي بسطتها في الفصل الاول .

وقد مكنني الاستطلاع الجوي الذي قام به المقدم « ريلي » خير قيام من

الحصول على معرفة تامة بشأن العدو وخارطة دقيقة لموقع العدو وخنادقه وكانت جميعها على احدث الاساليب من خنادق رمي وخنادق رمي كبرى وخنادق رمي جنبية وطرق مواصلات . وكان خط دفاع العدو على الضفة اليسرى بين « بطيحة سوادة » وبين نهر دجلة اقوى جميع الخطوط كان محمياً كل الحماية بالاسلاك الشائكة وغيرها من الموانع . وكنت قد نويت مهاجمة هذا الخط بالقوة الصغرى التي تتحرك من قرية « النخيلات » .

وكانت ميسرة نور الدين باشا القصوى التي نويت أن افيض عليها سيل قوتي الكبرى الجارف مؤلفة من خنادق ليست بقوة الخط الكبير المذكور الذي افرغ الترك كل مجهودهم في انشائه . وكان بين هذا الخط الصغير والخط الكبير فرجة عرضها الفا يرد متكونة من بطيحة « السوادة » . والظاهر أن نور الدين باشا لم يحلم قط بأنني سأهاجمه بحركة التفاف واسعة على مسافة تربو على ستة اميال من النهر وسيرى القارىء أنني باغت العدو كل المباغتة بهذه الحركة . فنور الدين كان يتوقع مني أن اقوم بالحركة التي تعودت القوات البريطانية على القيام بها اي النزول من السفن والزحف في رتلين على كلتا ضفتي دجلة والقيام بهجمتين منفصلتين . وكان واثقاً كل الثقة من النصر وهو متحصن في موضعه المنيع . فلو هاجمته على ما كان يتوقعه مني لانكسرت شر انكسار لأن خنادقه كانت منيعة جداً ولكنني لم افسح له مجالا للانتصار علي بقيامي بالحركة التعبيوية التي كان يتوقعها مني . وكنت مرتاحاً كل الارتياح لأنني الفيته يفرق جانباً عظيما من قوته بوضعه على ضفة النهر اليمنى . ولما كنت عالما بالجسر الذي يصل احدى قوتيه بالاخرى نويت القيام بمظاهرة بقوتي الكبرى لايهامه بأنني مزمع على مهاجمة موقعه هناك ثم انقل قوتي الكبرى سراً تحت جنح الظلام فاقطع النهر إلى الضفة اليسرى بجسر من القوارب اضعه إلى شرق « النخيلات » وهذا سيكلفني السير ليلا إلى العتبة مسافة ستة اميال إذ تدور القوة إلى الجهة الغربية مارة على كلا جانبي بطيحة « العتبة » وحينئذ احمل على ميسرة العدو ومؤخرته وادور جنوباً والتف حول خطه وانا زاحف إلى جهة دجلة . والذي جعل نور الدين يتصور أنني كنت مزمعاً على مهاجمة كلتا الضفتين هو عسكرتي على ضفة النهر اليمنى في « الصناعيات » وقد فعلت ذلك لاخدعه

فانخدع . ومما ساعدني على هذه الخدعة المظاهرة التي قمت بها على الضفة اليمنى في جهة السن بقوتي الكبرى يوم ٢٦ أيلول . وهذا حمل نور الدين باشا على سوق احتياطه العام من الضفة اليسرى على جسر القوارب إلى الضفة اليمنى . وقد ظهر لنا أنه لو كان احتياط العدو العام وراء ميسرته في الوقت المطلوب ـ وكان ذلك مستطاعاً لو ظل الاحتياط العام على الضفة اليسرى ـ لردت حركة ديلامين الالتفافية . وقد صدر العدو قوة ديلامين برهة فمرت علينا ساعة أو ساعتين حرجتين جداً قبل أن تمكن ديلامين من الالتفاف حول ميسرة العدو .

ولم يكن عندي عجلات ماء ولا نقلية برية كافية لحمل ماء الشرب للقوة الكبرى . وكان أمر هذه الصعوبة خطيراً لأن جنود « ديلامين » لم يتمكنوا من شرب ماء بطيحة « سوادة » الذي قالت فيه الخيالة المستكشفة أنه مالح ولكنه يشرب عند الضرورة . وقبل أن يتمكن اولئك الجنود من وصول ضفة النهر تلك الليلة قطعوا في سيرهم مسافة لا تقل عن ١٨ ميلا وهم يقاتلون العدو قتالا شديداً وكان سيرهم هذا في الواقع بلا ماء للشرب والشهر أيلول .

ووقعت مناوشة خفيفة مرة أو مرتين بين دوريات خيالتنا الهندية وبين فرسان العرب لما كنا في « أبي رمانة » . وفي ذي ليلة اطلق علينا العدو القنابل من مدفع خفيف موضوع على مركب صغير ودام اطلاق القنابل علينا بضع دقائق ولكنه لم يلحق بنا ضرراً .

وتأثير السراب في الصحراء لمن الغرابة بمكان . فبلغني ذات صباح بينما كنا معسكرين في العراء في « الصناعيات » أن ارتال العدو تدنو منا من الجهة الجنوبية الغربية . فارتقيت برج الرصد فشهدت شبحاً ظهر كأنه خط ارتال منظمة على مسافة تقارب ستة اميال . فامرت جميع القطعات بالتسلح على الفور حتى أنني امرت القوة الكبرى بالحركة للهجوم على جناح العدو . ولكن لم يكن ما ظهر لنا سوى سراب ! وقد شاهدت السراب في صحارى مصر والسودان مرات عديدة ولكنني لم اشهد سراباً في الغرابة بمكان مثل هذا السراب ومع المامي بجميع انواع السراب خدعني ما شاهدته هنا من ذلك .

ولم اصدق نظري لما شاهدت ما ظهر لي بجلاء ظهور الارتال . فقلت « أنني لا اعتقد أن الحماقة بلغت من نور الدين هذا المبلغ حتى يترك موقعه المنيع الذي اشتغل هو وجنوده في تحصينه منذ استيلائي على العمارة ويقابلني في ارض مكشوفة لاقهره ! » وطفح حينئذ قلبي بالجذل والحبور لأنه ظهر لي أن نور الدين باشا حاول أن يجرب حظه فيقاتلني في ميدان مكشوف حيث لا شيء يعينه في حركته .

وفي هذه الاثناء التقيت كثيراً بمطران لاهور الذي اذن له « السر جون نكسون» ليأتي إلى الجبهة ويشاهد القوة . وكان مقيما في باخرة المستشفى « الموصل » وتناول طعام العشاء عدة مرار معي في الباخرة مجيدية وسرني حديثه جداً . ولم التق بانسان غيره مهتم اهتمامه بالوقوف على حقيقة الخدمة الفعلية وهو من احب الرجال إلى الناس واشدهم جاذبية للغير . فكان كأنه مرافق لي وكان يشتغل في زورق بخاري وينقل الجرحى من الرتل « ب » إلى باخرة المستشفى ويخاطر بحياته تحت وابل المقذوفات النارية فعرفت فيه رجلا مقداماً صالحاً واصبحت ممتنا منه وذكرته في البرقيات .

وتأخرت صباح ٢٥ أيلول انتظاراً للبطرية الثالثة والستين ولبطارية هانتس القصيرة الخامسة لأنني لم أشأ أن ازحف بلا تينك البطريتين لأنني كنت اعد كل بطرية منهما وحدة جوهرية من وحدات قوتي فلا بد لي منهما واردت على صورة خاصة أن يحصل « ديلامين » على المدافع القصيرة لطرد العدو من الخنادق التي كانت في ميسرة نور الدين القصوى . ولم أشأ أن ازحف قبل وصول تينك القطعتين مع علمي بأن قوة نور الدين كانت تتعزز بلا انقطاع بالنجدات الصغيرة[1] التي كانت تصله كما أنه قيل لي أن الحالة السياسية في ايران تقتضي فوزنا في القتال . ولكنني لم أشأ أن اعبث بقاعدة الاقتصاد في القوة لسبب من الاسباب السياسية . وفي ٢٥ أيلول وصلت تانك البطريتين فاصبحت متأهبا للزحف . لذلك اصدرت اوامر الحركة للقتال وكانت تلك الاوامر تنفيذ ما جاء في

(١) اسرنا ضابط خيالة تركي ومراسل اثناء استكشاف قمنا به في هذه الاثناء فعلمنا من ذلك المراسل أن قوة نور الدين باشا تبلغ خمسة عشر الف مقاتل .

الوصايا العامة التي اصدرتها إلى جميع أوامر الالوية والضابط البحري الاقدم ولهذا السبب عينه نشرتها في ذيل القسم الثاني من هذا الكتاب .

وكان « السر جون نكسون» قد افصح عن عزمه على مشاهدة المعركة . فتلقيت برقية من رئيس اركان الجيش من العمارة وتاريخها ٢٠ أيلول يطلب فيها أن انبئه بيوم شروعي في مهاجمة نور الدين لأن « السر جون نكسون» يرغب في أن يكون هناك . إلى أن قال رئيس اركان الجيش « أن السر جون نكسون لا ينوي البتة التعرض للخطط التي رسمتها انما إذا اقتضى الأمر تسوية المسائل المتعلقة بالخطة الحربية العامة الناشئة عن هذه الحركة فهو يرغب في حلها في محلها . فما اليوم الذي تعينه لمجيئه إلى الصناعيات ؟ » وكذلك طلب رئيس اركان الجيش مني أن ابعث بمركب حربي لحراسة « السر جون نكسون» .

فاجبته أنني عازم على الشروع في الهجوم في ٢٥ أيلول ويستحيل علي الشروع في الهجوم قبل ذلك اليوم وارى الافضل أن يحضر « السر جون » في ٢٤ أيلول فاجابني رئيس اركان الجيش على هذه البرقية بأن « السر جون نكسون » لا يرغب في حملي على الاسراع في تنفيذ خطتي بوجه من الوجوه .

وفي ٢٢ أيلول تلقيت برقية صدرت في هذا اليوم عينه من « السر جون نكسون » ينبئني فيها أنه ابرق إلى وزارة الهند ينبئها بأن الفرقة السادسة قامت في مدة احد عشر شهراً مضى بخمس معارك وهي اليوم مزمعة على الشروع في المعركة السادسة وأنه قد اقترح مكافأة الضباط البريطانيين ببرقية بعث بها إلى انكلترا قبل شهر سائلا الوزارة هل تتمكن من نشر أمر هذه المكافأة في وقت قريب . فتلقى « السر جون نكسون» جواباً على برقيته جاء فيها « أن وزير الهند يقدر الخدمة الجلية التي قامت بها الفرقة السادسة كل التقدير ويؤمل أن الجريدة الرسمية تنشر أمر المكافأة على صفحاتها في وقت قريب وفي الوقت عينه يرجو لاولئك الضباط التوفيق التام بحيث يفوق نصرهم هذه المرة جميع انتصاراتهم السابقة ويؤيد لهم قوله أن الحكومة لن تنسى الخدمة التي قاموا بها » .

وعند تلقي هذه الرسالة نشرت البلاغ التالي على القطعات : ـ

« إن وزير الهند قد ابرق إلى « السر جون نكسون» برسالة يفصح فيها عن رجائه فوزاً مبيناً عاجلا للفرقة السادسة تتوج به جميع انتصارات هذه الفرقة السابقة ويؤ يد لهذه الفرقة قوله أن الحكومة لن تنسى خدمة الفرقة السادسة .

« فالفريق الثاني طاونزند ـ وهو ينشر هذه الرسالة على الجنود ـ يقول أن الفرقة خاضت خمس معارك في مدة احد عشر شهراً مضت واكتسبت بذلك شهرة في العاهلية ليس فوقها شهرة سواء كان ذلك على ضفاف ، الايزر ، في ، فلاندرس ، ام على ضفاف دجلة والفرات في العراق .

« ولا يرى الفريق طاونزند حاجة إلى حمل الجنود على تخطر الامور التي يتوقعها منهم ملكهم وبلادهم ويؤمل في أن الضربة القاضية التي ينزلونها الآن على رأس العدو تؤ ول إلى ختام مساعيهم في العراق » .

وقد دونت في هذا التاريخ في مذكرتي أن قوتي بلغت ١١,١٠٣ مقاتلين ويشمل هذا مفرزة مؤلفة من ٧١١ مقاتلا في طريقهم قادمين من العمارة الذين يصلون في اليوم التالي أو نحوه . ومن هذه القوة ٣١٤٨ مقاتلا بريطانيون و ٧٩٥٥ مقاتلا هنود . ومن الجنود البريطانية بلغ فوج دورست الثاني ٦٤٠ مقاتلا وفوج نورفوك الثاني ٦٦٠ مقاتلا اوكسفورد وبكس الخفيف ٧٥٦ جنديا مقاتلا . ووصلتنا في ٢٤ أيلول طائرتان بحريتان مع قنابلها ووصل « السر جون نكسون» مع معظم اركانه على الباخرة « ملامير » فاخبرني أنه تلقى برقية من القائد العام في الهند يأمره قائلا « لا تتعدوا كوت الامارة » ويهمني أن اذكر هذا الامر هنا نظراً إلى حديثي مع السر « بيجام دف » في « سملة » وقد رويت خبر ذلك الحديث في الفصل الخامس من هذا الكتاب (وبناء على ذلك جرى التساؤ ل ترى ما الذي حمل السر بيجام دف على العدول عن رأيه ؟ ومن اقنعه بذلك ؟

الفصل الثاني

معركة كوت الامارة

في صباح ٢٦ أيلول باكراً جداً شرعت القوة في تنفيذ الاوامر التي اصدرتها لحركات القتال التمهيدية فشهدت كل الحركات تجري على ما يرام فالرتل « ب » نزل سالماً من السفن إلى الضفة اليسرى تحت « النخيلات » ووضعت المدافع الثقيلة في مواضعها بمقتضى الوصايا العامة التي اصدرتها . وسرعان ما شرع الجنود في انشاء جسر القوارب . وكان الرتل « أ » عند تلال « كحيله » الرملية على الضفة اليمنى متأهبا للقيام بمظاهرة على تلك الضفة لخدعة العدو . وكان الرتل « ب » عازماً على الزحف ليلا في ٢٦ أيلول على الضفة اليسرى نحو موضع العدو ليتخذ له موضعاً يجتمع فيه تحت جنح الظلام بحيث يتحرك من هناك لمهاجمة موقع العدو الكائن بين بطيحة « سوادة » وبين ضفة دجلة . ووضعت الفنية الثامنة والاربعين المدافع الثقيلة في المواضع المعينة في « الوصايا العامة ٨ حيث لا حاجة إلى نقل تلك المدافع من هناك لأن مسافة ٤٥٠٠ يرد إلى ٥٠٠٠ يارد من خنادق العدو ومتاريسه وهذا مدى كاف للمدافع التي من عيار اربع عقدات وخمس عقدات لعضد المشاة العضد المطلوب حين دنوهم من العدو على مسافة كافية للحمل على خنادق العدو . وانشأ لي جنود النسافة برجاً للرصد وراء موضع المدفعية . وقد بنوه على جناح السرعة من الخشب الخفيف ولا بد لي من القول أن مرصدي هذا كان كثير الاهتزاز وخطراً جداً .

ولما غيم الغسق تقدم الرتل « ب » واتخذ له موضعاً اصبح فيه على اهبة الهجوم مستفيداً من خلجان الماء اليابسة واخاديد الارض التي كانت موجودة بكثرة

على ضفة النهر . وكان « فراي » قد نشر الرتل « ب » على جبهة اتساعها نحو من الف يرد على ما اوعزت اليه به .

وبدأ القتال في صباح ٢٧ أيلول وقام الرتل « أ » بمظاهرته في جهة « السن » على الضفة اليمنى ، اما الرتل « ب » - وكان القوة الصغرى - فلم يعتم أن شرع في مقاتلة العدو قتالا شديداً . فطفقت حينئذ جميع المدافع التركية الموضوعة على خط بطيحة السوادة و « سادل باك هل » ودجلة تصب نيرانها على الرتل « ب » اثناء تقدمه وكانت تعضده المدفعية الثقيلة . وكان « فراي » قد نفذ الوصايا التي صدرت اليه بحرفها وفي المساء دفع خط نيرانه إلى الامام حتى اصبح على مسافة نحو من ثمانمائة ياردة من خنادق العدو .

ولما خيم الغسق طفقت ارصد الرتل « أ » وهو يقطع النهر من الضفة اليمنى إلى الضفة اليسرى . ولما وصلت قطعات هذا الرتل الضفة اليسرى استأنفت سيرها في رتل المسير في الصحراء لقيام القوة الكبرى بحركة الالتفاف . ولما خيم الظلام انسحبت مفرزة الرتل « أ » المختلطة وقطعت النهر إلى الضفة الاخرى على الجسر وكانت هذه المفرزة قد قامت بمظاهرة على الضفة اليمنى في جهة السن بمنزلة مقدمة القوة الكبرى التي كانت وراءها وحفرت لنفسها خنادق بعد الظهر لتزيد العدو انخداعا . وعلمت أن عريفاً هنديا وجنديين أو ثلاثة جنود من الفوج البنجابي العشرين فروا من هذه المفرزة والتحقوا بالترك . فساءني هذا الخبر كل الاساءة لأن العدو سيقف منهم على أمر الحركة التي تقوم بها القوة الكبرى ولكنني كنت اتمنى أنهم لا يقابلون نور الدين باشا قبل الصباح التالي وحينئذ لا يبقى مجال لنور الدين باشا لتغيير ترتيباته تغيراً يفيده[1] .

وسرت ممتطياً جواداً إلى برج الرصد غرب النخيلات وكان الظلام لم يزل مخيما . وعند بزوغ الفجر قام الرتل « ب » بهجمة مراعيا في ذلك الوصايا الصادرة

(١) والحقيقة أن نور الدين باشا لما علم بهذا الخبر لم يصدقه . فعقد مجلساً مؤلفا من ضباطه الكبار وحسب فرار هؤلاء الجنود خدعة مني لأغريه بذلك على نقل جنوده إلى الجناح الايسر .

اليه . فظهرت هذه الهجمة كأنها هجمة فاصلة نظراً إلى مقدار نارها وشدتها . ولكنها لم تكن في الواقع سوى حركة مصطنعة الغاية منها مشاغلة العدو والهائه في هذا الموضع على صورة خاصة . وكان طول الجبهة يتراوح بين الالف والالفين يارد بحيث يزيد طولها هذا زيادة كثيرة على طول جبهة اللواء الاعتيادية . وكذلك اتيت إلى هذا المحل بعجلات نقلية كثيرة العدد وغيرها كانت تسير عن بعد وراء الرتل « ب » لايهام العدو بأن معظم قوتي تترقب الفرصة لعضد هذا الرتل في زحفه[1] . ووصل « السر جون نكسون» مع اركانه النخيلات قادماً من العمارة تقله باخرته وجاء إلى المحل الذي كنت فيه على البرج وقضى سحابة النهار هناك ولم يتعرض لاوامري على الاطلاق وكنت ادير حركات القتال كأنه غير حاضر . ولو كان ذلك مع بعض القادة الاقدمين من غير « السر جون نكسون» لاستحال سير الامور حينئذ على هذا النمط ولتعرض اولئك القواد لشؤوني ولربما اصدروا الايعازات إلي . ولكن « السر جون نكسون» تركني وشأني ولم يتعرض لأمر من اموري على الاطلاق . وكان مجرى الحديث بيننا نادراً جداً لأنني قضيت النهار على قمة ذلك البرج المتزعزع مع « ايفانس » رئيس اركان فرقتي .

وكنت قد عينت مهمة الفريق « فراي » على صورة جلية في الوصايا العامة لذلك لم اهتم اهتماما شديداً بامر اللواء « ب » الذي كانت تعينه في زحفه المدفعية الثقيلة ومقذوفات المراكب المسلحة التي كانت في النهر وكانت مرتبة ترتيباً يصح أن اسميه نظام القدمات وكان كل همي منحصراً في سير هجوم الالتفاف الذي تقوم به القوة الكبرى بقيادة « ديلامين » لأن الاتفاق كان أنني عندما اشاهد دخان مدافع « ديلامين » يتصاعد على مسافة ستة أو سبعة اميال إلى الجهة الشمالية الغربية واسمع قصفها وهي تصب المقذوفات الشديدة اعلم أنه حامل على ميسرة الأعداء ومؤخرتهم بالحراب وأنه عما قريب يلتف حول تلك القوة المعادية . وحينئذ اتمكن من تحويل هجوم الرتل « ب » إلى هجمة فاصلة وعلى هذه الصورة افوز في المعركة ورأيت أنه لا بد من انتهاء هذه المعركة بانهزام الترك التام نظراً إلى نجاح حركة

(١) وكانت هذه العجلات تظهر عن بعد مكانها مدفعية أو جنود زاحفة .

الالتفاف نجاحاً تاماً . وتم السير ليلا من غير أن يعرض لنا عارض من الصعوبة . وكنت قد وضعت قوتي الكبرى بحركة شاملة واسعة على جناح العدو ومؤخرته وعلى الجناح الاقرب إلى خط رجعة الترك الطبيعي وهو طريق بغداد . والآن لم يبق لي سوى أن اسحب القوة الكبرى لانجاز الحركة الالتفافية كما يسحب الصياد شبكته فانتهي إلى نتيجة فاصلة . ولا بد من أن يسفر هذا النصر عن نتائج عظيمة . إذ قد يتاح لي بذلك ابادة قوة نور الدين فتبيت بغداد والحالة تلك تحت رحمتي إذا صدر الأمر إلي بالزحف اليها . فهذه كانت الافكار التي تجول في خاطري حينئذ . ولا يخفى على الواقفين على التاريخ العسكري ولا سيما على حروب نابليون أن الحركة الالتفافية محفوفة على الدوام بمخاطر جمة لذلك نرى « مولتكة » الحذر أنه كان يفضل حركة الاحاطة على حركة الالتفاف لأن الحركة الاولى اقل خطراً من الحركة الثانية ولكن هجوم الاحاطة دون هجوم الالتفاف شأناً من حيث النتيجة الفاصلة . وكنت عازماً على اختبار بعض مخاطر الهجوم الالتفافي بنفسي لذلك كنت اتصور عدة طوارىء مخبؤة لي في الغيب من انواع الطوارىء التي وقعت في حروب نابليون فقلبت هجماته الالتفافية رأساً على عقب . فعليه لم ادهش للطوارىء التي المت بالرتل « أ » فصبرت عليها ونظرت فيها نظر الفلاسفة في الحوادث .

وبين الساعة السابعة والساعة الثامنة تلقيت رسالة من « ديلامين » يقول فيها قد تم الشروع في الهجوم الالتفافي وقد تلقيت هذه الرسالة « بالتلفون » لأننا كنا قد مددنا خطوطا تلفونية على اثر قوة « ديلامين » . ودل دخان مدافعه المنعقد وقصفها على سير الهجوم ولكن التلال الرملية عن بعد كانت تحول دون مشاهدتي حركة الرتل « أ » . ونحو الساعة الحادية عشرة صباحاً تلقيت منه رسالة اخرى يقول فيها أنه قد استولى على خنادق العدو الواقعة امامه . فسرني هذا النبأ جداً لأنني تصورت حينئذ أن ديلامين كان يستولي على هذه الخنادق بحركة شاملة من الشمال إلى الجنوب فسيقضي بذلك على الترك في مدة قصيرة . ولكنني علمت بعد ذلك أنه هاجم الخنادق هجوماً بفوجين من افواجه وهما فوج « دورست » وفوج

« مهرتهة » ١١٧ . اما قوته العظمى المؤلفة من ستة افواج بقيادة أمير اللوا « هوتن » فكانت قد دارت حول طرف بطيحة العتبة الشمالي مقتفية اثر الخيالة لكي تلتف التفافاً تاماً حول جناح القوة التركية الاقصى . واستغرقت دورة هذه الافواج حول البطيحة وقتاً طويلا حتى لم يستطع ديلامين الانتظار اكثر من ذلك فهجم على العدو بفوجين فقط . وبهذه الهجمة فاتتنا كل الفائدة التي كنا نتوقعها من هجوم القوة الكبرى على موضع ضعف العدو وشخصيته القوية من الاستيلا على جناح الجناح الاقصى ولكن العدو المتفوق على فوجينا بعدد رجاله ثبت في الخنادق الاخرى كل الثبات كما هو شأن الترك في مثل هذه الاحوال بلا استثناء . وسرعان ما تلقيت رسالة يقلق لها البال من « ديلامين » قال فيها أنه لا يرى نفسه قادراً على الاستيلاء على الخنادق ! فلم افهم مرامه من هذه الرسالة لأنه لم يكن هنالك حائل يقف في وجهِ القوة الكبرى إذا كانت هذه القوة باسرها متحدة .

وكان القتال العنيف الذي جرى في هذا المكان الفاصل قتال المستميتين . فقام فوج « دورست » على عادته باعمال مجيدة وقاتل فوج مهرتة ١١٧ قتالا حسناً واخيراً ظهر هوتن مع معظم القوة القائمة بحركة الالتفاف إلى غربي العدو وذلك بعد تأخر طويل . اي أن قوة هوتن ظهرت وراء العدو وحتمت فوز ديلامين فانسحب الترك الذين في الميسرة القصوى إلى الجهة الجنوبية الغربية .

لذلك بدلا من الالتفاف حول العدو عند الظهر طفقت اتخوف لئلا تطول المدة لأن الساعة مرت تلو الاخرى ولم اسمع خبراً من ديلامين من جراء انقطاع خط التلفون فلم اتلق الرسائل بعد ذلك . وعلمت بعد ذلك أن ديلامين كان قد وحد قطعاته وسمح للجنود الذين انهكهم التعب بالاستراحة لأن ذلك النهار كان شديد الحر وكان الماء في بطيحة السوادة مالحاً غير صالح للشرب . وكان هذا الأمر مناقضاً لتقرير استكشاف الخيالة الذي جاء فيه أن الماء غير جيد ولكنه صالح للشرب عند الضرورة . وقد اسفت غاية الاسف لهذه الحادثة لأنني كنت في اشد الحاجة إلى القوة الكبرى لتبادر إلى مهاجمة مؤخرة الجنود التركية المدافعة في خط « بطيحة السوادة » و « سادل باك هل » (اي تل السرج) ودجلة . فلا بد والحالة

هذه من انهزام الترك لأن الفريق « فراي » كان حينئذ يهاجم هذه الخنادق عينها من الامام بالرتل « ب » . فلو زحف ديلامين في هذا الوقت لتم لي النصر المبين . فاوفدت « ريلي » في الطيارة ليستطلع ما يجري . فنزل بجوار قوة ديلامين وعلمت منه كل الخبر اليقين حين رجوعه . ولم يكن عندي تلغراف لاسلكي يحمل على الدواب لارسله مع الجنود ولكن كان لدي تلغراف لاسلكي على المركب المجيدية . وفي آخر الأمر تلقيت رسالة من ديلامين يقول فيها أن الحر قد انهك قوى جنوده بالكلية فلا يتمكنون من الحركة . لأنهم قطعوا مسافة تتراوح بين الاربعة عشر والخمسة عشر ميلا في الصحراء ما عدا سيرهم تلك الليلة وقتالهم العدو مقاتلة عنيفة فلا غرابة إذا رأينا الجنود على هذه الحالة .

ولو اوفدت الخيالة لتهديد مؤخرة الترك لكانت كافية لحمل العدو على الحركة ولكنني لم اكن عالماً بمقر الخيالة ولا بالعمل الذي كانت قائمة به حينئذ . ولم يتمكن ديلامين من تحريك جنوده مرة اخرى قبل الساعة الرابعة بعد الظهر . ولم يعلم احد ـ حتى اركاني ـ مبلغ اهتمامي الشديد بنجاح هجمة الالتفاف هذه مع شدة الموانع التي اعترضت سبيلها مما لم يكن في الحسبان . وفي هذا الوقت ابرق إلي موضع من مواضعنا الواقعة على دجلة في طلب النجدة لأنه بات مهدداً بهجوم قوة كبيرة مؤلفة من خيالة ترك وعرب عليه . فرفضت أن اوفد اليه جندياً واحداً اثناء دوران رحى القتال إذ قلت أنني مزمع على نجدة ذلك الموضع بالفوز في المعركة فلا بد للجنود الذين فيه من الثبات في اماكنهم .

وكانت الشمس قد آذنت بالمغيب لما سمعت أن قوة « ديلامين » منهمكة اشد الانهماك في مقاتلة العدو في الجهة الجنوبية الغربية من البرج الذي كنت اترصد عليه . فكنا نشاهد لمعان المقذوفات التي كانت تدل على اطلاق النار على غاية الشدة . وكان ذلك معركة ناشبة بين قوة ديلامين واحتياط العدو العام وكان هذا الاحتياط مؤلف من لواء يتألف من فوجين أو ثلاثة افواج سارت من ضفة النهر اليمنى وقطعت النهر على جسر القوارب التركي بالقرب من الكوت لانجاد الميسرة في القتال . وقد علمت ذلك من « ريلي » وطائرته اللذين اديا لي خدمات

جل لأنني لم احصل على خبر من القوة القائمة بهجوم الالتفاف . وبعد مقاتلة نارية قصيرة الامد أمر ديلامين جنوده بالقيام بحملة عامة بالحراب . فتضعضع الترك ازاء هذه الصدمة ـ وهذا شأنهم على الدوام عندما يكونون في ميدان مكشوف غير متحصنين في الخنادق ـ فتراجعوا إلى الكوت .

وامرت أن تزحف الجنود زحفاً عاماً بقيادة الفريق « فراي » لمعاونة زحف القوة الكبرى الجديد وامرت الفريق « فراي » بأن يحول هجومه إلى هجمة فاصلة . ولكن نظراً إلى شدة نار المدفعية التركية ونار بندقيات العدو لم يستطع الدنو من خنادق العدو على « خط السوادة » و « سادل باك هل » (تل السرج) ودجلة مسافة تزيد على خمسمائة أو ستمائة يارد في بعض الاماكن وهناك حفر الخنادق واعتصم فيها مرة اخرى .

وامرت الاسطول النهري بعضد هذا الزحف بجميع الوسائل المتيسرة . واوفدت الرئيس « باستو » مرافقي في زورق بخاري إلى الضابط البحري الاقدم وكيل الأمر[1] « كوكسن » ليطلب منه أن يحاول قطع المانع النهري الذي وضعه الترك في دجلة حيث تنتهي خطوط خنادقهم إلى ضفة النهر على كلا جانبيه . واعتقدت أنه إذا تمكن « كوكسن » من اختراق هذا المانع وبلوغ الكوت استولى على الباخرة التركية . وكانت الدنيا قد اخذت تظلم لما تقدم « كوكسن» بثلاثة مراكب مسلحة وكان هو نفسه في المركب « الكومت » وحاول كسر السلاسل والترك يصلونه ناراً حامية فالفى « كوكسن » أن ذلك المانع لم يكن سلسلة بل كان جسراً طياراً مصنوعاً من « معونات » حديدية مربوطة بسلاسل . وبينما كان كوكسن يحاول قطع السلسلة بفأس كانت بيده اصابت مقذوفات العدو منه مقتلا فمات . وكان قد ذهب إلى جانب هذا الجسر في قارب صغير تحت وابل رصاصات العدو التي ثقبت مدخنة « الكومت » واعلاها . وبعد وفاة « كوكسن » تراجعت المراكب مسافة قليلة إلى الوراء ولكنها استمرت على اطلاق القنابل على الترك على مسافة نحو من خمسمائة يارد .

(١) وهي رتبة بحرية بين لرتبة الملازم ورتبة الآمر .

ولما خيم الظلام امرت مدافع « فراي » بالانقطاع عن الرمي لئلا تصيب مقذوفاتها جنود ديلامين التي كانت وراء الترك . وقلت حينئذ « للسر جون نكسن » الذي التحق بي على « برج الرصد » أننا قد فزنا في المعركة . لأنني علمت أنه لا بد من انهزام الترك تحت جنح الظلام لأنهم لم يكونوا قادرين على الثبات نهاراً في المأزق الحرج الذي باتوا فيه من جراء الحركة الالتفافية التي قامت بها قوتي الكبرى .

ولما هممت بمغادرة برج الرصد للرجوع إلى مقري في النخيلات كررت قولي للسر جون نكسن أنهُ « لا بد من انهزام الترك ليلا » . وامرت الفريق « فراي » ليبث الدوريات ليلا ليرى هل الترك باقين في مواضعهم وقلت له بأنه لا بد له من الحمل على الموضع التركي في الصباح إذا رأى أنهم لم ينهزموا بقضهم وقضيضهم . وكذلك كنت واثقاً من تراجع القوة التركية المرابطة على الضفة اليمنى عند انهزام القوة الكبرى على الضفة اليسرى .

فصدقت جميع ظنوني . فعند الفجر بلغني أن الترك قد هجروا اماكن دفاعهم . وقد فر الترك جميعاً من ضفة النهر ليلا مارين امام القوة الكبرى التي كان « ديلامين » يقودها واخذوا معهم معظم مدافعهم وبقي في يدنا منها سبعة عشر مدفعاً و ١٢٨٩ اسيراً .

وخسر الترك كذلك ١٧٠٠ رجلا بين قتيل وجريح . اما خسارتنا فبلغت ١٢٢٩ رجلا بين قتيل وجريح .

ونستطيع أن نحسب وقعة كوت الامارة من اهم المعارك في تاريخ الجيش البريطاني في الهند . ولم تجارها وقعة سابقة من حيث المقدار سواء كان ذلك في الحرب الافغانية ام في الفتنة الهندية لأننا في هذه الوقعة قاتلنا قوة مساوية لنا بسلاحها وعددها . وفضلا عن ذلك أننا طردنا من موضع منيع جداً ومحصناً على احدث طرز ومشرفاً على ارض مستوية مكشوفة ولا حائل فيها يحول دون نار العدو الجارفة .

وبلغني أن خيالة العرب والترك انثنوا عن مهاجمة موضع « الصناعيات » ولكنهم اسروا « بارجتين » تحملان نفطاً وفحماً وحرقوهما . فسائني جداً هذا الخبر لأن فقدان هاتين « البارجتين » يعيق حركة بواخري . وبادرت إلى اصدار اوامري بمطاردة العدو بلا امهال .

وكانت الشمس قد قاربت الاصيل قبل ركوب الرتل « ب » السفن في ٢٩ أيلول لأننا قضينا جانباً عظيما من النهار في جميع اللواء الثامن عشر والبطارية ٦٣ واركابهما في السفن واستغرق ركوب السفن ساعات من الزمن الأمر الذي ساءني جداً

واوفدت أمير اللواء « ديلامين » لاحتلال بلدة الكوت وامرت لواء أمير اللواء « هوتن » بأن يعسكر على ضفة النهر بجوار العطفة الواقعة إلى جنوب « تل السرج » لنقل الجرحى وجمع الاسلحة وغير ذلك ثم يقفو اثر لواء ديلامين فيدخل الكوت . اما أنا فعقدت العزيمة على مطاردة العدو بنفسي وقد دفعتني إلى ذلك عين الاسباب التي حملتني على مطاردة العدو بعد وقعة القرنة . وهنالك امور عديدة يجب اعتبارها مثاله أنني إذا تمكنت من ادراك الترك بسفني في سيرهم تمكنت من تشتيت شملهم وابعادهم عن النهر الذي لا بد لهم من وروده من اجل الماء . وبهذه الوسيلة اتمكن من تحويل انسحابهم المنتظم إلى هزيمة مختلة النظام كما فعلت في مطاردة القرنة . ولتمكنت حينئذ من دخول بغداد مع العدو المنهزم كما دخلت كوت الامارة . وقد تنجح الخدعة هذه المرة كذلك . ولكن إذا ثبت الترك ولموا شعثهم في موضع طيسفون (سلمان باك) المهيأ للمدافعة والذي قيل فيه أنهُ موقع منيع جداً جمعت لوائي في سفني ورجعت إلى كوت الامارة من غير أن تنثلم كرامتي ثم احصن موقعي هناك .

وكان من رابع المستحيلات أن اعهد بحل هذه المسائل المعقدة إلى احد اعواني لأنها كانت من المسائل التي لا يستطيع احد غيري بت الحكم فيها لعمل ما ينبغي عمله والاعراض عما يجب الاعراض عن عمله . وهذا السبب دعاني إلى ابقاء « ديلامين » في الكوت ليعيد تنظيم الفرقة على أن لا يأتي من ذلك المكان ما لم

ارسل في طلبه . ولكن هنالك فرق عظيم بين الامور النظرية والامور العملية وبين الانتقاد والتنفيذ . وكان الماء قليلا جداً في النهر وكانت في هذا الفصل من فصول السنة اماكن كثيرة قليلة الغور في النهر . فاستوحلت السفن بنا يوماً كاملا بالقرب من كوت وكانت السفن تجنح الواحدة تلو الاخرى . ومر على وجه التقريب يومان تكبدنا فيهما مشقات شديدة قبلما تمكنا من الابتعاد عن الكوت ولكن الفرصة كانت قد فاتتنا حينئذ . لأن الترك تراجعوا بانتظام حسن على كلتا ضفتي دجلة وقاتلوا قتالا حسناً بكامل الثبات والانتظام . ورأيت أن الجنود الذين اقاتلهم في كوت الامارة غير الجنود الذين قاتلتهم اثناء وقعة القرنة والزحف إلى العمارة حيث تألفت القوة التركية باسرها من افواج عربية ما عدا فوج تركي نظامي واحد . فلو انهزم الترك مشتتي الشمل بعد وقعة كوت الامارة مثل انهزامهم بعد وقعة القرنة لاغتنمت الفرصة - كما قلت سابقاً - وطاردتهم في السفن حتى بغداد .

واقول على وجه التقدير أن المسافة من كوت الامارة إلى بغداد تعادل المسافة التي طاردنا العدو عليها من القرنة إلى العمارة اي أن المسافة من كوت الامارة إلى بغداد كانت نحواً من تسعين ميلا . وكان الترك يتراجعون قطعات متينة وبانتظام حسن وكان ماء النهر على اقله وكانت السفن تظل احياناً جانحة بنا نصف النهار وسرعان ما ظهر لنا بالبداهة أن الترك سيجمعون اشتاتهم في موقع طيسفون (سلمان باك) المهيأ لهم . فاستحال علي حينئذ أن ادخل بغداد كما دخلت العمارة .

وقد فزت في وقعة كوت الامارة بالحركة الالتفافية وحدها . فلو حاولت مهاجمة الجبهة بحركة احاطة منطبقة ضعيفة لصدني العدو لا محالة . وكانت هجمة الالتفاف التي قامت بها القوة الكبرى - اي الهجمة الفاصلة عينها - معلقة في كفة الميزان مدة من الزمن بعد الظهر في ٢٨ أيلول على حالة يرثى لها . وقد قال لي أمير اللواء « ديلامين » في العزيزية بعد ذلك أن الواجب يقضي عليه بأن يقول لي أنهُ لم ير أن الجنود الهنود كانوا يتمكنون من الاستيلاء على الخنادق لو كلفهم بمهاجمتها مرة اخرى وأن معظم الفوز في هجمة الالتفاف تم على يد فوج « دورست » - ذلك

الفوج الذي اظهر على عادته بسالة عجيبة ولا يخفى أن الفرقة السادسة قاتلت في وقعتي « الساحل » و « الشعيبة » قبل مقاتلتها في وقعتي القرنة وكوت الامارة . وقد كابدت مشقات جمة في وقعة الشعيبة حيث ظل مصير الوقعة مجهولا مدة طويلة . وفضلا عن هذا أن وقعة القرنة والزحف إلى العمارة في اشد فصول السنة حرارة مع ما عقب ذلك من الزحف على الكوت ابان الحر الشديد في اوائل شهر أيلول ـ كل هذه العوامل اثرت تأثيراً شديداً في صحة الجنود إذ ارسل الكثيرين منهم إلى المستشفيات في قاعدة الحملة حتى ذهب رونق القوة . لذلك لم استغرب ما سمعته من « ديلاميني » . ولا يخفى أن اصول الحرب المرعية في جميع الجيوش تقضي بتبديل جنود القوة المهاجمة مرات عديدة .

ونظراً إلى قلة وسائل النقلية ظلت خيالتي في السفن فلم تقم الا بعمل يسير في مطاردة العدو . وهنا اورد مثالا لما للتقاليد المرعية بين طبقات الشعب الهندي من التأثير السيء في الجنود الهندية حين اشتراكهم في الحروب خارج الهند . وذلك أنني لما سألت آمر الخيالة عن سبب احجامه عن التقدم وحمله على العدو المتراجع اجابني أنه لم يتمكن من نقل اواني الطبخ معه نظراً إلى عدم تيسر الوسائل النقلية وأن جنوده « السيخ » و« الهندوس» يأنفون من استعمال اواني الطبخ العربية التي يعثرون عليها في القرى لاعداد طعامهم . واني لاورد هذه الحادثة هنا من غير أن انتقد بسالة الخيالة الهندية التي لا يقدر اعمالها المجيدة حق قدرها احد مثلي بل لاظهر الصعوبات التي تنطوي عليها استخدام هذه الخيالة في البلدان الاجنبية .

ولم يكن لدي حينئذ خيالة بريطانية لأن كتيبة « الهزارس » الرابعة عشرة لم تلتحق بي الا في شهر أيلول . فلو انضم إلى قوتي في تلك الاثناء كتيبة خيالة بريطانية واحدة لتمكنت من تكبيد الترك خسارة فادحة ابان تراجعهم . ولكنهم تراجعوا من غير أن يلحق بهم اذى وكل ذلك من اجل اواني الطبخ فتأمل !

ولما وصلت في ٣ تشرين الاول العزيزية ـ وهي قرية صغيرة واقعة على ضفة دجلة اليسرى وعلى مسافة نحو من ستين ميلا شمال كوت الامارة وفيها مركز تلغراف ـ تلقيت تقريراً رفعه إلي المقدم « ريلي » في الاستكشاف الجوي . وجاء في

ذلك التقرير أن القوة التركية المتراجعة توقفت في الموقع المهيأ لها في طيسفون (سلمان باك) وكان الترك قد تحصنوا ابان الاستكشاف في ذلك الموقع الهائل المحصن بالخنادق وغيرها من وسائل الدفاع الواقعة على كلتا ضفتي دجلة على صورة مرابطتهم في كوت الامارة . فروى لي « ريلي » أن طول الخنادق على الضفة اليسرى حيث كانت معظم وسائل الدفاع يبلغ ستة اميال . ورأى هنالك كذلك ثلاث بواخر وست « معونات » حديدية كبيرة وكثير من الجنود ومخازن المدخرات .

وحين وصولي العزيزية تلقيت برقية لاسلكية من رئيس اركان الجيش فيها التقرير الذي رفعه في الموقف « السر جون نكسون» إلى رئاسة اركان الجيش في الهند . وقد وصف « السر جون » في تقريره هذا حركاتي في مطاردة العدو وذكر أن الترك يتراجعون في رتلين تتقدمهم سفنهم . وابدى ملحوظة تتعلق بهذا الموقف قائلا أن القائد التركي العام قد اعد موضعه في طيسفون (سلمان باك) من أوائل حزيران وأن الترك متراجعون إلى هذا الموضع . ولا يخفى أنني كنت اروي جميع هذه الامور « لنكسن » اثناء مطاردتي ولكنني اختلفت معه في تقريره هذا في قوله أنه لا يحتمل أن يصل الترك نجدات ذات شأن من بغداد من اماكن اخرى ابعد منها ما عدا قوة تقدر بالف وخمسمائة جندي ماش ومدفعين من خط الفرات .

وكذلك ذكر «نكسون» في تقريره هذا أن امامنا سبيلين للعمل وهما : ـ

١ ـ الانقطاع عن المطاردة .

٢ ـ أن نطارد العدو بسفننا ومراكبنا المسلحة فنضايقه في رجعته على قدر المستطاع لنمنعه من الوقوف في وجهنا في مكان آخر .

وقال « السر جون نكسون» إذا وقف الترك في وجهنا تمكنت الجنود المطاردة من استكشاف موقعه بالطائرات بينما ترسل باقي الالوية وقطعات الفرقة للالتحاق بي (اي بالفريق طاونزند) ورأى أن المطاردة على بطئها من جراء الصعوبات التي لا يستطاع تحاشيها والتي نشأت عن مخر السفن في مياه قليلة العمق ـ تعمل على قتل قوة الترك الروحية وتؤثر كذلك في سكان المنطقة التي باتت في قبضة

البريطانيين تأثيراً حسناً . وقد عززت قوة الترك باربعة آلاف جندي مقاتل من جنود المشاة وخمسمائة خيال وعشرين مدفعاً .

وقد دونت في مذكرتي بتاريخ ٣ تشرين الاول الملحوظات التالية : -

« يظهر أن قائد الجيش غير واقف على ضعف خط مواصلاته والخطر المحدق بهذا الخط . فإننا الآن على مسافة تقرب من ٣٨٠ ميلا من البحر وليس لدينا سوى فرقتين ضعيفتين في هذه البلاد واحدى هاتين الفرقتين الفرقة التي اقودها انا . ففرقتي مكلفة بمقاتلة العدو اما فرقة « غورنج » فموكول اليها أمر المحافظة على خط المواصلات من البحر إلى الكوت . لذلك لا قوة تعضدني في معاركي إذا تمكن العدو من صدي » .

ورأيت أن لا فائدة من مواصلة مطاردة العدو لذلك قررت التوقف وانزال اللواء الثامن عشر مع بطاريته في العزيزية وأن ارفع تقريراً إلى « السر جون نكسون» الذي كان حينئذ في الكوت ابدي فيه رأيي من أنه ينبغي لنا الرجوع إلى ذلك المكان وتحصينه . ولما كان « السر جون نكسون» في ميدان الحركات لذلك رأيت أن الضرورة تقضي علي بأن اقف على رأيه في أمر رجوعي . فلو كان في البصرة أو في العمارة لرجعت إلى الكوت من غير استئذان في ذلك لأنني كنت معارضاً لكل زحف آخر ما لم توضع فرقتين - أي فيلق - تحت أمرتي . لذلك بعثت بالرسالة البرقية المشهورة التي بحث فيها مجلس النواب والصحافة بحثاً ملياً .

ففي اول الامر كتبت هذا التقرير وكنت مزمعاً على ارساله مع مرافقي . ولكن العرب كانوا يهاجمون القوافل العسكرية على دجلة لذلك ارسلته بالتلغراف لئلا يقع في يد العدو . وكان التقرير معنوناً باسم رئيس اركان جيش الفريق «نكسون» وبعثت به في ٣ تشرين الاول من العزيزية وهذا نصه : -

« ترون من تقرير الطيار المربوط بتقريري هذا أنه قد فاتتنا الفرصة لتشتيت شمل القوات التركية المتراجعة والمحتلة الآن موقع طيسفون (سلمان باك) . وَذلك الموقع واقع على طريق بغداد وكلتا ضفتي دجلة ويقدر طول خطوط الخنادق

التي فيه بستة اميال . وعندي ـ إذا جاز لي أن ابدي رأيا ـ أن غايتنا إلى حين وقعة الكوت كانت منحصرة في احتلال الكوت والتحصن في ولاية البصرة . ولا مشاحة أن الكوت موقع مهم من وجهة سوق الجيش اما طيسفون (سلمان باك) فقد احتلتها الآن القوات التركية المغلوبة . فإذا لم تر الحكومة ان هناك سبباً سياسياً يدعونا إلى احتلال بغداد في الوقت الحاضر من جراء موقفنا المبهم في الدردنيل ارى أن جميع الاسباب العسكرية تدعونا إلى تحصين موقعنا في الكوت لأنهُ يحتمل أن القوات الجديدة القوية التي يسوقها الترك من الاناضول إلى العراق تتمكن من طرد قوتنا الصغيرة من بغداد فترغمنا على التراجع على خط مواصلات طويل يمتد من بغداد إلى البحر من طرد قوتنا الصغيرة من اربعمائة ميل حيث يكثر العرب المعادون لنا في الوقت الحاضر فيتحول عداؤهم إلى قيام علينا عند سماعهم خبر رجعتنا . وانخفاض مياه النهر فجأة ـ الأمر الذي جعل تقدم سفننا بطيئاً شاقاً ومحفوفاً باشد الصعوبات ـ قد قضى على جميع الخطط التي رسمناها لدخول بغداد جادين في اثر الترك اثناء تراجعهم بلا انتظام . اما إذا ارادت الحكومة أن تحتل بغداد فالضرورة المطلقة تحتم علينا أن يتم زحفنا من الكوت على صورة منتظمة بحيث تتألف القوة الزاحفة من فرقتين اي من فيلق واحد أو من فرقة واحدة تعضدها بالقرب منها فرقة اخرى كاملة ما عدا حاميات المواقع المهمة مثل الناصرية والاحواز والعمارة والا فإذا اقدمنا على احتلال بغداد على غير هذه الصورة تعرضنا للاخطار الشديدة » .

وكتبت في مفكرتي بتاريخ ٣ تشرين الاول عام ١٩١٥ في العزيزية انتقادي للموقف العسكري بعد وقعة كوت الامارة ما يأتي : ـ

١ ـ إذا لم تفكر الحكومة في احتلال بغداد كان هدفنا الاهم حينئذ احتلال كوت الامارة لتثبيت قدمنا في ولاية البصرة وموضع الكوت افضل من العمارة من وجهة سوق الجيش لأن الكوت واقعة على ملتقى دجلة « وشط الحي » المتصل بالفرات عند الناصرية . وعلى ما اعلم أن هذه هي الاسباب الداعية إلى مقاتلة نور الدين باشا . ولبلوغ هذه الغاية تحتم علي قهره وابادة قوته التي لم تكن دون التسعة آلاف أو العشرة آلاف جندياً .

« فقد انكسر نور الدين باشا شر انكسار وهو متراجع بقضه وقضيضه إلى بغداد لا يلوي على شيء أو بالاحرى أنه سيحتل موقع طيسفون (سلمان باك) المهيأ له وهو موضع الدفاع عن بغداد .

« فاذا لم تنو الحكومة في الوقت الحاضر الزحف على بغداد فذلك : -

(أ) نظراً إلى كون موقفنا في الدردنيل مبهم كل الابهام واملنا في نجاح قواتنا المقاتلة هناك ضعيف جداً .

(ب) لأنهُ يستحيل على الحكومة ايفاد فرقة اخرى إلى العراق تكون بمنزلة قوة صغرى تمكننا من الزحف على بغداد آمنين . فعندي أن مهاجمة بغداد مهاجمة فاصلة بفرقتي وحدها على مسافة ٣٨٠ ميلا من البحر جريمة لا تغتفر وليس ذلك من وجهتي سوق الجيش والتعبئة وحدهما بل من الوجهة السياسية كذلك . لأن خط المواصلات يمر في وسط قبائل عربية لا يركن اليها على الاطلاق ومعادية لنا كل العداء فعندما تسمع هذه القبائل خبر اصغر حادثة يصدنا فيها العدو تقوم جميعها علينا وليس لدينا من قوة نستند اليها حينئذ سوى فرقة ضعيفة بلا مدفعية على الاطلاق وفضلا عن ذلك أن هذه القوة متفرقة في العمارة والناصرية والقرنة والبصرة والاحواز وغيرها . ويحتمل أنه إذا انكسرنا في الوقعة انقلب انكسارنا كارثة وبيلة علينا فيؤول ذلك إلى تقلقل احوال الهند . فاعتقد أن كل من يعضد هذه الفكرة - اي فكرة مهاجمة بغداد على هذه الصورة - يجهل فن الحرب جهلا مطبقاً .

(ج) إن نجاحنا في الدردنيل أمر جوهري لدخولنا بغداد بهذه القوة المتيسرة لنا في العراق وهي فرقتان ضعيفتان بلا المقدار المطلوب من المدفعية بالنسبة إلى عددهما .

« وقد تعلم الترك درساً مفيداً من رجعتهم القاضية عليهم من القرنة إلى العمارة لما أبدنا قواتهم المتفرقة وذبح العرب العدد العظيم من الجنود التركية المتخلفة لذلك نرى قوات نور الدين تتراجع هذه المرة بانتظام حسن في قطعات

متينه وتسير وراءها سافة مؤلفة على الصورة المطلوبة .

« وسبب عدم تشتت شمل الترك في رجعتهم هذه ينحصر في أمر واحد فقط وهو أن النهر يكاد يكون خالياً من الماء . فقد اضعنا يومين على وجه التقريب في مطاردتنا إذ استوحلت بنا السفن في الضحاضح (الاماكن القليلة العمق) وفي الضفاف الوحلة . واضرب مثلا على هذه الحركة البطيئة أني لم اقطع امس في سيري سوى مسافة ثمانية اميال . أما الترك المنهزمون فانهم رموا جميع المشحونات والاثقال التي كانت تعيق حركتهم وتركوا « المهيلات » تحت رحمة تيار النهر وبذلك تمكنوا من قطع الضحاضح (الاماكن القليلة العمق) وقد منحت الطبيعة الترك سيقاناً قوية وهم الآن داخلون موقع طيسفون (سلمان باك) المنيع .

« وقد قال ولنغتون مرة في رسالة بعث بها إلى اللورد لفربول أنه لو استطاع القيام بكل ما تتطلبه منه الحكومة والصحافة لطال السماك من عهد بعيد . فليس في الدنيا انسان قادر على تغلب صعوبات طبيعية مثل أن تتطلب السفن ماء تمخر فيه اعمق من الماء الموجود في بعض الامكان من مجرى النهر . وقد ارغمت على ترك احد المركبين من مراكبي المسلحة ورائي لأنه كان قد استوحلت بالقرب من البغيلةبحيث لم يبق لي امل بخلاصها من الوحل . وكانت صفائح سطوح مدافعها ذات العيار ١٢ بونداً قد التوت واتلفت اثناء المعركة حتى أنه باتت على حالة لا تمكنها من اطلاق عشرين اطلاقة اخرى . فهذه هي الصعوبات التي لا نستطيع التغلب عليها بسرعة . فلو كان ماء النهر على حالته الاعتيادية التي كان عليها حين وصولنا الصناعيات قبل المعركة لدخلنا بغداد مع المنهزمين ولشتتنا شمل الترك بحيث لا يقوم لهم قائمة بعد ذلك . ولكن انخفاض الماء فجأة حال دون ذلك .

« وحتى أننا لو دخلنا بغداد لاوفدت حتماً الحكومة التركية في الاستانة قوة هائلة لاسترداد بغداد لأن الترك كانوا ثابتين امامنا في الدردنيل وكانت في الظاهر كفة القتال راجحة في جانبهم . وحينئذ تفكر حكومة الهند في التراجع رجعة تكون من جميع الوجوه اسوأ حالا من رجعتنا من كابول عام ١٨٤٢ .

« فاذا ذهبنا إلى بغداد فلا بد لنا من البقاء فيها . وهذا أمر لا جدال فيه .

٢ ـ إذا قررت الحكومة أمر احتلال بغداد فغايتنا الاولية تنحصر في قهر الترك وهم متحصنون في موضع طيسفون (سلمان باك) الذي يستر بغداد . وهذا يقتضي وجود فرقة اخرى في العراق على أن تزحف فرقتان ـ اي فيلق واحد ـ من كوت الامارة براً لأنهُ يستحيل التعويل على الانتقال بالسفن والنهر على هذه الحالة إذ لا تمخر فيه صعوداً سوى المراكب الحالية . وقد قلت أننا نحتاج إلى فرقتين في هذا الزحف لكي نكون على ثقة تامة من أمر الفوز ولا نخاطر في حركتنا .

« إنه لقد بقي لدى نور الدين قوة مؤلفة من خمسة آلاف جندي وعشرين مدفعاً فضلا عن الامداد الذي يرسل اليه » .

وظهر لي بالبداهة أن « السر جون نكسن » كان يريدني أن اهجم على بغداد بقوتي غير الكافية لذلك . وقد وقف القارىء على رأيي في القيام بالتعرض بقوات صغرى في ساحة حرب ثانوية . وكنت واثقاً من أن البعث بقاعدة الاقتصاد في القوة على هذه الصورة ينتهي بالفشل والدمار . وفضلا عن ذلك أنني جزت قبل مدة قصيرة معركة كان موقفي فيها حرجاً جداً ولم اخرج من تلك المعركة ظافراً الا بفضل تفوق حركتي التعبيوية على حركة خصمي . وقد قهرت نور الدين بالدهاء الذي انطوت عليه تلك الحركة الحربية . فلو هاجمت جبهة نور الدين لانكسرت شر كسرة إذ ظل أمر النصر مبهماً مدة بضع ساعات . وكان القلق قد اخذ مني كل مأخذ مع أنني افخر بقولي أن لا احد غيري حتى ولا اركاني « والسر جون نكسن » كانوا عالمين بمبلغ قلقي حينئذ .

وقد فكرت ملياً قبل ارسال البرقية التي دونتها في الصحيفتين ١٢٤ و ١٢٥ لأن اصول الضبط العسكري لا تجيز الاحتجاج . وقد تعلمت من سعة اختباري العسكري ولا سيما من وقوفي على التاريخ العسكري أنني إذا لم أنه المهمة الموكول الي أمر القيام بها تؤول إلى المضرة ببلادي قضى علي الواجب بأن انبه الآمر الذي فوقي على ذلك . ثم اقوم بتنفيذ كل أمر من الاوامر التي تصدر الي . وقد تخطرت على صورة خاصة اقوال ولنغتون في « مؤتمر سنترة » عام ١٨٠٨ في بلاد البرتغال .

فقد حذوت حذو ولنغتون في انني بذلت اقصى ما يستطيع قائد مأمور بذله من الوسع في سبيل تنبيه امري على الطيش الذي تنطوي عليه حركة هجومنا على بغداد . فاذا خالفني في الرأي فالواجب يقضي علي حينئذ ببذل كل ما في وسعي لتنفيذ اوامره وأن رأيي في أمر هذه الحركة مناقض لرأيه كل المناقضة . وهنا نرى الفرق العظيم بين موقف المأمور العسكري وبين موقف المأمور المدني . فاذا خالف المأمور المدني آمره في الرأي مخالفة مهمة تحتم على ذلك المأمور الاستقالة من منصبه . ولكن الأمر على عكس ذلك في المناصب العسكرية والبحرية لأن واجب القائد المأمور يحتم عليه معاضدته على الوجه الذي يستحسنه الأمر من الاعمال التي يقوم بها المأمور . وقد راعيت هذا المبدأ في هذه المسألة وسوف اراعيه كلما عرضت لي مسائل مثلها في المستقبل . وكذلك تخطرت أن القائد العام في الهند وافق على رأيي لما كنت في سملة قبل شهرين أو ثلاثة شهور إذ قال لي « انك لا تجوز كوت الامارة خطوة واحدة ما لم اضع تحت امرتك من ثلاثين إلى اربعين الف جندي » .

ولنفرض أنني فزت في المعركة المقبلة في طيسفون واحتللت بغداد ترى كم من الزمن اتمكن من البقاء هناك بهذه القوة الضعيفة التي تزيد المعركة الجديدة ضعفها ازاء المساعي العظيمة التي يبذلها حتما الالمان والترك لاسترداد بغداد بقوات كبيرة ينقلونها من القوقاس إلى العراق ، . فلا ينبغي للحكومة أن تأمرني بالاستيلاء على بغداد بهذه القوة الا عندما تفوز حملتنا في شبه جزيرة غاليبولي وينبغي لها حينئذ أن تضع تحت امرتي قوة كافية لانجاز هذه المهمة .

وعند بياني « للسر جون نكسون» عدم كفاية قوتي للهجوم على بغداد كانت تجول في خاطري مسألة المشير « مكماهون » عام ١٨٧٠ . فيعلم القراء أن بعد انكسار « مكماهون » في « ورث » اخذ ينظم جيشاً في « شالون » وإذ ذاك امرتهُ الحكومة بالزحف لانجاد « بازان » الذي كان في تلك الاثناء محصوراً في « متس » . فاجاب الحكومة انه من رأيه توحيد جميع القوات في موضع يستر « باريس » . فكررت الحكومة الامر الذي اصدرتهُ اليه بفك الحصار عن بازان

فزحف حينئذ مكماهون اطاعة لأمر الحكومة فاسفرت النتيجة عن ابادة قوته باسرها في « سيدان » .

وهنا اوضح المسألة لقرائي من غير رجال الجندية وهي أن هنالك فرقاً ظاهراً بين خطوط المواصلات وخطوط الحركات . فخطوط الحركات هي الاتجاهات العامة أو الطرق العامة التي يسير عليه الجيش اثناء زحفه وذلك حين انتقاله من قاعدته إلى الهدف الذي يقصده . اما خطوط المواصلات فهي الطرق البرية والمائية التي تنقل عليها اعالة الجيش من طعام وذخيرة على انواعهما . واحياناً يختلف خط المواصلات كل الاختلاف عن خط الحركات ـ مثال ذلك عندما يتحتم على الجيش أن يقوم بحركة حربية ليقاتل العدو على جبهة واسعة . ولكن في حربنا بالعراق كان خط مواصلاتنا وخط حركاتنا خطاً واحداً لا فرق بين هذا وذاك . وكان نهر دجلة الخط الوحيد لنقل طعامنا واعاشتنا في العراق كما كان نهر النيل وطريق النيل الخط الوحيد لزحفنا واعاشتنا . وكان طريقنا في العراق شبيها بطريقنا في النيل فكان دائما على ضفة النهر . وفضلا عن ذلك انهُ نظراً إلى فيضانات دجلة العظيمة لم يتمكن الجيش من السير على ضفة النهر إلا من اواخر شهر آب إلى شهر آذار على وجه التقريب .

وقد اقلقني امتداد خط مواصلاتنا مسافة ٣٢٠ ميلا من البحر إلى العزيزية قلقاً شديداً لأن مجموع فرقتي بعد وقعة كوت الامارة كان يتراوح بين عشرة آلاف مقاتل بدلا من ثلاثة عشر الف مقاتل وهو ما تبلغه الفرقة الهندية الكاملة . وخط المواصلات الطويل هذا يمتد بين قبائل عربية معادية لنا ولم تحجم هذه القبائل عن اطلاق النار على قوافلنا العسكرية حتى عندما كنا نتقدم مارين عنهم في النهر شمالا . ولو صد العدو قوتنا الصغيرة مرة واحدة لنهضوا جميعهم علينا من الكوت إلى القرنة . ولم يقم بحماية خط مواصلاتنا سوى لوائي مشاة ضعيفين تألفت منهما الفرقة الثانية عشرة وكانا متفرقين من البصرة إلى كوت الامارة وفضلا عن ذلك اخذت منهما حاميات الناصرية والاحواز والعمارة وهي مواضع حربية مهمة .

ومما يروق ذكره هنا أن خط مواصلات نابليون حين دخوله موسكو عام

١٨١٢ حين زحفه من « نيمين » امتد على مسافة ٥٧٠ ميلا . وقد زحف العامل « الامبراطور » نابليون حينئذ إلى موسكو في ٢١٣,٠٠٠ جندي . واما باقي قوته وكان ٦٠٠,٠٠٠ جندي فوضعه حاميات في المانيا ولا سيما في الجهة الشرقية من تلك البلاد وحافظ بذلك على خط المواصلات في فرنسا . وقد قطع الثلاثة عشر والمائتا الف جنديا بلاداً مساحتها سبعون الف ميل . وفي عام ١٨٧٠ رابطت الجيوش الالمانية امام « باريس » وامتد خط مواصلات الالمان على مسافة ١٩٠ ميلا بينهم وبين الحدود . وقطع ٣٧٥٠٠٠ جندي بلاداً مساحتها ٢٠ ٠٠٠ ميل مربع واحتلوها . ولا حاجة بنا إلى ايراد البراهين على اي الترتيبين كان الترتيب الاصح من وجهة الفنون الحربية . انما يكفينا القول أنه كان يستحيل من جميع الوجوه أن تحل « بمولتكة » الكارثة التي حلت « بنابليون » على الترتيب الذي رتب به الالمان جيشهم .

فما رأي القارىء بالمخاطرة التي ينطوي عليها موقفي في العراق حيث لم يكن لدينا سوى لوائين ضعيفين للمحافظة على خط المواصلات ؟ وليعلم القارى أن اعداءنا الترك كانوا مسلحين مثلنا بالمدافع والبندقيات ومعهم الكميات الوافرة من العتاد ولا يفوقهم جيش في المدافعة والاعتصام في الخنادق . والترك غير العدو الذي قاتلناه في حملة النيل عام ١٨٨٦ أو في عام ١٨٩٦ إلى عام ١٨٩٨ حيث نازلنا جماعات دراويش لم يعرفوا التدريب ولا الضبط ولم يكن معهم مدفع من المدافع . وفضلا عن كل ما تقدم أن مقدار المشاة البريطانيين الذين كانوا تحت امرتي كان قليلا إذ لم يكن لدي منهم سوى ثلاثة افواج انخفض كل فوج منهم إلى أن بات نصف فوج . وقد عولت على هذه الافواج البريطانية وحدها في احراز النصر في وقعتي كوت الامارة وطيسفون . ولا شك في أن قوتي كانت تتفوق على قوة الترك في ميدان القتال المكشوف ولكن لا ينكر أحد أنها كانت قليلة جداً حتى باتت معرضة للخطر .

وقد دلت جميع الدلائل على أن الحلفاء حملوا حملتهم وأن الترك ثبتوا ازاءهم بلا مشقة عظمى وذلك بفضل موضع دفاعهم المنيع المحصن خير تحصين . فظهر

أن الترك يتمكنون والحالة هذه من الاستغناء عن بعض القطعات من ساحة حربهم الكبرى في اوربا لنزع بغداد من قبضة العدو في ميدان حربهم الثانوي في العراق . وفضلا عن هذا أن تعرض سوق الجيش يجب أن يظل على اشده من حيث الجنود والمدافع والمدخرات والعتاد والنقلية والطعام وهلم جراً . وقد قضي علينا بأن نزحف في بلاد حرها مرعب (ولا صفة لدي غير هذه اصف بها حرارة هذه البلاد) فنجم عن ذلك أننا كنا نرسل المرضى بلا انقطاع زرافات في النهر جنوباً فتضيق بهم المستشفيات في البصرة و « بومباي » .

فلماذا اتخذنا خطة التعرض بقوة تكاد لا تكفي للاحتفاظ بالارضين التي استولينا عليها ، كان ذلك لاسباب طالما تنجم الدول في الحرب فإن الحكومة تفسح المجال للشؤون السياسية للتعرض للشؤون العسكرية وبذلك تتغلب المقتضيات السياسية على مقتضيات سوق الجيش فتسفر النتيجة والحالة هذه عن الدمار لا محالة . فلو لم يفسح نابليون المجال للشؤون السياسية لتعرض لسوق جيشه عام ١٨١٣ لفاز في الحرب . لكنه سمح ببقاء مائتي الفي جندي من خيرة جنوده محصورين في شمال « اسبانيا » لمقاتلة ولغتون في تلك الساحة الثانوية بينما كان هو ـ اي نابليون ـ يقاتل من اجل بقائه في ساحة الحرب الكبرى .

والآن اعود إلى مبحثي الاصلي فاقول أنني عزمت على انزال اللواء الثامن عشر وبطرية الميدان ووضعها في قرية العزيزية . وقبل انجاز ذلك تلقيت برقية اخرى من رئيس اركان الجيش يقول فيها : « أن جميع الامور تقضي بأن تطرد الترك من موقع طيسفون (سلمان باك) فالمرجو أن تقول لنا هل تريد أن تجمع فرقتك في محل واحد وإذا كان ذلك كذلك فاين ترغب في أن تجمعها ولا يخفى أن العزيزية موقع موافق لذلك من وجهة الطائرات لأن طائراتنا تتمكن والحالة هذه من الطيران فوق بغداد . ويقال أن الطائرات قد اقلقت بال العدو كل القلق . ويستحسن انشاء قاعدة امامية في المكان الذي تجمع فيه الفرقة ورد جميع السفن و « البارجات » إلى الكوت لاعادة املائها » .

وفي الساعة ٩ بعد الظهر من ٣ تشرين الاول تلقيت الجواب من رئيس

اركان الجيش على البرقية التي ارسلتها في ذلك اليوم عينه وطلبت فيها اعطائي فرقتين إذا اقتضى الأمر أن استولي على بغداد . وقد قال لي رئيس اركان الجيش في جوابه الظاهر انني لم اهتم بتقرير « السر جون نكسن » المتعلق بموقف القوة التركية التي يحتمل أن اصدمها في طيسفون (سلمان باك) وهي مؤلفة من اربعة آلاف مقاتل ماش و ٥٠٠ مقاتل خيال وعشرين مدفعاً وأن هذه القوة دون القوة التي قهرتها في وقعة كوت الامارة من حيث القوة الروحية والعدد . إلى أن قال « أن الموقع ليس منيعاً منعة موقع الكوت . فقائد الجيش يرغب في فتح الطريق الى بغداد لأنه قد بلغه أن الحكومة عازمة على ارسال فرقة اخرى من فرنسا . فهو يرغب في الوقوف على خطة الحركة التي تجريها لبلوغ هذه الغاية بالقوة المتيسرة لك



المرحوم سليمان عسكري بك

في كوت الامارة مع اربع سرايا خيالة وبطرية من بطريات مدفعية الخيل . فلم يبق شك والحالة هذه في أن « السر جون نكسون» قد قرر عدم الاهتمام بتحذيري له ورأى أن قوتي على حالتها الحاضرة مع اربع سرايا خيالة وبطارية من بطاريات مدفعية الخيل كافية لهذه الحركة . ولم يحتمل أن الفرقة التي المع اليها رئيس اركان الجيش تصل العراق من فرنسا في الوقت المطلوب . ويرجح أنها لم تكن قد شرعت في السفر من فرنسا . ومن الوجهة الاخرى نرى أنه لا بد من تعزيز قوات العدو على جناح السرعة بامداد قوي جداً من قطعات جيوش القوقاس تنزل دجلة بطريق الموصل .

وظهر لي أنه لا فائدة من اطالة الجدال في المسألة . لأن الكثيرين من القواد في الجيشين الهندي والبريطاني ـ ممن تعلموا فن الحرب في معارك غير منتظمة ثارت على قبائل غير متمدنة ومسلحة بسلاح رديء ولم يطيلوا درس قواعد نابليون العظمى الاساسية والاصول التي طبقها عليها مولتكه ورئاسة اركان الجيش الفرنسي بعده ـ يرون رأي « السر جون نكسون» يقولون أنه مصيب في أمر الهجوم على بغداد . وهنا اقول أن « السر جون نكسون» كان خير قائد عام في الحروب غير المنتظمة . وكان يقول لي بلا انقطاع أنه واثق ثقة عظمى من مقدرتي ومهارتي وبرهاناً على ذلك أنه كان على الدوام يضع بيدي زمام ادارة القتال والسيطرة عليه ويجعلني اضع خطط الحركات مع أنه كان لديه العدد الكافي من الاركان للقيام بذلك . وعندي أنه لما رآني اشك في أمر الفوز في هذا الهجوم كان يتحتم عليه أن يتسلم زمام القيادة هو نفسه ويستخدمني بمنزلة معاون له في القتال .

فاجبت رئيس اركان الجيش في تلك الليلة عينها قائلا لا مشاحة أنني قد نظرت في تقدير « السر جون نكسون» لقوات العدو ولكن الاخبار التي تلقيتها تدل على أن لدى الترك قوة اكبر من تلك في طيسفون (سلمان باك) . ولكنه لم يأت على ذكر وصول الفرقة من فرنسا إلى العراق . وقلت أنني سأبرق بالخطة التي اضعها للحركة غداً لأنها تقضي اعمال الفكر الدقيق . وأنني سأحشد الفرقة في العزيزية وأنه ينبغي أن ينضم إلي باقي القوة هناك بحيث تجيء براً فتظل السفن لنقل مواد الاعاشة والعتاد .

ولم يبق لدي اسطول نهري منذ فشل المركب « الشيطان » المسلح في السير في النهر عند البغيلة نظراً إلى قلة عمق الماء وكذلك فلتت صفائح ظهر المركب « الكومت » فلم نتمكن من استخدام المدفع الذي بعيار ١٢ بونداً .

وفي ٢ تشرين الاول ابرق « السر جون نكسون» إلى حكومة الهند رسالة بعث بصورة منها إلي وفيها أن نور الدين يثبت في طيسفون (سلمان باك) ويقاتل هناك وأنه (اي السر جون) يرى أن قوته كافية لفتح الطريق إلى بغداد لذلك قرر حشد القوة في العزيزية وأنه قد شاع أن اسر الموظفين الالمان والترك تغادر بغداد قاصدة حلب . إلى أن قال أنه يرغب كل الرغبة في الاستيلاء على بواخر العدو التي لا تتمكن من المخر في النهر شمالا إلى مسافة بعيدة .

وهذه برقية بعث بها إلي رئيس اركان الجيش : -

« في ٤ تشرين الاول السنة ١٩١٥

« إن الخطة التي رسمتها للحركات تنحصر في ما يلي : -

« سأضع اللواء الثامن عشر في العزيزية وذلك تمهيداً لحشد القوة في ذلك المكان . واضع اللواء السادس عشر مع النقلية البرية المختصبة به في عظمة « الشظيف الشرقي » اما اللواء السابع عشر فاضعه في « الشادي » . وتسير جميع القطعات براً . واضع قطعات الفرقة ومنها البطاريات الثقيلة والخيالة وبطارية المدفعية القصيرة في العزيزية . واستطيع بهذا الترتيب توحيد قوتي كلها في يوم ونصف إذا حاول العدو الهجوم على اللواء المنفصل في العزيزية وفي الوقت عينه اخدع نور الدين في نياتي المتعلقة بالتعرض بحيث اتمكن من الزحف وتوحيد قوتي على جناح السرعة إذا تقهقر نور الدين من طيسفون (سلمان باك) إلى بغداد . واطلب من الارزاق والعتاد ما يكفيني ٢١ يوماً للقوة كلها بحيث تخزن هذه الارزاق والعتاد في العزيزية . ولا تمس الارزاق التي تعطى لي لمدة ٢١ يوماً ما لم ازحف براً على طيسفون (سلمان باك) .

« وخطتي العامة ترمي إلى الالتفاف حول ميسرة العدو اي حول الجناح

الشرقي والمؤخرة فاهجم على الخط الممتد من الطريق العامة حتى بغداد من خطوط موقع العدو واهمل كل الموضع الواقع إلى غرب الطريق العامة . فاذا ثبت نور الدين مرة اخرى في ديالي نهجت هذا المنهج عينه في الهجوم عليه . فيقطع الرتل « أ » والخيالة نهر ديالى على مسافة ثلاثة اميال إلى غرب ديالى . واحتاج إلى كل النقلية البرية التي تتمكنون من ارسالها إلي كما طلبتها قبل معركة الكوت . والآن وقد حتمتم علي الزحف إلى الامام اعتقد انكم تبذلون كل ما بوسعكم في اكتراء الجمال والحمير والبغال وهلم جرا .

« وبعد وضع لواء فراي في العزيزية سارجع بالسفن إلى الكوت لاعجل سير الامور » .

ففي ٥ تشرين الاول انزلت اللواء الثامن عشر وبطارية الصحراء ٦٣ بقيادة الفريق فراي إلى البر ووضعتها في قرية العزيزية الواقعة على ضفة دجلة اليسرى . وامرت فراي بأن يضع معسكراً محصناً بالخنادق حول القرية وأن يضع فوجاً في الخنادق عند عنق الارض الواقع على عطفة دجلة على مسافة اربعة اميال اسفل قرية العزيزية وإلى الجهة الجنوبية الغربية منها . واصدرت الاوامر بوضع موضع خيالة دائم على مسافة ميل فوق العزيزية والشروع في انشاء محطة للطائرات .

وابرقت إلى أمير اللواء « ديلامين » آمر القوة المرابطة في الكوت بأن يرسل إلي ارزاق ٢١ يوماً لكل القوة اخزنها في العزيزية ولا امسها ما لم اشرع في الزحف وكذلك طلبت ارزاق ١٤ يوماً توضع على السفن للحملة على طيسفون والمقدار الذي استطيع الحصول عليه من العتاد .

وطلبت كذلك سد النقص الواقع في صفوفي بخسارة ١٥٠٠ مقاتل اثناء وقعة كوت الامارة وطلبت نصف اللواء من الوية الفرقة الثانية عشرة ، وهو عين القوة التي كانت معي في تلك الوقعة ، استخدامه بمنزلة احتياط عام وأن اعطي هذا اللواء بكامله إذا تيسر ذلك .

وقلت لأمير اللواء « ديلامين » أنني سأرتب الفرقة قدمات مؤلفة من الوية

اضعها على موازاة النهر بحيث تكون الفرجة بين قدمة واخرى مسير يوم كامل وذلك لكي امكن من توحيد قوتي في اليوم الذي اريده في مدة يوم ونصف يوم . وسينبهني الاستكشاف الجوي على الخطر قبل تمكن قوات معادية متفوقة من الهجوم علي وفي الوقت عينه اخدع نور الدين باشا بنظام القدمات . هذا ما انوي القيام به من الحركات ولو كان القرار بأن لا نتعدى كوت الامارة في زحفنا لانسحبت كذلك على نظام القدمات وظلت قوتي متحدة كأن القوة باسرها مجموعة في العزيزية .

فاذا انسحبنا بالقوة باسرها كتلة واحدة لحسب العرب انسحابنا على هذه الصورة تقهقراً . لذلك رأيت أن خير ما افعله أن ارتب قوتي على نظام القدمات مراعياً بذلك قاعدة ترتيب الآلة الموسيقية المعروفة « بالكونسرتينة » .

وقررت أن اتخذ العزيزية مقراً لي لأن هذا المحل يسهل وصول جميع تقارير الاستكشاف الجوي وغيره إلي وأنه يتحتم على قائد القوة العام أن يصحب المقدمة في جميع حركات التعرض لكي يتمكن من ابداء الحكم السريع في تلك الحركات .

وفي ٥ تشرين الاول استكشفت طائرة بحرية طيسفون فروت أن الترك غير محتلين ذلك المكان . وقال الطيار الراصد أنه لم يشاهد جنوداً ولا « معونات » ولا مخازن هناك ولكنه ظن أنه شاهد رتلا على مسافة اربعة اميال إلى جنوب نهر ديالى وكان ذلك الرتل يسير شمالا .

فابرقت إلى « ريلي » ليقف على حقيقة هذا الخبر . فركب الطائرة من ساعته ورجع إلي في العزيزية الساعة ٣٠ : ٥ بعد الظهر . وقد طار فوق طيسفون الساعة ٥ بعد الظهر وقال أنه لا شك عنده في أن الترك كانوا محتلين ذلك الموضع لأنه رأى اربع بواخر ذوات رفاس و « معونات » و « مهيلات » ومخازن لخزن المدخرات وجنوداً لا يقل عددهم عن الثلاثة آلاف أو الاربعة آلاف . وشاهد عند منعطف الزورر باخرة و « بارجتين » عليها جنود وذلك على مسافة اربعة عشر ميلا إلى الجهة الغربية الشمالية الغربية من العزيزية . ورأى خياماً تظهر مغطاة باوراق

الشجر وتبن . فكان تقرير « ريلي » وتقرير الطائرة البحرية على طرفي نقيض .

فبعثت بهذا الخبر إلى رئيس اركان الجيش وكذلك اقترحت على المقر العام أن يستعمل الكلمة « طيسفون » بدلا من الكلمة « سلمان باك » .

واوفدت مفرزة استكشاف من الخيالة للتثبت من مسألة منعطف الزور .

ورأيت أن اركان « السر جون نكسن » اخذوا يتمادون في اصدار الاوامر حتى أنني ابرقت في ٦ تشرين الاول من العزيزية مستفهما « هل ينوي القائد العام ادارة هذه الحركة بنفسه أو هل يريدني أن اديرها أنا نفسي على ما كنت اديرها في كوت الامارة » . فجاءني رداً على برقيتي بأنه لا شك في كون آمر الفرقة السادسة على سابق عهدي . فشممت من هذا الجواب رائحة التملص لأنني في الواقع كنت اقود في الحركات السابقة قوة اكبر من الفرقة السادسة . واثناء زحفي من كوت الامارة إلى العزيزية تلقيت برقية التهنئة التالية بانتصاري في كوت الامارة بعث بها إلي « السر جون نكسن » : ـ

« إن قائد الجيش يمحضكم وفرقتكم خالص التهنئة بفوزكم المبين الذي تم لكم بالخطة التي توخيتموها اثناء الحركات . ولا يبالغ مهما اثنى على التعرض المنطوي على البسالة والاقدام الذي قام به امير اللواء ديلامين ولا يفي حق اعجابه العظيم ببسالة الجنود مهما لهج بوصف تلك البسالة » .

وقد اضفت إلى هذه البرقية اثناء نشرها على الجنود الكلمة التالية : أن بالي كان مطمئناً طول مدة القتال الحرجة التي انقطعت فيها اخبار الرتل « أ » عنا لأنني كنت عالماً بقيمة اللوائين السادس عشر والسابع عشر وبقيمة جميع الاصناف التي يتألف منها هذا الرتل في القتال . واثنيت بصورة خاصة على العمل المجيد الذي قامت به البطريات . وقلت كذلك أننا لا ننسى أن فوز الرتل « أ » توقف على صلابة الرتل « ب » وثباته فامحض هذا الرتل خالص الشكران . وكذلك شكرت للضابط البحري الاقدم تعاون القوة البحرية الشديد ، المنطوي على البسالة ، في

القتال وسهر رجال المركب المسلح ليل نهار على الحملة واسفت غاية الاسف لوفاة وكيل الأمر البطل « كوكسن » .

وقد تلقيت البرقية التالية من معاون كاتم السر العسكري للحملة العراقية وتاريخ البرقية ١ تشرين الاول السنة ١٩١٥ : -

« يسر قائد الجيش أن يبعث اليكم بالرسالة التالية التي تلقاها من رئيس اركان الجيش وهي :

في ٣٠ أيلول

العدد س / ٢٢٩١٢

إن القائد العام للجيش الهندي يبعث اليكم وإلى طاونزند وديلامين وجميع رجال القوة المشتركة في القتال خالص تهانئهِ بفوز حركاتكم المبين في كوت الامارة . ويأسف كل الاسف للخسارة التي ليس بالاستطاعة تحاشيها ويؤمل أن الجرحى بخير » .

وبعث الملك إلى « السر جون نكسن » بالبرقية التالية : -

« امحضكم والقطعات التي تقودونها خالص التهنئة بالفوز المبين الذي تم لكم في احوال صعبة شاقة . وارجو الشفاء للجرحى والمرضى » .

فاجاب « السر جون نكسن » على برقية الملك الجواب التالي : -

« إنني اعرض اخلاص هذا العاجز على الملك وافصح بالاصالة عن نفسي وبالنيابة عن جنود جلالتهِ الذين اقودهم عن الشرف والامتنان العظيمين اللذين شعر بهما الجميع حين سماعهم كلمات جلالته الرقيقة تقديراً لعملهم . أما الجرحى والمرضى فهم بخير واملي أن الكثيرين منهم سيعودون إلى صفوفهم في وقت قريب . وقوة الجنود الادبية على غاية ما يرام » .

وفي هذا الوقت عينه ارسلت إلي كذلك نسخة من البرقية التي بعث بها نائب الملك في الهند إلى « السر جون نكسن » وهي : -

« إنني امحضكم خالص التهنئة بفوز الحركات في كوت الامارة . وارجو منكم أن تفصحوا للفريق طاونزند وجميع الضباط الذين تحت امرته عن ثنائي العاطر على بسالتهم واخلاصهم اللذين انتهيا إلى النصر المبين . وارجو أن الجرحى يتماثلون إلى الشفاء وأن جميع اسباب الراحة المتيسرة في مثل تلك الاحوال الصعبة متوفرة لهم » .

واجاب « السر جون نكسن » على برقية فخامة نائب الملك في الهند بالبرقية التالية التي جاءتني مع البرقيات السابقة : ـ

« إن الجميع يقدرون برقية فخامتكم بتهنئتهم كل التقدير وبالنيابة عن الفريق طاونزند والقطعات التي يقودها ارفع إلى فخامتكم خالص شكرنا على كلماتكم التي تبعث فينا الهمة والنشاط . ويسرني أن ابشر فخامتكم أن الجرحى بخير ونتوقع أن يشفى بعضهم هنا فيلتحقون بقطعاتهم » .

وارغب في أن اورد هنا عملا منطوياً على الكرامة قام به « السر جون نكسن » نحوي وهو أنه تلقى في ٧ تشرين الاول البرقية التالية من وزير الهند بعث بها بواسطة نائب الملك في الهند . وهذه البرقية تتعلق بنصرنا في كوت الامارة وهي : ـ

« ساءني جداً نعي وكيل الآمر كوكسن . وارجو منكم أن تمحضوا الفريق السر جون نكسن تهنئتي بالانتصار المجيد الآخر الذي تم للحملة العسكرية العراقية » .

فاجاب « السر جون نكسن » الجواب التالي على هذه البرقية بعث به إلى نائب الملك في الهند : ـ

« ارجو منكم أن تبعثوا بالبرقية التالية إلى وزير الهند ـ وهي : أن برقيته اللطيفة الباعثة فينا الهمة والنشاط والمؤرخة ٣٠ الجاري قد تأخرت في وصولها الينا ولم اتناولها الا في هذا اليوم فبالنيابة عن الفريق طاونزند والفرقة السادسة اللذين

يرجع الفضل في هذا الانتصار اليهما وحدهما اقول أنه كان لبرقيتكم هذه خير وقع في نفوسنا » .

وفي هذا الوقت عينه تلقيت برقية من رئيس اركان الحملة من الكوت فيها أنه يظهر من بيان بسطته الوزارة في مجلس العموم أن مجلس الوزراء وافق على مطاردة العدو . ولكنني لم افهم ما شأن مجلس النواب في المطاردة التعبيوية التي اقوم بها بعد الانتصار .

وايد استطلاع الخيالة في الزور الواقعة على مسافة ١٤ ميلا فوق العزيزية وعلى هذه المسافة عينها تحت طيسفون أن نور الدين قد اوفد إلى الامام مفرزة محافظة إلى الزور . وقد تحصنت هذه المفرزة في الخنادق التي في هذا المكان . وقيل أن هذه المفرزة مؤلفة من كتيبة خيالة وثلاثة افواج مشاة ومدفعي صحراء . وقد وضعت هذه المفرزة براً على مسافة ميلين من ضفة النهر إلى الجهة الشمالية الشرقية من الزور . وكان هنالك باخرتان مربوطتان إلى ضفة النهر فحسبت انهما قد رستا هناك لتستّر معظم القوة التركية المرابطة في طيسفون وأنهما ستنسحبان حين زحفي بقوتي .

فبناء على هذا التقرير امرت اميري اللواء ديلامين وهوتن لينضما بلوائيهما إلى اللواء الثامن عشر في العزيزية على اسرع ما يستطاع استعداداً لجميع الطوارىء .

وينطبق التقرير الذي روى أمر هذه القوة التركية الساترة على تقرير جواسيس قلم الاستخبارات من أن نور الدين باشا استدعى مفرزة تركية من الحلة . ولو استدعى هذه القوة قبل وقعة كوت الامارة لاستفاد منها .

ملحق الباب الثاني

خطة الحركات المرسومة لوقعة كوت الامارة



الفريق طونزند

إلى رئيس اركان الجيش للحملة العراقية بمقر الجيش بالبصرة في ٢٨ آب السنة ١٩١٥ .

عطفاً على الفقرة « أ » من المادة الخامسة من الوصايا المتعلقة بزحفي على كوت الامارة والصادرة عن المقر العام للحملة العراقية بالبصرة بتاريخ ٢٣ آب السنة ١٩١٥ ، وعطفاً على تقرير الاستخبارات الذي تسلمته من المقر العام اتشرف بأن ارفع الخطة التالية التي رسمتها للحركات لتنفيذ المهمة التي عهد القيام بها إلي : -

١ - عندما احتل الشيخ سعد بلواء المشاة السابع عشر الذي يسير تواً من العمارة اضم على الفور لواء المشاة السادس عشر المرابط الآن في علي الغربي إلى اللواء السابع عشر واضم لواء المشاة الثامن عشر من العمارة إلى القوة التي ذكرتها وإلى باقي الفرقة .

٢ - ولا ازحف من الشيخ سعد إلى كوت الامارة ما لم تتوحد قوتي باسرها في الشيخ سعد .

٣ - وسأسير بقوتي كلها متحدة على ضفة دجلة اليسرى من الشيخ سعد في ثلاث مراحل سهلة إلى كوت الامارة ، هذا إذا لم اقف على خبر مهم من تقارير قلم الاستخبار ام من تقارير الاستكشاف الجوي بحيث يحتم علي ذلك الخبر تغيير الخطة التي رسمتها للحركات . وسأسير من الساعة الرابعة قبل الظهر إلى الساعة الثامنة قبل الظهر واستريح سحابة النهار وذلك فراراً من شدة الحر . وسيتم السير على رتل منفرد ويتألف هذا الرتل من الخيالة والمشاة وقطعات الفرقة ما عدا البطريات الثقيلة وبطرية مدافع « هانتس » القصيرة الخامسة التي تنقل على ظهر السفن المختصة بالنقلية .

وستوقف القوة وتعسكر في العراء ازاء السفن واسطول المراكب المسلحة وهذه السفن والمراكب تسهر على سلامة معسكر العراء بالنظر إلى النهر .

المناورة التي نتوقع حدوثها

٤ ـ بناء على التقارير التي لدينا أن مياه النهر لا يستطاع عبورها تفصل قوى العدو الذي قد وضع ميسرته على الضفة اليسرى وميمنته على الضفة اليمنى . لذلك سأبيد ميسرة العدو بكل قوتي المتحدة مهملا أمر ميمنته التي على الضفة اليمنى والتي لا بد من انهزامها عندما ترى الميسرة مطوقة . وقد عمدت إلى ابادة الميسرة لأنها الجناح الاقرب إلى خط تقهقر العدو الطبيعي (انظر الرسم الذي نظهر منه « المناورة » التي نويت اجراؤ ها ـ اي هجوم قوتي الكبرى هجمة التفافية تحمل بها حملة فاصلة على ميسرة العدو ومؤخرته)[١] وستصحب بطارية من مدفعية الصحراء هذه القوة المهاجمة وكذلك ستصحبها الخيالة وهي على نظام القدمات على الجناح الخارجي .

٥ ـ تتألف القوة التي تقوم بالهجوم التمهيدي من لواء مشاة واحد يزحف على موازاة الضفة اليسرى على جبهة يبلغ عرضها نحواً من الف يرد تعضدها كل مدفعية الفرقة بحيث تنزل المدافع التي قطرها ٤ عقدات و ٥ عقدات من السفن إلى البر وتوضع على الضفة اليسرى . وضفتا النهر مرتفعة جداً عن مستوى النهر في الوقت الحاضر .

٦ ـ لا تتحول الهجمة التمهيدية إلى هجمة فاصلة ما لم تدنو قوة الالتفاف ـ اي قوة الهجمة الفاصلة ـ من النهر[٢] . وينبغي لي أن اجعل المسافة بين القوة القائمة بالهجمة الفاصلة وبين القوة القائمة بالهجمة التمهيدية ثلاثة اميال على وجه التقريب اي المدى المؤثر لنار مدفعية الصحراء .

٧ ـ وقد قلت في ما مر أن هذه الخطة مبنية على القاعدة التي افكر في تطبيقها وسأضع هذه الخطة موضع التنفيذ إلا إذا حال دون ذلك سبب وجيه أو حائل يقضي بتغييرها أو بتعديلها .

---

(١) وهذا ما وقع بعينه في القتال .

(٢) لو قلت أن هذه القوة تنزل نحو النهر (اي حين التفافها حول ميسرة العدو وطرد العدو بقضه وقضيضه امامها) لجاء التعبير اوضح .

واعتقد أن الامر الذي دعا العدو إلى تقوية ميمنته كل تلك التقوية هو خوفه من حركة التفاف سوقية مصدرها الناصرية . وبالنتيجة ازحف من الضفة اليمنى . أو أن الترك يعتقدون أن البريطانيين عازمين على مهاجمة الجبهة لأنهم لم يرواغير ذلك منا في المحاربة .

وجميع التقارير تنبىء بأن الضفة الشرقية بكاملها مكشوفة وحالتها موافقة « للمناورة » بلا موانع تحول دون ذلك ولكنني سأفحص هذه التقارير جمعاء فحصاً دقيقاً .

٨ - عند وصولي اليوم العمارة قادماً من البصرة انبأني المستر « كولي » بأن لا باخرة من نوع تتمكن من تعدي علي الغربي في مجر النهر شمالا مسافة تزيد على ١٥ ميلا . ولا يخفى أن هذه المسألة مهمة جداً لأننا نحتاج إلى باخرة من بواخر « لنج » تكون مهيأة في البصرة للسير في نهر قارون إذا اقتضى الأمر ذلك . ولا بد لي من الابراق اليكم بهذا النبأ لأن المستر « كولي » واقف على احوال النهر كل الوقوف .

٩ - واقول في ما يتعلق بالفقرة « ب » من المادة « ٥٢ » أن آمر الطائرة سيكون قريب المنال مني وذي صلة بالخطة التي رسمتها للحركات . وسيهتم اشد الاهتمام باستطلاع ميسرة العدو ومؤخرته نظراً إلى المناورة التي صممت على اجرائها والتي بسطتها في ما تقدم . وسأراعي ما جاء في الفقرات ٢ و ٣ و ٤ من الفصل ٩٥ من الجزء الاول من كتاب « نظامات الخدمة السفرية » ، وقد لفت نظري إلى الفقرات ٦ و ٧ و ٨[1] . وسأكتب اليكم على حدة في الأمر المتعلق بمواضع الدفاع على خط مواصلاتي . وسأخفض عدد رجال الحامية المختصة بالموقع المقترح انشاؤه في علي الغربي . وقد الفيت أن الحامية المعينة لموقع صغير على خط المواصلات تبلغ فوجاً واحداً ولكنني ارى أن نصف سرية تزيد على المطلوب . وسأزيدكم كتابة في هذا الموضوع .

(١) ذكرها رئيس اركان الجيش للحملة في وصاياه العامة .

١٠ ـ وقد تسلمت اليوم تعارير قلم الاستخبارات عندوصولي هذا المكان وفيها أن الاثني عشر فوجاً من الافواج التركية قد وصلت مدينة الموصل من ولاية وان ومن جنوب غربي ولاية ارضروم . وأن هذه الافواج على وشك الانتقال إلى بغداد على « الكلكات » والرسالة التي فيها هذا الخبر صادرة في ٢٧ رمضان على ما يدل عليه تاريخها .

فاذا اصح هذا الخبر فالافواج المذكورة قد وصلت بغداد الآن . ولا فائدة من قولي لكم أنني استبعد أن الترك يحولون قواتهم عن المنطقة التي يقاتلون فيها الروس بعد انكسارهم في ذلك الميدان ويرسلونها إلى العراق . ومع هذا لا يعلم انسان على الاطلاق الامور التي صمم الترك على عملها والامور التي احجموا عن القيام بها ويحتمل كل الاحتمال أن نور الدين اقام الارض واقعدها تهويلا في طلب النجدات للثبات في بغداد . فما رأيكم في هذا ؟ فاذا انضم ستة آلاف مقاتل آخر إلى القوات المرابطة في موضع السن الآن يبلغ عددها ستة آلاف مقاتل كذلك تحتم علي الهجوم على قوات معادية تفوق قواتي من حيث العدد وفضلا عن هذا أنها تكون متحصنة في موضع منيع .

العمارة في ٢٨ آب السنة ١٩١٥ .

ج . ف . ف طاونزند
فريق ثان

ملحوظات تتعلق بالخطة التي مر ذكرها

إنه لأمر لا يخلو من الفائدة أن اوضح لقراء كتابي هذا من رجال الجيش خطتي التعبيوية ايضاحاً مفصلا فاقول : ـ

سيرى القارىء أنني توخيت في خططي الحربية تطبيق قاعدة استخدام القوة الكبرى لمهاجمة الموضع الاضعف في قوة العدو وذلك على ما بسطته في مقدمة هذا الكتاب . واستخدم في الوقت عينه قوتي الصغرى لمشاغلة جبهة العدو وايقافها في

مكانها فتتمكن قوتي الكبرى - وهي مطلقة اليد في العمل و « المناورة » - من الزحف على ميسرة العدو ومؤخرته حيث تحمل عليه فتلف حول ميسرته بطبيعة الحال . ولا تثبت ميمنة العدو الموضوعة على ضفة النهر اليمنى في مكانها عندما ترى ميسرتها قد ابيدت . فبناء على هذه الخطة التي رسمتها قبل الشروع في المعركة قسمت قوتي إلى قسمين وهما : -

(أ) القوة الكبرى بقيادة أمير اللواء « ديلامين » .

(ب) القوة الصغرى بقيادة الفريق الثاني « فراي » .

وتتألف القوة الكبرى - أو الرتل « أ » - من لوائي المشاة السادس عشر والسابع عشر مع بعض المدفعية السيارة - التي تشتمل على بطرية المدافع القصيرة لطرد العدو من الخنادق - ومعظم الخيالة . وتقاتل الخيالة قاعدة إلى جناح القوة الكبرى الخارجي بلا استثناء . فتستخدم هذه القوة لانزال الضربة القاضية على اضعف موضع في صفوف العدو وهو الموضع الاقرب إلى خط تقهقره الطبيعي . اي الطريق الممتدة من الكوت إلى بغداد على موازاة نهر دجلة ، لذلك علمت بأني سأعثر على معظم قوة العدو على تلك الضفة . فاقتضى الأمر أن اجري الحركة على الضفة اليسرى لأن القاعدة الاولى من قواعد الحرب الاساسية تقضي بأن يكون هدفنا الاولي على الدوام معظم قوات العدو في ساحة الوغى . وينبغي أن اضع خطة « المناورة » قبل الشروع في المعركة لكي استخدم قوتي الكبرى للقيام بحركة الالتفاف حول جناح العدو . لذلك عينت كل النقلية المتيسرة لي للرتل « أ » الذي يتحتم عليه القيام بمناورة التفاف شاملة وواسعة في الصحراء لكي تدرك الجناح الاقصى والمؤخرة للموضع المحصن فيه نور الدين في « السن » . وكان الجانب الاعظم من هذه المعاقل والخنادق على الضفة اليسرى . ولما كان الدور الذي ستمثله القوة التي تقوم بالهجوم الالتفافي - أي القوة الكبرى - على غاية الشأن ، عهدت بقيادة الرتل « أ » إلى خير آمر من آمري الوية فرقتي .

وكانت القوة الصغرى - اي الرتل « ب » - مؤلفة من اللواء الثامن عشر

بقيادة الفريق الثاني « فراي » مع معظم المدفعية وكل المدفعية الثقيلة ومعظم الهندسة والنسافة لكي تصبح هذه القوة الصغرى ذات مقدرة عظيمة على الدفاع . ولم يكن لدى هذا الرتل نقلية برية جديرة بالذكر لذلك اقتضى نقله بالسفن إلى أن يصل المكان الذي يستطيع مقاتلة العدو منه . وينبغي استخدام هذه القوة لمهاجمة جبهة العدو لتوقفه في مكانه وتحصره في خنادقه بينما تقوم قوتي الكبرى « بمناورة » التفاف واسعة في الصحراء فتطوق مؤخرة العدو وجناحه الاقصى كما يسحب الصياد شبكته .

وتسير القوة الصغرى إلى قوة النهر وتشرع في القتال بمهاجمة جناح العدو المستند إلى النهر معتصما في خنادقه . ولكنها تهجم هجوماً فاصلا إلا إذا امرتها بذلك عندما تشرع القوة الكبرى في مقاتلة العدو وعلى مقربة منه . وإلى هذا الحين يقتضي أن تتخذ القوة الصغرى خطة الدفاع بمعونة المدفعية القوية والمقادير الكبيرة المتيسرة لها من المعاول والمجارف وادوات الاستحكام . وتستفيد من جميع موانع الارض الطبيعية كمجاري الماء والخلجان وترع الري وغيرها ومن جميع الاماكن المستولى عليها فتتخذها حول جناحه ومؤخرته لأن الاتراك إلى هذا الحين لم يروا من البريطانيين سوى هجمات جبهية محضة وقد صدق ظني هذا لأن نور الدين كان يتوقع الهجوم الجبهي الاعتيادي على كلتا ضفتي النهر .

وبعد مرور ردح من الزمن على شروع القوة الصغرى في القتال تدنو القوة الكبرى ـ اي الرتل « أ » ـ من جناح العدو ومؤخرته بحيث تحمل الخيالة على العدو (وهي إلى جناح القوة المهاجمة) وتهدد خط تقهقره . وعلى كل قطعة من قطعات القوة باسرها أن تتخذ الصدمة التي تصدم بها القوة الكبرى العدو في القتال رمزاً إلى الزحف للاشتراك في المعركة على طول جبهة القتال .

ويعين الاسطول النهري بعمله سير قتال القوة الصغرى ويقاتل مدفعية العدو التي يعثر عليها على ضفة النهر اليمنى . وأرى أنه لا بد لنور الدين من فصل جانب من قواته وايفاده إلى الضفة اليمنى . ولكنني اصد هذه القوة وفي الوقت عينه احمي نقليتي وسفني بمفرزة استعيرها من فرقة الفريق غورنج الثانية عشرة التي

كانت المستخدمة لحماية خط المواصلات اثناء وقوع هذه المعركة . وقد فزت في حمل المقر العام على اعطائي فوجين ضعيفين من افواج هذه الفرقة بقيادة الزعيم « كلايمو » لاستخدمها لهذا الغرض . وعزمت على أن احصر عمل هذين الفوجين في المدافعة المستكنة وهما معتصمان في الخنادق على حافة الماء ومتصلان بباقي قوتي بجسر من قوارب امده فوق النهر من ضفة إلى اخرى .

« تقرير سري »

مقر الفرقة السادسة

في ٢٢ أيلول السنة ١٩١٥

وصايا عامة إلى آمري الالوية ورؤساء الدوائر وقائد الاسطول وغيرهم

لقد بنيت منهجي أو بالاحرى خطتي على الفصلين ١٠٢ و ١٠٣ من كتاب « نظامات الخدمة السفرية » الجزء الاول المرقوم ١٠٩٩ والمعاد طبعه عام ١٩١٤ . وإنني اتوقع وصول الوحدات التالية : ـ

تصل كل البطرية ٦٣ من المدفعية البريطانية وبطارية مدافع هانتس القصيرة قبل الخامس والعشرين من الشهر أو فيه وتصل كذلك كتيبة الخيالة السادسة عشرة .

(١) الزحف

يتم الزحف إلى ميدان القتال في ٢٦ الجاري على الوجه التالي : ـ

لواء المشاة السادس عشر
لواء المشاة السابع عشر
لواء المشاة الثلاثون (ما عدا فوجين)
بطاريتان من المدفعية البريطانية
اللواء العاشر من المدفعية البريطانية ما عدا بطريـة واحدة

يشرع الرتل « أ » بقيادة أمير اللواء ديلامين في السير الساعة ٣٠ : ٤ بعد الظهر ويزحف على « عطفة الكحيلة » بطريق الضفة اليمنى وتستره المقدمة التعبيوية وخيالة حامية التي تتخذ مواضعها على التلال الموجودة في « عطفة الكحيلة » ويعسكر الرتل في العراء (ومعه

بطارية « مكسيم » واحدة
رتل عتاد الفرقة (القسم البري)
حضيرتا مستشفى سيار بريطانيتان
٦ حضائر مستشفى سيار هندية
بطارية ٥ / ١ مدافع هانتس القصيرة (ما عدا نصف بطارية)
كتيبة الرماحة السابعة
كتيبة خيالة ١٦
سرية المسافة ٢٢

نصف الخيم السفرية المعينة له) قبالة قرية النخيلات وتقترب السفن المختصة بهذا الرتل من الضفة اليمنى

اللواء الثامن عشر
سرية المسافة ١٧
مدفعية الفرقة
رتل عتاد الفرقة
(القسم النهري)
حضيرة مستشفى سيار بريطانية
حضيرتا مستشفى سيار هنديتان

ينقل الرتل « ب » بقيادة الفريق « فراي » على السفن (ما عدا البطارية ٦٣ من المدفعية البريطانية ونصف بطارية ١/٥ مدافع هانتس القصيرة وسرية الفنية ٤٨ لأن هذه تسير إلى جانب الضفة اليسرى) إلى النخيلات وتنزل إلى الضفة اليسرى إلى جنوب القرية وتقف السفن قريبة من الضفة اليسرى .



امير اللواء خليل باشا

٢ ـ الانفتاح للقتال

ثم يتقدم الرتل « ب » نحو العدو على الضفة اليسرى ليتخذ مواضعه على المسافات التالية من قطعات العدو المتحصنة على الضفة اليسرى : ـ

١ ـ للمدافع بقطر ٤,٥ العقدة ـ ٥٠٠٠ برد .
٢ ـ للمدافع بقطر ٢,٤ العقدة ـ ٤٥٠٠ برد .
٣ ـ لبطريـة من المدفعية البريطانية ـ ٣٥٠٠ برد (بطريـة المدافع القصيرة) .

توضع جميع المدافع على ضفة النهر اليسرى لعضد الرتل «ب» وانوي أن اضع هذه المدافع في المواضع التالية :

٣ ـ في المربع « هـ » ٥ ـ ٩ ـ ٩
٢ ـ في المربع «و» ٥ ـ ٢ ـ ٧
١ ـ في المربع «و» ٥ ـ ٣ ـ ٥

وتستطيع المدافع من هذه المواضع عضد هجوم المشاة المختصين بالقوة المكلفة بالهجوم التمهيدي اي الرتل « ب » ـ وذلك من غير تغيير المواضع الواقعة على المسافة المؤثرة .

وتعضد مدافع الاسطول كذلك الرتل « ب » باطلاقها ناراً ساترة لاسكات المدافع التركية التي تتحصن في اماكن واقعة إلى جنوب الفرات .

ويزحف الرتل « ب » في ارض مكشوفة حيث ارجح تعرضها لمقذوفات المدفعية التركية باسرها التي تصب نيرانها على مسافات معلومة . وإذا تم هذا الزحف نهاراً كلفنا الشيء الكثير . لذلك ارى وجوب الزحف ليلا (في ليلة ٢٦ و ٢٧ الجاري) ولا بد من حفر الخنادق تحت جنح الظلام .

وقد يقتضي الأمر أن تعضد مدافع الصحراء المختصة بالرتل « أ » زحف الرتل « ب » في ادواره الاولى إذ توضع هذه المدافع على اكمات « كحلة » وتربط المدافع الثقيلة بين منعطفي النهر في « النخيلات » .

وفي اثناء ذلك يبذل كل الوسع في انشاء جسر القوارب على جناح السرعة .

ويقوم امر الرتل « أ » بمظاهرة[1] بمفرزة مختلطة في جهة خنادق « السن » على الضفة اليمنى ويختار مواقع محصنة فيضع فيها قوة لحماية النهر والسفن بحيث تتألف تلك الحامية من نصف اللواء الثلاثين الذي يصبح في نهاية الأمر احتياطاً عاماً يتصرف به قائد القوة . ويعين لهذه المواقع ستة مدافع من مدافع « نوردنفلت » .

واعتقد أن الجسر سيكون جاهزاً للعبور عليه في ليلة ٢٦ الجاري أو قبلها وعندما يتم انشاؤه يشرع الرتل « أ » في العبور إلى الضفة اليسرى . وستغادر قطعات هذا الرتل خيامها المنصوبة على الضفة اليمنى وتستر المفرزة المختلطة والمدافع الموضوعة على اكمات « الكحلة » هذه الحركة .

وبعد أن يعبر الرتل « أ » يستريح في شرق قرية النخيلات إلى أن يخيم الظلام . وفاتني أن اقول أن مفرزة مختلطة (مؤلفة من فوج واحد وحضيرة واحدة من المدفعية ورعيل خيالة) من الرتل « أ » تسير من الضفة اليسرى بمنزلة جناح للرتل « ب » في السفن وعند وصول هذه المفرزة النخيلات تسير شمالا إلى المربع « و » ٤ لتتحصن هناك وبذلك تحمي فم المضيق اللواقع بين بطيحتي « السوادة » و « شويكة » وتتحرك بمنزلة مقدمة للرتل « أ » .

ويتقدم الرتل « أ » إلى المربع « و » ٤ - ١ - ٢ حيث فم المضيق[2] .

٣ - الهجوم التمهيدي

يشرع الرتل « ب » يوم ٢٧ الجاري عند انفلاق الصبح في مقاتلة العدو مقاتلة جدية بقيادة الفريق « فراي » . وتنحصر غاية الفريق « فراي » حينئذ في الزحف على حذر إلى موضع العدو الواقع على الضفة اليمنى ضمن المربعين « د » ٦ و « د » ٥ بمعونة المدفعية والنسافة . ولا تقتصر مهمته على مشاغلة الترك

---

(١) وكنت آمل أنني بهذه المظاهرة احمل خصمي على الاعتقاد بأنني عازم على شطر قوتي إلى شطرين اهجم بهما على كلتا الضفتين وقد نجحت هذه الحيلة .

(٢) إن هذا المضيق هو الممر بين بطيحتي السوادة والعتبة .

وحصرهم في موضعهم فحسب بل تتناول المظاهرة واعمال الحبلة والانتشار على جبهة واسعة تمتد على مسافة ١٢٠٠ يارد ليحمل الاعداء على الاعتقاد بأن قوته هي القوة الكبرى القائمة بالهجوم الفاصل وبذلك يغريهم باستخدام قوتهم الاحتياطية للمدافعة عن هذا القسم من خطهم .

وينبغي للفريق « فراي » أن يحصن جميع الاماكن التي يستولي عليها بالمعول والمجرفة ويستفيد من جميع خلجان الماء اليابسة والاخاديد وغيرها سواء كانت طبيعية ام كانت اصطناعية مفرغاً في ذلك كل مقدرة مهندسيه الفنية . فهو مستقل بقوته وعمله ولا يخفى أن قيادة هجمة تمهيدية تقتضي رباطة الجأش وتضحية النفس .

وعندما يعلم الفريق « فراي » أن القوة الكبرى القائمة بالهجمة الفاصلة ـ اي الرتل « أ » ـ قد استولت على خنادق العدو التي تحمي المضيق في المربعين « د » ٣ و « هـ » ٢ يحول هجومه التمهيدي إلى هجوم فاصل .

٤ ـ الهجوم الفاصل الذي تقوم به القوة الكبرى

بعد مرور ساعة أو اكثر من الزمن على شروع القوة القائمة بالهجوم التمهيدي في القتال يتقدم الرتل « أ » بقيادة أمير اللواء « ديلامين » للهجوم للالتفاف حول خنادق العدو في المربعين « د » ٣ و ، هـ ، ٢ والاستيلاء عليها كراً . ويقتضي أن ينطوي هجوم امير اللواء « ديلامين » على قاعدة القوة الكبرى ـ اي الهجوم على اضعف موضع في قوة العدو باكبر قوة متيسرة ـ بحيث يرتب قطعاته قدمات على الجناح الخارجي لبلوغ هذه الغاية ويتحرك معظم خيالته على جناحه الخارجي الاقصى .

ويزحف أمير اللواء « ديلامين » جنوباً على جناح السرعة بعد الاستيلاء على الخنادق طالباً ميسرة العدو ومؤخرته فيصل النهر في المربعين « ب » ٥ و « ج » ٥ .

والمظنون أن ميمنة العدو على الضفة اليمنى لا تظل في مكانها عندما تشاهد تقهقر الميسرة على الضفة اليسرى ولا بد من تقهقر الميسرة عند مشاهدتها القوة

القائمة بالهجوم الالتفافي نازلة عليها .

ويقتضي أن يفرغ الفريق « ديلامين » كل ما في وسعه لمفاجأة العدو بهجومه هذا الذي يقوم به في ارض مستوية كل الاستواء وخالية من الستر على الاطلاق . وقد وضعت تحت امرته اكبر قوة متيسرة لي . وليس لدي مدافع سيارة اضمها إلى قوته ما عدا بطريتين . اما باقي هذا المدافع فسأضمها إلى القوة القائمة بالهجوم التمهيدي (اي القوة الصغرى) التي يجب بمقتضى اصول الحرب أن تعطى معظم المدفعية .

القوة الهوائية

تقوم الطائرات باعمالها بمقتضى الاوامر التي يصدرها المقر العام تواً اليها وستصدر وصايا خاصة إلى آمر الطيران تتعلق بالأمور التالية : ـ

(أ) الاستكشاف

(ب) رصد نار المدفعية

(ج) رمي القنابل في مؤخرة العدو

وصايا عامة

العدد ٢

حين الانتصار على العدو ومطاردته

(وصايا سرية)

١ ـ قال المشير « ساكس » : ـ « إن جميع المناورات محمودة في مطاردة العدو » . فينبغي مواصلة المطاردة ليلا ونهاراً بقطع النظر عن انتهاك قوى الجنود والخيل وذلك ما دامت قوى العدو في ساحة القتال .

« على جميع القطعات المشتركة في المطاردة أن تطارد العدو بكل اقدام وبسالة وأن تخاطر في امور لا يجوز لها المخاطرة فيها في اوقات اخرى » . (انظر الفصل

١١٢ من الجزء الاول من كتاب نظامات الخدمة السفرية)[1] .

٢ ـ ينبغي لنا أن نطارد العدو مطاردة يعبوية ـ اي أن نطارده مطاردة بسيطة في الاسطول النهري ونوفد خيالة ورشاشات تسير سيراً سريعاً على طريق بغداد على موازاة خط تقهقر العدو إلى جانب النهر وعليه لكي نسبقه في وصول المضائق ونضعه بين نارين فنطوقه إن استطعنا إلى ذلك سبيلا .

وينبغي للاسطول النهري أن يقوم على الاغلب بعمل الخيالة في هذه المطاردة وفي الوقت عينه تعضد المشاة الاسطول . وستتمكن المشاة ـ وهي تنقل على السفن ـ من طرد العدو من مواضع دفاعه عندما لا تتمكن المراكب المسلحة والخيالة من ذلك .

ولا سبيل إلى مطاردة العدو مطاردة سوقية نظراً إلى احوال هذه الحملة لأننا محصورون في السفن . ولا يخفى أن المطاردة السوقية تتم على اتجاه يقطع خط مواصلات العدو المتقهقر على جبهة واسعة .

٣ ـ إذا هددنا خط تقهقر العدو بعثنا في قلبه القلق كله لأن السبيل الوحيد لنجاته هو رجوعه القهقرى . لذلك يتحتم على المطارِد أن يحاول على الدوام أن يدرك جناح الارتال المتقهقرة أو اقل ما في ذلك عليه أن يدرك ساقة تلك الارتال .

ويجب أن لا نفسح للعدو مجالا للراحة اثناء انهزامه . ويقتضي اطلاق القنابل عليه ليلا لايقاع الذعر والارتباك في صفوفه . وتوجيه نار المدفعية ليلا على غير هدى نحو الاماكن التي تخالون المنهزمين يحاولون الاستراحة فيها برهة من الزمن يقتل قوة ذلك العدو الادبية وربما بعث الرعب في قلبه وحمله على الفرار بلا انتظام .

وعلى الخيالة والرشاشات أن تتخلى عن كل مطاردة جبهة العدو للصنوف

(١) إنني اقتبست احياناً الوصايا التي جاءت في الطبعة الجديدة من كتاب « نظامات الخدمة السفرية » لأن جميع القطعات في الهند ـ ما عدا الاركان ـ لم تكن قد اخذت هذا الكتاب عند اعلان الحرب .

الاخرى وأن تبذل كل الجهد في مطاردة العدو في اتجاه مواز لخط تقهقره اي على الطريق المؤدية إلى بغداد على الضفة اليمنى لان هذه الطريق اقرب إلى بغداد من طريق النهر وخالية من تمعجات ومنعطفات كثيرة . فعلى الخيالة والرشاشات أن تسبق العدو المنهزم في وصول المضائق وغيرها .

وتطارد المراكب المسلحة من مراكب الاسطول والرتل « ب » العدو تواً اما الخيالة فتطارده مطاردة جانبية على ما مر ذكره بحيث تحاول أن تعترض سبيل العدو وتهاجم جناحه على الدوام .

٤ ـ توزيع الرتل المهاجم (اي الرتل « ب ») على السفن

يصحب قائد الفرقة الرتل « ب » ويرافقه : ـ

المرافق

ورئيس اركان الفرقة

وضابط الركن من الدرجة الثانية

وضابط الركن من الدرجة الثالثة

ومعاون مدير الميرة

وآمر مدفعية الفرقة

واما باقي اركان الفرقة فيلتحقون بامير اللواء « ديلامين »

الرتل « ب » في المركب

جلنار

٢٤ ٧[1]

فوج واحد ـ ما عدا الخيل وبغال الرشاشات

ونصف سرية نسافة

وحضيرة مستشفى سيار هندية

ومدفعان معدان للانزال السريع إلى البر والخيل مع جميع العجلات الكبيرة المستطاع شحنها

---

(١) إن هذه الاعداد هي اعداد البارجات التي مع المراكب .

وعجلات البطارية ٢٤ ٧ ونصف بطارية خيل

بلوس لنج مدفعان معدان للاطلاق يوضعان في مقدمة المركب ولكل مدفع
٦ . زيت ٢٢٤ اطلاقة

ومقر اللواء الثامن عشر

وفوج واحد مع ١٢ بغلا من بغال الرشاشات

وحضيرة مستشفى سيار بريطانية

و ٦ . $\frac{١}{٢}$ بطارية خيل . وزيت

المجيدية مدفعان معدان للاطلاق يوضعان في مقدمة المرد ب ولكل مدفع
٣٢ ٢٢ ٢٢٤ اطلاقة

ومقر الفرقة (ما عدا فريق من الاركان) وفوج مشاة .

و ٢٢ . خيل قائد الفرقة مع بغال الرشاشات على «جلنار» و «المجيدية»

و « الموصل »

و ٣٢ . $\frac{١}{٢}$ ١ سرية مشاة مضاعفة .

الموصل $\frac{١}{٢}$ ٢ سرية مشاة مضاعفة
٢٨ ٢٩

وحضيرة مستشفى سيار هندية

و ٢٩ . مدخرات الهندسة وموادها المتفرقة

و ٢٨ . مدخرات الهندسة وعتاد المدافع بعيار ١٨ بونداً

اما خيل افواج المشاة فيعين ثلاث حيوانات لكل كتيبة مشاة

٥ ـ « يسير أمير اللواء « ديلاميني » في الرتل « أ » براً على الضفة اليسرى وتسير معه على النهر السفن المختصة به .

وتنضم القطعات التالية إلى الرتل « أ » : ـ

مدفعية الفرقة (ما عدا بطارية واحدة)

ورتل عتاد الفرقة

والطائرات العسكرية والبحرية

ورتل اعاشة الفرقة

والمستشفى السيار

ورحبة الهندسة

وترافق الطائرات الرتل (أ) بحيث تتقدم لمعاونة الرتل الذي يطارد العدو (الى الرتل « ب ») .



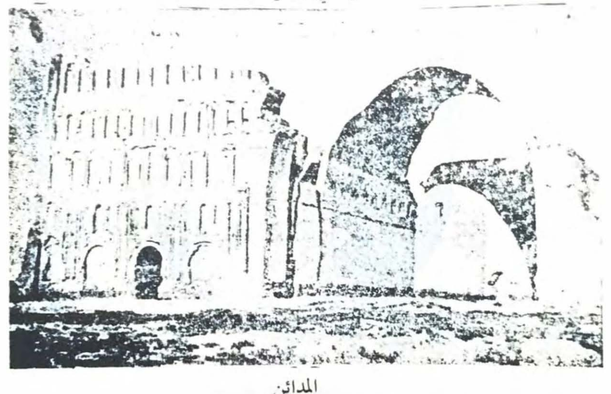
امير اللواء نور الدين باشا

٦ - وينتظم الرتل الذي يطارد العدو (اي الرتل « ب ») عندما يثبت قائد الفرقة من تقهقر العدو .

وعندما يصبح الرتل الذي يطارد العدو متأهباً للعمل يركب السفن المعدة له على ما مر بيانه وحينئذٍ يعطي آمر الخيالة الوصايا المتعلقة به مع النقلية المعينة له . اما خط حركته فهو مطاردة العدو مطاردة جانبية على الطريق المؤدية إلى بغداد . وعلى هذا الآمر أن يكون على اتصال بالسفن وبالرتل الذي يطارد العدو ما دام قادراً على ذلك . والضرورة تقضي بأن تكون وحدته مستقلة على الاغلب ولكن ينبغي له أن يرمي إلى التعاون مع الرتل الراكب السفن الذي يطارد العدو .

وكذلك على آمر الخيالة أن يوفد سرية ارتباط مسافة بعيدة إلى الامام - اي أن تتراوح هذه المسافة بين الثلاثين والاربعين ميلا - لتقوم ببعض الاعمال الخاصة التي يأمر بها قائد الفرقة . وسيبلغ قائد الفرقة آمر الرتل « أ » الاماكن المتوالية التي يصلها في مطارد العدو .

وسيعين قائد الفرقة الاماكن التي يرسل اليها الاسرى .



المدائن

٧ ـ يجب أن لا يلقى منا العدو الذي يرفض طرح سلاحه الا النزر اليسير من الرحمة ويجب أن نرهب العرب المعادين لنا ليأتونا بالاخبار وينقلوا مواد الاعاشة التي يحتاج اليها الجنود .

الباب الثالث

الفصل الاول

الاستعداد للهجوم على بغداد

التحقت بي قوة أمير اللواء ديلامين في العزيزية يوم ٩ تشرين الاول . وكانت هذه القوة مؤلفة من لواء المشاة السادس عشر وثلاث بطريات صحراء وبطرية « مكسيم » وسرية النسافة الثانية والعشرين ونصف رتل عتاد الفرقة . ووصل هوتن في ١١ منهُ وهو يسير الهرولة براً .

وبلغ مجموع لواء ديلامين ١٥٠٨ مقاتلين من هؤلاء ٢٩٧ مقاتلا يؤلفون فوج « دروست » . وقال لي ديلامين اثناء حديث جرى بيننا في العزيزية انهُ الفى جنوده في وقعة كوت الامارة قد تغيروا عما كانوا عليه قبل ذلك . وقال انهُ لما حمل على الخنادق الشمالية من موضع العدو في تلك الوقعة رأى فريقاً من جنود الهنود قد فقدوا قوتهم الادبية غير أن فوجاً هندياً واحداً قاتل قتالا حسنا فخسر من رجاله ٤٥ في المائة اثناء تلك الحملة . وانهُ لو ارغم جنوده على مهاجمة تلك الخنادق المعينة لفشلوا في مسعاهم . لأنهم كانوا منهوكي القوى وفي شديد الحاجة إلى الراحة . وكانوا يعلمون أن العزيزية واقعة على مسافة نحو من ثلاث مائة ميل من البحر وكانوا قد اخذوا في التسآل عن الحد الذي ينتهي زحفهم عنده .

وقد كتبت في مفكرتي حينئذ هذه الخاطرة وهي : « ليس هذا الخبر مما يرتاح المرء إلى سماعه . ولكنه خبر يقين . فإننا نستطيع أن نعول على الجنود البريطانيين كسابق عهدهم اما الجنود الهنود فقد خارت عزائمهم الآن فلا يعول عليهم .

وفي اواخر تشرين الاول وصل الجنود الهنود الجدد بعد الانتظار الطويل لسد

الفراغ في صفوف الفرقة السادسة . ولم ار طول المدة التي قضيتها في الجيش الهندي جنوداً هنوداً ساءت احوالهم مثل هؤلاء الجنود المستجدين ولم يكتم آمرو الالوية اراءهم في حالة هؤلاء الجنود السيئة . وفضلا عن هذا سبب لنا الجنود الهنود المسلمون مشاكل اخرى في هذا الوقت فإنه تفشت بينهم فكرة عدم الزحف على قبر سلمان باك الواقع في طيسفون لأن سلمان باك كان صحابياً مخلصاً للنبي (ص) . فلم ار بدأ من ارجاع فوجاً هندياً بكامله إلى البصرة وكان معظم ذلك الفوج مؤلفاً من جنود الحدود المجندين من سكان شمال غرب الهند لأن الكثيرين منهم فروا من صفوفنا والتحقوا بالاعداء . فبات وجودهم في قوتي خطراً علينا لذلك رفضت رفضاً باتاً بقاءهم بين جنودي .

وفكرت ملياً قبل البت في أمر هؤلاء الجنود لأن بارجاعهم إلى البصرة تمسي قوة المشاة التي اسوقها إلى ميدان القتال مؤلفة من ٨٦٠٠ مقاتل فقط . وكان المنتظر أن تبلغ قوتي كلها عند الزحف اربعة عشر الف مقاتل بحيث تشمل هذه القوة رجال المدفعية والهندسة والتلغراف اللاسلكي والبحارة وسرية المخابرة وهلم جرا . ولكن كل اعتمادي في الخروج ظافراً من المعركة كان على المشاة .

وحاولت من العزيزية مراراً عدة أن احمل المقر العام على رد الجنود البريطانيين الذين كانوا يعدون بالعشرينات إلى افواجي . وكان المقر قد اخذ هؤلاء الجنود من الافواج البريطانية « نورفوك » و « دروست » و « اوكسفورد » واستخدمهم للقيام باعمال متنوعة في جميع دوائر البصرة فكان منهم الشرطة المدنية والكتبة وخدم الضباط (ومن هؤلاء الضباط الاركان من الجيش الهندي الذي لا يصرح لهم القانون باتخاذ الجنود البريطانيين خدماً لهم) وسواقو اسطول الزوارق البخارية المنتظم والبحرية والمستخدمون في المراكب المسلحة والنوتية الملحقون بالسفن لتقوية احتياط تلك السفن من الجنود البحرية - فجميع هؤلاء كانوا قد اخذوا من مشاة فرقتي المقاتلين . ولكن مع شدة الحاحي لم اتمكن من حمل المقر على ارجاع هؤلاء ما عدا العدد اليسير منهم .

وكانت هذه الافواج البريطانية الثلاثة سلسلة فرقتي الفقرية وكان المعول

عليها في الخروج من المعركة ظافراً ولكن قوتها باتت والحالة هذه نصف العدد المطلوب لكل فوج . والذي زاد الطين بلة أن داء « البريبري »[1] تفضى في العزيزية فقضى على نحو من اربعين جنديا من جنودي البريطانيين .

وقد علمت من اختباري في هذه المحاربة أن نسبة فوج بريطاني إلى ثلاثة افواج هندية في كل لواء من الوية الفرقة الهندية المؤلفة من ثلاثة الوية أمر محفوف بالاخطار في الحروب الحديثة إذا كان العدو دولة متمدنة ذات جيش منظم ومدرب ومسلح مثلنا . وقد يفيد تأليف الفرقة الهندية على هذه الصورة في الاحوال الحربية على وجه عام في بلاد الهند . لكن إذا قضي علينا بمهاجمة مواقع منيعة يدافع عنها اشد جنود اوربا أو آسيا صلابة في المدافعة وفي الخنادق - اعني الجنود التركية - فعلينا أن نؤلف كل لواء من فوجين بريطانيين وفوجين هنديين . وارى الافضل أن نؤلف الفرقة من ثلاثة الوية - على أن يكون كل لواء فيها مؤلفاً من نوع واحد من الجنود - فيتألف أحد الالوية كله من اربعة افواج بريطانية ويقوده امير لواء من ضباط الجيش البريطاني . اما اللواءان الباقيان فيتألف كل منهما من اربعة افواج هندية يقودهما آمر لواء من ضباط الجيش الهندي . وعندي أن هذا النظام افضل جداً للهند من جميع الوجوه للسلم وللحرب وذلك إذا لم يتسع المجال في الميزانية الهندية لتأليف الالوية من فوجين بريطانيين وفوجين هنديين .

وفي ٩ تشرين الاول تلقيت من المقر العام برقية وفيها وعد قاطع بأنني سأعطى نقلية الخط الاول والخط الثاني كاملة - اي رتل اعاشة الفرقة السادسة ولواء الخيالة كاملين . وكان ذلك اجابة لطلبي المتكرر .

وفي ١٠ تشرين الاول تلقيت برقية من رئيس اركان الحملة استنتجت منها أن حكومة الهند لم تتلق موافقة الحكومة الانكليزية على زحفي على بغداد وفي الوقت عينه قال لي رئيس اركان الحملة قولا لا شك فيه وهو أن المقر ينظر في طلبي

---

(١) وهي لفظة سنغالية معناها « الضعف » وهو مرض فاش في الهند واليابان واعراضه الفالج والاستسقاء .

النجدات التي لا بد منها وذلك إذا اقتضى الأمر استيلائي على بغداد . وتلقى « السر جون نكسن » الرسالة التالية من نائب الملك في الهند : -

« لقد ابرق وزير الهند أنه يؤمل اعطائي جوابا صريحاً بشأن النجدات وفي الوقت عينه ينبغي لكم المحافظة على الموضع الذي انتم فيه في الوقت الحاضر استعدادا للزحف عندما ترسل اليكم النجدات المطلوبة . وقد طلب مني أن ابلغكم هذه الوصايا . فالمرجو أن تعتبروا ما قلته لكم بمنزلة وصايا رسمية . فاملي الشديد أن النجدات المطلوبة تصلكم وأن الزحف لا يتأخر مدة طويلة » .

فاجابه قائد الحملة الجواب التالي : -

لقد بعثت ببرقية فخامتكم ساعة وصولها إلى الفريق طاونزند الذي نعول عليه في أنه لا يقوم بحركة على الاطلاق الا إذا حتم عليه الموقف العسكري ذلك » . (وقد افصحت هذه الجملة الاخيرة عن كوني قائدا مستقلا في شؤوني وتبعة اعمالي واقعة علي لا محالة) . وقال لي رئيس اركان الحملة « انهُ نظراً إلى ما جاء في هاتين البرقيتين الا ترون الافضل أن تردوا لواء هوتن إلى الشظيف أو إلى محل آخر موافق وراءكم على النهر وترتبوه قدمات وتضعوا هناك مدفعاً ثابتاً بعيار ١٥ بونداً لأنه يحتمل أن تدور خيالة العدو حول جناحكم فتقطع عليكم طريق المواصلات النهرية » .

فاجبته طالباً منه أن يوضح لي قول نائب الملك « الموقف الحاضر » وهل ذلك يعني العمارة ام العزيزية ؟ وقلت « إذا كان يعني الكوت فقد ابتعدنا عن هذا الموضع في تقدمنا ما يزيد على المسافة المطلوبة لذلك وإذا كان المقصود العزيزية فلا بد لي من ابادة مفرزة العدو المختلطة المرابطة في الزور بمباغتتها ثم احصن معسكر العزيزية حتى يصبح موقعاً منيعاً جدا . (لأنه كان حينئذ محصناً تحصيناً خفيفاً) . فاذا كان نائب الملك يقصد الكوت في كلامه وصدر إلي الأمر بالانسحاب من العزيزية فاول عمل اقوم به والحالة هذه هو أن ابيد مفرزة المحافظة التركية المرابطة في الزور . ولا ارتب لواء هوتن قدمات على عدوة النهر جنوبا قبل مهاجمة مفرزة العدو في الزور » . وختمت البرقية مؤملا أن تكون بعثات المستجدين قادمة على

الطريق وطلبت الوقوف على رأي « السر جون نكسن » في تقرير « ليجمان » - الضابط السياسي المرافق قوتي فقد قال في تقريره أن اعراب شمر وعنزة الذين يعد مقاتلوهم بالالوف والذين لعملهم تأثير سياسي شديد في باقي القبائل العربية قد انحازوا إلى جانب الترك في القتال .

ووضعت جسرا مركباً على عوامات على نهر دجلة قبالة قرية العزيزية ما عدا الخنادق غير المحكمة التي كانت في هذا المحل وكذلك حصنت موقعاً في جنوب العزيزية عند منعطف النهر على الضفة اليمنى عند موقع فريزر[1] على مسافة اربعة اميال وكانت حامية هذا الموقع مؤلفة من فوج لأنني رأيت أنه من المحتمل أن تضع خيالة العدو مدافع هناك فتعيق سير السفن .

وفي ١١ تشرين الثاني علمت العلم اليقين بأن القوة التركية كانت على وجه التقريب مساوية لقوتي وأن نور الدين باشا لم يزل قائد تلك القوة . وكانت قوته الساترة في الزور الواقعة على مسافة تتراوح بين ١٢ و١٤ ميلا من العزيزية مؤلفة من اربعة آلاف جندي . وقد افرزت هذه القوة مفرزة خفيفة ساقتها إلى الامام فوضعتها في « القطنية » وكانت المفرزة مؤلفة من ١٥٠٠ مقاتل هجان و ١٠٠٠ خيال واربعة مدافع وكانت المناوشات تقع على الدوام بين خيالتي وبين الترك الذين كانت قوة كبيرة من فرسان العرب تعاونهم . وعزمت على مباغتة مفرزة العدو واتلافها بالزحف عليها ليلا لأن حركات مثل هذه تشدد عزائم الجنود المستجدين الهنود من غير المجربين ولا المدربين الذين الفوا ويا للاسف معظم وحدات الفرقة السادسة . وحول ٢٧ تشرين الاول رأيت أن هؤلاء المستجدين قد اصبحوا واثقين من انفسهم الثقة الكافية غير مبالين بالمخاطر وكانوا حينئذ في القطنية ساكنين اكواخا على حافة غابة كبيرة جداً ممتدة على ضفة النهر فاصدرت اوامر الحركات للزحف ليلا على الموقع التركي .

وبعد أن ابقيت قوة صغرى مؤلفة من فوجين في العزيزية للمحافظة على

---

(١) اسم علم لموقع حربي سماه الانكليز بهذا الاسم .

المعسكر سرت في البادية في الجهة الشمالية الغربية . ولما صرنا نسير على موازاة القطنية غيرت الاتجاه فاصبحنا نسير جنوباً . وكنا نسير حينئذ في ليلة صفا اديم سمائها وتألقت دراريها فتم سيرنا على غاية ما يرام . والحق يقال أن سيرنا هذا كان خير سير قمنا به من حيث ضبط المسير والسكوت والطاعة المطلقة للاوامر . وكانت هذه القوة اهم القوى رافقتها أو توليت امرتها قبل ذلك من حيث العدد لأن عدد رجال فرقتي والخيالة بلغ اثني عشر الفاً[1] حينئذ وسرت في رتلين متوازيين لكي اتمكن من فتح القوة للقتال على وجه اسرع مما لو كانت القوة على غير هذا الترتيب .

وقد برهن لي اختياري السابق في المسيرات الليلية التي قمت بها قبل هذه الليلة اثناء الخدمة الفعلية على صدق قول « نابير » من أنه من الامور النادرة أن تتم المسيرات الليلية على ما يرام من الراحة والانتظام .

وقد اشتركت في السير ليلا في النيل بعد وقعة ابي قلعة في شهر كانون الثاني عام ١٨٨٥ وذلك في رتل مؤلف من ١٥٠٠ جندي بقيادة « السر هربرت ستوارت » الذي ضرب بهذه القوة في البادية . فاقول قول صادق أن ذلك المسير كان اسوأ كل المسيرات التي سرت فيها حالا . وقد سرت كذلك سيراً ليليا شاقاً في البادية مع فوجي الذي كان يعضد خيالة « برن مردخ » قبل القتال الذي جرى في « فركة » على النيل عام ١٨٩٦ .

اما في هذا السير فباغتت معسكر العدو كل المباغتة إذ أنني تقدمت بقوتي الكبرى في اول الفجر من وضع الانفتاح تواً على معسكر العدو في القطنية مستخدماً لواء مشاة واحد ولواء خيالة واحد للالتفاف حول جناح العدو الشمالي ولتهديد خط تقهقره شمالا . وسرعان ما رأينا الانوار تتحرك تحركات سريعة في معسكر العدو . وعلى هذه الصورة باغتنا صبري بك الآمر التركي كل المباغتة

---

(١) وسبب زحفي بهذه القوة العظيمة على ١٥٠٠ جندي فقط من جنود الاعداء الخيالة هو لأنني اعتقدت أن العدو وضع هذه الخيالة القليلة ليغرينا بالتقدم وأنه يحتمل أن نور الدين يهاجمني وأنا في وسط الحركة بقوته كلها وقد فعلت ذلك لأنني لم اشأ أن اخاطر مخاطرة لا موجب لها .

فطفق الاعداء يطلقون النار علينا من المدافع الخفيفة المختصة بحملة الهجانة وكادت القسلة الاولى تقضي علي وعلى رئيس اركان فرقتي الزعيم « ايماس » ولكنا واصلنا الزحف ففر العدو شمالا فلو حملت خيالتنا على العدو لابدنا خيالة العدو وهجانته ومدافعه واسرناها . ولكن امير اللواء « روبرت » امر لواء الخيالة قال لي قولا اكيداً وهو أنه ويا للاسف يستحيل على الخيالة الهجوم في الارض الممتدة إلى ميمنتنا القصوى كل الاستحالة وعلى هذه الصورة فلت العدو من يدنا من غير خسارة . وكانت طياراتنا ترصد العدو المنهزم ماراً بالزور وقد قطع شوطاً بعيداً في طريقه إلى طيسفون .

وبعد حرق معسكر القطنية وهدم الحصن الموجود هناك بالمواد المتفرقعة سرت بقوتي راجعاً إلى العزيزية وقد ساءني في عدم اخذ المدافع وفرار العدو ولكنني ارتحت إلى تأثير هذه الحركة الادبي في جنودي المستجدين وفي العرب القاطنين كلتا ضفتي دجلة .



اللفريق الثاني السر جورج غورنج

وكان الباعث الاعظم لقلقي الشديد اهتمامي بالمحافظة على قوافل السفن « والبارجات » التي معها . وكان العرب معادين لنا على كلتا ضفتي النهر فوق العزيزية عداء تدل عليه اعمالهم إذ أنهم كانوا يطلقون نيران بندقيات شديدة على

السفن اثناء تكبدها مشقة الانثناء حول منعطفات النهر وضحاضحه . وليعلم القراء أنني في اثناء هذه الحركات كلها كنت افرق الجنود لحماية مضائق النهر متوخياً في ذلك الاسلوب الذي ننهجه في الحروب التي تجري في حدود الهند الشمالية الغربية حيث نفرق قسما مهماً من القوة المقاتلة للمحافظة على مرور قوافل الاعاشة في الجبال والشعاب .

وقبل الزحف من العزيزية رتبت قوتي للسير وللقتال على ما فعلته في السابق استعداداً لوقعة كوت الامارة ولكنني قسمت القوة الآن إلى ثلاثة ارتال بدلا من رتلين . وكذلك الفت الخيالة رتلا سياراً عزمت على تقويته بفوج من نخبة افواج المشاة يصبح قوة استناد لهذا الرتل على أن ينقل بالعجلات إذا تيسرت لنا . وضممت إلى هذا الرتل تلغراف لاسلكي كذلك .

إن القوة الكبرى تؤلف لضرب العدو الضربة القاضية بانضمام رتلين من الارتال « أ » و « ب » و « ج » . اما الرتل الثالث فيؤلف القوة الكبرى لحجب جناح العدو الذي نريد مشاغلته وحصره في مكانه بينما احمل بالقوة الكبرى على جانب الجناح الاقصى ومؤخرته من جناحي العدو . والخارطة ٩ تبين الخطة التي عزمت على الهجوم بها على اضعف موضع في قوة العدو التي كانت مرابطة في طيسفون .

فقد وضعت قبل المعركة خطة « مناورة » ترمي إلى أن يقوم الرتل « ج » بقيادة « هوتن » بمعونة معظم المدفعية بمشاغلة جناح العدو المستند إلى ضفة النهر وحصر ذلك الجناح في مكانه تحمل القوة الكبرى المؤلفة من الرتلين « أ » و « ب » بقيادة « ديلامين » و « هملتون » كالسيل الجارف على ميسرة الترك ومؤخرتهم وهما القوة الاقرب إلى خط تقهقرهم .

اما الموقع التركي على الضفة اليمنى فنصرف النظر عنهُ غير أن مدافع الاسطول النهري تصب نيرانها على ذلك الموقع . والخلاصة أن الخطة التي رسمتها لهذه الوقعة كانت خطة وقعة كوت الامارة عينها .

وكانت القطعات المعينة لهذه الارتال المتنوعة على الوجه التالي : -

القوة الكبرى

الرتل « أ » بقيادة الفريق الثاني « ديلامين » آمر لواء المشاة السادس عشر .	لواء المشاة السادس عشر ونصف لواء المشاة الثلاثين والبطرية ۸۲ من المدفعية البريطانية ونصف سرية النساقة ۲۲ وحضيرتا مستشفى سيار بريطانيتان وثلاث حضائر مستشفى سيار هندية
الرتل « ب » بقيادة امير اللواء « هملتون » آمر لواء المشاة الثامن عشر .	لواء المشاة الثامن عشر والبطارية ٦۳ من المدفعية البريطانية ونصف سرية النساقة ۲۲ وحضيرة مستشفى سيار بريطانية وثلاث حضائر مستشفى سيار هندية
الرتل « ج » بقيادة امير اللواء « هوتن » آمر لواء المشاة السابع عشر	لواء المشاة السابع عشر ونصف سرية النساقة ۱۷ وحضيرة مستشفى سيار بريطانية وحضيرتا مستشفى سيار هنديتان
تقوم هذه القطعات بالمناورة الى جانب القوة الكبرى رتل الطيران[1] بقيادة الفريق الثاني السر جارلس ملس[2] آمر لواء المشاة الثلاثين	لواء الخيالة (بقيادة امير اللواء روبرتس) ومعه بطرية من المدفعية البريطانية والفوج البنجابي ۷٦ مع ٦۱ عجلة ورتل عتاد لواء الخيالة وبطارية « مكسيم » وجهاز لاسلكي يحمل على الدواب

(۱) يطارد رتل الطائرات العدو المغلوب بعد الاستظهار على الترك وانهزامهم من ساحة القتال ويقوم بهذا العمل عينه الاسطول في النهر .

(۲) كان السر « جارلس ملس » آمر اللواء الثلاثين من الوية فرقة الفريق « غورنج » الموزعة على خط المواصلات . وكنت معولا على نشاط الفريق « ملس » المشهور وبسالته الممتازة بحيث يقوم لواؤه بمهمة لوائين وذلك ليصد هجوماً معاكساً يحتمل أن يقوم به الترك في القتال واذا لم يفعل الترك ذلك ينقض على مؤخرتهم انقضاض الصاعقة .

وهذا نظام القتال لالوية المشاة المختصة بالفرقة السادسة المعززة باللواء الثلاثين (ما عدا فوج واحد) .

لواء المشاة السادس عشر . بقيادة الفريق الثاني « و . س . ديلامين » حامل وسامي « الحمام » و « الامتياز » ويقود الافواج التالية : -

الفوج الثاني من كتيبة مشاة « دروست » .

والفوج البنجابي ٦٦ (حل محل الفوج البنجابي العشرين) .

وفوج « مهرتة » ١١٧

وفوج حملة البندقيات ١٠٤

لواء المشاة السابع عشر . بقيادة امير اللواء « ف . أ . هوتن » ويقود الافواج التالية : -

وفوج مشاة « اكسفوردو بك » الخفيف الاول
والفوج البنجابي ٢٢
وفوج « مهرتة » ١٠٣
وفوج المشاة ١١٩

لواء المشاة الثامن عشر بقيادة امير اللواء « و . ج . هملتون » حامل وسامي « الحمام و « الامتياز » ويقود الافواج التالية : -

الفوج الثاني من كتيبة مشاة « نورفوك »
وفوج مهرتة ١١٠
وفوج المشاة ١٢٠
وفوج « راجيت » السابع

لواء المشاة الثلاثون (ما عدا فوج واحد) . بقيادة الفريق الثاني « السر تشارلس ج . ملس حامل وسامي « صليب فكتورية » « والحمام من رتبة فارس » . ويقود الافواج التالية : -

الفوج « البنجابي » ٧٦ .

والفوج « البنجابي » ٢٤ (ما عدا نصف فوج ترك في موضع العزيزية على خط المواصلات) .

فوج « غركة » ٢/٧ من حملة البندقيات .

لواء الخيالة بقيادة امير اللواء « هـ . ل . روبرتس » ويقود الوحدات التالية : ـ

كتيبة رماحة « هاريانة » السابعة وكتيبة الخيالة ١٦ .

وكتيبة الخيالة ٣٣ (ما عدا سرية واحدة اختصت بالفرقة السادسة) .

والبطريـة من المدفعية البريطانية .

وتألفت قطعات الفرقة مما يلي :

لواء مدفعية الصحراء العاشر (ما عدا بطريتين) .

وبطريـة مدافع « هانتس » القصيرة ١/٥

والبطريـة الثقيلة ـ مؤلفة من مدفعين قطر كل منهما ٥ عقدات تجرها البقر .

ورتل عتاد الفرقة

وسرية خيالة من الكتيبة ٣٣ (وتؤلف خيالة الفرقة) .

ونصف سرية النسافة ١٧

وحضيرة النور الكشاف .

والفنية ٤٨

وقطار الجسور

وجهاز تلغرافات لاسلكي على عجلة كبيرة واحدة .

وسرية مخابرة الفرقة السادسة .

الاسطول النهري . المركب الحربي « فاير فلاي » (الساعه وكان مركبا حربياً نهريا حديث الطرز)

و « السمانة » (سحابة مدرعة قديمة)

و « الكومت » (المذنب مركب من البواخر النهرية يسير بالرفاس)

و « الشيطان » (سحابة مدرعة) .

بواخر النقلية النهرية . « المجيدية » و « بلوس لنج » و « الموصل » و « جلنار » و « سليمي » . اما مركبا المستشفيات لنقل المرضى والجرحى فكانا « بلوس لنج » و « الموصل » .

إن ترتيب القوة للزحف في ثلاثة ارتال متوازية تتحرك على جبهة واسعة الانتشار تمكن القوة من الانفتاح للهجوم على جناح السرعة ومن القيام « بمناورة » سهلة مرنة بحيث اتمكن من الاحاطة بجناح الانفتاح للعدو بمجرد عطف ارتالي عليه . وكان هذا الترتيب كذلك مفيدا لي حين الاصطدام بالعدو لأنني اتمكن بهذا الترتيب من مشاغلته برتل من هذه الارتال واضرب جناحه برتل من الرتلين الآخرين أو بكليهما وكذلك إذا اتفق أن احد الارتال لقي من العدو مقاومة عنيفة في زحفه اتمكن من عضده بمناورات التفاف حول جناح العدو بالرتلين المجاورين له ذينك الرتلين يتمكنان والحالة هذه من عضد احدهما الآخر وليعلم القاريء أنني توخيت في خططي هذه استثناء القواعد الاساسية التي بسطتها في الفصل الاول من هذا الكتاب .

واصدرت اوامري المتعلقة بالاعاشة والعتاد وغيرها من الخدمات العسكرية بعنوان « وصايا اضافية » نشرتها في القسم الثاني من اوامر الحركات وضمنتها اعلانا فيه أن مستودع الاعاشة الامامي هو في « كوت الامارة » وأننا قد خزنا في العزيزية من مواد الاعاشة ما يكفي للقوة مدة سبعة ايام وأنه على جميع المقاتلين أن يحمل كل منهم كيس رمل فارغاً وأن احدى البواخر تسحب قطار الجسور ومدخرات الهندسة . وامرت بأن يكتب على جميع الاوامر والوصايا كلمة تدل على

انها « سرية » وأن لا توزع الا على آمري الالوية ورؤساء الدوائر وهؤلاء يبلغون آمري الوحدات ما يقتضي تبليغه على صورة شفهية وبذلك نكون على ثقة من أن الاوامر والوصايا المطبوعة بالآلات الكاتبة لا تتفرق بين الفرقة لأنه لا بد من صدور الاوامر إلى جواسيس الاعداء الاخبار المنشورة في الاوامر وغيرها .

وابرق إلي رئيس اركان الفرقة في ١٤ تشرين الاول فسألني عن تاريخ تأهبي لاستئناف التعرض وعن الخطة العامة التي وضعتها للحركات . وروى لي برقية بعث بها « السر برسي كوكس » رئيس الضباط السياسيين وفيه أنه نظراً إلى تأخرنا في الشروع في الزحف اخذ فريق من شيوخ العرب يفاوضون الترك . ولما بعثت بخطة حركاتي حملتني الجرأة على ابداء الملحوظة التالية وهي : ـ

إن هذه البرقية لا تؤثر في مقرراتي السوقية والتعبيوية وأن القائد الذي يفسح المجال للسياسة أو لشؤون الحكومة أن تتعرض لسوق جيشه فقل على ذلك القائد وجيشه السلام . والتاريخ كله اصدق شاهد على قولي هذا . والخلاصة أنني عقدت العزيمة حينئذ على أن لا اهاجم الترك ما لم اضم اشتات كل القوة المتيسرة لي .

وفاتني أن اذكر أن العرب هجموا في ليلة ١٠/١١ تشرين الاول على « موقع فريزر » المؤلفة حاميته من فوج مهرتة ١١٠ بقيادة الزعيم « فريزر » والمتكون من معقل واقع على ضفة النهر اليمنى على مسافة اربعة اميال جنوب العزيزية . فقد باغت العرب هذه القوة وذلك أنهم قطعوا الاسلاك الشائكة ودخلوا المعقل . فذعر الجنود الهنود . وكان عدد العرب المهاجمين يتراوح بين الثلاثين والأربعين على تقدير الزعيم فريزر . فقتلوا تسعة أو عشرة جنود هنود وفقدنا اثنتي عشرة بندقية .

وهذه المرة الاولى علمت فيها بوقوع الرعب في قلوب الجنود من هنود وبريطانيين في الحروب غير المنتظمة . لذلك ذهبت إلى موقع « فريزر » واجريت التحقيق في أمر تلك الحادثة . فحوكم ضابطان هنديان وثلاثة أو اربعة جنود هنود في محكمة عسكرية لجبنهم فاعدموا . وبعد ذلك كان سلوك فوج « مهرتة » المائة والعاشر على غاية ما يرام في الحركات ولا يخفى أن الذعر قد يتسرب إلى قلوب

حيرة الجنود في الحركات التي تجري ليلا .

وفي ١٥ تشرين الاول تلقيت من « السر جون نكسن » ما احسبه نوعاً من التوبيخ يتعلق بطلب رجال هندستي مواد الدفاع لموقع العزيزية وقد بدأ برقيته بهذه الكلمات : « اناشدك الله أن تقول لي ما الذي يفعله رجال هندستك ؟ » وقال أنهم قد استعملوا إلى الآن من السلك ما يبلغ طوله ثلاثين ميلا وما زالوا يستزيدوننا منهُ ومن النور الكشاف . ثم قال « السر جون » انه قد ابدى ملحوظاته بشأن الوسائل التي كلفتنا الكثير من المشقة والمواد للدفاع عن القرنة قبل زحفي (اي زحف طاونزند) وأن فكرة المدافعة والبقاء حيث نحن هي جرثومة فتاكة بروح التعرض في الفرقة السادسة وأننا في تحصين القرنـة قد اتخذنا جبل طارق والشعيبة انموذجاً لنا . ولا يخفى أنه لا يجدر « بالسر جون » أن يقول هذا القول الجارح في الفرقة السادسة التي برهنت على نزعتها إلى التعرض في المعركتين اللتين خاضت غمراتها قبل ذلك واجرأ على القول أنه ليس في تاريخ الجيش البريطاني أن فرقة تفوقت على فرقتي هذه في خوضها غمرات التعرض . وفضلا عن الوقعتين اللتين المحت اليهما أن هذه الفرقة برهنت على نزعتها الحربية في وقعة طيسفون (سلمان باك) حيث قاتلت بحماسة شديدة يحسدها عليها الجيش العاشر من جيوش يوليوس قيصر .

فاجبته « ليست خطتي خطة المدافعة بل خطة الدفاع والهجوم ما دامت في العزيزية على مقربة من العدو . وليس عملي هذا سوى اخذ الحيطة الاعتيادية حذراً من وقوع ما لا تحمد عقباه . فنستعمل السلك في كلا موقعي العزيزية و « فريزر » . اما معسكري المحصن فهو مؤلف من اربعة معاقل صغيرة لرد هجوم العدو وقد استغنينا بهذه المعاقل عن وضع مفرزات محافظة قوية من ربيئات واستنادات . وإذا سمحتم لي بأن اتولى انا نفسي أمر فحص امثال هذه الطلبات بدلا من اركانكم شكرت لكم صنيعكم » . ثم قلت أنه لو وقف « السر جون نكسن » على التقرير المرفوع بشأن الذعر الذي وقع في « موقع فريزر » لاتفقنا على ضرورة استعمال السلك لوقاية المواقع شر المباغتات .

«في ١٢ تشرين الثاني اوفدت المركب الحربي «فاير فلاي» - وهو المركب النهري الجديد السريع السير والمسلح تسليحا جيدا - على مسافة نحو من عشرين ميلا اسفل النهر ليعين قافلة «مهيلات» عيل صبري انتظاراً لها. وقد دونت في مفكرتي ما عني لي في أمر هذه القافلة ما يأتي: «تباً لهذه القافلة التي تعيق سير جميع تحركاتي وهي الآن تقلع من الكوت ووجهتها العزيزية رغماً مني. ولكن لا سبيل الى نقل الطعام الينا».

وفي ١١ تشرين الثاني أنبأنا أن «عجيلا» سار في مقدمة مائتي خيال جنوباً ليصد سير هذه القافلة. لذلك قلت للضابط البحري آمر المركب الحربي «فاير فلاي» أن لا يتأخر في اسافل النهر عن ظهر ١٤ تشرين الثاني وأن يرجع في المدة التي يرى «بيجمان» الضابط السياسي أنه يتمكن من الرجوع فيها سالماً.



كتيبة مشاة تركية تصل بغداد في القوارب

وكان مع القافلة حرس مؤلف من اربعمائة جندي هندي ولا يخفى أن هذه القوة كانت كافية لحماية القافلة من العرب إذا توزعت على الصورة المطلوبة.

وكان «جتي» و «انسلي» قد اعد سبع «بارجات» لنقل الاعاشة فيها ما يأتي: -

ارزاق ١٥ يوما لجنود قوتي البريطانيين[١]

ارزاق ١٥ يوماً لجنود قوتي الهنود

وقود ١٧ يوماً

حبوب ١٧ يوماً

علف ١٧ يوماً

ومقدار كبير من المواد الطبية وعرق « الروم » .

وفضلا عن هذا نترك في العزيزية بارجة مشحونة ارزاقا وعلفاً ما يكفي جنود كل القوة وحيواناتها يومين آخرين .

وكان لدي من النقلية النهرية ما يأتي : -

١٠٠٠ بغل

و ٦٢٠ جملا

و ٦٦٠ عجلة

و ٢٤٠ حماراً

وكانت النقلية البرية التي عندي معينة للفرقة السادسة . وقد اعطاني « السر جون نكسن » اللواء الثلاثين من الوية الفرقة الثانية عشرة التي يقودها « غورنج » وذلك بعد الحاحي الشديد عليه في طلب هذا اللواء . ولكنه لم يعطني نقلية لهذا اللواء . وكذلك لم تعين نقلية لرتل عتاد الخيالة فتحتم على اركاني أن يعدوا العجلات والبغال لهذا الرتل ولرتل عتاد المدافع القصيرة على صورة مستعجلة .

وطلبت من الزعيم « جتي » أن يأخذ الاربع والعشرين عجلة قضت اوامر المقر العام بأن تختص بجمع المواد والبندقيات وغيرها من ميدان القتال . لأنه بعد وقعة كوت الامارة اخذ المقر العام يضايقنا بانتقاده قلة الكميات المجموعة

(١) إن ارزاق يوم يحملها الجنود وارزاق يومين يحملها رتل الاعاشة جعل مقدار الارزاق التي معي يكفي للقوة كلها ١٨ يوماً .

للحكومة من البندقيات والاسلحة . ولكنني رأيت أن الوقت لا يسمح لنا بالبحث في أمر تخليص المواد من ميدان القتال فقلت « علي بنيل الظفر في المعركة قبل التفريط في العجلات باستخدامها لجمع البندقيات .

وفي ١٠ تشرين الثاني نزل معدل المرضى في الفرقة السادسة إلى ٥٤ هندياً من جميع الرتب و ٧٥ بريطانياً .

وقبل شروعي في الزحف بيوم بلغ مجموع قوتي باسرها ١٧٠٠٠ رجل وهذا العدد اشتمل على فوجين ونصف فوج من اللواء الثلاثين والاسطول النهري وغير المقاتلين والتوابع من سكان البلاد . وكان عدد المقاتلين من هذه القوة ١٤٠٠٠ من ذلك ٨٥٠٠ مقاتل فقط من المشاة .

ولم يفارقني القلق لأمر المحافظة على قوافل المهيلات التي كانت تسير على خط المواصلات بين الكوت والعزيزية . لأن العرب القاطنين ضفة النهر اليمنى كانوا معادين لنا وقد اخرجوا عداءهم من حيز الفكر إلى حيز العمل . وضايقوا القافلة التي كانت تقلع ماخرة في النهر بنار بندقياتهم . وقد وقعت حادثة أو حادثتان قضتا علي بأن اقاتل حملات جردها الترك على خط مواصلاتي وكانت مؤلفة من عرب ومعهم خيالة تركية ومدافع . فكنت ترى الباخرة التي تسير على حذر في خلجان قليلة العمق يصعب السير فيها عند منعطفات النهر التي تتضايق البواخر من الانثناء فيها يصليها العدو على حين غرة ناراً حامية يرمي بها من ضفة النهر على مسافة ٣٠٠ يرد أو اقل من ذلك . ولا اخل أن في الدنيا نهراً آخر يضاهي نهر دجلة في تمعجاته .

وحاول المقر العام أن يحملني على تخصيص جنود من قوتي لحراسة القوافل التي تسير بين الكوت والعزيزية ولكنني عارضت في ذلك لأن طلب المقر العام يرمي إلى تفريق قوتي الضعيفة ذلك الضعف الشديد بحيث لا اتمكن من تخصيص جندي واحد لمثل هذا العمل . وفي آخر الأمر ارغمت على الادغان لأمر المقر العام ولكن اخذ الجنود مني لحراسة القوافل مناقض لقاعدة الاقتصاد في القوة . لأنه يقتضي أن يحرس هذه القوافل جنود يؤخذون من القوة العامة المخصصة لحماية

خط المواصلات . وقد ذكرت هذه الحادثة لابرهن للقارىء على أننا أن التفتنا شعرنا بالحاجة إلى الجنود . فالمقر العام لم يتمكن من ايجاد الجنود المطلوبة لخط المواصلات لذلك كان هذا المقر يسعى لاخذها من مشاتي اما أنا فكنت اعارض في ذلك كل المعارضة وذلك لأن المشاة كانوا مكلفين بالفوز في المعركة وبالاستيلاء على بغداد وكان المعول عليهم وحدهم في ذلك .

وفي ١١ تشرين الثاني امرت امير اللواء « هملتون » أن يزحف بالفوج الثامن عشر مع بطرية واحدة بمنزلة مقدمة للقوة في القطنية وكان زحف هذا اللواء تمهيداً لزحفي على طيسفون . وضممت لواء الخيالة بقيادة أمير اللواء روبرتس إلى قوة « هملتون » وامرت « هملتون » بأن يرسل الرسائل إلي باشارات المخابرة في العزيزية في الصباح وبعد الظهر ما دام منفصلا عن معظم القوة لاكون على ثقة من أن امور هذه القوة تسير سيراً حسناً . وطلبت منه أن يستكشف الطريق المؤدية إلى الزور وأن يستقصي أمر العدو فيعلم هل لديه مدافع موضوعة على ضفة النهر في البغدادية لأن نار المدفعية انصبت على خيالتنا يوم تفتيشنا غابات القطنية .

وقلت « لهملتون » أن يتيقظ في مراقبة الزور ولكنني رأيت أنه يحتمل أن قوة العدو الساترة المرابطة هناك تنسحب إلى قوة الترك الكبرى المرابطة في طيسفون عند وصول هملتون القطنية وكذلك وضعت الباخرة « سمانة » تحت امرة هملتون للاستكشاف النهري بحيث تستخدم هذه الباخرة حين استكشاف البغدادية من النهر لأنني لم اشأ أن تثقب هذه الباخرة بالقنابل في مثل هذه الاحوال . واوصيت بأن تستكشف الخيالة على الضفة اليسرى وتسعى أن تحمل المدافع المخفية على اطلاق نيرانها .

وقد دونت في مفكرة الخطة التي وضعتها لحركاتي المختصة بالزحف على طيسفون : ـ

« ١١ تشرين الثاني ـ يتقدم لواء هملتون المختلط مع لواء الخيالة إلى القطنية بمنزلة مقدمة للقوة وتوضع الباخرة « سمانة » تحت امرته .

١٥ تشرين الثاني ـ يسير معظم قوتي إلى القطنية وتأتي جميع السفن في ذلك اليوم عينه إلى هذا المحل .

١٦ تشرين الثاني ـ تزحف القوة متحدة على الزور الواقعة على مسير سبعة اميال من القطنية فتطرد العدو من خنادقه هناك . ويحتمل أن المقدمة وحدها تقوم بهذه الحركة . وينبغي أن تجتمع جميع السفن في هذا اليوم في الزور . ولا يزحف قطار الفرقة ورتل اعاشتها من القطنية ما لم نحتل الزور .

١٧ تشرين الثاني ـ سأسير بقوتي متحدة إلى منبسط النهر في « اللج » .

١٨ تشرين ـ نستكشف طيسفون ويحتمل أننا نقوم بمظاهرة على الضفة اليمنى لخدعة العدو .

« ١٩ تشرين الثاني ـ نشرع في القتال » .

فهذا هو المنهاج الذي وضعته للحركة ولكن الاحوال قضت علي بتعديله لأننا لم نشرع في القتال قبل ٢٢ تشرين الثاني .

أوعزت على ترك رتل الاعاشة وقطار الفرقة مع قسم الامتعة في « اللج » حيث يقف منتظراً الاوامر . وتركت كذلك كل السفن تحميها ساقة مؤلفة من نصف فوج هندي وهو اصغر قوة مطلوبة لحماية هذا الرتل ـ ويحتمل أن يهجم عليه فرسان العرب وخيالة الترك .

وفي ١١ تشرين الثاني اصدرت الاوامر باملاء المعاقل التي تحمي معسكر العزيزية لأنه تحتم علي أن اجعل محل الدفاع مرقعاً محصناً صغيراً موافقاً للحامية التي ابقيتها هناك وأن اجعل تلك الحامية كذلك على اقلها لحراسة الكميات الكبيرة من المدخرات والعتاد التي تركتها ورائي . فامرت بهدم موقع « فريزر » وانضمام حاميته إلى اللواء السابع عشر . وفي ذلك اليوم عينه سرت في النهر شمالا على ظهر المركب الحربي « فاير فلاي » ومعي آمر الاسطول فاطلقنا القنابل على « البغدادية » ثم بتنا تحت نار البندقيات المنصبة علينا من ضفتي النهر ولكن لم تطلق المدافع علينا فاستنتجت من ذلك أن الترك قد نقلوا المدافع من البغدادية . فاصبت في استنتاجي .

وعند رجوعي في المساء عينت مقدار الحامية التي توضع في العزيزية ـ وذلك نصف الفوج البنجابي ٢٤ من افواج اللواء الثلاثين . اما النصف الآخر من هذا الفوج فعزمت على تعيينه لحراسة السفن ورتل الاعاشة وقطار الفرقة اثناء معركة طيسفون ، وكذلك تركت في العزيزية مائة جندي في دور النقاهة قادرين على استعمال البندقية ولكنهم غير قادرين على السير ، وتركت كذلك هناك مدفعين قطر الواحد منهما اربع عقدات لم تتيسر لي وسائل نقلهما ومدفعاً آخر بعيار ١٥ بونداً من مدافع الصحراء .

ووصل العزيزية على ظهر الباخرة « ملامير » في ١٣ تشرين الثاني « السر جون نكسن » ومعه « السر برسي كوكس » الضابط السياسي فعلق وسام « الامتياز » على صدر المقدم « اطرسن » من ضباط فوج « دورست » في عرض اقيم لهذه الغاية . لأن « اطرسن » برهن على بسالة فائقة طول مدة القتال وقد ظهرت بسالته بعد ذلك في وقعة طيسفون .

الفصل الثاني

الهجوم على طيسفون (سلمان باك)

رفعت الخطة التي رسمتها للزحف على طيسفون إلى « السر جون نكسن » في ٨ تشرين الثاني وهذا نصها : ـ

الهدف الاهم

١ ـ إن الهدف الاهم الذي اطلبه في الدور الثاني من زحفي إلى الامام هو طلب معظم قوة العدو في ساحة القتال وابادتها ثم احتلال بغداد .

٢ ـ ولبلوغ هذه الغاية يقتضي بعد نيل الظفر التام الاستفادة من انكسار العدو بمطاردته مطاردة عنيفة يعقبها الزحف على بغداد واحتلالها . وهذا ما كنت ارمي اليه في حركات الامارة ولكن الاحوال قضت بأن لا يكون النصر فاصلا فلم اتمكن حينئذ من الزحف على بغداد واحتلالها . فلو سار جناح التعرض القائم بالمناورة في القتال على الخطة التي رسمتها لانتهى على الارجح دور القتال بين العمارة وبغداد بدخولنا بغداد بلا مقاومة[1] .

٣ ـ (أ) إن معظم قوة العدو مرابط على ضفة دجلة اليسرى على مسافة اربعة أميال إلى شمال طيسفون (سلمان باك) بالقرب من جسر القوارب حيث يسهل انتقاله

---

(١) اما مدة بقائنا في بغداد قبل أن يتمكن الترك من طردنا منها فمسألة اخرى . لذلك اقول أنه لو دخلنا بغداد لاستحال علينا البقاء فيها الا اذا كانت قوتنا لا تنقص عن فيلق .

الى كل ضفة من تينك الضفتين . فهذه القوة كانت قوة العدو الكبرى وتقدر بأربعة آلاف مقاتل من المشاة .

(ب) قوة ساترة تقدر بألفين وخمسمائة جندي من المشاة وسبعمائة خيال واربعمائة هجان وهي محصنة في الخنادق على ضفة النهر اليسرى .

(ج) مفرزة مؤلفة من ١٥٠٠ جندي ماشي و ٥٠٠ جندي خيال مرابطة على الضفة اليمنى ومعتصمة في خنادق طولها ميل واحد ممتدة في « سلوقية » وفي هذا المحل كذلك معقل حصين .

(د) يحتل نحو ١٥٠٠ جندي ماش و ٥٠٠ خيال خطوط طيسفون على الضفة اليمنى .

فتقدر قوة العدو في ساحة القتال على اوجه شتى ففريق يقدرها ١٠٩٠٠ مقاتل و ٣٠ مدفعاً وفريق آخر يقدرها بين ٢٢٠٠٠ و ١٣٠٠٠ مقاتل و ٤٠ مدفعاً .

٤ ـ لذلك يقتضي أن ازحف من العزيزية على الضفة اليسرى لأن طريق بغداد اقصر الطرق وافضلها لبلوغ الضالة المنشودة وهي قهر معظم قوات العدو في ساحة القتال واحتلال بغداد . وينحصر همي في اغراء نور الدين باشا بمقاتلتي في ميدان مكشوف إذا وجدت إلى ذلك سبيلا لأن مواصلة الهجوم على الخنادق يؤول إلى فتور همة الجنود في القتال .

٥ ـ فبناء على ما تقدم من المبادىء والآراء عزمت على توحيد القوات المتيسرة لي والتقدم كتلة واحدة لمهاجمة قوة العدو الساترة المرابطة في الزور التي تقضي اصول التعبية بانسحابها نحو القوة الكبرى المرابطة في طيسفون (سلمان باك) وذلك عند زحفي إلى القطنية من هذا المكان .

اما اذا ثبتت القوة التركية لمقابلتنا في خنادق الزور فذلك افضل جداً لي . لأنني استفيد والحالة هذه من هفوة العدو التعبيوية ـ وهي تفرق قوته فابيد تلك القوة .

إن الزور واقعة على مسافة ١٦ ميلا من طيسفون (سلمان باك) او بالاحرى تبعد ١٩ ميلا عن المكان المرابط فيه معظم قوة طيسفون اما القطنية فهي على مسافة سبعة اميال فقط من الزور. لذلك يصعب جداً على القوة الكبرى - وهي مرابطة شمال طيسفون - الانضمام إلى القوة المرابطة في الزور في الوقت المطلوب لدرء ضربتي القاضية عنها.

وسازحف على قوة العدو المرابطة في الزور. وكما يجمع الصياد شبكته هكذا الف القوة المهاجمة هجوما التفافيا حول ميسرة الترك ومؤخرتهم.

٦ - (أ) وإذا انسحب العدو إلى طيسفون (سلمان باك) قفوت أثره على جناح السرعة المستطاعة محاولا أن افصل بخيالتي ساقة الترك هذه عن باقي القوة واهاجم العدو في طيسفون على ضفة النهر اليسرى متوخياً في ذلك عين الخطة



امير اللواء علي احسان باشا

التعبوية التي نوحيتها في دفعة كوت الامارة ـ اي أن قوتي الكبرى تقوم بحركة التفافية لتطويق ميسرة العدو ومؤخرته بينما تشاغل قوتي الصغرى العدو المرابط في موضعه الواقع إلى شمال طريق بغداد وهذا الموقع مؤلف من خنادق ومعاقل يبلغ طولها $\frac{3}{4}$ ٣ الميل فقط اما لواء خيالتي فيهاجم مؤخرة العدو اليسرى بحيث يقاتل الترك إلى الجانب الاقصى من القوة القائمة بالحركة الالتفافية ويتحرك ضمن دائرة واسعة .

(ب) أو انني أضع جسر القوارب فوق دجلة « سيسبانة » (هماش) على مسافة خمسة اميال إلى غرب الزور فاعبر النهر ليلا إلى الضفة اليمنى وازحف على بغداد وسأفعل ذلك لكي لا ارغم على مقاتلة العدو المعتصم في موقعة المحصن في طيسفون (سلمان باك) بل ارغم العدو على قطع النهر بعدي فيأتي إلى ضفة النهر اليمنى وعلى هذه الصورة اجر الترك إلى موضع مكشوف لا خنادق فيه وهذا الموقع اقل خطراً علي بكثير من الموقع الذي على الضفة اليسرى .

واعتقد أن حركتي هذه ترغم نور الدين باشا على عبور النهر بجسر القوارب الذي عنده فيضعه على النهر شمال طيسفون بحيث يسير مسافة خمسة اميال لكي يتمكن من احتلال الخنادق الواقعة على الضفة اليمنى ولا يزيد طول هذه الخنادق على ميل واحد لذلك يسهل علي تطويقها . وسيرغم حينئذ معظم قوة العدو على القتال في ساحة مكشوفة فتقوم مرة اخرى قوتي الكبرى بحركة التفاف حول مؤخرة الترك وجناحهم الايمن (اي جانب قوتهم الغربي) . وتتحرك حينئذ الخيالة والمدفعية حركة شاملة واسعة غرباً لاحتلال الاكمات التي يبلغ ارتفاعها عشرين قدماً . وهذه الاكمات واقعة على مسافة ثلاثة اميال إلى شمال موقع العدو وهي كذلك قريبة من جسر القوارب ومطلة عليه . وتحمل هذه الخيالة والمدفعية على تلك الاكمات إذا رأت العدو معتصماً فيها .

٧ ـ إنني افضل الخطة « ب » لانهُ إذا قاتلني نور الدين على الوجه الذي ذكرته اسفرت هذه الخطة عن نتيجة فاصلة ولانه لا ارغم والحالة هذه على قطع نهر ديالى عنوة وليس هذا النهر من المواقع التي نخاف منها . وعندي جسر قوارب

استطيع ان اقطع به النهر إذا شئت دخول بغداد .

وفي « القرارة » جسر قوارب واعتقد أن الترك لم يرفعوا الجسر الموضوع على مصب ديالى حتى الأن . وهنالك اسباب اخرى تحملني على الاعراض عن مهاجمة موضع طيسفون على الضفة اليسرى وهي : اولا لأن العدو يغريني بهذا الهجوم . وثانيا لأن حرم سلمان باك هناك وهو من اقدس الاماكن في نظر المسلمين فالمسلمون من جنودنا الهنود يتهامسون في ما بينهم فيقولون أن اطلاق النار على حرم سلمان باك المقدس من المحرمات .

٨ ـ فاذا سرت على الخطة « ب » وانسحب نور الدين باشا إلى بغداد واستنجد بسكانها للدفاع عن هذه المدينة المقدسة اتخذت لي موضعاً إلى جنوب شرق المدينة وعملت على ما تقتضيه الاحوال . ولا اعتقد أن نور الدين ينجح في مسعاه لاثارة سكان بغداد علينا . وبعد انذار السكان بالعواقب الوخيمة اطلق المدافع على المدينة أو احمل عليها . أو أنني ابذل الاموال « المستورة » في حمل السكان على ارغام القوة التركية على الانسحاب بلا قتال وبذلك اكفي المدينة اهوال الهجوم عليها .

اما اذا تحتم علي مهاجمة المدينة على ضفة دجلة اليسرى فاقوم بالهجمة الجبهية على طول الضفة اليسرى متصلا بسفني ومراكبي الحربية بحيث تلتف القوة الكبرى ـ وهي جناح المناورة ـ حول المدينة من الجهة الشرقية فادخل المدينة عنوة من الطريقين اللذين ينتهيان إلى بغداد من جبهتينا الشمالية والشمالية الشرقية .

٩ ـ وليس لدى العدو وسائل نقلية تذكر ما عدا البواخر والبارجات .

١٠ ـ ترى ما الذي يفعله العدو حينئذ ؟

فاجيب على هذا السؤال بقولي أنني اعتقد أن العدو يثابر على خطته السوقية وهي المدافعة لا غير لأنه لم يبق فيه من القوة المعنوية والمقدرة على المناورة ما يمكنه من التحول عن المدافعة إلى التعرض .

وما انفك القواد الترك متخذين خطة المدافعة منذ زحفي لمهاجمة القرنة .

وهذه خطتهم منذ المائة (القرن) الماضية أو قبلها على ما نعلمه من تاريخ الترك وذلك من زمن مدافعتهم عن عكا ازاء حملة « نابليون » إلى زمن دفاعهم عن « بلونة » وعن خطوط جتالجه الشهيرة التي تحمي الاستانة . ولا يحسن التركي المقاتلة الا إذا كان مدافعاً واقل ما يقال في مواقفه في ميادين القتال المكشوفة أنه من الدرجة المتوسطة فكانت خطته السوقية في العراق أنه انسحب من موقع دفاع إلى موقع دفاع آخر في داخل البلاد لكي يطيل اجل الحرب فينفسح المجال للعوامل التي تخفض من غلواء التعرض لتفعل مفعولها في الجيش المهاجم . ففي اوربا تنحصر هذه العوامل في نقص الامداد والذخائر الحربية وغيرها . اما في الشرق فتنحصر في الحرارة والمرض وغيرهما . فقد انسحب الترك على مهل ولكنهم في انسحابهم هذا كانوا يدنون من مصدر اعاشتهم وهو مدينة بغداد فاذا نظرنا إلى عمل الترك هذا من وجهة سوق الجيش رأيناه منطبقاً كل الانطباق على قواعد الحرب الاساسية . لأن قاعدة الاقتصاد في القوة تحتم عليهم أن يضموا إلى جيشهم كل جندي متيسر لهم للقتال في الساحة الكبرى التي يقاتلون فيها حيث تقع الوقعة الحقيقية الفاصلة وساحتهم الكبرى شبه جزيرة غاليبولي . اما ساحتهم الصغرى فهي سوريا والعراق وبلاد العرب فيقتضي أن يدافعوا عنها بقوتهم الصغرى .

لذلك لا اتوقع أن يتخذ الترك خطة التعرض في مقاتلتنا في العراق ما لم يفوزوا في شبه جزيرة غاليبولي فاذا فازوا هناك هجموا علينا فورا بقوات ساحقة يسوقونها إلى العراق .

١١ ـ أومل أن قائد الحملة يبذل كل ما في وسعه ليرد إلي جميع الجنود المأخوذين من فرقتي وهم الآن البصرة وفي غيرها وأن يحث الذين بيدهم الحل والعقد في الهند على الاسراع في ارسال فرقة اخرى على الاقل . ولا يخفى عليكم أن الجنود البريطانيين والهنود ينظرون إلى الوراء قلقين من جراء المسافة التي بينهم وبين البحر .

إن مجموع قوتي الكلي إلى هذا الحين يبلغ ٩١٨٣ مقاتلا وفضلا عن هذا

لدي ٣٦٥ جنديا لا يتحملون مشقات السير قبل أن يمر عليهم بضعة ايام ولكنهم يتمكنون من استعمال البندقية والمدافعة عن موقع حربي .

حاشية : منذ كتابة خطة الحركات العامة هذه تلقيت انباء سوء تتعلق بسوء حالة الاراضي الممتدة على الضفة اليمنى بجوار طرف منعطف النهر القديم على مسافة ثمانية اميال جنوب طيسفون (سلمان باك) لأن هنالك اخاديد عميقة خطرة وخلجان عظيمة حفرها الماء وادغال كثيفة ما يحملني على توجيه نظري إلى الضفة اليسرى حيث افضل الطرق واقربها إلى ضالتي المنشودة وهي ابادة معظم قوات العدو في ساحة القتال . وهنالك سبب آخر يحملني على اتخاذ الضفة اليسرى سبيلا انهجه في زحفي إلى بغداد ـ وذلك بالنظر إلى وقعة طيسفون على الاقل ـ وهو أن قوة العدو واقفة لنا بالمرصاد هناك وإلى جانبه نهر لا يقطع وخلفه كذلك نهر ديالى الذي لا يستطاع عبوره وليس لديه سوى جسر أو جسرين ضعيفين للعبور عليهما من احدى الضفتين إلى الاخرى . فاذا انكسر العدو والحالة هذه اسفر فوزنا عن ابادة القوات التركية شر ابادة .

وهذه برقية تلقيتها من رئيس اركان الحملة في ٧ تشرين الثاني السنة ١٩١٥ : -

« إن قائد الحملة يوافق على خطتك العامة ويرى انك مصيب في تأخير ابداء قرارك البات في هذا الشأن » .

ولما تلقى « السر جون نكسن » خطة حركاتي قال أنه يفضل أن اجري الحركات على الضفة اليمنى من الزور وما بعدها اي أن اعمل بمقتضى الخطة « ب » ولكنني ابيت أن اغير خطتي الا إذا رأيت سبباً وجيها يسوغ لي ذلك عند وصولي الزور لأنه لا يجوز العبث بالقاعدة التي تقضي بابادة معظم قوات العدو في ساحة القتال . ولما كانت مقاليد امور هذه الحركات وادارتها بيدي فتبعة المخاطر التي تنجم عنها واقعة علي لذلك قلت أنه لا بد لي من العمل بما يوحيه إلي عقلي .

وفي ١٥ تشرين الاول زحفت إلى القطنية بعد حشد فرقتي في العزيزية .

والقطية واقعة على مسافة سبعة اميال من العزيزيه فانضممت هناك إلى المقدمة التي اوفدتها في ١١ تشرين الثاني وكذلك انتقلت جميع السفن إلى هذا المكان .

وقد قدر قلم استخباراتنا والطيارون المستكشفون القوة التركية باحد عشر الف مقاتل و ٣٦ مدفعاً . وسيعلم القارىء أن هذا التقدير لم يكن قريباً من قوة العدو الحقيقية لانهُ لا شك عندي في انهُ كانت قوة العدو تربو على ١٥٠٠٠ جندي[1] وكان عدد مدافعها بين الاربعين والخمسين . وكان مدير قلم الاستخبارات الزعيم « بيج » من اركان المقر العام يبعث الي بالاخبار كلما تلقاها . وقبيل زحفي من العزيزية استطلعته رأيه في الاخبار التي يرويها العرب عن وصول نجدات تركية قوية إلى طيسفون . فاجابني « لقد اتصلت بنا هذه الاشاعات ولكن ليس لدينا انباء رسمية تؤيدها » . وقد علمنا الأن أن نجدات قوية التحقت بقوة نور الدين وبفيلق خليل باشا وبعض هذه النجدات وصل بعد المعركة ، فصدقت بذلك روايات السكان واشاعتهم عن وصول هذه النجدات . وقال لي الزعيم « بيج » مدير المخابرات انهُ تلقى برقية من وزارة الحربية فيها أن الترك جردوا حملة عسكرية علينا وقد سارت من الاناضول ووجهتها بغداد . ولست اروي هذه الامور تنديداً باعمال قلم الاستخبارات في الحملة العراقية لأن لنشاط الزعيم « بيج » مدير هذا القلم ومقدرته ارفع منزلة عندي . ولا يخفى أن التوصل إلى الحقيقة من تلك التقارير العديدة ليس من الهنات الهينات . ولكنني احب أن ابسط الحقائق على ما وقفت عليها وهي الحقائق التي قدر لي أن اقف ازاءها وأن ابرهن على صحة دعواي من أن الواجب كان يقضي علينا بأن لا نتخذ خطة التعرض في ميدان حرب ثانوي ما لم تتوفر لنا النجدات الكبيرة . وقد قال لي ضابط الماني في الاستانة « كان يقتضي أن يكون لديكم تسعون الف جندي بدلا من تسعة آلاف جندي في الحملة على بغداد ! » ومن يجرأ الآن على تسفيه رأي

---

(١) قدر « السر جون نكسن » هذه القوة في برقياته قائلا « أن القوة التركية تقدر بثلاثة عشر الف جندي نظامي و ٣٨ مدفعاً وهنالك تقارير اخرى انبأتنا بتعزيز القوات التركية بجنود اخرى » . وقد قدرتها أنا في برقياتي عن المعركة بعشرين الف جندي تركي واربعين أو خمسين مدفعاً .

ذلك الضابط الالماني ونحن نرى الفريق بين قولي وقوة الفريق « مود » في زحفنا الثاني على بغداد ؟

وبعد رجوعي من الاسر قرأت في التقرير الذي رفعته « بعثة التحقيق في أمر الحملة العراقية » الفقرة التالية المتعلقة بانذاري للحكومة بعدم الزحف على بغداد : ـ

« إن الفريق طاونزند لم يلح الحاحاً شديداً في حمل الحكومة على اعارتها اذنا صاغية لاعتراضاته وكانت روح التفاؤ ل الشديد مستحوذة على اركان مقر الحملة وادارتها اثناء زحفه على ذينك الخطين المنيعين من خطوط الخنادق التركية في طيسفون (سلمان باك) في ٢١ تشرين الثاني » .

اما انا فلا علم لي بذلك « التفاؤ ل الشديد » الذي ذكرته « البعثة » وجل ما هنالك أنني عقدت العزيمة على انجاز الحركات إذ تيسر لي انجازها . وأن واجبي البسيط الصريح حتم علي تنفيذ أوامر من فوقي رغم رأيي الصائب . ولم يخامرني قط شك في العواقب الشديدة الوخامة التي ينتهي اليها هذا الزحف ـ وذلكم تعرض نقوم به بقوات غير كافية في ميدان حرب ثانوي حيث يقضي علينا سوق جيشنا بأن نتخذ خطة الدفاع في هذا الميدان بقوات صغرى كافية لذلك . وكنت اتوقع الدمار كلما نظرت في المسألة .

ولكن الامر قضي فرأي آمري غير رأيي . لذلك عزمت على انجاز الحركات وقلبي مفعم ايماناً وحبوراً وانا إمازح كل من لقيته في معسكر العراء على عادتي . ولا بد من بعض التفاؤ ل بالعواقب في جميع الحركات الحربية ولا سيما أنه لا بد من ذلك التفاؤ ل لرجال اركان الجيش العامة ليبعثوا الثقة والطمأنينة في قلوب الجنود . فتصوروا ضابط اركان جيش صدرت اليه الاوامر بالزحف فيعدو به الحصان وهو مقطب الوجه ومرتبك في امره ! فاذا رآه الجنود على هذه الحالة علموا أن هنالك امراً وخيم العاقبة . لذلك لما سألني « السر جون نكسن » قبل المعركة بيوم « هل انت واثق من النصر ، يا طاونزند ؟ » اجبته « نعم ، فانني سوف اخرج من المعركة ظافراً ! » وقد انتصرت على العدو في تلك المعركة .

ولما تفقدت المعدات التي اعدها « هملتون » لحماية موقع القطنية افرزت قوة وامرتها بالتقدم مسافة ٤٠٠٠ أو ٥٠٠٠ يرد على طريق الزور وكذلك وضعت ربيئتين قويتين تتألف كل منهما من خمسين حامل بندقية على ضفة النهر اليمنى قبالة معسكرنا لحمايته من الاعتداء عليه على أن تعضد تينك الربيئتين مدافع المركبين الحربيين « فاير فلاي » و « سمانة » .

وفي مساء ١٦ تشرين الثاني لم نشاهد كذلك اثراً للبواخر « شهاب » و « شرور » و « شيرين » . وقد تأخرت هذه البواخر عن موعد وصولها الامر الذي يجن له المرء . والذي زاد الطين بلة أنني الفيت الباخرة « سلامي » المشحونة بفحمنا وزيتنا ـ وكان معمول جميع السفن على هذه الباخرة التي ذهبت لاستطلاع خبر البواخر المفقودة .

فلم استطع الانتظار فوق ما انتظرت فعزمت على ارسال المركب الحربي « السمانة » لسحب البارجتين اللتين عليهما مدفعان من المدافع التي قطرها اربع عقدات . وقد رتبت أن يسير الرتل « ج » من العزيزية إلى القطنية برا وأن تتبعنا جميع السفن من هناك ومنها قطار الجسور وكانت الزوارق قد وصلت لنقل هذا القطار .

ولحسن الحظ وصلت البواخر المفقودة في ١٨ تشرين الثاني بعد الظهر وفي تلك الساعة اصدرت الاوامر بالزحف على الزور في اليوم التالي . وكنت اتوقع أن القوات التركية السائرة تتراجع رويداً رويداً نحو القوة التركية الكبرى أثناء زحفي ولكن المرء لا يدري ما يفعله القائد التركي وما لا يفعله إذا لم يكن مصحوباً باركان جيش من الالمان . لذلك رتبت قوتي ترتيب القتال المحتمل وقوعه . وعزمت على ايفاد مفرزة لتسير على الضفة اليمنى لانه لا بد لي من الاستيلاء على قريتي الجميسية والبغدادية المحصنتين وهما من قرى العرب الواقعة على تلك الضفة . وكانت القريتان محميتان بحامية قوية من عرب الشيخ علي وقد قطع العرب طريق النهر على السفن في منعطف خطر من منعطفات النهر وحيث الماء قليل العمق . وفضلا عن ذلك قيل انهُ كان مع العرب هناك خمسمائة خيال تركي

ومعهم مدفعا صحراء لذلك ارغمت على وضع مفرزة على الضفة الاخرى من صفتي هذا النهر الذي يستحيل الخوض فيه . واقتضى أن تكون هذه المفرزة قادرة على صد هجمات العدو ومنعه من حصرها في مكانها . لذلك تقرر وضع لواء هناك على أن يعاونني ذلك اللواء في الهجوم على الزور . لانهُ يسهل اطلاق النار الجنبية على خنادق العدو من رأس المنعطف الواقع على الضفة اليمنى وذلك عند الاستيلاء على الجميسية والبغدادية[1] . وتقرر كذلك أن تلتحق بي هذه المفرزة في الزور بحيث تقطع النهر على جسر القوارب الذي نضعه فوق النهر لعبورها . وأن تحل نار المراكب الحربية محل نار المدفعية .

وازحف أنا نفسي بقوتي الكبرى على خنادق الزور في رتلين متوازيين على جبهة واسعة جداً . فاهجم بالرتل الايسر ـ وهو الرتل الذي يزحف على الضفة اليسرى ـ هجمة مشاغلة على خنادق الزور في الامام واما الرتل الايمن ـ وهو جناح التعرض للمناورة ـ فالتف به حول جناح الخنادق الشمالي ومؤخرتها وعلى هذه الصورة اطوق موضع دفاع العدو .

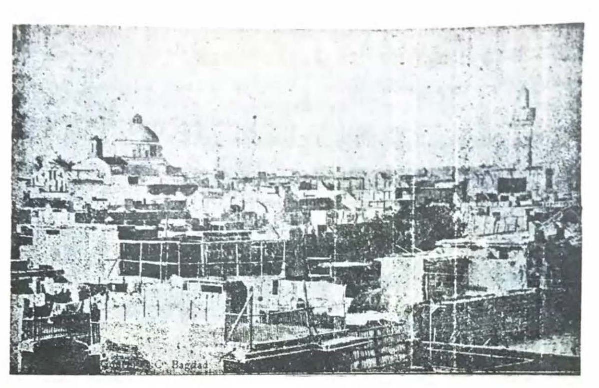
وعند وصول السفن المفقودة اصدرت اوامر تمهيدية إلى الفرقة والاسطول وقافلة السفن بالتهيؤ للزحف في صباح اليوم التالي . واصدرت اوامري الكاملة بالزحف على الزور في الساعة ٣٠ : ٤ بعد ظهر ١٨ تشرين الثاني السنة ١٩١٥ .

وفي الساعة السادسة بعد الظهر جائتني الطائرات المستكشفة بنبأ فيه أن قوة تركية يتراوح مقدارها بين اربعة آلاف وخمسة آلاف مقاتل تسير على ضفة النهر اليسرى من طيسفون إلى الزور ـ فلا يخفى أنها كانت قادمة لتعزز القوة الساترة المتحصنة هناك ـ وأن خمسة آلاف أو ستة آلاف جندي تركي آخر يتقدمون نحونا من طيسفون على الضفة اليمنى وأن ثلاثة آلاف جندي من هؤلاء الجنود اصبحوا على مسافة ثلاثة أو اربعة اميال وقد أيد هذا النبأ استكشاف جوي آخر قام به

---

(١) وكنت كذلك اتوقع الاستفادة من زحف المفرزة على ضفة النهر اليمنى باغراء قوة نور الدين الذي كان حينئذ مرابطاً في طيسفون بنقل جنود اخرى من الضفة اليسرى إلى الضفة اليمنى ولما كانت حيلتي هذه قد نجحت في وقعة كوت الامارة لم اتوقع حينئذ أن تنجح هذه المرة كذلك .

المقدم « ريلي » الذي كان موضع ثقتي كلها . وفي بادىء الأمر لم اصدق النبأ الاول لانني حسبته بعيد الوقوع . ولكنني لما بلغني نبأ « ريلي » امرت من ساعتي القوة الصغرى بأن تتحصن في خنادق على الضفة اليمنى في القطنية لحماية السفن وكانت قوتي الصغرى هذه مؤلفة من الرتل « ج » . وفي الصباح سرت بقوتي الكبرى المؤلفة من الرتلين « أ » و « ب » ولواء الخيالة للهجوم على العدو المرابط في الزور او اذا التقيت بالعدو على الطريق قاتلته قتال مصادمة ، لانهُ لما كان العدو قد شطر قوته إلى شطرين بينهما نهر يستحيل عبوره اصبحت حركتي التعبيوية معلومة وهي مشاغلة العدو على الضفة اليمنى بقوتي الصغرى وابادته على الضفة اليسرى بقوتي الكبرى .



منظر عام لمدينة بغداد

وفي الصباح باكراً زحفت على الزور برتلين من ارتالي والمسافة بينهما مقدار ٥٠٠٠ ياردبحيث تحركت الخيالة على الجناح الخارجي للرتل الخارجي . اما العدو فاخلى ذلك المكان بعد مناوشة طفيفة جرت بين خيالة الفريقين .

وهنالك ما يحملني على الاعتقاد بأن حركة القوات الكبيرة من طيسفون على كلا الجناحين ـ تلك الحركات التي اتتني الطائرات بخبرها ـ لم تكن سوى خدعة أو مظاهرة لاضيع الوقت . فاذا كان هذا قصد الترك من تلك الحركات فقد نجحت حيلتهم[1] . ويسهل على قطعة من جنود العدو خدعة الذين يرصدونها من الطائرات لانه عندما يشاهد الاعداء قدوم الطائرات يتحرك من ساعته في جهة معاكسة لجهة السير الحقيقي ثم يستأنف سيره في الجهة الحقيقية بعد ذهاب الطائرة إلى مقرها لنقل خبر زحفهم الكاذب .

وحينئذ ابرقت إلى الرتل « ج » وإلى السفن للالتحاق بي في الزور ولكن هذه القوة لم تصل الا في الساعة ٩ بعد الظهر فوضعنا الجسر فوق النهر في الليل فانضم الرتل « ج » إلي لما بزغ الفجر . وفي ٢٠ تشرين الثاني الساعة التاسعة بعد الظهر سرت بالقوة إلى اللج من حيث عزمت على الشروع في مقاتلة الترك المرابطين في طيسفون .

لما كنت في الزور عزمت على أنني لا اجوز النهر إلى الضفة اليمنى لأن السبيل الاقرب والافضل إلى ضالتي المنشودة يمتد على الضفة اليسرى لذلك قلت ينبغي لي أن ارغم العدو على المقاتلة حيث يقع دجلة الذي لا يتمكن من العبور إلى جانبه الآخر ويقع كذلك النهر ديالى الذي لا يقط وراء العدو ، اجل أن عند الترك جسراً أو جسرين من جسور القوارب ولكن هذين الجسرين لا يجديانهم نفعاً في تقهقرهم غير المنتظم .

وحينئذ تأهبت للمعركة فاصدرت الوصايا العامة على صورة محاضرة القيتها على آمري الالوية وحضر فريق من الضباط القادة الذين سمحت لهم واجباتهم بالحضور وقد فعلت ذلك لكي نسعى جميعاً قلباً وقالباً لبلوغ غايتنا ونعمل يداً واحدة في المعركة . وسيعلم القارىء أن مناورتي في هذه المعركة كانت مناورتي في وقعة كوت الامارة عينها . فكنت اسعى للظفر بهجوم قوتي الكبرى على اضعف موضع رأيته في قوة العدو وهو ميسرته .

---

(١) كان نور الدين ينتظر بفارغ صبر وصول فيلق خليل باشا .

وصايا عامة تتعلق بالحركات التي تقوم بها القوات المهاجمة الثلاث : ـ

الهجوم التمهيدي	القوة الصغرى	اللواء ١٧
	وقوة الالتفاف	واللواء ١٨
		والقطعات الراكبة
الهجوم الفاصل :	القوة الكبرى	اللواء ١٦
		والقطعات الراكبة
		واللواء ٣٠ (ما عدا فوج واحد) .

وسواء قاتلت العدو على الضفة اليمنى ام على الضفة اليسرى فإن مناورتي في هذه الوقعة هي مناورتي في كوت الامارة عينها ـ اي الهجوم على جناح العدو ومؤخرته . (انظر الفقرة ٢ من الفصل ١٠٢ من الجزء الاول من كتاب « أنظمة الخدمة السفرية المطبوع عام ١٩٠٩ والمطبوع مرة اخرى عام ١٩١٤) . ولما كان بعض الضباط غير مقتنين ذلك الكتاب فاقتبس منهُ النبذة التالية : ـ

« نقول على وجه عام أن الفوز في القتال يتم بحركة تألب تقوم بها قوتان منفصلتان لضرب جبهة العدو وجناحه ولا يبقى القائد تحت يده الا النزر اليسير من القوة الاحتياطية أو أنه لا يبقي شيئاً من ذلك .

« فالقيام بهجمة فاصلة على قسم من اقسام جبهة العدو يحتمل أن يؤ ول إلي شطر جيش العدو إلى شطرين فيسفر ذلك عن نتائج جليلة الشأن . ولا يخفى أن دقة الرمي بالاسلحة الحديثة وسرعته على مسافات بعيدة يقللان احتمال النجاح في هذا النوع من الهجوم (اي الهجوم على قلب العدو) وقد ينتهي الفشل في هذا الهجوم إلى احاطة العدو بالقوة المهاجمة وابادتها . لذلك نرى الافضل أن يوجه الهجوم نحو احد جناحي العدو بحيث يختار الهدف اما قبل الانفتاح أو بعده على ما تقتضيه الاحوال . ويزداد تأثير النار على الاغلب عندما ترمي الخطة المرسومة للمعركة إلى الاحاطة باحد جناحي العدو ـ أو الاحاطة بكلا جناحي العدو إذا كانت القوة المهاجمة تفوق جداً قوة العدو » .

ففي وقعة كوت الامارة قسمت قوتي إلى قسمين وهما القوة الصغرى ـ

وكانت الرتل « ب » ـ والقوة الكبرى ـ وكانت الرتل « أ » . فالتففت حول العدو وضربته بالرتل « أ » وانا اشاغله بالرتل « ب » وكانت الخيالة تعين هجوم جناح القوة القائمة « بمناورة » التعرض وهي تتحرك إلى جانب هذه القوة . وهذا هو الموضع الذي اتفقت الجيوش الفرنسية والالمانية على تعيينه لمعظم الخيالة في ساحة القتال . وسيرى القارىء أنني اضفت إلى قوتي في المعركة قسماً ثالثاً أو بالاحرى أنني قسمتها إلى ثلاثة اقسام وهي :

القوة الصغرى ـ أو قوة الهجوم التمهيدي

والقوة المهاجمة هجوماً التفافياً وقد عاونتها القطعات الراكبة

والقوة الكبرى أو القوة المهاجمة هجوما فاصلا

وسبب تقسيمي قوتي على هذه الصورة هو انهُ كان العدو يتوقع أن ارتب قطعاتي مرة اخرى في الانفتاح على ما رتبتها في وقعة كوت الامارة لذلك سيحاول أن يقابل هجوم الالتفاف باحتياطه المؤلف من ثلاثة آلاف أو اربعة آلاف مقاتل بحيث يضع هذه القوة إلى الوراء في « القصيبة » . فكنت اتوقع أن اباغته عند احتدام وطيس القتال بين القوة المهاجمة هجوماً التفافياً وبين الترك فتضربه القوة الكبرى ضربة قاضية .

فاذا هجم العدو ـ اثناء هجوم قوتي الكبرى ـ هجوماً معاكساً على قسم من اقسام قوتي ترتب على جميع القطعات التي يهاجمها العدو أن تثبت ازاء الصدمة وبذلك يزداد هجوم القوة الكبرى شدة . لأن فوز القوة الكبرى باصابتها مقتلا من العدو يعني فوزها على الترك في جميع المواضع .

وفضلا عما تقدم أنني عولت على الرتل « ج » (اي القطعات الراكبة) في احباط جميع الاعمال التي تقوم بها القوة التركية العامة وذلك بهجوم الرتل « ج » على هذه القوة من الوراء .

إن قواتنا المهاجمة هي في الحقيقة اربع قوات لأن القطعات الراكبة تختلف في الواقع عن اللواء الثامن عشر القائم بالهجوم الالتفافي . ومع أن هذه القوات تظهر

لنا مستقلة إلا أنها ليست كذلك في الحقيقة لأني ساضعها في مواضع لا تكون المسافة بين القوة والاخرى ابعد من مدى مدفعية الصحراء المؤثر اي على مسافات تتراوح بين ٤٠٠٠ وبين ٢٥٠٠ يارد

مهمة القوة القائمة بالهجوم التمهيدي

إذا هاجمت العدو على الضفة اليسرى يحتمل كل الاحتمال أن قوة الهجوم التمهيدي (اي القوة الصغرى) التي يقودها امير اللواء « هوتن » تهجم على جبهة العدو على جبهة عرضها ١٠٠٠ يرد مثلا بحيث تستند هذه القوة إلى الخط التلغرافي .

وتصحب مدفعية الفرقة (قسمها البري) هذه القوة القائمة بالهجوم التمهيدي لكي تعين المدفعية هذه القوة بمقذوفاتها الشديدة . فعليه تنحصر مهمة امير اللواء « هوتن » في الهجوم على جناح العدو الاقصى عند خط تقهقره . فتمتاز مهمة « هوتن » عن غيرها بأنه يتخذ فيها خطة الدفاع وهذه الخطة شبيهة بالخطة التي نسميها في سوق جيشنا « ساحة القتال الثانوية أو ميدان المدافعة » . ويتقدم « هوتن » بمعونة النسافة ومدفعية الفرقة نحو العدو إلى أن يصبح على مدى بعيد من العدو إذا وجد إلى ذلك سبيلا . ولا تحصر مهمة « هوتن » في حصر العدو في موضعه بل يتحتم عليه أن يقاتل ويقوم بمظاهرات عظيمة لاغراء ذلك العدو باستخدام قواته الاحتياطية . وعليه أن يستفيد من جميع الموانع الطبيعية والاصطناعية من ترع يابسة والاخاديد التي يحفرها الماء وعوارض الارض . ولا يهجم هجوماً فاصلا ما لم ير القوة الكبرى تتقدم للهجوم على العدو . وعمل القوة الكبرى اشارة إلى كل رجل قوي البنية من رجال القوة ليحمل على العدو بعزيمة ثابتة . ويصح أن نسمي مهمة القوة الصغرى بقولنا أنها مقاتلة ترمي إلى انهاك قوى العدو واطفاء جذوة نشاطه .

مهمة القوة التي تقوم بالهجوم الالتفافي

بعد أن يمر ردح من الزمن على شروع القوة الصغرى في القتال تهجم القوة التي تقوم بالهجوم الالتفافي بقيادة أمير اللواء هملتون على ميسرة العدو ومؤخرته

حيث تهدد توا خط تقهقره الطبيعي . وهذه القوة تتألف من اللواء الثامن عشر وخيالة الفرقة المؤلفة من سرية واحدة . ويقتضي دفع هذه القوة بحزم ونشاط نحو العدو بحيث لا يحول عارض دون تقدمها .

إن الرتل « ج » ـ وهو القطعات الراكبة ـ يتألف من لواء الخيل وبطارية الخيل والفنية ٤٨ بقيادة الفريق الثاني السر « جارلس ميلس » وتعاون هذه القوة باقي الارتال بحيث تتحرك على الجناح الخارجي (اي شمال اللواء الثامن عشر) فتقوم بحركة شاملة واسعة جبهتها ١٨ ميلا لكي تهجم على مؤخرة العدو بمدافع مدفعية الخيل بجوار « القصيبة » وتصب النار الجنبية على خط خنادقه وبذلك تتهدد خط تقهقره كل التهديد . ويجب الحث على سير هجوم هذا الرتل بكل شدة ونشاط ، وصوت مدافع هذه القوة وحده يكفي لحمل القوة التركية في الجهة الجنوبية على طلب الانهزام خوفاً من نيران تلك المدافع . وتخابر خيالة الرتل « ج » مقر الفرقة الذي يكون بالقرب من مدفعية الفرقة مع القوة التي تقوم بالهجوم التمهيدي .

مهمة القوة الكبرى ـ اي القوة التي تقوم بالهجوم الفاصل

وبمقتضى اصول الحرب ساصدر الامر إلى القوة الكبرى بالتقدم عندما يشعر العدو بشدة وطأة هجوم الالتفاف . وسأوجه هذا الهجوم توا إلى مقتل العدو الذي اشرت اليه على الخريطة بالحرفين U.R ويجب أن تتخذ القوة باسرها زحف القوة الكبرى اشارة لها إلى الحمل على العدو . وعلى آمر مدفعية الفرقة حينئذ أن يبذل كل ما في وسعه لصب النار على مقتل العدو وحتى مدافع القوة القائمة بهجوم الالتفاف يجب أن تصوب على مقتل العدو إذا كان ذلك مستطاعاً لكي يفتح الطريق لتقدم القوة الكبرى الزاحفة بقيادة الفريق الثاني « ديلامين » .

والآن أجمل خطة هذا الهجوم على الوجه التالي : ـ

(أ) اهجم على العدو هجوم مشاغلة بقوتي الصغرى فتحصر هذه القوة جناح العدو الذي امامها فلا يتزحزح من مكانه .

(ب) عندما تمر مدة كافية على شروع القوة الصغرى في القتال تهجم القوة القائمة بحركة الالتفاف على جناح العدو الاقرب إلى خط تقهقره الطبيعي .

(ج) عندما يظهر تأثير حركة الالتفاف تهجم القوة الكبرى المكلفة بضرب العدو الضربة القاضية على جناح العدو الذي تضعضعه القوة القائمة بهجوم الالتفاف .

وترتيب القوة على هذه الاوجه الثلاثة ينطوي على تطبيق قاعدتين هما عظمـاوا قواعد الحرب الاساسية وهاك هاتين القاعدتين : -

(أ) الاقتصاد في القوة - اي ترتيب قواتك ترتيبا صحيحا لنيل الظفر . وبجملة اخرى تحشد قوتك الكبرى في ميدان حركاتك الاكبر وقوتك الصغرى في ميدان حركاتك الاصغر (اي في ميدان المدافعة) .

(ب) القوة الكبرى ويصح القول في هذه القاعدة أنها روح قاعدة الاقتصاد في القوة . وهي تتناول الهجوم بمعظم القوات المتيسرة لك على الموضع الفاصل وهو اضعف موضع في قوة العدو - اي مقتله وتقتضي اصول الحرب أن يكون هذا الموضع في الجناح الاقرب إلى خط التقهقر الطبيعي .

وتمكن بهما « نابليون » وتلميذه الاعظم « مولتكه » من الفوز في جميع المعارك التي خرجا منها ظافرين وهاتان القاعدتان تكونان جانباً من المذهب الحربي الذي تراعيه الجيوش الاوربية الكبرى في هذه الايام وليست النظريات الحربية الفرنسية والالمانية اليوم سوى اصول تطبيق هاتين القاعدتين العظماوين اللتين وضعهما نابليون للحرب بقطع النظر عن مبلغ تطبيقهما . فنابليون كان يفضل حركة الالتفاف أو الهجوم الواسعة الشاملة التي تقتضي الاقدام والبسالة على غيرها لأنها تسفر عن نتائج فاصلة جداً . اما مولتكه - وكان اشد حذراً من نابليون - فكان يفضل حركة الاحاطة أو الهجوم على غيرها لأن المخاطرة فيها اقل مما في غيرها ولكن النتائج التي تسفر عنها هذه الحركة دون نتائج هجوم الالتفاف . وقد قال نابليون في هذا الصدد : « على الخائف من الخسارة أن لا يلعب بالورق » . وفي

الواقع أن الاوجه التي رتبت عليها قوتي للقيام بهذا الهجوم للتألب على العدو تصبح في آخر الامر هجوم احاطة كما جرى في وقعة كوت الامارة .

وقد صرحت رئاسة اركان الجيش الالماني العامة بأن لا فرق على الاطلاق بين النظام الالماني وبين نظام « نابليون » فيقول الالمان انهُ يستحيل على الجيش المقاتل اختراق قلب جيش العدو في هذه الايام لذلك يقتضي الالتفاف حول جناح أو احاطته للحصول على نتيجة فاصلة ولابادة قوات الاعداء . و « يجب ايقاف العدو أو حصره في جبهته اثناء الالتفاف حول احد جناحيه وسحق ذلك الجناح » . فقوة الهجوم متوقفة على مبلغ تألب القوة الهاجمة على العدو ولنا من هذه النظرية أن الاحاطة افضل انواع الهجوم .

وقد قال فوندر غولتس : « على القوات التي تسعى لاحاطة العدو أن تقابل الخطر الذي يتهدد جناحها الخارجي لذلك يقتضي أن تتبعها القوات الاحتياطية » .

وارى ـ والحالة هذه ـ أن القطعات الراكبة تتكفل باكفاء القوة الهاجمة شر هجوم العدو المعاكس وأن العدو لا يتمكن من القيام بمناورة ولا يريد الخروج من خنادقه للهجوم على القوة القائمة بحركة الالتفاف هجوما معاكساً .

فلو اعطيت الفرقتين اللتين طلبتها لتفوقت على العدو المتحصن في موقعة من حيث العدد ولتمكنت من مهاجمة جبهة الترك بنصف فرقة واحدقت بجناح العدو ومؤخرته بالقوة الباقية المؤلفة من فرقة ونصف فرقة فوثقت من الظفر . ولا يخفى أن الهجوم يتطلب على الدوام التفوق العظيم في العدد على العدو .

ولكن قضي علي بمهاجمة عدو اقل ما اقوله فيه أن قوته كانت معادلة لقوتي وأنه كان متخذا خطة المدافعة وهو متحصن في موقع منيع جداً . لذلك عوضت عن العدد الذي ينقصني من الجنود بالاستفادة من قاعدة الاقتصاد في القوة . وتوقعت أن اشل جانبا عظيما من قوات العدو المتحصنة على جبهة واسعة جدا وذلك باستخدام قسم صغير من قطعاتي بمنزلة قوة صغرى فاخفي ضعفي بتوخي

الاقدام والحيلة في حركتي بيسها انزل الضربه الشديدة على جناح العدو ومؤخرته بقوتي الكبرى ، كان المقصود ان تكون الضربة القاصمة فتسفر عن انتصاري على العدو . وقد سرد « فون درغولتس » في كتابه « الامه المسلحة » فائدة استخدام القوة الكبرى على هذه الصورة فقال : « أن القائد الحاذق يعلم على الغالب من اين يشل قوى العدو بقسم قليل من قطعاته بحيث تخفي ضعف هذه القوة الصغرى بالاقدام والبسالة أو بارغامها على اتيان عمل يكبد العدو خسارة فادحة . ثم يتمكن من نقل قوات تفوق العدو بعددها إلى حيث ينزل الضربة القاصية على يافوخ العدو إذ لا يستفيد من ضرب العدو إلا إذا اصاب منه مقتلا وهو في هذا



سليمان عسكري بك في المستشفى

المكان . فشرط الفوز توفر موهبة الاقتصاد في القائد ونسمي هذه الموهبة الاقتصاد في القوى على ما تقتضيه الحكمة والتدبر .

وتوقعت أن قيام قوتي الكبرى بحركة التفاف سيمكنني اما من طرد الترك إلى دجلة واما بارغامهم على الانهزام هزيمة منكرة فيها ابادتهم ، قاطعين نهر ديالى الواقع على مسافة ستة اميال وراءهم . اما نهر ديالى فيستحيل قطعه ولم يكن لديهم سوى جسر قوارب واحد ممدود فوقه . وسيعلم القارىء أنني اوشكت أن افوز في مناورتي هذه . وكل معولي في النجاح على القنبلة والحربة ولم تخف علي شدة الخطر المنطوية عليه مهمتي هذه وعلمت أن السبيل الوحيد إلى النجاح ينحصر في هذه الخطة . فالذي يعول على تفوق مفعول ناره فقط في طرد العدو من موقعه فهو في ضلال مبين . فيجب الحمل على العدو بهجمة تحصد فيها البنادق والحراب صفوف العدو حصداً . ولا بد من مواصلة الزحف بالعزم والثبات .

واعتقد أن الترك لما علموا أنهم لا يتمكنون من صدنا لم يصبروا إلى أن نجهز عليهم بالبندقية والحربة والقنبلة اليدوية .

وصايا يقتضي مراعاتها إذا ارغمنا على مقاتلة الترك في شوارع بغداد[1]

إن البحث في قتال الشوارع على نوعين : ـ

١ ـ القتال في الشوارع والقرى والمنازل لطرد القطعات التي تدافع عن هذه الاماكن

٢ ـ اخماد فتنة تشب في مدينة أو مقاتلة سكان البلاد من غير الجنود وممن يدافعون عن بيوتهم كما جرى في سراقوسة باسبانيا .

---

(١) لم اتوقع أن نقاتل العدو في شوارع بغداد انما لا بد للمرء من التدبر لكل ما يحتمل وقوعه ولنا من التاريخ امثلة عديدة لمدافعة الترك عن المدن وقفوا فيها مواقف مشهودة واشهر مواقفهم في المدافعة عن « رشيد » و . « دمياط » إذ تكبد جنودنا خسارة فادحة لعدم اصدار الوصايا التي تقتضيها مثل هذه الاحوال اليهم .

اولا : اعلموا أن مراعاة قواعد الحرب الاساسية واجبة سواء قاتلنا في الشوارع ام في القرى وسواء حاولنا شق طريق لنا في شعب[1] رابط العدو فيه ام قاتلنا في الجبال والغابات وغيرها . وقد وضع المؤلفون في الفنون العسكرية في سابق العهد اصول تعبئة و « مناورات » مختلفة للهجوم على هذه المحلات وللمدافعة . ولكن اولئك كانوا على ضلال مبين لأن القواعد العظمى الاساسية للحرب تنطبق بلا استثناء على هذه الاحوال وعلى جميع الحروب برية كانت ام بحرية وهي مشاغلة العدو بالقوة الصغرى وضربة بالقوة الكبرى مع مراعاة قاعدة الاقتصاد في القوة والهجوم بالقوة الكبرى على اضعف موضع في صفوف العدو وهو اما احد جناحيه أو قلبه .

فعندما نحاول طرد العدو من المواقع التي يدافع فيها عن المدينة اثناء القتال الذي ينشب في الشوارع يجب أن نقسم منطقة القتال إلى قسمين احدهما المنطقة الصغرى حيث نحصر العدو أو نشاغله إذا نقرن ذلك بزحف بطيء في هجمة نشل بها يد العدو وننهك قواه . اما المنطقة الكبرى أو ميدان التعرض فنحضه بالقوة الكبرى التي تتخذ خطة التعرض وتنحصر مهمة هذه القوة في القيام بمناورة التفاف أو احاطة بحيث تشق لها طريقاً في السبل والشوارع الممتدة في الجبهة التي نزحف فيها .

فيتحتم على الرتل أو الارتال الزاحفة أن تشق لها طريقاً في الشوارع المحمية بالمتاريس وبالبيوت المحصنة تحصناً منيعاً على جوانب الشارع التي قبالتنا . وبضع ضربات بالمعول كافية لفتح ثغره في الجدران التي تفصل بين منزل وآخر . أو أن الارتال تستطيع القتال على السطوح المستوية . وتنسحب بلا استثناء حاميات المتاريس والبيوت المنيعة عندما ترى الخطر يتهدد طريق تقهقرها . فافسحوا على الدوام مجالا لانهزام العدو والا قد يثبت في وجهكم بضعة جنود مستقتلين ومعتصمين في منزل منيع مدة طويلة . فاذا لم تتمكنوا من الاستيلاء على منزل

---

(١) بمعنى طريق جبل أو ممر .

يدافع فيه العدو فكلموا حامية ذلك المنزل واعرضوا عليها شروطاً تتسلمون بها ذلك المنزل بلا قتال .

وللدنو من منزل تحصن فيه العدو للمدافعة وكان ذلك المنزل منعزلاً عن غيره كالثكنات أو الابراج أو الاندية أو الكنائس الواقعة في ميدان مكشوف فاستخدموا عجلة أو عجلتين مشحونتين بالاكياس والخشب والحجارة وغيرها وسوقوا العجلة أو تينك العجلتين امامكم . فتتمكنون من بلوغ مدخل تلك البناية العام بسلامة فتدخلوا الباب عنوة[1] .

وعندما تتحركون في الشارع وانتم تحت النيران المنصبة من المنازل فعليكم أن تتقدموا في صفين بحيث يسير على كل جانب من جانبي الشارع صف وذلك على اقرب مسافة يستطيع الجنود الدنو منها من المنزل . وعلى جنود كل صف أن يطلقوا النار على شبابيك المنازل على جانب الطريق الآخر وعلى كواها فيبيت المدافعون في موقف احرج من موقف المهاجين .

ويقتضي أن يتم الاتصال بين الارتال المتوازية بواسطة أزقة وشوارع متقاطعة أو بواسطة ممرات تشق في المنازل .

وينبغي على الدوام أن يقفو الامداد المتواصل أثر كل رتل من الارتال الزاحفة والا قلق رأس الرتل عندما لا يشاهد جنوداً أو استنادات قادمة وراءه فيأخذ لهم والتردد كل مأخذ منه .

ويجب على الدوام وضع النسافة في رأس الرتل ومعها المقدار الكثير من المعاول والعتلات (الامخال) واعلموا أن اطلاق بندقية في قفل الباب يحطم ذلك القفل . والعتلات ضرورية لفتح ثغرات من بيت إلى آخر .

ويجب مراعاة هذه القواعد عينها حين النظر في أمر قتال الازقة من النوع الموصوف في (٢) الذي مر ذكره ـ اي حين اخماد ثورة أو فتنة . فتقسم حينئذ

---

(١) إن فكرة الدبابة مأخوذة من هذه الفكرة وهي الدنو من الابنية باستخدام ترس متحرك كهذا .

المدينة التي تقتضي مهاجمتها إلى مناطق فيهجم في كل مرة على منطقة واحدة .

وعليكم دائما أن تلتفوا حول الموضع أو المنزل المدافع عنه . ولا تهجموا بتاتا على جبهة ذلك الموضع او المنزل .

إن المدافعة عن مدينة ثار سكانها تقتضي حماية جميع المنافذ التي يدنو منها الثائرون بالقوة الصغرى ووضع قوة مركزية - اي قوة كبرى - في محل مركزي في المدينة حيث يسهل تعزيز القوات الصغرى عند الاقتضاء .

وكنت قد توقفت فعسكرت في العراء في اللج الواقعة على مسافة تستغرق مرحلة يوم قصيرة . وكنا نشاهد عن بعد موضع الطاق القائم في طيسفون . فاجرينا بضع استكشافات لتعيين مثابة تجتمع فيها القوات المهاجمة وهي رتل الخيالة والقوة التي تقوم بحركة الالتفاف والقوة الكبرى والقوة الصغرى التي تقوم بالهجوم الجبهي - اي هجوم المشاغلة . وكان لواء الخيالة يحافظ على سلامة القوة المستكشفة . فثبت لدينا وجود الدرب المرسوم في الخارطة والممتد من اللج شمالا حول موضع العدو وهذا الدرب خير دليل للارتال المختلفة حين سيرها إلى المواضع التي تتخذها للقتال . والخلاصة أننا اصبحنا على اتم استعداد للقتال .

وكذلك استكشفنا موقع العدو في طيسفون (سلمان باك) بالطائرات . وعلمنا بهذه الاستكشاف أن الترك قد غيروا وضع دفاعهم وترتيب قواتهم . وفي هذا اليوم اضعنا المقدم « ريلي » وهو ذلك الطيار الماهر الذي كان يساعدني كل المساعدة في المحاربة بالاقدام والبسالة اللذين برهن عليهما في الاستكشافات التي قام بها وبالرسوم البديعة التي كان يصور بها مواقع العدو بمجرد النظر . فكان المقدم « ريلي » قد تعهد بأن يقطع الاسلاك البرقية في عدة اماكن واقعة إلى شمال بغداد قبل نشوب المعركة بيوم فوافقت على قيامه بهذه الحملة على خطوط العدو التلغرافية .

(وكان قد تعهد بتخريب جسر ديالى بالقنابل اثناء المعركة) . فجاء المساء وخيم الظلام ولكنه لم يرجع . فعلمت انهُ قد اصابته مصيبة ولكنني كنت اتوقع انهُ

إذا حلت بالطائرة كارثة يستطيع أن يجد له سبيلا إلى النهر . ولكن القضاء خانهُ . فقد علمت من العرب اثناء حصار الكوت أنهم رأوا طائرته نازلة فاسره العرب واخذوه إلى الترك . وقد سائتني جداً خسارة هذا الضابط المفيد في هذا الوقت الحرج .

فاصبحت الآن مستعداً لخوض غمرات المعركة فاصدرت اوامر الحركات المختصة في الساعة . ١:٣ بعد الظهر في ٢١ تشرين الثاني . وكذلك اصدرت وصايا سرية مكتومة إلى آمري الالوية ورؤساء الدوائر وذلك أنه إذا صد العدو قوتنا فعلينا بالتراجع إلى اللج بحماية الرتل « أ » الذي يمسي حينئذ ساقة الجيش .

الفصل الثالث

وقعة طيسفون

سيعلم القارىء باطلاعه على اوامر الحركات أن ارتال الهجوم أو جماعاته المختلفة،سارت إلى مواضع اجتماعها في الليلة الواقعة بين ٢١ و ٢٢ تشرين الثاني .

وكانت قوة الهجوم التمهيدي أو الجبهي مؤلفة من الرتل « ج » فسار هذا الرتل من موضعه الساعة الثانية بعد الظهر . وتقرر أن تسير الجماعات التي تتألف منها قوة مناورة الالتفاف والقوة الكبرى عند تخييم الظلام بحيث تتخذ كل الحيطة المستطاعة لكتم خبر هاتين القوتين وذلك على عكس سير الرتل « ج » الذي سار على مشهد من الملأ وتبعه مقر الفرقة فنشرته على سعة لايهام العدد بأنه معظم الفرقة . وسار مقر الفرقة مع قطعاتها في ذيل الرتل « ج » .

وقد اعطيت الفريق « ديلامين » خير ضابط من ضباط اركان الجيش الذين عندي ـ وهو الرئيس «مورلاند» من ضباط فوج «اوكسفورد» و «بك» الخفيف ـ على سبيل الاستعارة ليرافقه اثناء المعركة بحيث يصبح هو والملازم «ماثيوس» من ضباط قسم الهندسة دليلي الرتلين «أ» و «ب» الموحدين في الطريق الممتدة إلى الجهتين الشمالية والغربية من « اللج » . ويصل هذان الرتلان اماكن الاجتماع المختلفة بسيرهما على هذه الطريق . وتركت نصف فوج مشاة « مهرتة » ١٣٠ الخفيف الذي اخذته من لواء « هوتن » ـ أو الرتل « ج » ـ في اللج لحراسة قوافل السفن . وكان كل مقاتل من غير هؤلاء في الصفوف . ويبلغ مجموع المدافع التي عندي اربعين مدفعا ويشمل ذلك المدافع الموضوعة على المراكب الحربية . ولم

نستطع من نقل المدافع البرية سوى بطريات الصحراء أو بطرية المدافع القصيرة وعدد مدافعها جمعاء اثنان وعشرون مدفعا . وفي الساعة الاخيرة اعطيت بطرية المدافع القصيرة للفريق « ديلامين » لتعضده اثناء الهجوم على مقتل العدو الذي عينته في أوامر الحركات التي اصدرتها ولتدمير الخنادق التركية المنيعة جدا والموجودة هناك بكثرة . ورافقني « السر جون نكسن » واركان المقر . والظاهر أن الرتل « ج » وصل ضفة النهر في المحل المدعو « البستان » ولم يكن ذلك السير سهلا على هذا الرتل في الظلام لأن الارض كانت حينئذ مغطاة بعشب كثيف طويل وحقول مزروعة فيها حفر وخلجان حفرها الماء . ولم يهدأ لي بال إلى أن رأيت القطعات قد فرغت من الشرب وسقي الدواب والجميع قد اجتمعوا للتوقف .

واصدرت اوامر شديدة منعت منعا باتا انارة الانوار والتدخين . واعلنت للقوة بأنني سأسوق كل من يقبض عليه متلبسا بهذه الجريمة إلى المحاكمة في مجلس عسكري اثناء السير ليلا . وقد علمت من اختباري القطعات البريطانية والهندية أن منع الانارة والتدخين في مثل هذه الاحوال صعب جدا . وسرعان ما رأيت احد رجال القطعة يشعل لفافته برباطة جأش فسرت اليه فالقيته ضابطا من ضباط اركان المقر . ولا اخال أن ذكرى تلك الليلة وتوبيخي اياه قد برحا من ذاكرته . فهو ضابط قدير وقد احسن العمل اثناء الحملة في جمع الفارين وهلم جرا . وقد قدمت اليه لفافة سيكارة في وسط المعركة لابرهن له على أنني غير حاقد عليه .

ثم زحف الرتل « ج » بعد وقفة طويلة وانقطع عن السير في باقي الليلة في المكان المعين له على وجه التقريب ولما انفلق الصبح تقدم نحو موضع العدو حتى اصبح على مسافة ٣٠٠٠ يارد. وكان « هوتن » يتلمس طريقة بكل حذر على تلك الجبهة الواسعة جدا ووصلتني الانباء من « ميلس » و « هملتون » و « ديلاميني » بأن جماعات القوة المهاجمة الاخرى قد وصلت اماكنها وهي مستعدة للقتال . وجرت الامور مجرى حسناً اثناء المسيرات التي سارتها الارتال المتوحدة ليلا . ولما كانت القطعات قد وصلت الاماكن المعينة لها اتخذت موضعي مع اركان الفرقة بالقرب من المدافع .

وامندت الخنادق والمعاقل التي تكون منها موقع الدفاع التركي في طيسفون على ضفة دجلة اليسرى ستة اميال كاملة وكانت ممتدة من ضفة النهر شمالا . ولم تكن هذه الخنادق والمعاقل منظورة على الاطلاق . والمقدم « ريلي » هو الضابط الذي رسم لي خريطة تلك المواقع كلها وكانت على غاية الاتقان والدقة بالنظر إلى المشقة التي انطوى عليها رسمها لانهُ خططها اثناء الاستكشافات الجوية التي قام بها بنفسه فلم يخط معهُ احد خط واحد في رسم هذه الخريطة . وكل ما كنا نشاهده من موضع الترك كان سهلا فسيحاً ارتفع في وسطه المدائن المشهور المطل على ذلك السهل الفسيح في طيسفون بحيث ينظره المشاهد من مسافة عدة اميال من جميع الجهات ذلك المكان وتحيط به المقابر وفيها ضريح « سلمان باك » الذائع الصيت .

وثابرت القوة الصغرى على زحفها بكل حذر بقيادة « هوتن » . وكان هوتن يخاف لئلا يقع في فخ نصبه له العدو لأنه يستحيل على المرء أن يصدق أن الترك لم يحتلوا نصف موضعهم الايمن . ولكن « هوتن » كان يدنو من ذلك المكان ولم تطلق عليه نار . والظاهر أن العدو كان كامنا لهوتن وقد فسح له مجال التقدم ولكن « هوتن » لم يكن ممن يقعون في الشرك . وعلى هذه الصورة واصل « هوتن » زحفه الذي يسأم المرء منه . فجاءت الساعة السابعة ثم السابعة والنصف فلم يسمع إلى ذلك الوقت صوت اطلاق النار سواء كان ذلك من جهة « هوتن » ام من جهة العدو الذي قبالته . فالظاهر أن الترك كانوا مأمورين بأن لا يطلقوا النار ما لم يدنو « هوتن » فيصبح على مدى قريب . لذلك لما بعث إلي « هملتون » قائد قوة الالتفاف برسالة في الساعة ٧:٤٥ يستأذنني في أمر زحفه عن العدو لأنه لم يسمع صوت مدافع الرتل « ج » اذنت له بذلك . ففي الساعة الثامنة شرعت قوة الالتفاف بالزحف على الهدف المعين لها وهو قسم من موضع الترك الثاني أو خط خنادق مشار اليه على الخريطة بخط نقط لأن انشاء تلك الخنادق لم يكن قد تم حينئذ وقبل أن يمر علينا زمن طويل سمعنا صوت رشق البندقيات يدوي إلى الجهة الشمالية مما دل على شروع قوة الالتفاف في مقاتلة العدو .

وهذا ما حمل في آخر الامر ميمنة الترك على الشروع في اطلاق النار على

الرتل « ج » واشتركت حينئذ مدفعيتنا ومراكبنا الحربية التي في النهر في القتال فاصبحت المعركة عامة واصبحت شدة النار وتأثيرها في زيادة مطردة .

وطفق حينئذ نطاق حوادث القتال يتسع واخذت هذه الحوادث تتابع بسرعة البرق تتابع الوان « الكاليودوسكوب » واعتقد أن ميمنة قوة الالتفاف التي كان « هملتون » يقودها هي التي كانت تلتف حول العدو وراء ميسرته فهددت خط تقهقره الامر الذي حمل قطعات كبيرة من القوة التركية على اخلاء الخط الاول والرجوع إلى الخط الثاني . فكنا نشاهد العدو يتقهقر جماعات كبيرة وفي الوقت الذي كنت اشاهد هذا التقهقر بعث إلي الفريق ديلامين برسالة يقول فيها « أن العدو يتقهقر تقهقراً تاماً فهل تأذنوا لي بالزحف على مقتل الترك ؟ » فاجبته بالايجاب لأن طلبه هذا كان منطبقاً على خطتي الحربية إذ أنني كنت قد عزمت على مهاجمة مقتل العدو بالقوة الكبرى عندما تؤثر حركة « هملتون » الالتفافية في العدو تأثيراً شديداً . ولكنني لم اتصور أن الترك ينقطعون عن المقاومة على هذه



محمد فاضل باشا الداغستاني

السرعة[1] . وعزمت على الانضمام إلى القوة الكبرى لأن عملي هذا يرمي إلى القيام بزحف عام على ديالى والعدو منهزم امامنا هزيمة منكرة بلا انتظام . وبعد أن امرت الرتل « ج » باتخاذ خطة تعرض شديد ـ لأنني كنت قد امرت القوة الكبرى بالزحف على مقتل العدو ـ وانبأت آمري الالوية وآمر مدفعية الفرقة بتغيير موضعي سرت عدواً على ظهر جوادي نحو مقتل العدو حيث احتدم وطيس قتال دموي . ولما رأى الترك أن القائد الانكليزي يعدو به جواده في السهل مع اركانه اخذوا يصبون نيران مدافعهم الحامية علينا فسقطت بضع قنابل بالقرب منا .

وبعد ملحمة هائلة قصيرة الامد تبارز فيها المتطاحنون بالحراب مبارزة مجيدة لم تقع العين على اشد منها استولت القوة الكبرى ـ وكان يتقدمها في الهجوم اللواء الثلاثون بقيادة « كلايمو » الباسل ـ على مقتل العدو . وقاتل الكثيرون من الترك يداً بيد إلى النهاية اما الباقون ففروا من خنادقهم وانهزموا لا يلوون على شيء . ورأيت بعض الخنادق ملأى باشلاء القتلى وبالجنود المحتضرين . وكذلك انتثرت اشلاء الكثيرين من جنودنا على طول طريق المهاجمين إلى خنادق العدو وقد امتاز في هذه الوقعة الجنود « الغركة » و « البنجابيون » . وارغمتنا شبكة الاسلاك الشائكة والخنادق العميقة على الترجل بالقرب من مقتل العدو . واردت أن اكلم « ديلامين » فقطعت مسافة على طول خندق إلى أن وصلت اليه فالقيت اشلاء القتلى مكردسة بعضها فوق بعض حتى أنني لم أر بدأ من السير عليها . فوجدت « ديلامين » محتمياً وراء اكمة صغيرة لأن شرذمة تركية قطعنا خط التقهقر عليها كانت تطلق النار على تلك البقعة وكان اولئك الترك معتصمون في معقل على

---

(١) قد يظهر لاول وهلة انهُ لو كان القائد التركي قديراً لفلت من قبضتنا بحركة قصيرة في التقهقر ليوقع القوة الالتفافية في الارتباك . والذي يمعن النظر في الخطة المرسومة للقتال أن الواقع على عكس هذا إذ يرى المرء أنني من بدء الأمر حملت بقوتي الالتفافية بقيادة أمير اللواء « هملتون » وبلواء الخيالة بقيادة الفريق « ميلس » على خط الدفاع التركي الثاني . وجانب عظيم من القوات التركية ثبتت في خط الدفاع الاول حيث قاتل الجنود قتال المستميتين يداً بيداً فابيدت فرقة باسرها في مقتل العدو وبجواره .

مسافة ٧٠٠ يارد إلى جنوب مقتل العدو . فطفق ديلامين حينئذ يبسط لي ترتيباته العسكرية .

فقد ساق القوة الكبرى التي كان يتقدمها جنود اللواء الثلاثين البواسل بقيادة « كلايمو » إلى خط استحكامات الترك الثاني إلى غرب مقتل العدو حيث كان الترك يحاولون لمّ شعثهم . وكان هذا الخط على مسافة ٣٥٠٠ يارد من مقتل العدو . والقيته قد فصل سرية أو سريتين من فوج « دورست » لتتحركا إلى جنوب مقتل العدو وكانت وجهتها المدائن . وقال لي ديلامين أن المقدم « اطرسن » يقود تينك السريتين اللتين كانتا سائرتين لمساعدة أمير اللواء « هوتن » لأن زحفهما يحمل العدو الذي يقاتل الرتل « ج » على التقهقر .

فامرت حينئذ « ايفانس » بأن يبعث برسالة إلى « هوتن » بأن يجمع ميسرته ويزحف على مقتل العدو لأنني رأيت أن المعركة لم تنته . فالعدو كان يقاتل من اجل خط الدفاع الثاني فرأيت أن احصر على جناح السرعة مساعي الرتل « ج » في الهجوم على مقتل العدو وعضد الرتل « أ » الذين يؤلف القوة الكبرى . ورأيت أنه لا بد من تقهقر ميمنة الترك إذا تركت وشأنها . والقاء نظرة على الخريطة تظهر كيف كانت ميمنة العدو موضوعة كأنها في قعر قنينة . وقد صدق ظني فإن الترك فروا على ضفة النهر ليلا .

ولم تقع عيني في جميع المعارك الحربية التي خضت غمارها على مشهد جميل مثل جنود دورست وهم سائرون على نظام الانتشار في سلسلة متفرقة برباطة جأش وطمأنينة إلى جنوب مقتل العدو والترك يخلون الخنادق زرافات منهزمين من وجههم نحو المدائن . فتمنيت حينئذ لو ظهرت المراكب الحربية بالقرب من الايوان . ولكن زحفهم صد فلم يتمكنوا من التقدم إلى محل ابعد من « البستان » لأن مدافع الترك الثقيلة الموضوعة في اسفل منعطف النهر على الضفة اليمنى جعلتهم أن يتوقفوا على مسافة بعيدة . فلو تمكن هؤلاء الجنود من قطع تلك المسافة والاقتراب من « القصيبة » لتغير مجرى القتال ! ولست اقصد بقولي هذا أنه كان يتحتم عليهم أن يشقوا لهم طريقاً إلى ذلك المكان . إذ لا شك عندي في أنهم

قاموا بواجباتهم حق القيام لان البحرية قاموا على الدوام بعملهم على غاية ما يقتضيه الشرف ولا بد من أن القارىء اطلع على المساعدة التي اسدوها والاعمال التي قاموا بها في الوقعتين السالفتين . ولا يخامرني شك في أن الصعوبات التي حالت دونهم كانت اصعب من أن يتغلبوا عليها في زحفهم هذا . وكانت النيران الشديدة التي احسن الترك في المواظبة على صبها علينا من فوهات مدافع الصحراء الموضوعة في خط الدفاع الثاني ـ ولا سيما نيران المدافع الثقيلة الموضوعة على ضفة النهر اليمنى بالقرب من جسر القوارب ـ تحمي تقهقر جنود الميسرة التركية إلى خط الدفاع الثاني وكانت هذه المدفعية تطلق النار الجنبية على الرتل « أ » اثناء حملاته على خط الدفاع الثاني ولكنها لم تتمكن من صد هذا الرتل . ووضعت حينئذ مقري في موضع مقتل العدو فطفقت مدافع العدو تتعمد صب نيرانها علي من جانب النهر الآخر لأن القنابل كانت تنفجر حولي بلا انقطاع وكنت على الدوام اتحول من مكان إلى آخر وامشي في ذلك المحل لادرأ خطرها عني . ووصل « السر جون نكسن » واركان جيش المقر مقتل العدو اثناء اختراق اللواء المتقدم ـ وهو اللواء الثلاثون كذلك من الوية الرتل « أ » ـ دفاع العدو الثاني بحملة حملها على الترك بالحراب واستولى على مدافع يتراوح عددها بين الستة والثمانية وقد امتاز في هذه الحملة « الدورست » « والغركة » « والبنجابيون » جميعاً . ومما يبرهن على مبلغ اختلاط قطعات القوة وضع جنود دروست في مقدمة اللواء مع أنهم ليسوا من جنود اللواء الثلاثين .

وقد سرني أن اقول « للسر جون نكسن » أن كل شيء جار على ما يرام . ولكن طرأ حينئذ طارىء على مجرى القتال اضر بنا . فإن « هملتون » بعث برسالة ينبئني فيها انهُ يلقى من العدو مقاومة شديدة . ولا يتمكن من الزحف الا بصعوبة شديدة . وقد استطاع وصول الموضع الثاني وتمكن من تثبيت قدمهِ هناك ولكن العدو كان يضايقه بقوات كبيرة فعلمت من رسالتهِ أن العدو قد صده وحال دون تقدمه . وكذلك لقي رتل الخيالة بقيادة الفريق الثاني « ميلس » مقاومة شديدة وكنت اعول على هذه الخيالة في منع الهجوم المعاكس بمعونة مدفعية الخيل وفي اطلاق النار الجنبية على خط دفاع الترك الثاني باسره من ميسرته القصوى . فقد

ترجلت الخيالة للهجوم على ميسرة الخنادق ولكنها لم تتمكن من التقدم لأن القوة الاحتياطية التركية التي كانت في القصيبة احتلت ذلك الموضع . وحينئذ اوفد « ميلس » الفوج البنجابي ٧٦ ليهجم على العدو بالحراب وكان هذا الفوج استناد الخيالة وقد انجز مهمته على ما يرام . فانهزم فوج أو فوجان تركيان من الخنادق لما رأيا الفوج البنجابي زاحفاً للهجوم عليهما . وكان لواء الخيالة قد شرع في الالتفاف حول الطرف الاقصى لخط الخنادق الثاني وإذ ذاك هاجمهم الترك مهاجمة معاكسة في الجناح بقوات كبيرة من المشاة الذين كانوا يزحفون على رتل « ميلس » فاسفر هذا الزحف عن رد رتل « ميلس » إلى المكان الذي شرع منهُ في الزحف . وكان ذلك نتيجة لدخول الفرقة المتقدمة من فيلق خليل باشا الذي ارسل إلى العراق من القوقاس ميدان القتال . وقد اشتهر هذه الفيلق بانهُ من نخبة فيالق الترك واشتهر عن خليل باشا انهُ مهاجم مقدام . وكان هذا الفيلق ينقل من بغداد إلى ميدان القتال بالبواخر و « البارجات » واعتقد أن هذا هو السبب لعدم ارسال الطائرات الاشارات التي تنبيء بوصول الامداد إلى العدو من بغداد لأنني لم اغفل عن هذا الأمر في اوامر الحركات التي اصدرتها . فقتل وجرح من لواء الخيالة مائتي جندي من مجموع جنوده البالغ ١٢٠٠ مقاتل . وكذلك تكبد الفوج البنجابي ٧٦ خسارة فادحة وقتل حينئذ آمر هذا الفوج الزعيم « سمثيت » وكان مشهورا بالبسالة الفائقة .

ولما حلت الساعة الحادية عشرة تمكن أمير اللواء « هملتون » من تثبيت قدمهُ في دفاع الترك الثاني وكان « هملتون » يقود القوة القائمة بالهجوم الالتفافي وفي مقدمتها فوج « نورفوك » وفوج المشاة الخفيف ١١٠ ومعهما فوج « راجبت » السابع وفوج المشاة ١٢٠ بمنزلة استناد . وسرعان ما وقفه العدو عند ذلك الحد ولم يتمكن من الزحف وتكبد خسارة فادحة . وبعد مدة قصيرة هاجمه العدو مهاجمة معاكسة وكان الترك قد لمواشعثهم بعد وصول خليل باشا : فوصول خليل باشا خلص نور الدين من الانكسار . واتخذ الترك حينئذ خطة الهجوم المعاكس لطرد البريطانيين من الخط الثاني الذي كان جنودنا حينئذ يثبتون اقدامهم فيه .

وكان الوقت ظهراً وجميع التقارير التي وردت إلى مقر الفرقة في مقتل العدو لم تبق ريباً في أن قوات العدو تعززت بالامداد الذي وصلها وأن الترك اتخذوا خطة تعرض عام . وفي ذلك الوقت عينه كان العدو يصلي قطعاتنا المحتلة خط الترك الثاني ناراً حامية بقصف مدافعه . وقد لعبت مدافع الترك الثقيلة الموضوعة على الضفة اليمنى دوراً مهماً في هذه المعركة .

وكان الجرحى ينقلون إلى الوراء بمقادير كبيرة . وقد ساءني جداً أن رأيت مراراً عديدة جنوداً غير مجروحين يرافقون الجرحى نقضاً للاوامر التي اصدرتها في هذا الشأن . وهذا مما دلني على جسامة الخسارة الواقعة في الضباط لذلك اختل الضبط . وكنت قد اصدرت هذه الاوامر عينها قبل معركة كوت الامارة فراعاها الجنود مراعاة دقيقة لأنني لم اخسر العدد الكثير من الضباط في تلك الوقعة لذلك كان الضبط اتم حينئذ . ولم اتمكن من عمل شيء لمنع هذا الخلل في هذه الساعة العصيبة فعلمت أن الامور تجري مجرى سيئاً . ومر بي الزعيم « كلايمو »[1] حينئذ محمولا على النقالة وهو مجروح جرحاً بليغاً فالقيتهُ مشروح الصدر . إن خسارة هذا الجندي الباسل خسارة فادحة في غير هذه الاحوال ولكن خسارته في هذه الساعة العصيبة ضربة قاضية .

ولم يبق لدي جندي واحد امد به القوة الكبرى فلو تيسر لي لواء آخر ـ ولست اقول الفرقة الاخرى التي كنت محتاجاً بها ـ لقذفت بالترك في دجلة . وهذه حقيقة لا ينكرها كل من حضر الوقعة . وقد صعب علي جداً أن اقف هذا الموقف فارى النصر يفلت من يدي وذلك من اجل بضعة جنود احتاج اليهم .

والآن انتشر مئات الجنود على السهل راجعين إلى مقتل العدو . وسرعان مع ظهر أن القطعات شرعت في الانسحاب مع انهُ لم تصدر الاوامر بذلك . ولا يخفى أن شؤون الضبط العسكري اختلت نظراً إلى الخسارة الجسمية التي وقعت في الضباط البريطانيين الذين كانوا يقودون الوحدات الهندية . فقد الفيت مئات

(١) وقد اصبح بعد ذلك فريقا ثانيا .

الجنود من الهنود راجعين إلى الوراء لأن عدد الضباط البريطانيين لم يكن كافياً لكبح جماحهم وحملهم على الثبات . لذلك استخدمت جميع ضباط اركاني واستقرضت اركان « السر جون نكسن » وحتى الفريق « كمبال » نفسه في العدو على ظهور الخيل في ساحة القتال لقيادة الجنود لا بل لسوقهم سوق المواشي وردهم إلى صفوف القتال . وقد قام هؤلاء الضباط الاركان بعمل مجيد[1] وهم تحت وابل المقذوفات النارية لانني شعرت بأنني إذا لم امنع الانسحاب العام بوسيلة من الوسائل فلا بد من الانهزام الاكبر . وقد وقع مثل هذه الحادثة مرات عديدة وسيقع غيرها مثلها في ساعات القتال العصبية حينما يشتد اطلاق النار وتعظم الخسارة . وقد وقع لجنودنا مثل هذه الحادثة في معركة « الما » وفي معركة « انكرمان » وما اكثر المعارك التي وقعت فيها امثال هذه الحادثة في معارك « ولنغتون » وما اوسع نطاق تراجع الجنود في ساحة « وترلو » . وقد وقع مثل ذلك في فرنسا اثناء هذه الحرب العظمى . فلم يكن في الأمر ما يستغربه المرء ولكنني ويا للاسف لم يكن لدي قوة احتياطية اسد بها الفراغ ! لأن منظر تقدم الجنود الأخر الاحتياطية إلى صف القتال يحمل الجنود المتراجعين على الرجوع إلى مواضعهم في ذلك الصف ولكن مع عظم الخسارة التي تكبدتها لم يكن موقفي حرجا لذلك عقدت العزيمة على العسكرة في العراء في ساحة القتال متوقعا أن يتقهقر الترك إلى ما وراء ديالى في الليل لأنهم تكبدوا خسارة فادحة وهكذا كان . فإن ٨٥٠٠ جندي ماش من جنودي تمكنوا من طرد اربع فرق تركية تعضدها مدفعية تفوق مدفعيتي عدداً والعدد معتصم في امنع موقف دفاع محمي باحدث وسائل الدفاع من معاقل وخنادق وطرق مواصلات واقول قول واثق من كلامه أن لا جندي في اوربا يباري الجندي التركي في المدافعة إذا كان معتصما في الخنادق .

ويعتقد الناس أن الالمان يجيدون المدافعة ولكنهم لا يجارون الترك في الخنادق ومصداقا لقولي ما وقع في شبه جزيرة غاليبولي فإنه لما تكبد الالمان خسارة

---

(١) ومنهم صاحبنا الضابط الذي ذكرته في حادثة اللفافة (السيكارة) في الليلة السابقة وقد ذكرت اسمه في البرقيات .

فادحة من انصباب نيران مدفعيتنا البحرية عليهم لم يثبتوا في الخنادق بل خرجوا منها فحل الترك محلهم . ويسهل على القارىء أن يعرف سبب عدم تمكني من الانتصار على الترك انتصاراً فاصلا في طيسفون بخمسمائة وثمانية آلاف جندي ماش فقط .

إن الجندي الماشي التركي يقاتل اليوم احسن مما كان يقاتل في الحرب التركية الروسية عامي ١٨٧٧ ـ ١٨٧٨ إذ كان يقوده على الاغلب قيادة سيئة ضباط يجهلون ابسط واجبات آمري السرية أو آمري الفوج . اما الضباط الترك اليوم فقد حسن تعليمهم اكثر من السابق وجميعهم متخرجون من المدرسة العسكرية فلا يوجد اليوم في الجيش ضباط ارتقوا من بين الجنود (آلايلى) من غير المدارس العسكرية كما كانت الحال عام ١٨٧٧ . وفضلا عن ذلك أن عدداً عظيما من نخبة الضباط الالمان كانوا في العراق يدربون الضباط الترك لكي لا يفوتهم شيء من الكفاية العسكرية المطلوبة والظاهر أن الحرب البلغارية التي قاتل فيها المشاة الترك مقاتلة سيئة جعلت اوربا باسرها تغير معتقدها في كفاية الترك الحربية . ولكن كل تركي وكل ضابط تركي يقول أن سبب تغلب بلغاريا عليهم نشأ عن ارتكاب رجال جمعية تركية الفتاة متن الشطط بعبثهم بالدين ولا يخفى أن جميع القواد الترك ارغموا على الانتماء الى هذه الجمعية . وسرعان ما انتبهت جمعية الاتحاد والترقي إلى غلطتها لذلك بادرت في هذه الحرب إلى الاستنجاد بالعاطفة الدينية في المنشورات والبلاغات التي كانت تنشرها بمقدار ما فعله الالمان في هذا الشأن .

وعندما افكر في العمل الذي قامت به الفرقة السادسة في طيسفون (سلمان باك) وفي انهُ لم يكن لدي سوى ثلاثة افواج بريطانية وقوة كل فوج منها نصف قوته الحقيقية وأن معظم الافواج الهندية كانت مؤلفة من الجنود المستجدين الحديثي العهد في القتال لا استغرب نعت الصحافة البريطانية فرقتي « بالقوة التي لا تقهر » . واعتقد كل الاعتقاد انهُ لم تخض قوة من القوات العسكرية غمرات معارك اشتد فيها القتال اكثر من اشتداده في المعارك التي خاضتها قوتي هذه وذلك سواء كان في المعارك التي جرت في شبه جزيرة اسبانيا وفي القرم وحتى في هذه

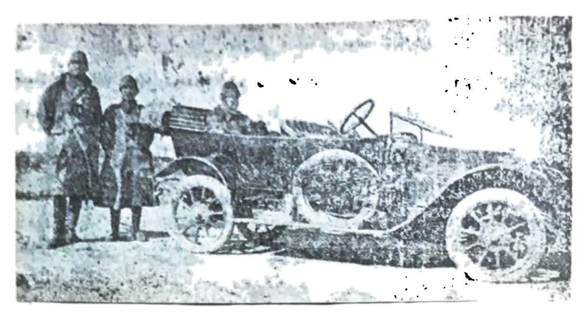
الحرب العظمى في فرنسا وغاليبولي . واعتقد كذلك انهُ لم يوكل إلى قوة عسكرية مهمة اصعب من المهمة التي عهد بانجازها إلى قوتي هذه ولا تحتم على قوة اخرى أن تجوز المخاطر التي جازتها قوتي .

واعتقد انهُ لا بد من توفر احتياط عام قوي للقائد العام يستخدمه اثناء المعركة .

واعود إلى بحثي فاقول أن الضباط الاركان تمكنوا من جمع عدد من الجنود وردهم إلى القتال . وهذا ما تم في الواقع . ولكن النتيجة اسفرت عن اختلاط حابل الوحدات بنابلها اختلاطاً تاماً يستحيل ملافاته . وقد سقط عدد عظيم من ضباطنا في ساحة الوغى باقتحامهم اهوال الموت الزؤام لكي يهتدي بهم الجنود فتشتعل في صدورهم نار الحمية والنخوة للثبات ازاء الحملات التركية المعاكسة ورأيت مرة اخرى جنودي يتراجعون ببطء والترك يجدون في اثرهم وكان الترك قد استردوا المدافع التي غنمناها منهم بعد أن نزع جنودنا من تلك المدافع غلق مؤخرها . واصبحت النار حينئذ على اشدها .

ولما توصلت إلى لواء « هوتن » امرته بالتقدم لمهاجمة العدو واوعزت إلى هوتن بأن يسوق ذلك اللواء إلى جنوب قوة « ديلامين » الكبرى التي كانت تتقهقر . وقد فعلت ذلك لكي يرفع هذا اللواء الضغط عن القوة الكبرى ويصد زحف الترك . فنجح مسعاي هذا لأن الترك انقطعوا عن مضايقة القوة الكبرى في تراجعها إلى معاقل « المقتل » وخنادقه انما استمرت المدفعية التركية وحدها تطلق مدافعها على هذه القوة المتراجعة . واعتقد أن الساعة كانت حينئذ بين ٣٠ : ٥ و ٦ بعد الظهر . فعزمت على الثبات في الموضع الذي استولينا عليه لاجمع كل قوتي واعسكر في العراء في ميدان القتال واعيد تنظيم وحداتي فاهاجم الترك في الصباح التالي . ورأيت انهُ يحتمل جداً أن الترك الذين تكبدوا خسارة فادحة ينسحبون إلى ما وراء ديالى تحت جنح الظلام لأن « ديلامين » بهجومه على مقتلهم افنى فرقة بكاملها منهم . وقد افصحت برأيي هذا « للسر جون نكسن » حينئذ .

وقد تم ذلك . فإن العدو ترك ميدان القتال في قبضة يدي . ولنا من



فوندر غولتس باشا يتفقد شؤون الجيش

التاريخ العسكري أن القوة التي لا تترك الارض التي قاتلت عليها هي القوة المنتصرة فقد مكنني العدو من ضم قوتي المتضعضعة وجعلها كتلة واحدة في الموضع الذي سميته « مقتل العدو » وبجوار ذلك الموضع . وإذا القى القارىء نظرة على الخريطة ورأى اتساع نطاق حركة الالتفاف وهجمات « ميلس » و « هملتون » علم أن هذه المناورة لم تكن من الهنات الهينات . ولم يهدأ لي بال إلى أن تم توحيد قوتي . ولما رأيت الجرحى الكثيرين ينقلون إلى « مقتل العدو » وتضعضع الالوية (حتى أنني لم ار بعد ذلك أن قوة لواء واحد من الويتي تضارع قوة فوج من الافواج البريطانية في ابان الحرب) ايقنت أنني غير قادر على استئناف التعرض . فلواء « هوتن » بات مؤلفاً من سبعمائة جندي من صفوف متنوعة اختلط حابلها بنابلها . وقال لي « ديلامين » انهُ لم يبق لديه من الجنود سوى الف جندي . اما « هملتون » فلم يبق من قوته سوى ثمانمائة أو تسعمائة مقاتل . فخسرت اربعة آلاف جندي قتيل من المشاة الذين كان عددهم قبل المعركة ٨٥٠٠ جندي . لأن الخسارة كلها وقعت في المشاة ولا بد من وقوع هذه الخسارة عند الهجوم للاستيلاء على موقع من مواقع العدو . فلم يبق لي وجه الا اتخاذ خطة الدفاع بقوتي المتجمعة مترقباً مجرى الحوادث ومتوقعاً أن يتقهقر الترك من جراء الخسارة الجسيمة التي تكبدوها .

وبعد أن جمعت قوتي في « مقتل العدو » اتخذت لي موضع دفاع في الخنادق الموجودة هناك بحيث جعلت ميمنتي تستقر على معقل « مقتل العدو » . وقد امليت هذا الامر قبل وقوفي وقوفاً تاماً على مبلغ الخسارة التي حلت بقوتي وعلى تضعضع الالوية والوحدات : -

« على الجنود الاحتفاظ بالموقع الذي استولينا عليه اليوم . وسنواصل التعرض غداً فيحتل الرتل « ج » الخنادق الممتدة من « مقتل العدو » مسافة ميل واحد جنوباً ويحتل الرتل « ب » خط الخنادق هذا من المحل الذي ينتهي اليه الرتل « ج » جنوباً . ويدافع الرتل « أ » عن الخنادق في جهة النهر » .

واوعزت إلى رئيس اركان الفرقة بأن يأمر قائد الاسطول بأن يتقدم بمراكبه الى أن تصبح قبالة ميسرتي وبأن يأمر كذلك آمر رتل الاعاشة في اللج بأن يرسل غداً قافلة تحمل الطعام إليّ . ولما كان مقدم لواء « هوتن » قد قتل في المعركة اخذت « مورلاند » من « ديلامين » واعطيته « لهوتن » .

ولما وقفت في تلك الليلة على مبلغ تضعضع قوتي وحسبت المسافة التي بيني وبين الوطن لم اخاطر بعمل قد يؤول إلى انكساري . لذلك لم افكر في الشروع في تعرض آخر حينئذ فعدلت اوامري السابقة على الوجه التالي : -

« على آمري الارتال أن يعيدوا تنظيم القطعات على جناح السرعة المستطاعة . وعند انجاز تنظيم الارتال سأتخذ لي وللفرقة موضعاً على النهر جنوبا تشرب فيه الحيوانات والجنود ماء . ونأخذ حاجتنا من الطعام والعتاد ونجلب السفن وننقل الجرحى . وسيكون موضع الفرقة على وجه التقريب في المربع « ح ٢ » في اتجاه الخط الفاصل بين المربعين « ح ٦ » و « ح ٧ » . ويمتد خط تشكيل القطعات على الاستحكامات والخنادق التركية القديمة .

وقلت أن خسارة الترك اعظم جداً من خسارتي لا محالة . ولم تكن خنادقهم الموجودة بجوار « المقتل » وحدها ملأى باشلاء القتلى كل الامتلاء بل كانت خنادق الخط الثاني التي استولينا عليها كذلك ملآنة بجثث موتاهم . وقد علمت

أن فرقة تركية بكاملها فنيت في « المقتل » وفرقة اخرى فنيت في الخط الثاني . ورأيت انهُ لا بد من تقهقر الترك ليلا عندما « تبرد جروحهم » كما تقهقروا في وقعة « الشعيبة » .

ولو حييت مائة عام لن انسى تلك الليلة التي عسكرنا فيها في « مقتل العدو » بين مئات الجرحى الذين كانوا ينقلون إلى ذلك المكان محمولين على عجلات الاعاشة التي قضت ساعات من الليل في جمعهم . وسهل على القارىء أن يتصور الآلام الشديدة التي كان يقاسيها هؤلاء الجرحى في تلك العجلات الصغيرة التي كانت بلا نابض . ومهما اطنبنا في مدح الاعمال التي قام بها الاطباء في سبيل اعانة الجرحى لا نفيهم حقهم من الثناء .

وسرعان ما علمت في الصباح من الاستكشاف الذي قامت به الطائرات أن القوات التركية انسحبت إلى نهر ديالى على مسافة سبعة أو ثمانية اميال حيث شاهدتهم الطائرات منهمكين في حفر الخنادق وتحصين موقعهم وراء نهر ديالى وكانوا قد شرعوا قبل المعركة في تحصين ذلك الموقع . وكانت مؤخرة صغيرة مؤلفة من فوج أو فوجين تجمع الجرحى في الموقع الثاني . وكذلك نقل الترك جسر قواربهم من القصيبة وشاهدناهم يسحبون هذا الجسر إلى مصب نهر ديالى . وعلى هذه الصورة اخلى العدو ميمنة موضعه الواقع حول الطاق في طيسفون .

وعلمت حينئذ أن نجدات كبيرة وصلت الترك وأن الاعداء طفقوا يستعدون لمقاتلتنا وراء نهر ديالى متخذين خطة المدافعة . فلو مكنتني الاحوال من استئناف التعرض بشدة واقدام لرأي القارىء بالقاء نظرة على خطة الحركات التي وضعتها في العزيزية أنني كنت عازماً حينئذ على نقل قوتي إلى ضفة النهر اليمنى والزحف على بغداد على ذلك الجانب من النهر وبذلك ارغم الترك على الخروج من خط ديالى والتراجع إلى بغداد . ولكن يقيني اشتد في صباح ٢٣ تشرين بأن استئناف التعرض لا يجديني نفعاً . وفضلا عن هذا لا مفر لي من الاسراع إلى النهر لانهُ منذ خروجنا من اللج في ٢١ تشرين الثاني لم يحصل الجنود والحيوانات على ماء غير ما كان محمولا في الزمزميات ولم نسق سوى بضعة احصنة شربت من النهر بالقرب من

الطاق لأن العدو كان قد اخلى هذا المكان حينئذ . ولا يخفى أننا إذا ابتعدنا عن الانهر في هذه النواحي من العراق لا نجد ماء وهذا مما يجعل القيام بالمناورة الالتفافية مهما كان نوعها محفوفاً بالمشقات الجمة .

لذلك حولت موضعي في صباح ٢٣ تشرين الثاني جنوبا إلى محل آخر من موضع العدو بحيث وضعت الجنود في شبكة من الخنادق . فوقف حينئذ امامنا الطاق وكان هذا الطاق في عهد الرومانيين ضمن اسوار المدينة وعلى مسافة الفي يرد منها وبالقرب منهُ ضريح (سلمان باك) .

وكانت « اسوار طيسفون المرتفعة » قائمة وراء موضعي حيث وضعت احتياطي العام . وكانت هذه الاسوار مؤلفة من جانبي مربع على هيئة تلال مرتفعة جداً تشبه اطلال المعسكرات الرومانية في انكلترا وفرنسا كل الشبه ويقال أنها اطلال قلعة المدينة الرومانية المحصنة المسماة « طيسفون » .

وجرت هذه المعركة على الارض التي دفنت فيها انقاض مدينة « طيسفون » المسورة وكانت هذه المدينة الحد الجنوبي الاقصى الذي انتهى اليه القائد الروماني الشهير « بيليساريوس » في الحروب المشهورة التي أثارها لاسترداد بلاد بين النهرين من الفرس . وكان « بيليساريوس » هذا من خيرة القواد الظافرين الذين انجبتهم العاهلية الرومانية التي كانت قد باتت على سرير الاحتضار في القسطنطينية في عهد العاهل « يوستينيانوس » . وكان خط الدفاع التركي الاول ممتداً على اسس السور القديم كلها وقد اتجه هذا الخط شمالاً من الموضع الذي سميته « مقتل العدو » على هيئة تلال صغيرة .

وتم نقل الفرقة بهدوء وسكينة ولكنني ارغمت على ترك الرتل « ج » بقيادة أمير اللواء « هوتن » في « مقتل العدو » لأن نقل الجرحى من ساحة الوغى كان يجري ببطء إلى سور « طيسفون » العالي . وقد قلقت لبقاء هذا اللواء هناك قلقاً شديداً ولم ننقل إلى غروب الشمس سوى نصف الجرحى مع أننا افرغنا كل ما في الوسع لانجاز هذا العمل الجوهري . ولما خيم الظلام رأيت أن لهذا التأخير شأناً خطيراً جداً لأنهُ يرغمني على تفريق قوتي الصغيرة . لأن الترك سيشعرون بحركتي

هذه ويعزونها إلى التقهقر إذ أنهم سيفسرون نقل الجرحى بالعجلات بين السور العالي والمقتل بالتقهقر مع أنني لم اكن مصمماً على ترك ذلك الموقع .

لذلك توقعت أن يهجم الترك علي في الليل لانني ارغمت على ترك الرتل « ج » في « المقتل » وقد انخفض إلى ٧٠٠ مقاتل مع بطرية صحراء لحراسة عدد عظيم من الجرحى لم يزالوا في المعقل . فلم ار لي مناصاً من ذلك وكل ما كنت اتمناه أن لا يتحرك الترك قبل انفلاق الصبح إذ افرغ من نقل الجرحى وانقل الرتل « ج » إلى الموضع الجديد بمناورة تعرض يقوم بها معظم قوتي .

فوقع ما كنت اوجس منه خيفة فاننا شاهدنا الترك يتقدمون من ديالى قطعات جسيمة . والآن أخذ مني القلق كل مأخذ . فاتفق أنني امتطيت جوادي وذهبت لاتفقد الموقع الذي اشغله الفريق « ديلامين » وفي اثناء ذلك انبثت بأن الترك شرعوا في مهاجمتنا . فاشتد قلقي شدة جعلتني اعقد العزيمة على أن اتخذ موقعي مع قوة « ديلامين » على ميمنة الخط . وكان « هملتون » في الميسرة و « ميلس » ـ ومعه الاحتياط العام ـ في السور العالي .

فهجم علينا العدو هجمة شديدة بقوته الكبرى الساعة التاسعة مساء . وكانت الليلة ظلماء وهجم العدو علينا ست هجمات شديدة للغاية على الاقل وفي كل هجمة رددناه على اعقابه . وأحياناً اقترب منا حتى كاد يشق له طريقاً إلى خنادقنا . واستمر دوي الاطلاقات النارية ساعات فجازفنا بالعتاد الأمر الذي اضطرب له بالي وبال « ديلامين » كل الاضطراب . وكنا نحث الجنود على الاقتصاد في انفاق العتاد ولكن ما العمل ولا مناص لنا من طرد العدو والا هلكنا . وعززت قوة ديلامين بفوج نورفوك الذي اخذته من هملتون لأن العدو لم يضايقه مضايقة شديدة . والفيت « ديلامين » على عادته فانه يسوى وزنه ذهباً لانك تراه على الدوام (رابط) الجأش وثابت الجنان ورجل عمل يسيطر على جنوده كل السيطرة ، ورجال الجيش جميعاً يعلمون صعوبة بسط السيطرة عندما يقاتل الجنود في الخنادق يداً ليد . وفي محل من المحلات تمكن الاعداء من بلوغ خندق من خنادقنا فرمى عليهم جنود « دروست » القنابل اليدوية فسقط منهم نحو عشرين

قتيلا وجريحا وفر الباقون وبقي بيدنا بضعة اسرى لم يلحق بهم ضرر وبينهم جندي اناضولي على هيئة الجبابرة واحيانا طفق الجنود بتركون الخنادق الخارجية ولكن « ديلاميں » اندفع اليهم وساقهم إلى الخندق الذي تركوه واحيانا دنا الهجوم منا حتى بات على قاب قوسين أو ادنى فخلت أن الساعة الرهيبة قد دنت ففككت زر محفظة مسدسي على غير شعور مني .

واخذ مني القلق طول تلك الليلة الهائلة كل مأخذ من التفكير في أمر « هوتن » . وكانت رسائله كثيرة إلي وانبأني في كل رسالة منها انهُ لا يتمكن من الثبات بعد ذلك . وكانت قوة العدو الصغرى تهاجمه وكنا نشاهد وميض المقذوفات يضيء ساحة القتال حول المقتل وكذلك شاهدنا وميض مقذوفات قوتنا التي كانت معتصمة بالمعقل . وقال « هوتن » أن عتاده بات على وشك النضوب وانهُ لم يبق لديه سوى بضع اطلاقات للبطرية وإذا لم امده منها قضي عليه بعد برهة وجيزة . اما جوابي له على الدوام فكان « عليك بالثبات على ما أنت عليه فإن العدو اقرب منا مما هو منك . ويستحيل علي امدادك . ولكنني سانجدك غداً » .

وبعد مدة استحوذ السكون على « مقتل العدو » . ولم اتلق رسالة واحدة فخفت لئلا يكون الأمر قد قضي وقلقت من اجل الجرحى قلقاً شديداً . ولكنني بعد ذلك تلقيت من « هوتن » رسالة يقول فيها أن العدو قد انقطع عن الهجوم وكانت الساعة الثانية بعد نصف الليل . فدعوت من ساعتي الجنود إلى التطوع ليخرجوا بالعجلات من السور العالي ويحملوا عتاداً إلى « هوتن » ويعودوا بالجرحى من « مقتل العدو » . فنجحت في مسعاي هذا كل النجاح اذا قبل الجنود على التطوع بسائق النخوة والبسالة . وكنا نعتقد أن الترك يهاجمون هؤلاء المتطوعين على الطريق لأن صوت العجلات السائرة على تلك الطريق الوعرة كان مسموعا على مسافة ثلاثة أو اربعة آلاف يارد في سكون الليل . وقد نشرت اسماء الذين قاموا بهذا العمل في البرقيات وكذلك نشرت اسماء الكثيرين غيرهم ممن قاموا باعمال تبرهن على منتهى البسالة في هذه المعركة التي كانت اشد ادوار وقعة طيسفون استماتة في القتال .

ولما اصبح صباح ٢٤ تشرين الثاني لم نر اثراً للعدو وانبأتنا الطائرات بالاستطلاع الذي قامت به أن العدو تقهقر مرة اخرى إلى ديالى وقد نقل الجرحى الذين سقطوا في الليلة السابقة . وحينئذ قمت بمناورة تعرض على « مقتل العدو » باللواء الاحتياطي لنقل قوة « هوتن » وقافلة الجرحى إلى السور العالي . وسحبت لواءي « ديلامين » و « هملتون » . فاصبحت كل قوتي قبل الظهر بمدة طويلة مجموعة في قبضة يدي في السور العالي ونقلت جميع الجرحى إلى « البستان » من حيث نقلتهم السفن إلى الكوت . ووزعت على القوة العتاد والطعام والماء فاصبحت مرة اخرى مستعداً لمقابلة جميع الطوارىء وعلى هذه الصورة زال كل القلق الذي بعثه تلك الوقعة في نفسي .

فارتاح بالي الآن فاصبحت متفرغاً لاعمال الفكر والروية في موقف قوتي المتضعضعة . ولا ريب في هذا الموقف كان على اسوأ حالة من وجهتي سوق الجيش والتعبئة . إذ أننا لم نر في كل تاريخ الحروب التي اثارتها الأمم المتمدنة أن قطعات صغيرة بلا قوات تسندها تقاتل قوات كبيرة فتفوز عليها إلا إذا كان ذلك في الحروب غير المنتظمة وفي الحروب التي تجري في الهند وفي حدودها الشمالية الغربية حيث يستطاع احياناً العبث بقواعد الحرب الاساسية فتكون العاقبة سلمية .

وانهُ لأمر بديهي أن الخطوة التالية التي يخطوها الترك بعد تفوق قوتهم علينا تفوقا ساحقا من حيث العدد تنحصر في محاولتهم الالتفاف حول موضعنا بقوتهم الكبرى وحصرهم جبهتنا بمهاجتنا بقوتهم الصغرى . فلو كنت محل القائد التركي العام لفعلت هذا منذ الشروع في التعرض المعاكس ولما خاطرت برجالي في القيام بمهاجمة الجبهة البريطانية المحصنة هجوماً ليليا محفوفا بالاخطار .

ورأيت حينئذ انهُ لا بد لي من الانسحاب رغم الاسباب السياسية التي تحول دون ذلك . وقد رعى صدري من المعرفة العسكرية ما يكفيني للعلم بانهُ إذا فسح قائد الجيش المجال للسياسة لكي تتعرض لشؤون سوق الجيش قضي على ذلك القائد لا محالة والتاريخ اكبر شاهد على قولي هذا .

ووصلت السور العالي وهذه الافكار تجول في خاطري فالفيت « السر جون

نكسن » قد سافر إلى الكوت وترك رئيس اركان حربه الفريق كمبال ليفاوضني في الامر . فبسطت له ما نويت عمله وذلك أنني لا افسح المجال للشؤ ون السياسية لكي ترمي قوتي في مهاوي الخطر . فلو ابديت هذه القوة لخطف الترك العراق باسره من يدنا كما يخطفون اجاصة ناضجة . ولكنني عقدت العزيمة على أن لا انسحب من هذا الموقع ما لم تحتم الضرورة علي ذلك . فامرت الطائرات والخيالة بأن تستطلع احوال الترك وتأتيني بانباء الاعمال التي يقوم بها العدو .

وبينما كان فريق من الجنود يدفنون القتلى كنت افكر في أمر موضعي وفي وضع الجنود في السور العالي على خير الاوضاع التي تقتضيها المدافعة . وكانت المدافع التركية الموضوعة على الضفة اليمنى في اسفل منعطف دجلة تطلق قنابلها علينا في فترات متقطعة . فعلمت الآن أن هذه المدافع حالت دون تقدم الاسطول النهري إلى محل ابعد من البستان اثناء المعركة التي جرت في ٢٢ تشرين الثاني الأمر الذي قصر تعاون هذا الاسطول على اطلاق النار من مسافات طويلة بدلا من معاونة القوة باطلاق نارها من مدى قريب يؤثر في صفوف العدو كما كانت الحال في معركتي القرنة وكوت الامارة . فلو ظهر الاسطول على النهر في الطرف الجنوبي لخط الدفاع التركي الثاني في الساعة التي كنت اهاجم العدو فيها بمشاتي لانتهت المعركة إلى نتائج اخرى جليلة الشأن ولتم لي النصر المبين حينئذ ولما تمكنت القطعات التركية من لم شعثها ، ولواصل الترك انهزامهم إلى ديالى ولاتلفنا جسرهم الممدود فوق النهر هناك ودمرناه تدميراً . ويرى القارىء من النظر إلى الخريطة أن خنادق الترك واستحكاماتهم اطلقت النار الجنبية على خط دنو المراكب الحربية على مسافة دون الالف يرداً وهذا فضلا عن النار التي اطلقتها المدافع التركية الكبيرة على هذا الخط . وكنت معولا على انهزام القطعات التركية التي يتألف منها هذا الجناح ساعة استيلائي على ميسرة هذا الخط في المحل الذي سميته « مقتل العدو » . ولكن الامور جرت على غير ما توقعته لأن معظم القوات التركية ثبتت هناك إلى أن خيم الظلام .

اما الخسارة التي اوقعتها مدافع الترك الكبيرة في صفوفنا فكانت طفيفة جداً

مع دقة رمي العدو ووضوح هدفه كل الوضوح وكان هدفه هذا سور طيسفون العالي . وقد خدمنا الحظ حينئذ وذلك أن القنابل التركية تساقطت على الارض التي اشغلتها جنودنا ولكنها اخطأت العدد العظيم من خيلنا وبغالنا وجنودنا الأمر الذي استغربته كل الاستغراب . وقتل في تلك الاثناء ضابط من ضباط الهندسة ومرت احدى قنابل العدو فوق رأسي وانا احلق وكادت أن تؤدي بي ثم سقطت على الارض فانفجرت واوشك دخانها والعثير الذي اثارته أن يخنقاني .



الجيوش التركية في الخنادق

ثم طفقت افكّر في ايفاد المدافع التي تجرها البقر لتصلي المدافع التركية بنارها الحامية فتسكتها فتفتح الطريق لمراكبي الحربية لتجوز خطوط طيسفون في طرفها الجنوبي ولكن جناحي الخطر كان الجناح الشمالي . فلو فعلت ذلك لالتف العدو حولي بسيره توّاً إلى اللج . وكنت قد عقدت العزيمة على الانسحاب إلى هذا المكان وتوقعت في كل لحظة أن يأتيني نبأ زحف الترك من ديالى مرة اخرى . وعلمت حينئذ أنهُ إذا هجم العدو علي بقوة متفوقة على قوتي بعددها وتمكن من حصري في مكاني مرة اخرى قضي على الفرقة السادسة التي لم يبق في قوس صبرها على الهجمات منزع .

وانقضى يوم ٢٤ تشرين الثاني وليلة ٢٤ و ٢٥ منه بهدوء وسكينة وبعد

امعان النظر في الأمر قررت الانسحاب على مهل إلى اللج في صباح ٢٦ تشرين الثاني فامليت اوامري على رئيس اركان جيشي في صباح ٢٥ منهُ بحيث قسمت قوتي التي انخفض عددها إلى رتلين فقط وهما الرتل « أ » بقيادة الفريق « ديلامين » وتألف هذا الرتل من لواءي المشاة السادس عشر والثامن عشر ، والرتل « ب » بقيادة الفريق « السر جارلس ميلس » وتلف من لواء المشاة الثلاثين والسابع عشر ولم ار بداً من ترتيب القوة على هذه الصورة نظراً إلى الخسارة الجسيمة التي تكبدناها إذ أن قوة كل لواء من الويتنا انخفضت حتى باتت تعادل قوة فوج بريطاني . اما لواء الخيالة بقيادة امير اللواء « روبرتس » فظل على حاله .

أمر تمهيدي اصدرته إلى الفرقة : -

« في ٢٥ تشرين الثاني السنة ١٩١٥ .

« على الفرقة أن تتأهب للسير إلى اللج مسافة ستة اميال حول الساعة ٢ بعد الظهر غداً في ٢٦ تشرين الثاني .

« وعلى قطار الفرقة أن يتأهب للسير حين صدور الأمر اليه بذلك .

« وسأصدر الاوامر التامة المتعلقة بهذا السير في ما بعد » .

وكنت في اول الأمر قد نويت أن اسوق معظم القوة في رتلين يسيران جنباً إلى جنب لكي تسهل علي المناورة إذ هاجمني العدو ولكنني رأيت الارض مغطاة بالانجم والادغال الكثيفة بين اللج وطيسفون فعزمت حينئذ على السير في رتل واحد يستره الرتل « أ » بقيادة الفريق « ديلامين » بمنزلة ساقة مع مدفعية الفرقة المكلفة بابعاد العدو عنا . وكذلك الحقت لواء الخيالة بساقة الجيش .

الفصل الرابع

الانسحاب إلى الكوت

اصدرت في ٢٥ تشرين الثاني السنة ١٩٢٥ الاوامر بالانسحاب إلى اللج وكذلك نشرت بلاغين على القطعات البريطانية والهندية التي تتألف الفرقة منها لتشديد عزائم الجنود اثناء الانسحاب . وكان انسحابنا هذا اصعب جميع الحركات الحربية التي تملص بها الجندي البريطاني من قبضة العدو والتاريخ العسكري الماضي اصدق شاهد على قولي هذا .

ومع وقوفي التام على احوال قوتي رأيت أن الضرورة تقضي علي بأن ابسط الحالة لجنودي على صورة سرية فاتخذ ذلك وسيلة للاستنجاد بعواطفهم فيخلصون في اعانتي على هذا السير وبلزوم جانب الضبط العسكري التام . وتوقعت من وراء نشر هذا البلاغ أن ابعث الثقة في صدور الجنود واتمكن من قطع السنة المرجفين الذين علمت من الاختبار انهُ لا بد من وجودهم في قطعات الجيش الكبيرة .

بلاغ إلى القطعات الهندية :

« على الآمرين أن يوضحوا هذا البلاغ كل الايضاح للضباط الهنود لينقلوه إلى جنودهم » .

« على الجنود أن يعلموا العلم اليقين أن سبب انسحابي إلى اللج ينحصر في مسألة الطعام . وهنالك طريق ممتدة من بغداد تفصل بيننا وبين اللج ويستطيع العدو من هذه الطريق أن يحول دون تقدم مراكبي باطلاق مدافعه عليها . ولا اريد أن يهلك جنودي جوعاً ولا أن يظلوا بلا ماء . والخلاصة أن سبب رجوعنا إلى

اللح هو الطعام وسيصل البصرة بعد اسبوع أو عشرة ايام قطعات عديدة قادمة من فرنسا فتنضم الينا للاستيلاء على بغداد » .

بلاغ إلى القطعات البريطانية :

« لقد افصح « السر جون نكسن » في اوامر الجيش التي اصدرها عن عواطفه بعين الكلمات التي اعبر بها أنا نفسي عن هذه العواطف . فلساني عاجز عن بيان اعجابي بالبسالة التي اظهرها جميعكم وامتناني لكم من اجل بسالتكم هذه . وبرهاناً على اهمية الشهاء التي ابديتموها في القتال اقول انكم طردتم اربع فرق من موقع منيع جداً إلى ما وراء ديالى . ولكن عددنا كان اقل من أن يمكننا من هزم العدو هزيمة منكرة فقد قتل وجرح منا اربعة آلاف مقاتل . اما خسارة الترك فاعظم جداً من خسارتنا هذه . وقد اضفتم بعملكم الباهر في هذه المعركة المجيدة صفحة جديدة إلى تاريخ مآتي الجيش الهندي ويكفيكم فخراً حين عودتكم إلى الوطن أن تقولوا انكم خضتم غمرات معركة طيسفون .

« وليعلم الجنود أنني قد امرت القوة بالانسحاب إلى اللح للسببين التاليين : ـ

« اولا : مسألة الطعام والاعاشة . إن السفن معرضة لنار العدو حين مرورها على النهر بالقرب من « البستان » وتتمكن خيالة العدو من ايقاف تقدم السفن من قابلة هذا المعسكر .

وثانياً : اتمكن من انتظار قدوم النجدات بامان وأنا في اللح واتوقع وصول هذه النجدات القادمة من فرنسا إلى البصرة بعد اسبوع .

« إن السفن ببقائها في اللح تظل آمنة شر العدو » .

« وقد وعدني المقر بأن يرسل إلي بعد بضعة ايام ثلاثة مراكب اخرى من مراكب الخفارة » .

وقد تم ما كنت اتوقعه فإن الطائرات المستكشفة جاءتني بالانباء وفيها أن

ثلاثة ارتال تركية كبيرة تقدر قوة كل رتل منها بفرقة تزحف من دهالى متقدمة جنوباً نحونا ، وأن رتلا آخر كبيراً مستقلا عن هذه الارتال الثلاثة يسير شمالاً للقيام بحركة الالتفاف التي توقعتها . وانبئت بعد ذلك أن قوة الترك الكبرى توقفت مساء واحتلت خط الدفاع التركي الثاني .

فرأيت انهُ لا بد من انسحابي للتملص من مخالب العدو وحركته الالتفافية . لذلك اصدرت الاوامر سراً إلى جميع آمري الالوية ورؤساء الدوائر بأن يشرعوا في الانسحاب قبل الوقت المعين لذلك في اوامري الاصلية باثنتي عشرة ساعة .

فشرعت في السير الساعة ٣ :٨ برتل واحد واقتفت الساقة اثري بهدوء من غير اطلاق اطلاقة واحدة مع أن العدو بات منا على قاب قوسين أو ادنى . فتمت المناورة بدقة وسكوت وتم السير ليلا على ما يرام . ولما وصلنا النهر بالقرب من البستان عثرنا على صناديق عديدة مملوءة بالعتاد الصغير ملقاة على الارض هنا وهناك على جانبي الطريق فدلنا ذلك على وقوع الرعب والذعر في قلوب حوذية نقلية قطار الفرقة[1] من جراء مشاهدتهم فرسان العرب فتوقفت الساقة وجمعت معظم تلك الصناديق فوضعناها على مركب مسلح وجدناه راسياً بالقرب من ضفة النهر . واثناء وقفة من وقفات الساعة[2] وقفت اكلم نفراً من اركاني في تلك الليلة فلمحت في ضوء القمر نحو عشرة أو اثني عشر فارساً تعدو بهم خيلهم نحونا قاصدين الصحراء ولا ريب في أن هؤلاء الفرسان خالونا بعض رجال القافلة فاقبلوا يصرخون فينا . فاطلقت حضيرة مشاة النار عليهم فرجعوا ادراجهم .

ووصلنا اللج صباح ٢٦ تشرين الثاني والمطر يتساقط رذاذاً فابرقت حينئذ البرقية التالية إلى قائد الحملة الذي سافر إلى كوت الامارة : ـ

« إنني اؤيد كل التأييد البرقية التي ارسلتها في ٢٥ تشرين الثاني . وارى أن بقائي في طيسفون مدة اطول من المدة التي قضيتها هناك بعد بلوغ مجموع خسارتي

---

(١) وقد علمت بعد ذلك أننا كنا صادقين في ظننا هذا .

(٢) يتوقف الجنود حين السير مدة عشر دقائق في كل ساعة .

٤٥٠٠ جندي من قوتي وانخفاض قوة الويتي حتى بات كل لواء منها يعادل فوجاً بريطانياً مع زيادة طفيفة بعد ضرباً من الجنون . فقد شاهدت الطائرات امس الساعة الرابعة بعد الظهر ثلاثة ارتال تركية قدرت الطائرات قوة كل رتل منها بخمسة الاف مقاتل وكانت زاحفة من خط خنادقها الذي يستر ديالى شمال القصيبة . وشوهدت هذه الارتال في الساعة الخامسة تسير على موازاة النهر وكان رتل منها يسير براً على المسافة التي يقتضيها الالتفاف وشوهد في تلك الاثناء كذلك لواء من خيالة العدو يتهدد « البستان » الواقعة على خط تفهقري . ويستحيل علي مهاجمة هذه القوة وحالتي هذه الحالة وجنودي منهكو القوى . لذلك انتظرت حتى اطبق الظلام فانسحبت ليلا إلى اللج والان اتحصن في هذا المحل وساوفر اسباب الراحة والامن لقوتي . وتخطر انك قبلت الاسباب التي بسطتها بشأن انسحابنا إلى اللج . وقد حاولت أن اخدع العدو في طيسفون وافخر بكوني قد تمكنت من التملص بقوتي من ذلك الموضوع بمناورة تمت على ما يرام وكانت اصعب المناورات التي يتصورها العقل . فلو هاجمني العدو اثناء هذه الحركة لحصرني في مكاني برتل من ارتاله وقطع علي خط الرجعة بالرتل الآخر . ولا تخفى عليك عاقبة ذلك لو استطاع العدو القيام بهذه الحركة . اما انا فاعلم ذلك علم اليقين وسأظل في هذا المكان واقوم بمظاهرة على ضفة النهر اليمنى من ساعتي » .

وابرقت اليه برسالة اخرى وهي : -

« تدل تقارير الطائرات على أن العدو قد احتل خط دفاعه الثاني في طيسفون مرة اخرى وأنه يواصل الزحف .

ولا اعتقد أن الترك يجرأون على قطع ذلك الموضع والمجيء إلى ميدان مكشوف للهجوم علي وهم خارج خنادقهم المعتصمين بها . واعتقد انك توافق على عملي الذي أوحاه إلي عقلي . فلا شيء في الدنيا يغير معتقدي بأنني نهجت افضل منهج بعملي هذا . إن الجنود الموفدة إلى كوت الامارة ستحمل العرب الذين في خط المواصلات على الاخلاد إلى السكينة ولكنني احب أن يكون لي موقعاً في

الجميسة تتألف حاميته من فوج ومدفعين ثابتين لتفتح طريقاً للسفن لتمر في مضائق النهر » .

وفي صباح ۲۷ تشرين الثاني ابرقت من اللج إلى رئيس اركان الجيش انبئه بأنني احصن لي معسكراً في اللج على صورة مستعجلة . واعني بهذا أنني انشأت تحصينات خفيفة من اجل المحافظة على المعسكر لا غير وانبأتهُ بأنني قد وضعت جسراً على النهر وقد احتل نصف فوجي راس هذا الجسر . وانهُ لا حاجة إلى ارسال مواد اعاشة ومدخرات هندسة إلى اللج بعد الآن (لأنهُ كان عندي في اللج اعاشة عشرة ايام للقطعات البريطانية واعاشة سبعة ايام للقطعات الهندية) لأنني ارغب في جمع القوة في العزيزية وليس في اللج وذلك استعداداً للزحف على بغداد . لأن اللج اقرب إلى العدو من المسافة المطلوبة إذ يتحتم على القائد أن يجمع قوته على مؤخرة العدو وليس على جبهته ولأن العدو لن ينقطع عن مضايقتي وانا في اللج . فالعزيزية افضل من اللج من كل وجه وقد نويت أن اسير اليها عند الفراغ من استهلاك الطعام الموجود عندي . وقد قدرت القوة التي تمكنني من الزحف على بغداد بفرقتين وطلبت منهُ أن ينبئني بموعد جمع القوة . اما النقل بالسفن فصعب لذلك رأيت أننا لا نتمكن من الزحف قبل اواخر شهر كانون الاول . وكذلك سألت عن المدة التي يستغرقها اعداد وسائل النقلية للفرقة الجديدة في العراق فقلت أنني ارى أن الحصول على هذه النقلية يستغرق مدة شهرين ونصف شهر على الاقل . وختمت الرسالة بقولي أن المياه ستغمر معسكر اللج في اواخر كانون الثاني واعتقد أنها ستغمر العزيزية كذلك حينئذ فيرى القارىء من هذا أن جميع الاسباب كانت تحتم علي بحط رجالي في الكوت .

وما كدت ابرق هذه الرسالة حتى اتتني تقارير استكشاف الطائرات بنبأ فيه أن العدو يدنو منا زاحفاً من طيسفون على اللج بقوة تقدر باثني عشر الف جندي ماش واربعمائة جندي خيال . وكانت هذه القوة مقدمة الجيش التركي السادس . لذلك عقدت العزيمة على الانسحاب إلى العزيزية في ذلك اليوم بعد الظهر بحيث اقطع عشرين ميلا في مرحلة واحدة . وطفقت اشعر أن العدو إذا حاول الهجوم

علي بقوات كبيرة لا امكن من الوقوف في الكوت على الضفة الواقعة على جانب بغداد . فاذا تمكن الترك من ادراك قوتي الصغيرة حصروني في مكاني والتفوا حولي . هذا وتفصل بيني وبين البصرة مسافة طويلة ولا يصلني الامداد قبل اواخر كانون الاول . فامليت من ساعتي اوامر الانسحاب التمهيدية التالية على رئيس اركان جيشي :

« ينبغي للفرقة أن تتأهب على الفور للسير إلى العزيزية بحيث يتقدمها قطار الفرقة ويتم السير على الصورة التالية : -

« الساقة -	اللواءان ١٦ و ١٧	
	ومدفعية الفرقة	بقيادة الفريق « ديلامين »
	ولواء الخيالة	
«معظم القوة -	١ - اللواء الثلاثون	
يسير في رتلين	٢ - اللواء السابع عشر	
متجانبين	وقطعات الفرقة	

ويتألف حرس قطار الفرقة من فوج واحد على أن يتقدم قطار الفرقة مسافة ميل واحد .

وتسير قافلة السفن بحراسة الاسطول النهري وتتحرك هذه القافلة عندما يتم تأهبها للسير إلى العزيزية » .

فشرعت في السير بعد الظهر برلتين يستران حركة السفن وكان العدو على مسافة ثلاثة اميال ونصف ميل منا حين شروع الرتلين في الزحف .

وسرت ليلا بطريق الزور والقطنية إلى العزيزية حيث وقفت في ٢٨ و ٢٩ تشرين الثاني . واستحوذ علي السرور هناك إذ وجدت كتيبة « الهزار » ١٤ ونصف فوج « وست كنت » من قطعات الفرقة الثانية عشرة . وكانت قد ارسلت هذه القوة لتعزيز قوتي .

وقبل انتقالي من اللج ببرهة وجيزة تلقيت برقية من رئيس اركان الجيش

جوابا على البرقية التي ارسلتها في ٢٧ تشرين الثاني وهي : -

« إن قائد الحملة يوافق كل الموافقة على مقترحاتك ويترك اختيار المحل الذي تتوقف فيه لك . وهو يعلم انك لا تنسحب بلا سبب . ونتوقع أن تصلك مقدمة اللواء الهندي ٢٨ في ٢٥ كانون الاول ويتلو هذا اللواء اللواءان ٢٤ و ٢٥ . وستجتمع الفرقتان على اسرع ما يستطاع » .

وابرقت إلى رئيس اركان الجيش انبئه بانسحابي إلى العزيزية ليلا باسطاً له سبب ذلك وقلت : -

« إن طائراتي انبأتني في ٢٨ تشرين الثاني بأن الترك ينشؤون معسكرات كبيرة في طيسفون . وشاهدت رتلا من القوة التركية يزحف على اللج ورتلا آخر قد دار حول اللج بطريق الصحراء » .

وابرقت بعد هذه الرسالة برقية اخرى إلى رئيس اركان الجيش وهي : -

« لقد انجلى لنا الآن أن القوات التركية تعززت بنجدات كبيرة قبل معركة طيسفون . وإنني ارى أن القطعات التي ذكرتها اليوم في برقيتي العامة العدد ١٨ هي مقدمة الفيلق التركي . واعتقد أن الترك سيزحفون إلى الزور فاذا انتقلوا من ذلك المكان لمهاجمتي هنا فلا اقاتلهم بل ارجح كل الترجيح انسحابي إلى كوت الامارة لأن الكوت موقع من مواقع سوق الجيش يتحتم علينا الاحتفاظ به لكي يتوفر لنا الوقت لجمع هذه النجدات . فلا بد لي من تجنب القتال في الوقت الحاضر متخذاً في ذلك الخطة التعبيوية التي اتخذها « فابيوس » القائد الروماني في مدافعته عن روما ازاء « هنيبال » القائد القرطجني - اي مشاغلة العدو إلى أن تنهك قواه وتخور عزيمته . فاذا تعقبني العدو إلى الكوت فذلك افضل جداً لنا ويتحتم علينا حينئذ أن نبيده ولكنني لا اعتقد أنه يقاتلنا جنوب الزور لأن المكان بعيد جداً عن خنادق طيسفون التي قد تعلق الترك بالاعتصام بها . وكلما ابتعد العدو عن بغداد زادت مقدرتنا على ابادته ابادة تامة في المعركة التالية . ففي القرنة كسرنا القطعات العربية ومعها احتياط تركي وفي كوت الامارة قهرنا افواجاً تركية نظامية

كانت تقوي الافواج العربية المختلطة بها . اما الآن فالقوة التي نصارعها مؤلفة من جنود تركية لا غير لذلك تشتد صعوبة القتال .

ولما وصلت العزيزية وضعت الجرحى والمدخرات المتراكمة على الباخرة « المجيدية » و « بارجتيها » فاقلعت إلى الكوت في ٢٩ تشرين الثاني .

ونظراً إلى هبوب الرياح الشديدة لم تتمكن الطائرات من الاستكشاف إلى بعد الظهر وحينئذ علمنا أن مقدمة العدو احتلت القطنية الواقعة على مسافة ستة اميال منا في هذا اليوم عينه . وكانت هذه المقدمة تؤلف رتلا طوله ميل واحد . وبلغنا أن معظم القوة التركية وصلت الزور . وكان الزورق الحربي « الشيطان » قد جيء به إلى ضفة النهر بالقرب من القطنية لكي لا يغرق لأن صفيحة من صفائحه كانت قد اقتلعت من مكانها . فقضي علينا بترك هذا الزورق تحت نار مدفعية العدو الثقيلة ولكننا اخذنا منه المدفع والرشاشات التي كانت عليه بعد أن ثقبناه ونقلنا منه آلاته . وعلى هذه الصورة كانت خاتمة « الشيطان » ذلك الزورق المفيد الصغير وكان زورقاً سحاباً لعب دوراً مهماً في المعارك التي جرت على دجلة منذ الشروع في القتال . وقد شدد وصول كتيبة « الهزار » ١٤ البريطانية عزيمة الخيالة الهندية وبعث فيها الهمة والنشاط .

ولما وصلت العزيزية ساءني جداً أن ارى اعاشة ستة ايام بدلا من اعاشة عشرين يوماً للجنود البريطانية واعاشة سبعة ايام للجنود الهندية وكنت معولا على وصول مطلوبي من الاعاشة إلى ذلك المكان . وفي ٢٩ تشرين الثاني وضعت المرضى والجرحى في الباخرة « المجيدية » وكان مرافقي الرئيس « باستو » مصابا حينئذ بالزحار (الدوسنطارية) فارسلته مع هذه القافلة . وكذلك اتلفت جميع المدخرات والملابس التي لم اتمكن من اخذها معي . وكنت عازماً على الانسحاب ولكنني تأخرت كل يوم ٢٩ تشرين الثاني على امل تخليص الثياب والتجهيزات . وطلبت الباخرة « بلوس لنج » وبارجتين من الكوت لنقل هذه الامتعة ولكنها لم تصل فلم يبق لي مفر من اتلاف تلك الامتعة . اما العتاد فشحنت به السفن .

وفي ظهر ذلك اليوم اصدرت هذا الامر التمهيدي : -

« على الفرقة أن تتأهب للسير في الجهة الجنوبية الشرقية . ويسير قطار الفرقة ورتل الاعاشة والنسافة ٤٧ معاً . وتسير قافلة السفن في ٣٠ تشرين الثاني الساعة العاشرة قبل الظهر » .

وقد دونت الاوامر بكاملها بقلم رصاص في مفكرتي على الوجه التالي : -

« لقد زودت آمري الالوية بالاخبار المتعلقة بالعدو . وستسير الفرقة إلى « ام الطبول » على مسافة عشرة أميال في رتل واحد يوم ٣٠ تشرين الثاني .

وقت المسير : الساعة ٩ صباحاً

محل الشروع في السير : منفذ المعسكر الواقع في الجهة الجنوبية الشرقية .

المقدمة :	سرية واحدة من اللواء الثلاثين
معظم القوة على نظام المسير :	اللواء الثلاثون واللواء السابع عشر واللواء السادس عشر وقطعات الفرقة
الساقة : بقيادة امير اللواء هملتون	اللواء الثامن عشر ولواء الخيالة
مقر الفرقة :	يسير في ذيل معظم القوة » .

ايضاح السبب الذي حملني على القيام بهذا السير القصير اقول أن الضابط البحري الاقدم الرئيس « نن »[1] قال أن الملاحة صعبة جداً ابان انخفاض الماء لا سيما في بعض المنعطفات الواقعة بجوار ام الطبول وأن هذا المحل هو الحد الاقصى لمخر السفن في النهر في ذلك اليوم . فاذا جاوزت ام الطبول في مسيري فلا بد من

---

(١) إن هذا الضابط خدمني خدمات جلى في حركات القرنة والعمارة ولكنه لم ينضم إلى قوتي الا حين شروعي في الانسحاب .

وقوع بعض السفن الجانحة في قبضة العدو . فيظهر من هذا أن العدو على وشك ادراكي من جراء حراسة السفن فارغم حينئذ على مقاتلته . فلولا حماية السفن لقطعت عشرين أو اربعة وعشرين ميلا في سيري ولما مكنت العدو من ادراكي .

وفي هذا اليوم عينه وصلتني برقية من رئيس اركان الجيش من الكوت (حيث كان هو « والسر جون نكسن ») يسألني فيها عن القطعات التي استطيع الاستغناء عنها لاعادة فتح طريق المواصلات[1] وعن موعد وصول هذه القطعات الكوت . وكذلك سألني هل استطيع الاستغناء عن طائرة لتستكشف الشيخ سعد غداً .

وكانت هذه الاخبار على غاية الخطورة . لانهُ لم استطع حينئذ الاستغناء عن بندقية واحدة من قوتي الصغيرة والعدو يجد في اثري . وكنت أومل أن لا افسح للعدو مجالا لمقاتلتي ابان انسحابي مع أن الترك باتوا مني على قاب قوسين أو ادنى . فاجبت على هذه البرقية بأنني سأوفد « ميلس » واللواء الثلاثين ليتقدماني إلى الكوت لينجزوا المهمة التي ذكرها لي . فتفريق قوتي على هذه الصورة حينئذ مما يؤسف له ولكن لم يكن لي ثمة مفر من ذلك . فامرت بالحركات التمهيدية التالية الحاقاً باوامر الانسحاب : ـ

فاستدعيت نصف الفوج الذي كان يحرس رأس الجسر على الضفة اليمنى ورفعت جسر القوارب في ليلة ٢٩ و ٣٠ تشرين الثاني وامرت بتحميل قطار الفرقة ورتل الاعاشة وذلك استعداداً للسير فوراً حين صدور الامر بذلك في ٣٠ تشرين الثاني .

واقتضى الأمر أن تصبح جميع القطعات على قدم الاستعداد .

وتقرر أن تسير المدافع التي فوهتها ٥ عقدات من القسم النهري إلى الكوت على أن تشرع في السير عند بزوغ الفجر . وكانت هذه المدافع موضوعة على « بارجات » تسحبها الباخرتان « شوشان » و « المحسودية » . وتقرر كذلك اقتلاع

---

(١) هذه اول مرة سمعت فيها خبر قطع هذا الخط .

الاسلاك الشائكة من خنادق العزيزية ورميها في النهر .

ونقرر أن تقلع السفن عند شق الفجر في ٣٠ تشرين الثاني بحراسة المركبين الحربيين « الكومت » و « الفاير فلاي » .

فنفذت جميع هذه الاوامر وفي ٣٠ تشرين الثاني الساعة ٩ صباحاً سارت الفرقة من العزيزية جنوبا . وتكوّن من حرق مخزن الثياب والتجهيزات والبارجة الاحتياطية لقنابل الطائرات عمود دخان لا بد من أنه ظهر كل الظهور للعدو الذي كان حينئذ في القطنية .

وتم سير الفرقة إلى ام الطبول التي وصلناها عند الظهر من غير وقوع حادثة تستحق الذكر . وبلغنا أن العدو وصل العزيزية . واقيل عن صدري كابوس هم ثقيل لما علمت بوصول قافلة السفن سالمة بعد الظهر لأن بسطة الماء الواقعة توا فوق ذلك المحل من اشد الاماكن خطراً على السفن في هذا الفصل من فصول السنة من جراء قلة الماء والضحاضح التي تتكون في النهر على الدوام . وبراً بوعدي الذي لا مناص منه امرت « ميلس » ومعه اللواء الثلاثين بأن يواصل سيره متقدماً إلى الكوت ومستقلا عن باقي القوة . وتم الاتفاق على أن يتوقف على مسافة عشرة اميال منا جنوبا . ثم اصدرت الاوامر التالية المتعلقة بالوقوف والعسكرة في العراء والمحافظة على القوة : ـ

١ ـ لم نتلق اخباراً جديدة عن حركات العدو .

٢ ـ تعسكر الفرقة في العراء في المناطق المعينة للالوية ـ مع قطعات الفرقة وقطارها ورتل اعاشتها ـ على أن تكون القطعات على قدم الاستعداد للقتال وتعسكر في المواقع المهيأة للمعركة .

٣ ـ قسم الحماية المتعلق بوقت الوقوف والمحافظة على القوة : ـ

ستارات[1] القتال[2] . وكل آمر لواء مسؤول عن جبهته (ويحل خط النار

---

(١) Outposts وبالتركية « ايلرى قره غوللر » ـ المترجم .

(٢) لاننا نتوقع هجوم العدو علينا لان الارضين كانت مغطاة بالانجم والشجيرات .

محل الربيئات وقد وضعنا جماعات الخفر في الامام) .

وعلى الخيالة أن تقوم بحراسة القوة نهاراً .

٤ - على الجنود أن يتجمعوا بسلاحهم قبل الفجر بساعة .

٥ - على الضابط البحري الاقدم أن يعد مركبا حربياً ليحمي جناح جبهة القوة من الجهة الشمالية اثناء العسكرة في اللواء » .

ولم انم في تلك الليلة لأن من عاداتي أني لا انام حينما اتوقع حدوث معركة . وفي الساعة التاسعة مساء اطلق العدو علينا قنابل مدافع حسبتها من مدافع الهجانة . وقد اطلق العدو علينا بضع اطلاقات فقط وربما كان عددها ست اطلاقات . ثم استحوذ السكون على الميدان . وقد نفعنا عمل العدو هذا فانه جعل الجنود متيقظين لوقوع الطوارىء . وسمعت انا و « ديلامين » صوت دواليب عجلات تدرج عن بعد وكان ذلك اما صوت عجلات النقلية واما عجلات المدفعية . ورويداً رويداً ايقنت أن ذلك الصوت صوت عجلات المدافع الأمر الذي دلنا على أن قوة الترك باتت على مسافة قريبة منا . وقد تمكن العدو من ادراكي لأنني تأخرت لحماية السفن . وايقنت حينئذ انهُ يستحيل علي التملص بقطاري ورتل اعاشتي البطيء الحركة مع جميع التوابع الهنود في وسط الليل في اراض مغطاة بالانجم والشجيرات والسير على طريق لا ترى الا نهاراً . وفضلا عن هذا أن السفن لا تتمكن من الحركة الا عند بزوغ ضوء النهار .

فامليت اوامري على رئيس اركان الجيش على الوجه التالي : -

« الساعة ١٥ : ٩ . إذا وجدت العدو قريباً من جبهتي فساهجم عليه عند انفلاق الصبح هجوماً جبهياً وهجوم احاطة في آن واحد .

« قوة الهجوم على الجبهة : اللواء ١٨ بقيادة امير اللواء « هملتون » .

« قوة هجوم الاحاطة : اللواءان ١٦ و ١٧ بقيادة الفريق « ديلاميني » .

« وساعين هدف هذين الآمرين عندما اتمكن من مشاهدة الارض صباحاً .

« ويعاون لواء الخيالة هذه القوة بالتحرك في الجناح الخارجي للقوة القائمة بهجوم الاحاطة .

« وعلى آمري الالوية أن يبثوا الدوريات عند بزوغ الفجر » .

وامرت بتحميل القطار ورتل الاعاشة بحيث يقفان على قدم الاستعداد للزحف عندما تتمكن العين من رؤ ية الاشباح صباحاً .

وقضيت هذه الليلة وبالي مضطرب جداً . وعقدت العزيمة على اصدار الامر إلى « ميلس » بأن يعود إلي باللواء الثلاثين لأنني كنت بحاجة إلى كل جندي للفوز في هذه المعركة والتملص من قبضة العدو .

لذلك بعثت برسالة مستعجلة إلى الفريق « ميلس » نقلها اليه ضابطان بريطانيا من ضباط الكتيبة الرماحة الهندية السابعة وهما الرئيس « سي . ترنج » والملازم « و . ج . كوفنتري » اللذان ساقتهما النجدة إلى التطوع لحمل هذه الرسالة . فقلت لهما حينئذ أنني عالم بالمخاطرة التي يقدمان عليها لأن فرسان العرب مبثوثون في جميع الانحاء وأنني ساوصي بوسام « صليب فكتورية » لكل منهما[١] . لأنني ارجح أن مصير الفرقة متوقف على نجاحهما في انجاز هذه المهمة . فاخذا معهما ستة فرسان من الهنود وانطلقوا في سبيلهم حول الساعة ٣ بعد نصف الليل .

وكذلك ارسلت رسولا في طلب الرئيس « نن » الضابط البحري الاقدم لاروي له هذه الحادثة . فناولته نسخة اخرى من هذه الرسالة وامرته بأن يبعث بها إلى الفريق ميلس على الفور مع زورق بخاري وامرته كذلك بأن يعد قافلته لكي يقلع بها عند بزوغ الفجر ويترك مركباً حربياً ليساعد القوة باطلاق النار على جناح العدو . ولكن الرسالة التي حملها الملازم « وود » من ضباط البحرية لم تصل السر جارلس ميلس » لأن العرب اطلقوا النار على زورقه فجرحوا بحريين من بحارته .

---

(١) وقد منح كل منهما وسام « الامتياز » .

وقلت في رسالتي إلى « ميلس » أن الترك قد ادركونا فعليه أن يرجع لمعاونتي عليهم مبتعداً من النهر لكي يتمكن من اجراء مناورة التفاف ويهجم على الاعداء الذين بصايقونني وكنت واثقاً من انه إذا وصلت رسالتي إلى « ميلس » اتمكن من كسر العدو بهذه المناورة أو انني على الاقل استطيع التملص بقوتي من قبضة العدو . وكانت المسافة التي يتحتم على ميلس قطعها ابان الرجوع عشرة اميال .

ولم نسمع اصواتاً غير ما سمعناه قبلا في تلك الليلة ولم نشاهد نورا ولا نارا بل كان السكون مستحوذا على الجميع كانه سكون الموت . فارسلت في طلب امري الالوية في الساعة الخامسة صباحا لابسط لهم بسطا شفهيا مرة اخرى الخطة التي رسمتها للهجوم على العدو هجمة عنيفة . وذلك أنني سأهجم على العدو هجوما جبهيا مقرونا باحاطة ميسرته بمعونة لواء الخيالة الذي يتحرك على الجناح الخارجي ثم يحمل على العدو عند سنوح الفرصة . وقلت لهم أنني بعثت برسالة مستعجلة إلى « ميلس » امرته فيها بالانثناء راجعا على جناح السرعة .

ولما لاح صبح ١ كانون الاول توقعت أن ارى الترك يحفرون الخنادق أو أنهم قد اعتصموا في الخنادق التي حفروها وذلك لأن الترك يحفرون الخنادق بالسرعة التي تحفر المناجذ بها أجحارها . ولم اتوقع أنهم يزحفون لمصادمتي . ولكنني اخطأت في ظني هذا .

ولما لاح الصبح واستطاعت الباصرة رؤية الاشباح تهيجت الاعصاب منا جميعاً لأننا رأينا الترك الذين تألفت قوتهم من اثني عشر الف مقاتل على اقل تقدير يزحفون في خطوط طويلة على نظام الانتشار وقد دنوا منا حتى باتوا على مسافة ٢٥٠٠ يارد وهي مدى المدفعية . وشاهدت ميسرتهم تتحرك حركة للاحاطة بنا . فامرت من ساعتي المدفعية بالشروع في رمي النار السريعة وامرت « ديلامين » و « هملتون » بالهجوم طبقاً للاوامر التي اصدرتها اليهما قبل المعركة وفي تلك الاثناء اوفدت ثلاثة أو اربعة فرسان إلى الخيالة التي امرتها باحاطة جناح العدو الذي كان يدنوا مني وبالهجوم على ذلك الجناح . ولم اشهد قط في حياتي مدفعية تصيب المرمى بدقة اصابة اللواء العاشر من الوية المدفعية البريطانية وكان هذا اللواء يطلق

النار بالرمي السريع فتفتك بالعدو فتكا ذريعاً حتى لم تبق ولم تذر . فكنا نشاهد وابل قنابل المدافع التي ترمي مقذوفاتها رميا منتظماً تحصد صفوف الترك حصداً فتمسي اثراً بعد عين فما احسن مدفعنا إذا كان من مدافع الصحراء بعيار ١٨ بوندا .

وفي تلك الاثناء زحف « ديلامين » و « هملتون » بمشاتها على العدو . فالفيت حينئذ القوة التركية القائمة بهجوم الاحاطة تتوقف في مكانها وتتردد في امرها[١] وتترنح ترنح السكران في محلها فلو تهددناها لجمدت في مكانها جمود الصنم .

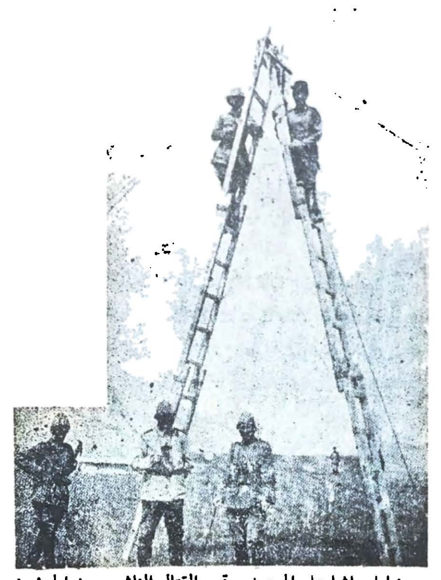
ونفذ لواء الخيالة اوامري تنفيذاً سريعاً مجيداً . واجهزت البطرية S الشهيرة من مدفعية هذا اللواء على جناح قوة العدو المهاجمة وكانت تصب نيرانها الحامية على تلك القوة من هضبة هناك اما اللواء نفسه فسار عدواً على ظهور الخيل إلى ارض مرتفعة تشرف على ميدان القتال فترجل الجنود وطفقوا يطلقون نار البندقيات على العدو . وسرعان ما رأينا احباط مساعي القوة القائمة بحركة الاحاطة وانهزام رجال هذه القوة هزيمة منكرة وقد اختل نظامها كل الاختلال . وطفق الترك يتقهقرون من جميع انحاء ساحة القتال ويسترون تقهقرهم بنار مدافع حامية الحقت بنا ضرراً فادحا . اما نحن اركان الفرقة فنجونا مراراً عديدة من انياب الموت لأن نيران العدو كادت تفتك بنا لما كنا واقفين بالقرب من المدافع . وسقط حينئذ حوذي أو حوذيان من سائقي عجلات احدى البطريات عن السرج لاصابتهما بشظايا قنابل شرابنل على مسافة بضعة ياردات من البقعة التي كنت واقفا عليها . وكانت القنابل الاعتيادية وقنابل شرابنل تنفجر حولنا وكنت اشاهد القنابل تنفجر على رتل قطار الفرقة ورتل اعاشتها الطويلين اللذين كانا يتقهقران من غير أن يلويا على شيء .

---

(١) وقد قال لي الضباط الترك الذين حضروا هذه المعركة أن الترك تكبدوا خسارة فادحة جداً حينئذ لأن نار مدفعيتنا شلت حركتهم كلها .

ولما رأيت تقهقر القوة التركية التي كانت تحاول الاحاطة بنا مع باقي القوة المعادية اغتنمت الفرصة للانقطاع عن القتال فامرت « ديلامين » و « هملتون » بالانسحاب في قدمات الدية متناوبة مع أنني كنت اشعر بدافع يدفعني إلى اصدار الامر بالزحف زحفا عاما على العدو.

وكان العدو يصلينا نارا حامية ولكنني لم اشهد قط في حياتي وحتى في المناورات التي تجري في زمن السلم انسحابا يتم على صورة افضل مما تم عليه انسحاب الفرقة السادسة في هذه الساعة العصيبة وذلك سواء كان من حيث الثبات في السير ام من حيث مرونة الحركة وكنت اتيه فخرا بفرقتي لما كنت



خليل باشا على المرصد يرقب القتال الناشب بين الجيشين

اشاهد الالوية تنثني قدمات تتحرك حركة دقيقة كالساعة فتتحول رويداً رويداً إلى حط تقهقر متصل يسير بانتظام تام ثابت القدم . وتناول ذلك السير المدافع وكل قطعة اخرى من قطعات القوة . وطفقت حينئذ اناجي نفسي متسائلا ترى هل يقيض الله لي قيادة فرقة مثل هذه الفرقة مرة اخرى ؟

والله وحده يعلم مصيري لولا آمري الويتي الذين الفيتهم كاملين بكفايتهم في قيادة الالوية . ولا ريب في انهُ يقتضي التدقيق الشديد في انتقاء الضباط للترقية إلى منصب قيادة الالوية ولكنني لا افهم لماذا يشدد الجيش البريطاني في انتقاء الضباط الذين يرقيهم من رتبة امير اللواء إلى رتبة فريق ثان لقيادة الفرقة اكثر من تشديده في انتقاء آمري الالوية . فاذا كان الضابط آمر لواء قدير فهو قائد فرقة قدير . وطالما صرحت وما انفك اصرح بانهُ اسهل على المرء أن يقود فرقة من أن يقود لواء لأنه يتحتم على آمر اللواء أن يحرك وحدات يربو عددها على وحدات الفرقة . واسهل على القائد أن يخوض غمار معركة مستقلة وتحت امرته فيلق يتألف من فرقتين من أن يقود فرقة واحدة فقط .

واثناء ما كنت منهمكا في اصدار الاوامر التفت نظري إلى المركب « كومت » وهو من مراكبنا الحربية فرأيته جانحاً والنيران تلتهمه . وكان هذا المركب من البواخر النهرية الخشبية القديمة التي تسير بالرفاس ومصفحة ببضع صفائح حديد تغطي جسرها وقد وضع في مقدمتها بضع صفائح اخرى لحماية بحارة المدافع من رصاصات القنابل . وعلى ظهر هذه الباخرة عينها استقبلت القائد التركي الذي سلم الينا في العمارة .

واصابت قنبلة مدفع خلقين الباخرة « فاير فلاي » فتعطلت بالكلية فشاهدت مدخنتها وقلعتها مرتفعتين فوق حافة النهر على مسافة الفي يرد شمالا . وكانت مدفعية العدو تصلي هاتين الباخرتين ناراً حامية فاستحال علينا انجادهما ولكن بحارتهما تمكنوا من النجاة في القوارب . وكانت خسارة « الفاير فلاي » جسيمة جداً لنا . وكانت اولى البواخر النهرية الجديدة وعليها مدفع قطر فوهته

٤.٧ العقدة[1]

والظاهر أن الساعة كانت ٧:٣ صباحاً لما شرعنا في الانسحاب . اما العدو فاستمر على اطلاق النار علينا من مدى بعيد ولكن خيالته لم تستمر على تعقبنا سوى مدة قصيرة . وبلغت خسارتنا في هذه الوقعة نحو خمسمائة جندي بين قتيل وجريح . ولكننا لم نخسر مدفعاً واحداً ولا اسر منا العدو جنديا واحداً . واخذت معي جميع اسرى الترك وكان عددهم الف وخمسمائة اسير اسرتهم في طيسفون (سلمان باك) وكانوا يسيرون مع قطار الفرقة ورتل الاعاشة .

وحول الساعة التاسعة صباحاً التقت قوتي بالفريق « ميلس » مع اللواء الثلاثين اثناء السير . وكان قد جد في السير عند بزوغ الفجر قادماً لمساعدتي وهو يسير على مسافة بعيدة من النهر . وقد سرتني جداً مشاهدته مع انه تأخر عن حضور المعركة . واعتقد أن خيالة العرب رووا خبر قدومه للعدو فتوقف الترك في ام الطبول من جراء ذلك ونظراً إلى الخسارة التي تكبدوها .

ويحتمل أنني خاطرت مخاطرة شديدة في هذه المعركة ولكن ليس الذنب ذنبي في ذلك لأنني ارغمت على مقاتلة العدو من اجل حراسة السفن التي لم تتمكن من السير في تلك المنعطفات والضحاضح الصعبة الا في النهار . وقد استطعت التملص بسهولة من قبضة القوات التي كانت تطاردني بهمة جنودي ذوي الصفات السامية الذين لم ترخ المعركة الدامية التي خاضوا غمارها في طيسفون عزائمهم وبهمة آمري الويتي الفائقة . ولا يخفى أن الانقطاع عن القتال والانسحاب اصعب جميع الحركات الحربية حتى عندما يكون الجنود نشيطين . ولكن هذه الحركة اصعب جداً من غيرها عندما تمتهن اهوال الحروب الجنود وتنهك شدة المعامع قواهم لا سيما بعد خروجهم من معركة دامية جداً مثل وقعة طيسفون التي لم تكن قط من المعارك الاعتيادية التي يخوضها الجندي . ولا يخفى إذا اختل نظام الجنود يصعب جداً على القائد أن يقوم بمناورة انسحاب منتظم كالمناورة التي قمت

---

(١) وقد استرددناها من الترك في بغداد في آذار عام ١٩١٧ .

بها - اي الحركة في قدمات الوية . والساعة العصيبة هي ساعة ترك القائد موقعه إذ يتحول تشكيل الانفتاح الى رتل المسير . ولا بد من فترة استراحة للجنود قبل القيام بهذه الحركة .

ولاجل الحصول على هذه الفترة قمت بحركة تعرض دبرتها قبل المعركة . وكثيراً ما ينجح القائد في تهديد العدو على هذه الصورة . وقد سلك « مكماهون » هذا المسلك عينه عندما شرع في تقهقره في ٦ آب عام ١٨٧٠ إذ خدع الالمان بحركة تعرض قامت بها فرقة الفريق « بل » بمهاجمة قرية « فورشفلر » .

وهكذا فعل الفريق « شانزي » في ١١ كانون الاول عام ١٨٧٠ إذ تمكن من الشروع في تقهقره إلى « لوار » . فخال الالمان حينئذ انهُ ينوي بحركته الرجوع رجعة تعرض ولم يعلموا بأن القوات الفرنسية كانت تتقهقر تقهقراً تاماً الا عند الظهر .

إن اهم الصنوف العسكرية التي يجب استخدامها في القتال الذي تقوم به الساقة هما المدفعية والخيالة اما المشاة فيجب أن يقتصر عملها على عضد المدفعية على أن لا تشتبك في القتال الا في احرج الاوقات وعندما تحتم الضرورة المطلقة ذلك . فاذا فسح مشاة الساقة المجال لدنو مشاة العدو المطارد منهم على مسافة الف يارد - وهذه المسافة هي المدى الذي تؤثر فيه نار البندقية في سهل مكشوف كالساحة التي قاتلنا فيها الترك - جمد اولئك المشاة في مكانهم فلا يتمكنون والحالة هذه من التقهقر . وهذا هو سبب كثرة وقوع الاسرى في ايدي العدو حين التقهقر . وفضلا عن ذلك أنه إذا دنا العدو من القوة المتقهقرة وبات على مسافة الف يارد من مدفعية المتقهقرين لا يستطاع حينئذ شد عجلات المدافع إذا كانت الارض مكشوفة .

وواصلت السير اليوم كله . لأنني كنت قد عقدت العزيمة على أن لا اتوقف الا في « الشادي » الواقعة على مسافة ستة وثلاثين ميلا منا . وبادلت خيالة الساقة فرسان العرب اطلاق النار مرات عديدة لأن هؤلاء العرب كانوا يدنون من

اجنحتنا الخلفية . ولم اقف وقفة طويلة لأن الضرورة المبرمة حتمت علي أن اسعى للابتعاد عن العدو مسافة تمكنني من أن اريح القوة الليل طوله ثم اسير في اليوم التالي تواً إلى الكوت عينها . وطفقت بعد الظهر انتقل من طرف القوة الواحد إلى طرفها الآخر بلا انقطاع فاكلم الضباط والجنود هنا وهناك لاظهر للجميع بشاشتي وانشراح صدري فالميت قوى الجنود منهوكة جدا ولكن عزائمهم مشتدة .

ولما كانت القوة تقطع اعلى منعطف من تموجات دجلة العديدة عند غروب الشمس سالني آمر أو آمران من آمري الالوية هل اسمح بوقوف القوة لأن الجنود كادوا يلفظون روحهم من التعب[1] . ولكنني لم اجرأ على التوقف لأنني قلت سابقاً « إذا وصل الجنود إلى شاطىء النهر لا نتمكن من جمعهم مرة اخرى قبل مرور ساعات من الزمن . فإنهم سينبطحون إلى جانب الماء فيشربون ويستغرقون في النوم حتى يمسوا كالاموات . وأن لي العلم بأن الترك ليسوا على مسافة قريبة منا ؟ » .

ولم ينفك فرسان العرب يدنون من ساقتنا . وكان ايعازنا على الدوام « إلى الامام » وعلى هذه الصورة واصلنا السير ليلا . واعتقد أن الساعة كانت التاسعة مساء لما وصل رأس الرتل « الشادي » فقد قطعنا في سيرنا مسافة ٣٦ ميلا مع المعركة التي خضنا غمارها صباحاً . واعد هذه المسافة الحد الذي تستطيع القوات العسكرية بلوغه في السير . اما لواء « ميلس » فقد قطع خمسة اميال فوق المسافة التي قطعناها نحن لأنه ثنى خطواته على المسافة التي قطعها في مجيئه لمساعدتي في المعركة وكانت قوى الجنود منهوكة بالكلية فاضطجعوا على الطريق في رتلهم وناموا كما كانوا ولم يكن لدي طعام اوزعه عليهم !

ولما وصلت الشادي وجدت السفن هناك فذهبت إلى الباخرة « المجيدية » فعلمت منها أن « بارجة » ملأى بالجرحى والمرضى من البارجات التي شحنت في

---

(١) وقد تخلف كثيرون من الجنود على الدرب فكانوا يوضعون على العجلات التي امرت بسيرها مع الساقة لالتقاط الجنود المتخلفين . لأنه لو تخلف جندي وراء الساقة لذبحه العرب من ساعته .

العزيزيه جنحت بالقرب من « ام الطبول » فاستولى عليها العدو لأن البحرية لم تتمكن من تخليص هذه البارجة مع افراغ كل وسعهم في سبيل نجاتها . وبسط لي الضابط البحري الاقدم تفاصيل ما وقع للباخرة « فاير فلاي » فانها استوحلت في ضفة موحلة فحاول البحارة تخليصها ولكنها اصيبت اثناء ذلك بقنبلة اخترقت خلفيتها . فذهبت الباخرة « الكومت » لنجدتها ولكن القنابل المنصبة عليها اصابتها مراراً عديدة فطفقت تحترق فلم يستطع احد تخليصها . فترك الرئيس « نن » كلتا تينك الباخرتين . وكذلك خسرنا في الضحاضح « بارجة » مختصة بنقل مدخرات الطائرات وبارجة اخرى مختصة بالاعاشة عليها مرضى بريطانيون وهنود لا يتمكنون من السير .

وعند بزوغ الفجر في ٢ كانون الاول امرت القوة باستئناف السير ووقفت حينئذ على محل مرتفع واقع على ضفة خليج حفره الماء اراقب سير القوة من المعسكر وبيدي نظارة مزدوجة تمكنت بها من مشاهدة جميع الاطراف بوضوح فلم ار اثراً للعدو . وكانت امارات التعب وانهاك القوى بادية على الجنود بعد سيرهم مسافة ستة وثلاثين ميلا بلا طعام ! ولكنني كنت أؤمل أن تشتد عزائمهم رويداً رويداً في ذلك النهار ولا مشاحة أن عضلاتهم كانت في بادىء الأمر متصلبة جداً . وكان السير شاقاً للغاية وحول الظهر اخذ الجنود يتخلفون عن الصفوف بالعشرينات . وكنت قد وضعت جميع عجلات النقل المتيسرة لي في ذيل معظم القوة وجانباً من العجلات في الساقة لنقل المتخلفين . وكان فرسان العرب يحومون حول قوتنا حينئذ على سابق عهدهم امس وكانت نار البندقيات تطلق على قوتنا بلا انقطاع . ولم اشأ التوقف في الصباح لأنني لم اجرأ على ذلك خوفا من أن يستغرق الجنود في النوم فلا يستفيقون قبل انقضاء عدة ساعات .

وفي الساعة الواحدة بعد الظهر وقفت في محل موافق واقع على منعطف من منعطفات النهر فارسلت حينئذ قطار الفرقة ورتل الاعاشة إلى الكوت بقيادة الزعيم « جتي » وقد زودته بالاوامر التي تقضي بارسال الطعام إلى الجنود إلى المكان الذي عينته للوقوف في تلك الليلة ـ وهو عطفة « شمران » الواقعة على مسافة ستة أميال

الى غرب الكوت . فاشتدت عزيمة الجنود إذ سمعوا خبر ملاقاتهم بالطعام وعلى هذه الصورة استأنفنا السير .

فخرج آمر الكوت أمير اللواء « رمنغتون » من ضباط الهندسة البريطانية للاقاتي في المحل الذي عينته للوقوف وهو يحمل إلي البرقيتين التاليتين من رئيس اركان الجيش : ـ

« في ٣٠ تشرين الثاني السنة ١٩١٥

« نوافق على اقتراحك بالانسحاب على مهل إلى الكوت . وقد سر قائد الحملة لخبر فوز كتيبة الهزار ١٤ والكتيبة الرماحة السابعة في الحملة التي حملناها على العدو في ٢٩ الجاري .

« ويشكر لك كل الشكر مساعدته بايفاد قوة ميلس للمحافظة على خط المواصلات إلى أن يرجع المقر وخط المواصلات العامة إلى البصرة . وقد صدرت الأوامر إلى غورنج هناك ليوفد النجدات التي لا بد منها لارجاع سفننا إلى البصرة في اقرب وقت . هل عند ميلس تلغراف لاسلكي ؟ » .

« في ١ كانون الاول عام ١٩١٥

« امحضك خالص التهانىء للمقاومة المجيدة التي قاومت بها العدو . وانني مهتم بامرك كل الاهتمام واعتقد أن افضل وسيلة لمساعدتك هي نقل جميع السفن والجرحى من هنا مع الحرس والجناح ٦٦ وسرية مضاعفة من سرايا هانتس ومدفعين جبلين لنشق لنا طريقاً في العورة . وسنترك كهذه القطعات في الكوت : كتيبة الهزار ١٤ والجناح ٦٦ وسرية مضاعفة من سرايا هانتس ونحو ٨٠٠ جندي ناقة قادر على حمل البندقية . وساترك الكوت اليوم بعد الظهر » .

ووصل آمر موقع الكوت في وقت وصول برقيته التي قال فيها « إنني لم اتمكن من انشاء موقع دفاع محصن يستر الكوت التي يستحيل الالتفاف حولها . ولا ريب في أن العدو سيطوقنا في معسكر ضيق جداً ويحصرنا بقوة صغيرة جداً ويحتل موقع

« السن »[1] لمنع وصول النجدات الينا . وعندنا هنا نحو من ثلاثين « مهيلة » فاذا شئت الجلاء عن الكوت نستطيع نقل الجرحى والاعاشة بها » .

فقلت لامير اللواء « رمنغتون » انني قد عقدت العزيمة على الثبات في الكوت . وفضلا عن هذا أن الجنود منهوكو القوى بحيث لا يستطيعون الانتقال ذراعاً واحدة من الكوت في الوقت الحاضر . ويستحيل نقل كل مواد الاعاشة والعتاد في الوقت المطلوب . والكوت من اهم المواقع الحربية من حيث سوق الجيش فاذا اخليناها تمكن العدو من ارسال قطعاته إلى الناصرية مستخدما نهر الحي لنقل الذخائر الحربية والاعاشة . وإذا حرك كل قوته باتت البصرة مهددة بالخطر . ولم اسمع قبل هذه الساعة أن الزورق البخاري السحاب ارغم على ترك جانباً من قطار جسرنا ووراءه بين ام الطبول والشادي . وكانت خسارتنا بذلك خسارة جسيمة .

ووصلت القوة شمران عند تخييم الظلام في ٢ كانون الثاني اما الساقة بقيادة « هوتن » فوصلت بعد ذلك بمدة طويلة نظراً إلى صعوبة التقاط المتخلفين . ولم يترك شخص وراء الساقة . غير أنه يحتمل أن بضعة جنود وتوابع هنود اعياهم التعب اضطجعوا تحت شجيرات فناموا فظلوا وراء القوة ولكنني لم اعلم قط بوقوع هذه الحوادث . ولا ريب عندي أن نفراً من التوابع من سكان البلاد تخلفوا على هذه الصورة فذبحهم الفرسان العرب .

وفي صباح اليوم التالي باكراً ـ اي ٣ كانون الاول ـ دخلنا الكوت . وعند وصولي ابرقت إلى « السر جون نكسن » الذي غادر الكوت تقله الباخرة إلى البصرة[2] انبئه فيها أنني عقدت العزيمة على الثبات في الكوت والتحصن فيها لكي اوقف تعرض الترك المعاكس مهما كلفني الأمر ولامكن « السر جون » من حشد الامداد الذي يصل البصرة على الخط الممتد من العمارة إلى علي الغربي . إلى أن

---

(١) وهو الموقع الذي جرت فيه معركتنا في شهر أيلول عام ١٩١٥ لكنه قبالتنا على الضفة اليمنى .

(٢) والظاهر أن الذين قطعوا خط المواصلات في الشيخ سعد كانوا نفراً قليلا من العدو اختفوا بعد أن اطلق عليهم المركب الحربي بضع اطلاقات .

قلت أني قد اصدرت الاوامر لتنفيذ الخطة التي رسمتها . ولدي من مـواد الاعاشة ما يكفي الجنود البريطانيين شهرا كاملا والجنود الهنديين شهرين والمقدار الكافي من العتاد

وعلى هذه الصورة تم انسحابنا على ما يرام ولما رأيت الجنود يجرون انفسهم جراً إلى جانبي ماريس بخط الحصون في دخولهم الكوت ـ لأن سيرنا هذا يكاد لا يسمى سيراً ـ تخطرت ما قاله جوميني بشأن التقهقر : ـ

« إن الشجاعة والثبات ابان الانكسار اشرف من الحماسة ابان الانتصار . لأن الشجاعة مطلوبة للهجوم على العدو والاستيلاء على موقعه . اما البطولة فضرورية للانسحاب انسحاباً صعباً من وجه عدو قدير ثمل بخمرة النصر ولوضع حاجز منيع في سبيل ذلك العدو من غير أن تخور للقوة المراجعة عزيمة . فكما تجيز الحكومة الجيش الذي ينتصر انتصاراً باهر هكذا عليها أن تجيز الجيش الذي ينسحب انسحاباً حسنا » . وقال اللورد باكون « أن الانسحاب الشريف ليس دون الهجوم المنطوي على البسالة لأن خط الجيش المنسحب دون حظ الجيش الغالب ويتطلب التراجع ضبطاً يفوق ما يتطلبه الهجوم وشجاعة تعادل شجاعة المهاجمين » . وقال « نابير » في كتابه « حرب شبه جزيرة اسبانيا » حين بحثه في رجعة « مور » ما يأتي : « أن الرجعة الشريفة هي تلك الرجعة التي لا يخسر فيها القائد شيئاً من مفاخر القتال ويتحمل جميع صدمات العدو من غير انكسار وفي آخر الأمر يسوق مرة اخرى جيشه في وجه العدو المتفوق عليه من غير أن يلقى من ذلك العدو مضايقة شديدة بعد أن يخرج من معركة دامية » .

واني اورد هنا خلاصة انسحابي من طيسفون إلى الكوت فاقول : ـ

إنني رجعت رجعتي في وجه الترك الذين تفوقوا علي بعددهم الساحق بعد معركة طيسفون الدامية التي تشيب لها رؤوس الاطفال . وقد خسرت في هذه المعركة ثلاثة وثلاثين في المائة من مجموع القوات المقاتلة التي خاضت غمار الوقعة . وقد وقع معظم الخسارة في صفوف المشاة . لذلك اراني قد خسرت نصف قوتي المقاتلة بخسارة ٤٥٠٠ محارب من قوتي . ولكن هذه الخسارة كلها لم

تؤثر اقل تأثير في ضبط الفرقة السادسة وحسن انتظامها . فقد تراجعت مسافة تسعين ميلا ومقدمة الجيش التركي السادس تجد في اثري . وفي ١ كانون الاول ارغمت على التوقف ومقاتلة العدو من اجل خلاص جانباً من السفن و « البارجات » التي كانت على النهر . ولم اكتف في هذه الوقعة برد العدو بل طردنه طرداً لم يلو فيه على شيء وذلك بمنارة تعرض معاكس ضربت فيه جناح العدو بحيث يشهد جميع الخبراء بالشؤون العسكرية بأن ما فعلته يكفيني برهاناً على ضبط القطعات ومقدرتها على المناورة في رجعتي هذه التي رجعتها . وبعد أن رددت العدو على اعقابه انقطعت عن القتال وبعملي هذا قمت باصعب الحركات التي يحتمل القيام بها في محاربة الساقة . وواصلت انسحابي في قدمات الوية على ما يرام كأني اقوم بمناورة عسكرية في ابان السلم . ولم اترك ورائي جريحاً واحداً مع أنني خسرت خمسمائة جندي بين قتيل وجريح في تلك الوقعة . ولم اخسر مدفعاً واحداً وسارت قوتي بالف وخمسمائة اسير طول المسافة التي قطعتها . ولا اعتقد أن قوة بريطانية سارت سيرا اطول من سيري في ١ و ٢ كانون الاول ولا اصعب منه[1] وليس بين الحروب التي رواها التاريخ العسكري الحديث حرب خاضت فيها الجيوش البريطانية معركة تفوق وقعة طيسفون في شدتها وحركتها التي كانت اقوى محك لكفاية القوات البريطانية وصبرها على المشقات . ومع ذلك لم اسمع كلمة تذمر من الجنود ولم تبدر منهم بادرة تدل على خور العزيمة أو التمرد . واملي وطيد في أن التاريخ سيخلد ذكرى تقهقرنا هذا فيعده تقهقراً عسكريا شريفاً .

واجاب « السر جون نكسن » على البرقية التي انبأته فيها بعزمي على الثبات في الكوت بالبرقية التالية : -

« لقد سر قائد الحملة إذ بلغه أمر عزمك هذا وهو واثق من أن قطعاتك ستثابر في دفاعها على ابداء الهمة التي ابدتها في جميع الحركات التي قمت بها . وسنرسل اليك النجدات على جناح السرعة المستطاعة » .

---

(١) لانني قطعت في هذين اليومين ستة وثلاثين واربعين ميلا .

ملحق الباب الثالث

أوامر الحركات للزحف إلى الزور
أوامر الفرقة السادسة
الأمر ٥٥

١ ـ لقد وافيت آمري الالوية ورؤساء الدوائر بالاخبار المتعلقة بالعدو .

٢ ـ ستواصل الفرقة والقطعات المنضمة اليها حركة التعرض غداً بحيث تزحف على الزور وتشرع في زحفها الساعة ٣ : ٩ .

٣ ـ تزحف الفرقة في ثلاثة ارتال متوازية على الوجه التالي : ـ

على الضفة اليسرى : الرتل « ب » يتقدم الفرقة بالسير على طريق بغداد إلى الجانب الايسر .

الرتل « أ » يسير إلى يمين الرتل « ب » شمالا .

على الضفة اليمنى : الرتل « ج » يزحف مستقلا عن غيره .

محل الشروع في الزحف : الرتل « ب » ينشر علماً اصفر ويشرع في السير عند ملتقى طريقي بغداد والقطنية .

الرتل « أ » ينشر علماً احمر ويشرع في الزحف شمال المحل الذي يزحف منه الرتل « ب » .

٤ ـ تسير قطعات الفرقة وراء الرتل « ب » .

اما مدفعية الخيالة (ما عدا البطاريات الثقيلة منها) وسرية النسافة ١٧

فتسير وراء الفوج المتقدم من الرتل « ب » .

ويسير المستشفى السيار وراء قطعات الفرقة .

٥ - يؤخذ من الرتل « ب » مقدمة عامة[١] للرتلين « ب » و « أ » بحيث تتألف هذه المقدمة من فوجين وحضيرة بطرية صحراء وسرية خيالة الفرقة .

٦ - ويفرز آمر الرتل « أ » مفرزة من قوته تتألف منها الميمنة .

٧ - اوعز إلى لواء الخيالة بأن يزحف من القطنية بحيث يدور حول جانب البطيحة الشمالي في المربعين « ح ٢ » و « ح ٣ » ثم ينزل من هناك على الطرف الشمالي لخنادق الزور معاوناً الرتل « أ » فيتهدد خط تقهقر العدو من الزور إلى طيسفون « سلمان باك » .

٨ - يزحف الرتل « ج » بقيادة أمير اللواء « هوتن » في الساعة ٤:٣٠ صباحاً من القطنية على ضفة النهر اليمنى ويزود بالوصايا العامة التي تفضي بتطهير الضفة اليمنى من العرب المعادين لنا والاستيلاء على الخنادق المشار اليها على الخارطة والواقعة في طرف عطفة النهر الشمالي قبالة موضع الزور فاذا رأى العدو معتصما في تلك الخنادق فلتطلق المشاة والرشاشات النار الجنبية على خنادق الزور .

٩ - يعاون الاسطول النهري والمدافع ذوات القطر ٧ ، ٤ العقدة[٢] الرتل « ج » الذي ترافقه وذلك لتعينه على الزحف بنار المدفعية[٣] .

١٠ - يتبع رتل عتاد الفرقة[٤] . الرتل « ب » سائراً وراء المستشفى السيار . وآمر الرتل « ب » مسؤول عن المحافظة على رتل عتاد الفرقة .

---

(١) بلغ رئيس اركان الفرقة آمر الرتل « ب » أنني اريد أن تكون المسافة بين ذيل هذه المقدمة ورأس الرتل « ب » ٣٥٠٠ ياردوهو مدى المدفعية المؤثر .

(٢) كانت المدافع التي قطر فوهة كل منها ٤,٧ العقدة موضوعة على مقدمة سفن الخيل .

(٣) اوعز إلى رئيس اركان الفرقة ليطلب من الضابط البحري الاقدم ايفاد مركب حربي ليسبق الرتل « ج » بمنزلة مقدمة لهذا الرتل .

(٤) القسم البري من هذا الرتل . اما القسم الآخر فيكون في السفن .

١١ ـ يسير مقر الفرقة في رأس الرتل « ب » .

١٢ ـ يسير قطار الفرقة ورتل الاعاشة[1] وراء رتل عتاد الفرقة ويحرس هذه القطعة نصف الفوج السجابي ٢٤

١٣ ـ على آمري الالوية أن يراعوا مبدئياً هذه القاعدة وهي أنه اذا لقي احد الارتال مقاومة عنيفة من العدو اثناء زحف الفرقة في رتلين متوازيين أو اكثر فعلى الرتل الذي يجاوره أن يعينه في زحفه بمناورة التفافية يقوم بها .

١٤ ـ على الضابط البحري الاقدم أن يعين مركباً من مراكبه ليمخر وراء قافلة السفن التي تمخر في النهر شمالا من القطنية عندما يأمر معاون مدير الميرة للفرقة بذلك .

صدرت هذه الاوامر في الساعة ٣٠: ٤ بعد الظهر

وصايا عامة صدرت إلى آمر لواء الخيالة

تزحف غداً الساعة الثامنة صباحاً للالتفاف حول طرف خنادق الزور الشمالي على أن تنبئني هل هذه الخنادق محتلة ام مهجورة .

فاذا لقيت العدو معتصماً في تلك الخنادق فتهدد خط رجعته إلى طيسفون واسعى للاستيلاء على مدافعه .

ولا اعتقد انك تلقى العدو معتصماً في الزور لأن الطائرات شاهدت في الليلة الماضية (اي الليلة ١٧ ـ ١٨ تشرين الثاني) مفرزة تركية خفيفة تقدر قوتها باربعمائة خيال و ١٢٠٠ هجان راجعة على مسافة ميلين على ضفة النهر حيث شاهدت كذلك الطائرات باخرة معها « بارجات » .

واذا لقيت الزور مهجورة فارتاد ذلك المكان في الجهتين الغربية والجنوبية

(١) القسم البري من هذا الرتل .

الغربية ووفر اسباب السلامة للفرقة إلى الجهة الغربية إلى وقت العصر .

واذا لقيت العدو قريب المنال من مطاردتك فاستولي على المدافع والباخرة اذا استطعت إلى ذلك سبيلا .

وصايا عامة إلى آمر الرتل « ج »

تزحف غداً في ١٩ تشرين الثاني الساعة ٧:٣٠ صباحاً على ضفة النهر اليمنى برتلك مع حضيرة واحدة من سرية النسافة ١٧ لتطهير هذه الضفة من العرب المعادين لنا من سكان القرى الواقعة على ضفة النهر وذلك إذا بدر منهم ما يدل على المقاومة .

واذا نظرت إلى الخريطة العدد ٢١ رأيت استحكاماً مشار اليه بعلامة موضوعة في زاوية المربع ٩٦ العليا اليمنى وبجوار هذا الاستحكام إلى الجهة الغربية محلا مكتوباً عليه « حصن مضرب عرب وبيوت » . وهذا كله ما نسميه على الخارجة بقرية « الجميسة » . فاذا اطلقت عليك ناراً شديداً من هذا المحل فاهجم عليه واحرق القرية ولكنني لا اعتقد انك تلقى مقاومة نظراً إلى حجم قوتك . واني مرسل الاسطول النهري مع المدافع التي قطرها ٧، ٤ العقدة في سفن الخيل (وقد وضع مدفع فوهته ٤ عقدات على قلعة « الفاير فلاي » الامامية ومدفع آخر عياره ٦ بوندات على ظهرها الفوقاني الذي نقاتل منهُ وهذا الظهر يطل على ضفتي النهر وعلى « شوشان » والمحسودية كذلك مدافع سريعة الاطلاق من نوع « بوم - بوم » وستصحب رتلك وهي مدافع مفيدة جداً وسيسبقك هذان المركبان مسافة قصيرة جداً لاعانتك على الزحف بنار المدفعية إذا اقتضي الأمر . لذلك عليك بأن تسير على مسافة قريبة ثلاثة اميال عن النهر ويسيرك بالقرب من الضفة يتمكن الرتلان « أ » و « ب » الزاحفان على الزور من مشاهدتك .

واذا لقيت العدو في الزور فاطلب منك معاونة القوة من الضفة اليمنى بنارك الجنبية التي تصبها البندقيات والرشاشات بالاشتراك مع نار مدافع الاسطول النهري وسرعان ما تطرد هذه النار العدو من خنادق الزور لانهُ لا يطيق البقاء

فيها . وهنالك استحكام يظهر على الخارطة عند البغدادية على ضفة النهر اليمنى الى جنوب الزور . فلا اعتقد أن العدو يثبت ازاء قواتنا في هذا الاستحكام ولكنه اذا ثبت فعليك بالحملة عليه بعد أن يصليه الاسطول ناراً حامية .

وقد اعطيت صورة هذه الوصايا للضابط البحري الاقدم الموجود في المركب « فاير فلاي » فارسها الخطة معاً .

وساوفد معاون الضابط السياسي معك . وهو سيزودك بالنصائح المتعلقة بالعرب وهلم جراً . وقد بعث امس برسالة إلى عجيل في الجميسة يمهله مدة اطول للانحياز الينا لأنني ارغب في استحواذ السكون على النهر لذلك لا تشرع في اطلاق النار على العرب ولا تحرق قراهم الا اذا تعدوا عليك .

ولم ارسل معك مدافع لأنني لا اعتقد استطاعة جرها على ضفة النهر . واؤمل أن ينقل خبر زحفك على الضفة اليمنى إلى نور الدين فيبالغ العرب في رواية الخبر له فيحمله ذلك على زيادة الاهتمام بترتيباته العسكرية على الضفة اليمنى .

أوامر الحركات لوقعة طيسفون

أوامر الفرقة السادسة

الأمر ٦٠

في ٢١ تشرين الثاني السنة ١٩١٥

الأنباء التي تلقيناها

١ ـ بناء على ما ورد في تقارير قلم الاستخبارات والطائرات أن قوة العدو المقدرة بعشرة آلاف أو احد عشر الف مقاتل[١] وثلاثين مدفعاً مرابطة في طيسفون على كلتا ضفتي دجلة وموزعة على الوجه التالي : ـ

---

(١) تعمدت ايراد قوة العدو في الاوامر التي نشرتها دون مقدارها الحقيقي لكي لا تخور للقطعات عزيمة .

۷۵۰۰ جندي على ضفة دجلة اليسرى مرابطون في خطوط طهسفون على هذا الترتيب : ـ

من ۱۵۰۰ جندي إلى ۲۵۰۰ جندي في خط الخنادق الاول مع احتياط يتراوح مقداره بين ٤٠٠٠ جندي و ٥٠٠٠ جندي في القصيبة مستعدون لاحتلال خط الخنادق الثاني[1] على مسافة ميلين إلى شمال الخط الاول . ويمتد كل من هذين الخطين من ضفة النهر داخلين في البر على مسافة ستة اميال . (انظر الخريطة ۲۲) . وقد ترتب الخط الثاني قدمات إلى الوراء على مسافة نحو من ٣٤٠٠ يرد من الخط الاول وهذه المسافة اطول من هذا المقدار في بعض الاماكن . وقد انبأتنا الطائرات المستكشفة أن الاحتياط المؤلف من اربعة آلاف جندي يزحف من القصيبة لاحتلال خنادق الخط الاول في « المقتل » الذي اشرته اليه في الخارطة بالحرف « م » . وعلى ضفة دجلة اليمنى حامية تقدر بثلاثة آلاف وخمسمائة جندي احتلوا المعاقل والخنادق الواقعة على تلك الضفة . ويصل جسر القوارب الممدود فوق النهر في القصيبة القطعات المرابطة على الضفة اليمنى بالقطعات المرابطة على الضفة اليسرى .

نية قائد الفرقة

۲ ـ إن قائد الفرقة سيهجم على موضع العدو الواقع على ضفة دجلة اليسرى لابادة قوة الترك هناك وذلك اما بقذف الترك في دجلة أو في ديالى . ووراء هذه القوة نهر يستحيل عبوره .

ولبلوغ هذه الغاية سيشاغل جبهة العدو ويحصرها في مكانها بقوته الصغرى بينما يقوم بقوته الكبرى بمناورة التفافية حول ميسرة العدو القصوى ومؤخرته . وهذه الحركة الالتفافية هي حركة تمهيدية لهجوم معظم القوة على جناح العدو ـ الذي يتم لنا الالتفاف حوله ـ هجوماً فاصلا .

---

(۱) إن خنادق الخط الثاني لم يكن قد تم حينئذ منها سوى بعضها .

واسط حطتي هذه بكلام آخر وهي أننا سنهجم على احد جناحي العدو ـ أي على ميسرته أو جناحه الشرقي ـ وهو الهدف الذي تتوجه اليه هجمات جميع القوات المستقل بعضها عن البعض الآخر ونجعل هذا الهدف قبل الانفتاح بحيث تكون المسافة بين كل قوة واخرى من جميع هذه القوات على مدى مدفعية الصحراء المؤثر

الهجوم التمهيدي :

٣ ـ الرتل « ج »

القوة الصغرى بقيادة أمير اللواء « هوتن »

لواء المشاة ١٧ (ما عدا نصف فوج) .
وقطعات الفرقة .
ولواء مدفعية الصحراء العاشر (ما عدا البطريتين) .
والبطرية ٨٦ من بطريات الحاميات .
والفنية ٤٨ .



الجنود التركية المحاصرة كوت الامارة

وسرية النسافة ١٧ .
وجهاز تلغراف لاسلكي واحد يحمل على ظهور الحيوانات .
وسرية خيالة الفرقة .
وحضيرة مستشفى سيار بريطانية واحدة .
وحضيرتا مستشفى سيار هنديتان .

ويزحف الرتل « ج » الساعة ٢ بعد ظهر اليوم على طريق بغداد ويواصل الزحف إلى أن يصل المربع « ي ٤ » . ويزحف أمير اللواء « هوتن » على جبهة عرضها ١٥٠٠ يرد أو عرضها ميل واحد . وعليه أن يبذل كل ما في وسعه للتظاهر بقوته . ويجب أن تستند ميمنته إلى خط التلغراف .

وقت الهجوم

يهجم الرتل « ج » عند بزوغ الفجر في ٢٢ تشرين الثاني ويتقدم ويشرع في الهجوم هجوماً تمهيدياً على جبهة العدو على ذلك القسم من خط العدو الاول الذي يمتد من وسط المربع « ط ٤ » إلى مسافة ١٠٠٠ يرد . ويتقدم نحو العدو إلى أن يصبح على مسافة مدى البندقية الطويل إذا استطاع وذلك بمعونة النسافة والمدفعية . ولا تنحصر مهمته في حصر العدو في موضعه فحسب بل عليه أن يتظاهر بالقوة كل التظاهر لايهام العدو بقوته وحمله على نقل قوات احتياطية إلى هذا المحل الذي تتهدده . وينبغي له أن يستفيد من جميع الترع اليابسة والخلجان التي حفرها الماء وعوارض الارض لرسخ قدمه على مقربة من العدو بحيث لا يستطيع الترك زحزحته من مكانه .

ولا يهجم امير اللواء هملتون هجوماً فاصلا قبل أن يرى القوة الكبرى أو قوة الاحتياط العام بقيادة الفريق ديلامين تزحف إلى الامام . وبعد أن يستولي امير اللواء هملتون على مدفع العدو يزحف زحفاً شاملا إلى الجنوب لاعانة الاسطول النهري على عبور الخليج الجديد المحفور في النهر في المربع « ي ٦ » .

اربعة مدافع قطر كل منها و ٤,٧ موضوعة على سفن الخيل . ومدفعان من بطريـة المدافع الثقيلة ٨٦ وقطر كل مدفع ٥ عقدات .

تنبيه : وضع المدفعان اللذان بقطر ٥ عقدات على « بارجات » تصحب الاسطول النهري .

٤ ـ يعاون الاسطول النهري القوة من النهر في الهجوم على موقع العدو على الصورة التالية : ـ

تساعد مراكب الاسطول النهري الحربية والمدافع البحرية بقطر ٤,٧ العقدة والمدفعان بقطر خمس عقدات الموضعان على « البارجات » القوة من النهر بحيث تتخذ هذه المراكب موقعها إلى الجبهة الجنوبية الشرقية من البستان في المربع « ك ٤ » اما منطقة حركات المدافع البحرية التي بقطر ٤,٧ العقدة ومراكب الاسطول النهري الحربية والمنطقة التي تتخذها هذه المدافع هدفاً لصب نيرانها عليها فهي ذلك القسم من موقع العدو الواقع إلى الجهة الجنوبية الشرقية من المحل الذي يقطع فيه طريق بغداد المربع « ي ٥ » . وعلى هذه المدافع أن تعين موضع جميع مدافع العدو وتطلق نيرانها على تلك المدافع التي تصب نيرانها ضمن هذه المنطقة ، وكذلك عليها أن تفسح المجال للمدافع لترمي مقذوفاتها على كل قطعة من قطعات المشاة سواء كانت زاحفة ام متقهقرة وأن ترقب مراقبة دقيقة كل حركة يتقدم بها المشاة على ضفة النهر اليمنى نحو جسر قواربنا . واما أمر المطاردة فموكول بالكلية إلى الضابط البحري الأقدم فهو حر حينئذ في اجراء العمل الذي يراه موافقاً .

الهجوم الالتفافي . الرتل « ب »

بقيادة أمير اللواء « هملتون
لواء المشاة الثامن عشر
والبطارية ٦٣ من مدفعية الصحراء
وحضيرة مستشفى سيرا بريطانية

و ٣ حضائر مستشفى سيار هندية
وجهاز لاسلكي واحد يحمل على ظهور الدواب .

مهمة القوة القائمة بالهجوم الالتفافي

رتل الخيالة .

بعد مرور ردح من الزمن على الشروع في القتال تهجم القوة الالتفافية التي يعاونها رتل الخيالة متحركات على جناحها الخارجي (على مسافة ميلين) على ميسرة خط خنادق العدو الثاني ومؤخرته وعلى هذه :

بقيادة الفريق الثاني
« السر جارلس ميلس »
القطعات
لواء الخيالة (بقيادة امير اللواء روبرتس)
وبطرية « مكسيم »
والفوج البنجابي ٧٦
وحضيرة الرشاشات
وجهاز تلغراف لاسلكي يحمل على ظهور الدواب ورتل عتاد لواء الخيالة ومستشفى سيار لواء الخيالة

الصورة تقاتل احتياط الترك العام وتطرده من ساحة القتال . ويقتضي القيام بهذا الهجوم الالتفافي باقدام وشدة وحزم على أن لا يحول حائل دون هذه القوة مهما كلفها الأمر وتسعى هذه القوة إلى هدفها مارة في وسط معسكر قرية القصيبة الواقع على ضفة النهر . وهذا المعسكر واقع وراء خط خنادق العدو الثاني . اجل ان رتل الخيالة واللواء الثامن عشر المختلط قوتان مستقلتان ولكن على آمري هاتين القوتين أن يتعاونا في الحركات كل التعاون ويتفاهما فيها كل التفاهم ويعضد احدهما الآخر عضداً متبادلا ويتوخيا غاية واحدة .

وينبغي لرتل الخيالة أن يجهز على خط خنادق العدو الثاني باطلاق النار الجنبية والنار الخلفية التي تصبها المدفعية الثقيلة بحيث لا يطيق العدو البقاء في ذلك الخط . وأن يؤول تأثير هذه النار إلى تقهقر حامية خط الخنادق الاول عندما يسمع العدو اصوات قصف مدافعنا من ورائه .

وينبغي لامير اللواء هملتون ـ آمر القوة المهاجمة هجوماً التفافياً ـ أن يشرع في الهجوم الساعة ٧:٣٠ قبل الظهر : اي بعد أن يمر ردح من الزمن على شروع الرتل « ج » في هجومه على جبهة العدو .

٦ ـ قائد القطعات الفريق الثاني « ديلاميں »
لواء المشاة السادس عشر
وبطرية الصحراء ٨٢
ومدافع هانتس القصيرة ٥/١
ونصف سرية النسافة ٢٢
ونصف اللواء الثلاثين بقيادة الزعيم « كلايمو » .
وفوج « الغركة »٢/٧
ونصف الفوج البنجابي ٢٤
وحضيرتا مستشفى سيار بريطانيتان
وثلاث حضائر مستشفى سيار هندية

مهمة القوة الكبرى ـ اي الاحتياط العام

تزحف القوة الكبرى للهجوم على مقتل العدو الذي أشرت اليه على الخارطة بالحرف « م » وذلك بعد صدور أمر قائد الفرقة اليها بذلك . وسيظل أمر هذه القوة الاحتياطية منوطاً توا بقائد الفرقة إلى أن تشرع في الهجوم . وليعلم الجميع أن زحف الاحتياط العام ـ اي القوة الكبرى ـ ايعاز إلى جميع القطعات أن تشرع في القتال فتزحف على العدو . وعلى مدافع الفرقة والاحتياط العام ـ اي القوة الكبرى ـ أن تبذل كل ما في الوسع في صب وابل القنابل على مقتل العدو لتشق طريقاً لزحف القوة الكبرى التي تضرب العدو الضربة القاضية وبذلك يتم لنا الانتصار على العدو .

الحركة التي يقتضي القيام بها حينما يهجم العدو هجمة معاكسة وهلم جرا .

٧ ـ إذا هجم العدو هجوماً معاكسا على قسم من اقسام القوة فما على ذلك

القسم سوى الثبات ازاء هجمة العدو لأن هجوم الاحتياط العام سيزداد شدة وفور هذا الاحتياط في هجومه على مقتل العدو يعني فور جميع القطعات في جميع انحاء ساحة القتال .

وإذا اتفق أن قطعة من القطعات شردت عن الطريق في الظلام تستطيع تلك القوة نهاراً من معاونة القوات الثلاث القائمة بالهجوم العظيم العام على جناح العدو ومؤخرته .

وعلى جميع الأمرين حث الضباط والجنود على القيام بالواجبات التي يتطلبها منهم مليكهم وبلادهم في هذه الساعة العصيبة لأن اخبار الوقعة المقبلة قد انتشرت في « لندن » و « سلمة » . وليعلموا أن الترك المدربين تدريباً ناقصا والافواج التي ينقصها الضبط لم يثبتوا قط إلى الآن ازاء حملات الحراب الصادقة لذلك يجب أن ينطوي هجوم الجميع على الشدة والحزم . وقد اصدرت الاوامر المتعلقة بمطاردة الخيالة للعدو على حدة .

المثاب

٨ ـ قد عينت المثابات التي تجتمع فيها القوة الكبرى وقوة الالتفاف ورتل الخيالة وبلغت آمري هذه القوة اسماء تلك المثابات على صورة سرية . وهؤلاء الأمرون سيتخذون التدابير التي يرونها لتعيين تلك المحلات التي ستصلها القطعات تحت جنح الظلام في هذه الليلة . وتسير جميع القطعات كانها كتلة واحدة بقيادة الفريق الثاني ديلامين بحيث تسير اولا إلى الموضع الذي تتخذه القوة الكبرى ويتقدم بعد ذلك باقي القطعات سائرة على الدرب أو الترعة اليابسة . فتصل قوة الالتفاف مثابها الواقع على مسافة ثلاثة اميال إلى ما وراء مثاب القوة الكبرى ثم تستأنف قوة الطيران سيرها إلى الموضع الذي يتخذه الفريق « ميلس » . ويجب بذل جميع الوسائل المتيسرة للتستر ولكنني ارى انهُ لا بد من شعور دوريات العدو بحركتنا هذه إذ لا مفر لنا من ذلك .

الطائرات

٩ - يتلقى آمر الطائرات وصايا خاصة تتعلق بالمهمة التي تقوم بها الطائرات في المعركة وينحصر واجب الطائرات الاهم في معرفة الجهة التي يتقهقر فيها معظم قوة العدو في ساحة القتال . وعليها كذلك أن تستطلع حركات العدو للوقوف على النجدات التي ترسل من بغداد لمساعدة العدو ومعرفة كل حركة يتحركها العدو على الضفة اليمنى .

رتل عتاد الفرقة

١٠ - يوزع رتل عتاد الفرقة وفقاً للاوامر التي يصدرها آمر مدفعية الفرقة على الوجه التالي : -

لواء الخيالة . رتل العتاد مع رتل الخيالة .

رتل عتاد الفرقة (القسم البري منهُ) .

مع الرتل « ب » . (بطارية الصحراء ٦٣) ٩ عجلات كبيرة .

مع الرتل «أ» . (المدفعية ٦٢) ٥ عجلات كبيرة و ١٠ عجلات صغيرة .

و (بطارية مدافع هانتس القصيرة ١/٥) ١٢ عجلة صغيرة مع الرتل « ج » . (بطارية الصحراء ٧٦) ٤ عجلات كبيرة و ١٠ عجلات صغيرة .
القسم النهري (في اللج) .

القسم الطبي

١١ - يعين آمرو الارتال المحلات الامامية لتضميد الجروح . وينقل الجرحى إلى الخيام المضروبة للمستشفى السيار .

مقر الفرقة .

١٢ - ينضم في اللج الساعة ٣ بعد الظهر وينفتح مع قطعات الفرقة التي مع

الرتل « ج » في تلك الساعة . ويتخذ مقر الفرقة اثناء القتال موضعاً له بالقرب من مدفعية الفرقة في مؤخرة الجناح الايمن للرتل « ج » .

الارزاق

١٣ ـ يحمل الجندي ارزاق يوم كامل فضلا عن الارزاق الاحتياطية مع ما يستطيع حمله من الماء . ويحمل قطار الفرقة للوحدات طعام يوم واحد ويترك في اللج ويعهد بحراسة هذا القطار إلى اصغر حرس امتعة يستطاع تعيينه بحيث يؤخذ هذا الحرس من الجنود الضعفاء .

حرس قطار الفرقة وغيره

١٤ ـ يتألف حرس قطار الفرقة والسفن التي في اللج من نصف فوج المشاة الخفيف ١٠٣

الرئيس ب. ج بيل
عن الزعيم رئيس اركان الفرقة

أوامر الحركات المتعلقة بالانسحاب إلى الكوت

اوامر الفرقة السادسة

الامر ٦٧

الانباء المتعلقة بالعدو

١ ـ تقهقر العدو إلى موضع محصن اعده على نهر ديالى وإلى موضع آخر واقع في الجهة الشرقية ـ اي على هذا الجانب من نهر ديالى . وهو منهمك في التحصن في هذا الموضع الآن . وقد بات معظم قوة العدو على مسافة تسعة اميال منا .

نية قائد الفرقة

٢ ـ لذلك يرى قائد الفرقة أنه قد كفاه انتظاراً في اسوأ المواضع التي

يتصورها العقل من حيث التعبئة وسوق الجيش وأن الاسباب السياسية ليست كافية لحمله على المخاطرة بقوته . فعليه قد عقد العزيمة على السير إلى اللج غدا الساعة ٣٠ : ٤ قبل الظهر فيصبح هناك في مأمن من وجهة التعبئة ويستطيع انتظار النجدات وقافلة العتاد والطعام في ذلك الموضع .

٣ ـ تسير الفرقة إلى اللج في رتل واحد . وسيعين ضابط الركن من الدرجة الثالثة محل الشروع في السير في الطريق على مسافة نصف ميل إلى شرق المعسكر .

نظام المسير : ـ

(أ) رتل « ب »[1] . (يمر راس هذا الرتل في محل الشروع في السير الساعة ٣٠ : ٨ قبل الظهر) .

(ب) قطعات الفرقة ـ اي سرية النسافة ١٧ والتلغراف اللاسلكي المحمول على ظهور الدواب .

(ج) فرجة الف يارد .

(د) الرتل « أ » (ما عدا اللواء المختلط) .

الساقة . لواء مختلط من الرتل « ا » ولواء الخيالة .

الميسرة . كذلك سرية مختلطة من الرتل « ب » توضع في الميسرة الساعة ٣٠ : ٨ قبل الظهر .

٥ ـ قطار الفرقة . يشمل هذا القطار جميع الخيام المختصة بالفرقة والمستشفى السيار وتتبعها البطارية الثقيلة ٨٦ .

ويجتمع هذا القطار في المحل الذي يشرع منهُ في السير في الساعة ٤٥ : ٦ صباحاً ويسير على نظام رتل المسير الساعة ٧ صباحاً بحيث يسبق معظم القوة مسافة ثلاثة اميال .

---

(١) ما عدا الفنية ٤٨ وثلاث سرايا مضاعفة .

الحرس نصف فوج من الرتل « ب »

والفنية ٤٨

ورعيل من خيالة الفرقة

مقر الفرقة

٦ ـ يسير مقر الفرقة في رأس الرتل « أ » مع باقي سرية خيالة الفرقة .

القسم الطبي

٧ ـ يعين فرعا نقالين من فروع المستشفى السيار للرتل « أ » وفرع واحد للرتل « ب » . ويجب أن يعين ٨ نقالين لكل وحدة مشاة لاكمال قوة هذه الوحدات . وعلى هؤلاء النقالين أن يذهبوا في الساعة ٧ صباحاً إلى آمر القسم الطبي الموجود في معسكر العراء للمستشفى السيار ليتلقوا منهُ الاوامر المتعلقة بهم .

الوقوف والعسكرة في العراء . في ٢٦ تشرين الثاني

يسبق معاون مدير الميرة القوة إلى اللج ليعد المعدات للعسكرة في العراء وقد ربطت بهذا خريطة لذلك المعسكر .

الرئيس . ج . ب . بيل
عن الزعيم رئيس اركان الفرقة .

أوامر الفرقة السادسة

الامر ٧٠

في ٢٩ تشرين الثاني

تنظيم الفرقة

ترتب القوة للقتال مرة اخرى في الوية مختلطة ولواء خيالة على ما جاء في أمر

الفرقة الصادر في ٤ تشرين الثاني مع بعض التعديل هكذا :

اللواء السادس عشر المختلط	لواء المشاة السادس عشر وبطرية الصحراء ٨٢ ونصف سرية السافة ٢٢ وثلاثه فروع نقالين من المستشفى السيار الثاني .
اللواء السابع عشر المختلط	لواء المشاة السابع عشر ونصف سرية النسافة ١٧ وفرعا نقالين من المستشفى السيار الثاني وبطرية مكسيم
اللواء الثامن عشر المختلط	لواء المشاة الثامن عشر وبطارية الصحراء ٦٣ ونصف سرية النسافة ٢٢ وفرعا نقالين من المستشفى السيار ١٠٦
اللواء الثلاثون المختلط او قوة الاحتياط العام	لواء المشاة الثلاثون (ويشمل جنود فوج « رويال وست كنت » والفنية ٤٨) ولواء مدفعية الصحراء العاشر (ما عدا بطريتين) وفرعا نقالين من المستشفى السيار ١٠٦ وبطرية مدافع هانتس القصيرة ١/٥ (ملحقة بلواء المدفعية العاشر)

لواء الخيالة . (وقد انضمت اليه كتيبة « الهزار » ١٤ ومستشفى سيار لواء الخيالة) .

٢ - يقتضي على الفور تنظيم القوة على هذه الصورة وبعد الخروج من العزيزية يجب أن تعسكر الالوية المختلطة في العراء معاً .

قطعات الفرقة

٣ - قطعات الفرقة : -

سرية من كتيبة الخيالة ٢٣ .

والبطرية الثقيلة ١٠٤ (ما عدا حضيرة واحدة) .

والبطريـة ٨٦ (اذا تيسرت) .
ورتل عتاد الفرقة (القسم البري و ٨ بارجات من القسم النهري) .
والمدافع التي بقطر ٤,٧ العقدة .
وجهاز تلغراف لاسلكي (يحمل على ظهور الخيل) .
وجهاز تلغراف لاسلكي يحمل على ظهور الدواب وجهاز يحمل على عجلات كبيرة (اذا تيسر ذلك)
وقطار الجسر .
وحضيرة النور الكشاف .
وسرية مخابرة القوة .
ومستودع العينة الامامي .
والطائرات .
وفرع نقالين من المستشفى السيار الاول .
وفروع الخيم من المستشفيات السيار ١ و ٢ و ١٠٦ .

الرئيس ب . ج بيل
عن الزعيم لرئيس اركان الفرقة

وصايا تمهيدية للدفاع عن كوت الامارة

(انقلها عن دفتر اوامري بتاريخ ٢ كانون الاول السنة ١٩١٥)

القسم الشمالي من خط الحصون الخشبية مع

معاقل وخط ثان لذلك	بقيادة الفريق «ديلامين» آمر اللواء ١٦
القسم الشرقي ويشمل الحصن	بقيادة امير اللواء «هوتن» آمر اللواء ١٧
القسم الجنوبي	بقيادة أمير اللواء « هملتون » آمر اللواء ١٨
الاحتياط العام	اللواء الثلاثون في بلدة الكوت بقيادة الفريق « السر جارلس ميلس »

وطلبت من آمر قسم الهندسة أن يعد لي قائمة بمدخرات الهندسة على اسرع

ما يستطاع . وكذلك رغبت في الوقوف على المقدار الموجود عندنا من مواد الاعاشة من الزعيم « انسلي » . وطلبت من الزعيم « جتي » معاون مدير الميرة أن يطلعني على المقدار الموجود من عتاد المدافع والبندقيات .

أمر إلى آمر قسم الهندسة :

يجب نقل جسر القوارب التركي القديم من اسفل النهر تحت الحصن إلى الكوت ويمد فوق النهر في الكوت نفسها لاتمكن من نقل الجنود إلى الضفة اليسرى عندما اشأ ذلك . ويقتضي انشاء رأس جسر قوي على الضفة اليسرى لحماية الجسر بحيث يتألف ذلك الرأس من ثلاثة معاقل تكون المسافة بين المعقل والآخر ثمانمائة يارد وتكون المعاقل على مسافة نصف ميل من ضفة النهر .

وعلى أمير اللواء آمر المدفعية أن يرفع إلي على الفور تقريراً يبحث في تعيين خير المواقع لوضع المدافع الثقيلة ومعظم المدفعية فيها بحيث تستطيع المدافع أن تصب ناراً شاملة شديدة على المنافذ التي يحتمل دنو ذلك العدو منها .

وعلى لواء الخيالة أن يرتاد البلاد لجمع المواشي في اليومين التاليين .

ويجب مصادرة جميع الحبوب وغيرها من مواد الاعاشة الموجودة عند تجار الكوت وطرد جميع سكان البلدة العرب والاحتفاظ بعشرين شخصاً من وجوه هؤلاء العرب بمنزلة رهينة عندنا .

وعلى اللواء الثلاثين أن يعين مفرزة شرطة قوية للمحافظة على الامن في البلدة .

وأن تؤلف سرية اطفاء لمكافحة النار التي يحتمل شبوبها في البلدة .

ويجب خزن العتاد ومواد الاعاشة في مخازن منفصل بعضها عن البعض الآخر وأن تخزن في اماكن متعددة مختلفة .

ويجب استخدام جميع حوذية النقلية من سكان البلاد والتوابع منهم في جرش الحبوب بالمجاريش البلدية .

وعلى لواء الخيالة أن يعسكر في الضاحية الشرقية من ضواحي البلدة .

فهذه كانت الوصايا الاساسية التي دونتها بقلم الرصاص ودفعتها إلى الزعيم « ايفانس » ليهذب صيغتها وينشرها بمنزلة أوامر حركات لكي يعمل بها عند وصولنا الكوت . وعلى ما اعلم لم يكن في الكوت خنادق ولكن كان فيها بقعة مسورة تسمى « حصناً » يستفاد منهُ في مقاتلة العرب وكان كذلك في الكوت خط معاقل خشبية انشأها الفريق « غورنج » .

وسيعلم القارىء أنني لم اتمكن من انشاء جسر في الكوت له رأس قوي يحميه لأنه لم يكن هنالك وسيلة من وسائل الدفاع وكانت قوى جنودي منهوكة حتى أنهم لم يتمكنوا من القيام بعمل مدة يومين غير النوم والاكل . فلو تمكنت من استخدام الضفة اليمنى مع انشاء رأس جسر نستطيع الدفاع عنه لقمت بمدافعة فعلية اي بحركات دفاع وتعرض ولتغير سير الامور كل التغير .

الباب الرابع

(حصار الكوت)

الفصل الاول

(الدفاع عن الكوت)

كنت ابان انسحابي إلى الكوت عاقداً النية على الثبات في ذلك الموقع وعدم الانسحاب منه . وتنحصر الاسباب التي حملتني على الاعتصام في الكوت في الامرين التاليين :

(أ) اسباب سوق الجيش . إنني باعتصامي في الكوت الواقعة على ملتقى نهري دجلة والحي حلت دون زحف الجيش التركي السادس لأن زحفه متوقف على وسائل النقل النهرية وشأنه في ذلك شأن البريطانيين . اما نهر الحي فيصل دجلة بالفرات في موضع الناصرية المهم الواقع على مسافة ست مراحل فقط من البصرة . وما دامت بواخر الترك و « معوناتهم » لا تستطيع المرور في النهر هناك من جراء النيران التي تصبها مدافعنا عليها يظل العراق آمنا شر غارات العدو لانه لم يكن لدينا جنود تمنع المشير « فوندر غولتس » من اتخاذ خطة التعرض وطرد البريطانيين من العراق . وكان « فوندرغولتس » قد وصل العراق ومعه بعثة كبيرة مؤلفة من ضباط اركان الجيش الالمانيين وتسلم قيادة الجيش التركي السادس .

(ب) وثانياً أن ثباتي في الكوت يمكن « السر جون نكسن » من جمع شراذم النجدات التي ترده ولم شعث تلك الوحدات المتفرقة التي كانت ترسل من البصرة وجعلها كتلة واحدة توضع في العمارة وإلى الشمال منها وذلك فضلا عن صد تيار التعرض التركي المعاكس وكذلك مكنت « السر جون نكسن » من حرية العمل والمناورة. فعلى هذه الصورة تصبح فرقتي نوعا ما بمنزلة قوة تستر تجمع القطعات

الجديدة غير انهُ يتحتم على قوتي أن تقاتل العدو مع أن اصول الحرب تقضي بأن لا تقاتل القوة الساترة على الاطلاق بل تراقب كلما يستطاع مراقبته من ساحة القتال على ما يستوجبه التبصر والحذر ثم تقفل راجعة للانضمام إلى القوة التي تسترها بحيث تتجمع مفرزاتها المنتشرة إلى الوراء ابان انسحابها . ولا يجوز على الاطلاق أن تفسح القوة الساترة المجال للعدو ليقاتلها ويحصرها في مكانها . ولنا مما وقع لـ « ماك » في « اولم » عام ١٨٠٥ مثال لابادة القوة التي تثبت في مكانها لمقاتلة العدو . ولكن حالتي تختلف عن حالة « ماك » . لأنني ارغمت بعد وقعة دامية على التقهقر إذ لم اتمكن من الثبات في ساحة قتال مكشوفة نظراً إلى قلة عدد جنودي . وقضي علي بأن احول الكوت إلى معسكر محصن .

ولم يرو لنا كتاب من الكتب التاريخية التي وصلتنا انهُ يتحتم على القوة أن تحصر نفسها في معسكر محصن الا إذا عول قائد القوة كل التعويل على دنو النجدات منهُ أو اذا كان قريباً من قائد الحملة بحيث يسهل عضده كما كانت حال « ولنغتون » في طورش فيدراس في بلاد البرتقال حيث كان مستنداً إلى ثغر لشبونة القريبة منهُ وكان الاسطول يعضده . ففي هذه الحالة تكون القوة الساترة مستندة إلى قوة اخرى فلا يضعفها التقهقر وفضلا عن ذلك يحتمل ايقاف حركات العدو مدة . وقد تمكن عثمان باشا بتحصنه في « بلينة » من شل زحف الجيش الروسي . فباعتصامي في الكوت لم يتمكن الترك من استخدام نهر الحي للانتقال إلى الناصرية فلو استولوا على الكوت لسهل ذلك عليهم . ولتمكن « فوندر غولتس » بعد وضع قوة صغرى لمحاصرة الكوت من تحويل قوته الكبرى إلى الناصرية المعتصم فيها أمير اللواء « بركنغ » بمفرزة صغيرة مختلطة مؤلفة من فوجين أو ثلاثة افواج لا تستطيع الثبات في وجه القوة التركية الكبيرة . ولو زحف من الناصرية على البصرة لالتف حول الموضع البريطاني الواقع على دجلة فارغمنا على الجلاء عن العراق . وفضلا عن حركة سوق الجيش الالتفافية هذه لتمكن « فوندر غولتس » على الدوام من التقهقر إلى بغداد بطريق الفرات .

لذلك عقدت العزيمة على الدفاع عن الكوت كالمدافعة عن خط نهري ـ اي

بالمناورة على موقع مركزي . ونويت أن استخدم معسكري المحصن محورا للمناورة بعد بانشاء جسر على صورة مستعجلة وراس جسر محصن الممكن من نقل قوتي الكبرى إلى كل ضفة من ضفتي دجلة بتعرض اقوم به على كل قسم منفصل من قوة العدو . اي أنني اقوم بمناورة في القتال كأنني اقاتل قتال هجوم ودفاع .

فلو كان جنودي قادرين على العمل وتمكنوا من مد الجسر فوق دجلة قبالة بلدة الكوت لاستطعت أن ادافع مدافعة فعلية ـ اي أن اقاتل قتال هجوم ودفاع .

فلو رتبت القوة على هذا الترتيب لتغير مجرى الامور كل التغير . ولتمكنت من صد العدو صداً اكبده فيه خسارة جسيمة أو بالاحرى لكسرته شر كسرة ولما خارت لقطعاتي عزيمة . ولتمكنت كذلك من الجلاء عن الكوت اذا اقتضى الأمر وتراجعت إلى القوة التي كانت تدنو مني لنجدتي فاعانتني حينئذ تلك القوة على العدو .

وكان من المحتمل أن « فوندر غولتس » المتخصص في فنون سوق الجيش يترك قوة صغرى تعادل قوتي على وجه التقريب لمشاغلتي وايقافي في مكاني ويمر بقوته الكبرى حول الكوت شمالا ويحتمل الموقع المحصن المهيأ له في السن والواقع على جانبي دجلة وعلى مسافة ستة اميال جنوباً فيقاتل القوة القادمة لنجدتي . وكنت اطلب من الله أن يحاول الترك الاستيلاء على الكوت بتعرض فجائي ولكنني كنت ارجح حينئذ أن « فوندر غولتس » لا يرتكب هذا الخطأ بمهاجمة موقع محصن بل يجهل ضعف الكوت ويعتقد أنها موقع محصن نظراً إلى اختفاء الخنادق الحديثة . والحق يقال انهُ لم يكن في الكوت خندق واحد حين وصولي اليها . وكل ما فيها من وسائل الدفاع كان خطاً مؤلفاً من ثلاثة أو اربعة حصون خشبية صالحة للحروب غير المنتظمة وواقعة على الضفة اليسرى على مسافة نحو من ٢٠٠٠ يارد إلى شمال البلدة وبقعة مسورة بسور من اللبن تسمى « حصناً » واقعة إلى الجهة الشمالية الشرقية من ضفة النهر وعلى مسافة ٢٨٠٠ يارد من البلدة وكذلك لا يصلح هذا الحصن الا للحروب غير المنتظمة . وكان جسر القوارب التركي القديم على مسافة سبعمائة يرد إلى جنوب البلدة . واقتضى الأمر هدم تلك

الحصون الخشبية المشهورة على جناح السرعة لأنها كانت خير اهداف لمدافع العدو .

وقد علمت من مطالعة التاريخ العسكري حق العلم بمصير القوة التي تحصر نفسها في معسكر أو موقع محصن ومثال ذلك مصير « بازان » في « متس » و « ماك » في « اولم » و « عثمان باشا » في « بلينة » . ونكاد لا نقرأ في التاريخ العسكري عن قوة تمكنت من التخلص من المكان المحصورة فيه بمجرد اعتمادها على نفسها اذا لم يتمكن الجيش القادم لنجدتها من فك الحصار عنها وكنت مخيراً في الانسحاب إلى « السن » على مسافة ستة اميال إلى اسفل الكوت حيث لم تزل خطوط الدفاع باقية على حالها ولكن تلك الخنادق كانت متجهة إلى عكس الجهة المطلوبة وكانت ممتدة على مسافة ستة اميال على الضفة اليسرى (اي على جبهة تقتضي أن يشغلها فيلقان) وعلى مسافة ثلاثة اميال على الضفة اليمنى (اي على جبهة تقتضي أن يشغلها فيلق واحد) . فكان من رابع المستحيلات علي والحالة هذه أن اشغل تينك الجبهتين وليس لي من القوة سوى ٧٠٠٠ جندي ماش اعياهم التعب - أو عشرة آلاف مقاتل من جميع الصنوف والوحدات ويشمل ذلك الحامية التي وجدتها في الكوت حين وصولي اليها وكانت مؤلفة من فوج ونصف فوج . وعلى كل حال استحال علي الانسحاب من الكوت لأن التعب كان قد اضنى قطعاتي حتى أن الجنود ارتموا على الارض ولم يتمكنوا من القيام بعمل من الاعمال مدة يومين سوى النوم والاكل . فبات أمر انسحابي من الكوت إلى السن في مثل هذه الاحوال بجميع تلك الكميات الكبيرة من الارزاق والعتاد من رابع المستحيلات اذ لم يتيسر لي شيء من الطعام على هذا الجانب من العمارة سوى ما كان مخزوناً في الكوت . فلو اتخذت لي موقعا في السن لاحاط بي العدو وسحقني بكثرة عدده في وقعة فاصلت اثارها علي بعد ثلاثة أو اربعة ايام . أو لزحف الترك تواً إلى الشيخ سعد من الكوت والتفوا حول موقعي في السن . واختم البراهين التي اوردها في هذا الموضوع فاقول أننا لو انسحبنا إلى السن لما استطعنا البقاء هناك نظراً إلى عدم تيسر الطعام لنا ولهلكنا جوعاً بعد انقضاء اسبوع علينا هناك .

وفي ٤ كانون الاول وهو الصباح التالي ليوم وصولي الكوت ـ ابرقت البرقية التالية إلى رئيس اركان الحملة بالبصرة حيث كان « السر جون نكسن » مفيها حينئذ : ـ

« إنني اسعى لتحويل الكوت إلى معسكر محصن على قدر الاستطاعة في الوقت المتيسر لي . وقد باتت مقدمة العدو على مسافة عشرة اميال منا ومعظم قوته على مسافة خمسة اميال وراء مقدمته . وقد بلغنا أن « فوندر غولتس » مقيم ببغداد الآن وهو قائد الجيش التركي السادس المؤلف من ست فرق . فاتوقع أن يلتف فوندر غولتس حول هذا المكان فيترك قوة ترصد في الكوت لحصري . ويحتمل أن القوة القادمة لنجدتي تقاتل العدو في وقعة ثانية تنشب في السن . لذلك قد اعتصمت في الكوت معولا التعويل الاكيد على أن تنجدوني بالقوات الكبيرة التي تصل البصرة الآن . ولا بد من السماح لجنودي بالراحة على الفور نظراً إلى شدة اعيائهم وتعبهم . وفضلا عن ذلك أن بقائي في الكوت يعيق نجدة فوندر غولتس الزاحفة على خط العمارة وعلي الغربي . واذا ارسلتم النجدات متفرقة عبثتم بقاعدة الاقتصاد في القوة فيستفيد فوندر غولتس من عملكم هذا . وقد ارسلت اليكم ثمانمائة جندي بين مريض وجريح » .

ولم اشهد قط في حياتي اعياء الم بالجنود مثل المامه بجنودي بعد وصولي الكوت فمعظم الجنود الهنود لم يستطيعوا الحركة على الاطلاق لذلك امرت الجنود البريطانية بالعمل في ٤ كانون الاول لما شاهدنا مقدمة القوة التركية . فلم اتمكن حينئذ من وضع جسر فوق دجلة لاجعل دفاعي دفاع تعرض وقلت حينئذ لايفانس رئيس اركان الفرقة « أن هذه المسألة ستؤثر تأثيراً شديداً في نتيجة الحركة » . لأنني ارغمت والحالة هذه على أن ادافع مدافعة مستكنة محضة وانسدت في وجهي جميع ابواب الخروج من الكوت وحرمت معاونة القوة القادمة لنجدتي على الضفة اليمنى .

وابرق رئيس اركان الحملة إلى آمر منطقة الكوت أمير اللواء « رمنعتن » من ضباط الهندسة في ٢ كانون الاول يقول : ـ

« المرجو أن تنبىء طاونزند بأن قائد الحملة لا يرى بدا من ترك الحكم في المسافة التي ينسحب عليها له نفسه . وينوي قائد الحملة أن يحشد النجدات في اقصى محل امامي يستطيع بلوغه » .

ولم اتناول هذه البرقية الا في ٤ كانون الاول ليلا ! وذلك من جراء اغفال ضابط من ضباط الاركان واهماله . ولم اعلم بها الا لما ذكرها لي الرئيس « مورلاند » في حديث جرى بيننا .

ووافق قائد الحملة على ثباتي في كوت الامارة وذلك ببرقية بعث بها إلي رئيس اركان الحملة في ٣ كانون الاول عام ١٩١٥ وهي : -

« لقد سر قائد الحملة اذ بلغه أمر عزمك على البقاء في الكوت وهو واثق كل الثقة من أن قطعاتك ستثابر في موقف المدافعة على اظهار الغيرة التي اظهرتها في جميع مواقف التعرض . وسنوفد الامداد لنجدتك على جناح السرعة المستطاعة » .

ونشرت في هذا اليوم عينه البلاغ التالي على القطعات : -

« إني لقد عقدت العزيمة على الدفاع عن الكوت وعدم الانسحاب منها إلى محل آخر . والنجدات توفد على الفور من البصرة لنجدتنا .

« واعلموا أن شرف وطننا وعاهليتنا متوقفان على افراغ كل ذرة من الهمة التي فينا في المدافعة عن هذا المكان . فعلينا أن نتعمق في حفر الخنادق على جناح السرعة فلا تلحق بنا قنابل العدو حينئذ الا الاذى الطفيف . ولدينا كميات وافرة من الطعام والعتاد ولكن على آمري الوحدات أن يقتصدوا في انفاق العتاد ولا يسرفوا فيه بلا جدوى .

« انكم قد قمتم بعمل مجيد بانسحابكم مسافة ثمانين أو تسعين ميلا تحت انوف الترك وعملكم هذا اسطع برهان على شجاعة هذه القوة وضبطها » .

وكذلك اجبت على برقية رئيس اركان الحملة الذي طلب مني فيها ارسال

مفرزة مختلطة إلى الشيخ سعد قلت فيها انني لا استحسن ارسال مفرزة مختلطة إلى الشيخ سعد لأنني لا اتمكن من اطعامها . وإن العدو على وشك الالتفاف حولي لأنه بات على مسافة عشرة اميال فقط مني . وإن التعب قد انهك قوى جنودي فلا يستطيعون التحرك . لذلك يتحتم على القطعات التي تتقدم شمالا أن تمد تلك المواضع بالاعاشة وغيرها .

وفي ٤ كانون الاول الفيت في بيانات قوتي المختصة بالميدان عدد المقاتلين الذين تحت امرتي١٠٣٩٨منهم ١٥٠٥ خيالة ارسلتها في صباح ٦ كانون الاول . وكان المشاة من هؤلاء ٧٤١١ مقاتلا منهم الحامية التي وجدتها في الكوت حين وصولي اليها وكانت مؤلفة من فوج ونصف فوج من الهنود ونصف فوج « وست كنت » الذي انضم إلي في العزيزية اثناء انسحابي . وكان اللواء الثلاثون من الفرقة الثانية عشرة لم يزل منضما إلى فرقتي . وكانت الافواج البريطانية على صورة خاصة ضعيفة جداً اما قطعات الفرقة فكانت كثيرة العدد . وكانت الجبهة التي تحتم علي المدافعة عنها ٢٧٠٠ يارد (اي أن عرض هذه الجبهة كان ميلا واحدا وربع ميل) واقعة إلى الجهة الشمالية الغربية من البلدة . والقاعدة المتفق عليها تقضي بوضع قوة مؤلفة من ثلاثة إلى خمسة جنود في كل يرد من خطوط الدفاع فلنا من هذا انهُ لم يكن لدي من الجنود ما يكفي الجبهة التي ادافع عنها وحدها . وهذا بقطع النظر عن سكان الكوت العرب ومكبس الصوف الواقع على الضفة اليمنى وقد اقتضى الأمر أن افرز فوجاً واحداً لحماية هذا المكبس . وكان لدي من العتاد ثمانمائة اطلاقة لكل بندقية على وجه التقريب ومقدار كاف من قنابل المدافع وكل ذلك مخزون في مخازن[١] .

وفي اليوم الاول لوصولي كوت الامارة رتبت القوة للدفاع على الوجه التالي : ـ

القسم الشمالي بقيادة الفريق الثاني «و.س. ديلامين» اللواء السادس عشر

(١) انظر ملحق الباب الرابع من هذا الكتاب الذي ادمجت فيه بيان عدد القوات ومقدار عتادها .

القسم الشرقي	بقيادة امير اللواء «ف. أ. هوتن»	اللواء السابع عشر
القسم الجنوبي	(ويشمل هذا مدينة الكوت وحامية معمل السوس ومكبس الصوف على ضفة النهر اليمنى قبالة المدينة) بقيادة امير اللواء «و. هـ. هملتون».	اللواء الثامن عشر
الاحتياط العام	بقيادة الفريق الثاني «السر تشارلس ميلس»	اللواء الثلاثون
مدفعية الفرقة	إن هذه المدفعية تحتشد على صورة خاصة عند الاتون .	

وامرت باخراج العرب سكان المدينة الذين لا يملكون منازل فيها ما عدا الذين يوصي حاكم الكوت العسكري بابقائهم فيها . وتسلمت عشرين شخصاً من سكان المدينة احتفظت بهم بمنزلة رهينة لكي يحسن غيرهم السلوك . وامرت بتأليف انضباط (شرطة) عسكري قوي للمحافظة على النظام في البلدة وبتأليف قوة اطفاء لمكافحة الحريق واوعزت بأن توضع جميع العجلات التي نستعملها في رحبة يعينها معاون مدير الميرة وباستخدام جميع الحوذية والتوابع الذين لا عمل لهم في جرش الحبوب بالجواريش .

وامرت جميع رؤساء الدوائر أن يرفعوا إلي تقارير في طلب ما يحتاجون اليه ووسائل ارسال تلك المواد اليهم .

واوعزت إلى رئيس اركان الفرقة وآمر هندسة الفرقة وآمر المدفعية بفحص مواطن الضعف في خطوط الدفاع على أن يصلحوا الخلل الذي يرونه .

وحتمت على آمر هندسة الفرقة أن ينظر في أمر اعداد سقوف للمنازل لا تؤثر فيها القنابل .

وامرت باستخدام سكان البلدة في حفر الخنادق وانشاء الطرق وهلم جرا .

واخترنا بناية صالحة لسكنى المرضى فجعلناها مستشفى .

وكانت خطوط الدفاع ثلاثة وهي : -

١ - خط الدفاع الاساسي . ويمتد على طول خط الحصن والحصون الخشبية .

٢ - خط الدفاع المتوسط .

٣ - خط الدفاع الثاني .

وصدر الأمر إلى آمر قسم الهندسة بأن يرفع إلي بياناً يتضمن جميع مدخرات الهندسة الموجودة في الكوت على جناح السرعة المستطاعة بحيث يشمل ذلك البيان ما بقي من مواد الجسور بعد الانسحاب .

وكذلك امرت بأن ترفع إلي بيانات بالموجود من مواد الاعاشة بحيث تشمل تلك البيانات مواد الاعاشة المتيسرة في البلدة مما يجب مصادرته . وكذلك امرت برفع جدول بموجود العتاد . وبخزن مواد الاعاشة والعتاد في مخازن منفصل بعضها عن البعض الآخر .

وامرت بنقل جسر القوارب القديم ومده فوق النهر جنوب بلدة الكوت وانشاء رأس جسر منيع مؤلف من ثلاثة معاقل على الضفة اليمنى لحماية الجسر وستر خروجنا إلى الضفة اليمنى إذا اقتضى الأمر ذلك .

وعزمت على انشاء خطوط تلفونية تصل جميع اقسام خطوط الدفاع بمقر الفرقة فاقتضى الأمر شق بعض اقسام البلدة لمرور هذه الخطوط تقريباً للمسافات .

ونويت أن استخدم البلدة بمنزلة معقل أو ملجأ فندافع عنها خطوة خطوة اذا اقتضى الأمر .

وزودت الزعيم « ايفانس » رئيس اركان فرقتي بالقواعد التالية التي ادافع بمقتضاها عن الكوت . والزعيم « ايفانس » مهندس من اقدر المهندسين ورجل نشاط عظيم فضلا عما يزينه من الصفات السامية الاخرى . وقلت له في أن ينظر في هذه القواعد مع آمر هندسة الفرقة وأمير اللواء آمر المدفعية .

وقررنا بأن توضع قوة في كل منفذ من المنافذ المهمة التي تؤدي إلى موقعنا بحيث تكون تلك القوة كافية للمحافظة على ذلك المنفذ . وابقيت القوة الكبرى ـ اي الاحتياط العام ـ في قبضة يدي مهيأة لتعزيز كل قسم من اقسام الدفاع التي تحميها القوات الصغرى اذا حاول العدوان يحمل على معسكرنا المحصن . ورأينا أن نرتب المدافع على ترتيب المشاة .

وقررنا أن يقوم فوج بحماية المعمل الواقع على ضفة دجلة اليمنى قبالة بلدة الكوت . وكنت مهتماً كل الاهتمام بانشاء ثلاثة خطوط للمدافعة .

واقتضى الأمر أن نحفر جميع الخنادق والمعاقل تحت النار التي كانت تنصب علينا فلو وجدت الكوت محصنة حين وصولي اليها لتمكنت من انشاء رأس جسر محصن على الضفة اليمنى ما عدا الجسر الذي استطيع انشاءه ولتسنى لي بذلك القيام بدفاع تعرض يفوق جداً المدافعة التي دافعتها . ولكنني ويا للاسف ارغمت على الانحصار في مكاني والاكتفاء بالمدافعة المستكنة .

وكان لدي كثير من مواد الاعاشة وإلى القارىء تفصيل ذلك : ـ

للجنود البريطانية	ارزاق ٦٠ يوماً
وللجنود الهندية	ارزاق ٦٠ يوماً
ووقود	يكفينا ٢١ يوماً. وموجود منه على جانب النهر الأخر في معمل السوس ما يكفينا ٣٣ يوماً.
وحبوب	تكفينا ٣٠ يوماً
وعلف	يكفي الحيوانات ١٧ يوماً
و « بسكوت »	يكفينا ٤ ايام
ودقيق	يكفينا ٥٧ يوماً
وطحين هندي	يكفينا ٤٠ يوماً

وكان في الكوت من الطعام ما يكفي سكان البلدة (الذين بلغ عددهم خمسة آلاف أو ستة آلاف نسمة) ثلاثة اشهر خولت الحاكم العسكري السلطة لشراء كل الحبوب الموجودة في الكوت .

وبلغت الضباط الآمرين بأن يكونوا على حذر في ما يقولونه . وقلت له في

بلاعي » أن خير طريقة اخدم بها الحكومة هي أن اعيق حركة العدو في هذه الاثناء وبذلك امكن نجداتنا من الاحتشاد في علي الغربي وهي من المواقع الامامية . لذلك عقدت العزيمة على البقاء في الكوت فاتوقف عن الانسحاب جنوبا . وقد وافق قائد الحملة على عملي هذا . ولا شك في أننا سنلاقي صعوبات جمة ولكن اذا بعث جميع الضباط روح البسالة والرجولة في جنودهم تمكنا من الثبات في وجه العدو واعلموا أنني واثق كل الثقة من حسن المصير . وعلينا بالاقتصاد في العتاد الاقتصاد كله اذ عندنا ٨٠٠ اطلاقة لكل بندقية ونحو من ٦٠٠ قنبلة لكل مدفع . انما ينفق العتاد في الهجوم الليلي بلا حساب . لذلك اوصي الأمرين بأن يحثوا جنودهم على الاقتصاد في بذل العتاد » .

وفي صباح ٥ كانون الاول باكراً تلقيت برقية من رئيس اركان الحملة بعث بها إلي في منتصف ليلة ٤ و ٥ كانون الاول قال فيها أن قائد الحملة نظر في احتمال وضع خطة افضل من الخطة التي وضعتها انا ولكنه لم يرى افضل من خطتي فوافق عليها كل الموافقة . وإن المقر العام يبذل كل ما في وسعه لفك الحصار عني على جناح السرعة يتوقع أن يتم ذلك في مدة شهرين . وذكر لي الامور التالية لابداء رأيي فيها وهي :

إذا حصرني العدو في الكوت فالافضل أن ارد إلى علي الغربي القطعات الراكبة التي استغني عنها مع النقلية وجميع السفن والمراكب الحربية لتسهيل زحف النجدة وتوفير الطعام . وإن احتشاد النجدات سيتم في العمارة مع وضع قوة ساترة في علي الغربي . وسيجتمع اللواء ٢٨ هناك على اسرع ما يستطاع .

ولكن تأجيل نجدتي مدة شهرين لم يوافقني لذلك ابرقت في ٦ كانون الاول اقول أن فك الحصار عني في مدة شهرين يؤول إلى خسارة الفرقة لأن الجيش التركي السادس المؤلف من ست فرق سيحيط بي احاطة السوار بالمعصم قبل أن تتمكنوا من انجادي . فارى الافضل والحالة هذه أن احتفظ بفرقتي بالانسحاب إلى علي الغرب والانضمام إلى القوة الساترة الموجودة هناك واذ اذنتم لي بالانسحاب فلا بد لي من اعداد المعدات لذلك على جناح السرعة المستطاعة .

واذا انسحبنا تمكنت من اخذ معظم العتاد ونقل المدافع الثقيلة معي .

وقلت أن خسارة الفرقة يؤثر اسوأ تأثير في الهند فضلاً عن كونه ضربة قاضية على نفوذنا في العراق . وسألت هل تلقى المقر انباء تتعلق بزحف الروس على بغداد لانهُ اذا قام الروس بهذه الحركة تغير موقفي كل التغير .



الفريق الثاني كيري « قائد فرقة لاهور » الثالثة الذي
حاول فك الحصار عن « السر جارلس طونزند »

فاذا تهدد الروس بغداد حوّل «فوندر غونتس » كل قوته للدفاع عنها وحينئذ لا يبق لي الا مقاتلة قوة تركية صغرى في الكوت تعادل قوتي أو تزيد عليها زيادة طفيفة .

وفي ٥ كانون الاول فتشنا عن السلاح بين العرب سكان البلدة وعقدت العزيمة على ارسال لواء الخيالة إلى علي الغربي للالتحاق بالقوة القادمة لنجدتي وهذه هي مهمة الخيالة الطبيعية . وكذلك امرت بانشاء جسر القوارب على جناح السرعة . وفي ليلة ٥ كانون الاول تم مد هذا الجسر فوق دجلة إلى جانب الاتونات الواقعة إلى الجبهة الشمالية الشرقية من المدينة . وكان هذا الجسر مؤلفاً من بقايا قطار جسرنا ومن جسر القوارب التركي القديم الذي نقلناه من محله تحت « الحصن » .

فارسلت لواء الخيالة إلى ضفة النهر الاخرى في فجر ٦ كانون الاول ومعه عجلات البغال والنقلية والبطرية من بطريات المدفعية الثقيلة على أن يسير هـذا اللواء إلى علي الغربي على الضفة اليمنى بقيادة امير اللواء « روبرتس » . وعند الساعة ١١ قطع هذا اللواء الجسر واختفى عن النظر سائراً في جهة الشيخ سعد وسار على اثره نحو من الف فارس عربي كانوا يهددون جناحه ومؤخرته .

وفي هذا اليوم عينه ارسلت جميع السفن والمراكب الحربية وكل النقلية التي استطعت الاستغناء عنها جنوباً وذلك تسهيلا لزحف القوة القادمة لنجدتي وتوفيراً للطعام في الكوت . ورافق « السر برسي كوكس » هذا الاسطول لأن « السر جون نكسن » استدعاه اليه .

وابرقت إلى « السر جون نكسن » باسماء الضباط الذين خدموني خدمة لا تثمن في المعارك الشديدة التي خضنا غمارها منها وقعة طيسفون والانسحاب إلى الكوت وهم : الفريقان « ميلس » و « ديلامين » وامير اللواء « هملتون » .

وقد قام الضباط التالية اسماؤهم باعمال جيدة : ـ

امراء الالوية « هوتن » و « روبرتس » و « سمث » والزعماء « ايفانس » و « جتي » و « غرير » و « وستاك » والمقدم « هيويت » آمر كتيبة « المزار » ١٤ . واوصيت بوسام « صليب فكتوريا » لـ « ترنج » و « كوفنتري » وكلاهما من ضباط الخيالة الهندية . فانهما نقلا في ليلة ٣٠ تشرين الثاني و ١ كانون الاول رسالة مني إلى « ميلس » ادعوه فيها لمساعدتي . واوصيت بوسام « الامتياز » للملازم الثاني « وود » من ضباط البحرية والملازم « تدوي » من ضباط البحرية . وقد احسن الضباط الآتية أسماؤهم العمل : ـ المقدم « ونسلو » من ضباط قسم الهندسة ، « وغولد فراب » من ضباط المشاة الهندية و « كامبل » من ضباط قسم الهندسة . و « ولسن » من ضباط فوج « غركة » السابع و « موررلاند » من ضباط فوج مشاة « اوكسفورد » الخفيف .

وقلت أنني سابعث باسماء غير هؤلاء من ضباط الاركان وضباط الوحدات

إلا أنني قد وجدت هذه الاسماء مدونة في مفكرتي على صورة خاصة وارى أن لمكافآتهم تأثيراً حسناً جداً لان ذلك يؤ ول إلى تشديد عزائم جميع رجال الفرقة على اختلاف رتبهم .

وتلقيت البرقية التالية من قائد الحملة في ٦ كانون الاول : ـ

« يسرني أن ابعث اليك بهذه البرقية من القائد العام للجيش الهندي وقد تناولتها الآن وهذا نص البرقية : المرجو أن تنقلوا إلى طاونزند وجميع الذين في فرنسا ثنائي العاطر على المهارة والبسالة اللتين ابدوهما في انسحابهم إلى كوت الامارة ذلك الانسحاب الذي تم على احسن ما يرام في وجه قوات تفوقهم جداً بعددها ـ وهنا انتهت رسالة القائد العام للجيش الهندي ـ وقد تلقيت الرسالة الخصوصية التالية من الوطن : أن انكلترا وباريس باسرهما تلهجان بنجاحك الباهر ومأتاك المجيد . ولا بد لهما من ذلك ـ قائد الحملة العراقية » .

واجابة لطلب آمر الطيران سمحت بنقل الطائرات إلى علي الغربي لانهُ قال لي أننا اذا انحصرنا منعت مدافع العدو الطائرات من الطيران عن الارض ودمرتها وهي مستقرة على الثرى . وطلبت من آمر الطائرات هذا أن يتشكف بلا انقطاع حركات العدو بالطيران من المكان الذي يذهب اليه لأنني كنت اتوقع منه أن يحتل موضعه السابق في السن وكذلك طلبت منه أن يستطلع احوال العدو شمالا في جهات العزيزية لمعرفة المدد الذي يأتي من بغداد لتعزيز القوات التركية . فاجاب انهُ يستطيع كل ذلك . ولكن الطائرات لم تزرنا إلى ١٠ كانون الثاني السنة ١٩١٦ سوى اربع مرات طائرة من علي الغربي مع شدة الحاحي في طلب الاستكشاف الجوي إلي شمال الكوت . ولا بد من اسباب وجيهة حالت دون ذلك .

وفي الساعة ٦ بعد الظهر تلقيت البرقية التالية من قائد الحملة جواباً على البرقية التي ارسلتها بذلك التاريخ عينه : ـ

« الأمر الاول . إن فك الحصار عنك في مدة شهرين هو الحد الاقصى الذي عيناه لانجادكم وذلك أننا قد حسبنا المدة التي تنقضي إلى حين وصول آخر

قوة من الجحدات العسكرية التي تردنا والمدة التي قبل الشروع في الزحف العام . والمأمول أن نسرع سير هذه الحركة .

الأمر الثاني . على ما نعلم أن العدو لم يحصرك حتى الآن وكذلك لم يقطع خط النهر . وسيوضع « ينغهسبند » مع اللواء ٢٨ ولواء الخيالة في علي الغربي والشيخ سعد في الاسبوع القادم فيسهل نقل الاعاشة اليك .

« الأمر الثالث . إن الانسحاب من الكوت يفتح طريق شط العرب والحي للترك ولذلك تأثير سيء جداً ولا تقضي الضرورة العسكرية في الوقت الحاضر بهذا الانسحاب . ونرى انك خير حكم في الوجه الذي ترتب عليه القوة لاحتلال الكوت . والظاهر أن الترك لم يقوموا حتى الآن بحركة . فهل ترى انهُ من المحتمل أن الترك قد عدلوا عن القتال في الوقت الحاضر ؟ وليس لديهم سوى خمس بواخر مقابل ثلاثة اضعاف هذا العدد من البواخر التي عندنا ما عدا ما يصلنا منها . فلديك نحو عشرة آلاف مقاتل يقابلهم اثنا عشر الف مقاتل تركي ومدفعيتك متفرقة على المدفعية التركية .

« الأمر الرابع . انك تتكلم عن ست فرق . فهل يشمل هذا العدد الفرقة ٥٢ التي انبئنا بوصولها بغداد في الآونة الاخيرة والفرقة ٢٦ التي يقال أنها بالقرب من الفلوجة ولكن خبر وصولها لم يتأكد إلى الآن ؟ وقد ذكرت في برقيتك العمومية الاولى بالتاريخ ٥ الجاري والعدد ١٠٩ أن امامك ثلاث فرق فأوفد الطائرات لتستطلع ما يجري في بدرة .

« الأمر الخامس . يجب أن يكون انسحابك من الكوت الأمر الاخير الذي تفكر فيه وذلك عند ما لا ترى سبيلا آخر تسلكه . وعلى كل حال نرى الافضل أن تنسحب إلى السن وليس إلى علي الغربي عندما لا يبقى لك مفر من ذلك لكي تصبح امام ينغهسبند . وبلغنا أن الروس اصبحوا في ٤ كانون الاول على مسافة ثلاثة مسيرات (مراحل) من همدان و ٢٣ مسيراً من بغداد وقد ابرق قائد الحملة إلى رئيس اركان الجيش ليعجل زحفهم . ويحتمل أن العدو ينوي مشاغلتك اثناء تجمعه للزحف على الناصرية فهل فكرت في هذا الأمر ؟ وقد بادرنا إلى تعزيز

حامية الناصرية على الفور استعدادا لمقابلة الطوارىء .

« الأمر السادس . لا تنس أن النجدات الكبيرة تصلنا في كل يوم وسيؤثر وصولها تأثيراً حسنا في ولاية البصرة . وقد طلب قائد الحملة فرقة اخرى ومدافع ثقيلة اخرى . وما دمت في الكوت سيظل العدو جاهلا خطتك واعلم انك تقوم بمهمة مبرورة بثباتك في وجه قوات متفوقة عليك

« الأمر السابع . لقد وصلتني برقيتك العامة العدد ١٦٩ . وسيتم حشد القوات في الشيخ سعد وعلي الغربي . فبناء على هذه الامور السبعة جمعاء لا يوافق قائد الحملة على انسحابك إلى علي الغربي »

فيرى القارىء من هذا انهُ تقرر أمر بقائي في الكوت على صورة نهائية . وبعد أن قطع لي قائد الحملة عهداً مطلقاً بفك الحصار عني رأيت اعتصامي في الكوت رأيا صائباً من وجهة سوق الجيش لانهُ لو انسحبت من الكوت لخسرنا العراق باسره . وكانت القوات الواقفة لي بالمرصاد متفوقة علي كل التفوق بعددها فلو قاتلتها في ميدان مكشوف لانكسرت لا محالة .

ونخطىء اذا قلنا أن قوة العدو التي وقفت لقوتي المؤلفة من ١٠٠٠٠ مقاتل بالمرصاد كانت مؤلفة من ١٢٠٠٠ مقاتل فقط . لأن مقدمة القوة التركية التي وقفت ازائي في ١ كانون الاول كانت ١٢٠٠٠ مقاتل وكان وراء هذه القوة قوة اخرى تؤلف معظم الجيش التركي !

ولم افهم مغزى عبارة قائد الحملة « لكي تصبح امام ينغهسبند في علي الغربي » . فلو قال « لكي تنضم اليه » لكان ذلك افضل . لأنني لو انضممت إلى ينغهسبند لكسرنا الترك شر كسرة في المعركة التي تنشب في ميدان مكشوف ولتغير الموقف الحربي كل التغير .

وقد دونت ما يأتي في مفكرتي بتاريخ ٦ كانون الثاني معلقاً على أمر بقائي في الكوت : -

« ومن سيئات الانحصار في معسكر محصن أن هذا المعسكر لا يحمي القوة

المنحصرة فيه من النار لذلك لا تستطيع الجنود التي اعياها التعب الاستراحة فيه كما تستريح في القلاع . وتتمكن بطرية العدو بالانتشار وراء ستر ارضي واطلاق نار غير مصوبة تصويباً دقيقاً من ايقاع الاضطراب والرعب في صفوف القوة المحصورة . ولنا من التاريخ العسكري أن مصير القوة المحصورة في معسكر محصن التسليم للعدو لا محالة . فقد انتحر جيش بازان مثلا ـ وكان صفوة الجيوش الفرنسية ـ بحصر نفسه في متس . فلولا معسكر متس المحصن لما حلت بفرنسا الكارثة التي حلت بها . وسبب تسليم ماك الذي كان منحصرا في اولم هو أن الجيش فشل في سعيه لوصول ذلك المحل في الوقت المطلوب لفك الحصار عنه وكذلك نرى أن سبب تسليم كورنوالس في يوركتون هو أن الاسطول فشل في فك الحصار عن القوات البريطانية التي كانت محصورة هناك . وقد ثبت ولنغتون في طوريش فيدراس لأن مسينة لم يهجم عليه ولأن الاسطول كان يعضده .

« لذلك يجب أن لا نحصر انفسنا في معسكر محصن الا عند ما نعلم العلم الاكيد بأن النجدة قادمة لفك الحصار عنا . ومن الفوائد التي تنالها القوة المحصورة والحالة هذه أنها لا ترغم على الانسحاب من معسكرها انسحابا يضعفها وأنها تحمل العدو على الانقطاع عن الحركات مدة . وامثلة نجاة القوة المحصورة بنفسها من المعسكر المنحصرة فيه نادرة جداً في التاريخ العسكري . وقد فشل مسينة في دفاعه المجيد في جنوى لأن الجيش الذي كان يقوده لم يصل في الوقت المطلوب لفك الحصار عنه . وقد سقطت جنوى لأن الاسطول الانكليزي حصر المرفأ فارغمها على التسليم لأنها كادت أن تهلك جوعا » .

وهذا كان مصيرنا في الكوت لأن الجوع ارغمنا على التسليم للعدو .

وفي ٧ كانون الاول ابرقت جوابا على برقية قائد الحملة فقلت : ـ

« إن ما طلبته في برقيتي العامة العدد ١٦٩ هو أن يتجمع ينغهسبند باللواء ٢٨ ولواء الخيالة في الشيخ سعد وعلي الغربي في الاسبوع التالي وقد سرني إذ علمت أنكم قادرون على ذلك لأن هذا التجمع سيغير موقفي كل التغيير . وقد نظرت نظراً ملياً في جميع الاسباب التي اوردتموها وذلك قبل أن عقدت العزيمة على

الثبات في الكوت لانني اعلم حق العلم من التاريخ مصير القوة التي تحصر نفسها في قلعة أو في معسكر وقد قلتم انكم تستطيعون فك الحصار عني في مدة شهرين الأمر الذي جعل موقفي حرجاً . ولا يخفى أن وصعكم قوة ينغهسبند ولواء الخيالة في الشيخ سعد يغير مجرى الامور كل التغيير » .

وكنت اعتقد أن سرعة وصول القطعات الشيخ سعد والاشاعات الرائجة في الاسواق بين العرب في طول مدن العراق وعرضها والمبالغة في الاشاعات وأن وصول القطعات والنقليات موانىء البصرة تحمل الترك من تلك الساعة على التردد في حركاتهم والتوقف عن تعرضهم المعاكس . ولكني اخطأت في ظني هذا لأنه فاتني العلم بأن ضباط اركان الجيش الالماني انفسهم كانوا يديرون جميع الحركات العسكرية التركية وذلك منذ الشروع في معركة طيسفون . ولا ريب في أن المشير فوندر غولتس وضباط اركان الجيش الالماني كانوا يقودون الجيش التركي السادس من بغداد في جميع الحركات التي جرت في هذا الدور الاخير .

وحالما شاهد الترك خيالتنا تغادر الكوت شرعوا في ضرب نطاق الحصار حولنا بحركة تألب على كلتا ضفتي النهر إلى شمال شبه جزيرة الكوت وجنوبها وقد قامت بهذه الحركة قوة الترك الكبرى . اما قوة العدو الحاصرة فتحركت على نظام الانتشار على جبهتي الشمالية فدنت هذه القوة منا إلى أن باتت على اقرب مكان مكنتهم نيراننا الشديدة من الوقوف فيه . ولما رأى الترك أنهم لا يستطيعون مجاوزة الحد الذي وصلوه للدنو منا طفقوا يحفرون الخنادق والاسراب[1] فتقدموا في عملهم تقدماً عجيباً في ليلة واحدة . وكنا نحن كذلك نسعى سعي الترك في حفر الخنادق لأننا لم نكد نلقى خندقا واحدا يستحق الذكر حين وصولنا الكوت . فلو هاجمنا العدو في وقعة تعرض لقضى علينا . فيالفرصة اضاعها الترك ! ولكن وقعة طيسفون والحملة الصادقة التي حملتها ساقتنا على الترك في ١ كانون الاول ابان انسحابنا إلى الكوت جعلتا اعداءنا يلزمون جانب الحذر الشديد في دنوهم منا .

---

(١) وهي خنادق ضيقة مسورة بالتراب ومتعرجة لتخفيف وطأة النار الجنبية .

وهذا هو السبب الذي حال دون اقدام الترك على ابادتنا في ليلة عيد الميلاد على ما سيعلمه القارىء

ورغم نيراننا الحامية تمكن الترك في بضعة ايام من انشاء شبكة واسعة النطاق من خنادق وطرق مواصلات وممرات مستورة حول جبهتنا الشمالية وبذلك سدو بالكلية في وجهنا منفذ شبه جزيرة الكوت وفي ذلك الحين عينه شاهدت قوة قدرتها بفرقة تتحرك على الضفة اليمنى من الغرب إلى الشرق وتقطع شط الحي على مسافة نحو من خمسة اميال إلى الجنوب . ثم دنت هذه الفرقة من الكوت إلى جناحها الشرقي لكي تهجم على جسرنا فتقطع علينا بذلك خط الرجعة إلى الجنوب من الضفة اليمنى . وقد قلت في ما مر أن المجال لم ينفسح لي لانشاء معاقل اتخذها رأس جسر لحماية قوتي .

وفي الايام الثلاثة أو الاربعة التالية وضع العدو المدافع حولنا في جميع الجهات وعلى كلتا ضفتي النهر . واعظم منقصة لمعسكرنا المحصن الذي انشىء على هيئة شبه جزيرة الهند وكان محاطاً بالماء من جميع الجهات ما عدا الجهة الشمالية هي أن نيران مدافعنا تطلق من مركز المنطقة إلى محيطها وعلى هذه الصورة تنفرج النار وتتفرق اما العدو المحاصر فيطلق ناره من محيط المنطقة إلى مركزها وعلى هذه الصورة تؤثر النار التأثير الاشد في المعسكر . وليست هذه المنقصة منقصة المعسكرات المحصنة الوحيدة . لأن المعسكر ليس سوى بقعة محصورة من جميع الجهات ووسائل دفاعه مؤلفة من خنادق اعتيادية لا تحمي القوة المحصورة من نيران المدافع كما تحميها القلاع . وفضلا عن هذا ان المعسكر المحصن ليس كالقلعة وذلك لأن المرء لا يتمكن من تدمير جبهة من جبهات العدو ليشق لقوته طريقاً للخروج من ذلك المعسكر بلا مخاطرة شديدة فعليه نرى أن اسباب الراحة والاستراحة الحقيقين لا تتوفر للجنود المحصورة ضمن نطاق ذلك المعسكر وأن حركة الخروج منه محفوفة بالاخطار الجمة .

وبسفر لواء الخيالة نقصت قوتي فباتت ٨٩٠٠ مقاتل منهم نحو من سبعة آلاف مقاتل مشاة . وكان نقص الضباط البريطانيين من جراء الخسارة التي وقعت

في الذين كانوا يقودون الجنود الهندية منهم في وقعة طيسفون عاملا قوياً من اشد العوامل خطراً على المدافعة عن الكوت وأقول غير مبالغ أن وقوع هذه الخسارة في الضباط البريطانيين المختصين بالوحدات الهندية كانت خطراً على الدفاع لأن بضعة الضباط البريطانيين من ضباط احتياط الجيش الهندي النظاميين كانوا من غير رجال الجندية ومع شدة غيرتهم ونشاطهم لم يكونوا مدربين لذلك لم يتمكنوا من السيطرة على الجنود السيطرة المطلوبة . وكذلك حسرت الوحدات الكثيرين من ضباطها الهنود . فباتت الافواج الهندية بعد ذلك عصابات مسلحة من جراء ضياع الضباط البريطانيين ولكنني لا اقول أنها كانت بلا ضبط . فلو كان نظام الجيش يقضي بأن يكون عدد الضباط البريطانيين كاملا في الافواج الهندية بمقدار ما هم عليه في الافواج البريطانية على ما كانت الحالة في أيام شركة الهند الشرقية لما خامرني شك على الاطلاق في النتيجة التي تنتهي اليها كل هجمة . وقد ارغم الفريق ديلامين في وقعة ١ كانون الاول على وضع الجنود البريطانية من فوج « دورست » في صفوف الوحدات الهندية في لوائه للمحافظة على ثبات اللواء في رجعته .

واطلق العدو نيران مدافعه الشديدة على الحصن بعد ظهر ٧ كانون الاول كله فخسرنا حينئذ ثلاثين جندياً وهدمت القنابل اسوار الحصن . ولا يخفى أن ذلك الحصن انشيء لرد غارات القبائل العربية عن الكوت . وتلقيت في هذا اليوم رسالة من نور الدين باشا يطلب فيها مني أن اسلم حقناً للدماء التي تهدر بلا جدوى . وقال أن قوتي قد ضعفت وقل عددها ولا يكلفهُ سحقنا سوى حملة شديدة تقوم بها قواته المتفوقة علينا بعددها . وإن احتلال الكوت على هذه الصورة وتعريض سكانها الآمنين لويلات الحرب الهائلة عبث بقوانين الحرب المرعية بين الدول المتمدنة .

فرددت على رسالة نور الدين باشا بقولي انهُ لا جواب عندي اجيب بهِ على طلبهِ المستحيل وهو طرح سلاحي بين يديه . ولكنني شكرت له مجاملتهُ بمراعاتهِ العادة المتبعة في الحرب وهي طلب التسليم من قائد البلدة المحصورة أو حاكمها

قبل الشروع في اطلاق المدافع عليها . وقلت له أنني استغربت ضلاله المبين في معتقده بأن المدافعة عن بلدة خرق في قوانين الحروب المتمدنة . وانهُ ما من حرب مهمة من الحروب التي ثار عثيرها في اوربا وما من محصارة حوصرت فيه قوة عسكرية لم تتناول الهجوم على المدن والقرى والدفاع عنها . وإن حلفاءه الالمان لم يكتفوا في حروبهم باحتلال المدن والقرى بلا استثناء ولكنهم استخدموا لاحتلالها وسائل لم يسبقهم اليها احد .

وقد علمني اختباري السابق في الحصارات أن لنشر البلاغات التي تحمل الجنود على الاعتقاد بقرب وصول النجدات من الخارج فوائد جمة وذلك لأن هذه البلاغات تشدد عزائم الجنود . فنشرت مرة اخرى بلاغاً على الجنود قلت فيه : يحتمل أن العدو سيشرع من الآن في اطلاق المدافع علينا ولكن تأثير المدافع الثقيلة الادبي اشد جداً من تأثيرها المادي . فهذه المدافع قد تصيب بغلا شارداً أو عجلة أو أنها تهدم زاوية منزل . أما اذا ظل الجنود في خنادقهم فلا يلحق بهم أذى منها . فعليهم بالاخلاء إلى السكينة والاحتفاظ بعتادهم لاطلاقهِ على مشاة العدو سواء كان عتاد بندقيات أم عتاد مدافع . لأنني لا أهتم الا بهجوم المشاة فقط . وقلت لهم أن قائد الحملة قد وعدني بحشد النجدات في الشيخ سعد في مدة اسبوع .

وابرقت البرقية التالية إلى رئيس اركان الحملة في ٧ كانون الاول وهي تبرهن على شدة قلقي لكفاية الجنود الذين اعتراهم رد فعل بعد مقاتلتهم العدو قتالا عنيفاً في طيسفون وانسحابهم انسحاباً انهك قواهم وخارت عزيمتهم من جراء حصرهم في معسكر محصن ، وهاك هذه البرقية : « لدينا الآن ٨٩٩٠ مقاتل منهم ٧٠٠٠ جندي فقط من المشاة وقد بات كل فوج من الافواج البريطانية (نورفوك ودورست وفوج مشاة اوكسفورد الخفيف ونصف فوج وست كنت) نصف ما كان عليه ابان السلم . ونقص الضباط البريطانيون في بعض الافواج الهندية يبعث على القلق الشديد . مثاله انهُ ليس في الفوج ١١٠ سوى ضابط بريطاني واحد . وعدد الجنود المرضى والضعفاء الذين لا يتمكنون من السير يثبط عزيمة المرء كل التثبيط .

« ولدي المقدار الكافي من العتاد فعندي على وجهِ التقدير ٨٠٠ اطلاقة لكل

مدفيه و ٥٩٠ اطلاقة شراسل لكل مدفع و ٢٠٨ اطلاقات لكل مدفع كبير وسيبرف اليكم معاون مدير الميرة برقيه مسهبه بتفاصيل ما عندي من هذه المواد وستذهب الطائرات إلى علي العربي اليوم صباحا مع شده احتياجي اليها وسبب ذلك أن لا اجزاء احتياطية لها عندي ففد حسرنا بارجة الطائرات اثناء الانسحاب إلى الكوت فاذا ظلت الطائرات هنا دمرتها قنابل المدافع » .

وفي ٨ كانون الثاني وصلتني انباء وصول لواء الخيالة علي الغربي سالماً في هذا اليوم عينه بعد الظهر وأن الفريق « ايلمر » سيغادر البصرة في ٩ كانون الاول ليقود الجنود في خط دجلة وكان قد تقرر تأليف فيلق من تلك الجنود . وقد ضايق عرب ربيعة وعجيل لواء الخيالة بعد خروجهِ من الكوت وكان عدد اولئك العرب ٨٠٠ فارس . وقد لقي هذا اللواء العداء من كل عربي في طريقهِ إلى أن وصل « بيت عميد » . ولكنهم لم يجرأوا على مهاجمتهِ بل كانوا يطلقون البندقيات عليهِ من مدى بعيد .

وفي ٩ كانون الاول اطلق العدو مدافعهُ علينا من جميع الجهات اطلاقاً شديداً . أما المفرزة التي كانت على الضفة اليمنى لحماية رأس الجسر الذي لم يكن محصناً حينئذ فقد تركت موضعها على التلال الرملية لطرد حملة بندقيات العدو من تلال رملية مجاورة لذلك الموضع فهجم العدو عليها هجمة معاكسة وردها إلى جانب النهر الآخر . وكانت هذه المفرزة مؤلفة من سريتين من الفوج البنجابي ٦٧ بقيادة الرئيس « غربت » الذي اصيب بثلاثة جروح فتركتهُ المفرزة وراءها لأنها لم تستطع نقله نظراً إلى شدة نار البندقيات التي كانت تنصب عليها . وقد علمنا بعد ذلك أنه قتل في هذه المعركة . وحينئذ اعتصم العدو على الضفة اليمنى بالقرب من حافة الماء فاستفاد من الضفة والخلجان التي حفرها واخذ يطلق النار على جسر قواربنا . وكنت اوجس خيفة لئلا يقطع العدو النهر ليلا على هذا الجسر لذلك امرت باتلافه بالمواد المتفرقعة تحت جنح الظلام . وقد فاز بتدميره في ٩ و ١٠ كانون الاول الملازم « سويت » من ضباط فوج « غركة » السابع والملازم « ماثيوس » من ضباط البحرية مع جماعة متطوعين من « الغركة » والنسافة .

وقد انطوى هذا العمل على البسالة كلها فان هذين الضابطين قطعا النهر على الجسر إلى الضفة التي كان العدو معتصما فيها وكان الجسر قد انخفض في بضع اماكن فبات تحت تيار النهر السريع لأن الماء كان قد ملأ القوارب فغمرها . فوضعا انبوب البارود على الجسر اما الباقون فوقفوا إلى جانب هذين الملازمين لقطع اسلاك المراسي . ولما انفجرت الالغام انقطع الجسر فبهت العدو مدة فلم يطلق النار وعلى هذه الصورة نجت جماعتنا بأسرها . وقد اوصيت بوسام « صليب فكتوريا » للضابطين البريطانيين وبوسام « الاستحقاق الهندي » للجنود[1] .

وفي ١٠ كانون الاول اعلن الفريق « ايلمر » أمر وصوله من الهند وتسلمه قيادة القوة المجردة لفك الحصار عنا وذلك في برقية بعث بها إلي في هذا اليوم عينه وهي : - « لقد تسلمت زمام قيادة قوة خط الفرات . واني لواثق كل الثقة من أن المدافع عن جنرال ورجاله البواسل سيثبتون في دفاعهم عن رايتنا المنتشرة إلى أن نتمكن من فك الحصار عنهم . فامحضك وجنودك خالص التهانيء على الاعمال المجيدة التي قمتم بها » .

فاجبت الفريق « ايلمر » على هذه البرقية قائلا « اشكر لك بالنيابة عن الفرقة السادسة والقطعات الملحقة بها رسالتك التي تبعث الهمة فينا . وسنبرهن لك على أننا موضع الثقة التي وضعتها فينا . وامحضك شكري الخالص من اجل رسالتك . وافتخر بالجهاد تحت لوائك » .

وفي ١٠ كانون الاول ابرق وزير الحربية يطلب التفاصيل المختصة بموقع الكوت المحصن مما يتعلق بدجلة والحي وبلدة الكوت والسن . وقد اراد أن يعرف

---

(١) منح كل من الملازمين « ماثيوس » و « سويت » وسام « الامتياز » بمقتضى ما نشرته « جريدة لندن » الرسمية في ١٩ تشرين الاول عام ١٩١٦ . واعتقد أن العدل والانصاف يقضيان بمنح هذين الملازمين وسام « صليب فكتوريا » لأن الذين نالوه لم يقوموا قط بعمل يفوق ما عمله هذان الضابطان الحديثا السن . فانهما تطوعا للاقدام على عمل فيه حتفهم الاكيد لأن الجسر كان حينئذ قد بات تحت رحمة النيران التي تصبها بندقيات العدو وعلى مسافة ٣٠٠ أو ٤٠٠ يارد وكان وابل الرصاص ينصب على الجسر فانتظر النهار طوله برباطة جأش لانجاز مهمتهما تحت جناح الظلام . فالفرق وكل الفرق بين تدميرهم الجسر على هذه الصورة وبين تدميره عفو الساعة .

هل لدي جسر قوارب مشرف على كلتا الصفتين فاجبته في ذلك اليوم عينه أن معسكري المحصن منحصر في شبه جزيرة متكونة من منعطف دجلة المبنية عليه بلدة الكوت على اقصى مكان في جنوب شبه الجزيرة هذا .

« ويمتد المعسكر المحصن من هذا المحل الحوبي شمالا على مسافة ٣٢٠٠ يارد وعرضه يقارب ١٧٠٠ يارد . وقد حصرنا العدو من جميع الجهات ما عدا الجهة الغربية . وقضت علي الضرورة بتدمير جسر القوارب الذي جلبناه من مكانه القديم الواقع خارج هذه المنطقة وذلك أننا نسفناه بالمواد المتفرقعة فطرد مفرزة رأس الجسر إلى معسكرنا المحصن واحتل تلك الضفة عند رأس الجسر . وليس لدي من وسائل تمكنني من العبور إلى الضفة اليمنى سوى المركب الحربي « السمانة » وبارجة واحدة . ولا يقطع العدو عن اطلاق النار الجنبية علينا النهار طوله . وقد احتللت معمل السوس والقرية الواقعين على الضفة اليمنى بوضع فوجين فيهما . أما موضع السن فواقع على مسافة سبعة اميال إلى الجهة الشمالية الشرقية على خط مستقيم منا » .

ولا ريب في أن الحكومة كانت قلقة جداً لهذا الموقف لأنني تلقيت برقية اخرى في ١٠ كانون الاول تطلب مني اللجنة الحربية أن ابعث اليها بما اعلمه عن الامور التالية : ـ

١ ـ هل لدى الترك مدافع ثقيلة تفوق مدافعنا ؟

٢ ـ ما هي البارجات المأسورة أو المدمرة وماذا كانت مشحوناتها ؟

٣ ـ ما رأيك في الموقف الحالي ؟ وما المدة التي تستطيع الثبات فيها ؟ اطلع اللجنة الحربية على احوال الجنود الصحية والروحية وكل ما ترغب في أن تطلع عليه هذه اللجنة .

٤ ـ كيف تستخدم المدافع بقطر ٤,٧ القعدة واين المركب « شوشان الآن ؟ »

فاجبت على هذه الاسئلة الاجوبة التالية : ـ

١ ـ إن لدى الترك اربعة مدافع قطر المدفع منها ١٠،٥ السنتيمتر ولا شك في أنها تفوق مدافعنا التي عيارها ٥ عقدات من حيث السرعة والمدى .

٢ ـ بارجة فحم وزيت تكاد تكون خالية من المشحونات .

والبارجة ٢٨ مشحونة بالعتاد البحرية والخيم .

والبارجة ١١ فيها مدخرات اعاشة ونقلية وجنود مرضى غير قادرين على السير وبضعة جنود جرحى و ٢٢٠ صندوقاً من العتاد الصغير و ٤٤٥ اطلاقة للمدفع الذي عياره ١٣ بونداً .

والبارجة ٣١ فيها مدخرات الطائرات .

وزورقان من نوع L .

وجميع قوارب قطار الجسر وعدة مهيلات اغرقتها نيران البندقيات التي انصبت عليها من ضفة النهر .

٣ ـ اما رأيي في الموقف فهو أن تعرضنا السوقي قد صد صداً اعتيادأ وهذا أمر معروف في التاريخ وذلك عندما لا يتيسر المقدار الكافي من الجنود أو النجدات المتواصلة لبقاء التعرض على شدته . وهذا سبب فشل هنبال وشارل الثاني عشر ونابليون في تعرضهم . اما القوة المدافعة فتنسحب رويداً رويداً في داخل البلاد بحيث توفر الوقت لاضعاف المهاجمين وتقترب من موارد الاعاشة والنجدات التي لا تكون متيسرة لها في ادوار الحرب الاولى .

« فملاقاة هذه الحالة على جناح السرعة تقتضي المبادرة إلى حشد القوات وانجاد فرقتي المنحصرة وتوحيد جميع القوات في الكوت للزحف على بغداد . ومثال هذا استئناف ولنغتون التعرض بعد انسحابه من « بوغوس » إلى الحدود البرتقالية .

« إن مقدرة قطعاتي على المقاتلة قد تناقصت جداً بعد وقعة طيسفون وهذا أمر طبيعي . ولكن ضبطها لم يزل على ما يرام . وإني لقلق جداً من العاقبة إذا حمل علينا العدو حملة شعواء بقواته المتفوقة علينا بعددها . فالقنابل تنصب علينا بلا

انقطاع النهار طوله لذلك نرومي انوفع بقارع الصبر فك الحصار عني بعد عشرة أو خمسة عشرة يوما واندل كل ما في وسعي لاستنهاض همة الجنود بحثهم على المحافظة على صبنهم الحسن وتحريك عواطفهم الوطنيه . فلدي الآن ما يربو على ثمانمائة مريض واعتقد أن عدد المرضى في الخارج لا يقل عن الثلاثمائة[1] . وإذ فك الحصار عنا فلا بد من وضع هؤلاء الجنود في خط المواصلات ليستريحوا الاستراحة التي هم في اشد الحاجة اليها .

٤ - إن مدافعي ذات العيار ٤,٧ العقدة موضوعة على قوارب الخيل لكنني اسعى لوضعها على البر » .

وفي ١٠ كانون الاول هجم العدو علي هجمة شديدة فضايقني النهار طوله على الجبهة الشمالية ولم يمنعه شيء من الدنو ما سوى نار بندقياتنا الشديدة . ورأينا الترك في هذا اليوم كذلك يتبرمون من الحملة علينا تبرمهم في وقعة طيسفون . فتكبد الاعداء حينئذ خسارة فادحة فكنا نشاهد اشلاء قتلاهم متراكمة فوق السهل . ولكنهم ضايقونا مضايقة شديدة جداً وقد هاجموا الحصن دون غيره مهاجمة عنيفة فجاء هجومهم هذا شديد الوطأة على جبهتي الشمالية حيث كان الترك يحفرون الخنادق والاسراب على مقربة من خنادقنا ولم تصدهم قوة عنا سوى نيران بندقياتنا الحامية . وكنت شديد القلق حينئذ لأن هجمة فجائية تقوم بها قوة كثيرة العدد تسحق قوتي فلا تبقي ولا تذر وذلك نظراً إلى قلة الضباط البريطانيين في القطعات الهندية والحالة الروحية التي بات عليها جنودي الهنود . وكنت كذلك مضطرب البال من جراء استهلاك المقدار الكبير من عتاد البندقيات . فانتقم الترك منا لما اصابهم من الفشل في هذا الهجوم فاصلونا في ١١ كانون الاول ناراً حامية صبتها علينا مدافعهم الثقيلة فبلغت خسارتنا من جراء ذلك ٢٠٢ بين قتيل وجريح .

---

(١) إن عدد المتمارضين كان - ويا للاسف - عظيما جداً بين الجنود الهنود الذين باتوا خائري العزيمة . لذلك كنت اوجس خيفة من حمل العدو علينا . فالفت نظر القراء إلى هذه الحالة وكانت اعظم باعث على قلقي طول مدة الحصار . وهذا السبب عينه حملني على حث المقر على الاسراع في فك الحصار عني .

واستأنف الاعداء هجومهم في ١٢ كانون الاول في الساعة ٦:٣٠ . وقد اجابت قطعاتنا المرابطة في الخط الاول في الجبهة الشمالية على نيران بندقيات العدو الشديدة مدة ساعة على وجه التقريب . ولكن العدو لم يواصل هجومه إلى النهاية فانقطعت نيرانه حول الساعة ٧:٣٠ مساء . وعلمنا بعد ذلك من الاسرى أن الترك تكبدوا خسارة فادحة إذ سقط منهم في تلك المعركة الفا جندي . وكان الترك قد تجمعوا في خطوط كثيفة قبل الظلام ولكن عزائمهم خانتهم مرة اخرى . أما خسارتنا نحن فكانت ٨٨ جندياً بين قتيل وجريح .

وهاجم الترك هجوماً شديداً كذلك جنودنا الذين كانوا مرابطين في معمل السوس والقرية الواقعين على الضفة اليمنى فاصلونانار بندقيات حامية ولكنهم لم يواصلوا هجومهم إلى النهاية لأنهم لم يخرجوا من خنادقهم . واعاد الاعداء الكرة علينا عند بزوغ الفجر بهجومهم على الجبهة الشمالية وعلى معمل السوس والقرية فلم يواصلوا الهجوم إلى النهاية على سابق عهدهم وذلك لأن التركي لا يصلح للهجوم فلا يدنو من عدوه . وقد رأى الرسو على الدوام هذا الرأي في وصف صفات الترك الحربية .

وظلت مدافع الترك صامتة في ١٣ و١٤ كانون الاول فظننا أنهم يبغون توفير العتاد بعد قصفهم الشديد في ١٠ و١١ كانون الاول وحسبنا أنهم اطلقوا حينئذ خمسة آلاف قنبلة . وبلغت خسارتنا في ١٣ كانون الاول ١٢٢ جندياً .

وقدرت القوة التي كانت تحاصر في ١٤ كانون الاول باثني عشر الف مقاتل على وجه التقريب مع نحو من ٣٣ مدفعاً ثابتاً وكانت هذه المدافع موضوعة حول موضعنا .

والظاهر أن العدو عدل الآن عن الهجوم علينا تواً وطفق يحاصرنا حصاراً منتظماً . وفرغ الترك حينئذ من انشاء شبكة كاملة مكونة من خطوط خنادق حصار وطرق مواصلات انشأوها قبالة القسم الشمالي الغربي من خطوط دفاعنا . فوصل الترك آناء الليل باطراف النهار في عملهم الذي انجزوه بسرعة عجيبة . وكذلك انشأ جنودنا الآن خطوط مواصلات وخنادق جيدة في جميع الجهات المهمة واخذت

احوال القطعات الهندية الروحية تتحسن بقدر ما كانت تسمح به الحاجة إلى النوم والراحة لأن الضرورة حتمت علينا حفر الخنادق العميقة على غاية السرعة .

وكان رجال صيادة العدو اجلاءاً ومقدامين لا يعرفون الكلل في عملهم . وانسأنا نحن كذلك صيادة لمقابلة الصيادة التركية بقيادة المقدم « بوث » من سرية مخابرة الجيش فقام رجال هذه الصيادة بعملهم حق القيام

وكان « ايفانس » و « ولسن » آمر هندسة الفرقة يديران الاشغال من ١٠ كانون الثاني إلى ١٦ منه مراعيـن قاعدة المدافعة التي وضعتها هنا وهي : -

١ - تحسين المواصلات من خط الدفاع الاساسي إلى الخط الثاني .

٢ - تحسين خط الدفاع الثاني كله - وقد أمرت بانجاز هذا العمل على صورة خاصة .

٣ - تحسين وسائل الدفاع عن البلدة في الجبهات الغربية والجنوبية والجنوبية الشرقية لأنني كنت دائما اتوقع أن ينتهي بنا الأمر إلى مقاتلة العدو بين البيوت في وسط البلدة .

واضطربت افكاري بشأن الجبهة الجنوبية من جراء انخفاض مياه الانهر . لأنني كنت اخال أن العدو يستطيع قطع النهر بخوض الضحاضح والضفاف تحت جنح الظلام لذلك كنت اراقب الجهتين الشرقية والشرقية الجنوبية بوضع الربيئات . وظل اللواء السابع عشر على الدوام في الحصن وفي القسم الشمالي الشرقي وكان اللواءان السادس عشر والثلاثون يتناوبان على حماية القسم الشمالي الغربي . وكنت اتخذ اللواء الذي تنتهي نوبته في الحماية منهما احتياطاً عاماً اضعهُ في الخط الثاني فاعضد بهِ القسم الشمالي الغربي أو القسم الشمالي الشرقي على مقتضى الاحوال . وكانت حامية معمل السوس في القرية الواقعة على الضفة اليمنى من اللواء الثامن عشر وكانت المواصلات تتم بيننا وبين تلك الحامية تحت جنح الظلام بواسطة مخاض النهر . فكنت قد وضعت هناك فوجين وفي بلدة الكوت فوجين منهما فوج واحد وضعتهُ للمدافعة عن طرفي المدينة الجنوبي والجنوبي الشرقي .

إن المدافعة عن معسكر محصن تقضي بعدم تغيير الحامية بل ببقائها على الدوام موزعة على الخط المعين لها لتدافع عنهُ . وهذه القاعدة مستحسنة من وجهة المدافعة والاقتصاد في الرجال . لأن الجنود يعملون طوعاً على تحسين وسائل المدافعة بدافع المحافظة على انفسهم . الأمر الاهم من ذلك هو أن بقاء الجنود في خط الدفاع المعين لهم يجعلهم أن يألفوا الخنادق وطرق المواصلات الحديثة التي نشأ للحماية من قنابل المدافع الحديثة وبذلك يعرفون مداخل وسائل الدفاع هذه ومخارجها التي يتيهُ فيها الذين لا يألفونها بطول الاقامة فيها . وقد وضعت هذه المسألة نصب عيني في وضع القطعات في الخنادق ولكنني ارغمت حين سقوط الامطار الغزيرة وفيضان المياه على تغيير القطعات مع شدة كرهي ذلك على ما سيعلمهُ القارىء لأن طغيان المياه كان يطرد احياناً الجنود من الخنادق لأنهم كانوا احيانا يغطسون في الماء إلى الركبتين .

وكان العرب الذين يقطنون البلدة يبعثون القلق والاضطراب في نفسي لأنني كنت عالماً بأنهم يخابرون العدو وهذا أمر واقع لا حاجة إلى ذكره . وكان الباعث على قلقي واضطرابي اعتقادي كذلك بأن هؤلاء العرب قد طمروا بندقيات كثيرة واخفوها . ولا يخفى الخطر الشديد الذي يؤول اليهِ عمل العرب هذا اذا تمكن العدو من اغرائهم بالقيام علينا ليلا اثناء هجومهِ على جبهتنا الشمالية . لذلك اعتقلت بعض وجوه البلدة واعلنت أنني سأعدم اولئك المعتقلين بالرصاص اذا بدرت من السكان اقل بادرة . ولمنع حركة العرب في بدء الحصار أمرت بمحاكمة اثني عشر شخصاً في مجلس عسكري فاعدموا رمياً بالرصاص عبرة لغيرهم .

قلت في أمر أنني امرت في اوامر الدفاع بطرد سكان البلدة جميعاً من الكوت ولكنني الغيت هذا الأمر بعد ذلك بناء على توسط « السير برسي كوكس » في امرهم دفاعاً عن النساء والاولاد لانهُ قال اذا طرد هؤلاء السكان من البلدة هلكت النساء والاولاد في الصحراء من الجوع ورصاصات البدو . ولما جاء إلي « السر برسي كوكس » وطلب مني أن اعدل عن عزمي على طرد سكان البلدة أجبتهُ أن

ذلك من شؤوني بصفة كوني قائد موقع بات على وشك الحصار . فاجابني « احسنت ولكنني اقول لك أن النساء والاولاد سيهلكون في الطرق ! » وحينئذ رأيت انهُ سيحدث عملي هذا تأثيراً سياسياً سيئا في العراق بين العرب الذين جئنا لانقاذهم من احتلال الترك . لذلك اكرهت على الغاء امري بطرد جميع القاطنين في البلدة واكتفيت بطرد جميع الغرباء منها وسمحت ببقاء سكان الكوت الاصليين فيها فبقي في البلدة نحو خمسة آلاف أو ستة آلاف نسمة وطردت نحواً من ٧٠٠ أو ٨٠٠ رجل فقط .

وبلغني في ١٢ كانون الاول أن الحكومة تنوي أن تكافىء ضباط الصف البريطانيين وجنود الافواج الهندية على ما قاموا بهِ في وقعة طيسفون . لذلك خولت حكومة الهند « السر جون نكسن سلطة منح عشرين وسام « الاستحقاق الهندي » واربعين وسام « الخدمة الممتازة » للهنود الذين يراهم اجدر من غيرهم بالمكافأة فوراً لما قاموا بهِ في معركة طيسفون واربعين وسام « السلوك الممتاز » لضباط صف والجنود البريطانيين . وقبل الزحف على بغداد خول الملك « السر جون نكسن » سلطة منح وسام « امتياز » واحد ووسامي « الصليب العسكري » لوقعة شهر تشرين الثاني وسلطة منح هذا العدد عينه من الاوسمة لوقعة شهر كانون الاول للضباط الذين امتازوا على غيرهم في البسالة التي ابدوها . وترك لي قائد الحملة أمر تعيين الاشخاص الذين يمنحون هذه الاوسمة جمعاء على أن يعمل باقتراحي فلا ينقص منهُ حرفاً واحداً وطلب مني أن ابرق اليه باسماء الاشخاص واعدادهم وقطعاتهم عندما ابث الرأي في ذلك لنشر اسماء الذين ينالون هذه الاوسمة .

وفي ١٣ كانون الاول دنت خنادق العدو منا حتى باتت على مسافة خمسين ياردا من خنادقنا الواقعة على الميسرة القصوى لجبهتنا الشمالية الغربية فكانت عملة الفريق الواحد تسمع اصوات عملة الفريق الأخر واخذ أمير اللواء هوتن يوجس خيفة على الحصن وطلب إلي أن اعطيه ١٥٠ جندياً بريطانياً من فوج نورفوك (وكان هذا الفوج مرابطاً في البلدة مع القوة الاحتياطية) لتقوية فوج مشاة « اوكسفورد وبك » الخفيف وكذلك توسل إلي بأن انقل من خطهِ فوجاً هندياً

خارت العزيمة منهُ حتى انهُ امسى لا يعول عليه .

ولم يكن هنالك داع يدعوني إلى القلق من جراء عتاد البندقيات لأن خسارتي التي كانت تربو على المائة في اليوم واحياناً تبلغ المائتين جعلتني اهمل مسألة عتاد البندقيات ولكن الكابوس الذي كان يضايقني بلا انقطاع هو قلة الضباط البريطانيين في الافواج الهندية . وكانت خسارتنا فادحة جداً فانها كانت تربو على خمسة آلاف جندي وهذا العدد يشمل ما خسرناه في طيسفون وكانت قوى بعض قطعاتي الروحية قد تزعزعت كل التزعزع . وقد قال لي امير اللواء هوتن انه لا يتحمل تبعة ما يحل بالقسم الذي يدافع عنهُ ما لم انقل الفوج الهندي الذي تقدم ذكره من خطه على الفور ، وليعلم القراء أن امير اللواء هوتن نفسه كان من ضباط الجيش الهندي . فابرقت إلى الفريق « ايلمر » اطلعه على كل هذا ببرقية لاسلكية وبسطت له اسباب قلقي من توقع هجوم الترك علينا هجمة عنيفة وسرعان ما حمل الترك حملتهم علينا على ما سيعلمهُ القارىء .

وكان خمود الترك ظاهراً جداً في ١٦ و ١٧ كانون الاول واعزو ذلك إلى الخسارة التي تكبدوها وخور عزيمتهم ولكنني عزوت سبب هذا السكون كذلك إلى احتمال وصول الفرقة الثانية والخمسين بعد مدة قصيرة وهي الفرقة التي كان يتوقع العدو قدومها للاجتماع في بغداد .

وفي ليلة ١٧ و ١٨ كانون الاول قام الزعيم « برون » آمر الحصن بخروجين صغيرين بالفوج ١٠٣ الخفيف وقد انقسمت هذه القوة إلى قسمين احدهما جماعة مختلطة من بريطانيين وهنود والآخر جماعة جنود هندية . فطردنا العدو بهذين الخروجين من الخنادق القريبة من الحصن بعد أن طعنا ثلاثين تركياً بالحراب واسرنا عدة اسرى . أما خسارتنا نحن فكانت جندياً واحداً جرح جرحاً طفيفاً . واني لاعتقد بفائدة القيام ببضعة خروجات صغيرة يديرها الأمر ادارة حسنة لأنها تلقي الرعب في قلب العدو . ولكن الاكثار منها يضعف قوى الجنود الروحية لانه يتحتم دائما عليهم الرجوع إلى مكانهم .

ولم يبق ريب في أن العدو اتخذ الحصن الواقع على الطرف الشمال الشرقي

من جبهتنا الشمالية اهم هدف لتوجيه حملاته اليه فلم تنقطع مدافعه عن صب مقذوفاتها عليه فثغرته ثغرات كبيرة وهدمت بعض جداره . ولا يخفى أن الترك بعملهم ذلك قووا موقعنا هذا لأن حاميتنا كانت تعيد تحصنها بلا استثناء فتسد الثغرات باكياس الرمل . ولم يتقوَ هذا الموقع الا عندما طفقت قنابل العدو تهدمه وشأن حصننا هذا والحالة هذه شأن حصن « فردون » الفرنسي !

وفي الساعة ٥:٣٠ قبل الظهر شرع العدو يصلي هذا الحصن نار مدافع وبندقيات حامية . وكنا نسمع حينئذ اصوات الهتاف والابواق تتصاعد من جنود الترك الذين كانوا قد ازدحموا في الخنادق بالقرب من الحصن ولكن حملتهم ذهبت ادراج الرياح بفعل نيران جنودنا المتواصلة .

وفي ١٦ كانون الاول اصدرت وصايا عامة استعداداً لمقابلة الطوارىء عندما يهاجم الترك خطوطنا . فتليت هذه الوصايا على الجنود لكي يعرفوا ما ينبغي لهم عمله حينئذ ولابعث فيهم الاعتماد على النفس والشجاعة لأنني كنت شاعراً بقرب موعد الهجوم الذي كنت اتوقعه . وكذلك بغيت بذلك اعداد الجنود لحفر الخنادق مرة اخرى .

وسيعلم القارىء أنني لم انفك طول مدة الحصار باذلا جميع الوسائل المتيسرة لانهاض همة الجنود الهنود وقد شعرت بتحسن في هذا الصدد بعد البلاغ الذي نشرته في ١٦ كانون الاول . فطفق الجنود يحفرون الخنادق إلى العمق المطلوب وتحسنت طرق المواصلات تحسناً عظيماً .

وارسل الي الفريق « ايلمر » تقريراً في الاستكشاف الذي قامت به الطائرات في ١٦ كانون الاول فبرهن هذا التقرير على دقة تقديري للقوات التركية التي كانت تحاصرني وعددها ١٢٠٠٠ مقاتل .

وفي هذه الاثناء اعتلت صحة أمير اللواء « غ . ب . سمث » آمر المدفعية كل الاعتلال واصابت رصاصة شاردة رأس خلفه الزعيم « غزير » فعينت الضباط الذي يتلوه في القدم آمراً للمدفعية وهو الزعيم « كرتني » من ضباط مدافع

القلاع . ولما اعلنت أمر هذا التبديل « للسر جون نكسن » خطرته بما قلته له يوماً عن النظام الاخرق الذي نتبعه في الجيش الهندي بتعيين بضع ضباط بريطانيين فقط في كل كتيبة[1] من الكتائب الهندية . فتعيينا سبع ضباط بريطانيين فقط لاكمال ضباط الكتيبة الهندية ضرب من الحماقة لا بل جناية على الجيش . إذ انه بعد معركتنا الدامية في طيسفون غل هذا النظام الاخرق يدي نظراً إلى الخسارة الفادحة التي وقعت في الضباط . وقد تولى الرؤوساء واحياناً الملازمون قيادة الافواج فنجم عن ذلك فقدان السيطرة على الوحدات .

وفي ١٩ كانون الثاني استنطقنا احد عشر اسيراً كنا قد اسرناهم اثناء الخروج الذي قمنا به ليلا ورويت خبرة في ما تقدم . وكان جميع هؤلاء الجنود من الفرقة ٣٩ . فقالوا أن اربع فرق تركية تحاصر الكوت وهي الفرق ٣٥ و ٣٨ و ٤٥ و ٥١ وقالوا أنهم يتوقعون في كل يوم وصول الفرقتين ٥٢ و ٢٦ . فلم يرق لي هذا الخبر لأنني علمت منهُ أن نحواً من اربعين الف جندي سيحاصرونني . فابرقت بهذا الخبر إلى المقر العام وابرقت برقية خاصة إلى « السر جون نكسن » قلت له فيها أن املي شديد في أن الحكومة تطلب من الروس أن يتهددوا بغداد تهديداً شديداً لرفع الضغط عني .

وانخفضت خسارتنا اليومية الآن إلى اربعين أو خمسين جندياً في اليوم . ففي ١٩ كانون الثاني مثلا دونت في مفكرتي أن عدد الجنود الذين خسرناهم في ذلك اليوم ٥٧ . وكان العدو قد اخلد إلى السكينة كل الاخلاد . فخلت أن الترك ينتظرون حينئذ ورود العتاد أو النجدات للقيام بهجوم فاصل على الحصن الذي لم ينفكوا عن جعله هدفهم الاهم . وفي ذلك اليوم انبأت الفريق « ايلمر » بأن خطوط دفاعي قد اصبحت على حالة حسنة . وقلت له أن الأمر الذي يعرقل مساعي هو أنني مرغم على وضع الحصن المختص بالحروب غير المنتظمة . والابراج (الحصون الخشبية) في محيطي الخارجي . وإنني لست من الذين

---

(١) وهنا بمعنى الكلمة « الاي » التركية وكتيبة المشاة تتألف من فوجين .

يتعرضون لسمعة الناس ولكنني اردد المثل القائل « أن الذي يحبه الرب يموت في عنفوان شبابه » فليت الله احب الضابط الذي انشأ هذا الحصن وهذه الابراج . فقد اقتضى الأمر أن اهدم هذه الابراج المشهورة على جناح السرعة لأنها كانت خير وسيلة يقدر بها العدو المسافات لمدافعه الثقيلة .

وفي ١٩ كانون الاول تلقيت خلاصة برقيات رسمية عدة وردت إلى قائد الحملة في البصرة . فعلمت من هذه أن « فوندر غولتس » كان مزمعاً على غزوة بلاد فارس باربعين الف جندي زاحفاً على تلك البلاد من بغداد . اما « مارلنغ » فابرق في ١٦ كانون الاول منبئاً بأن السفير الروسي قد تلقى خبراً سرياً فيه أن عشرين الف جندي تركي قطعوا الحدود الفارسية في قصر شيرين وأن القائد الروسي في همدان كان في انتظار الاوامر ليرسل قوة إلى خانقين . وابرق وزير الهند في ١٨ كانون الاول يقول أن الروس ينوون احتلال كرمنشاه وخانقين إذا استطاعوا ذلك . فلم ار في هذه الاخبار ما يحيي ميت الامل لأنني رأيت أن حركة التعرض[1] على بغداد لا تكون شديدة الوطأة على العدو .

ورأيت احتمال تجريد فوندر غولتس حملة لغزو بلاد فارس . وذلك انهُ يقوم بحركة سوق جيشية بطريق « بشتكوه » في جهة الاحواز ومناطق النفط لطرد الانكليز من العراق فيثير في الوقت عينه القلاقل والاضطرابات في بلاد الافغان والهند . وهذه خطة بسيطة منطوية على الاقدام لحمل الاجانب على الجلاء عن وادي دجلة إلى البصرة على الاقل .

وسعيت للعثور على محل موافق في طرف البلدة الجنوبي أو الجنوبي الغربي لوضع جسر على نهر دجلة امده سراً على جناح السرعة وذلك توقعاً لقدوم النجدة ولاسباب اخرى لا تخفى على القارىء . ولما شاورت آمر قسم الهندسة في الامر قال لي أنه يستحيل علينا انشاء هذا الجسر نظراً إلى عدم تيسر الواح الخشب التي ترصف بها الجسور وغيرها من الاخشاب التي يقتضيها بناء هذا الجسر مع انهُ كان

(١) بمعنى الهجوم لذلك تعدت هذه الكلمة بحرف الجر « على » ليتم معناها العسكري .

لدينا نحو من خمسين مهيلة بسواريها . وعواميد الخشب لا تثبت في مجرى النهر السريع وفي عقيفه الموحل النضاح . ولا سبيل إلى انشاء الجسر الا تحت النار . واجابة على اسئلة وجهها إلي « ايلمر » قلت له أن ينجدني من الضفة اليسرى لأننا نستطيع بذلك أن نتعاون على العدو . ولا استطيع العبور قبل وصول النجدة لأن لا ملجأ لي يحميني من مدافع الترك لكي اتمكن من صنع الارمات وغيرها . وليس لدي من وسائل تمكنني من العبور سوى سحابتين فقط وهما « السمانة » وزورق بحاري » وبارجتين » احداهما بلا ظهر ونحو من خمسين مهيلة لا يستطيع النوتية من تسييرها في مجرى النهر . وقد حسب معاون مدير الميرة وآمر هندسة الفرقة وضابط النقلية النهرية المدة التي تستطيع قوتي عبور النهر فيها فكانت تسعة ايام .
فاذا عبر النهر ٧٠٠ جندي دفعة واحدة استغرق ركوبهم السفن ونزولهم منها وعودة السفن مدة ساعتين . فعبور ٧٠٠ جندي ماش يستغرق عشرين ساعة . ويستغرق عبور ثلاثة آلاف حيوان ـ أي خيل الضباط وبغال مدافع مكسيم ـ ٧٥ ساعة وذلك أنها تسافر ٢٥ سفرة تستغرق كل سفرة منها ثلاث ساعات . ويستغرق عبور ثلاث بطاريات مدافع صحراء عشرين ساعة لأنها تسافر خمس سفرات وتقضي في كل سفرة ٤ ساعات . وتسافر مستشفيات الميدان السيارة ثلاث سفرات تستغرق كل سفرة ساعتين فتقطع كلها النهر في ست ساعات . ويستغرق عبور ثلاثين عجلة نقلية خمس عشرة ساعة لأنها تسافر خمس سفرات تقضي في كل سفرة ثلاث ساعات . فمجموع المدة التي يستغرقها عبور هذه القوة تسعة ايام ويضاف إلى هذه المدة خمسة ايام لعبور المدخرات ومواد الاعاشة . ونستطيع أن نخفض هذه المدة إلى ستة ايام اذا وصلنا آناء الليل باطراف النهار في العبور . ولكنني كنت اخال أن قائد الحملة يجلب جسره معه .

وفي ٢٤ كانون الاول الساعة ١٥ : ٥ صباحا اصلى العدو معمل السوس نار بندقيات حامية جداً تعضدها المدفعية ودام اطلاق النار إلى الساعة ٣٠:٨ ولكنه لم يهجم مع أن خنادق الترك لم تبعد عن خنادق القرية مسافة تزيد على مائتي يارد. وكذلك صب الترك نيرانهم ليلا على الحصن وحاولوا جهد طاقتهم أن يقطعوا الاسلاك الشائكة فشاهدنا في الصباح كثيراً من اشلاء قتلاهم على الاسلاك .

واتفق أن الترك حملوا علينا حملة صادقة يوم وصول المشير « فوندرغولتس » الكوت . ففي ٢٤ كانون الاول بعد الظهر صبت المدافع التركية ناراً شديدة على الحصن فثغروه ثغرات كبيرة فاضطرت الحامية في الساعة ١٢:٣٠ للانسحاب من خط الدفاع الاول في الحصن الذي احتله العدو . ولكننا طردناهم بعد ذلك فرجعوا ادراجهم تاركين نحو مائة قتيل في الطابية الشمالية الشرقية . فعززت حامية الحصن بفوج مشاة « اوكسفورد وبك » الخفيف وكان مجموع عدد هذا الفوج الآن مائتي جندي فقط . وبعد ذلك استأنف الترك اطلاق النار الذي استمر النهار طوله .

وعلمت من هيئة معسكر الترك الكبير ومن اقدام القوة التركية على الهجوم في ميدان مكشوف على غير عادتهم أن قواتهم قد تعززت بوصول قطعات جديدة لم ترخ لها عزيمة لأنها لم تشهد وقعة طيسفون ولا وقعة ام الطبول في ١ كانون الاول .

وشاهدنا عند الشفق نحو ٢٠٠ جثة من جثث قتلى الترك ملقاة خارج الحصن وشاهدنا كذلك حشد الجنود في الخنادق الخلفية الأمر الذي دلنا على أن الترك ينوون القيام بهجمة جديدة .

وحول الظهر اصابت قنبلة من عيار ١٢ « سنتمتراً » أعلى المنزل الذي اتخذته لي مرصداً (وكان ذلك المرصد سطح المنزل الذي اتخذته مقراً للفرقة) فقتلت تلك القنبلة الرئيس « بغ » من ضباط المدفعية وجرحت العقيد « كرتني » من ضباط مدفعية القلاع ووكيل آمر المدفعية وضابط ركنه الرئيس « غارنت » من ضباط مدفعية الصحراء . وقد مات كلاهما من جروحهما .

وفي صباح عيد الميلاد الساعة ٢ صباحاً حمل الترك علينا الحملة التي كنا نتوقعها فقاتلوا قتال المستميتين فتمكنوا من دخول الطابية الشمالية الشرقية من الثغرات . فعززت حامية الحصن بمائتي جندي من النسافة ٤٨ فثبتت هذه الحامية في اماكنها ثبات الابطال في وجه العدو وبعد قتال اسميه قتال مكالبة منتظمة والجنود تترامى بالقنابل اليدوية على مسافة عشرة يردات ارغم الترك على الانسحاب إلى خنادقهم بعد أن تكبدوا خسارة فادحة جداً . اما باقي القوات

التركية المهاجمة وقواتهم الاحتياطية فلم نتمكن من الزحف لعضد القوات الحاملة علينا لأن الحجاب الناري الذي تكون من نيران مدافعنا القصيرة فحجب الحصن حا ل دون ذلك .

ولا مسوغ لفشل القائد التركي الذي قاد هذه الحملة علينا وقد ارتكب خطأ لا يغتفر له لأن الحملات التي من هذا النوع تقضي بدفع القوات الاحتياطية وراء الجماعات القائمة بالحملة والمفرزات المهاجمة . ولا سبيل إلى النجاح والحالة هذه الا بحشد الجنود الكثيرة في ساحة المعركة . فاذا تيسر للجماعات المتقدمة الاستيلاء على خنادق العدو وطردوا منها بعد ذلك ـ على ما حل بنا في « ريدان » في ٨ أيلول عام ١٨٥٥ وما حل بالترك في هذه الوقعة ـ فالذنب ذنب قائد القوة المهاجمة . وكانت الفرقة التركية التي قامت بهذه الهجمة قد وصلت من القوقاس في ذلك الوقت ولم تفقد حينئذ شيئا من قوتها الروحية . فقائدها ملوم في فشل الهجمة لأن الموقف لم يكن موقف اهتمام بما يقتل من الجنود لأنه ينبغي للقائد الذي لا يستطيع المجازفة بجنوده أن لا يقدم على الهجوم .

وقد ركب العدو كذلك متن الشطط في أنه : ـ

١ ـ شرع في القصف التمهيدي فعلمت بذلك أنه مزمع على مهاجمتي .

٢ ـ غفل من خدعي بقيامه بهجمة صورية أو كاذبة على محل آخر من خطوط دفاعي ليمنعني بذلك من ارسال المدد إلى حامية الحصن .

وقد جرد الترك تسعة افواج للاستيلاء على الحصن ولكن لم يدخله منها سوى الفوجين اللذين قاما بالحملة . أما القوات الاحتياطية فلم تزحف وقد قدرنا حينئذ خسارة الترك بين ثمانمائة والف جندي . ولكننا علمنا بعد ذلك من طبيب عسكري تركي اسرناه في الشيخ سعد أن خسارة الترك بلغت الفي جندي بكاملهم بين قتيل وجريح .

اما خسارتنا نحن في الحصن فبلغت ٣١٥ رجل بين قتيل وجريح منهم ١٧ ضابطاً . وكان الدفاع على غاية ما يرام وقد وفى العقيد « برون » (من ضباط فوج

المشاة الخفيف ١٠٣ أمر الحامية) الدفاع حقه من القيادة فيستحق اجزل الثناء . وتكبد رجال فوج « اوكسفورد » البواسل خسارة فادحة[١] . وخسرت سرية من سرايا فوج « مهرتة » الخفيف ١٠٣ المجيد الفعال سبعين في المائة من رجالها . وبلغت خسارتنا في اماكن اخرى غير الحصن ٦٧ فكان مجموع خسارتنا ٣٨٢ في يوم عيد الميلاد[٢] .

وقد جاء صدنا لهجوم الترك هذا شاهداً جديداً على بسالة القطعات التي تألفت منها الفرقة السادسة ولا سيما فوج «اوكسفورد» الخفيف الذي اضاف صفحات مجيدة جديدة إلى تاريخه الباهر والذي يعلم الخاص والعام الشهرة التي اكتسبها في حروب شبه جزيرة « اسبانيا » .

وبعد صد الهجمة التركية قضينا باقي يوم عيد الميلاد بسلام واطمئنان لا مزيد عليهما . وكانت حامية الحصن منهمكة في تجديد الخنادق والسعي لجعل ذلك الموقع امنع مما كان عليه قبل المعركة . وطفقت حينئذ اهتم بأن ازيد منعة خط الدفاع الثاني . اما المشير « فوندرغولتس » فقفل راجعا إلى بغداد .

وفي ٢٦ كانون الاول شاهدنا رتلين كبيرين من قوات الاعداء يقدران بفرقتين كانا يقطعان النهر من ضفته اليسرى إلى ضفته اليمنى عند « عطفة شمران » حيث مد العدو جسراً فوق النهر وطفق هذان الرتلان ينصبان الخيام لانشاء معسكر كبير على الضفة اليمنى على مسافة سبعة أو ثمانية اميال إلى غرب بلدة الكوت . فهذه الحركة وما رأيته في ذلك الوقت عينه من حركة قوة كبيرة من النقلية غرباً حملاني على الاعتقاد بأن الترك شرعوا في الانسحاب ولكننا سرعان ما علمنا أنهم كانوا يقسمون قواتهم إلى قسمين لوضع القسم الواحد منهما على الضفة اليمنى .

وفر من صفوفنا إلى صفوف العدو جنديان هنديان من جنود الفوجين

---

(١) وهذه الخسارة ارغمتني على اخذ فوج « نورفوك » من اللواء الثامن عشر فعززت به حامية الحصن .
(٢) وبلغت خسارتنا في الحصار إلى هذا اليوم (اي من ٤ كانون الاول إلى ٢٥ منه) ١٦٢٥ .

البنجابيين الثاني والعشرين والثالث والعشرين في ٢٧ و ٢٨ كانون الاول . وقد اطلقت النار على كليهما ولكن ويا للاسف لم يصبهما الرصاص .

وفي ٢٩ كانون الاول بعث الينا الترك برسالة يطلبون فيها السماح لهم بهدنة يدفنون فيها موتاهم وقد حملوا الينا تلك الرسالة في ظل الراية البيضاء علامة الهدنة . ولما رأيت على تلك الرسالة امضاء آمر فوج تركي يقاتل بالقرب من الحصن اجبت عليها بأنني امنح الترك هدنة مدتها اربع ساعات لدفن القتلى بشرط أن يكتب إلى القائد التركي العام مستأذناً مني في ذلك . ولكنني لا استطيع منح هدنة لم يطلبها مني القائد التركي العام نفسه . وإذا اتفقنا على الهدنة تعين منطقة حياد تذهب اليها من كلا الفريقين جماعات صغيرة غير مسلحة وإذا اتخذ الترك راية الهدنة ذريعة لسوق الجنود إلى الخنادق الامامية على ما فعلوه في « غاليبولي » بادرت من تلك اللحظة إلى صب النيران من جميع مدافعي عليهم . فمر يومان أو ثلاثة ايام على هذه الحادثة من غير أن اتلقى جواباً لرسالتي هذه .

وفي ٢٩ كانون الاول ابرقت إلى « ايلمر » انبئه بأننا علمنا من الاسرى أن الفرقة التركية ٣٦ تقفو أثر الفرقة الخامسة المختلطة المرابطة خارج الكوت وأن الفرقة ٣٦ هذه ستجتمع في بغداد في ٢١ كانون الاول . وقلت له أن الضغط الواقع علينا الآن يكفينا . ولا ريب عندي في أنه لا يطالبني ببسط الاسباب التي تحملني على القلق من جراء تعزيز القوات التركية بنجدات جديدة تصل العدو . واملي أنه إذا شرع في الزحف من علي الغربي في ٣ كانون الثاني ـ وقد بلغني أنه سيزحف في هذا اليوم ـ يصل الكوت قبل اليوم العاشر من هذا الشهر بمدة طويلة لأن علي الغربي لا تبعد عن الكوت الا مسافة ٥٦ ميلا . وطلبت اليه أن يوافيني بالاخبار عن مقدار النجدات الزاحفة شمالا وعما يعلمه من أمر الروس .

وامرت رئيس اركان فرقتي بأن يضع خطة للانسحاب إلى خط الدفاع الاوسط وذلك على فرض أننا لا نستطيع الثبات في خط الدفاع الاول . وقد دونت هذه الخطة في ملحق الباب الرابع من هذا الكتاب .

الفصل الثاني

المحاولة الاولى لفك الحصار عن الكوت للمرة الاولى

اجابة لطلب « ايلمر » حسبت القوات التي تحت امرتي فالفيت أنه ليس عندي سوى ٥٠٠٠ جندي ماش يصلحون لمعاونة قوته حين وصولها ويشمل هذا العدد ٤٠٠ جندي نساف . وعندي كذلك ثلاث بطريات صحراء في كل بطرية اربعة مدافع ولكن نقلية هذه البطريات ـ اي عجلاتها ـ قد نقصت خمسين في المائة . وعندي كذلك بطرية مدافع قصيرة فيها اربعة مدافع ومدفعان بحريان قطر المدفع منهما ٤,٧ وهذه المدافع جمعاء موضوعة على سفن الخيل ، ورتل عتاد الفرقة الذي بات ٦٠ في المائة من قوته الاصلية . وحسب معاون مدير القسم الطبي أن لدينا ٢٠٠٠ جريح ومريض يقتضي ارسالهم إلى الجنوب على الفور . وقد حسبنا كل هذا توقعاً لزحفي مع « ايلمر » مرة اخرى على بغداد عندما يفك الحصار عني .

وشاهدنا فرقة من قوات الاعداء تسير شرقاً نحو السن على الضفة اليسرى في مساء ٢٨ كانون الاول وبعد ذلك شاهدنا رتل نقلية يسير على تلك الطريق عينها .

وطفق الاعداء الآن يطلقون قنابلهم في كل يوم على مقر الفرقة الذي كان في البلدة والظاهر أن العرب انبأوا الترك بمكان مقرنا . وكادت القنابل احياناً عديدة أن تفتك بنا وقد اصابت مرات عدة السطح والغرف العليا وقتل عدة اشخاص في المستشفى بانفجار القنابل في وسط الجرحى الذين كانوا مضطجعين فيه . فكانت خسارتنا اليومية من الحوادث الاعتيادية حينئذ تتراوح بين ٢٦ و ٣٦ شخصاً .

وابأني « ايلمر » في ٢٩ كانون الاول أن القوة التي يقودها لفك الحصار عني تتألف على وجه التقريب من فرقتين ولواء خيالة وطلب مني أن ابعث اليه بتفاصيل الاستحكامات المحيطة بي فاجبت طلبه .

وابأني المقر العام بأنه لم يتلق خبراً يتعلق بحركات الروس في بلاد فارس . فايقنت حينئذ أن الروس لا يقومون بحركة ذات شأن لتهديد بغداد لولا ذلك لزحفوا بقواتهم متحدة في كتلة واحدة على كرمانشاه وقصر شيرين . ولكننا نرى قواتهم متفرقة في ارتال عديدة تقطع البلاد الفارسية . والظاهر أن الروس قد رتبوا قواتهم على هذا الترتيب لكي يحتلوا الاماكن المهمة العديدة كمن يحتل البلاد احتلالا دائماً .

ولا ريب في أن « فوندر غولتس » نفسه الذي كان يسوق الجيش في ميدان الحركات هذا كان يرى رأيي في ذلك الموقف الذي وقفه الروس .

وعثرنا على رزمة أو رزمتين من الاوراق التي تحرض الجنود على العصيان والفتنة مكتوبة باللغة الهندية وممضاة بامضاء « باندي بطرام » وكانت هذه الاوراق موضوعة على اسلاكنا الشائكة وهي تحرض الجنود الهنود على القيام على الضباط البريطانيين وقتلهم والانضمام إلى اخوانهم الترك وقد وعدهم الترك بأنهم يدفعون لهم رواتب اعظم من الرواتب التي يتناولونها من الانكليز ويقطعونهم الاراضي .

وفي هذه الاثناء رأينا الكثيرين بين جنود فوج من الافواج الهندية يشوهون ابدانهم للتملص من الاشتراك في القتال فكانوا يقطعون الاصبع التي يضغطون بها الزناد (اي السبابة) باطلاق البندقية عليها فيتظاهرون بأنهم قد اصيبوا بجرح فيها .

ولمنع أثر البارود كانوا يلفون قماشا ثخينا حول الاصبع واليد قبل اطلاق البندقية . وقد حاكمنا جميع هؤلاء الجنود ـ وكان عددهم جميعا اثني عشر أو اربعة عشر ـ في مجلس عسكري فحكمنا عليهم احكاما صارمة جداً . وكذلك فر جنديان أو ثلاثة جنود هنود إلى العدو في ٢٩ و ٣٠ كانون الاول وقد حاكمت

الكثيرين في مجلس عسكري لاظهارهم الجبن ازاء العدو ولنومهم اثناء الحراسة .

وفي ١ كانون الثاني تلقيت برقية من « ايلمر » بسط فيها خطته لفك الحصار عن الكوت . وقال في هذه البرقية أنه لا بد لي من العلم بأن وضع التقرير المتعلق بزحفه لفك الحصار عن الكوت يقتضي تعيين مواعيد وصول النجدة على وجه الدقة على أن يحسب حساب المقاومة التي تلقاها القوة الزاحفة في طريقها . وانه لا يستطاع تنظيم النجدة الا حين وصولها علي الغربي فتعيين مواعيد وصول النجدة منوط بهذا الأمر وبوصول السفن من البصرة . وعارضني في سوق القطعات إلى الامام لفك الحصار عني وكذلك عارض في تسيير الجنود عنوة . ولكنه قال أنه مستعد للمخاطرة بقوته مخاطرة شديدة إذا رأيت أن حراجة موقفي تقتضي هذه المخاطرة حتما . مثال ذلك أنه قال إذ لم يكن لنا مفر من هذه المخاطرة فتشرع قوته في الزحف من علي الغربي في ١ كانون الثاني . وإذا لم تلق هذه القوة مقاومة يحتمل وصولها النخيلات في ٣ كانون الثاني ويحتمل أن تبلغ هذه القوة حينئذ فرقة واحدة وذلك إذا ارسلنا وراءها قطعات اخرى بالسفن من غير أن تتوقف في علي الغربي . ولا يعلم الأمر الذي يفعله العدو في مثل هذه الاحوال إذ يحتمل أن يقاتله في السن . وليس هذا الأمر بعيد الوقوع . إلى أن قال : ـ

« وحينئذ سيرفع عنك ضغط شديد . وإذا لم يقف العدو بين النخيلات والكوت انضمت اليك هذه القوة في الكوت في ٤ كانون الثاني . ويحتمل أن باقي الفيلق يصل النخيلات في ٨ كانون الثاني والكوت في ٩ منه . وإنني افضل كل التفضيل أن اشرع في الزحف من علي الغربي بفرقة واحدة في ٦ كانون الثاني على ما بسطته لك في البرقية التي بعثت بها اليك في ٢٩ كانون الاول . فاذا سمحت لك الاحوال بقبول هذا التأخير تصل والحالة هذه فرقة واحدة النخيلات في ٥ كانون الثاني ويصلها باقي الفيلق في ٨ منه . وعندي أن خير خطة تنهجها النجدة هي أن يزحف الفيلق بكامله من الشيخ سعد أو من جوار هذا المكان . ويحتمل أن النجدة تصل النخيلات في ٨ كانون الثاني ولكني اقول لك قول واثق من أمره أن النجدة تصل هذا المحل في ٩ منه على اعظم تقدير . اجل أن هذه الخطة بطيئة

ولكنها تضمن لنا بلوغ الغاية التي نسعى اليها . لذلك ينبغي لنا أن نؤخر الزحف الحقيقي على قدر الاستطاعة لأن العجلة تؤول إلى قلة التنظيم فنقص الكفاية . وثق بأني سابذل كل ما في الوسع للاسراع إلى نجدتك إذا رأيت أن موقفك يحتم علينا بالتسرع في الزحف . إني لعالم بانك ستعمل الروية في هذه الامور قبل أن نعين الموعد الذي يجب أن يفك فيه الحصار عنك »

وفي ١ كانون الثاني عام ١٩١٦ كان جندي هندي من فوج المشاة الخفيف ١٠٣ قائما بواجبات الخفارة فاطلق اطلاقتين على ضابط هندي وطفر فوق الخندق في الحصن محاولا الفرار إلى العدو . فقبض عليه وحوكم في محكمة عسكرية جزئية عامة فحكم عليه بالموت واعدم رميا بالرصاص عند الغروب .

وكادت قنبلة اطلقها علينا فجأة مدفع من مدافع العدو الموضوعة على الضفة اليمنى أن تؤدي بحياتي لما كنت على سطح دار المقر عند غروب الشمس . ومرت قنبلة اخرى في غرفة المقدم « دافي » وقنبلة ثالثة في المنزل فجرحت شخصين من رجال سرية مخابرة الفوج جروحاً بليغة . وكان العدو طول مدة الحصار يرمي مقري بالقنابل رمياً دقيقاً بلا انقطاع لأن عرب البلدة كانوا يقطعون النهر سباحة في الليل فينقلون اخبارنا إلى العدو . وفي تلك الليلة عينها اخترقت قنبلة سقف المستشفى وانفجرت بين الجرحى فجرحت اثنين منهم جروحاً جديدة .

واجبت على الخطة التي وضعها الفريق « ايلمر » لنجدتي ببرقية ابرقت بها اليه في ١ كانون الثاني قائلا : « إنه لما كانت قاعدة الاقتصاد في القوة تقتضي بلا استثناء أن يوحد القائد جميع القوات المتيسرة له قبل زحفه على العدو بحيث لا يتم اجتماع القوات ضمن المنطقة التي يمتد اليها تأثير العدو لذلك اوافق على خطتكم وارغب رغبتكم في جمع معظم قوتكم مع المقدمة في الشيخ سعد قبل زحفكم على صورة نهائية لفك الحصار عني » . وقلت كذلك أنني ساطلب النجدة المستعجلة من « ينغهسبند » قائد المقدمة إذا اقتضى الأمر ذلك . ولا اخال أن الضرورة تدعو إلى طلب النجدة على الفور لأن الاعداء متخوفون وقلقون من زحف « ينغهسبند » لذلك حولوا هجومهم إلى حصار مستكن وحصروا حركاتهم في اطلاق مدافعهم

الكبيرة علينا ليلا . وانبأت الفريق « ايلمر » أن طائرة معادية مرت طائرة فوق الكوت قبل الظهر ووجهتها الشرق وهي الطائرة المعادية الاولى التي شاهدناها . وقد بعثت بنسخة من هذه البرقية إلى المقر العام في البصرة .

وثبتت قطعاتي كل الثبات في وجه حملات العدو العنيفة على الحصن . لأن احباطنا هجوم الترك في يوم عيد الميلاد بعث الهمة في نفوس الجنود فلم ار في حالة جنودي حينئذ ما اشكو منه وودت لو حمل العدو علي حملة اخرى لأن احباط حملته للمرة الثانية يقتل همة جميع رجاله على اختلاف مراتبهم .

وفي ٢ كانون الثاني اصلى العدو البلدة نيران مدافع حامية انصبت من فوهات ثمانية عشر مدفعاً من المدافع الثقيلة والمدافع السريعة الانطلاق . وانهزم الينا نائب عريف تركي واخبرنا أنه وصلت الترك قبل يومين أو ثلاثة ايام فرقة جديدة . وفي ٣ كانون الثاني شاهدنا قوة كبيرة من قطعات العدو تتألف على اقل تقدير من فرقتين كانت تسير شرقاً من معسكر الترك الكبير . فخيل إلي في بادىء الأمر أن هذه القوة تزحف لمهاجمة الحصن ولكنني رأيت بعد ذلك أنها كانت تسير جنوبا على الضفة اليسرى لمقاومة النجدة الزاحفة لفك الحصار عني . وفي هذا اليوم عينه استنتجت أن معظم قوة العدو تسير جنوباً على هذه الصورة مسيرات ليلية لكي تصد زحف الفريق « ايلمر » تاركة وراءها فرقة على الاقل (ويحتمل أن العدو ترك فرقتين) لمحاصرتي في الكوت . وفي الساعة ٤ شاهدنا رتلا مؤلفا من الفي جندي بلا نقصان مع ستة مدافع ونقلية يسير شرقاً في تلك الطريق عينها بلا تخف . وشاهدنا المعسكر التركي على الضفة اليمنى شمالا قد صغر جداً عما كان عليه قبلا .

وقد دونت في مفكرتي أن خسارتنا من ٤ كانون الاول إلى ٣١ منه بلغت ١٧٧٤ مقاتلا .

وفي ٥ كانون الثاني شاهدنا رتلا كبيرا يبلغ طوله نحو خمسة اميال وتقدر قوته بثمانية آلاف جندي على الاقل يسير شرقاً نحو السن على طريق الضفة اليمنى . وتلقيت في هذا اليوم برقية من قائد الفيلق يسألني هل ارى رأي المقر في تقدير

القوات التركية المورعة في ٣ كانون الثاني على الصورة التالية : ـ ١١٥٠٠ جندي ماش مع ٤١ مدفعا على الصفة اليمنى بالقرب من الجسر التركي و ١٢٠٠٠ جندي ماش مع ١٨ مدفعاً إلى جنوب الكوت ويحتمل أن هذه القوة كانت مرابطة في السن وختم برقيته بقوله أن الفرقتين اللتين قلت في برقيتي التي ارسلتها في ٣ كانون الثاني انهما تقطعان النهر شمال الكوت وسيران شرقا قد زحفتا من عطفة شمران ولم تأتيا من الضفة اليمنى . فاستطلع رأيي في ذلك وسألني هل استطيع تقدير قوة تينك الفرقتين لعل هذا يساعده على معرفة حقيقتهما وقال أنه سيسعى لاستطلاع احوال العدو في المنطقة المحيطة بي باستكشاف تقوم به الطائرات من الشيخ سعد عندما يصبح الهواء موافقاً للطيران ويحتمل أن يتم ذلك الاستكشاف في ٧ كانون الثاني . وقد بات الاستكشاف من علي الغربي محفوفاً بالاخطار الجمة نظراً إلى حالة الطائرات . واستطلع رأيي في أمر مدافعة العدو عن السن لأنه كان يعتقد أن الترك يدافعون عن ذلك الموضع وطلب أن انبئه بعدد الجنود الذين يبقيهم في الكوت لتمكني من الثبات في وجه العدو .

ووصلتني برقية المقر التي المع اليها قائد الفيلق بعد برقية « ايلمر » وقد قدر المقر قوة العدو في ٤ كانون الثاني على الوجه التالي : ـ

وضع العدو على الضفة اليمنى وعلى مسافة تسعة اميال إلى غرب الكوت في عطفة شمران الفرقتين ٤٥ و ٣٦ ومجموع قوتها ١١٥٠٠ حربة (اي جندي ماش) مع ٤١ مدفعاً وعلى الضفة اليسرى قبالتي الفرقة الخامسة المختلطة والفرقتين ٥١ و ٣٨ ومجموعها ١٢٩٠٠ حربة و ٢٤ مدفعاً . ووضع الترك كذلك على الضفة اليسرى في السن الفرقة ٣٥ ومجموع رجالها ٢٥٠٠ جندي مع ١٨ مدفعاً ، وفي الشيخ سعد على كلتا الضفتين اربعة افواج و ٨٠٠ خيال و ١٢٠٠ هجان . ومجموع قوة العدو المقاتلة الكلي ثلاثون الف جندي مع ثلاثة وثمانين مدفعاً .

وانبأني المقر بأننا قد ضربنا هذه القوة ـ ما عدا الفرقة ٣٦ ـ ضربات شديدة ويرجح أن عزائمها قد ارتخت . ولم يعتقد المقر بأن الاعداء يفسحون المجال لـ « ايلمر » ليضربهم الضربة القاضية في جنوب الكوت بل أن الترك سيجمعون

قواتهم شمال الكوت . ورأى القائد انهُ يتحتم على « ايلمر » بعد فك الحصار عني أن يعتصم في افضل موقع موافق للتحصن بجوار الكوت منتظراً أن تنضم اليه نجدات جديدة . وقال أن « ايلمر » سيستشيرني في اختيار الموقع الافضل الذي يضع قوته فيه بجوار الكوت وأن يعين الموضع الاقرب لاجتماع كل النجدات الباقية .

وقد اجيب على برقية « ايلمر » أن قوة الاعداء تبلغ نحواً من عشرين الف مقاتل مع ٣٢ مدفعاً ولكنهم قد خسروا منذ الشروع في محاصرة الكوت من اربعة آلاف إلى خمسة آلاف مقاتل بين قتيل وجريح . وانني اتوقع أن الترك سيبقون امامي فرقة لمحاصرتي اثناء نشوب القتال في السن .

ولكن تقديري لقوة العدو بعشرين الف مقاتل و ٣٢ مدفعاً كان دون مقدار هذه القوة الحقيقي . وكان تقدير المقر لها تقديراً دقيقاً . فإنها كانت قد بلغت انئذ ثلاثين الف جندي مع سبعين أو ثمانين مدفعاً .

وعلمت الآن أن وحدات القوة القادمة لنجدتي ومتمماتها تتألف من فرقتين هنديتين رجعتا من فرنسا وهما فرقة « لاهور » الثالثة بقيادة الفريق الثاني « كيري » وفرقة « ميروت » السابعة بقيادة الفريق الثاني « ينغهسبند » . وعلمت أن الفريق الثاني « كمبال » رئيس اركان جيش « السر جون نكسن » السابق تولى امرة لواء .

وفي ٢ كانون الثاني ارسل الترك إلي ضابطاً يحمل علم هدنة . ولكنني لم انقطع عن اطلاق النار من جراء ذلك . وقد نقل إلي هذا الضابط رسالة من القائد التركي العام يطلب فيها أن اسمح له بدفن القتلى الذين سقطوا اثناء الهجوم على الحصن في ليلة عيد الميلاد . لأن الرائحة الخبيثة المنبعثة عن الجيف كانت مما لا يطاق احتماله ولم تزل جيف عديدة معلقة باسلاكنا الشائكة إلى جانب الحصن الذي هجم عليه الترك . وانبأني كذلك أن الرئيس « غربن » من ضباط الفوج البنجابي ٦٧ الذي اسره العدو في الوقعة التي جرت عند رأس الجسر قد توفي من جروحه . وكان قد جيء إلي بهذا الضابط مربوط العينين وكنت حينئذ في مقري ببلدة الكوت وكان ذلك الضابط يحسن التكلم بالفرنسية . فسألته عن الحملة التي

ينوي الترك تجريدها على بلاد فارس وقلت له لا ريب عندي في أن نشاط الترك واقدامهم لا يبقيانهم في بلاد فارس بل يسوقانهم إلى غزوة بلاد الافغان . وما الذي يمنع الترك حين استيلائهم بلاد الافغان من غزوة الهند الغنية المخصبة .
وقال لي أن المشير « فوندر غولتس » قد بلغ من العمر ٧٦ سنة على اقدر تقدير واعطيته علبة سكاير « ماسبيرو » ليحملها هدية مني إلى نور الدين وقلت له كما يقول الترك : ـ « سابعث اليكم بالجواب غداً » . وقد رأيت نور الدين يغمط النعمة لانهُ في اللحظة التي وصل فيها ذلك الضباط الخطوط التركية حاملا علبة سكاير « ماسبيرو » طفق نور الدين يصلينا نارا حامية تصبها مدافعه : فكانت جميع المدافع التركية الكبيرة والسريعة تصب مقذوفاتها على بلدة الكوت ولكن خسارتنا من جراء هذا القصف كانت ٢٤ جنديا .

وشاهدت المركب « فاير فلاي » الذي استولى الترك عليه منا فرموه يمخر في النهر جنوبا حول « عطفة شمران » ليتخذ له موضعاً لكي يطلق علينا مدفعه الذي قطره ٤,٧ العقدة والموضوع على قلعته الامامية ولكن مدافعنا من قطر خمس عقدات حملت هذا المركب على الابتعاد عنا .

ووصل العدو في هذه الاثناء نجدة جديدة مؤلفة من فرقتين ورأينا تينك الفرقتين تسيران جنوبا خارج مدى مرمياتنا لتقوية القطعات التركية التي كانت واقفة في وجه « ايلمر » .

وفي ٦ كانون الثاني بعثت برسالة خاصة إلى « ايلمر » ومقصدي من تلك الرسالة أن اغرس في ذهنه فكرة الهجوم الالتفافي . لأنني كنت ارى أن هذه الحركة هي الوسيلة الوحيدة التي تحل بها مشكلة فك الحصار عن الكوت . والمعت إلى كل الحركة الالتفافية التي قمت بها في وقعة الكوت في شهر أيلول . وكنت عالما بأن « ايلمر » من المتضلعين من الفنون الحربية لكنني كنت اوجس خيفة لئلا يكون من محبذي خطة الهجوم على الجبهة تلك الخطة التي خلبت الباب الكثيرين من قوادنا والتي لم ار فيها سوى الفشل .

وفي ٧ كانون الثاني قر الرأي على أن يقوم الفريق « غورنج » بمظاهرة حربية

نحو الكوت بطريق الحي وكان غورنج في هذه الاثناء في الناصرية . وعلمت من المقر العام أن الاتفاق تم على أن يذيع « غورنج » الاشاعات بعزمه على الزحف لفك الحصار عن الكوت . ولم أعلم ما جرى لتلك المظاهرة ولكنني اعتقد أنه جرت مناوشات بين العرب وبين مفرزة صغيرة من مفرزاتنا فادعى العدو حينئذ بأنه كبد مفرزتنا خسارة فادحة حين انسحابها إلى الناصرية .

وفي ٨ كانون الثاني جرى قتال شديدة جداً بين فرقة الفريق « ينغهسبند » وبين قوات الاعداء في مكان واقع على مسافة ميلين ونصف ميل إلى جنوب الشيخ سعد . فابرق إلي قائد الفيلق يقول انهُ يرى في قوته الكفاية للتفوق على كل القوة التركية ما عدا القوة التي تحاصرني في الكوت وكان يتوقع أن ينشب بينهما قتال شديد آخر . فقال « هل لك أن تفصح لي عن رأيك في القيام بحركة الخروج ؟ » فقرأت بين كلماته هذه أن وطأة القتال كانت شديدة جداً على « ينغهسبند » .

فاجبته في ذلك اليوم عينه : « على ما اعلم انهُ لم ينبئني احد بأمر القتال الذي جرى إلى جنوب الشيخ سعد . ولا اعلم مقدار القوة التي تحاصرني . فالترك مختفون في الخنادق التي تحيط بي . ولم اشاهد الطائرات تقوم بالاستكشاف الموعود باجرائه في ٧ الجاري . وقد فكرت في أمر القيام بخروج لمضايقة الترك اثناء مرورهم بي في تقهقرهم على الضفة اليسرى . وكذلك افكر في الأمر الذي ينبغي لي عمله إذا ردك العدو فاذا وقع هذا الأمر فقد عولت على أن اشق لي طريقاً للخروج من هذا المكان . ولا يذهب مسعاي هذا ضياعاً إذا تمكنت من التملص بثلثي قوتي من هذا المكان . ولا يخفى أن الخروج على هذه الصورة يحتم علي ترك جميع المدافع وجميع الجرحى والمرضى ورائي . وليس لدينا من الوسائل ما يمكننا من وصول الضفة اليمنى بسرعة كافية وعلى صورة سرية لكي ننجح في مسعانا . واعتقد أنني اتمكن من أن اشق لي طريقاً في جانب البر على الضفة اليسرى بحيث اقطع شبكة الخنادق بمعابر نقالة اعدها الآن لهذا الغرض . ولا يخفى أن عملنا هذا عمل استقتال في سبيل التملص من الحصار . ولا مسوغ لنا الاقدام عليه الآن . فاملي أنني اتلقى منك بعد مدة قصيرة اخباراً سارة . فاذا كانت القوات التركية قد

زحمت لمقابلتك فلا تتمكن تلك القوات من التحصن في الخنادق ويتحتم على قوافل عنادها أن نقطع كل المسافة من هنا ».

وفي الساعة ٤٥ . ٤ بعد الظهر تلقيت البرقية التالية من المقر العام تاريخها ٨ كانون الثاني : ـ

« إن قائد الحملة يأمرك بأن لا تقدم على الخروج من مكانك الا إذا حتمت الضرورة المطلقة عليك ذلك . فلدينا هنا نجدات قوية نرسلها شمالا كلما رجعت الينا السفن الفارغة من الشمال وكذلك نرسلها في كل يوم طريق البر . والمرجو من قائد الفيلق أن يطلع طاونزند كل الاطلاع على الموقف الحربي » .

فكنت قد اسأت فهم برقية « ايلمر » وخلت انهُ يبغي جس نبضي ليعلم هل اتمكن من شق طريق لي للخروج . وبعد مدة قصيرة تلقيت البرقية التالية من قائد الفيلق : ـ

« روت الطائرات في ٥ كانون الثاني أن العدو قد تحصن تحصناً منيعاً على كلا جانبي النهر على مسافة ميلين إلى غرب الشيخ سعد . وهذا مقدار قوة العدو : ـ ٤٥٠٠ على جانب النهر الشمالي و ٦٥٠٠ على الجانب الجنوبي . والقوة الواقعة على الجانب الجنوبي تشمل الفي خيال . وليس لدى العدو جسر » .

وبعد ذلك تلقيت في هذا اليوم عينه برقية اخرى من قائد الفيلق : ـ

« إنني بطلبي منك أن تنظر في مسألة الخروج كنت ارمي بذلك إلى ايقاع العدو في الارتباك لكي يرتفع الضغط عنا هنا . ولسنا نفكر الآن على الاطلاق في مسألة شق طريق لك للخروج . واتوقع أن يتأخر وصولنا اليك لأن العدو يقاومنا بقوات عظيمة » .

وقد علمت من القراءة بين سطور هذه البرقية أن الموقف كان حرجاً جداً وفي آخر الأمر علمت من قائد الفيلق انهُ « نظراً إلى الاعياء الذي حل بالجنود في وقعة امس لم اتمكن من التقدم اليوم » . فكان قائد الفيلق قد وضع الجنود على كلا جانبي النهر وقدر القوات التي قاومته بخمسة عشر الف مقاتل . اما خسارته

فكانت على وجه التقريب ثلاثة آلاف مقاتل . لذلك قال انهُ سيبطىء في تقدمه إلى أن تصله النجدات . ولم يبق الآن شك عندي في ان الموقف بات حرجاً جداً ولكنني لم ابث ما في نفسي انساناً . وطفقت اهتم بأمر الطعام المتيسر لقوتي . فعلمت من الزعيم « انسلي » أن الطعام الباقي عندي هو : ـ

للجنود البريطانية	ارزاق ٣٠ يوماً
للجنود الهندية	ارزاق ٢٩ يوماً
من الحبوب	ارزاق ٨ أيام
من العليـ	ارزاق ٧ أيام
من اللحم المحفوظ في علب	ارزاق ٨ أيام
من لحم المواشي التي لم تذبح	ارزاق ١٧ يوماً
من الشاي	ارزاق ١٥ يوماً

وفي ٨ كانون الثاني تلقيت برقية خاصة من « السر جون نكسن » ينبئني فيها أن الاطباء قرروا أن حالته الصحية تقضي عليه بأن يعتزل العمل وأنه يتوقع أن يترك البلاد بعد اسبوع أو نحو ذلك ويود لو تم انضمام « ايلمر » إلي قبل سفره . وقد انبأ « السر بيجم دف » قائد الجيوش الهندية بانهُ قد سلم زمام القيادة إلى « ايلمر » الذي يتلوه في القدم واوصى بأن استلم أنا قيادة فيلق دجلة . وإن الجرائد البريطانية انتقدت أمر زحفنا على بغداد ولكن « اللورد كرو » دافع عن هذه الخطة دفاعاً شديداً . وندد « سدنهام » في مجلس « اللوردات » بهذه الخطة فقال أنها قد فشلت ولكن الجميع سرهم أن يعلموا أن فشلنا كان فشلا مجيداً من الوجهة العسكرية .

ووصلتني ليلا برقية اخرى من « ايلمر » تتعلق بمقاتلة القوة القادمة لنجدتي بالقرب من الشيخ سعد . فقال أن « كمبال » تحصن على الضفة اليمنى على كلا جانبي خط التلغراف وتبلغ قوته ستة افواج . اما على الضفة اليسرى فقد احتل لواءان خندقا طوله ثلاثة اميال حيث يشكل خط هذا الخندق زاوية قائمة مع النهر . وإن لديه قوة احتياطية مؤلفة من ستة افواج موضوعة على الضفة اليسرى . وقد علم من استنطاق الاسرى أن القوة التي تقاومه تقدر بخمسة عشر

الفا من مشاة وخيالة بحيث تشمل هذه القوة العرب وعددهم كبير جداً . وإنه سيبطىء في تقدمه إلى أن تصله النجدات ويعتقد أن كل المساعي تبذل لتعجيل وصول هذه النجدات

وعلمت في هذا اليوم أنه قد سرق منا الف كيس طحين . فعزوت هذه السرقة إلى الجنود الذين كنت قد امرتهم بأن يستخدموا جانباً من اكياس الدقيق في اقامة المتاريس على جناح السرعة لأنه لم يكن عندي اكياس رمل وكان ذلك عندما شرعت للمرة الاولى في تحصين الكوت . ولا اعتقد على الاطلاق بأن هذه هي السرقة الاولى التي وقعت اثناء حصار الكوت . وظهر ان السرقة كانت متواصلة مع شدة الحيطة التي اتخذناها لمنع ذلك . وكان الفرق عظيما بين الكميات التي كنا نعتقد بوجودها عندنا من مواد الاعاشة وبين المقدار الحقيقي الذي كان موجودا عندنا منها بعد وزنه ولكننا كنا من الوجهة النظرية نعزو هذا النقص إلى ما يضيع من الحبوب من جراء تنظيفها .

وقد دونت في مفكرتي بتاريخ ٩ كانون الثاني ما يأتي : ـ « لقد ابرقت إلى ايلمر مرة اخرى طالبا منه أن يوفد الطائرات للاستكشاف في ٩ كانون الثاني لكي اعلم على وجه التقريب مقدار القوات التركية التي تحاصرني هنا . ولا شك عندي في أنه إذا هجمت على معسكر الترك الكبير الواقع على الضفة اليسرى واستوليت عليه وطردت البواخر وغيرها عادت معظم القوة التركية إلى هنا على جناح السرعة العظيمة . وفضلا عن ذلك أنني اشك في أمر الفوز في المعركة لأن احوال قطعاتي الآن تختلف كل الاختلاف عما كانت عليه قبل شهرين أو ثلاثة اشهر » .

ووصلتني برقية من « ايلمر » احيت مرة اخرى ميت الامل في نفسي وهي : « انسحب العدو من الشيخ سعد شمالا وأنني اطارده الآن . ولكن حركتي محفوفة بالصعوبات الجمة نظراً إلى شدة تساقط الامطار » .

ولكن هذا الامل اخذ يضعف في اليوم التالي لما انبأني « ايلمر » أن المطر والبرد انهكا قوى جنوده انهاكا شديداً . وعلمت أن النجدة لم تزل منقسمة على كلا جانبي النهر إذ كان الفريق كمبال ومعه ستة افواج من الشيخ سعد على الضفة

اليمنى وباقي الفيلق على الضفة اليسرى . وانبأني « ايلمر » بأن الطائرات لم تستطع القيام بالاستكشاف نظراً إلى رداءة الهواء . وعلمت من الانباء التي وصلتني حينئذ أن العدو اخذ ينسحب إلى العورة أو إلى ما ورائها .

وقلت « لايلمر » انهُ يحتمل أن نور الدين يتوقف عند ترعة « الكبيبات » المالحة الماء في العورة حيث يتمكن من انتظار الفيلق الجديد الذي قيل انهُ كان حينئذ على وشك الوصول وكان الترك يتوقعون وصول فرقة من هذا الفيلق في ٢٠ كانون الثاني . ولا يخفى أن جميع القطعات التركية التي وصلت في الأونة الأخيرة وصلت قبل الوقت الذي عينه قلم استخباراتنا بمدة طويلة . ورأيت حينئذ أن ترعة « الكبيبات » ليست من الموانع التي تستحق الاهتمام . لأن عبورها سهل في جميع فصول السنة وفي كل مكان منها ما عدا طرفها الشمالي . وقد بعثت بصورة هذه البرقية إلى المقر العام .

ولا يخفى أن نور الدين كان يقاتل قتال مشاغلة ليؤخر زحف النجدة إلى أن تنضم اليه باقي قطعات الجيش التركي . وكان هذا رأيي الخاص اما الحقيقة فكانت ظاهرة لي ظهور النور لذي عينين . وكان أمر انسحاب نور الدين جليا فانه تقهقر ليلا من غير أن يلقى مضايقة ولم نر في تقهقره ما ينم عن الانكسار . وبسطت آرائي هذه « لايلمر » في برقية بعثت بها اليه في ١٠ كانون الثاني .

وفي الصباح ٩ كانون الثاني شاهدنا الترك ينشرون الاعلام على بواخرهم ويراصفون سفنهم . وسمعنا اصوات الهتاف تتصاعد من الخنادق . فعزونا هذه المظاهرات إلى انسحاب القوة البريطانية من غاليبولي فصدق ظننا .

وفي ١٠ كانون الثاني بعد الظهر مرت بنا اربع أو خمس جماعات مشاة لم تقل الجماعة منها عن ٢٠٠ جندي وكان الترك يسيرون حزائق على غير نظام عسكري . والظاهر أنهم كانوا جنودا مجروحين جروحاً طفيفة قادمين من اسافل النهر وسائرين غرباً . وشاهدنا عدداً عظيماً من الخيام منصوبة على الضفة اليمنى ولم تكن هذه الخيام موجودة هناك قبلا . وشعرنا في عصر هذا اليوم بحركة شديدة في معسكر الترك الكبير وجاءت قافلة مؤلفة من ٦٠٠ جمل من الغرب إلى الشرق

كانت تسير على الضفة اليمنى . فقطعت هذه القافلة شط الحى وسارت إلى معسكر الترك الكبير . وابرق إلي « ايلمر » أن خسارته بلغت ٣٧٩٣ جريحاً في الشيخ سعد فقط . ولم يتمكن من احصاء عدد القتلى . ولكنني قدرت عددهم بين ٦٠٠ و ٧٠٠ لأن هذه هي نسبة القتلى إلى الجرحى الاعتيادية . وانبأني « ايلمر » بأن الترك انسحبوا إلى السن وقد اتخذوا لهم موقعاً هناك على كلتا ضفتي النهر . وقال أن الهواء رديء جداً بامطاره وبرده . اما الهواء في الكوت فكان جميلا جدا في ١٠ كانون الثاني ولكن الجبال كانت في الشيخ سعد اقرب جدا إلى النهر منها في الكوت .

وفي الساعة ١ بعد الظهر تلقيت برقية من آمر الفيلق قال فيها أن الترك قد اعادوا الكرة[1] وانهم يحصنون لهم خطاً على كلتا ضفتي الوادي . وخلت أن هذا الوادي هو ترعة الكبيبات الواقعة في رأس عطفة العورة على مسافة ٩ أميال فوق شيخ سعد في مكان واقع على الضفة اليسرى .

وعلمنا من البرقيات اللاسلكية التي التقطناها أن الفريق « ايلمر » كان في ١٣ كانون الثاني يهاجم الترك في مواضعهم الواقعة على الوادي وأن الفريق « ينغسهبند » يسعى للالتفاف حول الموقع التركي بينها كان الفريق « كمبال » يشاغلهم في الجبهة . وفي منتصف ليلة ١٣ و ١٤ كانون الثاني تلقيت برقية من « ايلمر » يقول فيها أن كمبال كان عند الشفق يشاغل الترك في جبهتهم الشرقية مسافة ميلين على موازاة الوادي . فكان « ينغهسبند » يسعى للقيام بمناورة التفافية وقد تمكن من الالتفاف حول القسم الشمالي من موقع العدو وادعى بأن ميمنته كادت تصل نهر دجلة . فتوقعت حينئذ أن ينكسر العدو .

وفي ١٤ كانون الثاني علمت من رسالة لاسلكية التقطتها صباحاً أن العدو طفق ينسحب بعد تكبده خسارة فادحة وأن كمبال اخذ يطارده . وفي الساعة

---

(١) انني اعتقد أن انسحاب نور الدين كان انسحابا حقيقيا ولكن « فوندر غولتس » أمر بالتوقف عن التقهقر وعزل نور الدين من القيادة فعين خليل باشا محّله وأمره بالتحصن على خط الوادي .

٣٥ : ١١ قبل الظهر علمت من برقية الفريق « ايلمر » أن الواقعة كانت شديدة ولكنها لم تكن فاصلة والظاهر أن العدو كان قد اخذ في التقهقر لأن « ايلمر » شاهد قطعات كبيرة من الترك تسير غرباً . فقد صدت القوات التركية التي كانت متجهة إلى الشمال ومقاتلة على خط ممتد من الشرق إلى الغرب حركة الالتفاف التي قامت بها الفرقة السابعة . وكانت المعركة شديدة متواصلة إلى أن خيم الظلام . فهاجم الفريق كمبال باللواء الثامن والعشرين جبهة العدو ولكن الترك ردوا هجومه فانسحب إلى ضفة الوادي الشرقية .



فوندر غولتس باشا

وقد حسب ضباط الهندسة ـ اعتماداً على الخرائط التي رسموها ـ أن العدو حفر حول الكوت على كلتا ضفتي النهر ما يبلغ طوله ثلاثين ميلا من خطوط الحصار كالخنادق وطرق المواصلات وغيرها . وإذا تخطر القارىء أن خطوط الحصار التي انشأها الالمان عام ١٨٧٠ حول « متس » كانت على وجه التقريب ٢٤ ميلا تصور بعض التصور مبلغ خطوط الحصار التي انشأها الترك حولنا في الكوت . وكان المحيط الحقيقي لخطوط الحصار الحقيقية ١٥ ميلا ولكن هذه الخطوط كانت في اغلب الاماكن ثلاثة .

إن الصعوبات التي يلاقيها قائد القوة المحصورة لاشد جميع الصعوبات التي يلاقيها في الحركات العسكرية الاخرى ولا يستثنى من ذلك الصعوبات التي يلاقيها قائد القوة المتقهقرة . وليست التبعة الواقعة على قائد القوة اثناء المعركة بشيء يذكر ازاء التبعة الواقعة على قائد القوة المحصورة . لأن القائد غير المحصور حر في عمله فله أن يزحف بقوته للتعرض على العدو إذا شاء وله أن يتخذ خطة هجوم ودفاع إذا اراد أو أن ينسحب بقوته من ساحة القتال إذا رغب في تجنب المعركة . فهو على الدوام . اما قائد القوة المحصورة فهو بلا انقطاع على حالة عصبية ولا بد له من جنان ثابت وجأش رابط . لأن الجميع يراقبون حركاته وسكناته ويتوقعون أن يأتيهم بالاخبار .

فكنت في كل مساء اتفقد المستشفيات فاشاهد الجرحى المساكين طريحي الفراش هناك فاحادثهم . وكان جميعهم يطلبون مني أن آتيهم بالبشائر فكنت على الدوام اظهر امامهم بمظهر البشر والاطمئنان . فكان شأني والحالة هذه شأن الممثل في تمثيل الروايات . وقد سئلت مراراً عدة « انك سوف تخرجنا من هذا المأزق ايها الفريق ولا شك عندنا في ذلك لانك قادر على اخراجنا من كل مأزق بعد الذي رأيناه منك يوم اخرجتنا من ورطة اول كانون الاول » .

وكان الجميع واثقون بي ثقة تثير في الشجون . والحق يقال انهُ ما من قائد تولى امرة فرقة اخلصت له اخلاصاً اشد من اخلاص الفرقة السادسة لي وتعلقها بي .

ولم تخف على الصعوبات التي قامت في وجه « ايلمر » الحقيقية التي انطوى عليها سير حركاته . وطفقت اشعر بأنه لا يتمكن من فك الحصار عني قبل وصول نجدات تركية كبيرة . وكنت طول هذه المدة اوجس خيفة من تلك النجدات وكان السبب الذي حملني على الاحتجاج إلى تأجيل فك الحصار عني في مدة شهرين وطلبت أن يتم ذلك في مدة شهر واحد . فلو كانت قوة « ايلمر » بريطانية محصنة لما خامرني شك في نجاح مساعي النجدة أو في أمر قوتي المحصورة .

وكنت قلقاً ساخطاً لقلة الانباء التي تلقيتها من « ايلمر » بلا مسوغ . اما لا شك عندي في أن ما فطر عليه « ايلمر » من الصراحة والاخلاص والشجاعة يحملانه على غض الطرف عن ازعاجه بما ابديته من القلق الذي كان امراً طبيعياً في مثل هذه الاحوال لأن عزيمة جانب عظيم من جنودي كانت قد وهنت فضلاً عن الصعوبات الاخرى التي كنت الاقيها مما لا يليق البحث فيه هنا .

حلّ ١٥ كانون الثاني وهو الوقت الذي رأى فيه « ايلمر » أن ثباتي في الكوت بات محفوفاً بالاخطار نظراً إلى النجدات التركية التي كنا نتوقع وصولها . وطفقت افسره تتفادفني من جراء سير النجدة البطيء . لأنني حصرت نفسي في الكوت على أن ينفك الحصار عني في مدة شهر . ولكن انقضت علينا الآن ستة اسابيع ونحن محصورون . وخاضت النجدة معركتين لم تسفرا عن نتيجة فاصلة . اجل أن النجدة ردت العدو إلى الوراء ولكن العدو لم يرتد حينئذ سوى مسافة ثلاثة أو اربعة ميل على اعظم تقدير . وتكبدت نجدتنا خسارة فادحة تعادل خسارة الترك على اقل تقدير واعتقد أن خسارتنا كانت اعظم من خسارة العدو . فاذا كان زحف القوة القادمة لنجدتي على هذه الحالة من البطء ترى كيف يكون ذلك حين وصول النجدات التركية ؟ .

وانبأني آمر الفيلق في ١٦ كانون الثاني ببرقية بعث بها إلى آمر الحملة وكررها إلي يقول انهُ علم أن الاعداء ينوون أن يؤخروا زحف القوة القادمة لنجدتي باعتصامهم في مضيق واقع على الطريق ويحاولون نقل قوة كبيرة من جسرهم الواقع فوق الكوت أو السن إلى الضفة اليمنى لمقاتلة « ايلمر » هناك أو وراء ذلك المكان ويقطعون عليه خط المواصلات . وذلك بناء على ما شاهدته من رجوع مدافع ومشاة تركية إلى معسكر الترك الكبير على الضفة اليسرى . وقال أنه اخذ في مد جسر على دجلة فوق المكان المجاور للوادي ووضع جميع قطعات الفرقة السابعة على الضفة اليمنى . فاذا لم يزحف العدو هو عند فراغه من نقل الفرقة السابعة إلى الضفة اليمنى . فيسعى للاحاطة بموقع العدو في المضيق[1] من الضفة اليمنى .

(١) إن هذا المضيق متكون من اقتراب البطيحة من النهر على الضفة اليسرى .

وبعثت بالبرقية التالية إلى « ايلمر » : - « انني بالاصالة عن نفسي وبالنيابة عن الفرقة السادسة افصح لكم عن شدة اعجابنا بما تبذله قوتكم القادمة لنجدتنا من المساعي المجيدة المطوية على البسالة ونشاطكم الاسمى للخسارة التي تكبدتموها . ولنا وطيد الامل انكم تفوزون بعد قليل فوزا مبيناً نشكره لكم كل الشكران » .

وشاهدنا الاعداء في ميسرة خط الحصار الشمالي يجدون كل الجد النهار طوله في الحفر ووضع الاسلاك الشائكة على الضفة اليسرى إلى شرق الحصن . والظاهر أنهم كانوا يفشلون ذلك لمنع خروجنا عنوة في الليل من ذلك المنفذ لمعاونة « ايلمر » في الهجوم عليهم من ضفة النهر اليسرى .

وشاهدنا في هذا اليوم المشير فوندر غولتس مع اركان جيشه الالمان وضباط ترك يتفقدون الخطوط الممتدة امام الكوت . فاطلقنا مدفعاً من مدافعنا على اولئك الضباط الذين التجأوا إلى خندق . فساءني عمل الضابط الذي أمر باطلاق هذا المدفع من الحصن على المشير فوندر غولتس بلا أمر مني لأنني كنت احترم هذا المشير الذي كنت اعده اعظم عالم بفن سوق الجيش في اوربا . فأمرت من ساعتي بالانقطاع عن اطلاق النار[1] وقد قال لي الضباط الترك بعد ذلك أن القنبلة كادت أن تقتل المشير .

وفي ١٧ كانون الثاني تلقيت برقية لاسلكية من « ايلمر » لم ار فيها ما يحيي ميت الامل . إذ قال فيها أن زحفه تأخر من جراء رداءة الهواء فلم يستطع انشاء الجسر . وبلغت خسارته في وقعتي ٧ كانون الثاني و ١٣ منهُ ستة آلاف ونيف مقاتل بين قتيل وجريح . وهذه الخسارة تزيد على النجدات التي وصلته منذ زحفه من علي الغربي . وختم رسالته بقوله أن قوته المقاتلة لا تزيد الآن على تسعة آلاف مقاتل . فساءتني هذه الانباء . وايدت البرقيات اللاسلكية التي دونتها في خاتمة

---

(١) قابل هذا بالاستكشاف الذي قام به « مسينة » عام ١٨١٠ امام خطوط طورش فدراش . فإن الضباط البريطانيين لم يسمحوا لرجال المدافع باطلاق النار عليه ولكنهم اطلقوا اطلاقه بعيدة عنه لانذاره بالذهاب من ذلك المكان .

هذا الفصل شكوكي في تمكن النجدة من الانضمام إلي .

برقية من آمر الفيلق (اي الفريق « ايلمر ») إلى المقر العام (مكررة للفرقة السادسة) . في ١٦ كانون الثاني عام ١٩١٦ : ـ

« لا بد لنا من النظر في موقفنا العسكري نظراً صريحاً . فالعدو قد سد في وجهنا المنفذ لمضيق وادي النخيلات باستحكامات منيعة جدا . ونستنتج من ترتيب قواته داخل هذه الاستحكامات انهُ قد انشأها لمقاومة قصف المدافع الشديد من جانب النهر الأخر والهجوم على الجبهة . واستدل من المحل الذي اعده للالتجاء اليه حين العسكرة في العراء أنني سألقى مقاومة الفرقة التركية ٥٢ باسرها وكتيبتي المشاة من الفرقتين ٣٥ و ٣٨ . ولكنني لست واثقاً من استدلالي هذا . وقد شاهدنا مواضع ١٩ مدفعاً بحيث وضع الترك احد عشر مدفعاً منها لتصب النار على جانب النهر الآخر . وهنالك خط خنادق مفرد إلى الوراء في هذا المضيق بين البطيحة والنهر يمتد مسافة ميل ونصف ميل على وجه التقدير . ووراء هذا الخط موقع السن إلى أن قال :

« وارى انهُ يستحيل علينا الاستيلاء على الموقع الاول عنوة من هذا الجانب وحده الا إذا خسرت نصف قوتي . وكنت قد نويت أن اصدر الأمر إلى الفرقة التالية ولواء الخيالة بالعبور إلى الضفة اليمنى عند الفراغ من انشاء الجسر وبذلك اصب النار الجنبية على موقع العدو . ولا اعتقد أن هذه الواسطة تعجل كذلك سير الامور لا بل سيظل زحفنا بطيئاً جداً ولنا من الانباء التي وصلتنا أن النجدات قد اخذت تصل الكوت وسيزداد مقدار النجدات زيادة عظيمة بعد مدة قصيرة . ولا نشاهد الآن خارج موقع العدو في اسفل الكوت من قوات العدو ما يزيد على الفي مقاتل ويصعب على النقلية عبور نهر الحي نظرا إلى سقوط المطر . وارى أن خير سبيل يسلكه طاونزند والحالة هذه أن يقطع النهر ليلا برجاله الاشداء بالمهيلات وغيرها من وسائط النقل المتيسرة له فيسير حول السن على الضفة اليسرى بينما اعبر أنا بفرقة واحدة ولواء الخيالة فاسير للالتقاء به وجلبه إلى هنا . فالفرصة سانحة لنا الآن فاذا لم نقم بهذه الحركة اضعنا الفرصة عندما يرسل العدو قطعاته جنوبا على

النصفه اليمنى ويحتمل أن يتم هذا في وقت قريب جدا . وقد علمت من طاونزند في ٢٠ كانون الاول أنه كان لديه حينئذ خمسون مهيله وغيرها من السفن . فاذا كانت هذه السفن لديه الآن فانها تكفي لعبوره ولكن يتحتم عليه حينئذ أن يترك وراءه المرضى والذين لا يستطيعون السير ويتلف معظم مدافعه وغيرها من معداته . فاذا رأى طاونزند أنه يستطيع القيام بهذه الحركة اصدرت اليه الأمر بذلك . وهذه البرقية موجهة إلى المقر العام ومكررة لامر الفرقة السادسة ليبنئني على الفور هل يستطيع العبور وليعين اليوم الاقرب الذي يستعد فيه للعبور وليعلم أنه قد تفوته هذه الفرصة السانحة » .

وقبل أن ارد على هذه البرقية تلقيت البرقية التالية من قائد الحملة يخاطب بها آمر الفيلق وقد بعث بنسخة منها إلي وتاريخها ١٧ كانون الثاني : ـ

« لا اوافق بوجه من الوجوه على الملحوظات التي ابديتها في الموقف العسكري ولا اعتقد أن طاونزند يرى في تقريرك هذا ما يحمله على الاستقتال في القيام بالحركة التي اوعزت بها اليه .

« والأمر الوحيد الذي يسوغ القيام بهذا العمل هو خور عزيمة قوتك ولا ارى سببا يحملني على أن قوتك باتت على هذه الحالة .

« فإن العدو قاومك من الشيخ سعد بقوات تتألف من الفرق ٣٥ و ٣٨ و ٥٢ وبعض الدرك (الزاندرمه) والخيالة ومجموع هذه القوات كلها ١٥٠٠٠ مقاتل و ٤١ مدفعا على اعظم تقدير وقد قهرت هذه القوة مرتين .

« اما القوة التي تحاصر طاونزند فهي مؤلفة من الفرقتين ٤٥ و ٥١ ومجموع رجالها ٨٠٠٠ مقاتل و ١٧ مدفعاً .

« وانبأنا طاونزند بأنه شاهد قوة تركية قوية قدرها بفرقة و ١٢ مدفعاً تنسحب إلى المعسكر التركي الكبير في غرب الكوت . وقد قدرت انت الخسارة التي لحقت بالعدو باربعة آلاف وخمسمائة في الشيخ سعد وبالفين في الوادي .

لذلك لا يبقى من قوة العدو بينك وبين الكوت سوى خمسة آلاف مقاتل و ٢٧ مدفعاً .

« ولا بد من أن النجدات التي وصلتك سدت الفراغ الذي وقع في صفوفك من جراء الخسارة التي تكبدتها . اما جسرك فيمكنك من حرية المناورة إن الخطة الاصلية التي رسمتها لمقاتلة العدو ترمي إلى استخدام جانب من قوتك على الضفة اليمنى . فهذه الخطة لا تمكنك من الفوز على العدو فحسب لا بل تفسح المجال لك لضرب العدو الضربة القاضية وفك الحصار عن طاونزند على جناح السرعة . ولا اعتقد أن الموقع الذي يعترض سبيلك يجاري بمنعته الموانع التي هاجمناها واستولينا عليها في ما مضى بعد ما قضى العدو اربعة اشهر في تحصينها تأهباً لمقاومتنا .

« فالخطة التي ترسمها لطاونزند في برقيتك التي اجيب عليها بهذه البرقية تؤول إلى ابادة قوة طاونزند من جميع الوجوه إلى القضاء على قوتك وعلى جميع قوات الحملة العراقية وتضر بشؤون العاهلية (الامبراطورية) لذلك لا استطيع الموافقة عليها . وليس هنالك سبب يحملنا على الاعتقاد بأن القوات التركية ستعزز بفرقة سادسة وفضلا عن ذلك أن احتمال انضمام فرقة جديدة إلى قوة العدو مما يحتم علينا الاسراع في العمل قبل فوات الفرصة . فعلى قائد الفيلق وطاونزند أن يبلغا المقر وصول هذه البرقية » .

وفي ١٧ كانون الثاني بعثت ببرقية لاسلكية إلى آمر الفيلق اقترحت فيها عليه بأن يزحف من الضفة اليمنى بقوته الكبرى بحيث يترك قوته الصغرى في الخنادق لحماية السفن . لأنه لم يحتمل أن الترك يقدمون على اتخاذ خطة التعرض على الضفة اليسرى ما دمت معتصماً في الكوت وقاطعاً على بواخر العدو وسفنه وغيرها طريق المرور .

وذكرت « ايلمر » بأنني انبأته في ٢٢ كانون الاول و ٧ كانون الثاني بأنه يستحيل علي العبور إلى الضفة اليمنى سالماً على جناح السرعة ما لم تصل النجدة تلك الضفة إلى جنوب الكوت حيث يحمي نهر الحي قوة « ايلمر » من العدو - ولا

حتى أن نهر الحي هذا من الموانع المهمة لأن عمق الماء في مخاضه يبلغ حينئذ خمسة اقدام . وقلت أنني اتمكن من تعبير ٤٠٠٠ جندي على اعظم تقدير بالنهر في ليلة واحدة ويبقى في الكوت ٥٠٠٠ مقاتل آخر فضلا عن الجرحى والمرضى والتوابع والجنود المستخدمين في الدوائر . » ويبلغ عدد الحيوانات وجياد الضباط وبغال الرشاشة ٣٠٠٠ ويقتضي تعبير هذه الحيوانات ٢٥ سفرة كل سفرة تستغرق منها ثلاث ساعات اي أن تعبير هذه الحيوانات جميعها يستغرق ٧٥ ساعة . ولكن يقتضي اتلاف جميع المدافع والذخائر الحربية والحيوانات لأنه لا يستطاع تعبير شيء من هذه في ليلة واحدة الأمر الذي لا مفر منه للنجاح في الخروج . فيا لهول البطء الذي تنطوي عليه هذه الحركات - وليس لدي عبارة اخرى اعبر بها عن هذا البطء . ولكن ليس هنالك وسيلة اسرع من هذه لحل المسألة » .

ويرى القارئ من هذا أنني كنت مصيباً في رأيي الذي ابديته « لايفانس » في بدء الحصار يوم لم اتمكن من وضع جسر على النهر قابلة نهر الحي نظرا إلى اعياء جنودي وذلك أنني قلت لايفانس أن عدم وضع الجسر سيؤثر تأثيرا شديداً في أمر الدفاع .

وهذه برقية من قائد الفيلق إلى المقر العام (مكررة للفرقة السادسة) وتاريخها ١٧ كانون الثاني عام ١٩١٦ : -

« المفهوم من برقيتكم انكم تريدونني أن اصل الكوت بحيث ادافع عن ذلك الموقع مع طاونزند إلى أن تقتل قوته باسرها من هناك . اي انكم لا تريدون أن يخرج طاونزند ليقوم بجانب من الخطة التي رسمتها .

« فاذا كان هذا ما تقصدونه فخطة طاونزند مناقضة لرأيكم وعندي أن هذه الخطة اقل احتمالا للنجاح من الخطة التي رسمتها أنا لأن بقائي قبالة الكوت اثناء ما يقضي طاونزند عدة ايام في قطع النهر قد يحمل الترك على مهاجمة الكوت عندما لا يخرج من حمايتها سوى نصفها . والوسيلة الوحيدة لفك الحصار عن طاونزند من غير الجائه إلى الخروج هي أن اجوز المضيق عنوة فانضم اليه على الضفة اليسرى .

« وسأحاول ذلك باتخاذ الخطة التي بسطتها قبلا وهي أن اعبر النهر بقسم من قوتي واطلق النار الجنبية على العدو ثم اهجم على موضعه . وقد فرغت الآن من انشاء الجسر لأن نقله من الشيخ سعد ووضعه هنا كان محفوفا بالصعوبات نظرا إلى الزوابع والامطار وقلة المواد المتيسرة والرجال الذين اشتغلوا فيه وكانوا سرية نسافة واحدة فقط . وقد باتت الاراضي المحيطة بنا بحراً من الوحل بحيث لا تكاد الحيوانات تستطيع الحركة فيها . فترونني ابذل كل ما بوسعي للاسراع في تنفيذ خطة هذه الحركة انما الحوائق تعاكسني كل المعاكسة . ولا يخفى أن المقارنة بين الخنادق التي تعترض سبيلي وبين غيرها صعبة ولا يستطاع الالتفاف حول هذه الخنادق الا بنار جنبية على اسلوب معدل بحيث تطلق النار من الضفة المقابلة . وقد بلغني الساعة أن الجسر انكسر مرة اخرى » .

وفي ١٨ كانون الثاني بعثت بالبرقية اللاسلكية التالية جوابا على هذه البرقية : ـ

« المرجو أن تعلموا العلم اليقين أن خطتي لا تتناول الضفة اليمنى . فقد ظننت أن هذه هي خطتكم بعد الصعوبات التي لقيتموها والخسارة التي تكبدتموها . فاذا تمكنتم من وضع اربعة مدافع على الضفة اليمنى بحيث تكون مصوبة نحو جانب الترك المتحصنين على الضفة اليسرى فلا بد من أن تزيجهم هذه المدافع من موقعهم لا سيما أن النار التي تصبها هذه المدافع على الترك سترغم القوافل التركية التي تنقل العتاد والطعام على الدوران شمالا في طريقها . فلو كنت في محلكم لزحفت على الضفة اليسرى بكل قوتي متحدة معي لأن معظم قوة العدو مرابطة على الضفة اليسرى . ولوضعت في الخنادق قوة صغرى مؤلفة من فوجين على الضفة اليمنى لحماية السفن على ما فعلته في وقعة كوت الامارة في شهر أيلول المنصرم مراعياً في ذلك قاعدة انكسار العدو لبلوغ الغاية التي اسعى اليها . فاقول لكم اذا وصلتم هنا فاصبحتم على الضفة الجنوبية على ما ابرقت اليكم به في ١٧ كانون الثاني ووضعتم مدافعكم إلى شرق الكوت وجنوبها على الضفة اليمنى مكنتنا نيران مدافعكم الجنبية هذه من عبور النهر » .

فنظرا إلى هذه البرقيات رأيت أن ابسط لايلمر الخطة التي ارى أن اسير عليها اذا لم يستطع فك الحصار عني وقد بعثت بصورة البرقية إلى قائد الحملة .
فابرقت إلى « ايلمر » في ذلك عينه اعلمه أني إذا حاولت الخروج عنوة من الضفة اليمنى بثلاثة الاف مقاتل على وجه التقريب عرضت القوة للخطر لانهُ لا بد من شعور العدو المرابط في الخنادق على مسافة ثلثمائة يارد من ضفة النهر بحركتي هذه فيحل بي الدمار في الصباح . وحركتي هذه تتطلب ترك جميع الجرحى والمرضى والمدافع والنقلية وغيرها ورائي .

اما رأيي فهو أن اقاتل العدو من خندق إلى آخر ومن منزل إلى آخر إلى اطلق كل العتاد الموجود عندي . وقلت أنني عالم بأن التقاليد الحربية التي يرويها لنا التاريخ لا تسوغ للقائد أن يعاقد العدو على شروط موافقة للتسليم الا اذا قطع كل الامل من الثبات كما وقع لقوة « جونو » الفرنسية في بلاد البرتغال عام ١٨٠٨ يوم نقلتها السفن باسلحتها ومدافعها وامتعتها وانزلتها في الاراضي الفرنسية . ثم قلت « ما دمت في الكوت لا يستطيع العدو اتخاذ خطة التعرض في جهة العمارة لأنه لا يستطيع الاستغناء عن بواخره وسفنه . فاذا لم تتمكنوا من فك الحصار عني ولا من الثبات حيث انتم فعليكم بالانسحاب . وكان الهواء رديئاً جدا وقد تساقطت الامطار ليلة امس تساقطاً شديدا فارتفع الماء قدمين في الخنادق وزاد ارتفاعه على ذلك في اماكن عدة فاشتدت المشقات والصعوبات التي لاقاها الجنود . وبناء على ما يقوله سكان البلاد اعتقد أن فصل الامطار قد انقضى الآن » .

برقية من المقر العام إلى الفرقة السادسة وقد ارسلت صورة منها إلى الفيلق في ١٨ كانون الثاني عام ١٩١٦ : -

« الظاهر انك تفكر في الجلاء عن الكوت تاركا المدخرات والمدافع هناك بعد وصول النجدة ذلك المكان . فقائد الحملة راغب عن هذا العمل . لأنه عند وصول قوة « ايلمر » يجب أن تتفوق قوتنا على قوة العدو فلا يجوز ترك الكوت ولا المدخرات ولا المدافع . فاذا كان قوة « ايلمر » موزعة على موازاة نهر الحي جنوبا

وكان قسم منها موضوعا شمالا على ميمنتك ولم تتمكن في اول الأمر من طرد العدو من جبهتك فلا يصعب على قوة متحدة أن تثبت في مكانها بينما تتجمع باقي النجدات في السن أو إلى شرق ذلك المكان . ولا بد من وصول جميع القوات الزاحفة الآن الشيخ سعد في الاسبوع الاول من شباط أو قبله ومن هذه القوات القطعات الموفدة لاكمال الفرقة السادسة لتصبح على قوتها القانونية .

« وحينئذ يصبح مجموع القوة اربع فرق ما عدا لواءي مدفعية فتتمكن من طرد العدو من الجبهة والتحصن في موقع دائم ابعد من الموقع الحاضر إلى غرب الكوت .

« فانظر في المسألة وبلغ ايلمر بما تراه وابعث بصورة البرقية التي تبين فيها الترتيبات التي يترتب عليها الفيلق حين الوصول والتي تكون افضل الترتيبات الموافقة للخطة المرسومة » .

فاجبت على برقية قائد الحملة بقولي أن السبب الذي حملني على التفكر في ترك المدخرات والمدافع هو أن قائد الفيلق بلغني أن عملي هذا افضل عما استطيع اتيانه اما أنا فلم افكر في ترك الكوت وقد ثبت هنا لأنني ارى أن واجباتي تقضي علي بصد القوات التركية لافسح المجال للنجدات الواصلة العراق للتجمع في العمارة وعلي الغربي مع أنني اعلم حق العلم مصير القوة التي تنحصر في معسكر محصن . ولكنني قد وضعت شرطاً لبقائي في الكوت وهو أن يفك الحصار عني في مدة شهر . ويسرني أن اعلم ببقائنا في الكوت وعدم التخلي عنها .

الفصل الثالث

المحاولة الثانية لفك الحصار عن الكوت

انقطع تساقط الامطار الشديد في ١٩ كانون الثاني بعد دوامه مدة فاعتدل الهواء في ذلك اليوم . وسمعنا حينئذ قصف المدافع الشديد يدوي في الجهة الشرقية وكان ذلك قصف مدافع « ايلمر » على الضفة اليمنى لأنها كانت تطلق النار الجنبية على الموضع التركي الواقع على الضفة اليسرى في ام الطبول .

وتلقيت في ٢٠ كانون الثاني برقية من « ايلمر » وفيها أنه كان على اهبة الهجوم . وكان قد وضع فرقة من فرقتيه ولواء الخيالة وجانباً من المدافع على الضفة اليمنى لاطلاق النار الجنبية على جناح الموقع التركي المحصن الواقع على الضفة اليسرى . وكان الموقع التركي الكبير ممتدا من البطيحة إلى النهر .

واصدرت في هذا اليوم الأوامر استعدادا للخروج من الكوت لمعاونة « ايلمر » لأنني رأيت احتمال قيامنا بهذه الحركة . وقد دونت هذه الأوامر في ملحق الباب الرابع من هذا الكتاب .

ودهشنا في مساء ١٩ كانون الثاني إذ شاهدنا قوة من المشاة التركية تربو على ٢٠٠٠ مقاتل ومعها عدد عظيم من الجمال تتراجع من جهة السن على الضفة اليسرى وتسير نحو المعسكر التركي الكبير في اعالي النهر . وبعد تراجع هذه الجنود يظل في وجه الفريق « ايلمر » ٤٥٠٠ جندي تركي سحابة هذا النهر كله . وانبأني أنه سيحمل على الموقع التركي في فجر ٢١ كانون الثاني . وكنا نشاهد بكل وضوح القنابل تنفجر عن بعد .

ولكن في ٢١ كانون الثاني الساعة ٢ بعد الظهر تلقيت من قائد الفيلق خبرا سيئاً جدا وهو أن الاعداء ردوا هجماته وباتت على مسافة مائة أو مائتين يرد من خط جبهة العدو ولم تتمكن قطعة من دخول خنادق العدو سوى فوج « بلاك واج » فاخرج العدو هؤلاء الجنود من تلك الخنادق برمي القنابل عليهم . وقال انهُ ينوي اعادة الكرة على الترك بعد الظهر فيستأنف القصف والهجوم على العدو . وهذا اسوأ خبر تلقيته اثناء الحصار .

وامطرت السماء النهار طوله فغمر ماء النهر الفائض خط خنادقنا الاول وقسماً من الخط الاوسط فبات الجنود على اسوأ حالة . ولم يبق شك في أنه مهما جدينا في العمل ارغمنا الماء على ترك خط الدفاع الاول فينفصل الحصن عنا .

وفي ٢١ كانون الثاني كان عندي من الارزاق ما يكفي الجنود البريطانية والهندية اربعة عشر يوماً على أن يعطي الجندي ارزاق يوم كاملة ومن العلف ما يكفي الدواب حتى ٢٥ كانون الثاني ومن الحبوب ما يكفيها ثلاثين يوماً وشاي يكفي الوحدات البريطانية عشرة ايام . وكان لدينا كذلك من الدقيق البلدي ما يكفي عشرة ايام اشتريته من سكان البلاد . وصممت على اعطاء الجنود نصف استحقاقهم من الارزاق اليومية ومصادرة جميع المواد الغذائية الموجودية في البلدة .

ويعلم القراء مما طالعوه في اوامري المتعلقة بالدفاع عن الكوت أنني امرت بمصادرة جميع المواد الغذائية على صورة لا ريب فيها ولكن الحاكم العسكري وجد أمر ابتياع هذه المواد من السكان سهلا لذلك لم ينفذ الأوامر التي اصدرتها في هذا الشأن . واعتقد أن سبب هذا الاهمال هو أنني لم الفت النظر على صورة خاصة إلى اوامري هذه ولا غرابة في ذلك لأنني كنت منهمكا ليلا ونهاراً في اصدار الأوامر المتعلقة بالدفاع عن الكوت . وإذ شعرت الآن بأن امد حصارنا في الكوت سيطول صممت على مصادرة جميع المواد الغذائية الموجودة في الكوت لاوزعها اثناء الحصار على التساوي بحيث ينال كل امرء قسطه منها .

فوجدنا في البلدة كميات كبيرة من الحبوب وذلك أننا طفقنا نفتش جميع المنازل بيتاً بيتاً واعطينا المكافأة للذين كانوا ينبئوننا بمخابىء الحبوب والمواد الغذائية

لأن الاغنياء من الكوتيين حالوا اخفاء الطعام الموجود عندهم .

وتلقيت في المساء برقية اخرى من « ايلمر » انبأني فيها بانهُ فشل في الهجوم الذي قام به بعد الظهر . وقال انهُ عزم علي اعادة الكرة فيهجم على العدو هجمة ثالثة في اليوم التالي بعد الظهر . وانبأني كذلك انهُ تكبد خسارة فادحة جداً . وتلقيت برقية اخرى منه وفيها أنه سيهاجم العدو مرة اخرى في ٢٢ كانون الثاني ولكنه يعتقد بفشل مسعاه .

وقال أن الواسطة الوحيدة التي اتمكن من مساعدته بها هي أن اخرج خروجاً واسع النطاق فاقهر القوات التي تحاصرني وارجع إلى الكوت مرة اخرى . وربما حمل نجاحي في هذا الخروج الاعداء على الانسحاب من المضيق الذي يعترض سبيله . وسألني هل استطيع القيام بهذا الخروج في وقت قريب .

وهذه برقية من قائد الفيلق إلى الفرقة السادسة تاريخها ٢١ كانون الثاني وقد بعث بصورتها إلى المقر العام : ـ

« لقد حملنا حملتين على موقع العدو المحصن بلا جدوى .

« وسأعيد الكرة غداً ولكنني اعتقد بأن مساعيي هذه ستذهب ادراج الرياح . وقد تكبدت خسارة فادحة . فالطريقة الوحيدة التي تستطيع مساعدتي فيها هي أن تخرج خروجاً واسع النطاق وتحاول قهر العدو ثم تعود إلى الكوت . فاذا نجحت في مسعاك ارجح أن العدو الذي يقاومني ينسحب من المضيق . ولا شك في أن العدو تكبد كذلك خسارة فادحة جداً بانصباب نيران المدفعية والمشاة عليه . وقد وصلته نجدة مؤلفة من فوجين على الاقل ولا اعلم من اين جاءته تلك النجدة لأنه يستحيل علينا الاستكشاف بالطائرات . فاذا استطعت أن تقوم بهذا الخروج فارجو منك أن تسرع في ذلك » .

وعقب هذه البرقية برقية اخرى من « ايلمر » إلى المقر العام تاريخها ٢٢ كانون الثاني وبعث بصورة منها إلى الفرقة السادسه : ـ

« هطلت الامطار بلا انقطاع اليوم بعد الظهر وفي الليل وغمرت المياه

الارض كل الغمر وحولتها إلى مستنقعات لم يشهد المرء مثلها فباتت حركة الجنود محفوفة بالصعوبات الجمة بحيث يصعب على المرء تصور المشقات التي يتكبدونها . وقد انبأني قائد الفرقة الثالثة الموجود على الضفة اليمنى بأن مياه النهر ارتفعت حتى فاضت على الضفة في مكان منها فطفق الماء يكوّن على جناح السرعة بطيحة كبيرة إلى غرب الموقع الذي احتله في الأونة الاخيرة وبذلك اعترض سبيله مانع قوي جداً يحول دون زحفه إلى الامام على هذه الضفة .

« لذلك تروني مرغماً على العدول عن مهاجمة موقع العدو غداً لأن قطعات الخط الامامي قد انسحبت بلا أمر مني إلى جوار الموقع المحصن الذي كانت تشغله قبل يومين على مسافة ١٣٠٠ يرد من خنادق الترك . وقد أخذ اليأس من هذه القطعات كل مأخذ نظراً إلى عدم تمكنها من استيلاء على موقع العدو . فيستحيل علينا والحالة هذه ردهم إلى ذلك المكان مرة اخرى في الوقت الحاضر .

« وسارفع اليكم غداً تقريراً يبحث في موقفي الحربي هذا » .

وقد دونت فقرة من هذه البرقية بالحرف الكبير لالفت نظر القارىء إلى خطورتها . فالنجاح بالحركة التي اوعز إلي « ايلمر » بالقيام بها يقضي بأن تكون مشتركة بيني وبينه بقطع النظر عن امور لا بد من حسبان عواقبها واخذ الاهبة لها . مثال ذلك عندما اخرج من الكوت لكي اشق لي طريقا إلى الشرق يهاجم العدو من ساعته القسم الشمالي والغربي من خطوط دفاعنا ويحمل على هذا القسم بمعظم قواته المحاصرة . وخروجي من الكوت يقضي علي بالحمل على خطوط حصار العدو ومعاقله المنيعة جدا في ميدان مكشوف والخوض في الماء إلى الوسط في بعض الاماكن وذلك تحت نيران جنبية تصبها مدفعية الترك وعلي بأن ابقي القوة الصغرى ورائي في الكوت لتدافع عن جبهة واسعة جدا ولا يفيدنا ذلك فائدة تذكر لأن قوتي من المشاة كانت مؤلفة من ٦٤٥٠ حربة فقط في ٢١ كانون الثاني فيحتمل أن محاولتي الخروج من الكوت عنوة على أن اعود اليها تؤول إلى خسارة هذا الموقع وكل ما فيه وإلى ابادة قوتي في ميدان مكشوف بين ناري العدو لذلك اقتضى الأمر أن ننظر أنا و « ايلمر » في المسألة نظرا دقيقا واعمال الروية في الخطط

التي نضعها قبل الاقدام على هذه الحركة .

وابرقت إلى « ايلمر » في الليل انبئه بأن حالة الهواء في الكوت مثل ما هي عنده . فالجميع يكدون في مكافحة الفيضان الذي كان يطردنا من خنادقنا . واوعزت اليه بأن ينقطع عن التعرض ويتخذ خطة المدافعة إلى أن تصله النجدات لأني تبينت مما رواه لي أنه لن ينجح في مسعاه اذا حاول مهاجمة العدو مرة اخرى . وطفقت اوزع على القطعات نصف المقدار المعين من الارزاق اليومية فاصبحت قادراً على الثبات مدة ٣٧ يوما . وانبأته كذلك بأنني شاهدت نحواً من ٥٠٠ هجان و ٣٠٠٠ جندي ماش مروا بالكوت سائرين من الشرق إلى الغرب على الضفة اليسرى - أي أن هذه القوة كانت راجعة من ساحة المعركة . فقلت « لا افهم لما تقف هذه القوات التركية منثنية عن مقاومتك » .

وابرق قائد الفيلق في ٢٢ كانون الثاني السنة ١٩١٦ برقية اخرى إلى المقر العام وبعث بصورتها إلي وهي : -

«« يسوءني أن انبئكم بأنه لم يبق شك في أن هجومنا على موقع العدو امس حبط كل الحبوط مع البسالة القصوى التي ابداها الجنود في القتال وقد تكبدنا خسارة فادحة . وقد نقلت الجنود اثناء انسحابها من الجرحى العدد الذي استطاعت نقله ولكنني اعتقد أن جرحى كثيرين لم يزالوا بالقرب من خنادق العدو الامامية . واسعى الآن لمهادنة الترك مدة ست ساعات لدفن القتلى ونقل الجرحى . وسأثبت في الوقت الحاضر في الخط الواقع على مسافة ١٣٠٠ يارد من جبهة موقع العدو وفي خط احتياطي وراء هذا الخط . إن الحالة التي بات عليها الجنود تحول الآن دون زحفهم » .

وقال : « وسأبعث اليكم بما اراه في هذا الشأن عندما تتيسر لي الانباء المتعلقة بمبلغ فشلنا وخسارتنا . إن الهواء رديء جداً والفيضان يتعاظم » .

برقية من قائد الفيلق إلى المقر العام في ٢٢ كانون الثاني السنة ١٩١٦ وقد بعث بصورة منها إلى الفرقة السادسة : -

« قام فوج بلاك واج في وقعة امس باعمال مجيدة للغاية امتاز بها على باقي القطعات ولكنه تكبد خسارة فادحة » .

برقية من قائد الفيلق إلى المقر العام بتاريخ ٢٢ كانون الثاني السنة ١٩١٦ وقد بعث بها بصورتها إلى الفرقة السادسة : -

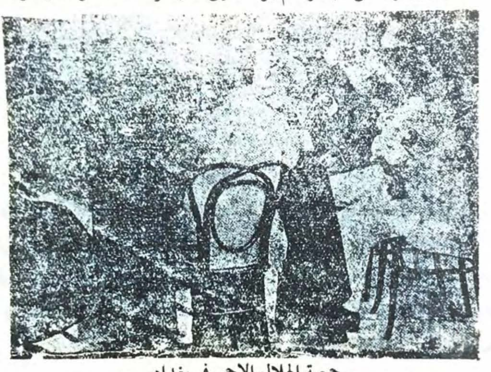
« ترون من البيانات المفصلة التي حصلنا عليها من ستة اسرى بينهم ضابط والتي سأبعث بها اليكم أن القوة التركية التي قاومتني امس كانت مؤلفة من الفرقة ٥٢ كلها والفرقتين الموحدتين ٣٥ و ٣٨ مع فوجين من الفرقة ٥١ و ٢٦ مدفعاً . فلا شك في أن النجدات وصلت الترك وحدات وحدات . فاذا طرحنا من هذه القوة الخسارة التي تكبدتها بقي منها على اقل تقدير ٩٠٠٠ مقاتل من المشاة . وإني لواثق كل الثقة من أن طاونزند قد رصد القوات التركية على غاية الدقة فاذا حسبنا القوات التي شاهدها طاونزند تسير غرباً في الاسبوعين المنصرمين من القوات التي انسحبت من امامي وطرحناها من قوة العدو التي تقاومني اكون قد قاتلت امس خمسة آلاف جندي فقط بقطع النظر عن الخسارة التي تكبدها العدو . وقد شاهد اليوم حامل راية الهدنة نفسه الذي سار نحو الموقع الامامي آمرين من آمري الافواج وآمر مدفعية فذكروا أن خليل بك قد تعين قائدا عاماً للقوات التركية في العراق ويقال أنه قد حل محل نور الدين بك[1] . وقد تكبدت خسارة فادحة جدا . ولا استطيع الآن تقدير مبلغ الخسارة ولكنني انبئكم بأن اللواء التاسع وحده خسر ما يربو على الف مقاتل و ٢٧ ضابطاً . ولا يستطيع الجنود وهم على هذه الحالة الهجوم على هذا الموقع وإن كانت القوة التي تقاومهم ٣٠٠٠ مقاتل . فقد بلغوا منتهى المجد في العمل الذي قاموا به في وجه اشد الصعوبات . فلا استطيع أن اكلفهم بعمل فوق طاقتهم الحاضرة . وسأبذل كل ما في وسعي للوقوف على قوة العدو الباقية امامي .

---

(١) يمكن ترجيح صحة هذه الرواية لأن فوندر غولتس عزل نور الدين بك لما شرع في التقهقر امام « ايلمر » في وقعة الشيخ سعد وذلك « تشجيعا لغيره » . وخليل باشا هذا هو عم انور باشا وزير الحربية ومحبوب عند الجنود نظرا إلى شجاعته .

« وهادنت الترك مدة ست ساعات اليوم فنقلنا جانبا من الاسرى ودفنا القتلى ولكن الترك اخذوا إلى خطوطهم الجرحى الذين كانوا امام خنادقهم حتى أنهم لم يألوا جهدا في اخذ اولئك الجرحى .

وقد ازالت هذه البرقية كل الشك الذي كان يخامرني في أمر النجدة . فعلمت منها العلم اليقين أن « ايلمر » لا يستطيع اتيان عمل من الاعمال في سبيل فك الحصار عني قبل وصول النجدات اليه . وكان في البصرة حينئذ « السر برسي لايك » القائد العام الجديد للحملة العراقية . فلما تلقى برقية قائد الفيلق هذه ابرق إلى « ايلمر » برقية بعث بصورتها إلي . فعلمت من برقية القائد العام أنه يرى رأيي في هذه المسألة . فقد قال القائد العام في برقيته إلى « ايلمر » أنه بعد امعان النظر في الموقف الحربي رأى أنه يستحيل الزحف خطوة واحدة إلى الامام . لذلك اوعز إلى « ايلمر » بأن يتوقف في افضل موضع يقع اختياره عليه بحيث يثبت على كلتا ضفتي النهر ويمد وراءه جسرا على النهر يصل بين شطري قوته ثم يفرغ مشحونات سفنه ويردها فارغة . وارسل حينئذ « غورنج » إلى العمارة لينظم النجدات حين وصولها من البصرة ثم يوفدها إلى « ايلمر » . اما موعد وصول هذه



جمعية الهلال الاحمر في بغداد

النجدات فمتوقف على السرعة التي يتمكن بها « ايلمر » من تفريغ السفن وردها. وبلغ القائد العام « ايلمر » انه مسؤول عن حماية خط المواصلات الممتد توا وراءه فعليه أن يتخذ الوسائل المطلوبة لمنع العرب من شن الغارات على هذا الخط. وترك لايلمر باخرتين حتى إذا تراجع الترك امامه تمكن من حمل مواد الاعاشة بطريقة التناقل اثناء مطاردة العدو ومن نقل الجنود من احدى ضفتي النهر إلى الاخرى. وأمر « ايلمر » بأن يبدأ من ساعته بتنفيذ هذه الأوامر.

ورأيت الأن أنه يستحيل علي العمل باقتراح ايلمر الذي يقضي بأن اقوم بحركة خروج واسع النطاق ذلك لأننا كنا منهمكين ليلا ونهارا في مكافحة الطوفان الذي غمر خنادقنا فخفنا أن تجرفنا المياه من الكوت. وقد طردت المياه العدو كذلك من خط خنادقه الاول فكبدنا الترك حينئذ خسارة فادحة بالنيران الحامية التي صببناها عليهم اثناء تقهقرهم امام الماء وفرارهم للنجاة من الغرق وهم يركضون على ذلك الميدان المكشوف. وباتت الخنادق كلها كأنها ترع ماء وامست الاماكن المرتفعة التي لم يغمرها الماء كأنها شبكة مؤلفة من تلال النواجذ. حتى أنه لو لم يكن الاعداء واقفين لي بالمرصاد لصعب علي أن اجوز نهارا تلك البحيرة الحقيقية المتكونة من الطين بجنودي ومدافعي مع ما هنالك من الخنادق العميقة التي غمرتها المياه. فعبور هذه المواقع يقضي علي بأن آمر النسافة بصنع جسور سيارة ومعابر ولكننا لا نتمكن من صنع هذه المعدات في يوم واحد لأن صنعها يستغرق ستة ايام.

ولا اخال أن قائدا من القواد لقي صعوبات اشد من الصعوبات التي لقيتها في هذا الحصار. لأن المرء يلاقي جميع انواع المحن والمشقات وضروب الموانع والحوائل في هذه البلاد التي يسمونها « عراقاً ». فقد تمكنا بعد الجهد الشديد من التحصن في الكوت والعدو يجد في مهاجمتنا. ولم نكد نحسن وسائل المدافعة ونرد حملتين من حملات العدو علينا الا واخذت الامطار تتساقط ففاض النهر وبذلك اشتدت اهوال طغيان دجلة فاخرت سير القادمة لفك الحصار عنا وعرقلت مساعي تلك القوة. وفي آخر الأمر طمت المياه فطردتنا من خنادقنا

وارغمت الجنود على البقاء واقفين في الماء الذي ارتفع إلى الركبتين فآل الأمر إلى ازدحام المستشفيات بذوي العلل والامراض . فيا لهول القلق والهموم والمحن التي قاسيتها اثناء هذا الحصار !

وابرقت إلى كل من القائد العام وقائد الفيلق في ٢٣ كانون الثاني انبئهما بأنني قد عولت على أن اكف حركاتي ازاء الموقف الذي بت فيه بالنظر إلى قوتي وحدها . فقد مر الآن ١٥ كانون الثاني وهو اليوم الذي قال عنه « ايلمر » في التقرير الذي بحث فيه الموقف الحربي قبل زحفه لنجدتي أنه يستحيل بعده فك الحصار عن الكوت نظرا إلى وصول النجدات التركية . ولا يخفى أنني اشترطت على المقر أن يفك الحصار عني في مدة شهر تبتدىء من ٤ كانون الاول عام ١٩١٥ . وإن فك الحصار يجب أن لا يتأخر على الاطلاق عن ١٠ كانون الثاني .

وبعد أن اعملت الفكرة في الموقف الحربي والفيت أن « ايلمر » قد ضرب ضربته الآن رأيتني مضطرا إلى العمل باحد الامور الثلاثة الآتية وذلك إذا رأى « ايلمر » و « لايك » أن القوة المؤلفة من لوائي مشاة وبطرية واحدة ـ وهي النجدة التي كنا نتوقع وصولها ـ غير كافية لفك الحصار عني بالنظر إلى وهن العزيمة من قوة ايلمر التي باتت مؤلفة من تسعة آلاف مقاتل فقط : ـ

(أ) أن اتملص من مأزقي الحرج بالقيام بخروج من الضفة اليمنى على ما اوعز به إلي « ايلمر » في ١٧ كانون الثاني فاسير والحالة هذه على طريق الصحراء توا إلى الشيخ سعد الواقعة على مسافة ٢٥ ميلا بحيث اطلب من « ايلمر » أن يوفد قوة لمساعدتي فتلاقيني هذه القوة في منتصف الطريق . وكنت اتوقع أنني اتمكن في ليلة من الليالي بين ٢٨ كانون الثاني و ٣ شباط من عبور النهر ليلا باربعة آلاف جندي من اشداء المقاتلين فاشرع في المسير الذي رسمت خطته . وفي خروجي هذا آخذ معي من رجال قوتي اولئك الذين يفضلون على غيرهم في استفادة الحكومة منهم فاخرج بالمهندسين والنسافة ورماة المدافع والمخابرين والطيارين والمشاة البريطانيين والهنود والخيالة وجانباً من رجال الخدمة الصحية . واترك ورائي المصابين بجروح طفيفة والمرضى والضعفاء وغير القادرين على السير بقيادة

امر لواء لحراسة الجرحى الموجودين في المستشفيات واسمح لهذا الأمر بأن يتفق مع الترك على شروط التسليم واتلف جميع المدافع اما السفانه وسفينتان من سفننا فاتركهما لمصارعة القدر وساصدر الأوامر إلى كل جندي بأن يحمل ٢٠٠ اطلاقة ومعطفاً وطعام يومين .

(ب) أو أنني اظل في الكوت فاطيل امد الحصار إلى أن اطلق الاطلاقة الاخيرة وانفق الاوقية الاخيرة التي تبقى من عتاد القوة وارزاقها وبذلك اكون قد سرت على نهج المدافعة عن سرقسطة وجنوى

(ج) أو أنني ابقي على القوة لتستفيد منها الحكومة وذلك أنني افاوض العدو على أن يأخذ الكوت وتخرج قوتي منها فيسمح لها بالانضمام إلى قوة « ايلمر » في وسط خطوط العدو على ما فعله « جونو » في « لشبونة » عام ١٩٠٨ بمقتضى اتفاق « سنترة » يوم قضى ذلك الاتفاق بأن تنقل السفن البريطانية قوة فرنسية مؤلفة من عشرين الف جندي باسلحتهم وامتعتهم إلى فرنسا فانزلت هذه القوة في الارض الفرنسية لقاء استيلاء الانكليز على لشبونة . فيقتضي والحالة هذه أن اشرع في المفاوضات بينما يكون عندي من الطعام ما اركن اليه في مفاوضة الترك . لأنه اذا علم العدو أن طعام القوة المحصورة قد فرغ وأنها باتت على شفا الهلاك جوعاً ـ الأمر الذي يرغمها على التسليم بلا قيد ولا شرط . لا يعرض عليها شروطاً للتسليم والتاريخ كله اصدق برهان على هذا . وختمت كلامي بقولي أنني ارى الخطة « أ » افضل هذه الخطط .

وكان أملي من الروس قد خاب غير أنني طلبت مرة اخرى أن ينبأ الفريق « باراتوف » الذي كان مرابطاً حينئذ في قصر شيرين بحراجة موقفي ويوعز اليه بمضايقة بغداد مضايقة شديدة .

وفي هذا اليوم عينه تلقيت جواباً على البرقية التي بعثت بها إلى القائد العام وفيها أن القائد العام لم يزل مؤملا فك الحصار عني . وقال أنه سيتمكن من ابداء رأيه على صورة فاصلة بعد وصوله مقر « ايلمر » حول ٢٨ كانون الثاني . علي بأن اتهيأ لتنفيذ الخطة « أ » انما يجب أن اكتم هذا الأمر عن القطعات كل

الكتمان . وكذلك علي بأن انظر في احتمال التعاون مع القوة القادمة لفك الحصار عني على فرض أن حركات « ايلمر » تتحول إلى الزحف عنوة من الضفة اليمنى بحيث يترك قوة صغرى لمشاغلة الترك على الضفة اليسرى .

وقد اجاب « ايلمر » على المقترحات التي ابديتها ببرقية وجهها إلى مقر الحملة وبعث بصورة منها إلي . فايدت برقيته هذه اعتقادي من أنه لا يتمكن من فك الحصار عني قبل وصول النجدات التي كان ينتظرها . وتاريخ برقية « ايلمر » هذه ٢٣ كانون الثاني وقد ألمح فيها إلى برقيتي التي تضمنت مقترحاتي المار ذكرها وهذه هي برقية قائد الفيلق : ـ

« إنني عالم بأن قائد الحملة غير متفق معي في الراي ولكنني اؤ يد رأيي السابق الذي ايده اختباري الامور في الآونة الاخيرة وهو أنني لست على حالة تمكنني من وصول الكوت لفك الحصار عن طاونزند بالكلية . واعتقد أن احتمال نجاح مساعينا ضعيف جداً حتى بعد وصول النجدات التي على الطريق الآن في قدومها الينا . وليس لدي الآن سوى ٩٠٠٠ جندي من المشاة وقد خرجت الآن من معركة فشلت فيها ويخامرني الشك الشديد في أمر الجنود الهنود وحالتهم الادبية لا سيما أن الكثيرين منهم يشوهون ابدانهم للتملص من الخدمة الأمر الذي يزيد شبهاتي كل الزيادة فلا استطيع التعويل عليهم . لذلك ارى بعد التفكر واعمال الروية في الأمر مليا أن افضل خطة نسير عليها هي الخطة التي رسمها طاونزند واوعزت بها انا نفسي اول الأمر ولكن قائد الحملة رفضها .

« لذلك اذا وافقتم على الخطة (أ) فارجو منكم أن تبلغوني ذلك على جناح السرعة لكي اعدل عن التدابير التي اتخذها لرد جميع السفن التي لا بد من بقائها عندي لتنفيذ الخطة (أ) فانسحب انا نفسي عند انجاز هذه الخطة . اما التفصيلات فسيتم الاتفاق عليها بيني وبين طاونزند . لذلك يجب أن ترد على الفور جميع السفن إلى الشيخ سعد مع الجنود . وقد ارسلت هذه السفن الآن مشحونة بالجرحى . أو يجب ردها بعد ذلك إلى علي الغربي لتعينني على انجاز مهمتي الصعبة وهي الانسحاب من هذا الموقع الذي بت فيه على اتصال تام

بالعدو . والطريق التي اسير عليها على كلتا الضفتين من اصعب الطرق نظراً إلى طوفان المياه في الاونة الاخيرة .

« وقد ابديت رأيي في ما ذكره طاونزند في البرقية التي بعث بها اليوم . فالقوات التي شاهدها لا تنم حتماً عن كونها قوات مأخوذة من الجيش التركي الواقف لي بالمرصاد . ويحتمل أنها نجدات لأن العدو لا يمكن طاونزند من مشاهدة القوات التي تسير في الجهة الاخرى »

وفي ٢٤ كانون الثاني اثبات « ايلمر » باني [illegible] في محاولة الخروج من الضفة اليمنى ولكن النجاح في هذا المسعى متوقف [illegible] على الحظ . فاذا علم الترك بعبوري النهر ليلا قضي على خطتي بالفشل فاعتقد ان الخطة التي اعز بها قائد الحملة من أن يزحف « ايلمر » على حين غرة عن الصفة اليمنى تاركا قوة صغرى على الضفة اليسرى لمشاغلة العدو هناك هي خطة اضمن للفوز . فشط الحي الآن مانع قوي جداً واعتقد أن العدو يحترز كل الاحتراز من وضع قوة كبيرة على الضفة اليمنى إلى شرق شط الحي حيث يحتمل أن يرمي « ايلمر » تلك القوة في هذا الشط . وليس عند الترك سوى جسر مهيلات ضعيف ممدود فوق شط الحي . وقلت في هذه الرسالة اجل أن عندي من الارزاق ما يكفيني عشرين يوماً ولكنني اتمكن من الثبات مدة اطول جداً من هذه بمصادرة كل الحبوب والدقيق الموجودة في البلدة واكل جميع الخيول انما يصعب علي اطعام ستة آلاف نسمة من سكان المدينة العرب وربما يتمكن القائد العام للحملة العراقية من استجلاب جنوداً آخرين من الهند لفك الحصار عنا . وكان عندنا من غير ارزاق الجيش قمح وطحين يكفياننا ٣٤ يوماً للجنود و ٣٠ يوماً لسكان المدينة . وكانت المطاحن التي تدار بالنفط تستطيع الطحن مدة ثلاثين يوماً آخر . وفضلا عن ذلك كان عندنا ٢٤٠٠ « منداً » (اي ٨٠ طناً) من الشعير في البلدة و ١١٠٠٠ منداً في قرية مكبس الصوف التي كنا قد احتللناها على الضفة اليمنى . وكان عندنا ثلاثة آلاف فرس وبغل للذبح والاكل . ولم اهتم بمسألة الخيل والبغال إلى الآن لأنه لم يكن هنالك مسوغ يسوغ لي ذبح الخيل قبل هذا الوقت لأن ذبحها يجعل الفرقة غير

قادرة على الحركة في الميدان . ولم افكر في ذبحها الا لما قال لي « ايلمر » أنه لا يرى نفسه قادراً على فك الحصار عني . ولا يخفى أن الاوروبيين يأكلون لحم الخيل عند الاقتضاء . وكان معاون مدير الاعاشة في فرقتي في ما مر يشتري القمح والطحين من البلدة وكان الحاكم العسكري يطعم في كل يوم ٦٠٠ شخص من سكان البلدة لأنهم لم يملكوا نقوداً يبتاعون بها طعاماً لهم وكان هذا الحاكم يبيع القمح باسعار منخفضة من ٣٠٠٠ عربي في كل يوم مع أننا كنا قد اشترينا ذلك القمح من التجار العرب بالاسعار التي عينتها الحكومة . فكنا قادرين أن نعيش على دقيق القمح وحده ٣٥ يوماً فوق المدة التي حسبناها ويدخل في هذا الحساب ارزاق ٢٢ يوماً كانت موجودة عندنا وذلك فضلا عن الشعير ولحم الخيل .

وختمت الرسالة بقولي انه عندما يعلم الترك بأن « ايلمر » يماطلهم انتظاراً لوصول النجدات يحتمل كل الاحتمال أنهم يحملون علي حملات شديدة فيسحبون الجنود من امام « ايلمر » للهجوم علي . وقد بعثت بصورة هذه البرقية إلى مقر الجيش .

إن المسألة العظمى التي يقتضي حلها اثناء الحصار هي مسألة الطعام وهي اهم المشاكل واعقدها بلا استثناء . اما مسألة القتال فتتلو مسألة الطعام في هذا الشأن اثناء الحصار . وقد وقعت هذه المشكلة عينها في المدافعة عن « جترال » ولكن مشكلة الطعام في حصار الكوت كانت اشد منها في حصار « جترال » لذلك قسمت ادوار المدافعة في الكوت إلى ثلاثة : الدور الاول وكنت اوزع فيه ارزاقا يومية كاملة على الجنود والدور الثاني وكنت اوزع فيه نصف الارزاق اليومية . اما الدور الثالث فكنت اوزع فيه من الارزاق اليومية ما يسد به رمق الجنود وهو الدور الذي قاسيت فيه اشد الصعوبات .

وابرقت في ٢٥ كانون الثاني إلى « ايلمر » بشأن الخروج من الضفة اليمنى والتقاء قوته بقوتي فقلت له أن اجتماع القوتين اعتماداً على القنباص (الحك) في تعيين الجهات أمر لا يعول عليه لذلك يقتضي أن يوعز إلى قوته بالتراجع إذا لم تعثر على قوتي . واعدت له ما قلته سابقا وهو أن فوزي في عبور النهر إلى الضفة

اليمنى في الكوت متوقف على حظي ونصيبي . وانه يتحتم على القوة الساترة التي تنزل على تلك الضفة قبل غيرها أن تطرد صيادة الاعداء ودورياتهم التي لم تنفك عن التجوال على تلك الضفة ليلا ونهاراً فاذا تم لنا الفوز في عبور النهر يممت المسجد (وهو مسجد الامام المنصور الواقع على مسافة خمسة اميال من جنوب شرق بلدة الكوت) وهذا المسجد كصورة (علامة) ظاهرة كل الظهور تدلنا على الطريق إلى الشيخ سعد عرض المسجد ١٠٥ إلى شرق بلدة الكوت . ولا شك في أن العدو وضع في هذا المسجد ستارا من المشاة فيحتمل أن الأمور تقضي علينا بمهاجمة هذا الموقع . انما من عادة الترك أنهم لا يحرسون مواقعهم ليلا الحراسة المطلوبة ولم اوجس قط خيفة من القطعات التركية الراكبة ولا من قائد تلك القطعات صبري بك . لأنني اعلم أن هذه القطعات تظل بعيدة عني اذا اخذت معي مدفعين عيار كل منهما ١٣ بونداً . ولا يخفى أن عبور النهر من غير أن يشعر بنا العدو لمن اصعب الامور والفوز كله متوقف على هذا العبور .

وقلت كذلك : « انه عندما يقطع القائد المدافع عن موقع امله من فك الحصار عنه ينبغي له أن يحاول الخروج من ذلك المكان مع من يبقى لديه من الجنود الكاملي الضبط والمشتدي العزيمة . وهذا واجب القائد ازاء بلاده . ويتحتم عليه أن يترك الجرحى والمرضى تحت رحمة الاعداء . فاذا كان اولئك الاعداء امة متمدنة احسنوا معاملة الجرحى والمرضى ، وسلوك الترك في هذا الصدد لا غبار عليه . اما اذا كان المرء محاطاً من جميع الجهات ما عدا جهة واحدة بنهر فائض والجهة التي لا يحيط بها النهر منها مغمورة بالماء فلا تستطيع الجنود العبور منها فهنالك الفرق وكل الفرق بين الامور النظرية والعملية . واذا علمنا أن جماعات العرب يحدقون بجناحي القوة ومؤخرتها رأينا أن هذه النظرية تنطبق على اوربا ولا تنطبق على العراق .

« ويشق علي جداً أن اترك ورائي الجرحى والمرضى والعدد العظيم من الجنود الضعفاء الذين كانوا قد علقوا جميع آمالهم علي . ولا يخفى على الحكومة المساعي التي بذلها هؤلاء الجنود في المقاتلة حول لوائي . فهل من الانصاف أن انبذهم الأن نبذ النواة وانسل من بينهم ليلا انسلال اللص ؟ انني عالم بأن واجبي

الاهم يقضي علي بأن احاول تخليص الجنود الاشداء لخدمة الحكومة وكنت اول من ابدى هذا الرأي لكم وللسر جون نكسن يوم قلت أني ساحاول أن اشق لي طريقا للخروج من هذا المكان اذا صدكم الترك . وتتخطرون قولي لكم أني لا اشق لي طريقا للخروج أو احاول أن افعل ذلك الا عندما تنسد جميع ابواب النجاة الاخرى في وجهي .

« واملي انكم تفاوضون قائد الحملة العام في الأمر قبل بت الحكم في هذه المسألة وهي انكم لا تتمكنون من الظهور امامنا على الضفة اليمنى عنوة بعد وصول النجدات اليكم . ولا ارى على الاطلاق صبري بك وقطعاته الراكبة وفوجين من الافواج المحتمل وجودها هناك مانعا يحول دون ذلك . فاسألوا كمبال يروي لكم ما فعلته بصبري بك في سيري الليلي وهجومي على القطنية فانه لما دنوت منه افلت مني كجرادة العيار .

« ولا ارى مانعا يمنعنا من الثبات هنا شهرين آخرين إذ ترون من البرقية التي بعثت بها اليكم امس بشأن الطعام أننا قادرون على ذلك وفي اثناء ذلك يستطيع قائد الحملة طلب الجنود الهنود من الهند والجنود الاستراليين من مالبورن .

« إن الترك سيكونون على حذر تام في محاولتهم الهجوم علينا بعد الذي لقوه منا هنا وقد اختبروا كل الاختبار الخسارة الفادحة التي يستطيعون أن يكبدوكم اياها من وراء خنادقهم الملتصقين بها . إن مقدرة التركي على القتال في ميادن مكشوف متوسطة ولكنه خصم عنيد اذا قاتل وراء سور أو خندق فالفرق التي تقاومكنم هي عين الفرق التي انهزمت امامنا لما دنونا منها في السن في شهر أيلول المنصرم وعين الفرق التي نازلتنا في وقعة طيسفون ولا يخفى أن الوقعة انتهت إلى تلك النتيجة لأننا التففنا حول جناح الترك وهاجمناهم ارتالا لا تزيد جبهة كل لواء في ذلك الهجوم على ٦٠٠ أو ٧٠٠ يارد[1] .

---

(١) اعتقد أن مشاة ايلمر كانوا منتشرين انتشارا واسعا جدا في وقعتي الشيخ سعد وام الطبول بحيث لم تأت حملاته على الترك قوية وهذا سبب فشله .

« فاملي انكم تفكرون في الامر ملياً مع قائد الحملة . ولا تنسوا أن أمر عبوري النهر ليلا من غير أن يشعر الاعداء بذلك مسألة دقيقة وصعبة جدا » .

وسيعلم القارىء أن قائد الحملة العراقية العام استحسن الخطة « أ » من خططي وهي أن اسعى للخروج من الضفة اليمنى ولما اطلعت الفريق « ميلس » الذي يتلوني في القيادة ـ اثناء حديث جرى بيني وبينه ـ على الخطط التي اقترحتها فضل الخطة « ب » على غيرها لان بالخروج نستطيع أن نأخذ معنا من ثلاثة آلاف الى اربعة آلاف مقاتل فقط وذلك اذا خدمنا الحظ فسرك وراءنا اربعة آلاف أو خمسة آلاف مقاتل وجميع الجرحى والمرضى ونتلف المدافع وغيرها . فرأيي أن الطريقة المثلى وواجبنا نحو عاهليتنا يقضيان علينا بأن نستمر على المدافعة لصد الترك عن الزحف .

اما انا فلم يخامرني شك في أمر الطريقة المثلى التي اسير عليها وهي أن اخرج بالمقاتلين الذين اتمكن من اخراجهم معي وذلك عند انقطاع املي من النجاة وكنت راغباً كل الرغبة في القيام بهذه الحركة غير أن الاحوال المحلية حالة دون انجاز هذه الخطة لأن النهر الذي يستحيل عبوره كان محيطا بنا من جميع الجهات الا جهة واحدة الأمر الذي اشكل علي مسألة عبوري بثلاثة آلاف جندي في الوقت المعين لي . فاذا نظرنا إلى المسألة من هذه الوجهة رأينا « ميلس » مصيباً في رأيه . ففكرت في المسألة الليل طوله وقبل انفلاق الصبح بتت الراي في أمر الخروج من الضفة اليمنى إذ أنني الفيت المسألة مشكوك فيها ومنطوية على المخاطرة الشديدة وأنه يحتمل أنه تؤول إلى القضاء المبرم على قوتي . فعزمت على العمل بالخطة « ب » وهي الثبات في الكوت غير مبال بعواقب ذلك .

ومما زادني تمسكا برأيي هذا عثورنا على كميات كبيرة من الحبوب والاطعمة المخبأة في البلدة فاتت اوامري بتفتيش البلدة منزلا منزلا بثمار يانعة . فانبأني اركاني أننا نتمكن من الثبات ٨٤ يوما . فقلت أنني ساجعل الكوت « بلاونة » اخرى لذلك بعثت بالبرقية التالية إلى ايلمر وبصورتها إلى المقر العام وتاريخها ٢٥ كانون الثاني .

« لقد فكرت مليا في موقفنا هذا لذلك اجمل لكم نظرياتي وآرائي في هذا الصدد والنتيجة التي توصلت اليها : -

« الفقرة الاولى . (أ) إن مسألة خروجي من الكوت مسألة على غاية الدقة ويتوقف الفوز في مسعاي على الصدفة وحدها لأنه يتحتم علي عبور النهر ليلا من غير أن يشعر العدو بذلك وفضلا عن هذا أنني اذا فزت في مسعاي لا استطيع أن اخرج الا بثلاثة آلاف مقاتل من رجالي فاترك ورائي خمسة آلاف مقاتل ما عدا الجرحى والمرضى والمدافع باسرها .

« (ب) إذا خرجت من الكوت سقطت هذه البلدة بيد العدو من ساعتها وسقوطها يمكن الترك من اتخاذهم فورا خطة التعرض على دجلة جنوبا لأن الترك لا يستطيعون أن يمروا بسفنهم ومعداتهم ومدخراتهم وغيرها امامي ما دمت معتصما في الكوت .

« (ج) انكم لا تستطيعون البقاء حيث انتم الآن والا اصابكم ما اصابني . فيتحتم عليكم حينئذ أن تتقهقروا في بلاد معادية لكم واشك والحالة هذه في أمر بقائكم في العمارة . ويحتمل كل الاحتمال أن الترك يحيطون بالناصرية فتسقط بيدهم .

« (د) وعلى هذه الصورة نخسر كل الاراضي التي استولينا عليها بعد محاربة دامت سنة كاملة ولا يخفى ما في ذلك من الدمار والعار علينا . ونظرا إلى الاسباب التي بسطتها في (ب) و (ج) و (د) أنني لم اواصل تقهقري من طيسفون بل توقفت في الكوت . وانا نفسي قررت أمر ثباتي في هذا المكان .

« (هـ) يستطيع الروس اثناء ثباتي في الكوت أن يتهددوا بغداد على صورة جديدة .

« الفقرة الثانية . لقد وكلت أمر الطعام الموجود في الكوت كله إلى الزعيم انسلي معاون مدير الاعاشة في فرقتي وجمعت كل المواد الغذائية من سكان الكوت وطفقت اوزع عليهم الارزاق اليومية فارى الآن أننا نستطيع الثبات ٨٤ يوما .

« واقول بشأن الطعام أننا قد عثرنا على كميات وافرة من الشعير . وما عدا كل هذه المواد الغذائية فان عندي ثلاثة الاف فرس وبغل تصلح للاكل .

« الفقرة الثالثة . اما ما قلته عن الحالة الروحية التي امسى عليها جانب عظيم من جنودي الهنود فاقول . ـ إننا في الهوى سوى الا أن وهن عزيمة جنودي الهنود اخف نوعا من وهن عزيمة جنودك . وكل معولي هو على النفر الباقي عندي من جنود نورفوك ودورست واوكسفورد .

« واعلموا أن لا فائدة لنا من النجدات التي تأتينا من الهند وهي مؤلفة من جنود مستجدين لا يستفاد منهم في الحرب مثل الجنود الذين كانوا يوفدون إلي لسد الفراغ في الصفوف بعد وقعة كوت الامارة في شهر أيلول المنصرم . ويؤيد كلامي هذا ميلس وديلامين وهملتون وهوتن . فكل ما نطلبه فرقة أو فرقتان من الجنود البريطانية المحضة .

« فلقد حان الوقت لطلب جنود اوربية (انكليزية) مدربة من وراء البحار ولنطلب فيلقاً لانقاذ العراق من الترك والمحافظة عليه اذا رأت الحكومة وجوب الاحتفاظ بالعراق . وقد علم الالمان أن العراق ـ وليست مصر ـ افضل المنافذ التي تؤدي إلى الهند وهذا هو السبب الذي حمل الالمان على ارسال ضباطهم إلى هذه البلاد وجميعهم هم هنا الآن . فعندي أن الاحتفاظ بالعراق أمر واجب وقد سفكنا دماء غزيرة من اجل هذه الغاية .

« الفقرة الرابعة ـ واعيد لكم ما قلته في ما مر وهو أنني لا اعتقد أن الترك يجرأون على الخروج من خنادقهم الأمينة والهجوم علي في خنادقي وبين منازل البلدة . لأنهم اذا فعلوا ذلك تكبدوا خسارة هائلة جدا وقد تكبدو خسارة فادحة لما حاولوا الهجوم علي على الصورة التي المعت اليها الآن .

« الفقرة الخامسة . واعتقد أن الطوفان سيبدأ في شهر شباط فيرغم الترك على الابتعاد عنا والفريق الذي يكون اقوى بمراكبه الحربية يملك زمام هذه

« البحار » وهذا التوفق هو الذي مكنني من الاستيلاء على العمارة في حزيران الماضي .

« الفقرة السادسة . كلما فكرت في الأمر زدت يقيناً في أن افضل منهج اسير عليه واسماه هو المنهج الذي سار عليه عثمان باشا في حصار « بلاونة » حيث تمكن بالمدافعة عن ذلك المكان من صد زحف الروس فخلص بذلك الاستانة منهم .

وارى كذلك أن الدفاع عن الكوت يخلص كل ولاية البصرة من الترك فيجد القائد العام متسعا من الوقت لجلب النجدات القوية فتنتهي الحرب بفوز مبين بدلا من انتهائها بالفشل والدمار » .

فوافق « ايلمر » على ملحوظاتي هذه على جناح السرعة فتلقيت على الفور البرقية التالية وقد بعث بصورتها إلى المقر العام : -

« لا يسعني الا القول بأن برقية طاونزند المرقمة ٦٩/١١٧/و ١١٨ عامة قد افصحت لنا عن امور جديدة تتعلق بالموقف الحربي .

« ويسرني العلم بأن ارزاقه اصبحت تكفيه الآن مدة تزيد على المدة التي ذكرها في برقياته السابقة . إذ أنه قال في تلك البرقيات أن ما عنده من الطعام يكفيه إلى ٧ شباط وهو الوقت الذي قال أنه يستطيع الثبات فيه بتوزيع نصف الارزاق اليومية المعينة .

« واعتقد أن هنالك عوامل اخرى غير الطعام يتحتم عليه مصارعتها في دفاعه المجيد . فلو علمت قبلا بالخبر الذي جاءني به الآن لعدلت جانبا عظيما من خططي التي رسمتها وحاولت تنفيذها بلا جدوى وكذلك الخطط التي اقترحت وضعها وتنفيذها .

« وقد عدلت الآن عن طلب تنفيذ الخطة (أ) »

وفي ٢٦ كانون الثاني شاهدنا قوة تركية قدرناها بفرقة وكانت هذه القوة تسير شرقا من المعسكر التركي الواقع فوق الكوت على الضفة اليمنى . ولا ريب في أن

هذه القوة كان تبغي عبور نهر الحي بجوار مهيريجة حيث كان لدى الترك مهيلات مربوطة إلى ضفة النهر واعتقدنا أن العدو كان يقطع النهر هناك لأننا رأينا الجنود يشتغلون في ذلك المكان وينقلون خشبا وعواميد إلى تلك البقعة . واعتقدت أن هذه الفرقة تشير إلى موقع السن على الضفة اليمنى

فانبأت « ايلمر » بذلك وبسطت له السبب الذي حداني إلى الاعراض عن ذكر مسألة الطعام . وهذا نص برقيتي : -

« لم يكن هنالك داع يدعوني لفتح مسألة الطعام قبل الخوض في مسألة استطاعة فك الحصار عني وعدمها . فالبحث كان حينئذ منحصراً في فك الحصار عن الكوت قبل ١٠ كانون الثاني لئلا تصل بغداد نجدات تركية قوية فتحول دون ذلك . وقد افصح قائد الفيلق عن هذا الرأي عينه في ملحوظاته المتعلقة بالموقف الحربي . فلدي الآن من الارزاق ما يكفيني للثبات في موقعي حتى بعد ١٠ كانون الثاني . لذلك لا ارى وجهاً لتعديل الخطط التي رسمها ايلمر على فرض انهُ علم قبل الآن بمقدار الطعام الموجود عندي[١] .

« إن العرب الموجودين في الكوت يبلغون ٦٠٠٠ نسمة وهم يضمرون الشر لنا والخير للترك . فوجودهم بيننا خطر علينا لذلك يتحتم علي أن افرز جانباً عظيماً من الشرطة العسكرية للسهر على حركات هؤلاء العرب ليلا ونهاراً . وقد فتشت عن السلاح في منازلهم . ولم اشأ أن افتش عن الطعام قبل أن ترغمني الاحوال على ذلك وهذا أمر بسيط يسهل على المرء فهمه . وكنت اعتقد بوجود الشيء الكثير من الطعام في البيوت ولكنني لم اكن متوقعا أن اعثر على المقدار الذي عثرت عليه » .

وعلمت الآن أن النجدات التي وصلت « ايلمر » تبلغ ١١٠٠٠ جندي من المشاة و ١٨ مدفعاً من مدافع الصحراء و ٦ مدافع قصيرة و ٤ مدافع صحراء من مدفعية الرديف . وبهذه النجدات تبلغ قوة « ايلمر » ٢٠٠٠٠ مقاتل ماش و

---

(١) إن مهمة النجدة تتناول فك الحصار عن الحامية المحصورة ولا شان لها في اطالة امد الحصار .

١٣٠٠ خيال و ٧٤ مدفعاً . وكنا نتوقع وصول هذه النجدات من ٧ شباط إلى ١٠ منهُ .

وبلغت خسارة الفرقة السادسة من وقت دخول هذه الفرقة الكوت في ٣ كانون الاول سنة ١٩١٥ إلى ٢٦ كانون الثاني سنة ١٩١٦ الفين ومائتين وخمسة وعشرين جندياً ما عدا الذين ماتوا من المرض .

وفي ٢٦ كانون الثاني نشرت على القطعات البلاغ التالي : -

إن القوة القادمة لانجادنا بقيادة الفريق ايلمر لم تنجح في طرد الترك من الموقع الذي تحصنوا فيه على ضفة النهر اليسرى وعلى مسافة ١٥ ميلا إلى جنوب السن حيث انتصرنا على الترك في شهر أيلول المنصرم لما كانت قوتهم اعظم مما هي الآن . وقد تكبدت القوة القادمة لانجادنا خسارة فادحة وصارعت هذه القوة هواء رديئاً جداً . وهي متحصنة بالقرب من موقع الترك . وتتوارد نجدات جديدة إلى قوة الفريق ايلمر وهي على الطريق الآن . وإنني لواثق كل الثقة بأن النجدة ستفك الحصار عنا في اواسط شهر شباط .

« وليعلم جميع الجنود والضباط على اختلاف مراتبهم أنني عزمت على الثبات في الكوت اثناء انسحابنا من طيسفون . وذلك أنه ما دمنا في الكوت لا يستطيع الترك المرور امامنا بسفنهم وبارجاتهم ومدخراتهم ومعداتهم فلا يتمكنون من السير جنوباً لمهاجمة العمارة . فنحن الآن قد منعنا زحف الجيش التركي كله . وكذلك بثباتي في الكوت افسح مجال الوقت لقدوم النجدات من البصرة لرد سيف النصر إلى يد جيشنا . وفضلا عن هذا أن حلفاءنا الروس الذين يجتاحون الآن بلاد فارس سيجدون لهم متسعاً من الوقت للزحف نحو بغداد . وقد تلقيت رسالة خاصة من قائد القوات الروسية الفريق باراتوف يفصح فيها عن شدة اعجابه بما قمتم به انتم رجال الفرقة السادسة والقطعات الملحقة بها من الاعمال المجيدة في بضعة اشهر مضت وينبئني كذلك عن سير زحفه من كرمانشاه وهو على طريقه إلى بغداد الآن .

« فثباتي في الكوت احتفظ بالارض التي استولينا عليها في العام الماضي بسفك دماء عزيزة ويبدأ عهد فتوحنا بانتصاركم الباهر في وقعة الشعيبة وعلى هذه الصورة سنواصل كفاحنا المجيد بدلا من ان نفسح المجال للعدو ليجر علينا الدمار الى العمارة ومنها إلى ما ورائها

« ولدينا من الطعام ما يكفينا ٨٤ يوما وهذا فضلا عن ثلاثة الاف فرس وبغل مما يصلح اكله ولما دافعت عن جترال قبل عشرين عاماً كنا نتقوت بالطحين ولحم الخيل ولكني اعيد عليكم ما قلته في ما مر أني وطيد الامل في أن الحصار سيفك عنا في النصف الاول من شهر شباط .

« إن الواجب المفروض علينا القيام به بسيط وصريح . فواجبا ازاء عاهليتنا وملكنا المحبوب ووطننا العزيز أن نثبت في هذا المكان فنصد زحف الترك كما نفعل الآن . واملي أننا سنتمكن بتعاوننا جميعاً قلباً وقالباً من تخليد ذكر مجيد لهذه المدافعة في بطون التاريخ . فاخواننا جميعهم في انكلترا وفي الهند يرقبون اعمالنا ويفخرون بشجاعتنا الباهرة واخلاصنا الشديد اللذين برهنا عليهما بما آتينا. ولنتخطر جميعاً مدافعة بلاونه المجيدة لأنني قد عزمت على الدفاع عن الكوت مدافعة عثمان باشا عن بلاونة .

« إن نفسي مطمئنة كل الاطمئنان للنتيجة التي ينتهي اليها هذا الحصار . اجل أن التركي خصم عنيد في خندقه ولكنه منازل ضعيف في الهجوم . فقد جرب الترك مقدرتهم يوم هجومهم على الحصن فكانت خسارتهم في تلك الهجمة وحدها ٢٠٠٠ مقاتل . وكذلك اوقعت بندقيات الفريق ايلمر ومدافعه خسارة فادحة جداً في صفوف الترك فلا شك عندي في أن الترك تعلموا امثولة بليغة من هجومهم على قواتنا .

« واعلم أنه لما صدرت إلي الاوامر بالزحف على طيسفون طلبت فيلقاً أو فرقتين على الاقل للفوز في تلك المعركة وانجاز المهمة التي وكل أمر القيام بها إلي . وقد قمت بواجبي إذ برهنت للحكومة على الخطر الشديد الذي تنطوي عليها حركة القيام بتلك الوقعة واحدة . وقد شاهدتم نتيجة ذلك وابديتم حكمكم في

هل كنت مخطئا ام مصيبا في طلبي ذلك . وسيخلد التاريخ ذكركم فيسميكم الناس ابطال طيسفون لانكم برهنتم على كونكم ابطالا بالاعمال التي قمتم بها في تلك المعركة . وقد لا يجوز لي التصريح لكم بما ذكرته ولكنني ارى واجبي نحو جميعكم يقضي علي بأن اصارحكم القول وافصح لكم عما في ضميري واتخذكم لي موضع ثقة في هذا الصدد . والله يشهد أنه قد صعب علي جداً أمر الخسارة الفادحة التي تكبدناها وشقت علي آلام الجرحى البؤساء من جنودي فلن تبرح ذكرى هذه الحوادث ذاكرتي ما دمت حيا . والحق يقال أنني لم اسمع بقائد اخلص له جنوده في الطاعة في الخدمة اكثر من اخلاص جنود الفرقة السادسة لي مدة قيادتي هذه الفرقة . إنني اخاف أن اكون قد اطلت حديثي معكم لكنني اكلمكم من اعماق قلبي لذلك ترونني قد نبذت مراسم المخاطبة . فلا بد لنا من الفوز في هذا المعمعان . فعوا كلامي ولا تنسوه واحرصوا على عتادكم حرصكم على الذهب .

كوت الامارة في ٢٦ كانون الثاني السنة ١٩١٦

الفريق الثاني جارلس طاونزند
قائد الفرقة السادسة

ويرى القارىء من هذا البلاغ أنني نشرت على الجنود اخبار سوء ولكنني في الوقت عينه حاولت أن اثير الهمة على المدافعة في صدورهم باتخاذهم موضعاً لثقتي . وقد أثر هذا البلاغ خير تأثير في نفوس رجال الحامية . فقال لي امراء الالوية أن بلاغي بعث همة شماء في نفوس القطعات . وتلقيت رسائل من الضباط الهنود يفصحون فيها عن اخلاصهم التام لي ولا سيما ضباط فوج « راجبت » السابع فإن ضباط هذا الفوج بجملتهم ذهبوا إلى الزعيم « بار » آمر فوجهم وطلبوا اليه أن يكتب الي عنهم الرسالة التالية : ـ

« إن الضباط الهنود من هذا الفوج يفصحون لي عن شدة ارتياح الفوج باسره إلى بلاغي . ويقولون أنهم غير قلقين للموقف الذي باتوا فيه ويصرحون لقائد الفرقة بأنهم لا يتخلون عنهُ ما دام فيهم رمق » .

وهذه الحادثة وحدها برهان كاف على وقع بلاغي في نفوس الجنود الهنود . وسرعان ما عبر لي الجرحى الذي عدتهم في المستشفى مساء عن وقع هذا البلاغ في نفوس البريطانيين من رجال قوتي .

وفي هذا اليوم عينه شاهدت فرقة تركية اخرى تسير شرقاً مارة امام الكوت على الضفة اليمنى ولا ريب في أنها كانت سائرة لمقاومة « ايلمر » . ولا حاجة إلى القول أنني كنت انبىء على الفور القوة القادمة لنجدتي بكل حركة تتحركها قطعات العدو بواسطة تلغرافنا اللاسلكي .

وفي ٢٧ كانون الثاني ابرق إلي « السر برسي لايك » من « المعسكر » يقول : « يسرني على الدوام أن اقف على آرائك وملحوظاتك الثمينة جداً . اما همتك الشماء فهي اقوى مشجع لنا .

وكان ايلمر قد اعد معداته في الليلة الماضية لعبور النهر إلى الضفة اليمنى بالباخرة بحيث يترك ثلاثة آلاف مقاتل من جنوده مع ٢٦ مدفعا ومعظم لواء خيالته على الضفة اليسرى لمشاغلة العدو الواقف امامه . وعلى هذه الصورة ينتقل إلى الضفة اليمنى ٦٠٠٠ جندي ماش و ٢٠ مدفعا .

فاوضحت لنا هذه البرقية حركة الفرقة التركية التي روينا في ٢٦ كانون الثاني خبر سيرها على الضفة اليمنى . فشكرت « للسر برسي لايك » رسالته اللطيفة هذه وقلت له أنه يستطيع التعويل علي في هذا الصدد .

الفصل الرابع

المرحلة الاولى للدفاع عن الكوت

يبتدأ الدور الثاني للحصار في نهاية كانون الثاني وهو الدور الذي اخذت اوزع فيه نصف الارزاق اليومية على الجنود . وكانت قوتي في ٢٧ كانون الثاني مؤلفة من ٨٣٥٦ مقاتلا منهم ٦٤٣٠ جندياً ماش . واذا اضفت إلى هؤلاء الجنود الذين كانوا في المستشفى وجنود المستشفى السيار والقسم الطبي والاعاشة والنقلية بلغ مجموع الكل ١٠٥١٣ جندياً . وفضلا عن هؤلاء كان لدينا ٢٩٠٨ شخصاً تابعاً من سكان البلاد فبلغ مجموع الذين يتحتم علينا اطعامهم ١٣٤٢١ شخصاً .

وبلغت خسارتنا اثناء الحصار إلى ٢٨ كانون الثاني ٢٢٤٠ جندياً .

اما العتاد الصغير (اي عتاد البندقيات) فكان عندنا منه في ٢٨ كانون الثاني ٧٥٦ اطلاقة لكل بندقية من ٧١٠٠ بندقية موجودة عندنا . وكان عندنا المقدار الكافي من عتاد المدافع فاطلب بيان ذلك في ملحق الباب الرابع من هذا الكتاب .

وشاهدنا في ٢٨ كانون الثاني فرقة تركية تتخذ لها موضعاً بين معقل الدجيلة في الميمنة القصوى لموضع العدو الواقع في السن وبين مهيريجة الواقعة على نهر الحي ويشار إلى هذا الموقع في بعض الخرائط بالكلمة « عتب » . وهكذا شرع العدو في انشاء سلسلة معاقل لربط نهر الحي بمعقل الدجيلة وبذلك يصله بموقع السن .

وكنت شديد الرغبة في الوقوف على عدد الجنود الذين كانوا يحاصرونني لأنني كنت افكر في توحيد مساعي ومساعي « ايلمر » حين زحفه وذلك اما بمهاجمة القوة التركية المرابطة على الضفة اليسرى اثناء انسحابها ومرورها بالكوت واما بالهجوم

على معسكر الترك الكبير في شمران في اعلى النهر حيث كانت بواخر العدو ومذخراته . ولم ار فائدة من القيام بعمل لا يكون بالاشتراك مع ايلمر . واوعزت الى المقر العام بأن تطلب الحكومة من الزعماء الهنود الذين في الهند أن يبعثوا برسائل إلى وحدات الراجبت والمهرته والسيخ والدوغره التي تتألف منها قوتي لأنني كنت اعتقد أن هذه الرسائل تبعث الهمة والنشاط في الجنود فتبعثها ذلك على مواصلة الدفاع عن الكوت

وفي اواخر كانون الثاني اخذ النهر بنخفض . وفي ۲۱ و ۲۹ من هذا الشهر انخفض النهر اربع عقدات في اليوم . وكان الفيضان قد عزل الحصن عن باقي خطوط الدفاع ولما غمرت المياه خط دفاعنا الاول وارغمنا على الخروج من هذا الخط فكرت في ترك الحصن ولكنني عدلت عن هذه الفكرة بعد ذلك وعزمت على الثبات فيه لأنني رأيت أن اتخذه قاعدة للخروج شرقا من الضفة اليسرى عندما ارغب في القيام بهذه الحركة من تلك الجهة .

واتخذت جميع الرسائل للتيقظ والسهر على حراسة مخازن عتادي . وكنت قد وضعت العتاد في البلدة في ابنية منفصلة عن غيرها وذلك خيفة من أن تطالها ايدي العرب الذين كانوا يقطعون النهر سباحة في الليل فيدخلون الكوت بسهولة . واتخذت هذه الحيطة عينها لحراسة مواد الاعاشة . وكانت بأمر فرقة الاطفاء إلى المقدم « كتن » وألفت من سكان البلدة فرقة اطفاء منظمة لمكافحة الحريق .

وفي ۳ شباط تلقيت برقية من نائب الملك في الهند وقد بعث المقر العام إلي بهذه البرقية من البصرة وهي : -

« لقد تلقينا هذه الرسالة الكريمة من فخامة نائب الملك وهي : -

« تكرموا بنقل هذه الرسالة مني إلى الفريق طاونزند .

« إننا جميعاً نعجب غاية الاعجاب بما ابديتموه من البسالة والصبر في رد هجمات الاعداء . ولي صادق الثقة انكم ستواصلون الدفاع إلى أن تصلكم

النجدات بعد مدة قصيرة . ولا تنفك بلاد الهند عن الاهتمام بامركم وأمر قطعاتكم » .

فنشرت برقية نائب الملك هذه على الجنود .

وفي ٥ شباط تلقيت برقية من المقر العام وفيها نبأ بعزم الحكومة على ايفاد الفرقة البريطانية الثالثة عشرة إلى العراق . فعلمت من عدد هذه الفرقة أنها من الفرق الحديدة المؤلفة في الآونة الاخيرة والمسماة بـ « جيش كجنر » وقد قرأت في نسخة من اعداد جريدة التيمس القديمة التي ألقتها الطائرات في الكوت أن الفرقة الثالثة عشرة هذه تكبدت خسارة فادحة في شبه جزيرة غاليبولي حيث خسرت في وقعة واحدة اربعة آلاف مقاتل . فقلت في سري أنه لا يحتمل أن تكون هذه الفرقة كاملة العدد . وانبأني المقر العام بأنه لا يعلم هل الحكومة ستوفد هذه الفرقة علاوة على الالوية الثلاثة (اي فرقة واحدة) التي وعدت بارسالها من الهند ام . سترسلها بدلا من تلك الالوية ولكن قائد الحملة الح على الحكومة الحاحاً شديداً بأن ترسل هذه الفرقة علاوة على الفرقة الموعود بها . ولم يعين تاريخ وصول هذه النجدات مع أن القائد العام للحملة العراقية الح على الحكومة بارسالها على الفور .

وتفشى في هذه الآونة داء الزحار « الدوسنطارية) بين الجنود . وكان الزعيم « هيهر » معاون مدير الامور الطبية يتوقع منذ مدة طويلة ظهور هذا المرض لأن الجنود الهنود ـ ما عدا الغركة ـ لم يأكلوا لحم الخيل . وكانت البقول باسرها قد نفدت ولكنني كنت قد امرت بزرعها في الحدائق الواقعة في جبهة البلدة الشمالية لسد حاجة المستشفى منها .

ذكرت فيما مر أن العدو حصرنا حصراً تاماً بالخنادق والمعاقل والاسلاك الشائكة وغيرها من وسائل الحصار التي لا يحصيهـا عدا والتي انشأها في الجبهات الشمالية والشمالية الشرقية والشمالية الغربية . وطفق الترك في هذه الآونة يحفرون الخنادق على ضفة دجلة اليمنى إلى شرق الكوت وذلك لمنع معاونتنا « ايلمر » في زحفه على الضفة اليمنى لأن نقل معظم قوته إلى الضفة اليمنى حمل

الاعداء على القيام بهذا العمل وفضلا عن الفرقة التركية التي كانت تسعى سعيها على القسم الممتد من معقل دجلة إلى نهر الحي على موازاة « الجسر التركي » شاهدنا في صباح ٦ شباط قوة كبيرة اخرى قدرناها بلواء مشاة وبطارية صحراء تنتقل من جسر نهر الحي ووجهتها السن فقلت لا بد من أن تكون قسماً من الفرقة التي شاهدتها في ٢٦ كانون الثاني ورويت خبرها حينئذ ـ تلك القوة التي كانت عازمة على التحصن ازاء « الجسر التركي لمنع الحركة الالتفافية التي يحتمل أن تقوم بها القطعات البريطانية المتحركة على الضفة اليمنى

وفي هذه الاثناء تلقت نسخة من « جريدة البصرة الاسبوعية » تاريخها ١٠ كانون الاول وقد رمت الطائرة بهذه الجريدة وببعض جرائد غيرها . فالفيت جميع هذه الجرائد مشحونة بوصف وقعة طيسفون والانسحاب إلى الكوت .

وفي ٦ شباط ابرق الفريق « ايلمر » بالخطة التي رسمها لفك الحصار عن واليك نص البرقية : ـ

« عند وصول النجدات الكافية في اواسط شهر شباط انوي أن ازحف على ضفة دجلة اليمنى وذلك بالسرى (بالسير ليلا) بقوتي الكبرى المؤلفة من ١٢٠٠٠ جندي ماش ما عدا لوائي المدفعية والخيالة القويين . وسأسعى لقهر الترك في السن أو في كل مكان آخر اصادفهم فيه . ولا تمكنني وسائل النقلية البرية المتيسرة لي الا من نقل طعام يوم واحد ما عدا المقدار الذي يحمله كل جندي من الطعام[1] . وعلى كل حال لا بد من بذل كل مساعيكم لمعاونتي . اما الطريقة المثلى التي تضمن لنا هذه المعاونة فمتوقفة على الحوادث التي تجري في مدة العشرة الايام التالية . واذا كان لديكم خطة اخرى تحل محل خطتي فانظروا فيها على الفور نظراً منطوياً على الدقة كلها .

« الحالة (أ) . اذا لم انجح في مساعي النجاح المطلوب فسأتعقب العدو على

---

(١) وكما عرقلت مسألة النقلية مساعي اثناء حركات طيسفون هكذا عرقلت هذه المسألة مساعي الفريق « ايلمر » .

جانب نهر الحي الاخر واسعى لقهره مرة اخرى في المكان الذي يقف فيه واسير في طلب سفنه وجسره ».

وهنا المع الفريق ايلمر إلى البرقية التي بعثت بها في ٥ شباط وقلت فيها أن العدو اخذ في اعداد معدات الحصار على الضفة اليمنى إلى شرق الكوت فيستحيل حينئذ على قوتي الكبرى عبور النهر قبل أن تفك قوة « ايلمر » الزاحفة الحصار عني وحينئذ اتمكن من العبور بقوتي الكبرى وبالمدافع والرشاشات التي استطيع نقلها على جناح السرعة لمساعدته في حركاته الاخرى على ما اوعز به في الحالة الاولى.

والحالة (ب) اذا لم انجح في طرد الترك عبر نهر الحي يحتمل أنني لا استطيع التقدم من مكاني حتى لو ساعدتني انت . وحينئذ ارد الاعداء عني اثناء عبورك بحامية الكوت إلى الضفة اليمنى ومعك المرضى والجرحى الذين يعاد نقلهم إلى موضعي هذا . وقد وافق قائد الحملة العام على أن اطلب اليك القيام بهذه الحركة اذا رأيت أن الضرورة تقتضي ذلك » .

فالحالة (أ) تقضي علي بأن اترك على صورة موقتة حامية ضعيفة في الكوت ويحتمل حينئذ أن اعمد إلى انشاء خطوط دفاع داخلية اذا الفيت العدو يستولي عنوة على خط دفاعي الاول بتفوق عدده علينا .

اما في الحالة (ب) فلا بد من انشاء خطوط دفاع جديدة من هذا القبيل حتى لو قاوم « ايلمر » الاعداء بناره الجنبية لكي يفسح للحامية مجال الخروج من ذلك المأزق إذ لا شك في أن العدو سيعمد إلى مهاجمة الجبهة الشمالية عند شعوره بانسحابي .

ولا بد من أنه ستخطر لي امور اخرى عديدة في هذا الشأن وحينئذ ابادر إلى العمل بما يوحى إلي من تلك الامور .

ففي الحالة (أ) استطيع مساعدة الفريق « ايلمر » اثناء هجومه أو قبله بنار المدفعية التي اصبها على جناح الترك اذا تحركوا ضمن المنطقة التي تؤثر فيها النار

اما اثناء تقهقرهم واما ابان محاولتهم ارسال النجدات . فلا بد من اخذ الاهبة لهذه الحركة

وكذلك تقضي الضرورة على ايلمر بالحصول على الارزاق في الكوت على كلتا الحالتين . وعلي أن اخذ الاهبة للعبور بهذا الارزاق إلى الضفة اليمنى تواً عند تمكني من العبور . وإن انبئه على جناح السرعة بالمقدار الذي استطيع أن اسمح به له من هذه الارزاق . وأن انظر في أمر نقل هذه الارزاق قبل الحركة إلى معمل السوس الواقع على الضفة الاخرى على صورة موافقة للحالة (أ) وكذلك للحالة (ب) اذا اقتضت حركات الخط الذي نستطيع الثبات فيه مراعاة هذه الحالة .

إلى أن قال الفريق « ايلمر » : - « واقول في أمر الجسور أنه يستحيل علينا أن ننقل برا معنا في بدء الامر جميع المواد التي نحتاج اليها لوضع جسر قوارب على نهر دجلة . لذلك يجب أن لا نفكر في هذا الأمر لأنه من رابع المستحيلات . فلدينا اسلاك مائية ورمثان تصلح لمد جسور سابحة فوق دجلة أو فوق نهر اقل عرضا منه .

« فهل عندك شيء من هذه الارماث ؟ وهل تستطيع صنع رمثين أو اكثر مركب فوقهما اخشاب للجسور السابحة واعداد المعدات لصنع معابر للنزول إلى البر ؟ ويحتمل انك تستطيع انشاء اثنين من هذه الارماث في معمل السوس الواقع على الضفة اليسرى توقعاً لمد الجسور السابحة .

« ويستطاع صنع كل رمث من مهيلتين .

« اما في الحالة (أ) فسنأخذ معنا جسراً ذا دعائم خفيفاً جدا نمده فوق نهر الحي يصلح لمرور المشاة عليه في زكا منفرد وما نستطيع نقله من اكيال هو يتلي والبسط الكتيمة والمشمعات لعبور النهر بالارماث . وبغير هذه الواسطة لا نتمكن من العبور الا اذا قطعنا النهر في مخاضاته أو استولينا على جسر العدو في محيريجة . ولكن هذه الوسائل امور وهمية ليس لنا ما يضمن الحصول عليها لذلك قل لي هل تستطيع أن تجد المقدار الكافي من المواد فضلا عن الارماث ومعابر النزول إلى البر

لانشاء جسر فوق نهر الحي بالقرب من الكوت بعد الحاد قوتينا ؟ ولا يخفى انك تستطيع الاستفادة من المهيلات غير الصالحة للاستعمال . اما اذا لم يمد جسر قبل الشروع في هذه الحركة فوق نهر الحي ففي الحالة (أ) يعينكم جسران سابحان ـ او اكثر من ذلك اذا تيسرت لكم المواد لانشائها ـ على نقل الجنود والذخائر من احدى الضفتين إلى الاخرى . ولا استغني عن الوقوف على رأيكم في اختيار المحل الذي تنشأ فيه هذه الجسور . فاذا لم تستطع انشاء جسر على نهر الحي تستطيع وضع جسر من الجسرين السابحين فوق هذا النهر .

« وفي الحالة (ب) لا بد من استخدام الجسور السابحة بنقل الحامية والمدافع . اما في الحالة (أ) فاذا لم تتحرك الجنود التركية المرابطة في موضع الحنة من مكانها يحتمل أن العدو ينقل من شمران إلى الضفة اليمنى مقدارا من قطعاته لمقاومتنا . وحينئذ يجدر بك أن تتحرك على الضفة اليمنى بالقسم الاعظم الذي يتيسر لك من القوة فتهجم على معسكر الترك وسفنهم في شمران بدلا من الانضمام الينا اثناء زحفنا على الضفة اليمنى إلى ما وراء نهر الحي ويحتمل انه قد تطرأ طوارىء اخرى تقضي بأن تتحرك على الضفة اليسرى سواء كان ذلك بالتعاون توا معنا ام لم يكن .

« وعليك أن تختار لنفسك خطة تسير عليها في هذه الحالة كذلك » .

وفي اليوم التالي ـ اي في ١٧ شباط ـ اجبت على هذه البرقية بما يلي : ـ

« الفقرة ١ . لاغرو أنني ساشاركم في مساعيكم بقوتي العظمى مهما كانت الضفة التي اوجه حركاتي اليها . وعلى هذه القاعدة تتألف قوتي الكبرى من ثلاثة الوية ضعيفة . وعلي أن اترك لواء آخر ومعظم المدفعية في خطوط الدفاع الموجودة في الكوت بمنزلة قوة صغرى للمدافعة عن البلدة .

« وتستطيع مدفعيتنا الموجودة الآن في خطوط الدفاع معاونتكم في زحفكم على الضفة اليمنى وستزيد نارها الشاملة شدة لتساعدكم على الدنو من نهر الحي إلى جنوب البلدة .

• الفقرة ٢ لقد اعددت خط دفاع آخر وراء الخط الذي اشغله الآن وساحسن خطوط الدفاع الموجودة في اسوار البلدة الخارجية . وقد ارغمني الفيضان على ترك خط الدفاع الاول الممتد في الجبهة الشمالية الغربية .

• الفقرة ٣ . ترون من برقياتي السابقة أني لا اعتقد بأنني قادر على عبور نهر دجلة إلى الضفة اليمنى - اي إلى المحل الواقع إلى شرق نهر الحي . فقد عزز العدو قواته هناك وهو يجد كل الجد في حفر الخنادق . ويستحيل علي القيام بحركة العبور ليلا من غير أن يشعر بها العدو ويحتمل أن هذه الحركة تجر الدمار علينا . فلا استطيع عبور النهر الا عند وصولكم قبالة الكوت .

• الفقرة ٤ . ساعينكم في عبوركم نهر الحي بحركة اقوم بها من قرية معمل السوس على ضفة نهر الحي الغربية . والقيام بهذه الحركة يقتضي تعزيز حامية قرية معمل السوس ليلا فاجعلها لواءين واستخدم لهذه الغاية سفينة عبور[1] فتعاونكم هذه الحامية اثناء زحفكم على الضفة اليمنى نحو المعسكر التركي .

• الفقرة ٥ . إنني مهتم بوصاياكم المتعلقة بالمرضى والجرحى والاعاشة التي توضع على الضفة الشرقية من نهر الحي لأن قرية معمل السوس واقعة على الضفة الغربية اي على الجانب الاقرب إلى العدو وضمن المنطقة التي تؤثر فيها نيران مدافعه . انظروا برقيتي المؤرخة في ٢٢ كانون الاول تلك البرقية التي تبحث في الوقت الذي يستغرقه عبور الجنود والمرضى والجرحى والارزاق وغيرها . اما الارماث فتقصران امد العبور[2] .

---

(١) كانت السمانة وبارجة من بارجاتنا تعبران النهر إلى قرية معمل السوس وتعودان منها تحت جنح الظلام وذلك لتغيير الحامية التي كانت هناك فتنقلان الارزاق والجرحى . وعلى هذه الصورة يستطاع وضع لوائين في قرية معمل السوس .

(٢) إن انشاء جسر فوق دجلة كان من رابع المستحيلات نظرا إلى عدم تيسر اخشاب يرصف بها الجسر . فالاخشاب والعواميد لا تقوى على مقاومة مجرى النهر السريع ولا تثبت في عقيقه الوحل . فكانت سرعة المجرى بين اربع وخمس عقدات بحرية في الساعة وعرض دجلة ٥٠٠ يارد. ولا بد لنا من انشاء الجسر تحت النيران التي تصبها مدفعية العدو إذ أن العدو سيطلق مدافعه علينا بشدة ليلا ونهارا عندما يشعر بشروعنا في بناء الجسر . اما خنادق الحصار التي انشأها العدو واشغلتها =

« الفقرة ٦ - إنني انظر في مسألة الارمات ومعابر النزول إلى البر .

« الفقرة ٧ - لقد نظرت في خطة الهجوم على المعسكر التركي الواقع على الضفة اليسرى في شمران اذا اقتضى الأمر ذلك لذلك صنعت معابر لعبور الخنادق عندما تقوم بهذه الحركة .

« الفقرة ٨ - إن جميع الامور معلقة بمبلغ نجاحكم . فاذا قهرتم العدو وابدتم قواته المعترضة سبيلكم على الضفة اليمنى تقهقر تقهقراً عاماً وتستطيعون الالتفاف حوله على الضفة اليمنى وحينئذٍ يترك خنادقه تملصاً من الالتفاف وبذلك تقضون على قواته .

« ولكنني ارى أن ١٢٠٠٠ مقاتل قوة كبرى قليلة بالنسبة إلى ٢٠٠٠٠ مقاتل . وثقوا أن وضع لواء في الخنادق على الضفة اليسرى كاف حينئذ لمشاغلة قوة الترك في الحنة . فاذا خامركم شك في النتيجة التي تسفر عنها هذه الحركة ارى الافضل أن تتريثوا وتوحدوا قواتكم قبل الزحف لا سيما أن التريث واجب إلى أن تنضم اليكم الفرقة الثالثة عشرة . فاذا فشلت هذه الخطة كانت وخيمة العاقبة . وإنني افكر في حالة جنودكم الهنود بعد الوقعتين غير الفاصلتين اللتين قمتم بهما والخسارة التي تكبدتموها . وفضلا عما تقدم انكم اذا رفعتم الحصار عنا بقوات كبيرة فلا حاجة إلى ترك الكوت .

« إنني لا اعتقد أن الترك يتمكنون من الاستيلاء على الكوت ما دمتم واقفين لهم بالمرصاد في اسفل النهر . واذا تهدد الروس بغداد تهديداً شديدا ونجحوا في طريق ارضروم فلا اعتقد أن الترك يستطيعون ارسال نجدات اخرى من بغداد

= جنوده فكانت على مسافة مائتي ياردمن قرية معمل السوس وامتدت تلك الخنادق إلى ضفاف النهر المتصلة بالقرية في اعلى النهر . وانشأ العدو كذلك خنادق عند مصب نهر الحي تحت القرية . وامتدت كذلك خنادق الترك على ضفة النهر اليمنى من مصب نهرالحي شرقاً في اسفل النهر . قلنا مما تقدم أننا لم نستطع بوجه من الوجوه اخفاء عملنا عن عين الرقيب وكانت صيادتنا وصيادة العدو تتبادلان اطلاق نيران البندقيات النهار طوله . وكلما عبرت سفينة العبور « السمانة » في الليل كان العدو يصليها نارا حامية بلا استثناء .

جنوبا . وعلى كل حال نظركم اصح من نظري في هذه الامور .

« استميح عفوكم لابدائي هذه الملحوظات على غير طلب منكم . إن موقفنا هنا حرج جدا لذلك نرويي قلقاً جدا لئلا تنتهي مساعيكم بالفشل مرة اخرى فتصوروا قلقي الشديد من جراء ذلك واعلموا أنني مضطرب البال على الدوام . ومنذ زحفي من العمارة في أيلول الماضي ألقيت جميع اعباء الحركات على عاتقي وتعلمون كيف كانت حالي لما غادرت سملة لادير حركة الزحف على كوت الامارة .

« انما صحتي جيدة وصدري رحب ومع شدة رغبتنا في فك الحصار عنا ارى الافضل أن تتخذوا التدابير التي تضمن لنا الخلاص من هذا المأزق » .

وعلمت من برقية تاريخها ٧ شباط ابرق بها مقر الحملة إلى قائد الفيلق وارسل صورتها إلي أن « ايلمر » لا يتريث في زحفه إلى حين وصول لواء مدفعية صحراء قادم على الطريق لتعزيز قواته وذلك خوفا من أن تحول رداءة الهواء دون وصول ذلك اللواء في الوقت المطلوب . وايضا أن طلائع الفرقة البريطانية الثالثة عشرة لا تصل البصرة قادمة من مصر الا في اواخر شباط ولا يصل جانب كبير منها إلى « ايلمر » قبل ١٥ آذار ولو تيسر نقلها واعالتها بالسفن النهرية الجديدة التي تصل العراق في اواخر شباط . وقدر المقر كذلك احتمال وصول فرقة تركية جديدة ، فيصبح لدى الترك ست فرق في العراق ، مدينة بغداد حول ٢٢ شباط وأنه ينتظر وصول فرقة تركية سابعة حول ١٢ آذار . وكنت اعلم علماً اكيدا أن النجدات التركية وصلت العراق قبل المواعيد التي عينها قلم استخباراتنا بمدة طويلة .

إنني قد وضعت في ملحق الباب الرابع من هذا الكتاب نبذا اقتبستها من دفتري المختص باوامر الحركات لاظهار الخطط المختلفة التي رسمتها أنا نفسي للتعاون مع القوة المجردة لفك الحصار عني في الدور التالي الذي حاولت فيه تلك القوة فك الحصار عن الكوت . ومن عادتي أنني ادون أوامر حركاتي على صورة مختصرة في دفتري الخاص . ثم يأخذ رئيس اركان فرقتي تلك الاوامر ويضعها على

صورة اوامر حركات منتظمة ثم يردها إلي . وانسج على هذا المنوال عينه سواء كان ذلك اثناء القتال ام اثناء السير . اي أنني اكتب امور التعبية التي ابت الحكم فيها على صورة مختصرة ثم يصدر رئيس اركان فرقتي على الفور تلك المقررات على صورة أوامر حركات . اما اذا لم يكن لي متسع من الوقت لكتابتها فاملي الاوامر المطلوبة على رئيس اركان الجيش .

وفي ٧ شباط انبئت بأن الفرقة البريطانية الثالثة عشرة ستركب المراكب من مصر في ١٠ شباط فتصل البصرة حول ٢ آذار . فابرقت إلى السر « برسي لايك » قائد الحملة العام ليطلب إلى قائد الجيش الهندي العام ليعينني قائدا لهذا الفيلق الجديد - اي الفرقة الثالثة عشرة البريطانية والثلاثة الالوية القادمة من الهند لأن « السر جون نكسن » اوصى عند مغادرته العراق بتعييني قائد فيلق ولأنني اتلو « ايلمر » في القدم في هذه البلاد .

وفي هذه الاثناء اتصل بي من آمر اللواء الثلاثين أن « الافريدية » من الفوج البنجابي ٢٤ يمنعون باقي الجنود الهنود المسلمين من اكل لحم الخيل ولم يكن لهم من اكل هذا اللحم لمنع تفشي الزحار بينهم . فأسفت غاية الاسف لاستخدام الجنود المجندين من مقاطعات الحدود الهندية في حملة العراق فاخذ الهم مني كل مأخذ من جراء هذه الحادثة . وعندي أننا نقدر هؤلاء الجنود فوق ما يستحقونه بكثير . وقد رأيت هؤلاء الجنود في القتال من ذوي المقدرة المتوسطة ولا يجارون المشاة الهنود من جنود « بمبي » الذين نحتقرهم في الثبات ازاء نار المدفعية الحديثة . وقد برهن جنود « بمبي » على بسالتهم بالاعمال المجيدة التي اتوها في هذه الحرب . وطلبت إلى الفريق « ايلمر » أن يعضدني كل العضد في بسط هذه الحقائق لمقر الجيش الهندي العام وبعثت بصورة من برقيتي إلى مقر الحملة . فوافق الفريق « ايلمر » كل الموافقة على رأيي في هؤلاء الجنود وسأل القيادة في الهند هل في الاستطاعة ايفاد الجنود « الباثانية » من قبائل الحد[illegible] افريقيا . وكذلك اوصيت بأن يطلب إلى « مولوي دلهي » ليبعث ببلاغ يحث فيه الجنود المسلمين الذين في فرقتي على أن يأكلوا لحم الخيل اثناء الحصار وإلى زعماء « السيخ » و

« الدغرة » و « الراجيت » كذلك ليرسلوا بلاغات مثل هذه إلى باقي الجنود الهنود .

وقرب في هذه الاثناء موعد محاولة « ايلمر » للمرة الثانية فك الحصار عن الكوت . وكان « ايلمر » يتوقع أن قوة العدو في السن لا تزيد على المقدار المطلوب فعقد العزيمة على التريث إلى أن يصل اللواء الثالث عشر من الوية مدفعية الصحراء واقسام لواء رتل العتاد و ١٤٥٠ جندي ماش من الجنود البريطانية . وقد رأى عدم استطاعة القيام بزحفة اخرى اوسع نطاقاً من سابقتها مع القيام بحركة التفاف حين وصول النجدات الكبيرة وذلك لعدم تيسر نقل‌ا‌ء برية كافية لتسهيل هذه الحركة ما لم تجلب نجداتنا الكبيرة مقادير كبيرة من النقلية معها ولا يخفى أن جلب النقلية يؤخر وصول تلك النجدات . والمع إلى النبأ الذي وصله من المقر العام وفيه أنه يحتمل وصول نجدات كبيرة إلى الترك قبل الشروع في زحفه لفك الحصار عن الكوت . وانهُ اذا كان أمر الفوز في هذه الحركة مبهما يجب الاقلاع عنها .

ورأى الفريق « ايلمر » أن السبيل الوحيد الذي يبقى للقوة المنجدة أن تنهجه بعد فشل الحركة الجديدة هو الاستمرار على مهاجمة الخنادق التركية في الحنة على الضفة اليسرى من جميع الجهات التي يستطاع الهجوم منها والحملة على تلك الخنادق عند وصول الفرقة البريطانية الثالثة عشرة . ومعنى ذلك أنه اذا فشلت النجدة في مسعاها لفك الحصار عن الكوت تتخذ خطة الهجوم الجبهي . وتجري الحركات التي تعقب هذه على كلتا ضفتي النهر وبالقرب منه لكي لا تتأخر الفرقة الثالثة عشرة وجانبا عظيما من الفرقة الهندية من جراء عدم تيسر النقلية البرية . وطلب جسراً ثانيا ينقل برا والمقدار المتيسر من البواخر والسفن و « المهيلات » .

وكنت في هذه الاثناء منهمكا في انشاء سد لوقاية البلدة من الطوفان حين فيضان المياه . فكان العدو يسعى لتثبيط عزائم العمال العرب الذين كانوا يشتغلون في انشاء هذا السد بصب نيران المدفعية والبندقيات الحامية عليهم في بعض الاحايين ليلا بشدة فائقة . كان تأثير هذه النار في العرب شديدا جدا مع

ذلك واصلنا العمل بلا انقطاع .

ورأيت أننا سنلاقي صعوبة في اطعام قوة « ايلمر » حين وصولها . فرحانا كانت تطحن المقدار الكافي من الدقيق لاطعام حامية الكوت فقط ولم نكن واثقين من مواصلة الطحن . اما اذا كان زحف قوة الفريق « ايلمر » على صورة منتظمة تمكنت هذه القوة من جلب طعامها معها .

وهبطت في ١٢ شباط برقية من المقر العام على قائد الفيلق وارسلت إلي صورتها . فغيرت هذه البرقية رأيي في وجوب انتظار وصول الفرقة البريطانية الثالثة عشرة والفرقة المنتظر وصولها قبل زحف « ايلمر » لفك الحصار عن الكوت .

(أ) حذر المقر العام « ايلمر » بقوله أنه لا يحسن العمل اذا اعتقد بأن الفرقة الثالثة عشرة والفرقة الهندية الجديدة تصلانه في موعد يتمكن فيه من القيام بالحركات المعينة لفك الحصار عني .

(ب) وقال المقر أن وصول نقلية نهرية اخرى لا يتم على الصورة التي نتوقعها وتستبعد كل الاستبعاد استطاعة نقل فرقة كاملة من الفرقتين المذكورتين إلى « ايلمر » قبل نهاية شهر آذار . وسترسل وحدات المشاة مع المقدار الاقل من النقلية في اقرب وقت مستطاع .

(ج) سيبرق بعد ذلك نبأ وصول لواء المدفعية الثالث عشر وقطعات من لواء رتل العتاد ولكن نقل هذه القوات بالنقلية النهرية يؤول إلى تأخير ارسال القطعات الهندية .

وبسط المقر العام الاسباب التي تدعم تأخير زحف « ايلمر » والاسباب التي تفنده . فقال المقر بعنوان « الاسباب التي تدعو إلى تأخير الزحف » ما يأتي : ـ

(د) ستعزز قوة ايلمر بثمانية عشر مدفعاً و ٤٥٠ جندياً ماشياً يحرسون المدافع اثناء السير .

(هـ) سينضم إلى افواج « ايلمر » ٣٥٠٠ جندي هندي من الجنود المتفرقة في البصرة فتسد فراغ تلك الافواج وينتظر وصول ٢٠٠٠ جندي هندي من الجنود المتفرقة إلى البصرة حول ١٨ شباط لتنضم إلى قوة « ايلمر » ، و ١٠٠٠ جندي بريطاني من الجنود المتفرقة للانضمام إلى وحدات « ايلمر » وسيصل من انكلترا ٥٠٠ جندي متفرق من جنود مدفعية الخيل ومدفعية الصحراء حول ١٤ شباط . ويستطاع ارسال القسم الاعظم من هذه الجنود في ٢٥ شباط أو قبله انما يحتمل أن الوقت لا يكفي لوضع جميع هذه الجنود في الوحدات فيتيسر حينئذ استخدامهم لحراسة رأس الجسر واعدادهم لاحتلال خط الدفاع الثاني في الوادي أو في الشيخ سعد .

(و) المتوقع أن تصل طلائع وحدات الفرقة الثالثة عشرة البصرة بين ٢٥ الشهر الجاري ونهايته وسنوفد هذا الوحدات إلى العمار لعضد القوة المنجدة .

(ز) إن التأجيل يفسح مجال الوقت للروس لمضايقة العدو في جهة كرمانشاه ولكن ليس لدينا ما يحملنا على توقع حركة تضييق يقوم بها الروس للتأثير في موقف العدو هنا في الوقت الحاضر .

الاسباب التي فند بها المقر العام تأجيل الزحف : ـ

(ح) النجدات التي يحتمل أن تصل العدو . تدلنا الانباء الاخيرة على أنه يحتمل أن تصل فرقة سادسة و ٢٤ مدفعاً الكوت في اواسط شباط وفرقة سابعة ومعها ١٢ مدفعاً في اواخر شباط وذلك فضلا عن الفرق ٣٥ و ٤٥ و ٥١ و ٢٥ و ٢ التي وصلت الجبهة .

(ط) إن التأجيل يفسح المجال للعدو لتقوية خطوط دفاعه لا سيما على الضفة اليمنى وذلك اذا شعر العدو بحشد قوة « ايلمر » العظمى على تلك الضفة قبل القيام بالحركة .

(ي) وكذلك يحتمل أن هذا التأجيل يمكن العدو من تحسين وسائل مواصلاته في عبر دجلة إلى اسفل الكوت وفي عبر نهر الحي . فقال المقر أن قائد

الحملة راغب عن التعرض للخطة التي رسمها « ايلمر » سواء كان ذلك مع التأجيل أو عليه لأنه يعلم أن « ايلمر » في الجبهة وهو خبير حكم في الاسباب السالفة والموجبة .

فساءتني جداً فكرة عدم التعويل على وصول الفرقة البريطانية أو الفرقة الهندية في الاجل المعين للقيام بحركة لفك الحصار عن الكوت . وكان جميع الافراد الذين تتألف منهم قوتي يتسقطون خبراً واحداً وهو نبأ وصول القطعات البريطانية لأن القطعات الهندية لا تجاري القطعات البريطانية في القتال ولو كانت هذه القطعات من الجنود المستجدة التي جندتها الحكومة على صورة مستعجلة وكان الناس يسمونها « جيش كجنر » .

واقول اشارة إلى ما جاء في الفقرة « هـ » أنني كنت عالماً بأننا لا ننال فائدة يعبأ بها من الجنود الهندية المتفرقة اذا كانت كالجنود التي سد بها فراغ صفوفي بعد وقعة كوت الامارة . وكذلك لم استحسن فكرة وضع الجنود في خط الدفاع الثاني في الوادي أو في الشيخ سعد لأنني رأيت في ذلك عبثاً بقاعدة الاقتصاد في القوة لأن وضع احتياط تعبئة على مسافة عشرين ميلا وراء ساعة القتال لا يجدي نفعاً لأننا كنا محتاجين إلى كل جندي يتيسر لنا للفوز في المعركة التي تنشب على الضفة اليمنى . اما اذا كان القصد من ذلك استخدام جانباً من الجنود المتفرقة لمشاغلة الترك في موقع الحنة على الضفة اليسرى فذلك أمر آخر . وكان املي ضعيفاً جداً في ما جاء في الفقرة « ز » . فالروس كانوا غير مستقرين في بلاد فارس كبعير فلت زمامه من الخرافة على ما يقوله الافغانيون . فقد احتلت قوات روسية المدن الفارسية لدواع سياسية . ولم نر ما يدل على زحف القوة الروسية الكبرى نحو بغداد .

واقول تعليقاً على ما جاء في الفقرة « ط » أن الترك كانوا عالمين بمقاصد « ايلمر » لأنهم كانوا يعززون موقع السن ويصلون نهر الحي بمعقل الدجيلة بسلسلة خنادق ومعاقل . لذلك ان الترك ايضاً كانوا يعملون بما جاء في هذه الفقرة .

إن الفيضان الذي قرب زمنه سيؤثر تأثيرا شديداً في الموقف الحربي . فقد بادر المقر العام إلى تشغيل جميع الجنود الهندية المتفرقة ممن يستغنى عنهم في انشاء طريق مرتفعة عن مستوى المياه الفائضة من القرنة إلى العمارة وكذلك حض الضباط السياسيون جميع العمال العرب على الانخراط في سلك العمال الذين كانوا يبنون هذه الطريق . وكذلك طلب المقر من « ايلمر » ليستغني له عن بعض النسافة لسد الثغرات وكانوا يستطلعون رأيه في بقاء الطريق مفتوحة من العمارة إلى الوادي طول شهر آذار .

ووافق قائد الحملة على رأي « ايلمر » من انهُ ما لم تتح له فرصة لائقة للزحف على الضفة اليمنى « فلا طريقة اخرى نسير عليها غير انتظار النجدات الكبرى التي تصل في المدة التي يستطيع طاونزند فيها الثبات في الكوت » فاين النجدة التي وعدتني بها الحكومة في مدة شهرين ؟ فنجداتنا تصل على الدوام متأخرة عن اوانها اما النجدات التركية فتصل في حينها . وهذا هو الأمر الذي اوجست منهُ خيفة حين وصول الكوت وطلبت فك الحصار عني في شهر والا فلا استطيع الخلاص من ذلك المأزق . وقد برهن سير الامور على صدق ظنوني . واخذ القلق حينئذ مني كل مأخذ حتى أنه لم يعلم احد من اركاني ورجالي بذلك اقل علم فابرقت إلى « ايلمر » البرقية التالية وبعثت بصورة منها إلى المقر العام : -

« اذا كنتم عازمين على فك الحصار عن الكوت فلا بد من انجاز ذلك على جناح السرعة المستطاعة وياعظم قوة متيسرة لكم » .

وقلت « لايلمر » في برقية اخرى أنني اعتقد بأن طريق الصحراء الممتدة من الشيخ سعد إلى الكوت مفتوحة على الدوام حتى في ابان الفيضان . ورأيت أن هذا الطريق افضل الطرق التي يستطاع السير عليها لانهُ يتمكن من قطعها بمرحلة واحدة ويحنئذ يرغم الترك على ترك خنادقهم لمقاومته وبذلك يسهل عليه قهرهم . وفضلا عن ذلك انهُ يستطيع قطع هذه الطريق بالنقلية البرية التي يقطع بها الطريق التي عينها هو . وقلت أن الترك يحتفرون الخنادق الآن على ضفة نهر الحي الغربية من مصبه في دجلة على مسافة ثلاثة أو اربعة يردات من ضفة النهر . اما في الوقت

الحاضر فهذه الخنادق تمتد مسافة نصف ميل فقط على ضفة نهر الحي . وقلت بأنه يظهر لي أن الترك يعلمون بجميع الخطط التي تنوي السير عليها مع أنهم غير عالمين برموز جفرنا (شفرتنا) . انما كنا نعلم بأن جواسيس الترك كانوا يدخلون الكوت ويخرجون منها فيختلطون بالسكان العرب على ما يشاءون ولم يكلفهم ذلك سوى قطع النهر في الليل سباحة في « مساك » .

وفي ١٣ شباط ابرقت إلى المقر العام مفصحاً عن الهم الذي ساورني لما بلغني نبأ قرب وصول فرقتين تركيتين جديدتين و ٣٦ مدفعاً . فعدلت عن رأيي بوجوب تريث « ايلمر » إلى أن تصل النجدات من انكلترا والهند لأنني وجدت انهُ اذا تعززت القوات التركية بفرقتين اخريين استحال عليّ التملص من المأزق الذي بت فيه . فرأيت أن يزحف « ايلمر » على جناح السرعة المستطاعة بقوة كبرى قوية لا تقل عن ١٤٠٠٠ مقاتل ومعه لواء المدفعية الذي مر ذكره . ووجدت انهُ اذا زحف على الطريق الممتدة من الشيخ سعد إلى الكوت على مسافة ٢٥ ميلا تمكن من قهر الترك لأن لا خنادق لهم على الطريق فلا يستطيعون القيام بعمل خارج الخنادق . ويعز علي جداً الجلاء عن الكوت ولكن الجلاء افضل من وقوع قوتي قيد الاسر لما لذلك من التأثير السيء لا يقل عن تأثير سقوط « كورنوالس » في « يورك طون » . وقد استقينا خبر وصول الفرقتين التركيتين الجديدتين من الملحق العسكري البريطاني الذي كان يصحب القوة الروسية . ولم يحصل ذلك الملحق العسكري على غير الانباء التي كان يطلعه عليها القائد الروسي ولم يستبعد أن الانباء التي كان يحصل عليها ذلك القائد كانت كاذبة شأن الاخبار التي اتصلت بمقرنا العام قبل زحفي على طيسفون والتي كانت تتعلق بقوة العدو حينئذ .

- وهبطت علي في ١٣ شباط برقية من رئيس اركان الجيش في « دلهي » تتعلق بالجنود الهنود واكلهم لحوم الخيل . وإلى القارىء تلك البرقية : -

« الرجاء أن تبلغوا طاونزند بأن يذيع على الجنود الهندية المسلمة أن امام دلهي « جمعه مسجد » افتى بأن ضرورات الحرب تحلل اكل لحوم الخيل للمسلمين » . وإن رئيس علماء دين الهندو في دلهي افتى بتحليل اكل لحم الخيل

للجنود العدو . وسيصدر كل من هذين الرئيسين الروحانيين فتوى مكتوبة بهذا المعنى وسنستصدر لكم فتوى في هذا الشأن من الرئيس الروحاني الهندي « غرانش » على اسرع ما يستطاع » .

ونشطت في هذه الاثناء طائرات العدو إلى الحركة على ما يظهر من النبذ التالي التي اقتبستها من مفكرتي : -

«طارت طائرة المانية ذات سطح واحد فوق البلدة ورمت خمس قنابل في الصباح وعشر قنابل اخرى في المساء اثناء طيرانها فسقطت عدة قنابل من هذه بالقرب من مقري .

« طلبت من قائد الفيلق أن يوفد طائراته لرمي القنابل على المعسكر التركي الكبير وملاجىء طائراته انتقاما من العدو .

« شرع العدو مرة اخرى في صب نيران مدافعه على البلدة وكان ذلك في الساعة ٩:٣٠ بعد الظهر . وكذلك اصلانا نار بندقيات حامية امام قرية مكبس الصوف وخط دفاعنا الشمالي الشرقي . فخسرنا في هذا اليوم عشرة جنود .

« ١٤ شباط . طارت الطائرة الالمانية ذات السطح الواحد مرة اخرى فوق الكوت في الساعة . ٥:٣٠ بعد الظهر والقت علينا خمس قنابل بلا جدوى .

« وفي الساعة ٩:٣٠ بعد الظهر اطلق العدو على البلدة من ثلاثين إلى اربعين قنبلة مدفع فخسرنا اربعة عشر جنديا .

« وفي ١٥ شباط الساعة ٥:٤٥ بعد الظهر شرع العدو في اطلاق مدافعه على البلدة واشتركت في هذا القصف بطرية المدافع السريعة الانطلاق الجديدة التي وصلت الترك في الأونة الاخيرة . فطفقت مدفعيتنا على الفور تقابل العدو بالمثل انما مما لا شك فيه أن العدو كان متفوقا علينا بمدافعه . فكانت مدافعنا التي قطر فوهتها ٥ عقدات قديمة العهد وبطيئة جداً في انطلاقها . اما سرعة انطلاق مدافع العدو فكانت ثلاثة اضعاف سرعة انطلاق مدافعنا . فكانت مدافعنا تطلق اطلاقة واحدة في كل عشر دقائق فلم ار فائدة من استخدام مدافعنا الثقيلة نظراً

الى بطنها وقد اختبرت هذه المدافع اختباراً كافياً مدة اربع وقعات خضنا غمارها في هذه البلاد لذلك عولت على أن لا آخذ هذه المدافع معي اذا توليت قيادة قوة اخرى في المستقبل لأنني لا ارى نفعاً منها ولأنها لا تصلح الا لمستودع المهملات ».

(اقتبست هذه النبذات من مفكرتي).

وارغمت رشاشاتنا الموضوعة على سطوح الابنية الطائرة الالمانية على التحليق في الجو فوق الكوت فراراً من نيراننا.

وفي ١٦ شباط تلقيت البرقية التالية التي بعث بها إلي الملك العاهل بواسطة الفريق « السر برسي لايك » فاذعتها على جميع الجنود في أمر اصدرته حينئذ على صورة خاصة. وإلى القارىء تلك البرقية :-

« ما زلت انا وجميع اخوانكم ابناء الوطن نتتبع اخباركم معجبين بالاعمال المجيدة التي تقوم بها قطعاتكم في مقاتلة العدو في تلك الاحوال الحرجة. فترونا غير مذخرين وسعاً لشد ازركم في دفاعكم المجيد ».

فابرقت إلى وزير الحربية الجواب التالي :-

« يعجز قلمي عن الافصاح عما كان لرسالة جلالته من الوقع الشديد في نفوس جميع الجنود الذين اقودهم على اختلاف مراتبهم وعن الهمة العالية التي بعثتها فينا هذه الرسالة.

« فبالنيابة عن القوة التي اقودها - اي المفرزة البحرية وفرقة بونة السادسة وجميع جنود الوحدات البريطانية والهندية التي تتألف منها هذه الفرقة والقطعات المنضمة اليها مع وحدات الرديف - ارجو منكم أن تتفضلوا بالعرض على جلالته أن شعورنا باكتساب ثناء ملكنا المحبوب ووطنيينا الاعزاء يشعل فينا نار الحماسة في المدافعة وينقذنا من هذا المأزق الحرج ».

وفي ١٦ شباط اقترحت على « السر برسي لايك » بأن يطالع شقة من مراسلات نابليون المتعلقة بوضع المخافر على خط المواصلات للاستفادة منها. وقد

ابديت هذا الاقتراح عطفا على ملحوظتي بشأن ابدال القطعات التي لا تصلح للقتال بغيرها من قطعات القوة المنجدة . وذلك بأن يعين لحراسة هذا الخط الجنود الذين يكونون في دور النقاهة بدلا من الجنود المدربين وهذا التبديل واف بالغرض ففي ابان زحفي على كوت الامارة في شهر أيلول سنة ١٩١٥ عينت الجنود النقه لمخافر خط المواصلات . فكنت قد وضعت في الصناعيات جنوداً نقها بقيادة ضابط ناقه فصدوا الفي فارس عربي ومدفعيين تركيين اثناء ما هددت هذه القوة التركية اولئك الجنود النقه بينما كنت اقاتل الترك في المعركة التي نشبت بيننا .

وفي ١٧ شباط تلقيت البرقية اللاسلكية التالية من الفريق باراتوف القائد الروسي في قزوين وقد هبطت إلي هذه البرقية بطريق البصرة :-

« يسرني أن اشاطر الفيلق البريطاني الباسل في العراق جذل استيلاء جيشنا على ارضروم » .

فاجبت من ساعتي على هذه البرقية بما يأتي :-

« الفريق باراتوف بقزوين :-

« اشكر لكم برقيتكم . لقد سرتنا جميعا بشارة استيلائكم على ارضروم التي لها شأن عظيم في العاهلية التركية من حيث السياسة وسوق الجيش فبالاصالة عن نفسي وبالنيابة عن رفقائي اهنىء الروس الشجعان بهذا الفوز الباهر » .

وفي نصف شهر شباط الثاني تعززت قوة العدو فاصبحت نحواً من ثلاثين الف مقاتل فلم يزل الترك معتصمين في موضع الحنة عنوة على الضفة اليسرى وكان في الخنادق هناك نحو من عشرة آلاف مقاتل . وكان وراء الحنة (اي في اعالي النهر في جهة الكوت) خطوط دفاع اخرى في الفلاحية والصناعيات والنخيلات وفي القسم الشمالي من موقع السن .

وقد أمر فوندر غولتس واركان جيشه بتحصين جميع هذه المواضع منذ الوقت الذي صد فيه العدو هجوم « ايلمر » في معركة الحنة التي جرت في ٢١ كانون الثاني . ويستثنى من تلك المواضع موقع السن فانه كان محصنا منذ ايام المعركة التي

خضت غمارها في أيلول سنة ١٩١٥ . وكان نهر دجلة وبطيحة السويجة يحميان جناحي هذه المواضع جميعها . وكان موقع السن الواقع على الضفة اليمنى - وهو الموقع الذي عزم « ايلمر » على الزحف منه لفك الحصار عن الكوت - خط الدفاع التركي الكبير مع موقع امامي في بيت عيسى وهو كوخ خرب مبني من اللبن واقع على الضفة اليمنى . وكانت ميمنة موقع السن مستندة إلى معقل الدجيلة على مسافة خمسة أميال إلى جنوب دجلة .

وكان « ايلمر » قد عقد العزيمة على مهاجمة ميمنة الترك في معقل الدجيلة قبل حلول فصل الفيضان الذي يبدأ في اواسط آذار . فكنا نوجس خيفة من أن ترتفع مياه دجلة فيعمد الترك إلى كسر السدود فتغمر المياه الارض وبذلك يستحيل علينا القيام بحركات التعرض . والارض في تلك المنطقة مستوية جداً حتى أنه نكاد لا نعثر على بقعة ترتفع عن المستوى الذي تبلغه مياه الطوفان .

فقر قرار الفريق « ايلمر » على أن لا ينتظر وصول نجدات جديدة بل أن يزحف بالقوة الكبرى المتيسرة له وهي خمسة الوية وكان لديه من النقلية البرية ما يكفي لنقل هذه القوة مع ما تحتاج اليه من الطعام والماء لمدة يومين . وكان قد عقد النية على استخدام لوائين آخرين لا نقلية لهما بمنزلة قوة صغرى للقيام بمظاهرة حربية على الضفة اليمنى مهدداً بذلك موقع السن فيقلل خطر هجوم معاكس يحتمل أن يقوم به العدو . وقال أنه يجب أن تنقضي عدة ايام مشمسة قبل شروعه في الزحف لكي تيبس الارض بعد سقوط الامطار فتتمكن ارتال النقلية من السير في تلك الاراضي ليلا .

فاذا رأى احتمال وصول لوائين آخرين في مدة موافقة لتعزيز قواته يتريث إلى أن يصل ذانك اللواءان ولكن المسألة كانت صعبة جداً . لذلك قال أن معظم الفرقتين الموعود بهما لا يصل من مصر والهند قبل فيضان دجلة مع أنه يحتمل وصول وحدات متفرقة منهما . فلا بد له والحالة هذه من عدم التعويل على تينك الفرقتين في الحركات التي يجريها لفك الحصار عن الكوت .

فكانت المصيبة في ذلك فادحة جداً لأن وصول قطعات متفرقة بدلا من زحف

فيلق متحد عبث بقاعدة الاقتصاد في القوة .

والسبب الاعظم لحراجة موقفنا العسكري هذا هو صد العدو لاول مرة هجوم النجدة على موقع الحنة في وقعة ٢١ كانون الاول لما كان تحصين قوات العدو خفيفاً وكانت قوة « ايلمر » متفوقة على قوات العدو بعددها مع ما كان لها من المجال الفسيح للمناورة فيه . وقد دونت التعليق التالي في مفكرتي وتاريخه ١٨ شباط : ـ

« يخيل إلي أن اذبح خيلا اخرى فاوفر الشعير لأن امد فك الحصار عنا بعيد . وربما اعاننا الطوفان أو سقوط ارضروم على خروجنا من هذا المأزق .

« ١٩ شباط . انقضت الليلة الماضية بهدوء تام » . وذلك ان اطلاق نيران البندقيات كان على الاغلب متواصلا في الليل لا سيما بين حاميتنا الموضوعة في قرية السوس الواقعة على الضفة اليمنى وبين خنادق العدو التي كانت في بعض الاماكن على مسافة خمسين أو ستين ياردا من القرية المحصنة . وكانت الحامية متيقظة كل التيقظ في حراستها لأننا كنا نتوقع أن يحاول الترك الهجوم على القرية في ليلة من الليالي ونحن غافلون . وقد حاولوا ذلك عدة مرار ولكنهم لم يستطيعوا من حمل جنودهم على الزحف على مسافة مائة ياردة في ارض مكشوفة كانت تفصل بيننا وبينهم مع أن خنادقهم كانت ملأى بالجنود ونيرانهم حامية جدا .

وفي هذا اليوم اصيب أمير اللواء هملتون آمر لواء المشاة الثامن عشر بجرح طفيف بقذيفة رماه بها جندي من الجنود الصيادة ولحسن الطالع استأنف عمله بعد مدة وجيزة .

وحلقت الطائرة الالمانية ذات السطح الواحد مرتين فوق بلدة الكوت بعد الظهر فالقت كل مرة القنابل علينا فقتلت شخصين أو ثلاثة اشخاص من سكان الكوت من العراقيين .

وفي ٢٠ شباط حيال الساعة ٧ صباحاً سمعنا قصف مدافع شديد في الجهة الشرقية وكنا نشاهد بوضوح انفجار القنابل في الهواء .

فامرت حودي بالتهيؤ طوال النهار للقيام بالتعرض اذا سنحت لنا الفرصة اما الترك فلم يبدوا حراكا . غير أننا شاهدنا قوة صغيرة مؤلفة من نحو خمسمائة جندي من المشاة تسير من المعسكر الواقع في جنوب غرب الرملية الواقعة على الضفة اليسرى نحو بطيحة « نعل الفرس » (بطيحة مدحي ؟) وفي الساعة ٨ بعد الظهر اصلى الاعداء قرية مكبس الصوف نارا حامية جدا دامت ثلاثة ارباع الساعة . وقد رموا بهذه النار من خنادقهم إلى غربيها ولكنهم لم يحاولوا الهجوم .

وفي ٢٥ شباط تلقيت من الفريق باراتوف بعث بها من همدان بطريق البصرة يقول فيها أنه يزحف بقوته على كرمنشاه لتقصير المسافة بيننا . وفي ٩ شباط احتلت جنوده شعاب بيد سرخ التي حصنها الترك تحصينا منيعا وكان مع الترك هناك ضباط المانيون . واحتل باراتوف « السنة » كذلك وكانت خيالته تطارد الاعداء المتقهقرين إلى كرمنشاه . وقد غنم منهم خمسة مدافع ومواردا حربية من جميع الانواع منها اسلاك برقية وقنابل يدوية . والظاهر أنه كان يحسبني قائد الحملة البريطانية في العراق فابرقت رسالته إلى « السر برسي لايك » طالبا اليه أن يصلح خطأ باراتوف في هذا الشأن .

وفي ٢٠ شباط كنت قد طلبت إلى « السر برسي » أن يطلب إلى الروس ليحركوا مفرزة من جهات بحيرة وان (لأننا كنا قد علمنا بأنهم قد احتلوا تلك الاماكن) لاحتلال الجزيرة الواقعة على خط المواصلات التركية الكبير إلى شمال الموصل . ولاحتلال جزيرة ابن عمر شأن عظيم لأنه يؤول إلى اضطراب خط مواصلات الترك الممتد إلى دجلة وربما ارغمهم على نقل خط مواصلاتهم إلى وادي الفرات الذي يصعب المرور فيه . وذلك بقطع النظر عما يكون لهذا الاحتلال من الامور الاخرى التي تؤثر في موقف الترك في العراق .

ويحتمل أن تنتج نتائج مهمة جدا من هذه المعركة الالتفافية السوقية التي تهدد خط مواصلاتهم الكبير ويساعدنا الروس بهذه الحركة مساعدة عظيمة على بلوغ الهدف الذي نسعى اليه .

وفي ٢٠ شباط احصى الفريق « ايلمر » القوات التركية المرابطة حول الكوت وفي اسفل النهر منها فكانت على الوجه التالي :

في الحنه من ٧٠٠٠ الى ١٠٠٠٠ ماش
في السن ٨٠٠٠ ماش
في الكوت ٨٠٠٠ ماش

ورأى أنه بوصول فرقة جديدة تبلغ القوة التركية ٣٢٠٠٠ الف جندي وكان واثقا من أن الترك توقعوا زحفه من الضفة اليمنى لأنهم حصنوا الخط الممتد من معقل السن الابتر (الواقع على مسافة ثلاثة اميال جنوبا على دجلة) تحصينا منيعا في قدمات مرتبة إلى الوراء على مسافة ميلين إلى معقل منيع كانوا يحفرونه على اكمة هناك . وانشأ الترك كذلك رأس جسر على الجانب الشمالي من نهر الحي حيث كان جسرهم يقطع ذلك النهر .

وتصورته أنه اذا قهرهم « ايلمر » على احد الجانبين انهزموا من الجانب الآخر كذلك وضربت له مثلا لتأييد رأيي في هذه المعركة التي خضت غمارها في أيلول سنة ١٩١٥ .

وفكر « ايلمر » في أن يعيد قبل زحفه من الضفة اليمنى الكرة على موقع الترك في الحنة الواقعة على الضفة اليسرى . وقد شعرت بأنه كان ينوي ذلك . فاذا تم الفوز لايلمر في هجومه على هذا الموقع باكرا عند الفجر انهزم الترك شر هزيمة نحو الكوت فيجد ايلمر في مطاردتهم واخرج انا للهجوم على الاعداء المنهزمين اثناء مرورهم بالكوت . فلو فاز « ايلمر » في الهجوم الذي قام به في ٢١ كانون الثاني لاسفرت النتيجة عن انتصار باهر ولخارت عزيمة الترك في تلك الوقعة ابان ما كانت قوتي شديدة الميل إلى القتال .

ولما رجعت في ٢١ شباط من تفقد خط الدفاع الثاني التقيت برسول يحمل إلي برقية من « ايلمر » فيها انهُ قد اعد معداته للقيام في فجر ٢٢ شباط بحركة يباغت بها موقع الحنة وغايته من ذلك أن يلحق اشد ضرر بمعسكر العدو الكبير وراء ذلك الموقع باطلاق النار الجنبية والخلفية عليه بجميع المدافع المتيسرة له .

وقال ان القوة باسرها ستشترك في هذه الحركة . وكان يتوقع بعض الفوز في هذه المعركة . إلى أن قال : « يحتمل أنني اتمكن من اغراء العدو بالجلاء عن موقعه فاذا تم ذلك طاردته » . وطلب مني أن استعد للهجوم على الترك اذا تقهقروا أو للهجوم على النجدات التي تسير شرقا من شمران .

وفي ٢١ شباط تلقيت برقية من الناموس (السكرتير) العسكري وفيها أن وزارة الحربية وافقت على تعيين « السر ولفرد بيك » مرافقاً لي . فسرني هذا النبأ سرورا جما ولكن ويا للاسف لم يتم سروري . إذ أن بيك انضم إلى النجدة قبيل سقوط الكوت فلم يتمكن من اللحاق بي . فعند ختام تقهقرنا من طيسفون اذنت لمرافقي الرئيس باستو من ضباط فوج « يوركشير » الذي رافقني طول مدة الحرب إلى حين الشروع في حصار الكوت بالذهاب إلى الهند استشفاء من علة الزحار التي المت به . وعلى هذه الصورة خدم الحظ باستو فنجا من الحصار ومن الكارثة التي حلت بنا بعد ذلك وكان ضابطا مشهورا بالمقدرة والبسالة وخدمني خدمة مشكورة .

وقد وصفت في مفكرتي العمل الذي حاول « ايلمر » القيام به وإلى القارىء ذلك : ـ

« ٢٢ شباط . سمعنا قصف مدافع شديد حيال الساعة ٧ صباحاً من الجهة الشرقية . وكنا نشاهد بوضوح انفجار القنابل فوق الحنة وتصاعد الدخان مع أن المسافة لم تقل عن عشرين ميلا . والظاهر أنه وقع اضطراب شديد في معسكر العدو الكبير وراء موقع الحنة . ولكن العدو لم يتقهقر لانهُ من عادة الترك أنهم يستميتون في الدفاع عن خنادقهم ومتاريسهم اذ يقف الضباط الترك وراء الجنود ماسكين المسدسات بايديهم فيطلقون النار على كل جندي يحاول النهوض والذهاب من مكانه . وابرق إلي « ايلمر » يقول أنه شاهد في الحنة حركة من الشرق إلى الغرب . ولكن لم ينتج أمر آخر عن هذه الحركة .

وفي مفكرتي فقرات عدة تشير إلى فرار الجنود وقد استفحل أمر الفرار بين الجنود الهنود اثناء هذا الدور من ادوار الحصار . واطلق جندي مسلم من الفوج

١١٩ الرصاص على ملازم هندي كان مساعداً للفوج فارداه قتيلا فحوكم الجندي في محكمة عسكرية وحكم عليه بالاعدام . فابرمت هذا الحكم وامرت بتنفيذه في الحصن عند غروب الشمس وفر جندي هندي مسلم آخر من جنود الفوج النجابي ٦٦ في الليلة الماضية في (٢١ شباط) وفر كذلك جندي آخر من الفوج ١٢٠ المرابط في قرية السوس على الضفة اليمنى وكذلك فر جنديان بنجابيان مسلمان من الفوج البنجابي ٧٦ وقد حدث كل ذلك في ليلة ٢١ شباط » .

وفي ليلة ٢٢ شباط لما ارخى الليل سدوله هجم العدو هجوماً عنيفاً على قرية السوس فاصلانا ناراً حامية ذكرتني بليلة هجوم الترك في طيسفون . ودام اطلاق النار الهائلة ثلاثة ارباع الساعة ولكن لم يخرج الترك إلى الميدان المكشوف للهجوم على القرية والاستيلاء عليها بالحراب وبعد ذلك انقطع اطلاق النار .

وقصفت مدافع « ايلمر » ثلاث قصفات اخرى قصيرة الامد على الموقع التركي في الحنة ولكنني علمت بأن كل التأثير الذي كان لتلك القصفات في الترك هو أنهم طفقوا يتعمقون في حفر خنادقهم مضاعفين نشاطهم في ذلك العمل . وانبأ تاجر يهودي متجول قائد الفيلق في ذلك اليوم عينه بأنه قد حدثت ثورة في القسطنطينية من جراء اغتيال الامير يوسف عز الدين . وإن الاوامر كانت قد صدرت إلى ١٠٠٠٠٠ جندي تركي بالسفر إلى بغداد وأن ١٧٠٠٠ جندي الماني قيل أنهم وصلوا الموصل قد استدعوا إلى الاستانة .

وفي ٢٦ شباط ابرقت إلى المقر العام بشأن رسائلي المتعلقة بوقعة طيسفون والتقهقر بعد ذلك إلى الكوت وطلبت إلى « السر برسي لايك » أن يسمح ببقاء الوصايا العامة التي اصدرتها إلى آمري الالوية الذين كانوا تحت امرتي في وقعة طيسفون في التقرير وليس في الذيول لأن هذه الوصايا تبسط بوضوح اسباب كل عمل من اعمالي فلا يبقى بعد ذلك حاجة إلى السؤال عن شيء . وتبرهن هذه الوصايا على أنني توخيت في حركاتي القواعد الحربية المرعية وأن السبب الوحيد لفشل مساعي للقضاء على القوات التركية واحتلال بغداد هو أنه لم يكن لدي سوى فرقة واحدة لانجاز تلك الحركة . وليس الذنب ذنبي في ذلك لأنني لما كنت

في العزيزية رفعت إلى المقر بياناً رسمياً بسطت فيه الخطر الذي ينطوي عليه الاقدام على انجاز هذا العمل بفرقة واحدة ووجه الخطأ في ذلك . وبعد أن ابديت هذه الملحوظة اتممت الواجب بتنفيذ الاوامر ففزت في حركاتي فوزاً طفيفاً وكانت تلك الحركات من اصعب الحركات الحربية التي اتصل علمي بها من مطالعة التاريخ وذلك نظراً إلى قلة عدد الجنود الذين كنت اقودهم .

ودام اطلاق المدافع على المعسكر التركي وراء موقع الحنة وقد عمد « ايلمر » إلى حيل شتى لاغراء الترك بوضع الجنود في خنادقهم أو لاظهار انفسهم في ذلك الموقع لكي يأخذهم بنار مدفعيته . فكان مثله في ذلك مثل من يحاول وضع ملح على ذنب طير على ما تقوله العامة . ولكنني لم افقه ما الفائدة من ذلك العمل . لأن المدافع وحدها لا تكفي لاخراج العدو من موقع محصن .

وفي ٢٦ شباط تلقيت برقية من « ايلمر » بسط فيها وصاياه النهائية المتعلقة بالهجوم على موقع السن . فقد عين ستة الوية للزحف ليلا من موقعه الامامي في ام العروق الواقعة على الضفة اليمنى فتتوجه هذه القوة جنوباً إلى أن تصبح إلى شرق جناح خط العدو الممتد من السن الافتح إلى معقل الدجيلة . وخص لواء آخر بالقيام بمظاهرة من موقعه الامامي في العروق نحو الجهة الجنوبية العربية مهدداً بذلك جبهة العدو في موقع السن وعين لواءين من هذه الالوية الستة للهجوم عند الفجر على جناح العدو الممتد من السن الافتح إلى معقل الدجيلة وأمر لواءين آخرين بالسير حول جناح العدو والحمل على قوة العدو الاحتياطية التي في المؤخرة . ويقفو اثر هذين اللواءين لواءان آخران لمساعدتها بمنزلة احتياط أو للهجوم على قوات الجيش التركي الاحتياطية التي تنتقل من شمران على جسر الحي أو بطريق اخرى .

إلى أن قال « أن المنهج الذي تسير عليه لمعاونتنا يتوقف على الاحوال المحلية وانت خير حكم في ذلك . ولكنني ابسط لك الامور التالية لعطف نظرك عليها : ـ

« اطلاق نيران مدافعك الثقيلة على قوات الاعداء التي تحاول العبور على جسر نهر الحي .

« اطلاق المدافع الخفيفة على قطعات الاعداء التي ترمي فيها هدفاً صالحاً ضمن المنطقة التي تؤثر فيها نيران مدافعك وعلى هذه الصورة تنحصر مناورة الترك على الضفة اليمنى ضمن منطقة محدودة .

« عبور لواء بالمهيلات اذا سنحت لك الاحوال بذلك ومعاونتنا تواً في القتال .

« الخروج إلى شمال الكوت اذا سحب العدو من جنوده مقداراً يمكنك من ذلك الخروج .

« سأشرع في الهجوم بعد ثمانية أو تسعة ايام » .

فاجبت على برقية قائد الفيلق ببرقية بعثت بها اليه في ٢٩ شباط وبصورتها إلى المقر العام . فقلت له أنني سأسعى لمعاونته بلواءين وببطريتي صحراء في كل بطرية منهما اربعة مدافع[١] . وكانت هذه القوة اعظم قوة اجرأ على اخراجها من الكوت نظراً إلى الخطر الذي يحتمل وقوعه من عزم القوة التركية المحاصرة على مهاجمة الكوت هجوماً عنيفاً فرأيت أن ابقي اللواءين الباقيين في الكوت لأنهما اصغر قوة استطيع ابقاءها هناك للدفاع عن البلدة . وعزمت على الشروع في العبور عندما اشاهد قدوم قوةالفريق « ايلمر » المكلفة بالهجوم الالتفافي إلى جنوب معقل الدجيلة لأنه اذا لم تنجح القوة القائمة بالهجوم الالتفافي في مسعاها وصد الفريق « ايلمر » اباد العدو القوة التي اخرج بها سواء كان ذلك القسم الذي عبر منها أو الذي لا يزال عابراً لأن لا وسيلة لي للتقهقر . وكان لدى العدو مدافع منصوبة وراء الخنادق على الضفة اليمنى قبالة المكان الوحيد الذي استطيع العبور منه حيث يستطاع استخدام الجسور السابحة وكان في الخنادق مشاة من جنود العدو .

---

(١) اللواء الثلاثون ولواء آخر تألف على صورة احتياطية من الافواج البريطانية الخفيفة « نورفوك » و « دورست » و « اوكسفور » . فباتت الوية « ديلامين » و « هوتن » و « هملتون » بلا وحدات بريطانية للدفاع عن الكوت . انما تبقى كل المدفعية معهم ما عدا ثمانية مدافع .

ونظراً إلى الوسائل المتيسرة لنا يستغرق عبور دجلة ثماني ساعات .

وكان الفريق « ايلمر » عالماً بجميع الصعوبات والعوائق التي تؤخر عبوري تلك الصعوبات والعوائق التي تجعل معاونتي له طفيفة لا يعبأ بها .

وقدر الفريق « ايلمر » قوة العدو المرابطة امامه في موقع السن بثمانية آلاف جندي فقط .

وقلت له أنه عندما يستولي على موقع السن ينفك الحصار عن الكوت بطبيعة الحال لأن العدو لا يتمكن من الثبات تحت وابل النيران المتقاطعة التي تصبها مدافعه ومدافعي ولا يبقى ثمة مانع يمنعني من الزحف على السهل من الكوت من الضفة اليمنى عندما اعبر النهر فانضم اليه حينها اشاء .

واخذ مني القلق كل مأخذ من جراء الوسائل التي تيسرت لي لعبور النهر وكل ما كان لدي منها جسران سابحان ورمثان أو ثلاثة ارمات والسمانة وبارجة واحدة الأمر الذي جعل عبوري على جناح السرعة من اصعب المشاكل التي يتصورها المرء . ولم استطع الشروع في اعداد المعدات لوضع الجسرين السابحين قبل شروع « ايلمر » في مقاتلة العدو لأنني لو فعلت ذلك لوقف العدو على مقاصدي . فقلت « اذا عبرت ليلا فالارض على الضفة اليمنى لا تخفيني عن عين العدو (حتى لو قطعت النهر من غير أن يشعر بي احد) وحينئذ يتغلب علي العدو بعدده الساحق على تلك الضفة قبل وصولك . ويقول المهندسون الذين معي أن تركيب جسر سابح يستغرق ثلاث ساعات وتركيب جسر سابح صغير من المهيلات يستغرق ساعتين أخريين . ويقول آمر قسم المهندسين في الفرقة انهُ لا نستطيع أن نعبر بالجسرين السابحين اكثر من ١٥٠ جندياً في الساعة » .

وكل ما استطعت قوله في هذا الصدد هو أنني سأبذل كل جهدي للعبور على جناح السرعة المستطاعة وذلك عندما اشاهد قوة « ايلمر » المكلفة بالهجوم الالتفافي . ووعيت كل ما قاله بشأن مدافعي وبلغته بأنني سأحشد واحداً وعشرين مدفعاً لصب نيرانها على المنطقة الواقعة إلى جنوب الكوت . ولم اكن واثقاً من

وصول نيران مدافعنا الكبيرة حسر مهيلات العدو الممدود على نهر الحي . وساقيس المسافة باله تقدير المسافة من صنع « باستر ود » على الفور واطلعه على النتيجة . ولما شرع الترك للمرة الاولى في مد جسر على نهر الحي اطلقنا النار عليهم فارغماهم على الابتعاد جنوباً وقد ندمت بعد ذلك على ما فعلته باطلاق المدافع على الترك وتعكير صفوهم

وفي ٢٨ شباط الساعة ٦ مساء سمعنا اصوات هتاف شديدة تتصاعد من خنادق العدو فعلمنا أن ذلك ناشيء عن بشارة انتصار موهوم في فرنسا اذاعها الالمان تخفيفاً لوطأة انباء السوء التي كانت تتوارد عن ارضروم وكرمنشاه .

وبلغت خسارة القوة المحصورة من ٤ كانون الاول سنة ١٩١٥ إلى ١ آذار سنة ١٩١٦ فقط ٢٩٢٩ جندياً .

وفي ١ آذار بعد الظهر اخذ العدو يصب على الكوت نيراناً حامية من فوهة واحد وعشرين مدفعاً من مدافعه . وفي تلك الاثناء حلقت ثلاث طائرات المانية من ذوات السطح الواحد فوق الكوت والقت نحواً من اربعين قنبلة علينا . ولكننا لم نخسر سوى تسعة قتلى و ٢٨ جريحاً مع أنه كان اشد رمي قنابل لقيناه إلى تلك الساعة . ولم يغننا فتيلا ما اعددناه لمقاومة الطائرات على صورة مستعجلة من مدافع ورشاشات لأن الطائرات كانت تطير فوقنا على مستوى رفيع حيث لا تطالها مقذوفات معداتنا . فثار ثائر غضب الجنود على الطيارين الالمان لأنهم كانوا يصوبون قنابلهم إلى مستشفانا على صورة خاصة . وكان المستشفى في السوق الكبيرة المسقوفة وكنا قد اشرنا اليه برايات مستشفى وضعناها على سطحه . فلو سقط احد الطيارين الالمان في ايدي جنودي لمزقوه ارباً ارباً . ولم يكن ذلك الحنق ناشئاً عن خوفهم من قنابل الطائرات لأن كل جندي كان يسخر منها ويهرع ليستتر منها وهو مستغرق في الضحك ولكن الضحايا التي سببتها تلك القنابل كانت على الاغلب من النساء والاطفال وجرحانا المساكين الذين كانوا طريحي الفراش في المستشفى .

وراجت في هذه الاثناء اشاعات كثيرة من أن الترك كانوا مزمعين على

استعمال الغاز السام في مقاتلتنا . وكانت الحيرة تأخذ مني كل مأخذ كلما سمعت أن القيادة الالمانية العليا تقدم على استخدام ذلك الغاز الفتاك مع ما اشتهرت به هذه القيادة في الحروب النابليونية وفي حرب سنة ١٨٧٠ .

إن استعمال الغاز السام سلاح البرابرة الجبناء لا يقدم على استعماله الا القرصان الصينيون واعتقد أن « الشهم » الالماني الذي اخترعه استمد وحي اختراعه من حقاق الصين التي تنبعث عنها الروائح الخبيثة. ونظراً إلى تواتر الاشاعات وزعت في ٤ آذار الكمامة الواقية من الغاز على الجنود المرابطين في القسمين الشمالي الغربي والشمالي الشرقي من خطوط الدفاع . وكان قد ارسل إلى الكوت مقدار من هذه الكمامات ابان زحفي من العزيزية على بغداد . وقد كثرت الاشاعات حينئذ بأن الترك مجهزين بهذا الغاز لذلك اخذت الحيطة للوقاية منه .

وتلقيت برقية من الفريق « باراتوف » صادرة من همدان بتاريخ ٢٩ شباط . وفيها أن جنوده دخلت كرمنشاه في ١٢ شباط فخرج لملاقاتهم حاكم المدينة وسكانها . ومما قاله : « اقول لك قول واثق من كلامه أننا سنلتقي بعد مدة قصيرة فيصافح بعضنا بعضاً في العراق » . فابرقت اليه مجيباً باللغة الفرنسية اذ شكرت له برقيته التي اذعتها في الأوامر اليومية على الجنود . وافصحت كذلك عن املي بمصافحته في العراق .

وفي ٥ آذار بعثت بجميع رسائلي المتعلقة بحركات طيسفون إلى المقر العام بالتلغراف اللاسلكي . وقلت أنه لا شك عندي في أن « السر برسي لايك » واقف على الاسباب المشؤومة المحتمة التي قضت بتأخير عرض رسائل طيسفون وطلبت اليه بكل احترام بالنيابة عن الفرقة السادسة باسرها والوحدات الملحقة بها أن يبذل كل ما في وسعه لتعجيل نشر أوامر توزيع المكافأة على الضباط في الجريدة الرسمية . وقلت له أن الجنود يعتقدون طول مدة الحركات بهضم حقوقهم من حيث الترقية والمكافأة بالنظر إلى اخوانهم الذين يقاتلون في ساحات الحرب الاوربية فان اولئك يرتقون في اغلب الاحيان قبلنا لأن رسائل حركاتهم تنشر في

حينها فينالون المكافأة في حينها ، واعلم من نفسي أن عدة ضباط من الافرقاء الثانين الذين كانوا بعدي في القدم قد ارتقوا إلى رتبة فريق اول قبلي مع أن اولئك الضباط لم يتولوا قيادة قوة مستقلة ولا تحملوا التبعات الخطيرة التي تحملتها انا وهذا يصدق في امراء الالوية الذين تحت امرتي . ويصدق بالاكثر على الضباط القادة في الوحدات التي تتألف منها قوتي . فلم يرق قط عقيد من عقداء قوتي إلى رتبة « زعيم » سوى الزعيم « كلايمو » الذي الححت في التوصية بترقية وتوليته قيادة لواء على صورة موقتة في وقائع القرنة وكوت الامارة وطيسفون وقد جرح في هذه الوقعة الاخيرة جرحاً بليغا . اما ضباط الاسطول النهري الذين تحت قيادتي فقد نالوا المكافأة من ساعتهم لما قاموا به في حركات العمارة وكوت الامارة . وقد طالعت في الجرائد الآن أن الحكومة قد كافأتهم عن وقعة طيسفون فالملازم « تدوي » من ضابط البحرية الذي انحصر معي في الكوت واوصيت له « بوسام الامتياز » لما قام به من الاعمال في السفن اثناء الانسحاب إلى الكوت من طيسفون قد نال المكافأة على ما نشرته الجريدة الرسمية .

وفي ٤ آذار ابرق إلي « ايلمر » يقول أنه نظرا إلى رداءة الهواء سيؤخر زحفه مدة ٢٤ ساعة وأنه سيشرع بعد هذا التأخير في الهجوم في صباح ٧ آذار . وكان الحظ يعاكسنا على الدوام . وكذلك تلقيت منه برقية اخرى في ٥ آذار يقول فيها أنه نظراً إلى رداءة الهواء سيؤخر الزحف ٢٤ ساعة اخرى فيشرع في الهجوم في ٨ آذار . وكان لهذا التأخير تأثير سيء لأنه فسح للعدو مجال انشاء الخنادق وسد الثغرة بين معقل الدجيلة ونهر الحي واهم كل ذلك كان الاستيلاء على معقل الدجيلة .

وكان الهواء طوال مدة الحصار موافقاً للترك كل الموافقة . ولم يلق قائد ما لقيه الفريق « ايلمر » من سوء الحظ في هذا الشأن . إذ لم يبق له سبيل آخر غير القيام بهجوم في وجه شآبيب الامطار وهبوب الزوابع هبوبا منتظماً فتجرف جسره وتمسي الاراضي وحلة فيستحيل على جنوده السير نقل المدافع أو يستحيل عليه .

وفي ليلة ٤ و ٥ آذار فر ثلاثة نوتية عرب من نوتية المهيلات فقطعوا النهر

مساحة . فانبأوا الترك بأمر الارمات والجسرين السابحين التي كنا نصنعها ونكتم خبرها كل الكتمان . وقد علمنا بذلك إذ شاهدنا في صباح ٥ آذار نجدات تركية تحتل الخنادق الجديدة على الضفة اليمنى قبالة بلدة الكوت من حيث كنت مزمعا أن اعبر النهر فانبأت « ايلمر » بما وقع وقلت له أنني ما زلت مصمما على العبور إلى الضفة اليمنى لاعاونه في المعركة ولكن على ما قاله هو أن العمل توقف على الاحوال المحلية . إذ أنه كان من المحتمل أن تهجم القوة التركية التي تحاصر الكوت على الجبهة الشمالية الغربية أو الشمالية الشرقية من خطوط دفاعي لكي تحصرني في البلدة وذلك عندما يستكشف الترك وجهة هجوم الفريق « ايلمر » . ويحتمل أن تكون هذه الهجمة هجمة مشاغلة تتحول إلى هجوم فاصل اذا صد الترك هجوم « ايلمر » . ثم يحتمل أن تنتقل القوة التركية المرابطة في الحنة إلى الجهة الغربية على الضفة اليسرى لمعاونة القوة المحاصرة التي تهاجم الكوت .

وقد رتبت قوتي على ثلاثة اقسام وذلك لمقابلة الطوارىء على ما تقتضيه الحال .

وعينت قوتين أو جماعتين صغيرتين للدفاع عن الجبهتين الشمالية الغربية والشمالية الشرقية اولاهما بقيادة الفريق « ديلامين » والثانية بقيادة أمير اللواء « هوتن » . اما قوتي العامة أو الكبرى المؤلفة من اللواء الثلاثين بقيادة الفريق « ميلس » ولواء موقت مؤلف من افواج « نورفوك » و « اوكسفورد » و « دروست » والفوج البنجابي ٢٢ والفنية ٢٤ بقيادة الزعيم « ايفانس » فسأتخذ بها موقعاً مركزيا في ضواحي بلدة الكوت إلى الجهة الجنوبية الشرقية حيث اتمكن بضم هذه القوة الكبرى إلى احدى القوتين الصغريين اللتين مر ذكرهما من أن اثبت ثباتا اكيدا في وجه كل هجمة يقوم بها العدو على المنفذ الشمالي الغربي أو الشمالي الشرقي . وهذا الموقع المركزي هو كذلك موافق لعبور النهر منه عندما احاول ذلك . ووضعت معظم مدافعي إلى جنوب خط وهمي ممتد في الجهتين الشرقية والغربية ومار باتونات الآجر بحيث اتمكن من جمع نار مدفعيتي شرقاً وشرقا بجنوب . وكنت قد وضعت المدافع الكبيرة على صورة تمكننا من اطلاق نيرانها في

جهة جسر نهر الحي بحيث ينصب قسم منها على معسكر العدو وراء مرتفعات السن وفي ذلك الوقت عينه يستطاع نقل المدافع بسرعة في وسط المدينة إلى المدافع التي في شمالها لجمع نيرانها على الجبهة الشماليه الغربية أو الجبهة الشمالية الشرقية .

إن جميع الخنادق التي كانت في السن والتي امتدت من معقل الدجيلة إلى نهر الحي ظهرت لنا مخوفة منيعة ولكنها لم تكن في الواقع كذلك لأن طول الخنادق الواقعة على الضفة اليمنى في السن والممتدة من معقل الدجيلة إلى نهر الحي كان نحو ثلاثة عشر ميلا فقط وقد وضع الترك فيها ٨٠٠٠ جندي فقط لحماية هذه الجبهة . ففي الاحوال الاعتيادية يقتضي وضع فيلقين لحماية جبهة هذا طولها . وقد ابنت ذلك للفريق « ايلمر » ولم يكن الترك اقوياء في هذه الجبهة بل كانوا في الواقع ضعفاء في كل مكان من هذا الموضع وقلت أن قوة « ايلمر » الهاجمة ستخترق صفوف العدو[1] . فالخنادق الجديدة الممتدة من الدجيلة إلى الحي لم تكن منيعة مخوفة وتحصن الترك بين الدجيلة والحي يدلنا على أنهم لم يجرأوا على استخدام احتياطهم العام لمقابلة هجوم « ايلمر » الالتفافي وكان الواجب يقضي على الترك السير على هذه الخطة لأنها الخطة المثلى التي يجب اتباعها ازاء حركة ايلمر تلك .

وحول الساعة ٨:٣٠ هدأت النار . فشاهدنا قطعات غنم تساق على الضفة اليمنى نحو جسر الحي وجانباً كبيراً من النقلية يتحرك في تلك الجهة عينها من الشيخ امام المسجد .

وفي الساعة ٩ اخذ القسطل يتصاعد . وفي الساعة ١١ استحال علينا ترصد جهات السن مع أننا كنا نتمكن من مشاهدة جسر الحي .

---

(١) وقال « السر برسي لايك » في البرقية التي روى فيها فشل النجدة في السن قولا صريحاً وهو أنه لو هجمت هذه القوة هجمة شديدة في الوقت المطلوب لاستولت على معقل الدجيلة ولكن تأخر الهجوم ثلاث ساعات قضيت في وضع المدافع وتوجيهها استعداداً للرمي فانفسح المجال للترك لارسال النجدات إلى ذلك الموضع .

ومن الساعة ٢ بعد الظهر إلى الساعة ٤ سمعنا اصواتا شديدة لاطلاق البندقيات مع اصوات متقطعة لقصف المدافع . وحول الساعة الرابعة ابتدأ القصف الشديد على معقل الدجيلة ودام ذلك إلى الساعة الخامسة .

وحاول المهندسون أن يعوموا لغماً في نهر الحي في ليلة ٦ و ٧ آذار لنسف جسر العدو . ولكنهم فشلوا في مسعاهم لأن اللغم ارتطم في لسان رملي عند مصب النهر فانفجر وكان لانفجاره ليلا صوت هائل .

وفي ٨ آذار من الساعة ٥:٣٠ قبل الظهر وقفت مستعداً بالقوة التي هيأتها لمعاونة آمر الفيلق على الضفة اليمنى . وفي الساعة ٧:١٠ صباحاً سمعنا صوت الاطلاقة الاولى من اطلاقات المدافع في اتجاه مرتفعات السن ومعقل الدجيلة .

وبدا لي قبيل الساعة الحادية عشرة أن الهجوم على معقل الدجيلة قد احبط لأن اطلاق النار انقطع ساعات من الزمن . ولم اشاهد على الاطلاق القائمة بالهجوم الالتفافي وكان المطلوب من هذه القوة أن تدور حول الدجيلة جنوباً فاستنتجت من ذلك أن « ايلمر » استخدم جميع الجنود الذين كانوا معه في الهجوم على العدو هجوماً جبهياً .

وفي الساعة ١٢:١٠ بعد الظهر تلقيت رسالة من الفريق « ايلمر » يقول فيها أن الاعداء يرسلون احتياطهم من « المقاصيص » إلى معقل الدجيلة فيقاومون هجومه مقاومة شديدة . وانبأته طائراته أن الف جندي يعبرون النهر في مخاضه من الضفة اليسرى إلى الضفة اليمنى في المقاصيص . وكان احتياط العدو يتحرك من شمران نحو الحي حيث قيل أن الترك اصبحوا هناك ١٥٠٠ مقاتل .

وطلب مني أن اوافيه بالانباء التي لدي وأن انبئه بما انوي عمله في سبيل معاونته .

فابرقت مجيباً على هذه الرسالة بالتلغراف اللاسلكي فقلت أنني سأعبر النهر عندما اشاهد قوته الالتفافية تزحف جنوب الدجيلة وسألته أن ينبئني اين وصلت هذه القوة وكيف سير حركاتها . وانبأته بأننا نرقب شمران مراقبة دقيقة فلم تذهب

جنود احتياطية إلى جسر الحي ما عدا ثلاث سرايا خيالة وقد شاهدنا ٢٠٠ جندي ماش يزحفون شرقاً من الضفة اليسرى .

وفي الساعة ٥ تلقيت برقية من « ايلمر » وفيها انهُ قد فشل حتى الساعة في مسعاه للاستيلاء على معقل الدجيلة ولكنهُ سيسعى سعيه الفاصل في الساعة ٥ بعد الظهر . واخذ القسطل ينقشع حينئذ فشاهدنا قطعات تركية تتحرك من وراء مرتفعات السن نحو المقاصيص . وابتدأ القصف على الموقع التركي كله في الساعة ٥:٣٠ وحول الساعة ٥:٤٥ شاهدنا لحظة من الزمن لمعان الراقم الشمسي (الهيليو غراف) إلى الجهة الشمالية الغربية من معقل الدجيلة وقد دعتنا النجدة بتلك الاشارة « للمخابرة » ولكننا لم نستطع ذلك .

وفي الساعة ٨:٣٠ مساءاً شاهدنا انفلاق قنابل المدفعية الشديد في المعسكر التركي في المقاصيص . فظهرت لنا القنابل البريطانية كانها ساقطة في وسط ذلك المعسكر وكنا نشاهد بوضوح وميض برق المدافع التركية اجابة على نيران مدفعيتنا .

فطفقت حينئذ اعتقد بنجاح هجومنا على معقل الدجيلة ولكنني دهشت لانقطاع اخبار « ايلمر » عني .

وفي الساعة ١١ بعد الظهر بعث إلي آمر الفيلق بالبرقية التالية فوصلتني في منتصف الليل : ـ

« كبدنا الاعداء خسارة فادحة لذلك نشك في أمر استطاعتهم الاحتفاظ بموقعهم هذا . وسأنبئك غداً بالخطة التي انوي السير عليها وستشمل هذه الخطة استخدام الفرقة البريطانية التي وصلتني الآن » .

فاوقعت هذه البرقية الريبة في نفسي في أمر معقل الدجيلة فلم اعلم هل استولى عليه ايلمر ام لا . والحق يقال أن الماعه إلى الخطة التي ينوي السير عليها جعلني اعتقد أنه يتأهب للقيام بحركات جديدة ولا مراء أنني علمت انهُ يستحيل وصول الفرقة البريطانية التي ذكرها في برقيته .

« لقد انتهت حركاتنا اليوم بمحاولتنا الاستيلاء على معقل الدجيلة بكل بسالة ولكننا فشلنا في مسعانا . فقد انجزت الجنود الحركات المكلفة بالقيام بها مبرهنة في ذلك على البسالة الفائقة ولكن العدو تمكن من حشد نجداته التي وصلته من الضفة اليمنى في المقاصيص ومن شمران فلم نتمكن من اختراق صفوفه . فاذا لم ينسحب العدو من موقعه هذا على الضفة اليمنى - واستبعد احتمال ذلك - لا نتمكن من البقاء في هذا الموقع نظراً إلى عدم تيسر الماء . واذا لم يجلُ العدو عن موضع السن في هذه الليلة ارغمنا على الانسحاب إلى موقعنا السابق في الوادي . وقد تكبدنا خسارة فادحة في هذا اليوم » .

وعقب هذه الرسالة رسالة اخرى وفيها أن البرقية التي تلقيتها في منتصف الليل من ٨ آذار كانت رسالة كاذبة ارسلها قائد الفيلق ايهاماً لأنه كان يعتقد اعتقاداً شديداً باطلاع العدو على مفتاح جفرتنا (شفرتنا) . وقال الفريق « ايلمر » أنه لم يستطع اختراق صفوف العدو لفك الحصار عني وأنه يحتمل أن ينسحب إلى الوادي غداً لكنه امل أن يحاول مرة اخرى قبل انقضاء زمن مديد لفك الحصار عني في وقت قريب . وقد تكبد العدو خسارة فادحة جداً وصد « ايلمر » هجمات الترك المعاكسة المتوالية . ودون هذه الرسالة في الساعة ١:٤٥ قبل الظهر وارسلها بالطائرة كذلك .

الفصل الخامس

المرحلة الثانية للدفاع عن الكوت

على اثر النتيجة التي انتهت اليها الحوادث المدون خبرها في الفصل السابق بادرت إلى ذبح الف ومائة دابة اقتصادا في الحبوب واهبة للثبات إلى ١٥ نيسان . وابرقت إلى « ايلمر » البرقية التالية : ـ

« اشكر لكم وللقوة التي تقودونها مساعي البسالة والاقدام التي بذلتموها لفك الحصار عني وابثكم عطفي وشعوري الخالصين .

« والآن اوضح لكم مرة اخرى ما ذكرته لكم في ٨ آذار من أن القوة الاحتياطية التركية التي سارت شرقاً من شمران والسن على الضفة اليمنى كانت كتيبة خيالة شاهدتها بام عيني تغادر شمران وراقبتها اثناء عبورها جسر الحي وشاهدنا مائتي جندي ماش على الضفة اليسرى وقد عد الراصدون الذين في الحصن اولئك الجنود اثناء مرورهم وكنا نشاهدهم مشاهدة جلية .

واعتقد أن ما روته لك الطائرات المستكشفة من زحف قوة العدو الاحتياطية من شمران هو ما حملك على عدم القيام بالمناورة التي تقرر القيام بها بدوران اربعة الوية من الالوية الستة في جنوب الدجيلة على أن اشاهدها قبل اقدامي على عبور نهر دجلة . فما اكثر الغلطات التي يرتكبها الضباط الاحداث في رصدهم من الطائرات التي تطير على ارتفاع عظيم . ويصعب على المرء في هذه البلاد أن يقدر العدد ويفرق بين البشر والمواشي التي تسرح في الحقول ولو كان الراصد ضابطاً خبيرا بقطع النظر عن ارتفاع الطائرة ٤٠٠٠ قدم فوق سطح الارض . وقد آلت

غلطة من هذه الغلطات إلى تأخري اثناء زحفي من طيسفون فاذا شئت الوقوف على تلك الحادثة فاسأل « كمبال » يرويها لك .

« فالى الساعة ١١:٣٠ قبل الظهر ٨ آذار لم تمر قوة احتياطية قادمة من شمران وذاهبة شرقاً بنهر الحي على الضفة اليمنى أو بحصننا على الضفة اليسرى وفي تلك الساعة حجب الارض كلها قسطل كثيف كأنه بحر من ضباب . ولو غادرت القوة الاحتياط شمران بعد الساعة ١١:٣٠ لما تمكنت من بلوغ ساحة معركتكم في الوقت المطلوب للاشتراك في القتال .

« وقد عزمت الآن على ذبح جانب من الدواب لاتمكن من مواصلة صد زحف القوة التركية المرابطة في الكوت . فاذا ذبحت الآن الف ومائة دابة وانقصت زنة رغيف الخبز الذي اوزعه على القطعات البريطانية فجعلتها عشرة « اونسات » بدلا من اثني عشر اونساً واعطيت الجندي الهندي عشرة « اونسات » دقيق قمح واربع « اونسات » دقيق شعير للخبز في كل يوم يكفيني الشعير الذي عندي إلى ٧ نيسان على وجه التقريب .

« واعيد ما قلته لكم قبلا أنني تحت رحمة المطاحن . ومدخرات هذه المطاحن وآلاتها تبعث فينا القلق والاضطراب وتتطلب عناية الضابط القدير « ونغفيلد سمث » من ضباط الطيران الذي يتعهد جميع هذه الآلات .

« وستقتات القطعات البريطانية بالخبز ولحم الخيل وحدهما . والقطعات الهندية بالدقيق والشعير المحمص والسمن . اما المواد الغذائية الاخرى فستفرغ مستودعاتنا منها قبيل ١٥ آذار مع أننا قد خفضنا المقدار الذي نوزعه منها » .

وقلت استئنافاً لهذا البحث : -

« واقول بشأن ١١٠٠ دابة من الدواب التي عزمت على ذبحها أنها لو اخذت إلى الهند الآن لما تمكنت من القيام بالاعمال اليومية الشاقة قبل استراحتها مدة ستة اشهر . وقد نويت الاحتفاظ بالف وثلثمائة دابة ساحتاج إلى ٩٠٠ منها للذبح لاطعام لحمها للجنود إلى ٧ نيسان . اما ما يبقى من الدواب إلى ذلك الحين فلا

تصلح على الاطلاق للشغل .

« وقد رضي جنودي بالاقتيات بارزاق ناقصة عن المقدار المعين ولكن الهزال سيلم بهم وسوف يزداد الفرار بين الجنود الهنود . واملي انكم تستخدمون في حركاتكم التالية قوة كبرى تمكنكم من الفوز الاكيد ولا يخفى عليكم صعوبة الصبر على هذا التأخير لأنهُ يضر بالصحة ويفتر الهمة . فليس من انسان ولا من شعب يستطيع الصبر على غموض مصيره .

« وهذه المرة الثانية التي وعدت فيها الجنود بقرب فك الحصار عنهم . فلا بد من انجادي قبل ٧ نيسان الا اذا صدقت انباء « روتر » من أن الترك يطلبون الصلح فاذا تم ذلك انفك الحصار عنا بطبيعة الحال . وربما تتمكن الحكومة من اغراء « باراتوف » للاسراع في زحفه على خانقين وتهديد بغداد تهديدا شديدا وبذلك ينفك الحصار عني عفوا . واعتقد أن باراتوف يلقى صعوبة في أمر النقلية . ومع ذلك يقتضي الاستغاثة به » .

وفي ٩ آذار تلقيت البرقية التالية وارجو لكم خير مصير » .

وكذلك القت إلي الطائرة رسائل من زوجتي ومن بعض اصحابي في الوطن وكانت الرسائل مكتوبة في شهر كانون الثاني ومنها رسالة من « السر جيمس ولكوكس » وساءني إذ سمعت أنه لا يقود جيشا في الساحة الفرنسية .

وفي ١٠ آذار تلقيت برقية من « ايلمر » يقول فيها أنه رجع إلى الوادي بقوته سالما في مساء ٩ آذار ولم تتعقبه الاعداء . وختم رسالته بقوله أنه سيبرق إلي مرة اخرى غدا بشأن الخطط التي ترسم للمستقبل .

وكذلك تلقيت صورة برقية من قائد الحملة إلى « ايلمر » وقد طلب القائد العام في برقيته هذه أن ترسل اليه الخطط التي يرسمها « ايلمر » للحركات التي يقوم بها في المستقبل لفك الحصار عن الكوت وقال يجب الشروع في الزحف التالي بعد وصول جميع الالوية الثلاثة التي تتألف منها الفرقة الثالثة عشرة ووصول لواء من الوية المدفعية اذا كان ذلك مستطاعا . وكانت النجدات من السفن النهرية

تصل البصرة فلو رد « ايلمر » السفن التي كانت عنده في الوقت الحاضر وصلته الالوية المذكورة في وقت كاف للقيام بزحف اخر ويجب اعداد التفصيلات المتعلقة بهذه بكل عناية وسأل القائد العام « ايلمر » هل بمصل الحصول على لواء من المدفعية التي عيار مدافعها ١٨ بوندا ام من الوية المدفعية ذات المدافع القصيرة بقطر خمس عقدات وقال انهُ ارسل اليه خمس عشرة ماعونة من ماعونات الجسور العائمة بطريق النهر وقد وصل البصرة ٤٨ ماعونة جسور عائمة و ٣٥ عجلة لنقل هذه الماعونات .

وفي هذا التاريخ عينه وصلتني الرسالة التالية من خليل باشا وهو قائد الجيش التركي السادس والقائد العام للقوات التركية في العراق ووالي بغداد : ـ

« بغداد في ١٠ آذار سنة ١٩١٦

« يا صاحب السعادة

« لقد ارغمت القوات البريطانية التي جاءت لفك الحصار عنك على التقهقر بعد معركة جرت في الفلاحية حيث بلغت خسارتها سبعة آلاف مقاتل .

« وبعد هذا التقهقر اعاد الفريق ايلمر امس الكرة بعد استعداده مدة شهر ونصف شهر اعتداداً بقوته فتعرض بالوية المشاة ٥ و ٦ و ٨ و ١٢ وبلواء خيالة واحد على ضفة دجلة اليمنى على ما شاهدتموه . فارغمناه مرة اخرى على التقهقر بعد تكبده خسارة اربعة آلاف مقاتل . أما قواتي فلم تزل كافية لمواصلة الكفاح .

« أما انتم فقد قمتم بواجبكم العسكري قيام الابطال .

« ولا ارى بعد الآن احتمال فك الحصار عنكم . وبناء على ما علمته من الفارين من جنودكم أن طعامكم قد نفد والمرض تفشى بين جنودكم .

« فانتم الآن احرار في امركم فاما أن تواصلوا الدفاع عن الكوت واما أن تسلموا لقواتي التي تزداد يوماً فيوماً .

« وتفضلوا ايها الفريق بقبول فائق احتراماتي .

خليل
قائد القوات التركية في العراق
ووالي بغداد

فكتبت إلى خليل باشا مجيباً رسالته قائلا أنني ارى غير رأيه لان املي في فك الحصار عني شديد وأنني لم افكر قط في أمر التسليم . وسألته عن صحة ما روته شركة « روتر » البرقية عن قيام الجنود التركية على الضباط الالمان في ازمير وعن الشغب الذي حصل في الاستانة من جراء سقوط ارضروم . وشكرت له مجاملته .

فانبأت الفريق « ايلمر » « والمقر العام » بأمر رسالة خليل باشا وجوابي عليها . وقلت أن دنو اجل فيضان دجلة سيحمل خليل باشا على التشمير عن ساعد الجد للاستيلاء على الكوت وأنني اعزز قرية السوس الواقعة على الضفة اليمنى بسرية من فوج « نورفوك » . وقلت أنني اتوقع أن يبدأ فيضان دجلة في ١٦ آذار لذلك يجب الاسراع في السعي لفك الحصار عني لأنني لا اعتقد أن قوات « ايلمر » تستطيع البقاء في ابان الفيضان حيث هي الآن . وافصحت عن املي أن يفكر « ايلمر » في وضع خطة للقيام ليلا بحملة عظيمة على الحنة والصناعيات بالحراب بجميع قواته وهي متحدة . لأن الروس قد رأوا هذه الوسيلة افضل الوسائل لمقاتلة الترك ولكنني قلت أنه يقتضي أن تنضم الفرقة البريطانية الثالثة عشرة اليه قبل شروعه في هذا الهجوم . وقلت بشأن ما يعتقده « ايلمر » من أن الترك حاصلون على مفتاح جفرنا أنني لا اعتقد بذلك لأن « ايلمر » باغتهم بهجومه على الدجيلة في ٨ آذار .

وسرعان ما ظهر تأثير صد « ايلمر » في قطعاتي . فاستولى الغم واليأس على الجميع وازداد الفرار بين الجنود الهنود . واخذ عرب البلدة يعتقدون بخذلاننا . فلو لم يخدمني الحظ بالعثور على الحبوب في الكوت لسلمنا في الاسبوع الاول من شهر آذار .

وتوقعت أن الترك ـ وقد أخذتهم نشوة الفوز ـ يحملون علي حملة شديدة للاستيلاء على الكوت . لذلك عززت حامية قرية السوس بسرية اخرى من سرايا فوج « نورفوك » لأنني كنت اتوقع أن يحمل العدو [illegible] على هذا الموقع . وفي ليلة ٩ و ١٠ آذار فر اربع جنود هنود مسلمين « ددانيين » من فوج « مهرتة » ١١٧ واخذوا بندقياتهم وجعب عتادهم معهم . فامرت امراء الالوية أن يمزجوا

الجنود المسلمين بالجنود الهندوس في الربيئات والستارات الخارجية وأن يتخذوا كل حيطة لمنع الفرار بمقتضى ما اختبروه من احوال القطعات الهندية وامرت كذلك بانشاء معقل صغير تتألف حاميته من خمسين بندقية في خندق المواصلات بين المعقل « ب » والخط الاوسط .

وارسلت الآن تقريري عن دفاع الكوت إلى ١٠ آدار نبذة نبذة بالتلغراف اللاسلكي إلى المقر العام .

وهناك امران ارغماني على مجابهة الحقيقة وقطع الامل من فك الحصار عني وهما اولا الصدمة الاخيرة التي اصابت الفريق « ايلمر » وثانيهما قول المقر العام له بان لا يعول على وصول الفرقة البريطانية الثالثة عشرة ولا الفرقة الهندية الجديدة في الوقت المطلوب للاشتراك في الحركات التي يجريها لفك الحصار عن الكوت . ولم يبق ريب في انه لا يتاح للنجدة فرصة اخرى موافقة لانجاز تلك الحركة كالفرصة التي سنحت لها حين هجومها على معقل الدجيلة . فكنا نتوقع فيضان دجلة في ١٦ آذار . فيوقف ذلك الفيضان جميع حركات القوة المنجدة . فاذا لم يفك الحصار عنا قبيل ٧ نيسان هلكنا . لأن الفيضان والموانع الاخرى كنهر دجلة وخطوط الحصار تجعل اختراق صفوف العدو من المستحيلات . لذلك سيرغم الجوع قوتي على التسليم .

وكنت افضل كل كارثة تحل بنا على التسليم إلى العدو . فالطريقة الشريفة للخروج من مأزقنا الحرج كانت والحالة تلك الجلاء عن الكوت والسماح لي بالانضمام إلى ايلمر بكل قوتي ومدافعي وهلم جرا . ومن امثلة ذلك ما تم « لجونو » في « لشبونة » من الاتفاق مع البريطانيين عام ١٨٠٨ ولقائد « بلفورت » عام ١٨٧١ . ففي الحادثة الاولى سمح البريطانيون في مؤتمر « سنترة » « لجونو » وقوته المؤلفة من ١٦٠٠٠ أو ١٧٠٠٠ جندي بالخروج من لشبونة وهم ممتعون بكل الكرامة الحربية ومعهم جميع اسلحتهم ومدافعهم وامتعتهم فنقلتهم السفن البريطانية إلى فرنسا . وفي الحادثة الثانية رأى القائد بعد انحصاره ثلاثة اشهر ونصف شهر انهُ لا بد من سقوط « بلفورت » نظراً إلى فشل جيش « بورباكي » في

مساعيه لفك الحصار عنها . لذلك فاوض ذلك القائد المحصور البروسيين فسمحوا له بالانضمام إلى الجيش الفرنسي فخرج بقوته في وسط الخطوط البروسية بكامل اسلحته وامتعته وغيرها . وقد تمت المفاوضات في كلتا هاتين الحادثة على صورة شريفة جداً . فطفقت افكر في النسج على ذلك المنوال . ولكن يتحتم على القائد الذي يقدم على هذه المفاوضات أن يكون عنده كميات وافرة من القوت فيستند في مفاوضة العدو إلى الطعام المتوفر له . وعليه أن يبرهن للعدو على أنه متمكن من مواصلة الدفاع مدة طويلة . ولكن القائد المحصور لا يستطيع أن يفاوض الاعداء في شروطه ما دام مهدداً بالهلاك جوعاً ! لذلك انبأت في ١٠ آذار قائد الفيلق والمقر العام بما عن لي في هذا الصدد .

فقلت أن غايتي من دفاعي عن الكوت عند انسحابي من طيسفون كانت لدرء صدمة الهجوم التركي المعاكس في ملتقى نهري دجلة والحي منعاً لهم من الاستيلاء على العمارة والناصرية واسترداد الاراضي التي استولينا عليها ولفسح المجال للنجدات التي تتوافد من وراء البحار لتجتمع وتطلق لها حرية العمل في حركاتها . وقد بلغنا هذه الغاية بعد دفاع دام ثلاثة اشهر . فلا يجرأ الترك الآن على مهاجمة النجدة المتجمعة وقد منع قرب اوان الفيضان زحف الترك أو محاولتهم استرداد الاراضي التي انتزعت منهم .

فاذا فشلت النجدة في محاولتها لفك الحصار عني للمرة الثالثة سقطت الكوت لا محالة . وسألت قائد الفيلق قائلا « الا ترون فائدة من مفاوضتي خليل باشا في أمر الجلاء عن الكوت والخروج وسط صفوفه بالاسلحة والمدافع والامتعة وجعب العتاد ونقل الجرحى والامتعة بالباخرة والبارجات على أن تتم هذه المفاوضة اثناء استعدادكم للكرة على العدو للمرة الثالثة لفك الحصار عني ؟ فالمفاوضة على هذه الصورة شريفة من جميع الوجوه ولنا مثال على ذلك الشروط التي منحها النمساويون لمسينة اثناء الدفاع عن جنوى عام ١٨٠٠ واتفاق سنترة الذي تم بين البريطانيين والفرنسيين عام ١٨٠٨» .

وقلت أن الجلاء على هذه الشروط أمر شريف وفضلا عن ذلك لا ارى

مضرة تلحق بالحكومة من جراء اخلاء هذه القرية المتداعية التي لا يعادل حجمها حجم قرية « دوامون » وغيرها من القرى الفرنسية التي بات الاستيلاء عليها سجالا في كل يوم في معركة « فردن » العظيمة فلا يستطيع الترك الآن استرداد ولاية البصرة ولم يصرح قط بأن الكوت اصبحت ارضاً بريطانية . وخلت أن خليل باشا يوافق على شروطي بناء على ما جاء في رسالته التي افصح فيها عن رأيه في أمر الدفاع . فاذا رفض خليل باشا أو « فوندر غولتس » شروطي هذه لا اعرض شروطا مثلها مرة اخرى ولا اقبلها اذا عرضت علي . وسأثبت ما دام عندي طعام وعتاد . فاذا كان خليل باشا عاقلا قبل شروطي . والآن عندي من الطعام ما يكفيني شهراً واحداً على وجه التقريب واعتقد أنني اتمكن من الثبات إلى ١٧ نيسان . فاذا خامر المقر العام شك في أمر فك الحصار عني في وقت قريب فرأيي أن ترفع هذه المسألة إلى الحكومة . واذا وافق قائد الحملة على اقتراحي|هذا فارى أن يرفعه بالنص الذي وضعته فيه انا نفسي لأنه اذا لخص بحث مثل هذا واقتضب ربما تغيرت المعاني التي ارمي اليها والاسباب التي ادعم بها قضيتي .

إلى أن قلت : « قد يتاح للقائد اذا يئس من حاله وكانت القوة التي يقودها كاملة الضبط وشديدة العزيمة أن يشق له طريقاً وينضم إلى الجيش القريب منه في ساحة الوغى . فاذا تمكن بهذه الواسطة من الخروج بثلثي الحامية الباقية عنده فله أن يقدم على هذه الحركة . ولكنني قد اجبتكم سابقاً حينما طلب مني أن اخرج مخترقاً صفوف العدو بأن الفرق بين الامور النظرية والامور العملية في هذه المسألة هو أنه يحيط بثلاث جهاتنا نهر يستحيل اجتيازه . أما جهة الارض اليابسة فمغمورة بماء الفيضان . وفضلا عن ذلك أمامنا خنادق وسراديب وطرق مواصلات عميقة حتى الهر نفسه لا يستطيع الخروج منها . هذا بقطع النظر عن كوننا في العراق وهي بلاد عربية وكل رجل من سكانها قائم علينا وكل بندقية فيها مصوبة نحونا . فلو تمكنت من الخروج بثلاثمائة رجل لخدمني الحظ جل خدمة » .

وارسل إلي « السر برسي لايك » برقية خاصة في ١١ آذار وهي : « انني عالم باليأس الذي استولى عليك وعلى قوتك من جراء فشل سعينا الاخير لفك الحصار

عنكم لذلك اشاطركم شعوركم كل المشاطرة . ولكن طب نفساً فاما لن نتقاعد عن مواصلة السعي لخلاصكم وسنستخدم القوة الكبرى في الحركة التالية التي نقوم بها لفك الحصار عنكم » .

فنشرت هذه البرقية على الجنود بمنزلة بلاغ .

وفي هذا اليوم عينه اجبت على برقية قائد الحملة بهذه البرقية الخاصة : -

« اشكر لكم كل الشكر برقيتكم التي نشرتها على جنودي . وإني لعالم كل العلم بالصعوبات التي تعترض سبيل ايلمر واشاطره الاسى للخسارة الفادحة التي حلت بضباطه وجنوده البواسل . واعلم انكم ستفكون الحصار عنا اذا وجدتم الى ذلك سبيلا ولكنني ارى أن هذا العمل يقتضي استخدام الفرقة الثالثة عشرة كلها متحدة وعلى الاقل لواء من الوية مدفعيتها واملي أن تكون القوة كلها متحدة على ضفة واحدة غير متفرقة . إن سلوك قطعاتي البريطانية هنا على غاية ما يرام وهم على احسن ضبط ومتمتعون بالعافية التامة وباسمون للصعوبات وصابرون على المشقات . ولكنني لا استطيع أن اقول هذا القول في جميع الجنود الهنود : اي في الجنود المسلمين وبعض الجنود الهنود » .

وفي ١٣ آذار تلقيت من المقر العام برقية جواباً على اقتراحاتي بشأن الجلاء عن الكوت وذلك اذا خامر قائد الحملة شك في أمر فك الحصار عني . فجاء في تلك البرقية أن قائد الحملة لا يوافق على اقتراحاتي ومع ذلك فقد رفعها على علاتها إلى وزارة الحربية وإلى القائد العام في الهند . (فاستنتجت من هذا أن قائد الحملة شديد التمسك في أمر فك الحصار عني ولولا شكه لما رفع اقتراحاتي إلى ذينك المرجعين) . إلى أن قال المقر على فرض أن فك الحصار عن الكوت من رابع المستحيلات فلا فائدة من مفاوضة خليل باشا في هذا الوقت . لأنه اذا فشل مرة اخرى سعي النجدة لفك الحصار الغيت جميع الشروط التي يعرضها الترك . وفضلا عن ذلك لا بد من أن ينشر هذا الخبر في الخارج فيؤثر تأثيراً سيئا جداً . واستنتجت من طلب خليل باشا مفاوضتي أنه كان راغباً في نقل جنوده إلى ساحة قتال اخرى .

واجبت على هذه البرقية في ذلك اليوم عينه بقولي أن في المسألة سوء فهم فإذا اسفرت مفاوضة خليل باشا عن نتيجة مرضية فلا حاجة إلى تجريد حملة اخرى لفك الحصار عن الكوت لأنني سأخرج في وسط الصفوف التركية وانضم إلى النجدة

وفي ١٢ آذار خلف الفريق الثاني « غورنج » الفريق « ايلمر » في قيادة فيلق دجلة لأن وزارة الحربية عزلت « ايلمر » من تلك القيادة . وتلقيت رسالة خاصة من « ايلمر » نقلتها إلي الطائرة فانبأني بانه قد اقيل من القيادة وأنه يأسف الاسف الشديد لعدم تمكنه من فك الحصار عني . وإن مهمته كانت اصعب مما يتصورها معظم الناس إلى أن قال . إن رجال وزارة الحربية يستسهلون هذا الامور وهم جالسون في مقاعدهم » . وختم الرسالة بالثناء علي ثناء عاطراً فقال « لا استطيع التعبير عن شدة اعجابي بدفاعك المجيد عن الكوت . فاتمنى لك من اعماق نفسي النجاة العاجلة . وبلغ ديلامين وميلس وهملتون تحياتي . فالى الملتقى والله يبارك عليكم جميعاً ويجعل حظكم في مساعيكم افضل من حظي » .

إن الفريق « ايلمر » برهن في حياته الجندية كلها على كونه قائداً باسلا ومخلصاً وعادلا وقديراً بلا استثناء . ولكن حظه في عمله كان سيئاً جداً والسبب الاعظم لذلك رداءة الهواء وهي الصعوبة التي لا يستطاع التغلب عليها . فلو كان الهواء معتدلا في بدء حركاته لانتصر انتصاراً هاماً في وقعة الوادي ولانفك الحصار عن الكوت عفواً .

وكان اسفي لما اصاب « ايلمر » شديداً لأنني عرفت فيه جندياً باسلا يوم كنت اقاتل معه في حملة « هنزانغار » على الحدود في سنة ١٨٩١ اذ نسف باب حصن « نلت » ونال « وسام فكتورية » . فليت شعري هل علم الذين بيدهم الحل والربط في الوطن بالصعوبات التي كانت واقفة في سبيله كالفيضان والمطر وقلة وسائل النقل . واخير الامور قلة خبرة الجانب العظيم من الجنود ونقص تدريبهم وليس هذا الامر دون غيره شأناً . وكان معظم الجنود الهنود الذين تتألف منهم قوته مستجدون تنقصهم الخبرة والتدريب . فبعثت ببرقية إلى « ايلمر »

افصحت فيها عن عطفي عليه لأني علمت بأنه قد مات منكسر القلب .

وفي ١١ آذار ابرقت إلى المقر العام مكرراً البرقية للفيلق طالباً تعيين التاريخ التقريبي لانضمام الفرقة الثالثة عشرة ومدفعيتها إلى النجدة وقلت بأني سأبذل كل ما في وسعي للثبات إلى ذلك اليوم .

وفي ١٢ آذار تم وضع حاجز نهري امرت باعداده لحماية السفن التي كانت مربوطة إلى ضفة النهر إلى جانب البلدة من الالغام . وامرت الحاكم العسكري أن يطلب من سكان البلدة أن يبيعوا منا ١٤٣٠ « منداً » من الشعير لأنني كنت اعتقد أن السكان قد اخفوا حبوباً عنا . وتوعدتهم بقولي انهم اذا لم يقدموا الشعير المطلوب منهم فتشت البيوت وعاقبت الشخص الذي نعثر على الحبوب عنده عقوبة صارمة جدا .

وطفقنا الآن نفحص السدود التي انشأناها لدفع شر الفيضان عنا وقد انشأت هذه السدود برعاية مدير هندسة الفرقة وكان النهر قد اخذ في الارتفاع فارتفع في ١١ آذار ست عقدات في ٢٤ ساعة .

وقد استحوذ اليأس والقنوط على الحامية من جراء فشل مساعي « ايلمر » في ٨ آذار . وكان معظم الجنود يشكون كل الشك في أمر نجاتهم لذلك ازداد الفرار بين الجنود الهنود ففر خمسة جنود مسلمون وثلاثة جنود من الفوج البنجابي ٦٧ وجندي من الفوج البنجابي ٢٢ وعريف من فوج مهرتة ١٠٣ . إن الحصار يثبط عزيمة جميع الجنود ولكن تأثيره اشد في الجنود الهنود . فكانت عزائمهم تخور على جناح السرعة . اما الجنود البريطانيون فكانوا على غاية ما يرام فكلما زادت مشقاتهم اشتدت عزائمهم .

وقرأت برقيات « السر أيان هملتون » عن حركات غاليبولي في الجرائد التي القتها علينا الطائرات فعلمت أن الترك صدموا الفرقة الثالثة من فرق الجيش الجديد صدمة هائلة في اليوم الاخير الذي رد فيه الترك الحلفاء . وكانت هذه الفرقة قادمة للانضمام إلى النجدة . فقد خسرت اربعة آلاف مقاتل بين قتيل

وجريح من مجموعها الذي يبلغ عشرة آلاف مقاتل فقد ابيد فوجان من افواجها . وهذا دلنا على أنه اذا كانت صفوف هذه الفرقة الثالثة عشرة كاملة بكون معظم الجنود الذين حلوا محل الخسارة بافصى التدريب والاختبار

وفي ١٠ اذار نشرت على الجنود في الكوت بلاغاً اخر لأنني شاهدت امارات اليأس والقنوط بادية على وجوه الجنود والضباط على السواء وشعرت بهذه الحالة . ـ

« والآن كما في السابق اتخذ الجنود على اختلاف رتبهم مكان ثقتي فاعيد عليكم البرقيتين التاليتين اللتين تلقيتهما من الفريق ايلمر ،منهما ترون أن القوة التي قدمت لنجدتنا قد اخفقت في مسعاها مرة اخرى

« البرقية الاولى وتاريخها ٨ آذار : ـ

« إن الحركات التي قمنا بها اليوم انطوت على البسالة ولكننا فشلنا في محاولتنا الاستيلاء على معقل الدجيلة . فقد قام الجنود بالهجوم وانجزوا الحركات بكل بسالة ولكن العدو تمكن من حشد النجدات التي وصلته من الضفة اليسرى في المقاصيص ومن شمران فلم نتمكن من اختراق صفوفه . فاذا لم ينسحب العدو من الموقع المرابط فيه الآن على الضفة اليمنى ـ وهذا بعيد الاحتمال ـ لا نتمكن من البقاء في مكاننا هذا نظراً إلى عدم وجود الماء . واذا لم يجل العدو عن موقع السن هذه الليلة سنرغم على الانسحاب إلى موقعنا السابق في الوادي » .

« البرقية الثانية وتاريخها ٨ آذار : ـ

« لم نتمكن اليوم من اختراق صفوف العدو لفك الحصار عنكم ويحتمل أننا نرغم على الانسحاب إلى الوادي غداً ولكنني آمل أن اقوم بهجمة اخرى بعد مدة قصيرة فافك الحصار عنكم في وقت قريب . وارجو منك أن تنبئني بالبرق بما تعلمه من حركات العدو الذي تكبد خسارة فادحة لأننا قد رددنا جميع هجماته المعاكسة فكبدناه خسارة فادحة » .

« وإني لعالم أن اليأس الشديد سيستولي على جميعكم عند سماعكم هذا

الحسر فقد انقضى على الحصار ثلاثة اشهر فلتتم بذلك ثناء ملكنا المحبوب ومواطنيا في انكلترا وايرلندا واسكتلندا والهند وهذا كله بعد قتالكم في وقعتي كوت الامارة وطيسفون وبعد الانسحاب إلى الكوت وقد طبقت شهرة هذه الحركات الحربية الخافقين .

« فقد قضيتم منذ ٥ كانون الاول ثلاثة اشهر صابرين على غموض مصيركم الأمر الذي لا يصبر عليه جندي من الجنود ولا شعب من الشعوب .

« وقد جاء فشل النجدة في سعيها لفك الحصار عنا ضغثاً على ابالة . فاطلب منكم أن تعطفوا على هذا العاجز الذي قادكم في المعارك التي المعت اليها . ومع كوني لم اعرف الفرقة حين تسلمي القيادة قد اصبحت شديد التعلق بها حتى أنني لم اشعر قط في ماضي حياتي بمثل هذا الحب .

« وعلى ذكر نفسي اذكر اسماء القواد الذين تحت امرتي فانهم مشهورون في الجيش بحسن قيادتهم .

« فاكلمكم الأن كما كلمتكم سابقاً من اعماق نفسي واعيد ما قلته لكم من أنني اطلب منكم أن تشعروا شعوري هذا فقد وعدتكم بالخلاص في اوقات عينتها لكم بناء على الوعود التي قطعها لنا اولئك الذين صدرت اليهم الاوامر بفك الحصار . عنا . وليس هذا التأخير ذنبهم على الاطلاق ولا تخالوا أنني الومهم فقد ضحوا نفوسهم طوعاً في سبيل نجاتنا وهم يستحقون شكرنا واعجابنا. فاطلب منكم أن تعاونوني في العمل كما عاونتموني قبلا. فقد طلبت إلى الفريق «ايلمر» أن يستخدم في حركاته التالية قوات كافية لاختراق صفوف العدولكي لا يبقى مجال للشك في النتيجة التي تنتهي اليها حركاته ولا بد من أن يتم ذلك قبل انقضاء هذا الشهر . وتصله الآن نجدات قوية منها فرقة انكليزية مؤلفة من ١٧٠٠٠ مقاتل لا بد من وصول لواء طليعتها الوادي الآن حيث مقر الفريق ايلمر فلكي تتمكن من الثبات ساقتل مقداراً من الخيل توفيراً للحبوب التي تصرفها في كل يوم وقد ارغمت على انقاص ارزاقكم اليومية . ولا بد لنا من اتخاذ هذه الحيطة لنحافظ على انتشار رايتنا الخافقة . فقد

عقدت العزيمة على الثبات واني لعالم بانكم تشدون ازري قلباً وقالباً .

كوت الامارة	جارلس طاونزند
في ١٠ آذار سنة ١٩١٦	« فريق ثان »

وفي ١٦ آذار تلقيت البرقية التالية من المقر العام وتاريخها ١٤ آذار سنة ١٩١٦ .

« المرجو أن توعزوا إلى طاونزند بأن لا يبرم شروطاً مع الترك إلى أن اكتب اليه . بلغوني وصول هذه البرقية » .

فبعثت بالجواب التالي على هذه البرقية في ذلك اليوم عينه : -

« ارجو أن تنبئوا القائد العام في الهند بأنه لم يكن هنالك ادنى ميل لمفاوضة الترك الا اذا خامر قائد الفيلق شك في أمر فك الحصار عني ولا اقول هذا فقط بل اقول أنني لا افاوض الترك ما لم توافق الحكومة على المفاوضة .

« فغايتي مما بسطته في هذا الصدد هو أنني اردت الخروج من الكوت من غير أن تثلم كرامتنا وصيانة الحكومة من عار التسليم هذا اذا كان مصير الكوت السقوط لا محالة . ويحتمل جداً أن الترك لا يقبلون بشروطي فلا اعرض عليهم غيرها فادافع عن البلدة إلى أن تتغلب علينا قوات العدو أو ينفذ ما عندنا من الطعام وحينئذ احاول أن اشق لي طريقاً للخروج مع من يتطوع من رجال القوة للخروج معي » .

وفي هذا اليوم عينه تلقيت البرقية التالية من المقر العام : -

« إن القائد العام في الهند قد بعث بهذه المقتبسات من برقية ارسلها رئيس اركان الجيش العاهلي (الامبراطوري) في لندن وهي : -

« اقول عطفاً على البرقية المتعلقة بمسألة الحركات التي تجري لفك الحصار عن الكوت أنه لا ريب عندي في انكم تعلمون العلم الاكيد بأن الفوز في فك الحصار عن الكوت اذا كان مقروناً بفوز الروس يغير الموقف في الشرق لا بل في

العالم اجمع تغييراً عظيماً إلى ما فيه خيرنا . وبذلك نتمكن من ايفاد القطعات من مصر إلى ساحة الحرب الكبرى ولا نبالغ مهما قلنا في شأن هذه الفائدة » . وهنا انتهت رسالة رئيس اركان الجيش العاهلي . وقال القائد العام في الهند : « فاذا بعث الينا غورنج وطاونزند بملحوظاتهما عن الموقف الحربي استفدنا منها فائدة جلى » .

فاجبت هذا الطلب في ذلك اليوم عينه وبعثت بما عن لي على صورة مذكرات وملحوظات . وقد دونتها في ملحق الباب الرابع في هذا الكتاب .

وفي ١١ آذار امرت بقتل ٤١٧ حصاناً ليستطيع الجنود الثبات إلى ١٥ نيسان بالاغتذاء بالحبوب المتيسرة لنا وامرت بأن تقطع الارزاق عن ٧١ حصاناً و ٨٠٠ بغل من خيل المدفعية وبغالها فتعلف بالحشيش فقط . وكان مجموع الدواب التي نحتاج اليها في المجزرة يومياً ٢٥ دابة . وقد انفقنا في هذا السبيل إلى ١٥ نيسان ٤٠٠ حصان و ٦٠٠ بغل . وكنت اسعى لابقي على ١٠٠ حصان من خيرة جياد الضباط .

وفي ليلة ١٥ ـ ١٦ آذار غمر فيضان النهر خط الخنادق الاول والمعقل « ب » فاخليناهما وبذلك بات الخط الاوسط خط دفاعنا المهم . فكاد الفيضان أن يعزل الحصن عنا ولكن الطريق اليه ظلت يابسة . وكذلك ارغم الفيضان الترك على اخلاء خط خنادقهم الاول الممتد قبالة خطوط دفاعي في الجهتين الشمالية الغربية والشمالية الشرقية . لذلك تراجعوا فكبدتهم نيراننا خسارة فادحة اثناء تراجعهم .

وفي ١٧ آذار ابرقت البرقية التالية إلى الفيلق وقد بعثت بصورتها إلى المقر العام : ـ

« اذا ارتفع دجلة قبل فك الحصار عني ـ ولا ارى احتمال وقوع ذلك ـ اعتقد انكم تسيرون على الطريق الممتدة من الشيخ سعد إلى الكوت على الضفة اليمنى ولم يبلغنا قط أن هذه الطريق غمرت في وقت من الاوقات . فاذا جرى الماء إلى غور الدجيلة على ما يظهر من الخريطة يعترضكم الماء بعد مسير خمسة عشر

ميلا ومن ثم تتمكنون من المجيء إلى الكوت توا . وسيهجر العدو خنادقه في السن لصد حركتكم هذه فيقابلكم في ميدان مكشوف وهذا ما تتمنونه انتم . وارى أن هذا افضل سبيل تنهجونه لولا صعوبة الرجوع من الوادي إلى الشيخ سعد للتجمع هناك . ولكنكم تتحطرون كيف كان ولد يجري حركاته صاعداً نازلاً في سفنه على نهر سنت لورنس فوق كويبك لكي يوهم مونكام قبل اختيار مكان نزوله إلى البر »

وفي ١٧ آذار تلقيت البرقية التالية من الفريق « غورنج » : -

« ١٦ آذار الساعة ١٠:٣٠ بعد الظهر : سأطلعكم على خطة الحركات في حينها . وثقوا باننا سنبذل كل ما في وسعنا لفك الحصار عنكم قبيل ١٥ نيسان . وجميعنا واثقون من الفوز في المرة التالية وبذلك ينتهي دفاعكم المجيد عن الكوت بالنجاح » .

وفي ١٧ آذار تلقيت البرقية التالية من مقر الجيش تاريخها ١٦ آذار وقد بعث بها رئيس اركان الجيش الهندي : -

« بناء على ما ورد في الفقرة ٦ من برقية طاونزند نعلم كلانا - انا وانتم - علماً اكيداً المدة التي يستطيع طاونزند الثبات فيها . فقد غير حسابه ثلاث مرات فامر النجدة كله متوقف توقفاً محسوساً على الوقت المعين للثبات فيه » . وهنا ختمت برقية رئيس اركان الجيش الهندي .

« وهذه البرقية تشير إلى برقيتكم العامة المرقمة ٢٥٩/٦٩ والمؤرخة ١١ آذار وقد عينتم فيها ١٧ نيسان اليوم الاخير لثباتكم على الحصار . فالمرجو أن تنبؤنا بالمدة التي تكفيكم فيها مواد الاعاشة المتيسرة لكم . وهذه الرسالة مكررة من الفيلق إلى المقر » .

فاجبت على هذه البرقية في ١٩ آذار . « في برقيتي العامة المرقمة ٢٩٢/٦٩ والمؤرخة ٥ آذار عينت ١٥ نيسان موعد ثباتي . وفي برقيتي العامة المؤرخة ٢٥٩/٢٩ والمؤرخة ١١ آذار قلت أن المدة التي استطيع الثبات فيها شهر على وجه

التفرب وقد ذكرت ١٧ نيسان الحد الاخير لثباتي وقلت ان اركاني سيعيون التاريخ الحقيقي والاسباب التي حملتني على تغيير المواعيد تنحصر في ما يلي : - قيل لي في اول الأمر أن الحصار سيفك عني في ١٠ كانون الثاني فكانت ارزاقي كافية إلى ذلك التاريخ وبعده . ولما فشلت النجدة في مساعيها قضت علي الضرورة بمصادرة الحبوب الموجودة في بلدة الكوت بعد دفع ثمنها لاصحابها . ولما نقلنا الحبوب إلى المخازن وجدناها تنقص مائة « مند » عن المقدار الذي خمناه . ولما كنا قليلي الخبرة في هذه الامور لم نعلم مقدار نقص الحبوب العظيم الذي يحدث دائماً من جراء تنظيفها وغربلتها . ومن حسنات الحظ العظمى أننا عثرنا في الكوت على حبوب نركن اليها حين الحاجة . وكان التجار قد خزنوا هذه الحبوب التي ابتاعوها من جهات نهر الحي فلم يتمكنوا من ارسالها إلى بلاد فارس بطريق القوافل على العادة . إذاً ١٥ نيسان هو اليوم الاخير الذي استطيع الثبات فيه . وبعد ذلك لا استطيع الحصول على ذرة من الحبوب من البلدة » .

وبلغت خسارتنا في ١٨ آذار ٥٢ رجلا إذ اطلق العدو ٨٠ اطلاقة على البلدة في مدة نصف ساعة من الساعة ٦ إلى الساعة ٦:٣٠ بعد الظهر . وفي الساعة ٦:٤٥ بعد الظهر طار طيار الماني فوق الكوت في طائرته ذات السطح الواحد فرمى اربع قنابل اصابت احداها المستشفى فخرقت روافد السقف واقواسه وغشاءه وصدمت حائط الغرفة التي فيها المرضى والجرحى البريطانيون فانفجرت وقتلت ستة مرضى على الفور وجرحت ٢٦ مريضاً مات منهم ١٤ مريضاً في مدة يوم أو يومين . وطبعاً أن عمل الطيار الالماني هذا اثار السخط كله فينا فلو نزلت طائرة ذلك الطيار الالماني على أثر هذه الحادثة في خطوطنا لكان ذلك وبالا عليه . ولا اعتقد انهُ تعمد هذا العمل مع ما حدث بعد ذلك في فرنسا من امثال هذه الحادثة . ولكن ما لا ريب فيه أن القنابل كانت تصيب المستشفى على الدوام مع نشر راية الصليب الاحمر فوقها . وقال لي الضباط الترك بعد ذلك قولا اكيداً أن مشاهدة بلدة الكوت من بطرياتهم كانت صعبة جداً . لأن البلدة كانت مستورة بنطاق كونته اشجار النخيل واحيانا كان يسترها السراب أو الرهج وكان جامع البلدة هدف المدى لأنه كان مرتفعاً فوق غابة النخيل .

فطلبت بالتلغراف اللاسلكي من الفيلق أن ينتقم لنا فيوفد الطائرات لرمي القنابل على معسكر شمران ولرمي قنبلة دخان على مدفعين بحريين كبيرين كنا نشاهد وصعهما لكي نعين المدى للرمي عليهما . ففعل الفيلق ذلك وتمكنت مدافعنا التي تقطر خمس عقدات من اسكات دينك المدفعين ولحسن حظنا لم يتمكن العدو من استخدامهما بعد ذلك . واشتد نشاط العدو وكان على الاغلب يطلق مدافعه علينا في الليل . وكان الترك يحاولون كل المحاولة لاغراق الباخرة « سمانة » التي كانت مربوطة بالشاطىء بين المهيلات التي كانت تحميها كما كنا نحميها وكانت محمية بستر مكون من اكياس رمل وغيرها .

وطفق النهر ينخفض مرة اخرى وطفقت البحيرة التي تكونت بين خطي دفاعنا الاول والاوسط تختفي وراجت بين عرب البلدة اشاعات كثيرة ترمي إلى أن الترك يجمعون عدداً عظيماً من « المشاحيف » في اعالي نهر الحي لعبور جنودهم نهر دجلة للاستيلاء على البلدة . فرتبت قوتي بالنظر إلى ذلك ووضعت نوراً كشافاً قبالة مصب نهر الحي وامرت اللواء الثامن عشر بمضاعفة اهتمامه في المراقبة لأن البلدة كانت واقعة في المنطقة التي يدافع عنها .

وفي ٢١ آذار ابرقت إلى « غورنج » وقد بعثت بصورة من البرقية إلى المقر العام فافصحت عن عدم اعتقادي بترتيب قوات العدو ، على الوجه الذي نتصوره ، بيني وبين النجدة على الضفة اليسرى لأن هذا الترتيب ينطوي على تعرض القوات على صورة غريبة . إلى أن قلت « يصعب علي الاعتقاد بأن القائد التركي يركب متن الشطط فيعبث بقاعدة الاقتصاد في القوة فيضع قسما من قواته في الحنة والقسم الثاني في النخيلات والقسم الثالث في « المدق » فترتيب جميع هذه القوات على هذا الوجه يجعل المسافات بينها ابعد من أن تتمكن من معاونة بعضها بعضاً معاونة تفيدها في درء الضربة التي تنزلها عليها قوتكم المجتمعة » .

وفي ٢٢ آذار عند الظهر طارت طائرة معادية فوق الكوت فرمت علينا « قنابل الاحتراق » وحاول الطيار أن يصيب منزلي . فاصابت احدى القنابل الاصطبلات ولكنها لم تلحق بها ضرراً لأن القنبلة لم تشتعل . وفي الساعة ٥:٣٠

قبل الظهر شرع العدو في اطلاق مدافعه الكبيرة اطلاقاً شديداً علينا من بطريات كانت موضوعة في خط خنادقه ومعاقله الثالث وكانت النيران الشديدة تتجمع منصبة على بلدة الكوت . وكانت اربع مدافع من تلك المدافع تصب المقذوفات الشديدة الانفجار . فطفقنا نجيب العدو بجميع مدافعنا المؤثرة وكان ذلك في الساعة ٤٥ :٦ وانقطع القصف في الساعة ٤٥ :٧ وقد اصابت قنابل العدو سفينة بحرية من سفينتي الخيل المختصة بنا واللتين كان على كل منهما مدافع قطر المدفع ٤.٧ العقدة ولكننا سحبنا السفينة إلى الشاطىء قبل غرقها . واستأنف الترك قصفهم الشديد مرة اخرى في الساعة ٧ وانقطعوا عنه في الساعة التاسعة بعد أن اطلقوا ٦٠٠ اطلاقة . وبلغت خسارتنا ١٦ جندياً بين قتيل وجريح . فانبأت « غورنج » بذلك وسألته هل يشاهد امامه ما يدل على انسحاب العدو والا فما سبب هذا القصف . وكذلك سألته هل انبأته الطائرات بحركة العدو في اعلى النهر . فكنت اعتقد باحتمال انسحاب العدو ورفع الحصار عن الكوت لأن الموقف في ارمينيا بات خطراً واقتضى ذلك توفير كل جندي تركي لصد الزحف الروسي في تلك الجهة . ويسهل على الترك سحب الجنود من « المدق » ليلا وسيرهم امام الكوت من غير أن نشعر بهم . ولستر هذا الانسحاب يتحتم على القوة التي تحصر الكوت أن تطلق مدافعها علينا لتحويل نظرنا إلى أمر آخر وبذلك تشغلنا عن القوة المنسحبة .

فاجابني الفيلق على برقيتي هذه في ذلك اليوم عينه بأن جميع حركات العدو المنظورة في اسفل الكوت تدل على حركة قواته شمالا . وأن « غورنج » يحاول أن يعلم بواسطة استكشاف الطائرات هل كانت القوات التركية منسحبة ام أن العدو كان يوهمنا بحركاته . وعقب هذه البرقية برقية اخرى وصلتني الساعة ١٠:٣٠ وفيها أن استطلاع الطائرات اسفر عن انبائنا بأن العدو قد زاد قوته على كلتا ضفتي النهر فليس هنالك علامة تدلنا على انسحابه في جهة من الجهات . وقال « غورنج » أن الجسر كاد أن يهيأ للعبور عليه وأن السكون مستحوذ على كلتا الضفتين .

وفي هذا اليوم عينه ابرقت بما يأتي إلى الفيلق وبعثت بصورة البرقية إلى المقر العام : ـ

« ارجو منكم أن تنبؤني من اي الضفتين تنوون الشروع في الحركة عندما تبتون الرأي في الخطة التي تسيرون عليها . ولا تخافوا من افتضاح الأمر لأنني سأتخذ جميع الاحتياطات لكتمان الخبر . وبقطع النظر عن امتداد خط الخنادق مسافة عظيمة من النخيلات إلى العتبة تبلغ اربعة عشر ميلا ـ وهذه المسافة في اوربا تقتضي اربعة فيالق للدفاع عنها اي فيلق لكل اربعة اميال ـ ما زال معظم قوات العدو على الضفة اليسرى وما زال تقدير ايلمر للقوة التركية على الضفة اليمنى بثمانية آلاف جندي تقديراً صحيحاً على وجه التقريب . وهذا ما يغري المرء كل الاغراء بمهاجمة الضفة اليمنى لأنني ارى العدو ضعيفاً في كل مكان ولا بد من نجاح المهاجم إذا كانت جنوده على حالة جيدة ولا مندوحة من ابداء هذه الملحوظة . وقد قال لي ايلمر أن زحفه على الضفة اليمنى يقتضي سبعة الوية واعتقد بناء على ما اصابه من الفشل أنه لم يكن لديه منها سوى اربعة الوية . ولم ينبئني قط احد بمقدار خسارته ولا بعدد الجنود التي هجم على العدو بها ولكنني علمت من رسالة خاصة بعث بها إلي بالطائرة انهُ لم ينجح في مسعاه » .

والجواب الوحيد الذي تلقيته على برقيتي هذه من قائد الفيلق هو هذا بتاريخ ٢٤ آذار : ـ

« الخسارة في وقعة ٨ ـ ٩ آذار : ـ

القتلى	٥١٣
الجرحى	٢٥٠٨
المفقودون	٤٥٥
المجموع	٣٤٧٦

« قوة الفيلق على ما هي عليه الآن : ـ

المشاة ٢٨٦٦١
الخيالة ١٣١٢
المجموع ٢٩٩٧٣
عدد المدافع ١٠٨ »

وفي الساعة ١١ قبل الظهر امرت بتوجيه المدافع الكبيرة نحو معسكر خيالة العدو الذي ظهر بالقرب من الجسر فوق نهر الحي وباطلاق هذه المدافع على ذلك المعسكر . فكنا نصب النار في وسط ذلك المعسكر عينه مع أن المدى كان تسعة آلاف يرد . فذعرت الخيل في جميع الجهات ونشأ عن ذلك اضطراب شديد للغاية في المعسكر . فلو كانت مدافعنا الثقيلة سريعة الانطلاق لحصلنا على نتائج حسنة جداً ولكن نظراً إلى كون مدافعنا كانت بطيئة جداً تمكن العدو من هدم خيامه وتملصه منا بخسارة طفيفة .

وفي ٢٣ آذار شرعت مدافع العدو تطلق النيران الشديدة على الكوت من الساعة الحادية عشرة بعد الظهر إلى نصف الليل . ثم استأنف القصف مرة اخرى في الساعة ١:٣٠ قبل الظهر ودام القصف الليل طوله وكانت البطاريات المتنوعة تتناوب القصف . ولم يطلق العدو سوى المدافع الثقيلة . فلم اجب على هذا القصف لأنه لم يظل عندنا سوى المقدار القليل من الزيت للفوانيس المختصة برمي المدافع ليلا ولم أر بداً من توفير الزيت للوقت الذي تهاجمنا ليلا مشاة العدو مهاجمة حقيقية . وبلغت خسارتنا احد عشر جندياً . وحينئذ وضعت كل من عندي في الكوت لحماية البيوت من قصف المدفعية الشديد وقد لاقينا صعوبات جمة في حماية المطاحن .

وفي ٢٣ آذار ليلا ابرق إلي الفيلق بأن النهر ارتفع قدماً واحدة في ١٢ ساعة فطفقت بطيحة الشويكة تتسع وتهدد معسكر العدو وخنادقه في جانب الحنة الشمالي . أما بطيحة ام ابراهيم فكان اتساعها قد توقف ونقصت مياهها نقصاً عظيما لأن جنودنا كانوا قد انشأوا سداً لترعة العورة وسدوا جميع الثغور والاقنية التي كانت تصب مياهها في هذه البطيحة . واسفر استطلاع الطائرات نهاراً عن

الانباء بفيضان النهر وغمره الضفة اليمنى في بعض الاماكن . ولم تشاهد الطائرات اثراً للعدو بين العزيزية وشمران وكانت الجنود في ذلك المعسكر قد نقصت نقصاً عظيما ولم يظل فيها الآن سوى مستشفى ومستودع وهلم جراً[1] .

ونظراً إلى الشكوك التي كانت تخامرني في أمر نجاح النجدة مع علمي بقوتها ابرقت البرقية التالية في ٢٥ آذار إلى الفيلق وبعثت بصورتها إلى المقر العام : -

« عندي مسألة مهمة جداً يجب أن تهتموا بها ابان قيامكم بحركات فك الحصار: فضلا عن المسائل التي نظرتم فيها إلى الآن وهي أمر تغذية قوتي هنا . فاعلموا انكم إذا لم تصلوا قبيل ١٥ نيسان نفد كل الطعام الذي عندي . اجل أن عدد المقاتلين الذين عندي لا يزيد على ٨٣٩٠ ما عدا المرضى والجرحى ولكن يتحتم على اطعام ١٣٤٠٠ نسمة . فالتوابع الهنود يبلغ عددهم ٢٥٠٠ ورجال النقلية والاعاشة والقسم الطبي عددهم نحو من ٧٠٠ . وعندي في المستشفى نحو من ١٤٧٠ مريضاً ومجروحاً . فاذا فشلتم في سعيكم لفك الحصار عني (لا سمح الله بذلك) وسقطت الكوت فعليكم بأن ترسلوا الطعام إلى هنا بمقتضى شروط هدنة تعقدونها مع العدو على ما يخيل إلي . لأنني واثق من أن الترك لا يستطيعون اطعام جميع هؤلاء الناس وذلك لأن الترك انفسهم تنقصهم مواد الاعاشة » .

وفي ٢٧ آذار شاهدنا بالقرب من « المدق » (مدحي) شبحاً ظهر لنا كجسر سابح . وكنا نشاهد ماعونة حديدية يقدر طولها بمائة قدم تتحرك ذهاباً وايابا على النهر ويضع قوارب جسور وشاهدنا كذلك رافعات على كلتا ضفتي النهر في « المدق » (مدحي) ولا بد أن تكون هذه الماعونة تلك الماعونة التي فلتت في الكوت اثناء هبوب الزوابع في ايام الحصار الاولى وادعى مدفعيو الحصن بانها غرقت . فابرقت إلى الفيلق طالباً الوقوف على حقيقة هذه الماعونة . وكذلك شاهدت في الصباح مركبة نزهة ومركبة اخرى اعتيادية تحرسها خيالة وتسيران غرباً على الضفة اليسرى وكانت راجعتين إلى شمران من اسفل النهر . واعتقد أن

---

(١) عبر معظم قطعات العدو التي كانت في شمران النهر بجسر القوارب الذي كان هناك إلى الضفة اليسرى قابلة ذلك المكان وعسكرت تلك القطعات هناك .

تينك المركبتين كانتا مختصتين بفوندر غولتس ويحتمل أنه كان راجعاً آنئذ من تفقد القطعات .

وفي ٢٨ آذار ابرقت برقية خاصة إلى « السر برسي لايك » تبحث في احوال الحامية الصحية . فكان عندي في هذا اليوم ٥٦٠ مريضاً في المستشفى مصابين بالزحار . وكنت خائفاً من اشتداد وطأة المرض لأن حرارة الهواء يومئذ اخذت في الاشتداد وكنت اتوقع أن الروائح الكريهة المنتشرة في الكوت تزداد وخامة . فتسبب هذه الروائح الكريهة والحرارة انتشار الامراض الوافدة في البلدة . لذلك رجوت من قائد الحملة الا يؤخر زحف النجدة . فالجنود الهنود باتوا على حالة الضعف وخور العزيمة اما الجنود البريطانيون فكانوا مشتدو العزائم لأنهم كانوا يأكلون لحم الخيل . وقلت له اننا جميعاً شاعرون بشدة وطأة الحصار شعوراً قوياً جداً . وقد علمت من اختباري أن اعباء التبعة الواقعة على القائد في ساحة القتال المكشوفة ليست شيئاً يذكر بالنسبة إلى الاعباء الواقعة عليه وهو محصور . ومما زاد قلقي احتمال فيضان النهر . وقلت يحسن رجال الحل والعقد في الهند عملا إذا ارسلوا الفرقة السادسة إلى الهند بعد فك الحصار عن الكوت لاعادة تجهيزها لأنه قد اعياها التعب وانهكت قواها المشقات وباتت بلا تجهيزات ولا خيل ولا ملابس . وذكرته بأن مدة حصارنا دامت اكثر من حصار « لايدي سمث » .

وبعد انقضاء النصف الاخير من آذار بتنا نصارع مصارعة مستمرة نهر دجلة الذي فاض كل الفيضان وطفق يرغمنا على اخلاء الخنادق . فامرت كل جندي بالعمل لمنع طغيان المياه على بلدة الكوت لأن ذلك الطغيان يغمرنا جميعاً فيرغمنا على الخروج من ذلك المكان بالكلية وهذه كانت حالة الترك والنجدة في اسفل الكوت فانهم كانوا يصارعون طغيان المياه الفائضة .

وفي ٣٠ آذار اقترحت على « غورنج » بانه اذا انشأ الاعداء جسراً في المقاصيص ـ لأنه كان لديهم هناك ٢٢ قارباً عواماً والماعونة التي مر ذكرها ـ فليحاول تدمير ذلك الجسر بقنابل الطائرات التي ترميها عليها ليلا . وفي الوقت عينه احاول انا كذلك تدميرها باستخدام الباخرة « السمانة » لأن وجود الجسر يغير

موقف العدو تغييرا عظيما في المعركة المقبلة. وفي ٢٩ آذار شاهدت الجنود التركية تسحب ثلاثة قوارب عامة على الضفة اليمنى من شمران إلى الحي . فخلت أن الترك يبغون بذلك وضع جسر اخر على الحي ليسهل عليهم الانسحاب من موقع السن عند الاقتضاء .

وفي هذا اليوم عينه ارسلت البرقية التالية إلى الفيلق وبعثت بصورتها إلى المقر العام : -

« إنني اعتقد أن لواء مدفعيتكم من عيار ٦٠ بوندا وصلكم الآن . فهل تنتظرون وصول قطعة اخرى ؟ واني لواثق من انكم عالمون بالفرق العظيم الذي يطرأ في كل يوم على حالتنا هذه من جراء هذا التأخير الذي لا يطاق . واعتقد انكم إذا جمعتم كل قواتكم ومعداتكم لا تصبرون على اطالة امد الحصار لأن الفيضان قد استفحل امره فسبب لي قلقاً واضطراباً شديدين . وقد اخطأ اعواني مرتين في تقدير الحبوب الموجودة عندنا . والآن علمت أن الطعام الذي عندنا يكفينا مدة اقصر من المدة التي عينها لي اعواني في المرة السابقة باربعة ايام . وارى أن هذا النقص ناشىء عن السرقة وأن السراق جنود مع أننا قد اقمنا جنوداً من النقه على حراسة مخازن الاطعمة . ولكن اركاني يعتقدون اعتقاداً اكيداً بأن النقص ناشىء عن تنظيف الحبوب . وعلي أن اخفض مقدار الارزاق اليومية التي اوزعها على القطعات كلها مرة اخرى لكي استطيع الثبات إلى ١٥ نيسان . ولا يخفى أن الجنود الهندية خائرة العزائم الآن وسيزيد تخفيض ارزاقهم الطين بلة . وقد اصيب ٥٨٠ هندياً بداء الزحار . وانبئكم بأن العدو سحب اليوم خمسة قوارب عوامة إلى الحي من شمران على الضفة اليمنى وسحب ثلاثة قوارب اخرى منها امس . واملي انكم تنبئوني بالضفة اليمنى تزحفون عليها عندما تبتون الرأي في الأمر ولا تكتموا أمر حركاتكم علي إلى الساعة الاخيرة . ولا يخفى عليكم أنه يصعب علي كل العصوبة الاشتراك في حركاتكم على الضفة اليمنى وقد تعطلت الباخرة السمانة الآن لأن صمامة توقيفها قد انكسرت باطلاقة اصابتها الليلة وقد طلبت اليكم في برقية اخرى أن ترسلوا إلي اقساماً احتياطية من السحابتين الشهاب

والشرور[1] إذا استطعتم ذلك . لانني استطيع أن ادمر جسر العدو بواسطة الباخرة سمانة إذا اقدم الترك على انشاء ذلك الجسر . ويسهل على هذه الباخرة تحطيم الجسر المذكور إذا سارت مع مجرى النهر » .

وفي ٣١ آذار شاهدنا لواء تركياً ومعه النقلية يزحف من مرتفع السن نحو « الامام المنصور » ثم وقف بالقرب من « العتبة » . وكذلك شاهدنا قوة تشبه هذه القوة تزحف غرباً على الضفة اليسرى . وكذلك رأينا المعسكر الواقع إلى جنوب شرق الامام « المنصور » قد عظم جداً .

(١) وكان المقرر أن ترسل هذه الاقسام الاحتياطية بالطائرة ولكن المهندس اصلح صمام التوقيف في مدة ٢٤ ساعة .

الفصل السادس

غزو الحنة

تلقيت في ٢١ آذار هذه البرقية من « غورنج » : ـ

« إن التأهب لفك الحصار عنكم سائر سيراً حسناً . وثقوا بأنني لا اتأخر يوماً واحداً عن الموعد الذي تقتضيه الضرورة المطلقة . وبناء على التقارير الواردة من بغداد وجميع الانباء التي حصلنا عليها اقول لكم أن الفيضان الاخير كان الحد الاقصى للفيضان الذي يحتمل وقوعه . وقد يفيض النهر فيضاناً آخر تبلغ فيه المياه هذا الارتفاع حول ١٠ إلى ١٥ الشهر التالي . والفيضان يهدد الترك في موقع الحنة وقد سبب مشاكل جمة لهم . وهذا ما رواه لنا امس احد الفارين من الجيش التركي وقال أن طعامهم قد بات قليلا جداً وأن نيراننا تكبدهم في كل يوم خسارة فادحة » .

وفي ٢ نيسان تلقيت برقية من المقر يطلب مني فيها أن ابسط الواسطة التي اتخذها لتعبير الجنود على النهر إذا قضت الضرورة بذلك والمكان الذي استطيع تعبير الجنود منه . وكان المفهوم أنني استعمل جلود الدواب التي اذبحها في صنع الارماث . ولا يخفى أنني كنت قد فاوضت « ايلمر » في هذه المسألة برمتها لما كان قائد النجدة . وقلت في جوابي الذي بعثت به إلى المقر أنه ما زال هنالك سوء فهم في أمر الصعوبات التي ينطوي عليها عبور نهر دجلة . وإنني قد اوضحت في برقياتي السابقة ايضاحاً وافياً الصعوبات التي تعترض سبيلي ومعدل ما استطيع تعبيره في الساعة من الجنود بواسطة الباخرة « السمانة » ولكن هذه الباخرة قد تعطلت على ما انبأت به في برقيتي بتاريخ ٣٠ آذار . ولا اعلم على اي الضفتين

سيزحف « غورنج » لفك الحصار عني مع أنه يقتضي أن اطلع على هذا الأمر في وقت قريب . وقد سألت هذا السؤال مرتين .

واوضحت للمقر في برقياتي السابقة أنه إذا جاء « غورنج » من الضفة اليمنى اعاونه بنيران المدافع صمن المنطقة التي ينالها مدى مدفعيتي ولكنني لا استطيع الشروع في عبور النهر قبل أن نظهر قطعات النجدة لأن العدو قد وضع بعض مدافعه على الضفة المسلطة على محل عبوري . ومختصر الكلام على « غورنج » أن لا يعول علي اكثر من تعويل « بولر » على « هوايت » في « لايدي سمث » ولا يتوقع مني مساعدة تزيد على المساعدة التي لقيها « بولر » من « هوايت » يومئذ مع أنه لم يعترض سبيل « هوايت » نهر لا يستطاع عبوره وعرضه خمس مائة يارد وسرعة جريانه خمس عقدات بحرية في الساعة ويحيط به النهر من ثلاث جهاته والجهة الرابعة محمية بالاسلاك ومغمورة بالمياه ومسدودة بثلاثة خطوط معاقل وخنادق .

وختمت البرقية بقولي : ـ « ولا اعتقد أن غورنج يحتاج إلى مساعدتي للانتصار على فرقة ونصف فرقة أو فرقتين ضعيفتين تركيتين تحميان جبهة عرضها اربعة عشر ميلا ويقتضي للدفاع عنها ثلاثة فيالق لأنه لديه ٢٩٠٠٠ مقاتل و١٠٨ مدافع ويسهل عليه أن يؤلف من هذه القوة قوة كبرى عدد مقاتليها ٢٤٠٠٠ مع المقدار الكافي من قوة المدفعية . لقد انقضى على انحصار قوتي إلى الآن نحو اربعة اشهر . وقد هزل الجنود الهنود وخارت عزائمهم من جراء اقتياتهم بعشرة اونسات من دقيق الشعير الوسخ ويئسوا من الحال التي باتوا عليها نظراً إلى فشل النجدة مرتين في سعيها لفك الحصار عن الكوت . فلو وصلت النجدة في كانون الثاني لتم تعاوننا بنشاط . ولكن الاحوال الآن غير ما كانت عليه حينئذ ونعلم من التاريخ أن هذه حال القوة المحصورة في كل زمان ومكان .

إلى أن قلت : « إذا زحف غورنج من الضفة اليسرى هجمت على العدو المرابط في الخنادق التي قبالة الحصن ويتحتم علينا حينئذ أن نخوض مياه الطوفان التي تغمر الارض . وعلى كل حال ليطمئن غورنج بالا بأنني سأبذل كل ما في وسعي للتعاون واياه على أي الضفتين اراد . ولم افكر قط في استعمال جلود

الحيوانات المقتولة في صنع الارماث لأنه ما زال عندي ثلاث بارجات و ١٢ ميهلة لهذه جميعها سحابة واحدة وهي زورق بخاري . ولا يستطاع سحب الارماث الجلدية من غير أن تتمزق قطعاً قطعاً ولا فائدة منها إذا كان تيار النهر قوياً . وفضلا عن ذلك لا انجم واعشاب ولا تبن عندي لاحشو الجلود بها ولا اخشاب لدي ارصف بها الارماث . وكل الخشب الذي كان متيسراً لي استعملته لصنع جسرين سابحين ودعائم لوضع الجسور على نهر الحي وقد صنعتها عملا بارادة ايلمر » .

ولم يكفنا مكافحة الطوفان بل طفقنا نكافح داء الزحار . ولم تكف البقول التي كنا نزرعها في الحدائق الا لسد حاجة المستشفى وكانت تساعدنا كل المساعدة على شفاء الزحار . والغريب أن الجنود ـ على ما قلته للزعيم « هيهر » معاون مدير الامور الطبية ـ كانوا يصابون بالزحار لحرمانهم اكل البقول : فكانوا يشفون بعد اطعامهم البقول مدة اسابيع يقضونها في المستشفى وكنت اود لو استطعت اطعام جنودي الاقوياء البقول لوقايتهم من الزحار .

ولكننا لم نستطع اتيان عمل لسد هذا النقص . وكان الجنود يجمعون الاعشاب والكلأ ويزرعون السبانخ ولكنهم في بعض الاحايين كانوا يجمعون الاعشاب المضرة فكانوا يصابون بأسهال شديد جداً حتى أن بعضهم توفوا بالتسمم وكان أمير اللواء « هوتن » من المتوفين .

وحول ٤ نيسان طلبت من المقر العام أن يرسل إلي ذهباً لاودعه في خزانتي الفارغة وكان الجواب على طلب هذا أنه لا حاجة إلى دفع ثمن ما اشتريه في البلدة بغير ايصالات اعطيها للباعة .

فاجبت المقر على هذه البرقية انه قد حصل سوء فهم في أمر النقود في الكوت . وإنني احتاج إلى خزانة ملآنة بالنقود للاسباب التالية : ـ

إن الجنود لم يأخذوا رواتبهم وهم يطلبون على الدوام نقوداً لشراء اشياء يتمتعون بها من عرب البلدة كالشاي والتبغ مهما كلفهم ذلك . (ويدفع الضباط احياناً ٤٨ ربية ثمن « بوند » واحد من التبغ العربي) . ولا يأخذ العرب النقود

القرطاسية حتى أنهم في اوائل الحصار كانوا يأخذون من الجندي ربية لقاء صرف ورقة العشر ربيات لأنهم يعتقدون بفور الترك علينا فيضمرون لنا كل العداء . ولا استطيع جلد ٦٠٠٠ شخص لامتناعهم عن احذ النقود القرطاسية وجل ما استطيع عمله لتأديبهم أن اعدم شخصاً منهم في بعض الاحايين ممن يرتكبون جرم التجسس فاجعله عبرة لغيره . ولما صادرت كل الحبوب التي كانت في البلدة دفعت ثمن مئات « المندات » ربيات ورق احياناً كنا نفتش البيوت وغيرها للعثور على الحبوب . ولولا العثور على الحبوب في البلدة لسلمنا للعدو في شهر شباط لأنني لما دخلت الكوت كانت ارزاقنا تكفي القطعات البريطانية شهراً والجنود الهندية ٥٥ يوماً . ولا نستطيع هنا أن ندفع ثمن ما نبتاعه ايصالات نعطيها للبائع كما كنا نفعل في جنوب افريقيا يوم تذمر الناس من الايصالات فسبب دلك لنا مشاكل عديدة . اما السبب الآخر الذي يدعوني إلى طلب النقود لايداعها في خزانتي فهو أنهُ إذا فشلت النجدة في مساعيها لفك الحصار عنا اسر الضباط والجنود ولا فلس في جيوبهم .

وكان الفريق غورنج قد عقد العزيمة على تجديد المساعي لفك الحصار عن الكوت من الضفة اليسرى وكان يبحث اثناء وصول النجدة في استطاعة الزحف على الكوت على الضفة اليمنى من الشيخ سعد ولكنه رأى أن الطريق التي يتحتم مرور الجنود عليها ليست محمية من الفيضان وأنها عرضة لطغيان المياه عليها إذا كسر العدو السدود التي كانت على ضفة دجلة اليمنى وكان العدو متسلطا عليها . لذلك رأى الافضل أن يزحف على الضفة اليسرى. واول عمل يقوم به في زحفه أن يهجم على الموقع التركي في الحنة وقد اخذ اهبته لهذه الحركة . ولكنني لم اعلم بهذه الحركة فكنت اجهل خططه وقد اطلعت عليها بمطالعة بلاغات « السر برسي لايك » وأنا اسير في الاستانة .

وكانت الفرقة السابقة منهمكة في حفر الخنادق قبالة خنادق العدو الامامية في الحنة على الضفة اليسرى . وكان الجنود يواصلون عملهم تحت وابل نيران العدو المتواصلة وكان الفيضان يعرقل مساعيهم . وفي ٢٨ آذار اصبحت خطوط

استحكاماتهم على مسافة ١٥٠ ياردأ من خط الخنادق التركية الامامي .

وفي ١ نيسان تحركت الفرقة البريطانية ١٣ من الشيخ سعد لتحل محل الفرقة السابعة في الخنادق الامامية استعداداً للهجوم . ولم اعلم بوصول هذه الفرقة إلى الجبهة .

وكل ما علمته من أمر الحركات أن الفريق غورج كان عازماً على الشروع في مقاتلة العدو في ٥ نيسان . وتلقيت منهُ في ٤ نيسان البرقية التالية : -

« إن الخطط التي ارسمها لدور الحركات الاخير تتوقف حتما على مبلغ فوزنا في الدور الاول الذي سأشرع فيه غداً وعلى حالة النهر والفيضان وعلى ترتيب قوات العدو ولا استطيع الوقوف على حقيقة أمر هذه العوامل الآن . وإني لعالم أنه يجب أن يكون تعاونك في بادىء الأمر تعاوناً مستكناً فقط ولكنك الصخرة التي استند اليها لشطر القوات التركية إلى شطرين وستعاوننا تعاوناً عظيما بصب نيران المدفعية وغيرها على مخاض العدو في المقاصيص وبمشاغلة الترك على الضفة اليمنى في اليوم الاخير من ايام الحركات . وسأوافيك بجميع الانباء المتعلقة بسير الحملة . وقد ارسلت صورة هذه البرقية إلى المقر العام » .

وفي ليلة ٤ نيسان ابرقت إلى « غورنج » راجياً له الفوز في مساعيه وانبأته بأن الترك في السن قد نشروا نوراً اخضر ومعناه « نحتاج إلى عتاد » وقد عقب ذلك نور احمر وهو رمز إلى زحف البريطانيين . فاجابني غورنج بأن تأهبه كله قد تم وأنه سيهجم عند بزوغ الفجر .

واروي الحوادث التي جرت عن مفكرتي وانقل ذلك بحرفه :

« ٥ نيسان . سمعنا صوت قصف شديد في الساعة ٥:٢٠ صباحاً وشاهدنا بوضوح وميض انفجار القنابل فوق الحنة . ودام القصف إلى الساعة ٦ صباحا ثم انقطع .

« وفي الساعة ٨:٣٥ تلقيت برقية من غورنج ينبئني بأنه قد استولى على الخطوط الخمسة الاولى من موقع الحنة . وهذه البشارة الاولى التي تلقيتها .

« وفي الساعة ١٠ قبل الظهر رجعت قافلة نقلية معادية من السن إلى الحي على الصفة اليمنى والظاهر أن هذه القافلة جلبت احمالها في العنبة ورجعت إلى الشيخ الامام المنصور وانتظرت هناك النهار طوله

«« وفي الساعة ١٠ ٤٥ صباحاً شرعت في اطلاق النار على جسر الحي من فوهات مدافعي التي قطرها ٥ عقدات فلم يسفر القصف عن نتيجة حسنة لأن المدى كان ١١٠٠٠ يارد فسقطت قنبلتان فوق الحي وقنبلة في النهر اثناء سير النقلية على الجسر نحو شمران » .

« واصدرت عين الخطط التي اصدرتها في ٤ آذار على آمري الالوية بعد أن عدلتها تعديلا طفيفاً للتعاون وغوريج على أي ضفة كانت » .

« وفي الساعة ١ بعد الظهر امرت مول آمر المدفعية الثقيلة ليشرع في اطلاق نار المدافع الثقيلة على مخاض المقاصيص وكان المدى قريباً من مدى جسر الحي - اي ١١٠٠٠ يارد. وكان التوجيه رديئا جداً ولكن قنبلة أو قنبلتين سقطتا في النهر على المخاض . وكان بعض الترك بالقرب من ذلك المكان ولكننا لم نشاهد حركة مهمة . وانسحب عدد عظيم من مشاة الاعداء من شبكة الخنادق حول قرية مكبس الصوف . وفي الساعة ٨:٤٠ قبل الظهر ظهر انهم متوجهون نحو جسر نهر الحي سائرين مع خط النقلية الاول . واستخدم الترك مخاض المقاصيص مرة اخرى في الساعة ٤ بعد الظهر فقطع النهر جماعات صغيرة من الضفة اليسرى إلى الضفة اليمنى . واليوم رممنا خلقين الباخرة السمانة وطفقت الباخرة تتحرك في المساء . وفي هذا النهار تلقيت رسالة من المقر فيها أن وزارة الحربية ابرقت البرقية التالية : -

« ابرق مارش في ٦ نيسان أن الاوامر صدرت إلى باراتوف بالزحف على الفور إلى خانقين بجميع قواته » . (انظر الفقرة ٩ من ملحوظاتي في الموقف الحربي بتاريخ ١٥ آذار التي ارسلتها إلى المقر العام لكي ترسل إلى القائد العام في الهند . لذلك يقتضي أن يكون باراتوف قد شرع في الزحف منذ ثلاثة اسابيع .

« يدهشني جداً سكوت غورنج الذي يسبب لي القلق واضطراب البال . وجميعنا نتوقع بفارغ الصبر خلاصنا من هذا المأزق الذي بتنا فيه على حالة الانتظار والشك . فلم نسمع خبراً في الليل . وسمعنا قصف مدافع على الضفة اليسرى بالقرب من الصناعيات في صباح ٦ نيسان وكان القصف شديداً في الساعة ٧:٣٠ قبل الظهر . فابرقت إلى غورنج طالباً اليه أن يوافيني بالانباء لانني طفقت الآن اشعر بالقلق وانبأته بأنني اشاهد مدفعاً عياره ٤٠ بونداً تجره الثيران سائرة به شرقاً في الامام المنصور ولا ريب في أن الترك قد نقلوه من جسر الحي .

« ٦ نيسان . شاهدنا حركة شديدة في مخاض المقاصيص في الساعة ٨ صباحا فامرت مدافع الخمس عقدات باطلاق النار على ذلك المحل . وكنا نشاهد الجنود يقطعون النهر في ذلك المخاض . وبعد اطلاق ثماني اطلاقات عليهم انقطعت الحركة . وصدرت الاوامر إلى الراصد الموجود في الحصن بأن يكون شديد التيقظ في مراقبة مخاض المقاصيص وبأن ينبئني على الفور بكل حركة يشاهدها هناك . وحال الرهج والسراب دون الترصد الدقيق إلى الساعة ٤ بعد الظهر .

وارسلت بعد الظهر برقية إلى المقر العام وهي : ـ

« هل لكم أن تنبئوي بما حل بالفريق غورنج لأنني لم اسمع منه منذ الساعة ٨:٣٠ من صباح امس إذ ابرق إلي بأنه قد استولى على الخطوط الخمسة الاولى من موقع الحنة . وقد ابرقت اليه اليوم صباحا مستطلعاً اخباره والآن الساعة ٤:٣٠ بعد الظهر ولم اسمع منه خبراً . واعتقد أن انقطاع الاخبار بشارة ولكن هذا السكوت يقلق بال رجالي . إنني راغب عن ازعاج غورنج وهو منهمك في اعماله ولكن عليه بأن لا يقطع الاخبار عنا على هذه الصورة » .

وابرقت كذلك إلى غورنج برقية انبأته فيها بقولي أن جميع الدلائل تبرهن لنا على أن الاعداء ينقلون الجنود من الضفة اليمنى إلى الضفة اليسرى عند مخاض المقاصيص لذلك اطلقت النار على هذا المخاض في معظم الوقت بعد الظهر فعرقلت مساعي الترك . واقترح أن اواصل اطلاق النار ببطء الليل كله إذا نزل

اقتراحي هذا عند رغبته . وقلت له ارى انه ينبغي له أن يطلعني على سير الامور لأنني لم اتلق منه نبأ منذ ٣٤ ساعة وبعثت بصورة هذه البرقية إلى المقر العام .

« ارتفع النهر ٣ اقدام و ٢ ١/٢ العقدة في ٢٤ ساعة مضت . فمياه الفيضان في الحصن ارتفعت عقدة فوق الحد الذي بلغته في الفيضان العالي السابق والارض الواقعة بين خنادق العدو وخنادقنا مغمورة بالماء وقد بلغ عمق الماء في طريق المواصلات الاحتياطية في القسم الشمالي الغربي من خطوط الدفاع ١٥ عقدة وقد استخدمت كل جندي لانشاء السدود لدرء شر الفيضان » .

ولم نستطع منابأة الفيلق أو المقر العام بالتلغراف اللاسلكي مدة من النهار لأن حالة الهواء كانت تحول دون ذلك . وفي الساعة ٤ بعد الظهر استدعيت محطتنا اللاسلكية للمنابأة ولكن الاحوال الجوية حالت دون تسلم الرسالة . واصابت شظية قنبلة الملازم « غرينوود » آمر التلغراف اللاسلكي اثناء عودته من تفقد شؤ ون الاسلاك الجوية فجرحته جرحا خفيفاً .

وفي الساعة ١٠ تلقيت برقية من غورنج جواباً على سؤالي هل يريدني أن اطلق النار على مخاض المقاصيص في الليل . وهذا جوابه : ـ « لا تفعل ذلك في الوقت الحاضر لأنني ارى الافضل أن تحتفظ بالعتاد لوقت آخر » . وما زال الدهش آخذاً مني لعدم ذكره شيئاً يتعلق بقتاله في ذلك اليوم .

وجاء إلي القس المستر « سبونر » بعد الظهر وانبأني بأنه يتفاءل بذلك اليوم فألا فيه كل الخير . واراني القطعة المختارة لذلك الاسبوع وكان ذلك اليوم الاحد الرابع من الصوم الكبير وإلى القارىء الصلاة المختارة لذلك اليوم : ـ

« نضرع اليك ايها المولى القدير نحن الذين نستحق القصاص نظراً إلى الذنوب التي ارتكبناها أن تشملنا بنعمتك ورحمتك وتمن علينا بالخلاص من هذا المأزق طالبين هذا باسم ربنا ومخلصنا يسوع المسيح . آمين » .

وكان هذا القس عوناً قوياً لي طول مدة الحصار لأنه كان على الدوام مشجعاً

لنا وباسلا تحت انصباب النار ومحبوباً عند الجنود . فلن انفك عن احترامه واجلاله ومحبته ما دمت حياً .

وعلمت من برقية نشرها « رونر » وتناولتها في ٥ نيسان أن مسألة زحفنا على بغداد بقوة غير كافية وضعت على بساط البحث فراقتني جداً مطالعة تلك الاخبار وهي : -

« سأل برسفورد في مجلس اللوردات هل اخذ رأي الفريق طاونزند في أمر تجريد الحملة على بغداد ؟ وهل كانت قوته دون الفرقة عند شروعه في الزحف ؟ وهل لم تقتض تلك الحملة أن يوضع تحت قيادته ثلاث فرق ؟ ومن المسؤول عن الزحف على طيسفون هل هو طاونزند ام نكسن ؟ فاجاب اللورد اسلنغتن أنه لا يستطيع الاجابة على السؤال الاول المتعلق بما جرى قبل الزحف وأن لا علم له بأن طاونزند رفع إلى نكسن احتجاجاً يتعلق بالزحف على طيسفون الأمر الذي وافقت عليه حكومة العاهلية بناء على اقتراح نكسن وحكومة الهند . وقال اللورد كروا كمالا لبيان اسلنغتن ما من حادثة من الحوادث الحربية نستطيع أن نستشهد بها على أن الحكومة امرت قائداً برياً أو بحرياً بأن يقوم بحركات حربية بقوات رآها ذلك القائد غير كافية لانجاز مهمته . وقد قال اللورد كرو هذا القول بلا ادنى تحفظ . وهنا انتهت المناقشة في مجلس اللوردات » . واقول في بيان اللورد كرو الاضافي هذا أنه كان جواباً مبهماً لا يشفي غليلا .

وفي صباح ٧ نيسان باكراً تلقيت برقية من الفيلق تاريخها ٦ نيسان في الساعة ١:٢٣ بعد الظهر وهي : -

« استولينا امس بعد الظهر على موقع ابي رمان . واستولينا على الخنادق الواقعة إلى شمال عطفة الفلاحية بالحملة التي قمنا بها امس . واليوم صباحاً هجمنا على ميسرة موقع الصناعيات فثبتنا اقدامنا على مسافة ٤٠٠ يارد من هذا الموقع حيث نحن متحصنون الآن » . (إن تلال ابي رمان الرملية واقعة على الضفة اليمنى قبالة الصناعيات وفي المحل الذي عسكرت فرقتي فيه عسكرة عراء قبل

زحمي إلى التحيلات لحوص معركة كوت الامارة والملاحية والصاعيات وافعتان على الصفة اليسرى)

فعلمت من هذه البرقية أن عوريح قد قسم قواته على كلتا صفتي النهر وأنه يهاجم العدو بكلتا القوتين ولم اعلم شيئاً عن ترتيب قواته وخططه وكنت اشكو ذلك بلا انقطاع رافعاً الشكوى اليه وإلى المقر العام

وفي ٧ نيسان الساعة ٤٥ ٦ سمعنا قصف مدافع شديد على الصفة اليسرى وخلنا أن ذلك القصف كان بالقرب من الصاعيات وحول الساعة ١٥ : ٧ قبل الظهر كان القصف مستمراً على شدته . وكان الجنود وعرب البلدة في هرج ومرج وارتفعت اسعار الربية ارتفاعاً عظيماً بين العرب وملأ الحبور والجذل قلوب الجنود . وكان الناس مزدحمين على سطوح المنازل يشاهدون دخان القنابل عن بعد في اسافل النهر .

وانقطع القصف في الساعة ٣٠ : ٧ وعقب ذلك سكوت عميق . واستؤنف اطلاق المدفعية الثقيلة في الساعة ٣٠ : ٩ ودام ذلك إلى الساعة ٢٠ : ١٠ حين اخذ في التناقص . واطلقنا الصباح كله القنابل على مخاض المقاصيص ولكن السراب ارغمنا على قطع النار في ٣٠ : ١٠ قبل الظهر . وفي هذا اليوم تلقيت برقية من المقر العام تتعلق ببرقية وصلته من وزير الحربية وفيها أنه يدعي بعضهم بأنني رفعت احتجاجاً رسمياً على الزحف على بغداد قائلا في ذلك الاحتجاج أن قوتي غير كافية . وطلب مني في هذه البرقية أن ابعث بما اقوله في هذا الشأن بالتلغراف فاجبت بما يأتي :

« هذا هو جوابي الذي ارجو منكم ارساله بحرفه لكي لا يقع سوء فهم في المسألة . لا شك على الاطلاق في أنني قلت بأننا نخاطر مخاطرة جسيمة بمواصلة تعرض سوقي على بغداد بفرقتي الضعيفة وحدها التي كانت افواجها البريطانية قد باتت على نصف قوتها السابقة فقط وقد سد الفراغ الذي احدثته فيها كل الخسارة التي تكبدناها في معركة الكوت بجنود من الهند وكان اولئك الجنود من المستجدين الذين تنقصهم الخبرة وكنت حينئذ على مسافة تزيد على ٣٠٠ ميل من البحر ولا

جنود اخرى تعضدني . وفضلا عما تقدم علمنا من حركات خاليبولي أن الترك كانوا يشاغلون جنودنا ويصدونهم في تلك الساحة فلم يبق شك في أن الترك سيحرزون قواتهم في العراق لحماية بغداد . أجل أن السر جون نكسن اطلق لي الحرية التامة في الحركات منذ الشروع في وقعة كوت الامارة في شهر أيار حتى اليوم واتخذني مكان ثقته ولكنني لما كنت قائداً مرؤوساً صعب علي جداً ان ابدي رأياً في امر لم يطلب مني ابداء رأيي فيه . ومع ذلك شعرت بأن الواجب يقضي علي بأن ابسط لقائد الحملة وجه الخطر في اقدامي على مهاجمة موقع طيسفون المنيع واحتلال بغداد بقوتي هذه . وبعد أن بسطت وجه الخطر اطمأن بالي وتأهبت للعمل بكل أمر يصدره إلي . وبناء على ذلك بعثت ببرقيتي العامة المرقمة ١٢٠ (وليست « ب ») والمؤرخة ٣ تشرين الاول من العزيزية حيث توقفت اثناء مطاردة الترك بعد وقعة كوت الامارة لأني الفيتهم قد لموا شعثهم في طيسفون . وهذه هي الكلمات التي عبرت فيها عن وجه الخطر في الاقدام على تلك الحركة : ـ « اما إذا رغبت الحكومة في احتلال بغداد فارى أن هذه الحركة تقتضي حتما الزحف على صورة منتظمة من الكوت بقوة مؤلفة من فرقتين (اي فيلق واحد) أو بفرقة تعضدها فرقة اخرى قريبة منها ما عدا قطعات خط المواصلات التي تحمي هذه المواقع المهمة وهي العمارة والاحواز والناصرية والا خاطرنا بقوتنا مخاطرة عظيمة » .

« واعتقد أن هذه الكلمات تعبر تعبيراً كافياً عن الخطر الذي المعت اليه . واعتقد أن قائداً مرؤوساً لا يستطيع أن يعمل اكثر مما عملته أنا اما الاحتجاج بكل معنى الكلمة فليس مما يجيزه الضبط العسكري .

« وازيدكم علماً بأنني قلت للسر جون نكسن قبل وقعة كوت الامارة أنني اتوقع أن لا اكتفي بقهر الترك في مواقعهم في كوت الامارة بل اتوقع أن اهزمهم شر هزيمة كما فعلت بهم في القرنة إذ ادير حركات المطاردة بنفسي كما فعلت في القرنة وإذا سنحت لي الفرصة ادخل بغداد على اثر العدو المنهزم واخاطر المخاطرة التي اقدمت عليها في شهر أيار حين احتلال العمارة . ولكن الترك تجمعوا في طيسفون فاصبحوا قوة هائلة لذلك توقفت في العزيزية . وعلمت الشيء الكثير

عن الحوادث التركية في العراق وبرهن لي ما لقيه في دفعه الكوت على ان الجنود الذين قاتلهم في هذه الوقعة غير الجنود الذين قاتلهم في القرنة ورأيت انهُ يجدر بي أن اكون على حذر وأن الاستيلاء على بغداد يقتضي قوة لا تقل عن فيلق .

« وقد ذكرت لكم هذا لابرهن لكم على أنني في اول الأمر كنت افكر في دخول بغداد وأنني اتحمل كل التبعة في الاعمال التي قمت بها في هذا الصدد » .

وجواباً على احتجاجاتي المتنوعة على انقطاع الاخبار عني تلقيت برقية من غورنج في الساعة ١٠:٤٠ قبل الظهر يقول فيها انهُ ابرق إلي ظهر امس وفي اليوم الذي قبله وانهُ سيوافيني بالانباء في كل يوم ظهراً . وقال لي : نفضل أن اقطع النار عن المخاض في الوقت الحاضر لأن تأثير النار سيكون اشد مما هو الآن عندما يقترب غورنج من ذلك المكان فيصبح على مسافة تؤثر نيران مدافعه كذلك في هذا المخاض وبهذه الواسطة نستطيع منع كل حركة تجري على جانب النهر الآخر بنارنا المتحدة . وانهُ قد تقدم في الليلة السابقة (٦ نيسان) على الضفة اليمنى وقد اعتصم في موقع امامي يستطيع منهُ اطلاق النار الجنبية على موقع العدو في الصناعيات وهو متأهب للاستيلاء على هذا الموقع . وقد عرقل فيضان النهر حركاته امس ولكن جميع سدوده اصبحت الآن منيعة ازاء الفيضان .

وخولني المقر العام في هذا الوقت أن امنح من اشاء منحه من الجنود البريطانيين « وسام السلوك الممتاز » مكافأة لهم على البسالة التي برهنوا عليها في الدفاع ولي أن امنح من هذه الأوسمة عشرين وساماً وكذلك أن امنح اربعين وسام من اوسمة « الخدمة الممتازة » وعشرة اوسمة من اوسمة « الاستحقاق » اوزعها على القطعات الهندية مكافأة لهم عما قاموا به بعد الانسحاب من طيسفون إلى الكوت اي من ٣ كانون الاول . وعلى هذه الصورة اهتمت الحكومة بمكافأة الجنود البريطانية والضباط والجنود الهندية ولكنها لم تكرم الضباط البريطانيين أو تكافئهم عما قاموا به في معارك القرنة وكوت الامارة وطيسفون ما عدا وسام أو وسامين من اوسمة « الخدمة الممتازة » و « الصليب العسكري » منحتها لبعض الضباط الاعوان .

وفي ٧ نيسان الساعة ٩ بعد الظهر سمعنا قصف مدافع شديد جداً في الصاعيات . وفي ٨ نيسان ابرقت إلى الفيلق باعثا بصورة البرقية إلى المقر العام وهي : -

«شاهدنا امس الساعة ٥ بعد الظهر قوة من الخيالة مؤلفة من ١٠٠٠ فارس في المربع ٢٧ د وكانت هذه القوة تسير من الشرق إلى الجنوب الغربي نحو جسر الحي فعسكرت هذه القوة بالقرب من ذلك الجسر ولا نشاهدنا اليوم . وقد اطلقنا اليوم قنبلتين على حصن المقاصيص فاوقعنا الاضطراب الشديد في النقلية التي كانت متجمعة هناك . ولم نشاهد في ٧ نيسان شيئا يستحق الذكر في المخاض . واصبحت الباخرة السمانة قائمة بعملها على ما يرام الآن . وانقطعت مطاحني عن العمل نظراً إلى نفاد الوقود ولدي طعام يكفينا إلى ١٥ نيسان » .

وابرق إلي « غورنج » في ٨ نيسان الساعة ١ بعد الظهر هذه البرقية : -

« سأشرع في الهجوم غداً عند بزوغ الفجر واتوقع على موقع الصناعيات » . فابرقت مجيبا « غورنج » على هذه البرقية باعثا بصورة برقتي إلى المقر العام فقلت أنني لا اريد ازعاجه ابان تراكم الاشغال وانهماكه في امور كثيرة تقتضي اعمال الفكر فيها . ولكنني ارى أنه ينبغي له أن يوافيني باخبار اسهب من الانباء التي يبعث بها إلي ولو كان بسطر أو سطرين ينبئني فيهما عن سير الامور سواء كان حسنا أم رديئا . وليس لدي من الارزاق سوى ما يكفيني سبعة ايام مع ارزاق احتياطية تكفيني يوما واحداً . وإذا علمت بحراجة موقف غورنج بادرت إلى تخفيض مقدار الارزاق اليومية التي نقتات بها . إلى أن قلت « أن جميع الاسباب العسكرية تحتم عليك بأن تسهب لي في الاخبار التي توافيني بها » .

فهل كنت مخطئاً في طلبي هذا ؟ اعتقد بأنني لم اخطىء . فاذا كنت مخطئا ارجو من « غورنج » أن يسامحني . وليعلم القارىء أننا بتنا على احر من الجمر مدة تزيد على الاربعة اشهراً بقطع النظر عن المحن والمشقات التي المت بنا ابان حركات طيسفون والانسحاب إلى الكوت . واعتقد أن كل جندي يفقه شدة المشقات والمحن التي كنا ننوء تحتها .

فابرق المقر العام إلى غورنج باعثاً بصورة البرقية إلي وهي -

« لا يشك القائد العام في انك عالم بأن الضرورة تقضي عليك بمواصلة طاوزند بالانباء الوافية عن سير حركاتك »

وفي ٩ نيسان (الاحد) ابرقت إلى المقر العام طالباً منه أن يطلعني على النتيجة التي اسفرت عنها الهجمة التي قام بها « غورنج » في فجر ذلك اليوم . لأننا سمعنا حينئذ قصفاً شديداً جداً من الساعة ٥ إلى الساعة ٦ قبل الظهر . فاجابني المقر العام : - « أن الفرقة الثالثة عشرة حاولت الحملة على الموقع عند بزوغ الفجر . فشعر الترك بالزحف عندما اصبحت طلائع القوة على مسافة ١٠٠ يارد منهم فوضعوا الجنود عنوة في الخنادق وشرعوا في اطلاق نار حامية جداً علينا . ففشلت الفرقة في سعيها لبلوغ خندق نار العدو لذلك حفرت خنادق واعتصمت فيها واقرب مفرزة منها قد باتت على مسافة ٣٠٠ يارد من موقع العدو . اما الآن فالفرقة تعيد تنظيمها وتنقل الجرحى وتستريح » .

وقد قال لي خليل باشا بعد ذلك عن هذه الوقعة أن سبب فشل الفرقة الثالثة عشرة انهُ لم يكن هنالك قطعات تعضدها لمواصلة الهجوم . فكانت بلا عمق .

إنني لم اقف وقوفاً تاماً على حقيقة ترتيبات « غورنج » ابان هجومه ولكنني استنتج مما اتصل بي علمه انهُ كان يزحف على كلتا الضفتين بقوتين متعادلتين .

وإلى القارىء رأيي في هذه الحركات على ما دونته في مفكرتي وهو إذا كان هدفه الاصلي قوة العدو الكبرى المرابطة على الضفة اليسرى يقتضي أن يضع قوته الكبرى على تلك الضفة لأن قوة العدو الكبرى متحصنة في الخنادق هناك ويتحتم عليه أن يضع قوة صغرى على الضفة اليمنى تكفي لمشاغلة قوات العدو المرابطة هناك . وعلى هذه الصورة يراعي قاعدة الاقتصاد في القوة وبذلك يحصل غورنج على قوة كبرى تستطيع بحجمها وعمقها من التغلب على العدو . فلو قسمت قوتي في وقعة كوت الامارة كما قسم غورنج قوته لخرجت من المعركة خاسراً بدلا من نيلي الظفر التام فيها . وليس ما يحملني على هذا الانتقاد سوء نيتي بل اشكر كل الشكر

لايلمر وغورنج الجهود العظيمة والهمة العالية والبسالة الفائقة التي انطوت عليها مساعيهما . وجل ما افعله أنني انتقد ترتيباتهما على الطريقة التي انتقدهما فيها لو كنت مديراً للمناورات التي يجرونها ابان التسليم .

وكانت الاخبار اخبار سوء لم يبق شك في امرها وايقنت أن النجدة لا تستطيع فك الحصار عني قبيل ١٥ نيسان .

وابرقت إلى المقر العام منبئه بوصول برقيته وقلت له بأنني لم اتلق نبأ من غورنج . وقلت كذلك أنني قد استنتجت مما رواه المقر لي أن مقدرة غورنرج على فك الحصار عني مشكوك فيها. لذلك خفضت الارزاق اليومية فجعلتها ٧ أونسات في اليوم وبهذه الواسطة اتمكن من الثبات إلى ١٧ نيسان. فبعد فشل ايلمر في الحركات بت اشك في مقدرة غورنج على فك الحصار عنا . وقلت كذلك أنني اعتقد بأن خسارة غورنج فادحة جداً. فلا بد لنا من الصبر على هذه الامور . فاذا فشل غورنج في مسعاه لا يقبل الترك منا شرطاً من الشروط بل التسليم بلا قيد ولا شرط إلا إذا سرنا على المنهج الذي اقترحه السر برسي لايك في برقيته بتاريخ ٣٠ آذار . فاذا وقعت الكارثة - اي إذا لم يقبل منا الترك شرطاً - فاقترح بأن اخرق نطاق الحصار في اسفل النهر بالباخرة السمانة ومعي سبعمائة أو ثمانمائة من خيرة الرجال الذين تستفيد منهم الحكومة اعني الاركان ورجال المدفعية والمهندسين والطيارين ورجال التلغراف اللاسلكي وهلم جراً . وطلبت إلى الحكومة الموافقة على اقتراحي هذا على أن يظل باقي رجال الحملة في الكوت بقيادة اصغر امير لواء لمفاوضة العدو في شروط التسليم . ولا يخفى أنني لا اقدم على هذا العمل قبل علمي بأن الترك لا يقبلون بشرط آخر غير التسليم .

وكان القمر بدراً في ١٧ نيسان . فقلت قد يحدث ما لا نتوقعه فينحسب الترك فجأة كما انسحبوا في وقعة الشعيبة . أو أنهم لا ينسحبون . واعتقد أن عزائمهم اشتدت لأنهم شرعوا في اطلاق المدافع مرة اخرى . فاذا خامر السر برسي لايك شك في فوز غورنج النهائي أفليس الافضل أن افاوض الترك وعندي شيء من القوت ؟ وقلت أنه يجب أن يفاوض قائد النجدة الترك في هذا الأمر .

وإنه لا امل لي على الاطلاق في الخروج براً ولو كان خروجي من جهة الحصن . فخنادق العدو كانت احدى عشرة قدماً عمقاً وست اقدام عرضاً وقد غمر جميعها ماء الفيضان الذي وصل خنادقي وكان نهر دجلة الذي لا يستطاع عبوره يعترضنا في جميع الجهات الاخرى وفضلاً عن هذه المشقات كانت القطعات على حالة يرثى لها من الضعف على ما بينته في جميع البرقيات التي ارسلتها في الآونة الاخيرة .

وفي ٩ نيسان حول الساعة ١١ بعد الظهر تلقيت هذه البرقية من غورنج : - « هجمنا على خنادق الصناعيات مرة اخرى في هذا الصباح ولكننا فشلنا في مساعينا . والآن نقوي مواقعنا على اقرب مسافة من خنادق العدو ونسعى سعياً حثيثاً في انجاز تأهبنا للاعتصام في خنادق نحفرها في مكان اقرب إلى العدو من المكان الذي نحن فيه الآن للهجوم على الترك مرة اخرى وقد عرقل فيضان النهر على الضفة اليمنى مساعينا فامتد الفيضان من شرق تلال ابي رمان وغربها اي ام ابراهيم ونحاول الآن ازالة هذه الصعوبة . والعدو معتصم اعتصاماً منيعاً في الصناعيات . وقد انبأتنا الطائرات بأن الترك معتصمين في بيت عيسى[1] وقد رابطوا في موقعي السن والدجيلة على ضفتي النهر وأن معسكر الخيالة هو في العتبة . والخيالة تتحرك في كل يوم على مرتفع « الجميلات » لأن للترك موقعاً هناك » .

ومما لا ريب فيه أن هذه هي المرة الثانية التي فشل فيهاغورنـج في هجومه على موقع الصناعيات . ونظراً إلى كوني غير واقف على تفصيل الحوادث ارى أن موقع الحنة الذي استولى عليه غورنج قبل هجومه على الصناعيات كان موقعاً امامياً فقط ومحصناً تحصيناً خفيفاً يستر موقع العدو المهم في الصناعيات .

ولم اجد في هذه البرقية ما يحملني على الارتياح لأن غورنج انبأني بأنه سيعتصم في ذلك المكان مرة اخرى . ولاءم عمل غورنج هذا الترك كل الملاءمة

(١) وهو بيت عربي صغير قائم على ضفة النهر .

لأنهم كانوا اسرع وافضل منا في التحصن . ولم اكن واثقاً من تلك الخطة وعبرت عن رأيي هذا للمقر العام ببرقية بعثت بها اليه . وقلت « لقد امرت بتخفيض الارزاق اليومية من دقيق الشعير الذي يعطي لجميع البريطانيين والهنود فجعلتها خمسة اونسات . ولا استطيع أن اسد بعد الآن حاجة الجنود إلى الدقيق . فعندي لحم الخيل الذي حلل اكله لهم رؤساء دينهم وقد قصرت مدة ثباتي على الحصار مقدار شهر واحد على اقل تقدير نظراً إلى عدم امتثالهم فتوى اولئك الرؤساء لذلك لم يبق في نفسي ذرة عطف عليهم في أمر طعامهم . واعتقد أن تخفيض الارزاق يمكنني من الثبات إلى ٢١ نيسان وسأنبئكم بما يتم في هذا الشأن ببرقية اخرى . وهل النجدات لسد الفراغ الذي احدثته الخسائر في صفوف الفيلق قادمة على الطريق وهل هذه النجدات قد اصبحت قريبة منكم بحيث تجعل كفة الميزان راجحة في جانبكم ؟ إن سدودنا تمنع طغيان المياه علينا . وإذا سقطت الكوت احتجنا إلى طعام ترسلونه الينا بالسفن بمقتضى شروط هدنة تعقد مع العدو . إذ ليس لدى الترك طعام يستطيعون الاستغناء عنه لاعطائه لنا » .

وفي ١٠ نيسان ابرقت إلى غورنج اقول : ـ « لا علم لي بمقدار قواتكم ولم تصلني انباء مفصلة بشأنها استطيع قول كلمتي فيها ولكنني اعتقد أنها جسيمة . وقد خفضت الآن الارزاق من الدقيق إلى خمسة اونسات في اليوم للجميع من بريطانيين وهنود على اختلاف رتبهم واعتقد أنني بهذه الواسطة اتمكن من الثبات إلى ٢١ نيسان ولكن اطعام الجنود على هذه الصورة لا يبقي فيهم همة للقيام بحركات شديدة . فهل تريدون اطالة مدة الحصار الآن ام تنوون محاولة فك الحصار عني إلى ١٥ نيسان ؟ واملي أن النجدات وصلتكم لسد فراغ صفوفكم . واعلموا أن الترك يحسنون عمل حفر الخنادق والاعتصام فيها هذا إذا لم اقل انهم يفوقوننا في ذلك ولكنهم دوننا إذا جرى القتال في الميدان المكشوف خارج الخنادق » .

ويتبين للقارىء مما ارويه من حصار الكوت أنني كلما رأيت النجدة تخفق في مسعاها سواءاً ردها العدو على اعقابها ام صد زحفها خفضت مقدار الارزاق التي

اوزعها على الجنود لكي يتسع المجال لقائدها لنقل نجداته . ولنا من جميع تواريخ الحصار أن المضرة العظمى التي تنشأ عن اطعام الجنود على هذه الصورة تنحصر في اضعاف قوة الحامية البدنية اضعافاً هائلا فتكاد أن تتلاشى من جراء ذلك شجاعة الجنود وينقطع حبل املهم ولا يبقى لهم قيمة حربية فما قولكم في مقدرة جنودي البواسل في معركة طيسفون يوم طرد ٨٢٠٠ جندي ماش فقط منهم قوة تركية تتراوح بين ٢٠٠٠٠ و ٢٤٠٠٠ مقاتل تركي من خط استحكامات العدو ومعاقله الاول ! ثم ان هؤلاء الجنود برهنوا مرة اخرى على مقدرتهم على القتال ابان الانسحاب من طيسفون إلى الكوت انسحاباً منطوياً على خير نظام وضبط حتى انهم شتتوا شمل مقدمة الجيش التركي الزاحف المؤلفة من اثني عشر الف مقاتل وردوها على اعقابها بلا انتظام فواصلت انسحابي على عين ذلك النظام التام كأنني اقوم بمناورات حربية ابان السلم في « شرق انغلية » وقد حول الحصار الطويل هؤلاء الجنود انفسهم إلى جنود ضعفاء خائري العزيمة . فقد حل اليأس الشديد محل الامل القوي . واقول هذا في معظم الجنود الذين تتألف منهم قوتي وهم الهنود . أما البريطانيون فهم على سابق عهدهم من الصلابة والنشاط وهم ملاذي الامين الذي الجأ اليه في الملمات . فلولا افواج « نورفوك » و « دورست » و « اوكسفور » (الذين امسوا الآن ـ ويا للاسف ـ هياكل عظام ـ وهم الذين برهنوا على الاقدام والبسالة الفائقين في وقعت طيسفون حيث صبروا على شدة وطأة المعركة) وجناح فوج « وست كنت » (وهم « الخمسون » الذين ذاع صيتهم) وفوج « رديف همشير » ومفرزات الجنود البحرية لسقطت الكوت على ما اعتقده في اواخر آذار .

ولا يخفى أنني استثني جانباً عظيماً من الهنود في ابداء حكمي هذا . ففوج الغركة السابع مثلا قاتلوا قتالا مجيداً وكنت اعول عليهم تعويلي على الجنود البريطانية . وانما لا بد لي من القول أن معظم الضباط البريطانيين في ادوار الحصار الطويل الاخيرة كانت ثقتهم في الهنود ضعيفة . فالطبيعة لم تبنهم للثبات ازاء الملمات والكوارث كالاوربيين الذين لا تنثني لهم عزيمة .

وفي ١٠ نيسان نشرت البلاغ التالي على القطعات التي كنت اقودها : ـ

« إن هجوم النجدة على مواقع الترك المستحكمة في الصناعيات اسفر عن عدم استطاعة هذه النجدة من الاستيلاء على تلك المواقع حتى الآن ولكنها قد تحصنت بالقرب من الترك في اماكن يتراوح بعدها عن العدو ۲۰۰ أو ۳۰۰ يارد. فقد ابرق إلي الفريق غورنج في الليلة الماضية انهُ بحكم موقعه على اقرب ما يستطاع إلى خنادق العدو للهجوم على الترك مرة اخرى . وقد لاقى بعض الصعوبة من الفيضان ولكنه قد درأ شره عنه الآن .

« وليس لدي اخبار اخرى ارويها لكم . واعلموا أنني لا اخاطر بمخاطرة اخرى بتحديد اجل الحصار إلى بعد التاريخ الذي تنضب فيه ارزاقنا على تقدير العارفين اي ١٥ نيسان . ولا يخفى عليكم أن التحصن يعني التأخر وإن لم يقل الفريق غورنج ذلك .

« لذلك تروني مرغماً على الاستنجاد بكم لتعاونوني على مداجل الحصار بتوفير الارزاق القليلة المتيسرة لنا لكي استطيع الثبات الاكيد إلى أن يصل رفقاؤ نا وإني لعالم أن استنجادي بكم لا يذهب سدى .

« لذلك يتحتم علي أن اخفض مقدار ارزاقنا اليومية فاجعلها خمسة اونسات للجميع من بريطانيين وهنود .

« وعلى هذه الصورة استطيع الثبات إلى ۲۱ نيسان إذا اقتضى الأمر والواجب يقضي علي باتخاذ كل الحيطة التي استطيع اتخاذها .

« وإني لشديد الاسف لعدم استطاعتي سد حاجة الجنود الهنود إلى الدقيق ولكن ما العمل وأنا لا اتمكن من ذلك الآن ؟ ولنعلم أن عندنا كميات وافرة من لحم الخيل وقد حلل رؤساء الدين في الهند اكل هذا اللحم ولكنني اقول آسفا أن عدم امتثال الجنود الهنود هذه القوى المنطوية على الحكمة والانصاف قد قصر مدة الحصار شهراً .

« وقد قلت لكم في البلاغ الذي نشرته عليكم في ٢٦ كانون الثاني أن واجبنا بسيط صريح وهو الثبات لصد الزحف التركي على دجلة والعمل لبلوغ هذه الغاية

قلبا وقالبا . وافصحت عن املي في أننا سنخلد دفاعنا المجيد هذا في بطون التاريخ وذكرتكم آنئذ بدفاع بلاونة الذي دام اكثر من دفاع لايدي سمث .

« فاقول لكم الآن انكم قد انجزتم مهمتكم بشرف وقد برهنتم برهانا شريفا على انكم موضع ثقتي واعتمادي في ما اطلبه منكم واعلموا أن العاهلية البريطانية باسرها تلهج الآن بذكر الدفاع عن الكوت

« وستفخرون جميعا بانتسابكم إلى حامية الكوت وقد صبرنا على الحصار مدة اطول من صبر حاميتي بلاونة ولايدي سمث على حصارهما . فلا لوم علينا ولا تثريب في كل ما يقع الآن لأننا جميعا قد قمنا بواجبنا واقول لكم ما قلته في التقرير الذي وضعته في الدفاع عن هذا الموضع ورفعته بالتلغراف إلى المقر العام وهو أنني لا استطيع ذكر اسم كل شخص في البلاغات البرقية ولكنني استطيع القول غير خائف لومة لائم أن كل فرد من افراد هذه القوة قد قام بواجباته نحو ملكه وبلاده . واعيد لكم رأيي الذي افصحت عنه في ٢٦ كانون الثاني من أنني كنت مطمئنا كل الاطمئنان إلى النتيجة النهائية وواثقا كل الثقة من أمر مصيرنا بعد هذا الدفاع ولم ازل كذلك الآن . فاطلب منكم ايها الرفقاء بريطانييكم وهنودكم على اختلاف رتبكم أن تعاونونني الآن في مسألة الطعام على الصورة التي بسطتها لكم .

كوت العمارة	الفريق الثاني
في ١٠ نيسان سنة ١٩١٦	« جارلس طاونزند »

واسفر استنجادي بالجنود على هذه الصورة أن ٥١٣٥ من الجنود الهنود ومنهم الاتباع شرعوا في اليوم التالي في اكل لحم الخيل . وفضلا عن هذا البلاغ وزعت مذكرة على آمري الالوية طالباً منهم أن يعمدوا إلى الشدة في معاقبة كل من يجرأ من الضباط على التفوه بكلام من شأنه تثبيط العزائم . وقد أوردت لهم مثلا من حادثة وقعت فعالجتها .

وجرى حديث طويل وصريح بيني وبين الفريق ديلامين في خنادق الجبهة الشمالية الغربية في ١٠ نيسان بعد الظهر وتناول بحثنا جميع الشؤون . وكلانا

اتفقنا على انهْ إذا اتيح لغورنج الآن طرد الترك من موقعهم فحظه سعيد جداً . ولا ريب في أن الترك سينشئون خط خنادق آخر غير الخط الموجود الآن في مدة يوم أو يومين .

وقد همني على صورة خاصة امران من الامور التي جرت في هذه الحركات من بدئها إلى انتهائها وهما : ـ

اولا : إن النجدة كانت على الدوام متأخرة شهراً في حركاتها وكان ينقصها بلا استثناء فرقة من الجنود .

ثانياً : كانت النجدة على الاغلب تهمل أمر القواعد الاساسية للاقتصاد في القوة أو تعبث بهذه القواعد فكنت ارى النجدة على الدوام تضع قوة صغرى يفوق عددها العدد المطلوب على الضفة اليمنى لا تجري عليها المعركة الكبرى . فلم تكن قط القوة الكبرى الموضوعة على الضفة التي تجري عليها المعركة كبرى كافية للفوز في تلك المعركة .

وفي هذا اليوم عينه تلقيت برقية من المقر العام يقول فيها أنه لا شك في أن غورنج سيتمكن من شق طريق لقوته إلى الكوت في الوقت المطلوب . ونظراً إلى فشله في وقعة امس يصعب عليه جداً بلوغه الكوت قبيل ١٥ نيسان . وقال المقر أن هنالك طريقتين استطيع بهما اطالة امد الحصار وهما : ـ

١ ـ اخراج جميع سكان الكوت ما عدا بضعة اشخاص منهم ممن استطيع الاستفادة منهم .

٢ ـ نقل الارزاق إلي بسفن تحاول خرق نطاق الحصار ليلا . ولكن امل النجاح في ذلك ضعيف جداً نظراً إلى شدة تيار النهر الذي يقتضي أن تمخر السفينة فيه على مهل ولأن السفن لا تستطيع السير الا في الليل . وعندما تنسد جميع السبل في وجهنا ستوفد السفن وذلك بعد أن تخرق النجدة خط الصناعيات .

وسألني المقر أن انبئه إلى متى يدوم الحصار إذا خرج السكان من البلدة وكيف اخرجهم . وافصح المقر عن اعتقاده بأنني قد فتشت منازل البلدة عن مواد

الاعاشة المخبأة بيتاً بيتاً وإن المفر ينظر في أمر عمر طرف مواصلات العدو على احدى الضفتين أو على كلتيهما

فاحث على هذه البرقية برقية بعثت بها في ١١ نيسان اقول أن مسألة اخراج السكان من الكوت صحيحة من الوجهة النظرية ولكنها مستحيلة من الوجهة العملية فعدد سكان البلدة ٦٠٠٠ . وعند رجوعي إلى الكوت ابان الانسحاب من طيسفون اصدرت الاوامر باخراج جميع السكان من البلدة فتوسط السر برسي كوكس عندي في امرهم فلم اجب طلبه في بادىء الأمر فقلت أن من العادات المرعية في الحروب اخراج السكان من المكان الذي يدافع عنه ولكن ذلك نادر الوقوع . فاجابني كوكس أنه إذا خرج السكان من البلدة هلك جميع النساء والاولاد لأنهم لا يستطيعون حمل المقدار الكافي من الطعام . فاكتفيت بعد هذا بطرد جميع العرب المسافرين والغرباء القاطنين الكوت ويبلغ عددهم ستمائة أو سبعمائة شخص وسمحت لاصحاب البيوت والاسر بالبقاء في البلدة . وكان الترك يطلقون النار على كل عربي وقع نظرهم عليه وهو يحاول الخروج من الكوت . وكان رجال المهيلات مراراً عديدة يفرون زراقات سباحة على القربات ليلا فكانت الربيئات التركية تصليهم ناراً حامية من الضفة اليمنى . وقبل بضع ليال رجع شخص من سكان الكوت الذين نجوا من الترك . فروى أن الترك قبضوا على الجماعة التي كان فيها عند نزولها إلى البر على الضفة اليمنى . فحاكم الترك جميع افراد تلك الجماعة واعدموهم على الفور رمياً بالرصاص اما هو فتمكن وحده من النجاة بنفسه . وفضلا عما تقدم لا تستطيع النساء والاولاد عبور منطقة الفيضان من الجانب البري بين خنادقنا وخنادق العدو لأن الخنادق وطرق المواصلات العميقة مغمورة بمياه الفيضان وقد قضت مفرزة كشافة قبل بضع ليال ساعات من الزمن في عبورها بجسور السلالم . فاذا وضعت سكان البلدة في المهيلات التي عندي ويبلغ عددها الثلاثين بحيث اضع في كل مهيلة مائة أو مائتي شخص اطلق الترك النار على هذه المهيلات فيذبح اولئك العرب ذبحاً هائلا ويردد صدى الفاجعة في قاصي العراق ودانيه ويقول العرب هذه هي حماية البريطانيين

للعرب الذين اصبحوا تحت حكمهم ويكون لهذه الحادثة تأثير سياسي سيء جداً .

واقول بشأن ايفاد السفن لاختراق نطاق الحصار أنني اعتقد أن هذه السفن ستصلنا ولكن العدو سيصليها ناراً حامية من فوهات مدافعه منذ اللحظة التي يشاهدها فيها إلى أن تتوارى عنه . واقول هذا بقطع النظر عما يحل بها في سفرها . فإن النار تطلق علينا من جميع الجهات ولا ستر متيسر لنا لحماية السفن . وقد حمينا السمانة بربط المهيلات حولها وبنينا جدراناً من طين واكياس رمل على هذه المهيلات .

وقد استخرجت من البلدة اثناء الحصار ٩٠٠ طن شعير و ١٥٠ طن قمح و ١٦٠٠ طن سمن . ولولا هذه المواد لسقطت الكوت من مدة طويلة . والآن نطعم ٣٥٠٠ عربي اما الباقون فلم يزل عندهم حتى الآن ما يكفيهم من الطعام ويستطيعون الصبر على الحصار بقدر استطاعتنا . وقد استنجدت بالهنود في هذا الصدد واملي أنني سأتمكن من حملهم على اكل لحم الخيل . وختمت البرقية بقولي أنني استطيع الثبات إلى ١٠ نيسان ولا ارى سبيلا إلى الثبات فوق ما ثبت . وإذا تمكنت السفن التي تجلب مواد الاعاشة من سحب بارجتين استطاعت وصول الكوت وحينئذ تترك البارجتين وتدور وتعود على اقصى السرعة في ليلة من الليالي . وما تجلبه البارجتان يكفي قوتي ١٢ يوماً إذا اعطيت القوة نصف المقدار المطلوب من الارزاق .

وفي برقية اخرى بعثت بها إلى المقر في ١٢ نيسان انبأته بأنني فتشت المنازل بيتاً بيتاً فلم اترك للسكان سوى ٨١/٢ أونس من دقيق الشعير الوسخ في اليوم لكل فرد . ونبهت المقر على الحالة التي امسى عليها جنودي من الضعف لأنهم يقتاتون بخمسة اونسات من دقيق الشعير في اليوم ليستطيعوا الثبات إلى ٢١ نيسان . فاذا لم تصل سفن الطعام إلى ٢١ نيسان اعتقد أن يموت معظم الهنود الذين لا يأكلون لحم الخيل . وقد اخبرني معاون مدير الامور الطبية أن بعضهم يموتون الآن من قلة الطعام والهم واليأس . وقد بلغني مدير القسم الطبي كذلك

تبليغا رسميا انه اذا لم تصل سفن الطعام غدا مات خمسون في المائة من الجنود أو اصابتهم العلل اذا ظلوا في العراق في فصل الحر القادم وذلك من قلة الغذاء ومن جراء الحالة التي امسوا عليها وليست هذه حالة الجنود الهنود وحدهم بل حالة الجنود البريطانية ايضاً فانه سيموت جانب عظيم منهم . وضربت للمقر مثلا عن حالة الجنود اثناء احتلال العمارة في حزيران السنة الماضية بعد وقعة القرنة . ففي مدة اسبوع بلغ عدد المرضى في المستشفى الفاً من لواءين فقط . وقلت في الختام انه اذا قضت التقادير بسقوط الكوت ولا طعام عندنا هنا على ما انبأتكم به في السابق فلا يستطيع الترك أن يطعموا جنودنا لقمة واحدة والافضل بعد ذلك أن نسكت عن الفاجعة التي تمثل فيهم »

وقلت كذلك أن جميع الحقائق التي اوردتها حقائق جارحة يشهد بصحتها كل ضباط وكل جندي من ضباط قوتي وجنودها . ولا اعتقد أن في الدنيا انساناً يتهمني بالتشاؤم .

واستأنفت القول أن غورنج ابرق إلي في ١٠ نيسان قائلا أن كل ما يحتاج اليه هو الوقت . ولكن عطفي الشديد عليه نظراً إلى المساعي التي بذلها والمشقات التي تكبدها لا يمنعني من ابداء رأيي من انهُ إذا تحتم على القوة المنجدة أن تسرع في فك الحصار عن المحصورين وعدم التماهل في ذلك فالحالة التي بتنا فيها تقضي عليه الآن بأن يوحد كل قواته لبلوغ هذه الغاية . إلى أن قلت : « انهُ لا يخفى على غورنج أن كل لحظة يضيعها بتأخره تقوي ساعد الترك في دفاعهم المستكن وتحصنهم . وسيشمرون عن ساعد الجد في تحصنهم إلى أن يهجم عليهم مرة اخرى . واعلموا أن كلا من السر جون نكسن وايلمر كان كذلك يطلب الوقت . فبعد أن اتفقنا أن ادافع عن البلدة شهراً انقضى على حصاري اربعة اشهر ونصف شهر الآن وهو حصار اطول من حصار بلاونة ولا ارى أننا قد فعلنا ما يستوجب تذمر الحكومة منا » .

والآن اروي المساعي التي بذلها قائد النجدة لارسال الطعام إلى الكوت بالطائرات وهو اول حادث من نوعه وقع في الحروب على ما اعتقد لنقل الطعام إلى

قوة محصورة . ولا اتردد في أن اقول أن تلك المساعي ذهبت ادراج الرياح .

فقد طلب إلي المقر أن انبئه بمقدار الطعام الذي احتاج اليه في كل يوم فاجبته أني احتاج إلى ٥٠٠٠ رطل انكليزي (بوند أو لبرة) من دقيق وسكر وشكولاته وملح وسمن معاً . وهذه الكمية من الطعام تمكنني من توزيع ٦ أوقيات (أونسات) في كل يوم على كل فرد من

البريطانيين	وعددهم ٢٩٧٠
و هنود (وبينهم ما يربو على ٣٠٠٠ تابع)	وعددهم ١٠٨٧٠
وعرب البلدة	وعددهم ٣٧٠٠

وطلبت وضع هذه المواد في كيسين الواحد ضمن الآخر لكي لا نخسر الطعام إذا انشق احد الكيسين حين رميه من علو عظيم .

وقال آمر الطائرات الذي كان بصحب قوتي أنه يتمكن من نقل الطعام على هذه الصورة إذا كان الهواء موافقاً فتقوم كل طائرة بثلاث سفرات في اليوم . وطلب أن نسمح له بيومين أو ثلاثة ايام لاعداد معداته ولكنني لم اكن واثقاً من نجاح الطائرات في مساعيها لأن احوال الهواء ستؤثر في ذلك تأثيراً شديداً بقطع النظر عن ما تفعله طائرات العدو فانها ستشاهد عملنا على جناح السرعة فتعترض سبيل طائراتنا . وكان املي اقوى في البحرية . وكان امير البحر « ويمس » قد وصل آنئذ المقر العام وهو من رجال البحرية المشهورين بالشجاعة والكفاية . وعلمت انه سيفعل ذلك إذا كان الأمر مستطاعاً .

ولا يخفى على كل من خدم في الجيش الهندي الصعوبات التي يلاقيها المرء في التعرض لمعتقدات الهنود وشعورهم الديني في أمر الطعام ولا سيما في مسألة اكل لحم الخيل الذي ينفرون منه كل النفور . ولما كانت المسألة مسألة حياة وموت عزمت على ارغامهم على اكل لحم الخيل . ولم استطع قبلا الاقدام على هذا العمل لأن معظم الجنود الهنود في قوتي كانوا من المسلمين وقد ضايقوني مضايقة شديدة ابان الزحف من العزيزية على طيسفون واثناء الدفاع عن الكوت . ولا يليق ذكر تفاصيل ما جرى في هذا الكتاب . وجل ما اقوله أن الترك كانوا طول مدة الدفاع

عن الكوت يضعون رزما من النشرات المحرضة على العصيان مكتوبة باللغة الهندية والاردية وكانوا على الاغلب يرمون هذه النشرات ليلا في اسلاك الخنادق الشائكة فكانت هذه النشرات تحرض المسلمين على الامتناع من مقاتلة اخوانهم في الدين فرارا من عذاب جهنم ووعد الترك الفارين من اولئك الهنود بالزوجات والاراضي . إنني قد خبرت الجنود المسلمين خبرة واسعة في شمال الهند وفي السودان فما من انسان يعطف عليهم اكثر من عطفي عليهم . ولا ينكر احد شدة نفوذ كلمتي فيهم حتى في العراق .

لذلك نشرت في ١٢ نيسان البلاغ التالي على جميع الهنود الموجودين في قوتي وقد ذيلت هذا البلاغ بتقرير معاون مدير الامور الطبية الذي بسط فيه امراً خطير الشأن وهو انهُ يتحتم على كل جندي هندي أن يبادر إلى اكل لحم الخيل للمحافظة على قوته وحياته في بضعة الايام المقبلة . فقلت في بلاغي : « إنني استنجد بكل واحد منكم أن يعضد ملكه وحكامه وحكومته الذين يحافظون عليه وذلك بأن يرعى انذار معاون مدير الامور الطبية اذنا صاغية .

« فقد اذن لكم امراؤكم[1] ورؤساء دينكم باكل لحم الخيل في هذه الايام الحرجة . فمنكم الآن ١٥٣٥[2] يرون الصراحة والبساطة التي ينطوي عليهم واجبهم فيأكلون لحم الخيل للمحافظة على صحتهم وقوتهم .

« وبصفة كوني قائداً عاماً لهذه القوة اصرح لكم تصريحاً لا ريب فيه وهو أنني ساعزل جميع الضباط وضباط الصف الذين لا يستطيعون القيام بواجباتهم حق القيام نظراً إلى امتناعهم من اكل اللحم واعين بدلا منهم اولئك الذين يحافظون على قوتهم باكل اللحم .

« وساضع قائمة باسماء جميع الضباط والجنود الذين لا يقومون بالواجبات

---

(١) وقد جندنا عدداً عظيما من جنودنا من ولايات الهند المستقلة .

(٢) ويشمل هذا العدد عدد التوابع .

التي تطلبها منهم الحكومة وارفع تلك القائمة إلى حكومة الهند لتفعل ما تشاء بهم .

كوت الامارة
في ١٢ نيسان سنة ١٩١٦

الفريق الثاني
«ج. ف. ف طاونرند»

صورة التقرير الذي رفعه معاون مدير الامور الطبية في ١٢ نيسان سنة ١٩١٦ : -

« إن الجنود والتوابع الهنود قد باتوا على وشك الهلاك جوعا. فتخفيض الارزاق اليومية إلى خمسة أونسات لكل فرد- ذلك التخفيض الذي قضت الضرورة بالشروع فيه - سيؤول في اسبوع أو عشرة ايام إلى أن يمسوا على حالة الوهن والانحلال الشديدين فتنقص كثيراً جداً مقدرتهم على المدافعة . ففي ابداء هذا الرأي اقول أن كمية الحبوب التي ذكرتها هي كل الارزاق التي يتناولونها .

« وارى أن تعميم اكل لحم الخيل بين الجنود الهنود يقلل معدل عدد الموتى والمرضى منهم فيخفض كثيراً من الآلام البشرية ويعيننا على منع الهلاك جوعاً ويزيد قوة الجنود البدنية فيصبحون قادرين على الدفاع » .

فتهديدي الهنود بترقية الذين يأكلون اللحم ليحلوا محل الضباط وضباط الصف الذين لا يأكلونه وتنفيذي التهديد في شخص أو شخصين اسفرا عن نتيجة حسنة لانهُ قبل تخييم الظلام طفق ٧٠٦٤ هنديا من جنود وتوابع يأكلون لحم الخيل . ورفض بعضهم الاكل . وبعد يومين بلغ عدد الهنود الذين يأكلون لحم الخيل ٩٣٢٩ شخصاً .

وفي ١٣ نيسان الساعة ٦:٥٥ صباحاً سمعنا صوت اطلاق نار حامية جداً على الضفة اليمنى في اتجاه بيت عيسى . فخلت أنها قوة غورنج زاحفة نحو ذلك المكان . وفي الساعة ٧:١٥ صباحا شرعت في اطلاق مدافع الخمس عقدات على العدو فمنعت بذلك قوة تركية كبيرة من العبور من الضفة اليسرى إلى الضفة اليمنى .

وفي هذا اليوم اتتني برقية من غورنج يقول فيها انهُ ارغم على تأجيل

الحركات لكي تيبس الارض بعد سقوط الامطار الغزيرة . فكانت جميع العناصر الطبيعية من فيضان ومطر وغيرها تعرقل مساعينا على ما كانت عليه في ايام « ايلمر » .

وفي ذلك اليوم عينه تلقيت من المقر العام اخباراً مفصلة عن القتال الاول الذي قامت به النجدة وهي :

« اخلى الترك الحنة وفي ليلة ٤ ـ ٥ نيسان تاركين وراءهم ساقة لصد زحفنا . وفي ٥ نيسان رابط في الفلاحية ثلاثة افواج برشاشاتها فاسرنا منها اثنين واستولينا على الموقع في ليلة ٥ ـ ٦ نيسان . اما الصناعيات فهي موقع منيع جداً ولا يخفى عليكم أن الفرقة السابعة فشلت في سعيها للاستيلاء عليه في ٩ الجاري . ونظراً إلى ضيق الوقت جرت هذه الحركات بلا تقرب منضم تمهيدي ولا تحصن . فالدنو على صورة منتظمة من هذا الموقع بطيء حتما لأن الارض مغمورة بالماء ولأن الليالي المقمرة ترغم القوة على أن تدنو من موقع العدو مستعينة بحفر الخنادق على الاغلب . فقد اتفق قائد الحملة مع غورنج على خطة حركات اخرى اسرع من الخطط السابقة وسنشرع في تنفيذ هذه الخطة . ولا شك في أن غورنج سينبئكم متى تستطيعون معاونته . وتقدر الخسارة التي وقعت في الجنود إلى صباح امس بخمسة آلاف مقاتل وقد عوضنا عن نحو نصف هؤلاء بالنجدات وسنعوض عن باقي الخسارة بعد بضعة ايام » .

فعلمت من هذه البرقية أن ظني كان صادقاً في كون ام الحنة والفلاحية موضعين موقتين في كل منهما حامية ضعيفة .

وفي ١٤ نيسان ابرقت إلى المقر العام وبعثت بصورة البرقية إلى الفيلق : ـ

« اتمكن بالاقتصاد في الارزاق الاحتياطية وجعلها تكفيني يومين بدلا من يوم واحد من الثبات إلى ٢٤ نيسان . وبعد ذلك التاريخ سيصبح معولنا على الطعام الذي تنقله الينا الطائرات ما عدا لحم الخيل الذي يكفينا إلى ٢٩ نيسان . وأملي أن تشرع الطائرات في نقل الطعام الينا في اسرع وقت مستطاع لكي يتجمع

الطعام لدينا قبل ٢٣ نيسان ولا تنسوا سكان البلدة الذين ينبغي لنا اطعامهم كالجنود . وبتخفيض الارزاق اليومية إلى اربعة أونسات لكل فرد استطيع الثبات إلى ٢٤ نيسان . فاذا رأيتم وجوب عملي هذا فانبئوني بذلك ولا يخفى عليكم أن تخفيض الارزاق اليومية إلى ٤ أونسات من الدقيق لكل فرد في اليوم يزيد معدل الموتى . ويأكل الآن ٩٢٣٩ هندياً ـ ومنهم الغركة والتوابع ـ لحم الخيل . وباق منهم ١٥٠٠ شخص يرفضون اكل هذا اللحم . ومن عداد هؤلاء ١٥٠٠ هندي المرضى والجرحى الهنود الذين في المستشفى » .

وكذلك سألت عما يرتأيه امير البحر « ويمس » في أمر خرق السفن نطاق الحصار . فاذا استطاعت الباخرة سحب بارجتين عكس مجرى النهر فتصل الكوت في الوقت المعين فتترك البارجتين وتعود ادراجها تحت جنح الظلام لا اعتقد أن الترك يصيبون الهدف . إلى أن قلت « وقد اطلعني ميلس على اختباره في هذا الشأن اثناء وجوده في الناصرية وقد خبرت أنا هذه المسائل في القرنة » .

وطلبت من المقر أن ينبئني إلى متى يجب أن اثابر على الدفاع . وقلت أنني لا اقصد بهذا حمل غورنج على العجلة ولكنني لما بلغني أمر اعتصامه في الخنادق استولى علي القلق . وارى أن نقل الطعام بالطائرات الوساطة المثلى لاعالتنا فيجب الشروع في ذلك على جناح السرعة . ولا يخفى على المقر وغورنج كمية الطعام الباقية عندي وحالة جنودي الهنود من الضعف لذلك يجب أن لا يتوقعوا مني مساعدة تذكر على ما نعلمه من تاريخ جميع الحصارات .

وتلقيت برقية من الفيلق فيها أنه نظراً إلى حالة الهواء لم تستطع الطائرات نقل الطعام إلي ولكنهم سيوفدون الطائرات في الفرصة الاولى السانحة . وما انفك الهواء والفيضان يعرقلان الاستعدادات للشروع في زحفة كبرى . وكان عمل انشاء الطرق في البطيحة سائراً على قدر ما تسمح به حالة الهواء . وعلمنا من الانباء التي وصلتنا أن الترك يلاقون صعوبات جمة في نقل ارزاقهم على الضفة اليسرى من جراء اتساع بطيحة السويدة وفيضان الماء شمال الكوت لذلك قيل أنهم ينقلون الاعاشة من الضفة اليمنى بقطع النهر إلى الضفة اليسرى . فالفيضان

يزيد صعوباتهم . فلم ار في البرقية ما يحملني على الاطمئنان الكثير . وانبأني المقر بأنه لا يوفد سفينة لاختراق نطاق الحصار إلا إذا سدت جميع الابواب في وجهنا ولكنه يتأهب تأهباً تمهيدياً لذلك وقد اعد سفينة لهذه الغاية

وبعثت بالبرقية التالية إلى حكومة الهند في ١٥ نيسان : -

« اعرض عليكم أمرا يتعلق بجميع الجنود الهنود الذين يأكلون لحم الخيل وهو أنني ارجو منكم أن توعزوا إلى جميع الجباة والحكام السياسيين ومفوضي الحكومات المحلية ليجمعوا جميع مختاري المقاطعات التي تجند من طبقاتها[1] هؤلاء الجنود ويقولوا لهم أن رؤساء دينهم من علماء ومعلمين ومهرجا كيابور اذنوا لهم باكل لحم الخيل وأن كل انسان يجرأ على اهانتهم لاخلاصهم للحكومة في هذا الشأن يقع تحت طائلة معاقبة الحكومة له . واملي من الحكومة أن تتكرم بمنح الاراضي لضباط هذه القوة الهنود الذين ساعدوا الحكومة في هذا الوقت العصيب » .

وقد رأيت أن الضرورة تقضي علي بارسال هذه البرقية لأن الضباط والجنود كانوا يخافون خوفاً شديداً من جراء اكل لحم الخيل . لأنهم كانوا يقولون : « أن الناس في قرانا سيعيروننا باكل لحم الخيل فلا يتزوج انسان بناتنا » . وكل واقف على تقاليد طبقات الشعب الهندي يفهم مغزى كلام هؤلاء الهنود .

وتلقيت برقية من الفيلق فيها أن الفرقة الثالثة استولت عند الفجر على خنادق العدو الواقعة في الخط الممتد من الموضع المشار اليه على الخريطة بالعلامة ١٨ ج ٦ ، إلى الموقع ١٨ ج ٩ ، وهو يواصل زحفه للاقتراب من خنادق العدو في بيت عيسى المتصلة بخنادق الكحيلة . وختمت البرقية بما اعتدت أن اسمعه من الانباء السارة عن ارسال الطعام بواسطة الطائرات من ذلك « أن الطائرات المشحونة لم تتمكن من الارتفاع من جراء الريح ولكنها ستوفد حاملة الاطعمة في اقرب وقت مستطاع » .

---

(١) أي راجبت وراجبوتانة وراجبت الولايات المتحدة والغرة والمهرتة والياط والسيخ وهندو كوجار والبنجار .

وفي ١٦ نيسان بعثت بالبرقية التالية إلى قائد الحملة : ـ

« سري وخاص . هل لكم أن تجيبوني على اقتراحي الذي ابديته في ١٠ نيسان بشأن اختراق السمانة خط الحصار وعليها ستمائة أو سبعمائة شخص من انفع الرجال للحكومة ؟ فارجو من الحكومة أن تبلغني هل تريد أن اخرج مع هؤلاء ام اظل مع معظم الفرقة والمرضى والجرحى للوقوع في الاسر ؟ وليس من سبيل اخر لقائد الحامية المحصورة بمقتضى تقاليد الحصار سوى أن يسلك الصراط المستقيم عند محاولته اختراق نطاق الحصار وهذا العمل ينطوي على كل المخاطرة . والخروج بمعظم قوتي من اربع المستحيلات نظراً إلى ما ابديته سابقاً من أنني محاط من ثلاثة اطرافي بنهر سريع الجريان عرضه يارد لا يستطاع عبوره ومحاط من الجهة الرابعة ببحيرة وفيها خنادق مغمورة بالمياه ووراءها شبكة خنادق مرابطة فيها الجنود التركية . وقد تطوع معاوني في القيادة السر جارلس ميلس بالبقاء .

« وإني لقوي الامل أن النجدة تتمكن من اختراق خط الحصار ولكن بعد الذي سبق وقوعه اعتقد أن دون ذلك خرط القتاد . وإني لشديد القلق من جراء مسألة الطعام . لذلك يقتضي الالمام بجميع المسائل لئلا تفوتنا الفرصة في نهاية الامر » .

وكان الاجدر بي أن اقول علاوة على ما تقدم أنه على فرض أن مياه الفيضان لم تكوّن بحيرة على الجانب البري الوحيد وأن الارض يابسة فإن جنودي البريطانيين انفسهم لا يستطيعون السير إلى الخنادق التركية حاملين عتادهم ومعاطفهم نظراً إلى حالة الضعف والوهن التي باتوا عليها . واقول هذا بقطع النظر عن حالة الجنود الهنود .

والسبب الذي حملني على الوقوف على رأي الحكومة في أمر خروجي مع الجماعة التي تحاول خرق نطاق الحصار في السفينة الحربية السمانة هو لئلا يقال أنني تركت قوتي قيد الاسر ـ اي أنني هجرت تلك القوة . إن اقدامنا على الخروج في السمانة كان موتاً اكيدا لأننا كنا نعتقد أن النهر مسدود بسلسلة حديد وقد تثبتنا من حقيقة تلك السلسلة الآن . ولو سمحت لنا حالة البر بالخروج عنوة لما ترددت

في السبيل الذي انهجه ولشرعت في الخروج . ولكن محاولة الخروج بسبعمائة رجل في باخرة ناركا ورائي ثمانية الاف رجل في الكوت مسألة اخرى . ولم اقف على مثيل لها في التاريخ وانهُ لامر طبيعي أن اقف على رأي المقر العام في هذا الشأن . فمن الوجه الواحد انني إذا تمكنت من الخروج من غير أن اقتل أو اصاب بجرح يحتمل أن اقوم بخدمة نافعة للحكومة ومن الوجه الاخر ان مصيري كان الاسر .

وشرعت في هذا اليوم الطائرات في نقل الطعام . وكانت حالة الهواء والامور الاخرى على غاية الملاءمة للطيران فالقت الطائرة ٣٣٥٠ رطلا انكليزيا (لبرة) من الطعام في الكوت بدلا من ٥٠٠٠ رطل وهي الكمية المتفق عليها . وفي ١٦ نيسان إلى الساعة ٥ بعد الظهر القت ١٣٣٣ رطلا بدلا من ٥٠٠٠ رطل . وسقط كيسان كذلك في النهر مع اننا كنا قد وضعنا علامة كبيرة جداً من الجص على الارض .

لذلك ابرقت في ١٦ نيسان البرقية التالية إلى الفيلق وبعثت بصورة منها إلى المقر العام : ـ

« إن ما جرى يبرهن لنا على أمر جديد وهو إذا لم تستطع الطائرات من أن توصل الينا ٥٠٠٠ رطل في اليوم فلا ارى وجها آخر غير أن تحاول باخرة من البواخر اختراق نطاق الحصار بخمسين طنا من الطعام اخزنه للاقتيات به مدة ١٢ يوماً على معدل ٨ أونسات (اوقيات انكليزية) لكل فرد وهذا يشمل اطعام سكان البلدة كذلك . فلما رأيت من ساعتي أن الطائرات لا تستطيع أن توصل إلي ٥٠٠٠ رطل في اليوم خفضت الارزاق اليومية إلى ٤ أوقيات (أونسات) لكل فرد . وإذا نظفنا هذه الحبوب باتت ثلاث اوقيات فقط من الطعام . وقد ارسلتم سبعة اكياس ملآنة بالربيات ولكن الطعام يجب أن يصل قبل النقود » .

وقلت لا بد من أن يعرف الترك الآن أن الطعام ينقل إلى الكوت بطريق الجو ويحتمل أنهم ينتهبوا إلى ما ننويه من نقل الطعام ببواخر تخرق خط الحصار فيسدوا النهر بحواجز .

وفي ١٦ نيسان انبأنا « غورنج » أنه حمل على ربيئات تركية في الليل فاسر منها ٤٣ جندياً وكبدها خسارة فادحة .

واورد هنا مثالا لاسعار الحاجات من مزايدة علنية جرت لبيع امتعة ضابط متوفي ولا تخلو الرواية من فائدة : ـ

بيعت علبة لفافات تبغ « سكاير » بمائة ربية ونظارة صغيرة مزدوجة رخيصة الثمن بمائتين وخمسين ربية وتبغ عربي الرطل الانكليزي (البوند) بثماني واربعين ربية ربما لا يبلغ ثمنه في وقت آخر سوى شلنين .

ودفعت ثلاثين ربية ثمن صفيحة نفط اعتيادية ثمنها ثلاثة شلنات وبلغ ثمن الدجاجة الواحدة عشر ربيات .

وفي ٣١ آذار كنت اشتري « مند » القمح بمائة واثنتي عشرة ربية و « مند » الشعير بست وخمسين ربية .

وفي ١٧ نيسان (يوم الاثنين) وصل الفيلق نجدة مؤلفة من ٥٠٠٠ مقاتل من المشاة وكان على طريق النهر نجدة اخرى مؤلفة من ١٢٥٠ جندياً ماشياً تنقلهم البواخر فبلغت الآن قوة الفيلق الذي تتألف منه حملة دجلة ٢٩٠٠٠ مقاتل ماش و ١٥٠٠ خيال و ١٣٣ مدفعاً .

وفي هذه الاثناء اخذ اليأس والقنوط من الجنود الهنود في الكوت كل مأخذ فكانوا في كل ليلة يفرون أو يحاولون الفرار إلى صفوف العدو . فلم نر بدأ من اعدام بعضهم رمياً بالرصاص . وقد جعلت في هذا اليوم ثلاثة جنود من الفوج البنجابي ٢٢ عبرة لغيرهم . إذ حاول هؤلاء الفرار بهربهم من خنادقنا نحو خنادق العدو .

وفي صباح ١٧ نيسان سمعنا اصوات اطلاق مدافع شديد وكان ذلك أن الفرقة الثالثة طردت العدو من خنادق بيت عيسى التي استولت عليها وغنمت رشاشة واسرت نحواً من مائة اسير . وانبأنا الفيلق أن قوات كبيرة من الاعداء تقهقرت من بيت عيسى إلى تلال الكحيلة الرملية . وقال غورنج أن باستيلائه على

بيت عيسى تسلط على عدة حلجان ماء في اسفل النهر من ذلك المحل حيث كان الترك يغمرون قسماً كبيراً من الاراضي بواسطة تلك الخلجان إلى الجهتين الشرقية والشمالية الشرقية إلى ام ابراهيم وقد اخذت الارض تيبس الآن .

وفي الصباح تلقيت هذه البرقية من المقر العام -

« إن قائد الحملة يوافق على اقتراحكم الذي ابديتموه في برقيتكم المؤرخة ١٠ الجاري وهو أن تحاول السمانة خرق نطاق الحصار حاملة من الضباط والجنود من الذين هم انفع من غيرهم للحكومة وذلك عندما تفشل حركات النجدة وتحبط المساعي التي تبذل لايصال الطعام اليكم .

« ولكن قائد الحملة يستثنيكم من عداد الذين يخرجون في السمانة لانه يرى أن الاصول تقضي ببقائكم في الكوت لقيادة الحامية مع انه يأسف شديد الاسف لحرمان الحكومة خدمتكم . وفي غير ذلك يترك الأمر لكم لتعينوا الذين تشاءون خروجهم . ولا يخفى أنه إذا تسرب من هذا الأمر همسة واحدة يؤثر ذلك تأثيراً سيئاً في الجنود الهنود .

« وكما قلت سابقاً يجب أن لا تقدموا على هذا الأمر الا عند الضرورة المحتمة وذلك بعد أن تتلقوا الامر بالخروج تواً من قائد الحملة » .

وكذلك ابرق إلي المقر العام انهُ لا يحاول خرق نطاق الحصار لنقل الطعام بالسفن الينا الا إذا لم يبق لنا باب آخر نلجه . وقد اخذت البحرية على عاتقها محاولة ذلك على هذا الشرط ولكن الحالة لم تبلغ هذا المبلغ حتى الآن . فاجبت المقر العام على هذه البرقية في اليوم التالي : - « صدقتم ولكن لما كانت طائرتكم لم تنقل الينا من الطعام منذ ١٧ نيسان سوى ٥٠٠٠ رطل انكليزي بدلا من ١٠٠٠٠ رطل فلا نخفي عليكم اسباب قلقي . واعيد عليكم قولي انهُ يتحتم علي اطعام ٢٠٠٠٠ نسمة على وجه التقريب إذا حسبت سكان البلدة فاذا وزعت في كل يوم على كل فرد ٤ اوقيات في اليوم احتاج في اليوم إلى ٥٠٠٠ رطل . وقد خفضت مقدار الارزاق اليومية من الدقيق فجعلته اربع اوقيات وسيفرغ ما عندي من

الدقيق « الخبز » و « البسكوت » قبيل ٢٥ نيسان وهذا لا يشمل ما وصلنا بواسطة الطائرات » .

وجاءتني برقية من المقر العام مكررة نبأ استيلاء الفرقة الثالثة على بيت عيسى متكبدة خسارة طفيفة . فقد وجدت الفرقة ٢٣٠٠ قتيل من الترك في الخنادق واسرت ١٨٠ اسيراً بينهم عشرة ضباط وغنمت مدفعي صحراء وخمس رشاشات . ولكن الترك قاموا بهجمة معاكسة عنيفة في الليل . فارتد خطنا إلى الوراء مسافة تتراوح بين ٥٠٠ و ٨٠٠ يارد. ونقلت الفرقة ١٣ من الضفة الاخرى لعضد الفرقة الثالثة فتقدم خطنا مرة اخرى بعد اعادة تنظيم الالوية التي كانت قد اختلطت كثيراً . وابرق إلي بعد ذلك في هذا اليوم ابناء اخرى مفصلة تتعلق بهجمة الترك المعاكسة العنيفة فانهم هجموا في الساعة ٩ بعد الظهر بعشرة آلاف مقاتل من الفرقة التركية الثانية وبعض الفرقة ٣٥ وفوج من الفرقة ٤٥ . فكانوا يحملون بقوات كثيفة كما فعلوا اثناء هجومهم علي ليلا في طيسفون فتكبدوا خسارة فادحة فقد بلغ عدد قتلاهم الذين عدهم رجال النجدة من ١٢٠٠ إلى ١٥٠٠ في جبهة طولها ٥٠٠ يارد من خنادق اللواء الثامن . وكانت خسارة الترك فادحة امام اللوائين السابع والتاسع من الوية الفرقة الثالثة وكانت الخنادق ملأى باشلاء القتلى . وكانت الفرقة الثالثة عشرة تزحف الآن لمهاجمة ميسرة خنادق العدو في الكحيلة . وكانت قوة غورنج فرقتين على الضفة اليمنى وفرقة على الضفة اليسرى .

وفي ١٧ نيسان لاقت الطائرات صعوبة من الخلل الذي طرأ على آلاتها وكانت الريح شديدة الهبوب فلم تتمكن من نقل الطعام الينا في ١٨ نيسان . وقد اعانت الزوابع والامطار والفيضانات والاوحال جميعها الترك على بقاء الكوت في قبضة يدهم. وكان قلقي الناشىء عن مسألة الطعام شديداً الآن لأن جميعنا كنا نرى اخفاق مشروع نقل الطعام الينا بالطائرات التي لا تستطيع الطيران عند هبوب الزوابع وإذا كان الهواء معتدلا هاجتها الطائرات الالمانية ذات السطح الواحد أو طرأ على آلاتها خلل .

وفي ٢٠ نيسان تلقيت هذه البرقية من قائد الحملة وصلتني الساعة ٥ : ٨ قبل الظهر -

« صرحوا للجميع تصريحاً اكيداً ان خلاصهم اصبح على قاب قوسين أو ادنى فعليهم أن لا يثنوا عن دفاعهم المجيد في الايام القليلة الباقية ولا يخامرني شك في انك ستشدد عزائمهم بالشجاعة التي تبديها هم » .

فنشرت هذه البرقية على الجنود بمنزلة بلاغ .

وكان غورنج قد تقدم تقدماً طفيفاً على الضفة اليمنى ولكنني لحظت انهُ لم يستول على التلال الرملية في الكحيلة .

وفي ٢٢ نيسان (السبت) سمعنا قصف مدافع شديد في اسفل النهر دام من الساعة ١٠ إلى الساعة ١١ قبل الظهر . فابرقت إلى المقر العام مستخبراً . وكان القلق قد اخذ من قوتي الآن كل مأخذ وامسيت انا ضعيفاً كذلك من حمى الملاريا التي المت بي فلم استطع التخلص منها .

واولى الطائرات جاءت في ذلك اليوم صباحاً الساعة ٨ فالقت اربع رزمات في النهر بالقرب من مصب نهر الحي . والقت الطائرة الثانية رزمة اخرى في النهر إلى شرق بلدة الكوت وقد شكوت الطائرات عدة مرار لرمي اكياس فيها رزم ومكاتيب في النهر . ولكن رمي ٤٠٠ رطل من الطعام في النهر في الصباح احسبها خسارة عظمى .

واختم هذا الفصل ببرقية تلقيتها من المقر العام وهي : - « ٢٢ نيسان الساعة ٥٠ : ٧ بعد الظهر يسؤني جداً أن انبئكم بأن الترك صدوا الهجوم الذي قمنا بـه في صباح اليوم على موقع الصناعيات . ولكن غورنج لم يتقاعد عن استئناف مساعيه » .

الفصل السابع

استسلام البريطانيين في الكوت

لم يبق عندي ما اقوله في هذا الصدد سوى النزر اليسير . ولا يخفى أن المفاوضة الجدية في أمر التسليم يجب أن تجري طي الكتمان . ففي ٢٣ نيسان ابرقت إلى المقر العام البرقية التالية : ـ

« لا مناص لنا من التسليم بحقيقة الحال التي بتنا فيها فإن الترك صدوا للمرة الثانية زحف غورنج بقوة تتألف من ثلاثين الف مقاتل و ١٣٣ مدفعاً واعتقد أنهم كبدوه خسارة فادحة . ونحن اليوم في ٢٣ نيسان واقصى حد استطيع أن ابلغه في الثبات على المدافعة عن هذا الموقع هو ٢٩ نيسان ولكن غورنج لم يصل الصناعيات حتى الآن . لذلك لا يستطيع فك الحصار عني الا باعجوبة من السماء » .

وكنت اعتقد أن قائد الحملة يفاوض خليل باشا على قاعدة انسحاب قوتي وتسليم الكوت وحدها إلى الترك . ولا مراء في أن انسحابنا على هذا الشرط ينطوي على الشرف كله . واوعزت اليه بمطالعة الرسائل المتعلقة بهذا الموضوع . وقلت له أنني ارجح أن خليل باشا يصر على أن تقسم القوة بشرفها على أنها لا تحارب . فاذا اشترط خليل باشا هذا الشرط فليسع قائد الحملة للاتفاق على أن القوة تقسم بشرفها بأنها لا تحارب الترك فقط . فاذا رأى أن غورنج لا يستطيع في اليومين أو الثلاثة اياماً التالية لم شعث قوته الكبرى فيضرب بها مكان الضعف في العدو فليبادر قائدة الحملة إلى مفاوضة الترك بمقتضى الشروط التي اقترحتها .

وبات جنودي على حالة يرثى لها من الضعف والهزال حتى أن الخفراء كان يغمى عليهم ابان الحراسة ولم يستطع الجنود القيام بالاعمال البدنية فكان يشق على جداً أن اشاهدهم على هذه الحال اما أنا فكنت قوي البنية لذلك بقيت مالكا نشاطي طول المدة ما عدا برداء المت بي في نصفه الايام الاخيرة من جراء الفيضان على ما اعتقد ولكن هذه البرداء لم تجعلني من عداد المرضى وعلى هذه الصورة قضي على صحة الحامية القضاء المبرم حتى أن معدل الوفيات في اليوم كان خمسة عشر شخصاً وكان الكثيرون يموتون من الزحار و « الدوسنطارية » .

وفي ليلة ٢٤ ـ ٢٥ نيسان غادرت الباخرة جلنار النجدة عند منتصف الليل وهي الباخرة المعدة لخرق نطاق الحصار ونقل الطعام الينا . فوقفت مع الزعيم « بار » رئيس اركان الفرقة على سطح بناية المقر منتظراً على احر من الجمر . فوصلت الجلنار مخاض المقاصيص . وفي نصف الليل سمعنا اصوات اطلاق نيران بندقيات حامية وشاهدنا لمعان اطلاقات المدافع والبندقيات . ودام ذلك نصف ساعة . ثم استحوذ السكون وفي الساعة ٦ صباحاً شاهدت « الجلنار » جانحة على ضفة النهر اليمنى .

وهكذا حبطت المساعي لخرق نطاق الحصار . فابرقت إلى المقر مفصحاً عن مشاطرتي امير البحر « ويمس » العطف الشديد على مساعي البطولة التي بذلها رجال البحرية البواسل .

وكان نوتية الجلنار من رجال البحرية بقيادة الملازم « فرمان » من ضباط البحرية ويساعده الملازم الأمر « كولي » من ضباط الاحتياط البحريين المتطوعين وكان ضابطاً باسلا حاذقاً متولياً امرة الباخرة المجيدية من بواخر شركة « لنج » . وقد جرى ذكره مراراً حين سرد الحركات التي جرت في العراق وقام بخدمات جلى في منصبه هذا طول مدة المحاربة . وكانت الباخرة جلنار تحمل ٢٧٠ طناً من مواد الاعاشة . وسرعان ما علم العدو بامرها بعد حركتها من الفلاحية فطفق يرمي عليها قنابل مدافعه معظم الوقت وهي على الطريق . وكان الترك قد سدوا النهر بسلسلة في المقاصيص فلما وصلت الباخرة هذا المكان اشتبكت تلك السلسلة

بلولب (بدسار) الباخرة فدارت نحو الضفة واصطدمت بها وهي تحت نار البندقيات الهائلة هذا ما علمناه عنها من العدو بعد ذلك . وقيل لي أن « كولي » اصيب بجرح وهو واقف على جسر الباخرة وقتل الملازم « فرمان » اما النوتية ـ وقد جرح خمسة منهم ـ فاسرهم العدو . والمظنون أن كولي توفي من الجرح الذي اصابه وقد شاع بعد ذلك أن الترك اعدموه رمياً بالرصاص .

وفي ٢٥ نيسان اجاب قائد الحملة على برقيتي التي ابرقتها في ٢٣ نيسان بقوله أنه استأذن الحكومة بالشروع في المفاوضات بمقتضى الشروط التي عرضتها . ورأى أن افاوض أنا نفسي الترك في الأمر . إلى أن قال « ترى إذا وافقت الحكومة على الشروع في المفاوضت ألست انت المفوض الذي يستطيع الحصول على شروط افضل من الشروط التي يتفق عليها غيرك من الذين نفوض اليهم هذا الأمر ؟ وسيأمرك حينئذ قائد الحملة بالشروع في مفاوضة التسليم بحيث لا تقع تبعة ذلك عليك . وذلك لانك دافعت مدافعة مجيدة ناجحة . وقد استشرت امير البحر ويمس في الامر فقال انه نظراً إلى مكانتك عند العدو تستطيع أن تتفق على شروط افضل من الشروط التي يتفق عليها غيرك . اما نحن فسنمدك بالطعام الذي تطلبه . فالرجاء أن تبرق الينا بما تراه في هذا الصدد » .

فابرقت إلى قائد الحملة على الفور بأنني مستعد للقيام بكل ما يرى قائد الحملة خير الحكومة فيه . فاذا أمرني بالشروع في المفاوضة اجتمعت بخليل باشا واقترحت عليه هدنة ستة ايام للمفاوضة في الشروط ودخول الطعام إلى الكوت على أن لا تتحرك قوة من قوات الفريقين من مواقعها أو خطوط الدفاع المرابطة فيها الآن .

فاسفرت النتيجة عن أن افاوض رغماً مني خليل باشا في ٢٦ نيسان وانا عالم بأن لا كسرة خبز عندي استند اليها في المفاوضة وأن خليل باشا عالم بأننا في حاجة ما من حاجة بعدها إلى الطعام لانهُ كان يموت في اليوم عشرين جندياً من جنودي جوعاً . وكنت ارى الافضل أن يفاوض قائد النجدة الترك في أمر التسليم . لانهُ كان قادراً على تهديد الترك بما كان له من القوة على استئناف القتال . فلو كان

الطعام عندي لرفضت مفاوضة العدو لأن ذلك ليس من شأني . ولكن قضي علي بأن اطلب الطعام على الفور والا ارغمى جنودي جميعهم على الارض وماتوا جوعاً .

وتلقيت البرقية التالية من القائد العام في الهند بواسطة قائد الحملة : ـ « إن القائد العام بفصح عما يكنه صدره من الاعجاب بمساعي غورنج وطاونزند المنطوية على البسالة وبصبرهما الشديد على المشقات ازاء خصم عنيد مقدام وذلك مما برهنا عليه من العزم الذي لا ينثني وسط صعوبات طبيعية غير مألوفة . ولا يخامره شك في أنهما سيلبيان طلب رؤسائهما مرة اخرى بعين العاطفة التي لبوا فيها الطلب السابق . وهو يتوقع انتهاء مساعيهما بالفوز .

« وهذه برقية خاصة يجب تبليغها طاونزند : ـ إن القائد العام يرجو منكم أن تبلغوا طاونزند وجنوده البواسل والمخلصين اعجابه بصبرهم على آلام الحصار ومشقاته وهو عالم أن صبرهم هذا ناشيء عن اخلاصهم للواجب الذي تكفلوا بالقيام به حين تلبية دعوة ملكهم وعاهليتهم » .

لما اجتمعت بخليل باشا اطنب في الثناء على دفاعنا عن الكوت وقال أنه دفاع الابطال يوازي دفاع عثمان باشا عن بلاونة ولكنه قال أن أنور باشا اوعز اليه بأن يصر على التسليم بلا قيد ولا شرط . وإنه كان واقفاً على حالة جنودي وعالماً بأن زادي قد نفد . وعلم كذلك أن الجنود كانوا يموتون جوعاً وأن الامراض والزحار متفشية بينهم . وقال أنه قبل السماح بدخول الطعام إلى الكوت يجب أن يخرج جنودي إلى المعسكر التركي وحينئذ يؤيد طلبي ببرقية يرسلها إلى انور باشا بشأن اطلاق سراح القوة بعد أن تقسم يمين الشرف العسكري .

وبعد مفاوضة مديدة رفض انور باشا جميع الشروط . انما عرض علي اطلاق سراحي على شرط أن لا اتلف المدافع والذخيرة الموجودة عندي . فرفضت هذا الشرط لأنه يستحيل علي قبوله . وفي ٢٩ نيسان اتلفت المدافع وجميع الاسلحة والمواد الاخرى والعتاد ومعدات التلغراف اللاسلكي وغيرها . فدخل فوج تركي البلدة وتولى حراستها .

وجاء خليل باشا لمقابلتي فقدمت اليه سيفي ومسدسي . فرفض اخذهما قائلا : - « ليظلا معك لانك تستحق حملهما » .

وقال لي خليل باشا أنه سيرسلني إلى الاستانة فالقى هنالك معاملة شريفة كالمعاملة التي لقيها عثمان باشا لأن الترك ينظرون إلى دفاع الكوت نظرهم إلى دفاع بلاونة . وقال أنني ساحل ضيفاً كريماً على الامة التركية . اما قوتي فسترسل إلى الاناضول ليحجر عليها في اماكن معتدلة الهواء وقريبة من البحر .

إن الحكومة التركية كانت قد قررت أن تعرض القوة البريطانية التي اسرتها للناس وذلك لسببين اولهما لأنها كانت تعد هذا فوزاً قومياً وثانيهما انتقاماً لاستيلاء الروس على ارضروم . وكان ضباط اركان الحرب الالماني يسعون لاهانة قوتنا كل الاهانة كما اهانوا الفرنسيين عام ١٨٧٠ باصرارهم على تسليم الفرنسيين تسليما منطوياً على القسوة والذل . وقد عزوت على الدوام نبذهم تقاليد الفروسية في الحرب انتقاماً لتسليمهم الشائن للقلاع والقوات في « بروسية » عام ١٨٠٦ بعد انكسارهم في « بينة » يوم سلمت حصوناً عظيمة تحميها الوف الجنود لنفر من الفرسان حتى أن « بلوخر » المشهور نفسه سلم « لوبيك » بحاميتها المؤلفة من ١٤٠٠٠ جندي بعد دفاع دام بضع ساعات .

ولا مراء في انهُ لا عار على القائد وجنوده إذا اشترط العدو عليهم اثقل الشروط بعد القيام بواجباتهم حق القيام على ما تقتضيه القوانين الحربية . فإنهم ليسوا سادة امورهم لاملاء تلك الشروط وتعيينها . فقد دافعنا عن الكوت خمسة اشهر فلم يرغمنا العدو نفسه على التسليم بل الجوع . ولا بدع انهُ إذا علم الاعداء أن لا طعام عند خصمه يستند اليه في المفاوضة لا يرضون بشرط يعرضه عليهم ذلك الخصم . وقد علم القراء بأنني ابديت هذه الملحوظة إلى القائد العام للحملة العراقية .

كلا أن العدو لا يرضى بشرط والحالة هذه . اما إذا كان القائد العام للقوة المعادية فتى كريماً وفارساً نجيباً تساهل في الشروط الشريفة التي يعرضها عليه قائد الحامية الباسلة المحصورة بعد دفاعها المجيد عن الموقع الذي كانت محصورة

فيه تساهل العميد المساوي « ميلاس » في الشروط التي عرضها عليه « مسينة » في حصار « جنوى » عام ١٨٠٠ لأن ميلاس كان فتى فارساً . اما إذا كان القائد العام للقوة المعادية مجرداً من هذه الصفة السامية فلا يتساهل على الاطلاق . وخلاصة القول ان التساهل بقبول الشروط الشريفة التي يعرضها المغلوب يقتضي أن يكون القائد العام لجيش العدو فتى كريم المحتد .

فقد ارغمنا الجوع على التسليم للعدو والوقوع قيد اسره . وهذا التاريخ فانهُ يروي لنا أن قوات استبسلت في القتال والمدافعة بقيادة قواد عظام امثال « مسينة » و « دافوست » و « سان سير » و « كليبر » علبت على امرها فاصابها ما اصابنا من غير أن يوصم شرفها العسكري بوصمة عار

واني لواثق من أن حكم التاريخ فينا سيكون هذا : اي أننا بذلنا كل ما في الوسع البشري للقيام بواجباتنا بصفة كوننا انكليز وجنود . فلم نأل جهداً لمنع النتيجة التي انتهى اليها دفاعنا . وقد حاولت في هذا الكتاب أن ابرهن للقراء على انهُ مع شدة شوقي للخروج من ذلك المأزق استحال علينا الخروج مخترقين خطوط العدو التي زادتها مناعة احاطة النهر ومياه الفيضان بنا من جميع الاطراف الا باعجوبة من السماء . ولما رأيت العدو مصراً على التسليم بلا قيد ولا شرط نسفت جميع مدافعي واتلفت كل العتاد والذخائر الحربية وقطعت عدة الدواب والسروجية وكل التجهيزات وفي اللحظة الاخيرة امرت برمي ترباسات البندقيات في النهر .

ويخيل إلي أن افضل ما اختتم به بحثي في حصار الكوت الخطبة التي القاها اللورد « كجنر » وزير الحربية في مجلس اللوردات في ٤ أيار سنة ١٩١٦ وربما كانت الخطبة الاخيرة التي القاها وهو في قيد الحياة . وقد اقتبس في خطبته الرسالة الاخيرة التي بعثت بها قبل أن ارفع راية الهدنة فوق الكوت وقبل حرق العلم البريطاني بيدي بعد خفوقه مدة خمسة اشهر لكي لا تطاله يد الاعداء : ـ

« القى اللورد برسفورد سؤالا على وزير الحربية ليذكر له عدد البريطانيين الذين اسرهم الاعداء بسقوط الكوت ويجيبه عن صحة ما شاع من أن القائد التركي العام اكرم الفريق طاونزند اكراماً عسكرياً بأن ترك له سيفه ومسدسه

وذلك لاعجاب القائد التركي العام بدفاع طاونزند المجيد عن الكوت .

« فنهض اللورد كجنر والقى الخطبة التالية : ـ « يسرني أن اغتنم هذه الفرصة التي منحني اياها حضرة اللورد الشريف الباسل لاطراء مساعي الفريق طاونزند وجنوده الذين اكسبهم عزمهم الذي لا ينثني وبسالتهم الفائقة مفخرة عظمى . ولا يخفى على احد أن الفريق طاونزند بعد سلسلة وقائع أبلى فيها بلاء مجيداً عزم على الثبات في موقع كوت الامارة المهم من وجهة سوق الجيش . ولا ننس أن الترتيبات التي رتب عليها قوته للمدافعة عن ذلك الموقع كانت على غاية ما يرام من الاتقان والكمال حتى أن الترك مع تفوق عددهم تفوقاً عظيماً لم يتمكنوا من اختراق خطوطه . ولا يصعب على سادتي النبلاء الالمام بشدة المشقات التي صبر عليها اولئك الجنود الذين دافعوا عن مواقعهم مدة تربو على عشرين اسبوعاً في بلاد احوالها الجوية تجعل المرء يلاقي فيها صعوبات جمة لا يطاق احتمالها وكانت الارزاق اليومية التي يتناولها المدافعون محسوبة لتكفيهم اطول مدة يستطاع الثبات على الحصار فيها إلى أن ارغم الجوع رجال هذه الحامية البواسل على التسليم بلا قيد ولا شرط على ما علمتموه وبلغ عدد جنود الحامية التي سلمت الترك ٢٩٧٠ بريطانياً و ٦٠٠٠ هندياً ويشمل هذا العدد التوابع .

«وليطمئن الفريق طاونزند وجنوده بالا وهم في اسرهم الشريف أن رفقاءهم يعتقدون اعتقاداً يشاركهم فيه اعضاء هذا المجلس والامة على ما ارى بأنهم بذلوا كل الجهد الذي يستطيع الانسان بذله للثبات إلى النهاية وأن لا لوم عليهم ولا تثريب على تاريخ مآتي الجيشين البريطاني والهندي في تسليمهم .

« وقد بذلت جميع المساعي لفك الحصار عن القوة المحصورة ولا اروي غير الحقائق الراهنة إذا قلت أن العناصر الطبيعية كانت وحدها العامل على احباط تلك المساعي . فالامطار المتساقطة بلا انقطاع والفيضانات التي عقبت ذلك لم تعرقل مساعي القوة الزاحفة فحسب بل ارغمتها على مهاجمة العدو من جبهة ضيقة يكاد اختراقها يكون من رابع المستحيلات وذلك بدلا من الهجوم على الترك بحركة التفافية حول جناحه . فلا نبالغ مهما اطنبنا في مدح الجنود الذين يقودهم

السر برسي لايك والسر جورج غورنج فهؤلاء لم يجنوا ثمار اقدامهم واخلاصهم لأن الاحوال عاكستهم . واليكم نص البرقية الاخيرة التي بعث بها الفريق طاونزند : - « يسرنا العلم بأننا قد وفينا واجبنا حق القيام به وأن مصيرنا من المقدرات الحربية التي لا مفر منها . فنشكر لك وللفريق غورنج ولجميع جنود حملة دجلة المساعي العظيمة التي بذلتموها من اجل خلاصنا » . (هنا انتهت برقية الفريق طاونزند) .

« واعتقد أن هذا المجلس والامة جمعاء على السواء يوافقون على ما قلته واني لعلى يقين من أن الذين دافعوا عن الكوت والذين بذلوا اقصى ما في وسعهم لفك الحصار عنها هم اهل لاعجابنا وشكرنا . ويسرني أن اؤيد صحة ما رواه السيد النبيل عن عمل القائد التركي »[1] .

« ثم نهض اللورد غرينفيل وقال أن المجلس والجيش يرتاحان كل الارتياح إلى ما سمعناه في مدح الفريق طاونزند والقوة الباقية في العراق . فقد تمكن الفريق طاونزند والقوة البريطانية الهندية من الدفاع عن الكوت دفاع يستحق كل اعجابنا به رغم الصعوبات الجمة التي لاقتها الحامية من المرض وقلة الطعام ونقص المدخرات الطبية إلى أن نفد الطعام فسلم الفريق طاونزند بلا قيد ولا شرط ضناً بحياة جنوده . ولن ننسى الهمة التي بذلها الفريق طاونزند وجنوده في الدفاع عن الكوت فستذكر هذه المدافعة بالاعجاب الشديد » (نقلا عن عدد ٥ أيار سنة ١٩١٦ من جريدة التايمس) .

فانا وجنودي نفخر بهذه الخطبة التي لم اطالعها الا حين وصولي الاستانة إذ عثرت عليها في السفارة الاميركية . فبرهنت هذه الخطبة على أن الامة الانكليزية المحبوبة ترى أننا قد وفينا الواجب حقه من القيام به . وكان لهذه الخطبة وقعاً خاصاً في نفسي لأن ذلك المدح خرج من فم قائد محنك خدمت معه وتحت قيادته في حروب السودان والذي انا مدين له بترقيتي اولا ألى رتبة عقيد ثم إلى رتبة امير لواء واخيراً إلى رتبة فريق ثان .

---

(١) اي امتناعه من اخذ سيف الفريق طاونزند ومسدسه .

واقتبس هنا كذلك كتابي تعزية بعث بهما الزعيم « فتزجرالد » والعميد « السر جيمس ولف مري » إلى زوجتي وهما : ـ

« يورك هوس

سنت جيمس

في ٤ أيار سنة ١٩١٦

« عزيزتي المسز طاونزند

« اوعز إلي اللورد كجنر بأن افصح لك عن شدة عطفه عليك لما اصابك من الأسى . واعلمي أن زوجك قام باعمال جليلة للغاية في دفاعه عن الكوت . وسيطرىء اللورد اعماله اليوم في الخطبة التي يلقيها في ندوة اللوردات .

«وارجو منك كذلك أن تتفضلي بقبول ثنائي العاطر على ما آتي زوجك بما افصحه عنه من الاعجاب باعماله . وعندما تذاع قصة هذه المدافعة سيجل الناس شأنها ويخلدها التاريخ تخليده لمآتي البشر العجيبة .

« وارجو منك أن تنبئيني هل استطيع أن اساعدك بتسهيل سبيل المكاتبة بينك وبينه .

صديقك المخلص

ا . فتزجرالد[1] »

« اوتيل فنديك

« كروموبل رود

كوينزغيت ، س . و .

٣٠ نيسان سنة ١٩١٦

« عزيزتي المسز طاونزند

(١) أن الزعيم فتزجرالد كان ناموس (سكرتير) اللورد « كجنر » العسكري وغرق في المدرعة « همشير » .

« لقد وقع مالا مناص منه فاذعن زوجك وجنوده البواسل لاحكام القدر القاسية ولكنهم خرجوا رافلين ببرود المجد وقاموا بواجباتهم إلى النهاية بقيادة زوجك على ما كان يتوقعه جميع عارفوا الفريق طاونزند . وليس من شأني أن اقف في هذا الصدد اللائم أو المادح . ولكنني واثق من أن جميع الآراء ستتفق على مدح زوجك لما قام به من بدء الحركات إلى ختامها .

« ذري الآن ابناء الامة وبناتها يفكرون في أمر زوجك وجنوده واسمحي لي بأن اقول لك أن افكار الكثيرين منا كانت مشغولة بك طول ايام القلق والسآمة . وحقاً أن وطأة الانتظار الشديد كانت ثقيلة عليك . ونحن الذين نعرفك نعجب بالشجاعة التي تحملت بها اثقال الهموم وقد صبرت صبر زوجك على الشدائد إلى النهاية .

« ونحمد الله على أن زوجك خرج من المعمعان شريفاً ممتعاً بالحياة . ولنا الامل أن الاعداء يكرمون مثوى هذا الجندي الباسل الذي حاربهم إلى أن لم يبق في قوسه منزع كما يفعل جميع ابناء امته وأن الترك يعاملونه معاملة شريفة إلى أن ينضم الينا مرة اخرى .

صديقك المخلص
ج . ولف مري[1] »

وانبأني خليل باشا بأنني سأسافر إلى القسطنطينية . ووضع زورقا بخاريا تحت امرتي ليقلني من كوت الامارة إلى بغداد . وهي المرحلة الاولى من سفري الطويل مارا في العراق وآسيا الصغرى إلى اوربا . فركبت الزورق ومعي الزعيم اسحق بك والزعيم بار والرئيس مورلاند ولما مررنا قبالة المعسكر الذي نزل فيه باقي رجال الفرقة السادسة الشجعان اصطف الضباط والجنود على ضفة النهر وهتفوا لي هتافا طويلا . ولما وقفت وقفة الاستعداد مسلماً عليهم اغرورقت عيناي بالدموع . فهيهات أن اتولى قيادة فرقة مثل هذه الفرقة مرة اخرى . ولا اعتقد أن

(١) العميد « السر جيمس ولف مري » توفي في تشرين الاول عام ١٩١٩ .

قائدا قاد قوة افضل من هذه القوة . فكنت احب الفرقة السادسة من اعماق نفسي وكنت مكان ثقة رجال تلك الفرقة حتى النهاية .

وقبل اتلاف محطة التلغراف اللاسلكي تلقيت البرقية التالية الاخيرة من ضباط البحرية والنجدة وجنودهما ممن سبقت لهم في الخدمة في الحرب العراقية بقيادتي .

في ٢٩ نيسان سنة ١٩١٦

« ايها الفريق طاونزند

« نحن ضباط البحرية وجنودها الذين كنا مرتبطين بفيلق دجلة والذين خدم الكثيرون منا معك ومع جنودك البواسل نفصح لك عن اسفنا الشديد لعدم استطاعتنا الانضمام اليك وإلى رفقائك في الكوت » .

وفي آخر الأمر طلبت من خليل باشا أن يبعث بكلبي الامين المسمى « سبط » لكي يعطى لصديقي « السر ولفريد بيك » ليوصله إلى انكلترا . لأن هذا الكلب كان اميناً في خدمتي . ورافقني في معارك القرنة وكوت الامارة وطيسفون وابان الانسحاب وقتل قططاً عديدة اثناء حصار الكوت . فوصل انكلترا سالما والتقيت به حين رجوعي إلى منزلي في نورفوك .

ملحق الباب الرابع

المقر العام للفرقة السادسة

في ١٦ كانون الاول سنة ١٩١٦

خطة القتال حين هجوم الترك

(توزع على القطعات)

إن القواعد العامة التي يراعيها قائد الفرقة في توزيع القطعات تشبه القواعد التي يقتضي مراعاتها في توزيع قوة تتوقع هجوماً وهي مرتبطة بقطعات اخرى في خط القتال . فالقوة موزعة عمقاً في الموقع الذي تدافع عنه ووراءها وسائل مواصلات جيدة للاختفاء والاستتار من النار وهذه عوامل مهمة جوهرية في حركات المدافعة .

وتقسم القطعات من حيث وضعها إلى قسمين احدهما (الاحتياط العام) وتكون هذه القوة مستعدة للقيام بالتعرض حين سنوح الفرصة الموافقة . اما القسم الآخر من القوة فهو (قوة المدافعة عن الموقع) .

توضع المدفعية بحيث تتسلط على خطوط دنو العدو والمواقع التي يحتمل وضع مدافعه فيها .

وتقسم قوة المشاة المعينة للمدافعة عن الموقع إلى قسمين كذلك اولها خط النار مع قوة الاستناد وثانيها قوة الاحتياط المحلي .

وعندما يكون الموقع واسعا على ما هو موقعنا الآن ينقسم إلى مناطق وتعين كل منطقة لوحدة مستقلة .

فلواء مشاة واحد يدافع عن المنطقة اليسرى (من خط الدفاع الاهم) ولواء آخر يدافع عن المنطقة اليمنى من هذا الخط . وقد وضع (الاحتياط العام) المؤلف من لواء واحد بالقرب من ذلك القسم من الموقع الذي يكون افضل خط للزحف عند الاقتضاء وذلك بالنظر إلى حالة الارض وطبيعتها على وجه عام .

وينوي قائد الفرقة عند هجوم العدو أن يدافع عن (خط الدفاع الاصلي) - اي الخط الامامي الممتد من الحصن على خط الابراج ، القديم وسيعزز هذا الخط بالاحتياط العام . ويجب الثبات في خط الدفاع الاصلي مهما كلف ذلك . وتتألف قوة العدو الآن من نحو ١٠٠٠٠ مقاتل فقط بعد الخسارة التي اصابته في ليلة ١٢ كانون الاول ومن هؤلاء ١٥٠٠ مقاتل مرابطون على ضفة النهر اليمنى . اما نحن فقوتنا نحو من ٩٠٠٠ مقاتل فلتعلم القطعات اننا اذا هجمنا على الترك في ميدان مكشوف قهرناهم لأننا نفوقهم في المقاتلة في ساحة مكشوفة وقد برهنا على تفوقنا هذا في معارك عديدة . لذلك لا يوجس قائد الحملة خيفة من النتائج التي ينتهي اليها الهجوم فليجرب العدو ذلك . وتقضي الضرورة المطلقة بانشاء طرق مواصلات جيدة على الفور على صورة تمكن الجنود من اطلاق النار منها لكي يتمكن قائد الفرقة من سوق الاحتياط العام إلى الامام . وهذا اهم الاعمال الجوهرية فيجب الانقطاع عن جميع الاعمال الاخرى إلى حين الفراغ من انشاء طرق المواصلات التي مر ذكرها .

الفريق الثاني ج. ف. ف. طاونزند
قائد حامية الكوت[1]

---

(١) إنني بالغت في ايراد مقدار قوتي فزدت عليها الف جندي . وقد فعلت ذلك لامرين اولهما لتشديد عزائم الجنود وثانيهما عملا بالقاعدة المعروفة وهي أنه عندما يتكلم القائد عن قوته في البلاغات وغيرها مما يحتمل وقوعه في يد العدو يجب أن يبالغ في ايراد عدد القوة التي يقودها . وقد راعيت هذه القاعدة في الاوامر التي اصدرتها بشأن معركتي كوت الامارة وطيسفون فقد تعمدت تقليل عدد قوة العدو لكي لا اثبط عزائم جنودي .

الملحوظات التي ابداها الفريق ايلمر في الموقف الحربي
في ١٦ كانون الاول سنة ١٩١٦

قدر قوات العدو التي تحاصرني في الكوت والتي في اسفل الكوت على نهر دجلة بسبعة عشر الف جندي واربعة وخمسين مدفعاً . وقدر النجدات التي تصل في وقت قصير بسبعة آلاف جندي وتسعة مدافع وهذه القوة تؤلف الفرقة التركية الخامسة التي يحتمل وصولها الكوت قبل ١ كانون الثاني . ورأى احتمال وصول الفرقة التركية السادسة والعشرين المؤلفة من ٧٠٠٠ جندي و ٢٤ مدفعاً في وقت قريب وكان قد شاع في الآونة الاخيرة وصولها الفلوجة . ويستطاع نقل هاتين الفرقتين إلى الكوت قبل النجدة التي تأتي لفك الحصار عن القوة البريطانية المحصورة فيها .

ويحتمل وصول الفرقتين التركيتين ٣٦ و ٣٧ مع ٤٤ مدفعاً الكوت بين ٢٠ و ٢٧ كانون الثاني ـ اي قبل وصول فيلق دجلة كله متحداً بقيادة الفريق « ايلمر » ولكن بعد أن يصل الكوت نجدة بريطانية صغرى مؤلفة من فرقة قوية .

« من العوامل المهمة التي تؤثر في الموقف الحربي تأثيراً سيئاً عاملان وهما الخسارة الواقعة في الضباط البريطانيين من قوة طاونزند وتناقص قوة جنودة الهنود الروحية . وسيلقى طاونزند مضايقة اشد من المضايقة التي يشعر بها الآن عند وصول الفرقة الخامسة واحتمال وصول فرقة الفرات في ١ كانون الثاني أو قبل ذلك » .

إن زحف الروس تواً من كرمانشاه إلى بغداد زحفاً يضايقون به العدو مضايقة شديدة قد يحمل العدو على سحب بعض الفرق التي يعزز بها قواته ولكن « ايلمر » لا يعول على زحف الروس . (وانا كذلك لا اعول على الروس) .

« فاذا نظرنا في العوامل التي مر ذكرها اعتقد أن التعويل على ثبات طاونزند إلى ١٥ كانون الثاني أمر محفوف بالاخطار وأن الافضل ـ مع توقعنا ثباته إلى ١٥ كانون الثاني ـ أن نحاول فك الحصار عنه قبيل ١٠ كانون الثاني اذا استطعنا

ذلك . وهذا يتوقف على الاسراع في جمع فرقتين من فرق النجدة » .

(القوة المنجدة) ـ رأى الفريق ايلمر أنه يستطاع جمع فرقة « ميروت » ولواء الخيالة ولواء مشاة اضافي مع بعض المدفعية الاضافية في علي الغربي حول ٣ كانون الثاني . ويحتمل أن يستغرق جمع فرقة « لاهور » الثالثة وفرقة « ميروت » السابعة ثلاثة اسابيع اخرى لكي تصبح هاتان الفرقتان مستعدتين للزحف معاً . ويقدر مجموع قوة النجدة الصغرى التي تساعدها قوتي في الكوت بسبعة وعشرين الف جندي و ٨٧ مدفعاً ونحو الثلث من هذه القوة جنود دون غيرهم في الكفاية ممن تكبدوا خسارة فادحة . فاذا استطاع « ايلمر » فك الحصار عن الكوت بكل فيلق دجلة متحداً عليه والحالة هذه أن يحسب حساب قوة اخرى مؤلفة من ١٦٠٠٠ الف جندي وتركي و ٤٤ مدفعاً تعزز بهم القوة التركية .

وقال « ايلمر » أن هذه الملحوظات لا تتناول العرب الذين يحتمل أن يكون بينهم ٥٠٠٠ رجل مسلح . إلى أن قال « المفهوم أن عتاد البندقيات الموجود عند طاونزند يكفيه ستة اسابيع اما عتاد المدافع فيكفيه ثلاثة أو اربعة اسابيع ولكن ينقصه عتاد المدافع القصيرة ونقصان هذا العتاد في مثل هذه الحالة أمر خطير وعنده الآن نحو ٧٨٠٠ جندي صالحين للقتال ممن يستعملون البندقيات . وصافي معدل خسارته اليومية الواقعة في الجنود الذين يطلقون البندقيات هو ٧٥ جندياً على وجه التقريب . وعلى هذا المعدل ينقص عدد مشاته ١٢٠٠ جندي إلى ١ كانون الثاني و ٢٤٠٠ إلى ١٥ كانون الثاني .

« والافضل جداً أن يزحف الفيلق باسره لفك الحصار لأن قوتنا هذه تمكننا من بلوغ بغداد من غير أن يتمكن العدو من صدنا بعد فوزنا في المعركة .

« اما اذا فككنا الحصار عن الكوت بنجدة صغرى ـ اي بفرقة ميروت ولواء اضافي واحد ولواء خيالة واحد فقط ـ يؤخر ذلك وصول فيلق دجلة كله نظراً إلى كثرة معدات النقلية التي ترافق القوة . وقوة النجدة الصغرى لا تكفي للاستيلاء على بغداد فيتحتم عليها أن تتريث إلى أن يصل باقي فيلق دجلة المتأخر في وصوله ولا شك في أن الترك يلمون حينئذ شعثهم لمقاومتنا مرة اخرى في موقع امنع من

موقعهم السابق . أو يحتمل أنهم يتخذون خطة التعرض . فالمسألة المهمة هي أن نكون على ثقة من فك الحصار عن طاونزند في الوقت المطلوب لأن خذلانه ينتهي إلى نتائج سياسية سيئة جداً وذلك ليس في هذه البلاد وحدها بل في الهند ايضاً » .

واجل الفريق « ايلمر » قوله بأنه شديد الاعتقاد بوجوب زحفه من على الغربي لفك الحصار عني في ٣ كانون الثاني بالجنود المتيسرة له الآن - اي بفرقة ميروت ونواء المشاة ولواء الخيالة الملحقين بالفرقة ولو أخر ذلك وصول القوة الكبيرة إلى الجبهة لانهُ رأى أن فرقة قوية ولواء خيالة يكفيان لفك الحصار عن الكوت .

تعليق على الملحوظات السابقة

إن قاعدة الاقتصاد في القوة من قواعد الحرب المهمة التي تقضي بأن يوحد « ايلمر » جميع قواته قبل الزحف . اما اذا زحف قبل توحيد قواه عبث بقاعدة الاقتصاد في القوة . ويعلمنا التاريخ أن هذا العبث يؤول بلا استثناء إلى الهزيمة او الانكسار . اجل أن مهمة النجدة تنحصر في رفع الحصار لا في اطالة امده ولكن « ايلمر » قد برهن لنا على أنه قد عقد العزيمة على اغفال أمر قاعدة الاقتصاد في القوة . ولنتخطر أن « كروباتكن » احتج على الزحف من خربين قبل توحيد جميع قواته ليكن على ثقة من طرد اليابانيين من منشورية ولكن رأي وزير الحربية تغلب على رأيه وقال بوجوب فك الحصار عن بورت ارثر مهما كلف ذلك . فاسفرت النتيجة عن الكارثة التي حلت بالروس في وقعة وافانغون . إن بورت ارثر كانت حصناً امنع من عقاب الجو تحميها حامية مؤلفة من ٣٥ ألف جندي فكانت قادرة على المدافعة عن نفسها . اما انا فكنت محصوراً في الكوت في معسكر محصن حقير ضعيف وكانت الحامية قوة صغيرة مضعضعة وقد تزعزعت القوة الروحية في صدور معظم الجنود وكنت اوجس خيفة من العواقب إذا حمل علينا الترك حملة صادقة . وفضلا عن ذلك لم يطمئن بالي من مصيري هناك لأنني اعلم من التاريخ العسكري أن الانحصار في معسكر محصن ينتهي إلى تسليم القوة التي|التجأت

اليه ولم يحملني أمر على الاقدام على الاعتصام في معسكر محصن في الكوت والانحصار هناك عند وصولي سوى ما اقتضاه سوق الجيش من وجوب المبادرة إلى صد زحف الجيش التركي السادس إلى أن تصل النجدات البريطانية وتتحد لمقاتلة العدو وطبعاً أني كنت شديد الشوق إلى فك الحصار عني الآن لأن القوات البريطانيه كانت في العراق وحق لي أن واظب على طلب خلاصي من المأزق الذي بت فيه عبر أن زحف النجدة قبل اتحادها كلها كان عبثاً بقاعدة الاقتصاد في القوة وقد عبث الترك كذلك بهذه القاعدة إذ أنهم ساقوا الجيش التركي السادس إلى الكوت قطعة قطعة . وعليه قد يدعم بعضهم صحة نظر « ايلمر » في هذا الشأن بقولهم أنه كان مصيباً في محاولته فك الحصار عني على جناح السرعة لأن سقوط قوتي في يد العدو يؤثر تأثيراً سيئاً في الهند وكذلك كان مصيباً في اهتمامه بهذا الأمر الجوهري الذي يقدم على غيره وهو أن يبادر إلى فك الحصار عني لأن ذلك غرضه الاهم . وسيطلع القارىء على برقية ارسلها إلي « ايلمر » في ١ كانون الثاني وفيها أنه مع شدة رغبته في الشروع من علي الغربي لفك الحصار عني بفرقة واحدة في ٣ كانون الاول يرى أن الخطة الفضلى بالنظر إلى حالة النجدة هي أن يزحف بالفيلق كله متحداً من الشيخ سعد . وقد اجبته في ذلك اليوم بالموافقة على خطته هذه وحثه على التمسك بها مراعاة لقاعدة الاقتصاد في القوة .

مقر الفرقة السادسة

في ٢٩ كانون الاول سنة ١٩١٥

(اوامر سرية)

خطة سرية للانسحاب إلى الخط الاوسط
واحتلاله عند الاقتضاء

(تلغى هذه الاوامر الأمر العام المرقوم ٢٥٦ والمؤرخ ٢٢ كانون الاول سنة ١٩١٥ : ـ « مشروع سري للانسحاب إلى الخط الثاني واحتلاله ») .

توزع صور هذه الاوامر على آمري الالوية وآمر قسم هندسة الفرقة

وحدهم . ويجب على هؤلاء أن يصدروا الوصايا السرية إلى آمري الوحدات الذين يوفدون من يمثلونهم لتعيين الغرف والمحلات المتنوعة التي يحتلونها حين الانسحاب . ويجب كتم هذه الاسرار جميعها كل الكتمان لأننا لا ننوي الانسحاب فوراً . وسيضع تفاصيل هذه الخطة جميعها آمر الاحتياط العام بالاتفاق مع آمري قطعات الخط الاول .

القطعات ـ ١ . إن القطعات المتيسرة للدفاع عن الخط المهم تنحصر الآن في ما يلي : ـ

المنطقة الشمالية الشرقية	٤ افواج . سرية «سرمور» النسافة وبطرية مدافع «مكسيم» . ومفرزة مدفعية من المتطوعين
المنطقة الشمالية الغربية .	٤ افواج
الاحتياط العام .	٥ افواج
توزيع القطعات الاعتيادي نهاراً	٢ . توزيع القطعات التي مر ذكرها نهاراً على الوجه التالي : ـ
المنطقة الشمالية الشرقية .	٣ افواج في الحصن
	فوج واحد في الحصن
	٣ ربيئات على ضفة النهر
المنطقة الشمالية الغربية .	٤ أفواج في خط الخنادق الكبير
الاحتياط العام .	٥ أفواج[1] يعسكرون في معسكرات العراء المرموز اليها بالاحرف «أ» و «ب» و «ج» و «هـ» و «و» .
قطعات اضافية .	الفنية ٤٨ تعسكر في معسكر العراء المرموز اليه بالحرف «د» والسريتان النسافتان ١٧ و ٢٢ .

(١) ما عدا ربيئة واحدة مؤلفة من ٥٠ جندياً موضوعة على ضفة النهر الغربية .

توريع هذه القطعات ليلا توزع القطعات في المنطقتين الشمالية الشرقية والشمالية العربية على ما مر ذكره : -

الاحتياط العام

(أ) فوج واحد يؤلف احتياطاً قريباً عند الموضع « ر »

(ب) فوج بعد تعيينه من خط النار يظل في الموقع « ك » إلى بزوغ الفجر

(ج) فوج واحد تمزله احتياطاً قريب في الموقع « ح » إلى بزوغ الفجر

(د) فوجان في معسكر العراء .

أما القطعات الاضافية فتنام في خط الخنادق الثاني . أو تعسكر في العراء وهذه القطعات هي الفنية ٤٨ والسريتان السافتان ١٧ و ٢٢ .

٣ ـ إذا اقتضى الأمر الانسحاب من الحصن (ولا ارى احتمال ذلك) تدافع قوة المنطقة الشمالية الشرقية عن خط الاستحكامات الجديد الذي يجري انشاؤه الآن والممتد شرقاً من المعقل « ب » إلى ضفة النهر .

٤ ـ يجب أن يحتل فوج من افواج الاحتياط العام خط الاستحكامات الجديد قبل الانسحاب من الحصن وذلك لكي يستر هذا الفوج الاحتياطي الانسحاب .

ويجب أن يبلغ آمر المنطقة الشمالية الشرقية آمر القوة الاحتياطية انهُ عازم على الانسحاب . فيوفد آمر القوة الاحتياطية حينئذ فوجا من افواجه .

وبعد احتلال خط الاستحكام الجديد يوفد آمر المنطقة الشمالية الشرقية فوجاً إلى الاحتياط العام .

ويتم هذا على فرض أن الفوج الذي كان في الاصل احتياطاً قريباً في الموقع « ح » هو فوج الاحتياط العام .

فتوزع القوة على هذا الخط على الوجه التالي : ـ

نهاراً .	المطقة الشمالية الشرقية .	٣ افواج في الخط الاول
		فوج واحد في الخط الاوسط بمنزلة فوج احتياطي
	المطقة الشمالية الغربية .	تظل على ما كانت عليه قبلا
ليلا .	المنطقة الشمالية الشرقية .	تظل القوة على ترتيبها نهاراً
	المنطقة الشمالية الغربية .	ترتب على ما جاء في الفقرة ٢ .

٥ ـ إذا اقتضى الأمر الانسحاب مرة اخرى من خط الدفاع الاصلي وخط الاستحكامات الجديد (واعتقد أن الضرورة لا توجب هذا الانسحاب) يجب احتلال الخط الاوسط والمدافعة عنه .

٦ ـ يجب انشاء اربع طابيات صغيرة مسدودة لها اجنحة على وجه السرعة على مسافة تتراوح بين مائة ومائتي يارد امام الخط الاوسط بحيث يوضع في كل طابية خمسين جندياً ماشياً لسد منافذ التقرب وارغام العدو على الاسراع في الشروع في الحفر .

وآمر الاحتياط العام مكلف بانشاء هذه الطوابي بالاتفاق مع آمر قسم الهندسة .

٧ ـ يقسم الخط الاوسط إلى منطقتين وهما المنطقة الشمالية الشرقية وتمتد من ضفة النهر شرقاً إلى محل واقع على مسافة ثمانمائة يارد غرباً من الضفة ـ اي إلى خنادق الاحتياط في طرف خندق الاتصال الذي ليس ضمن هذه المنطقة . والمنطقة الشمالية الغربية وتمتد من هذا المحل إلى النهر غرباً . وطول الخط الاوسط نحو من ١٩٠٠ يارد .

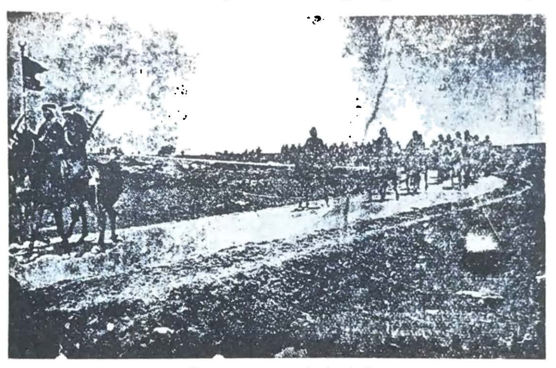
٨ - قبل الانسحاب من خط الدفاع الاصلي - ويشمل هذا الخط خط الاستحكامات الجديد - يقتضي احتلال الخط الاوسط . ويجب أن يحتل فوج من الاحتياط العام المنطقة الشمالية الشرقية من الخط الاوسط لستر الانسحاب على فرض أن افواج الاحتياط القريب منهمكة في العمل

ويجب أن يحتل فوج من الاحتياط العام المنطقة الشمالية الغربية من الخط الاوسط .

وإذا استطاع أمرا المنطقتين الشمالية الشرقية والشمالية الغربية فلينبئا آمر الاحتياط العام بقسم الخط الاوسط الذي يرغب في ارسال هذه الافواج اليه والا قضت الاصول بأن يحتلا خط النار بفرجات تاركين خندق المواصلات خاليا .

٩ - يوفد آمر المنطقة الشمالية الشرقية فوجين إلى الخط الثاني حين الانسحاب وذلك على ما تقتضيه الاحوال .

ويصبح هذان الفوجان تحت قيادة آمر الاحتياط العام لتوزيعهما على الخط الثاني أو معسكرات العراء على ما تقتضيه الاحوال .



الخيالة التركية تزحف على الكوت

ويجب على امري المناطق أن يضعا بالاتفاق تفاصيل حركة الافواج من خط إلى خط آخر

اوامر تتعلق بالخروج من الكوت

لمساعدة النجدة

إلى رئيس اركان الفرقة .

يجب أن تبلغوا جميع آمري الالوية الوجه الذي ارتب عليه القوة إذا خرجت لمعاونة قوة الفريق « ايلمر » حين وصولها الضفة اليسرى بالقرب من الحصن على الصورة التالية : ـ

١ ـ عند اقتراب قوة الفريق « ايلمر » .

يتحرك اللواء الذي يقوم حينئذ بواجبات الاحتياط العام بامري إلى موضع مستور جنوب الحصن وذلك بمنزلة استناد للواء السابع عشر .

٢ ـ يتحرك اللواء الثامن عشر بقيادة آمر اللواء « هملتون » إلى الخط الاوسط فيصبح الاحتياط العام فيترك وراءه فوجا لحماية الكوت ويسحب فوجاً من قرية السوس الواقعة على الضفة اليمنى لهذه الغاية ـ أي حماية الكوت .

وتتشكل القوة للقتال على الوجه التالي : ـ

القوة الكبرى في الميمنة : ـ اللواء الذي كان في السابق احتياطاً .

ويسنده اللواء السابع عشر .

مع الفنية ٤٨ وبطرية صحراء واحدة .

القوة الصغرى : ـ وتتألف من لواء موضوع الآن في المنطقة الشمالية الغربية والنسافة وبطريتي صحراء وبطرية المدافع القصيرة . وعند صدور الاوامر اليها بالزحف تتحرك على ضفة دجلة اليسرى . اما قوة الاحتياط العام فتكون مربوطة

بقائد الفرقة وهو الذي يصدر اليها الاوامر . ويكون مقر الفرقة والاحتياط العام معاً .

وساراعي هذه القاعدة في حركاتي وهي أنني ساحرك القوة الكبرى على المدى الذي يؤثر فيه نار مدفعية الصحراء - اي على مدى ٢٥٠٠ يرد أو ١ ١/٤ ميل إلى يمين (اي شمال) القوة الصغرى .

فاذا قاوم العدو زحف احدى هاتين القوتين مقاومة بعبأ بها اعانتها القوة الاخرى على الزحف وذلك بالشروع على الفور في القيام بحركة التفافية حول قوة العدو التي تقاوم زحف القوة الاخرى .

وساحرك الاحتياط العام في الفرجة التي بين القوتين الكبرى والصغرى بحيث يصبح اقرب إلى القوة الكبرى مما هو إلى القوة الصغرى .

تنبيه : ينضم فوج « نورفوك » إلى اللواء الثامن عشر .

الكوت في ٢٠ كانون الثاني سنة ١٩١٦ ج. ف. ف. ط

الخطط التي دونتها في دفتر أوامر حركاتي لتعاون قوتي وقوة الفريق « ايلمر »

الخطة (١)

للهجوم على المعسكر التركي الكبير الموجود على الضفة اليسرى إلى شرق الكوت . سأهجم على هذا المعسكر بقوة مقسومة إلى رتلين : -

الرتل (أ) إلى اليمين = ويتألف من القوة الكبرى وجناح المناورة التعرضي .

الرتل (ب) إلى اليسار متحركا على ضفة النهر = وهو القوة الصغرى .

الرتل (أ) = ويتألف من لواءين -

ويضاف اليه الفنية ٤٨ والفوج ١٧	اي لواء المشاة السابع عشر (يترك هذا اللواء نصف فوج في الحصن) واللواء الذي يكون احتياطاً عاماً في خط الخنادق الثاني حين الشروع في هذه الحركات . وتلتحق جميع رشاشات الالوية بالرتل (أ) .
	وتضاف اليه النسافة
الرتل (ب)	= ويتألف من اللواء الذي يكون مرابطاً في خط الخنادق الاوسط حين الشروع في هذه الحركات .

وينضم معظم المدفعية التي نستطيع اخذها معنا إلى الرتل (ب) (وهي بطريتا صحراء) .

إن الاحتياط العام يتألف من اللواء الثامن عشر بقيادة امير اللواء هملتون وينتقل إلى خط الخنادق الثاني ويجب ابقاء فوج في الكوت لحراسة المستشفيات والمخازن والاعاشة والنقلية ويسحب فوج من الكوت لهذه الغاية .

ويوضع الاحتياط العام تحت امرة قائد الفرقة .

وساراعي هذه القاعدة في حركاتي وهي أنني ساحرك الرتل (أ) إلى مدى تأثير نار مدفعية الصحراء اي ٢٥٠٠ يرد أو ٤/١ ١ ميل إلى يمين الرتل (ب) .

فاذا قاوم العدو زحف احد هذين الرتلين مقاومة يعبأ بها اعانه الرتل الآخر على الزحف وذلك بالشروع في القيام بحركة التفاف حول قوة العدو التي تقاوم زحف ذلك الرتل .

وعلى اركان الجيش أن يضعوا تفاصيل هذه الحركات بمقتضى الخطة (أ) .

الخطة (ب) .

هذه خطة موضوعة لتعاون قوتي وقوة الفريق « ايلمر » في الهجوم على القوة التركية المرابطة الآن في الحنة على الضفة اليسرى حين انسحابها مارة قبالتنا إلى المعسكر التركي الكبير الموجود على الضفة اليسرى ويجب القيام بهذه الحركة ابان

تقهقر الترك إذا فاز الفريق « ايلمر » في « المناورة » التي يقوم بها على الضفة اليمنى .

الرتل (ب) • ويضاف اليه السياقة • والفوج ١٧	= وهو القوة الصغرى . وتتألف من اللواء السابع عشر (ويترك هذا اللواء نصف فوج لحماية الحصن)
الرتل (أ) • ويضاف اليه الفيئة ٤٨ • وبطرية صحراء واحدة .	= وهو القوة الكبرى وتتألف من اللواء الذي يكون احتياطاً عاماً عند الشروع في الحركات ومن فوجين من اللواء الثامن عشر بقيادة امير اللواء هملتون .
اللواء الثامن عشر	يترك فوجاً واحداً في بلدة الكوت وفوجاً واحد آخر في قرية السوس .

الرتل (ب) يخرج م نالحصن من المنفذ الشمالي الشرقي ويتحرك على ضفة النهر .

الرتل (أ) يخرج من المعقل (أ) الواقع إلى غرب الحصن ويتحرك على مسافة ميل واحد إلى شمال الرتل (ب) بحيث يتحرك بمنزلة جناح المناورة التعرضي .

تنبيه : إن الفوائج القائم بواجبات الدفاع في خنادق المنطقة الشمالية الغربية يقوم بمظاهرة شمالا لاعانة الرتل (أ) على الخروج غرب الحصن .

على اركان الجيش أن يضعوا تفاصيل هذه الخطة .

الخطة (ج) .

لعبور الفرقة السادسة إلى الضفة اليمنى والوسائل الواجب اتخاذها لستر هذه الحركة .

تتناول هذه الحركة نقل المدافع والمرضى والجرحى والعتاد والاعاشة . وبعد

وصع جميع هذه على جانب النهر الاخر يخلي الجنود المرابطون في الخط الاوسط مواقع دفاعهم وينسحبون قدمات بحيث ينسحب اللواء السابع عشر وحامية الحصن اولا إلى الخط الاوسط ثم ينسحب اللواء المرابط في المنطقة الشمالية الغربية إلى الخط الثاني . ويعقبه اللواء السابع عشر منسحباً إلى الخط الثاني ثم ينسحب اللواء المرابط في المنطقة الشمالية الغربية ماراً في صفوف لواء الاحتياط العام في الخط الثاني بطريق اتونات الأجر فيعبر على الجسر . ويعقبه اللواء السابع عشر سائراً على اقصر طريق تؤدي إلى الجسر . والمدافع الموضوعة على الضفة اليمنى قابلة الخط الثاني تستر هذه الحركة .

ثم ينسحب لواء الاحتياط العام المرابط في الخط الثاني قدمات مؤلفة من افواج من الصفة اليسرى غرباً ويعبر الجسر . ويظل اللواء الثامن عشر اثناء هذه الحركات كلها مرابطاً خارج القسم الشمالي الغربي من بلدة الكوت وفي اتونات الاجر ومعقل المقبرة وذلك بمنزلة ساقة للفرقة . ثم يشرع امير اللواء هملتون على اثر الاشارة التي تصدر مني اليه في الانسحاب اولا من اتونات الآجر ثم من البلدة واخيراً من المقبرة عابراً الجسر إلى الضفة اليمنى .

وعلى اركان الجيش أن يضعوا التفصيلات لعبور المدافع والمرضى والجرحى والعتاد والاعاشة إلى الضفة الاخرى على ما جاء في الخطة (د) .

تنبيه : إن النسافة الذين يشتغلون على الجسر والارمات والفنية الذين يرافقون المدافع يصبحون تحت امرة آمر المدفعية .

الخطة (د)

لتعاون قوتي وقوة الفريق « ايلمر » على عبور نهر الحي .

اولا : ساعزز حامية قرية السوس (المؤلفة من فوجين وسرية واحدة مضاعفة من فوج راجبت) بما يبقى من لواء امير اللواء هملتون ثم اضيف اليها اللواء الذي يكون حينئذ احتياطاً عاماً في خط الخنادق الثاني (ويترك هذا اللواء فوجاً في البلدة) فيعبر من معبر ليلا فيستغرق عبوره ثلاث ليال على وجه التقدير .

وتعضد المدفعية الموضوعة على الضفة اليسرى اللواءين في عملهما حين استيلائهما عند الفجر على الخنادق القربى ويحاولان الاستيلاء على الخنادق الواقعة إلى غرب القرية وجنوبها بينما يصوب قسم من المدافع نحو مواضع العدو على الضفة اليمنى فوق تربة السوس اي في شمال غرب القرية

وهذا الهجوم يمكن القوة المنجدة من عبور نهر الحي .

ثانياً : إذا عزم الفريق « ايلمر » بعد هذه الحركة على مهاجمة معسكر العدو الكبير الكائن في عطفة شمران على ضفة النهر اليمنى اصدر أنا الأمر إلى اللواء السابع عشر بالعبور إلى قرية السوس . وعلى هذه الصورة يصبح لدي ثلاثة الوية من الوية الفرقة فاتحرك حركة جبهية على الضفة نحو معسكر العدو الذي مر ذكره فتؤلف قوتي القوة الصغرى التي تهاجم الجبهة اما قوة الفريق ايلمر فتؤلف القوة الكبرى أو جناح المناورة فتتحرك في الجهة الجنوبية الغربية مني بقصد الالتفاف حول معسكر العدو أو الاحاطة به من الجهة الجنوبية الغربية .

واعتقد أنه إذا فاز الفريق « ايلمر » فوزاً مبيناً تقهقر العدو كل التقهقر في جهة النهر الشمالية إلى العزيزية .

وعلى اركان الجيش أن يضعوا تفاصيل عبور القطعات إلى قرية السوس وفقاً لما رسمته في الخطة « د » .

إلى رئيس اركان الجيش للفرقة .

اصدرت سراً أمر حركات الفرقة السادسة إلى آمري الوية المشاة الاربعة وإلى آمر المدفعية وآمر لواء مدفعية الصحراء العاشر وآمر قسم الهندسة وآمر قسم المخابرة ومعاون مدير الميرة ومعاون مدير العينة والنقلية ومعاون مدير القسم الطبي ليستعدوا لتنفيذ ما رسمته في الخطة (ب) التي وضعتها لمهاجمة العدو على فرض انسحابه من الحنة الواقعة على الضفة اليسرى .

وعلى آمر الالوية ٣٠ و ١٨ و ١٧ أن يستعدوا للشروع حين صدور امري في السير قبيل الساعة السابعة صباحا إلى المثابات التي عينتها في الوصايا التي

اصدرتها اليهم وذلك اذا امرت بالسير .

ويجب توزيع الانباء التي تتضمنها رسالة قائد الفيلق العامة الموسومة ٣١٨/١٣ والمؤرخة ٢١ شباط في مذكرة سرية تصدر على حدة . وقد استعد آمر الفيلق لمباغتة الاعداء غداً في ٢٢ شباط عند الفجر بالهجوم على موقعهم في الحنة وستشترك كل قوته في هذا الهجوم .

فاذا طرد العدو من موقعه هجم قائد الفرقة السادسة على الترك لمعاونة الفريق « ايلمر » .

ويجب أن تلفتوا نظر آمر المنطقة الشمالية الغربية إلى الوصايا المختصة بالمظاهرة التي يقوم بها إذا خرج آمر الفرقة للهجوم على العدو .

في ٢١ شباط سنة ١٩١٦ ج. ف. ف. ط

لقد صدرت الاوامر بأن تكون القطعات في مساء ٢٢ شباط سنة ١٩١٦ على حالة استعداد معدل اي أن لا يتغيب الجنود من معسكرات العراء أو من الفرق مدة طويلة وعلى آمري الالوية أن يدبروا هم انفسهم جميع التدابير الصغرى .

في ٢٢ شباط سنة ١٩١٦ ج. ف. ف. ط

الخطة (هـ)

لعبور دجلة إلى الضفة اليمنى وتعاون قوتي وقوة
الفريق « ايلمر » في القتال

إلى رئيس اركان الجيش للفرقة

الرجاء أن تضع هذه الخطة على صورة تشبه الخطة (ج) (اي الجلاء عن الكوت والعبور إلى الضفة اليمنى) على الوجه التالي : ـ

ساتولى قيادة القوة الكبرى التي تتألف على صورة تضمن سلامة الكوت فاخرج بهذه القوة إلى الضفة اليمنى عندما اشاهد قدوم النجدة .

وسأترك قوة صغرى تتألف على صورة تضمن سلامة الكوت فتشغل هذه القوة خطوط الدفاع عن الكوت والبلدة وقرية السوس الواقعة على الضفة اليمنى . وتتألف القوة الكبرى من لوائين ضعيفين والبطرية ٦٣ من مدفعية الصحراء الا حضيرة واحدة .

الرتل (ا) .

ويتألف من اللواء الموقت بقيادة الزعيم ايفانس والمؤلف من : -

فوج « نورفوك »
وفوج « اوكسفور »
والفوج البنجابي ٢٢
والفوج البنجابي ٦٦

الرتل (ب) .

ويتألف من اللواء الذي يكون حينئذ احتياطاً عاماً .

ومن مفرزة طبية وقسم من عجلات النقل الصغرى اي اصغر قسم .

ويحمل كل جندي ١٥٠ اطلاقة وطعام يوم مطبوخ ومعطفا .

ملحق الخطة (هـ)

لقد قلت أن

القوة الصغرى التي ابقيها لاحتلال خطوط الدفاع عن الكوت يتولى قيادتها آمر اللواء المرابط في المنطقة الشمالية الغربية وتشمل اللواء المرابط في المنطقة الشمالية الغربية .

اللواء السابع عشر (ما عدا فوج بريطاني واحد وفوج هندي واحد) .

اللواء الثامن عشر (ما عدا فوج بريطاني واحد) .

كل مدفعية الفرقة (ما عدا اربعة مدافع من مدافع بطرية الصحراء ٦٣) .

ويخيل إلى المرء أنها « قوة صغرى » كبيرة جداً ولكنني لا اعتقد أننا نستطيع الوثوق بسلامة الكوت بقوة اصغر منها لأنه يحتمل أن يقوم الترك الذين على الضفة اليسرى بهجمة معاكسة على خطوط دفاعنا التي تزيد جبهتها على المقدار المطلوب . وكذلك في الخروج عنوة لا استطيع نقل « قوة كبرى » تزيد على هذه القوة إلى الضفة النهر الاخرى في وقت موافق نظراً إلى وسائل النقلية المتيسرة فكل ما لدي منها جسران سابحان والباخرة « السمانة » و « بارجة » واحدة . وقد بلغني أن وضع الجسرين السابحين يستغرق خمس ساعات على وجه التقريب وهذا بطء يفقد المرء صوابه ويقول مدير قسم الهندسة أنه لا يستطيع تعبير اكثر من ١٥٠ جندياً في الساعة . واعتقد أن السمانة والبارجة تستطيعان نقل ٤٠٠ جندي في الساعة .

إن القاعدة التي تراعى في عبور نهر عنوة تقتضي أن تقوم القوة الصغرى بمظاهرة لايهام العدو بأنها تحاول أن تشق لها طريقاً في صفوفه بهجمة جبهية بينما تعبر القوة الكبرى التي تؤلف جناح المناورة التعرضي من محل آخر بالقرب من جناح القوة الصغرى ـ اي أنها تقوم بمناورة التفاف .

فالقاعدة التي اتوخاها في هذه الحركة هي أنني انوي القيام بمظاهرة بحامية قرية السوس بينما يعبر الرتلان (أ) و (ب) اللذان يؤلفان قوة الخروج إلى الضفة اليمنى في عطفة النهر الواقعة إلى شرق بلدة الكوت ـ اي في المكان المحمي من نار مدفعية العدو والمستور عنها اكثر من الاماكن الاخرى .

ولست ناوياً أن اعبر ليلا لأنني لست واثقاً من وصول النجدة . فيحتمل أن تتساقط الامطار بالقرب من الصناعيات اثناء ما يكون الجو صافياً في الكوت . ولا اعتقد أن القوة المنجدة تزحف في يوم ماطر . فاذا عبرت والحالة هذه عنوة إلى الضفة اليمنى بت عرضة لهجوم العدو علي هجوماً شديداً ولا شك في أن الترك يهاجمون حينئذ الكوت من جميع اطرافها هجوماً عاماً فيقضي ذلك على « مناورة »

الخروج واقل ما يحل بقوتنا إنها تكبد خسارة فادحة . هذا اذا لم تصبها كارثة شديدة .

وليست هذه الفرصة مما يحملني على المجازفة بثمار دفاعنا بالقيام بحركات ليلية تنطوي على المخاطر وامور تأتي بها الصدفة مما لا يعلمه غير الله . لذلك لا اشرع في حركات العبور بقوة الخروج إذا لم اشاهد قوة النجدة في هذه الساحة . وفضلا عن هذا أن العبور ليلا يدل الترك كل الدلالة على أن هنالك حركات تقوم بها النجدة . ولا اتوقع أن تلقى جنودي مقاومة عيفة اثناء عبورها قطعة قطعة واحتلال الخنادق التي انشأها الترك على الضفة الاخرى وزحفها على خط خنادق الترك الكبير (واعتقد أن خط الخنادق هذا هو خليج ماء قديم واقع إلى شرق ضفة النهر) . وبعد أن يعبر الرتل الاول النهر سيعقبه في العبور كل النسافة والفنية فيحفرون خنادق على الضفة اليمنى على صورة غير متقنة فتصبح رأس جسر لنا وذلك إذا لم انو التقدم على الفور . ويعقب الرتل الباقي من قوة الخروج النسافة والفنية في العبور .

وعندما يتم اجتماع قوتي التي خرجت على الضفة اليمنى اكيف عملي على ما تقتضيه الاحوال . فانني انوي الانضمام إلى قوة الفريق « ايلمر » القائمة بالهجوم الالتفافي حول ميمنة موقع السن القصوى (اي جناح هذا الموقع الجنوبي) أو أنني اعاون قوة الفريق « ايلمر » .

وعندما تحتل القوة المنجدة موقع السن ينفك الحصار عفواً عن الكوت . وإذا انكسر الترك انكساراً منكراً ارجح أنهم يتقهقرون بلا انتظام ويحاولون عبور نهر الحي على الجسر الممدود فوقه واعتقد أننا سنهدد عبورهم هذا بمعظم خيالتنا ومدافعنا الثقيلة .

كوت الامارة في ٢ آذار سنة ١٩١٦ الفريق الثاني ج. ف. ف. ط.

يجب الاحتفاظ بالحصن مهما كلفنا ذلك

إلى رئيس اركان الجيش للفرقة .

الرجاء أن تبلغ آمري الالوية أنه لما كان قد اقتضى تعاون قوتنا وقوة الفريق « ايلمر » على الضفة اليمنى وانهُ لما كان من الامور الراهنة أن استيلاء الفريق « ايلمر » على موقع السن الواقع على الضفة اليمنى يفك الحصار عنا عفوا ـ اي أننا نستطيع عبور النهر إلى الضفة اليمنى للالتحاق بالنجدة في السن إذا اقتضى الأمر مغادرة الكوت ـ فقد قررت وجوب الدفاع عن الحصن مهما كلفنا ذلك عملا بنظرية « هوغو مونت » .

ولا يخفى أنه اذا اخلي الآمر ، الذي يتولى قيادة القوة التي ابقيتها في الكوت حين عبورتي النهر بقوة الخروج ، الحصن بحجة أن قوته اضعف من أن تدافع عن الجبهة التي ترغمنا الاحوال على الدفاع عنها في الوقت الحاضر أو لسبب آخر من الاسباب احتل العدو الحصن على الفور وعرقل كل العرقلة مساعينا للانضمام إلى الفريق « ايلمر » . وفضلا عن ذلك انهُ إذا احتل العدو الحصن لا تستطيع مدافعنا البقاء في اتونات الاجر فيكبد العدو البلدة وغيرها خسارة فادحة .

وعليك الآن أن تتخذ جميع التدابير لوضع المؤن في الحصن وساعين أنا نفسي قوة الحامية التي تدافع عن الحصن بقيادة الزعيم « برون » .

ويجب تعديل الوصايا العامة السابقة التي اصدرتها بشأن الدفاع عن الحصن واحتلاله وذلك بمقتضى هذه الاوامر .

في ٣١ آذار سنة ١٩١٦   ج. ف. ف. ط

تابع المقتبسات من دفتر اوامر حركاتي : ـ

وصايا عامة صادرة إلى آمري الالوية في ٥ آذار سنة ١٩١٦ .

الآن ـ وقد اوشك الفريق « ايلمر » أن يشرع في زحفه لفك الحصار عن الكوت ـ اوضح لآمري الالوية خطط ـ او بالاحرى مشروعات ـ الحركات التي رسمتها لمقابلة الطوارىء التي اتصور طروءها (لأنه يستحيل على المرء التكهن بما ينوي العدو عمله) وللنزول عند رغبة الفريق « ايلمر » على قدر استطاعتي .

يحتمل أن العدو يهجم على المنطقتين الشمالية الغربية والشمالية الشرقية من

خطوط الدفاع عن الكوت عند مشاهدته قوة الفريق « ايلمر » زاحفة في الجهة الجنوبية الشرقية وذلك لكي يشاغلني في الكوت أو يوقفني في محلي ويمنع عبوري إلى الضفة اليمنى لمعاونة النجدة . ويحتمل أن تكون هجمات العدو هذه فاصلة وتبلغ منتهاها أو الارجح أنها تكون هجمات مشاغلة تقوم بها قوة تركية صغرى على أن تأخذ هذه الهجمات طوراً جديداً عند صدور الاشارات اليها بنجاح العدو في ساحة الحرب الكبرى .

ويحتمل كذلك أن القوة التركية المرابطة في الحنة تنسحب من هناك وتشترك في مهاجمة الحصن والمنطقة الشمالية الشرقية من خطوط دفاعنا .

فنرى من هذا أنني نظراً إلى مقتضيات الاحوال وإلى كوني قد اصبحت في موقف المدافع والمهاجم قد اخذت الحيطة لسحب اقوى احتياط عام أو قوة كبرى مؤلفة من لواءين اضعها تحت يدي في ضواحي البلدة الجنوبية الشرقية وفي الواقع أن هذه القوة هي في موقع مركزي يمكنني من سوقها إلى الجهة التي اريدها من الجهتين المرابطة فيهما قوتاي الصغروان على جانبي المنفذين اللذين يدنو منهما العدو - اي أن قوة الفريق « ديلامين » مرابطة على جانبي المنفذ الشمالي الغربي وقوة امير اللواء « هوتن » على جانبي المنفذ الجنوبي الشرقي .

فبانضمام قوتي الكبرى على جناح السراعة إلى احدى هاتين القوتين الصغراوين المنهمكتين في مشاغلة العدو اتمكن كل التمكن من طرد قوة العدو التي تهجم على احدى الفرقتين المذكورتين وتضايقها بردها إلى الوراء أو من سحق تلك القوة المعادية أو كسرها .

وإذا لم يهاجم العدو المنطقتين الشمالية الغربية والشمالية الشرقية يستمر تأهبي لعبور النهر لمساعدة الفريق « ايلمر » مساعدة فعلية .

وسترون أنني قد جمعت المدفعية على قدر المستطاع للحصول على منطقتي نار شرقية وشرقية جنوبية على ما طلبه مني الفريق « ايلمر » . ولكنني قد امرت آمر المدفعية أن يسحب المدافع على جناح السرعة في وسط المدينة ويضعها في مكان

تتسلط منه نيرانها على الجهتين الشمالية الغربية والشمالية الشرقية وذلك اذا هاجم العدو هجوماً شديداً خطوط دفاعي من الجهتين الشمالية الغربية والشمالية الشرقية .

الكوت في ٥ آذار سنة ١٩١٦ الفريق الثاني ج. ف. ف. ط

ملحوظات تتعلق بالموقف الحربي في كوت الامارة في ١٥ نيسان سنة ١٩١٦

(أ) إن قوة العدو الكبرى موضوعة على ضفة دجلة اليسرى وهي محصنة في موقع الحنة ومرتبة على قدمات إلى الوراء بمنزلة قوة استناد لذلك الموقع ما عدا فرقتين (كتائب المشاة ٥١ و ٥٢ و ١٢) ومفرزة مؤلفة من كتيبتي مشاة ومجموع القوة ١٤٠٠٠ مقاتل و ٢٧ مدفعاً .

(ب) وللعدو قوة صغرى على ضفة دجلة اليمنى في المكان المسمى « موقع السن » وهذه القوة مؤلفة من فرقة وثلثي فرقة وتبلغ قوتها نحواً من ٨٠٠٠ مقاتل و ١٩ مدفعاً ولكن الفرقة الخامسة والثلاثين ضعيفة جداً .

(ج) إن قوة الترك الراصدة المشاغلة مرابطة في شمران على الضفة اليسرى وقسم من هذه القوة مرابط على الضفة اليمنى وهنالك جسر بين هذين الموقعين . وهي تتألف من الفرقة الخامسة والاربعين مع ثلاثة افواج و ٢٣ مدفعاً وتبلغ قوتها نحواً من ٧٠٠٠ أو ٨٠٠٠ مقاتل . ومجموع القوة المقاتلة نحو من ٢٩٠٠٠ أو ٣٠٠٠٠ مقاتل على اعظم تقدير بقيادة خليل باشا .

وقد تكبد العدو خسارة فادحة في ١٨ آذار ولكنني لا اعلم مقدارها وقد انبأ مرافق خليل الذي حمل إلي الرسالة احد ضباطنا أن خسارة الفريقين كانت متساوية على وجه التقريب .

٢ ـ هنالك ما حملني على الاعتقاد بوصول ثلاث فرق اخرى لتعزيز قوة العدو من بغداد التي اتخذها « فوندر غولتس » مركزاً له لادارة حركات الجيوش

التركية في العراق وفي بلاد فارس على موقع مركزي (أي على خطوط داخلية) يهدد منه البريطانيين على دجلة والقوة الروسية التي يقودها « باراتوف » في ميدان الحركات الغربي . والقوة الروسية كذلك تزحف نحو بغداد على خط بغداد ـ سلمان باك خانقين . لا اعلم مقدار قوة «فوندر غولتس» الصغرى الموجودة على الخط الذي يصد زحف « باراتوف » ولكنني اقدر تلك القوة بفرقتين وأن قوة « باراتوف » تتألف من ١٥٠٠٠ مقاتل فقط وهو يلقب نفسه بـ « قائد فيلق الحملة الروسية في بلاد فارس » . ويحتمل أن « فوندر غولتس » قد اوفد الثلاث الفرق التركية (التي مر ذكرها والتي كنا نتوقع وصولها الكوت) إلى خانقين لتعزيز القوة التركية التي تتقهقر من وجه « باراتوف » وأن سقوط ارضروم قد حول وجهة جميع النجدات التركية التي كان « فوندر غولتس » ينوي أن يكوّن منها قوة مركزية وبذلك انقلبت جميع خططه انقلاباً عظيماً رأساً على عقب . وقد ابرق إلي « باراتوف » عدة مرار منذ وصوله همدان وتقدمه نحو كرمانشاه يطلعني على سير حركاته ويفصل لي عن امله بقرب اجتماع القوات الروسية والبريطانية في العراق . ونظراً إلى تفرق القوة الروسية في بلاد فارس ارتالا تائهة لا اعتقد بأن الروس يفكرون في الزحف على بغداد زحفاً جدياً لأنهم لو كانوا ينوون ذلك لوحدوا جميع ارتالهم فجعلوها قوة كبرى .

٣ ـ لا اعلم مقدار القوة التي يقودها « غورنج » في الوادي ولكن بناء على برقية تلقيتها من المقر العام في ٢٥ كانون الثاني سنة ١٩١٦ ارى أنه كان لدى « ايلمر » حين محاولته فك الحصار عني في ٨ آذار بزحفه على الضفة اليمنى ٢٠٠٠٠ مقاتل . ولا علم لي بمقدار خسارته في تلك الوقعة ولكن خليل باشا قال في الرسالة التي بعث بها إلي أن خسارة « ايلمر » بلغت ٤٠٠٠ قتيل وجريح . اما « ايلمر » فقال أن خسارته « كانت فادحة » لذلك اعتقد بصحة هذا التقرير . وعندما تنضم الفرقة ١٣ إلى « غورنج » ولا تزيد قوة هذه الفرقة على ١٢٠٠٠ مقاتل فقط ـ تصبح قوته ٢٨٠٠٠ مقاتل ومن ٧٠ إلى ٨٠ مدفعاً . ولا علم لي بقوة

الفرقة ١٣ ولكن على ما اتصل بي أن هذه الفرقة تكبدت خسارة فادحة في شبه جزيرة « غاليبولي » فلا اعتقد أنها تزيد على ١٢٠٠٠ مقاتل .

٤ ـ لو كنت مدير حركات الحملة المجردة لفك الحصار عن الكوت لراعيت قاعدة اثارة معركة فاصلة على الضفة اليسرى بكل قوتي متحدة بعد فشل ٨ آذار وذلك للاسباب التالية : ـ

اولاً : إن قوة العدو الكبرى مرابطة على الضفة اليسرى لذلك تقضي الاصول بأن نجعلها هدفنا الاصلي . فاذا ابدنا هذه القوة التركية التي في الحنة وطاردناها سقطت القوة التركية التي على الضفة اليمنى كذلك وتقهقرت نحو نهر الحي على ما حدث في الواقعة التي اثرتها في أيلول المنصرم فينفك الحصار عن الكوت .

ثانياً : ساقوم بحركة وهمية بجانب من قوتي على الضفة اليمنى عند تخييم الظلام لحمل العدو على تعزيز قوته التي على الضفة اليمنى . ثم اسحب تلك القوة تحت جنح الظلام وانقلها إلى الضفة اليسرى مرة اخرى على جسري واسري (اسير ليلا) للقيام بحركة التفافية واسعة بقوتي الكبرى إلى الجهة الشمالية حول ميمنة العدو ومؤخرته .

ثالثاً : اترك قوة صغرى فقط وهي مفرزة مختلطة مؤلفة من فوجين أو ثلاثة افواج وبطارية واحدة على الضفة اليمنى لحراسة رأس جسري على تلك الضفة .

رابعاً : سأستخدم جسراً واحد واسعاً واضعةُ بحيث يظهر على اكبر حجم مستطاع واضع عليه معظم مدفعيتي لتقويته وذلك لايقاف العدو في قسم من مكانه على الضفة اليسرى . وعلى هذه الصورة اوجه قوتي القائمة بالهجوم الالتفافي والمؤلفة من اكبر قوة متيسرة لي على جناح العدو على ما فعلته في معركة الكوت في شهر أيلول المنصرم .

خامساً : إذا قامت النجدة بحركاتها على الضفة اليسرى استطيع معاونتها حين اقترابها من الكوت ـ أي أنني استطيع مهاجمة الخنادق الواقعة امام المنطقة

الشمالية الشرقية من خطوط دفاعي واطرد القوة المشاغلة .

سادساً : اما اذا دنت النجدة مني على الضفة اليمنى فاستطيع عبور دجلة على جسور سابحة فقط بمشقة عظيمة وبطء شديد ولا استطيع حينئذ المقاتلة . ويا لسعد طالعي إذا استطعت نقل ٢٠٠٠ جندي في اربع ساعات إلى الضفة الاخرى بالوسائل المتيسرة لي وتحت النار .

سابعاً : والفائدة العظمى الاخرى التي ينالها « غورنج » من اجراء الحركات على الضفة اليسرى هي أن سفنه تستطيع أن تسير على معدل زحفه وبذلك تتسهل له وسائل الحصول على العتاد والطعام ونقل الجرحى من ساحة القتال .

٥ ـ اما اذا تحرك على الضفة اليمنى فتكون الحالة على عكس ما تقدم لانهُ يتحتم عليه حينئذ أن يترك جميع السفن وراءه على مسافة بعيدة جداً ويلاقي صعوبات جمة في أمر الماء والطعام ونقل الجرحى لأن النقلية المتيسرة له قليلة . واعتقد أن هذه الصعوبات هي التي حملت « ايلمر » على التقهقر في الوقت الذي كان في استطاعته مواصلة الزحف والفوز .

٦ ـ ولما كنت بعيداً عن ميدان حركات النجدة فلا اعلم هل يلاقي « غورنج » صعوبات في قيامه بهجوم التفافي بقوته الكبرى على الضفة اليسرى حول ميسرة موقع العدو . ولكنه اذا استطاع القيام بهذه الحركة وطارد هذه القوة التركية بقوة احتياطية لا شك عندي في نجاحه ويسهل على لواء واحد صد قوة العدو المرابطة في بطيحة السويدة يوضع على مسافة نحو من عشرة اميال إلى الوراء غرباً من موقع العدو في ذلك المكان حيث التففت حول جناح الترك في شهر أيلول المنصرم .

٧ ـ لا تستطيع قوة العدو المرابطة في شمران[1] اتيان عمل ذي شأن كما فعلت في ٨ حزيران لانه اذا زحفت هذه القوة لتعزيز القوة على الضفة اليسرى لا بد من مرورها بي فاهاجمها حينئذ .

---

(١) وهي القوة التي تشاغل الكوت وتحصرها .

٨ ـ إن قوة العدو المرابطة في السن على الضفة اليمنى منتشرة انتشارا اوسع من أن يمكنها من القيام بعمل فاصل . وهذه القوة تدافع عن خط ممتد امتدادا عظيما مسافة نحو من ١١ ميلا على اقل تقدير ويتضمن هذا الخط الاستحكامات إلى جنوب معقل الدجيلة نحو نهر الحي وهي الآن منهمكة في الحفر هناك . وهذا مما يزين للمرء الهجوم على تلك الاستحكامات التي يدافع عنها ٨٠٠٠ جندي فقط والدفاع عنها اذا كانت في اوربا تقتضي فيلقين فهي ضعيفة في كل مكان . واعتقد أن صعوبات الماء ونقل الجرحى مما يحمل المرء على صرف نظره عن مهاجمة موقع السن .

٩ ـ ولما كان غورنج واقفاً على الامور في مكانها فلا بد من انه ينظر في فوائد الحركات التي تجري على كل ضفة من الضفتين ومضراتها . وإنني مستند إلى النظريات الحربية في الآراء التي ابديها هنا . وارى أنه يجب الايعاز إلى « باراتوف » بأن يقوم بتعرض شديد يوما من الايام قبل شروع « غورنج » في زحفه لكي تتحول انظار الترك عن هذه الساحة إلى بغداد . واعتقد أنه سيلقى مقاومة في مضيق طاق كسرى ولكن يستطاع الالتفاف حول ذلك المضيق مثل مضائق الجبال الاخرى .

الفرقة السادسة

بيان قوة الوحدات المحاربة في ٤ كانون الاول سنة ١٩١٦

الوحدات	الضباط		الجنود	
	البريطانيون	الهنود	البريطانيون	الهنود
مقر الفرقة السادسة	١٥	-	٣٥	٦
مقر لواء المشاة ١٦	٣	-	٩	٦
فوج دورست الثاني	١٢	-	٣١٥	-
الفوج البنجابي ٦٦	٣	٨	-	٤٨٨
فوج حملة البندقيات ١٠٤	٢	١	-	٣٢٢
فوج مهرتة ١١٧	٥	٨	-	٣٩٣

الوحدات	الضباط		الجنود	
	البريطانيون	الهنود	البريطانيون	الهنود
مقر لواء المشاة ١٧	٢	-	١٠	٦
فوج اكسفورد وبكس الخفيف الاول	٨	-	٣٣٢	-
الفوج السجابي ٢٢	٧	٥	-	٣٩٥
فوج مهرنة الخفيف ١٠٣	٥	١٧	-	٥٢٩
فوج المشاة ١١٩	٥	١٢	-	٤٧٠
مقر لواء المشاة ١٨	٣	-	٨	٦
فوج نورموك الثاني	٧	-	٢٣٤	-
فوج راجبت السابع	٦	٥	-	٣٥٧
الفوج ١١٠	٤	٧	-	٣٣٠
الفوج ١٢٠	٧	١٠	-	٤٤٥
فوج رويال وست كنت الثاني	٦	-	٢٦٧	-
فوج هانتس $\frac{١}{٤}$	١٠	-	١٦٣	-
الفوج البنجابي ٢٤	٨	١١	-	٤٨٤
الفوج البنجابي ٦٧	٨	١٠	-	٣٣٢
الفوج البنجابي ٧٦	٩	١٣	-	٣٣٣
فوج الغركة $\frac{٢}{٧}$	٦	٨	-	٥٠٢
آمر المدفعية واركانه	٣	-	٥	٢
مقر لواء مدفعية الصحراء العاشر	٢	-	١١	-
بطرية الصحراء ٦٣	٢	-	١٣٣	٢٦
بطرية الصحراء ٧٦	٢	-	١٢٤	٢٦
بطرية الصحراء ٨٢	٣	-	١٣٢	٢٧
بطرية مدافع هانتس القصيرة $\frac{١}{٥}$	٣	-	١١٠	٥٥
رتل عتاد الفرقة	٣	٢	٤٨	٢٧
مقر لواء المدفعية الثقيلة	٢	-	٤	-
بطرية المدافع الثقيلة ٨٦	٤	-	٥٦	-
بطرية المدافع الثقيلة ١٠٤	٣	-	٣٧	٥٤
بطرية مكسيم	٢	-	١١	٢٦
مقر لواء المدافع الجبلية ١١	١	-	-	-

الوحدات	الضباط		الجنود	
	البريطانيون	الهنود	البريطانيون	الهنود
مقر قسم هندسة الفرقة	١	-	-	-
السرية ١٧ من النسافة ٣	٢	٣	٢	١٦٦
السرية ٢٢ من النسافة ٣	٣	-	-	١٧١
قطار الجسور	١	-	-	٢٩
حضيرة النور الكشاف	١	-	-	١١
سرية مخابرة الفرقة ٣٤	٤	١	٥٤	٨٧
الفنية ٤٨	٧	٧	-	٣٥٨
كتيبة الخيالة ٢٣ للفرقة	٢	١	-	٧٠
مقر لواء الخيالة السادس	٥	-	١	١
البطرية S من المدفعية الثقيلة	٣	-	٩٤	٣٢
كتيبة اخزار ١٤	٢٠	-	٣٩٧	-
الكتيبة الرماحة السابعة	٨	١٢	-	٣١٩
كتية الخيالة ١٦	٧	١٠	-	٢٠٩
كتيبة الخيالة ٣٣	٩	١١	-	٢٥٢
رتل عتاد لواء الخيالة	١	-	٧	١٩
رعيل مخابرة لواء الخيالة	١	-	٤	١٠
المجموع	٢٤٦	١٦٨	٢٦٠٣	٧٣٨١

المجموع الكلي ١٠٣٩٨

الخلاصة

الخيالة ١٥٠٥ ارسلوا من الكوت في ١٦ كانون الاول .

المدفعية ٩٤٦

النسافة ٣٩٠

المخابرة ١٤٦

المشاة ٧٤١١

المجموع ١٠٣٩٨

يطرح ١٥٠٥ الخيالة التي ارسلت في ٦ كانون الاول .

الباقي ٨٨٩٣

الفرقة السادسة

بيان نصف اسبوعي فيه قوة الوحدات المحاربة في ١٥ آذار سنة ١٩١٦

الوحدات	الضباط		الجنود	
	البريطانيون	الهنود	البريطانيون	الهنود
مقر الفرقة السادسة	١٥	-	٣٧	-
مقر لواء المشاة ١٦	٣	-	١١	-
فوج دورست الثاني	٩	-	٣٣٢	-
الفوج البنجابي ٦٦	٥	١٥	-	٤٢٤
فوج حملة البندقيات ١٠٤	٥	٧	-	٢٥١
فوج مهرتة ١١٧	٥	١٤	-	٣٢٤
مقر لواء المشاة ١٧	٢	-	١١	٧
فوج اوكسفورد الخفيف الاول	٧	-	٣٠٣	-
الفوج البنجابي ٢٢	٧	٩	-	٣٠٦
فوج مهرتة الخفيف ١٠٣	٥	١٧	-	٢٩٨
الفوج ١١٩	٥	١٥	-	٣٥٢
مقر لواء المشاة ١٨	٣	-	٧	-
فوج نورفوك الثاني	٧	-	٣٠٣	-
فوج راجبت السابع	٥	٦	-	٣١٥
فوج مهرتة الخفيف ١١٠	٥	١١	-	٢٦٦
الفوج ١٢٠	٥	١٢	-	٣٣٧
مقر لواء المشاة الثلاثين	٣	-	١	-
فوج رويال وست كنت الثاني	٦	-	٢٧٠	-
فوج هانتس ١/٤	٧	-	١٥٢	-
الفوج البنجابي ٢٤	٥	١٢	-	٤٣٠
الفوج البنجابي ٦٧	٣	٩	-	٢٦١
الفوج البنجابي ٧٦	٦	١٥	-	٣٤٧
فوج غركة ٢/٧	٥	١٤	-	٤٠٩
الفنية ٤٨	٦	٨	-	٣٤٤
مقر قسم الهندسة	٥	-	٣	٢

الوحدات	الضباط		الجنود	
	البريطانيون	الهنود	البريطانيون	الهنود
سرية النسافة ١٧	٣	٢	٢	١٤٣
سرية النسافة ٢٢	٢	٢	١	١٥٣
سرية نسافة سرمور	١	٤	-	٦٦
القطار الحسار	١	١	-	٢٥
حضيرة النور الكشاف	١	-	١٠	-
سرية مخابرة الفرقة ٣٠	٥	٢	٤٨	٩٥
حضيرة مخابرة اللواء ٣٠	١	-	١٠	١٢
كتيبة الخيالة ٢٣ للفرقة	١	٢	-	٨٥
مستودع الخيالة	-	٥	١٨	١٤٤
مقر آمر المدفعية	٢	-	٧	٣
مقر لواء مدفعية الصحراء العاشر	١	-	١٣	-
البطرية ٦٣ من مدفعية الصحراء	٣	-	٨٦	٣٦
البطرية ٧٦ من مدفعية الصحراء	٤	-	٩٢	٣١
البطرية ٨٢ من مدفعية الصحراء	٣	-	٨٢	٢٧
رتل العتاد السادس	٣	١	٤٥	١٠٥
بطرية مدافع هانتس القصيرة $\frac{1}{5}$	٢	-	٩٢	٥٤
مقر لواء المدفعية الثقيلة	١	-	٤	-
بطرية المدافع الثقيلة ٨٦	٤	-	٧٠	١٤
بطرية المدافع الثقيلة ١٠٤	٣	-	٤٠	٥٩
بطرية مدفعية المتطوعين	٣	-	٣٩	-
لواء المدفعية الجبلية الهندية الاول	١	-	-	٤
بطرية مكسيم	١	-	٨	١٩
متفرقات المدفعية المستخدمة في اللواء ١٧	٢	-	٩١	-
سرية مخابرة الفيلق	-	١	٢٤	١١
قسم الطيران	٣	-	٤١	١١
المجموع	١٩٠	١٨٤	٢٢٥٣	٥٧٧٠

المجموع الكلي ٨٣٩٧

الخلاصة : -

الخيالة	٧٣٥
المدفعية	٩٦٢
مشاة	٦٣٩٦
نسافة	٤٢١
مخابرة	١١٣
اقسام مدفعية متفرقة ووحدات شتى	١٨٤
مجموع	٨٣٩٧

خلاصات القوات المحصورة في الكوت في اوقات مختلفة من مدة الحصار

التاريخ	الخيالة	المدفعية	النسافة	المخابرة	المشاة	وحدات شتى ومتفرقة المدفعية	المجموع
٤ كانون الاول سنة ١٩١٥	١٥٠٥	٩٤٦	٣٩٠	١٤٦	٧٤١١	-	٨٨٩٣
٢٣ كانون الثاني سنة ١٩١٦	٢٠٧	١٠٤٨	٤٦٤	١٧١	٦٤٣٠	٣٦	٨٣٥٦
٧ شباط سنة ١٩١٦	٢٠٧	٩٤٢	٤٥٣	١٧٦	٦٥٣٠	١٩٧	٨٥٠٥
٢١ شباط سنة ١٩١٦	٢٣١	٩٤٣	٤٣٩	١٧٧	٦٥٦٦	١٩٦	٨٥٥٢
٨ آذار سنة ١٩١٦	٢٥٥	٩٤٥	٤٢٦	١٧٤	٦٤٤٤	١٨٨	٨٤٣٢
١٥ آذار سنة ١٩١٦	٢٣٥	٩٦٢	٤٢٧	١٧٣	٦٣٩٦	١٨٤	٨٣٩٧
٢٠ آذار سنة ١٩١٦	٢٥٨	٩٦١	٤٢٨	١٧٢	٦٤٠٤	١٨٧	٨٤١٠
٣ نيسان سنة ١٩١٦	٢٦١	٩٥٣	٤٣٤	١٧٢	٦٣٧٦	١٨٨	٨٣٨٤
١٩ نيسان سنة ١٩١٦	٢٥٧	٩٣٥	٤٣٦	١٧٧	٦١٦٨	١٨٧	٧١٦١

خلاصات الخسارة في كوت الامارة اثناء الحصار

من ٤ كانون الاول سنة ١٩١٥	الى ٢٩ شباط سنة ١٩١٦	الى ٣١ آذار سنة ١٩١٦
القتلى	٤٥٥	٥٠٤
المتوفون من الجروح	٣٩١	٤٥٤
الجرحى	١٦٠٨	١٨٣٦
المفقودون أو الفارون	٣٠	٤٨
المتوفون من المرضى	٤٤٣	٥٤٦
مجموع الوفيات	١٢٨٩	١٥٠٤

بيان الخسارة التي تكبدتها الوحدات في كوت الامارة بين ٤ كانون الأول سنة ١٩١٥ و٣١ آذار سنة ١٩١٦ وضمنها الوفيات من المرض

الوحدات	الضباط البريطانيون					الضباط الهنود					الجنود					التوابع					المجموع
	القتلى	المتوفون من الجروح	الجرحى	المفقودون	المتوفون من المرض	القتلى	المتوفون من الجروح	الجرحى	المفقودون	المتوفون من المرض	القتلى	المتوفون من الجروح	الجرحى	المفقودون	المتوفون من المرض	القتلى	المتوفون من الجروح	الجرحى	المفقودون	المتوفون من المرض	
مقر الفرقة	١	٠٠	١	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	١	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	١	٠٠	٠٠	٤
اللواء ١٦	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	١	١
الدورست	٢	١	٢	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	١٩	١٣	٤٠	٠٠	٥	١	٠٠	١	٠٠	١	٨٥
البنجابي ٦٦	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	١	٠٠	١	٢٧	٩	٥٦	٢	٢٦	١	٠٠	٦	٠٠	٠٠	١٢٩
الفوج ١٠٤	٠٠	٠٠	١	٠٠	٠٠	١	١	٣	٠٠	١	١٩	١٢	٧٥	٠٠	٣٥	١	٢	٢	٠٠	٢	١٥٥
المهرتة ١١٧	١	١	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	١	٠٠	٠٠	١٨	٢٠	٨٩	٥	٢٤	١	٠٠	٣	٠٠	٢	١٦٥
الأوكسفورد	١	٠٠	٣	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	١٧	١٤	٥٢	١	٧	٠٠	٠٠	٣	٠٠	٢	١٠٠
البنجابي ٢٢	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٢	٠٠	٠٠	٠٠	١٠	١٤	٤٣	١٠	٢٠	٣	٠٠	٤	٠٠	٣	١٠٩
المهرتة ١٠٣	٠٠	٠٠	٤	٠٠	٠٠	٠٠	١	٠٠	٠٠	٠٠	٤٧	٤٠	٣٦	٣	٧١	٢	١	٠٠	٠٠	٧	٣١٢
الفوج ١١٩	١	٠٠	٢	٠٠	١	٢	٠٠	١	٠٠	٠٠	٣٥	٢٢	١٠	٠٠	٤٢	١	٣	٠٠	٠٠	٢	٢٢٢
اللواء ١٨	٠٠	٠٠	١	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	١
النورفوك	٠٠	٠٠	١	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٨	٩	٤٦	٠٠	٩	١	١	٣	٠٠	٢	٨٠
الراجبت ٧	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	١١	٩	٤٥	٠٠	٢٩	٠٠	٤	٥	٠٠	٠٠	١٠٣
الفوج ١١٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	١	١	٠٠	٠٠	٠٠	١٥	٢٧	٢٨	٢	٢٩	٠٠	٠٠	١	٠٠	٠٠	١٠٤
الفوج ١٢٠	١	٠٠	١	٠٠	٠٠	٠٠	١	٢	٠٠	٠٠	٣٠	٧	٥٨	١	٣٥	٢	٠٠	١	٠٠	٤	١٤٣
الوست كنت	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٩	١٣	٥٤	٠٠	١	٠٠	٠٠	٢	٠٠	٠٠	٧٩
الهانتس	٠٠	٠٠	٣	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٦	١٥	٢٤	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	١	٠٠	٠٠	٤٩
البنجابي ٢٤	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	١٥	١٠	٨٩	٢	١١	٢	١	٣	٠٠	٠٠	١٣٣
البنجابي ٦٧	٠٠	١	٣	١	٠٠	٠٠	٠٠	١	٠٠	١	١٤	١٦	٦٥	١٤	١٥	١	١	٥	٠٠	١	١٣٩
البنجابي ٧٦	٠٠	١	٢	٠٠	٠٠	١	٠٠	٤	٠٠	٠٠	٣٢	١٧	٩٠	٢	١٦	٢	١	٣	٠٠	٠٠	١٧١
الفركة ٢ ـ ٧	٠٠	١	١	٠٠	٠٠	١	٠٠	٤	٠٠	٠٠	٢٨	٩	٧٤	٠٠	١٢	١	٠٠	١	٠٠	٠٠	١٣٢
الفنية ٤٨	٠٠	٠٠	٢	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	١	٠٠	١٧	٢٢	٨٣	٠٠	١٦	٠٠	٢	٥	٠٠	٢	١٥٠
مقر د.ك	٠٠	٠٠	١	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	١	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٢
الناقة ١٧	١	٠٠	١	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٢	٠٠	٠٠	٤	١	١٨	٠٠	٩	٠٠	٠٠	١	٠٠	٢	٣٩
الناقة ٢٢	٠٠	٠٠	١	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٩	٢	٢٦	٠٠	٦	٠٠	١	١	٠٠	٠٠	٤٦
ناقة سرمور	٠٠	٠٠	١	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٣	٩	٩	٠٠	٥	١	١	٢	٠٠	٠٠	٣١
الكتيبة ٣٣	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	١	٣	٥	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٢	١١
مستود الخيالة	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	١	٧	١١	٠٠	٥	٠٠	٠٠	١	٠٠	٠٠	٢٥

الوحدات	الضباط البريطانيون					الضباط الهنود					الهنود					التوابع					المجموع
	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	
قادة المدفعية	..	٢	..	..	..	..	..	..	..	..	..	..	١	..	..	..	١	١	..	١	٥
اللواء ١٠	..	..	..	..	..	..	..	..	..	..	..	..	٢	..	..	..	..	..	..	..	٢
البطرية ٦٣	..	..	..	..	..	..	..	..	..	..	٥	١٢	١١	..	١	..	..	..	..	..	٢٩
البطرية ١٦	..	..	٢	..	..	..	..	..	..	..	٥	٦	٢١	..	٢	..	..	١	..	..	٤٤
البطرية ١٢	..	..	١	..	..	..	..	..	..	..	١	٥	١٣	..	٢	..	..	١	..	٢	٢٥
ل العتاد	..	١	١	..	..	..	..	..	..	..	٢	٥	١	..	١	١	..	..	..	١	٢٠
بطرية هاسي	..	..	٢	..	..	..	..	..	..	..	١	٣	١٥	..	٣	..	..	١	..	٥	٣١
لواء المدفعية الثقيلة	..	..	..	..	..	..	..	..	..	..	..	١	..	..	..	..	..	..	..	..	١
البطرية ٨٦	..	..	..	..	..	..	..	..	..	..	١	٥	١٢	..	١	..	..	٤	..	..	٢٣
البطرية ١٠٤	..	..	..	..	..	..	..	..	..	..	٢	..	١١	..	٣	..	..	١	..	٢	٢٥
لواء المدفعية الخيالة	..	..	١	..	..	..	..	..	..	..	..	..	..	..	..	..	..	..	..	..	١
البطرية الخيالة ٢٣	..	..	..	..	..	..	..	..	..	..	..	..	٢	..	..	..	..	..	..	..	٢
بطرية المتطوعين	..	..	٣	..	..	..	..	..	..	..	٧	٢	٢٦	..	١	١	١	٢	..	..	٤٣
بطرية مكسيم	..	١	..	..	..	..	..	..	..	..	٢	..	١٢	..	١	..	..	..	..	..	١٦
سرية المخابرة ٣٤	..	..	١	..	..	..	..	..	..	..	١	٤	١١	..	٥	..	..	٢	..	٢	٢٦
لواء SS ٣٠	..	..	..	..	..	..	..	..	..	..	١	١	..	..	..	١	..	..	..	..	٣
سرية مخابرة الفيلق	..	..	..	..	..	..	..	..	..	..	..	١	٣	..	٢	..	..	٣	..	..	٩
قوة الطيران	..	..	١	..	..	..	..	..	..	..	..	..	٣	..	..	..	..	١	..	..	٥
خدمة الدين	..	..	١	..	..	..	..	..	..	..	..	..	..	..	..	..	..	..	..	..	١
القسم الطبي	..	..	..	..	١	١	..	..	..	..	٢	١	٥	..	٤	٩	١٧	٦٢	..	١٤	١١٦
قسم الاعاشة	..	..	..	..	..	..	..	..	..	..	١	٤	٦	١	..	١١	١٣	٢٠	..	٣	٥٩
النقلية	..	..	..	..	..	..	..	..	..	..	١	..	٨	..	..	١٨	٢١	٠٢	٣	٢٤	١٧٧
البحرية الهندية	..	..	..	..	..	..	..	..	..	..	..	..	..	..	..	٢	..	٣	..	..	٥
	٨	٩	٤٤	-	٣	٧	٢	١٩	-	٣	٤٢٧	٣٧٠	١٥١٠	٤٣	٤٥٤	٦٣	٧٢	٢٥٩	٣	٨٧	٣٣٨٨
	٦٤					٣٦					٢٨٠٤					٤٨٤					

المجموع الكلي ٣٣٨٨

الرتب	قتلى	وفيات من الجروح	جرحى	مفقودون	وفيات من المرض	المجموع
ضباط بريطانيون	٨	٩	٤٤	١	٢	٦٤
ضباط هنود	٦	٧	١٩	١	٣	٣٦
جنود بريطانيون	٨٤	١٠٣	٣٤٣	٢	٣٦	٥٦٨
جنود هنود	٣٤٣	٢٦٣	١١٧١	٤١	٤١٨	٢٢٣٦
توابع	٦٣	٧٢	٢٥٩	٣	٨٧	٤٨٤

العتاد الصغير الذي كان موجوداً في كوت الامارة اثناء الحصار

٤ كانون الاول سنة ١٩١٥	٨٢٢ اطلاقة	لكل بندقية من ٧٢٥٠ بندقية
٢٨ كانون الثاني سنة ١٩١٦	٧٤٠ اطلاقة	لكل بندقية من ٧٢٥٠ بندقية
٢١ شباط سنة ١٩١٦	٧٣٥ اطلاقة	لكل بندقية من ٧٢٥٠ بندقية
١٥ آذار سنة ١٩١٦	٧٣١ اطلاقة	لكل بندقية من ٧٢٥٠ بندقية

بيان العتاد المخزون في كوت الامارة في ٤ كانون الاول سنة ١٩١٥

العدد	المدافع	عدد الاطلاقات لكل مدفع	عدد الاطلاقات
١٩	عيار ١٨ بونداً شرابنل	١١٢٠٠	٥٩٠
٢	عيار ١٣ بونداً شرابنل	٣٥٤٠	٥٩٠
٤	عيار ٥ عقدات شرابنل	٨٦٠	٢١٥
	عيار ٥ عقدات شديدة الانفجار	٨٣٢	٢٠٨
٤	عيار ٥ عقدات (قصيرة)شرابنل	٣١٤	٧٨
	عيار ٥ عقدات (قصيرة)شديدة الانفجار	٩٤٧	٢٣٦
٢	عيار ٤ عقدات شرابنل	٤٦٠	٢٣٠
	عيار ٤ عقدات شديدة الانفجار	٥٢١	٢٦٠

بيان العتاد المخزون في كوت الامارة

المدافع		في ٢٨ كانون الثاني سنة ١٩١٦	في ٢٣ آذار سنة ١٩١٦
شرابنل	بعيار ١٨ بونداً	٧٢٠٦	٦٢٥٢
شرابنل	بعيار ١٣ بونداً	٩٣٩	٧٨١
شرابنل	بعيار ٥ عقدات	٥٣٩	٤٥٢
شديدة الانفجار	بعيار ٥ عقدات	٤٦٣	٣٤٩
شرابنل	بعيار ٤ عقدات	١٣١	١٣٨
شديدة الانفجار	بعيار ٤ عقدات	٤٠٧	١٠٥
شرابنل	بعيار ١٥ بونداً[١]	٤٢٤	٣٧٧
شرابنل	بعيار ٤.٧ العقدة	٢١٠	١٨٩
مروسة	بعيار ٤.٧ العقدة	٦٩٢	٥٩٥
شديدة الانفجار	بعيار ٤.٧ العقدة	٣٢٤	٢٦٨

(١) استخدم مدفعان بمنزلة مدفعي حصار ثابتين .

الباب الخامس

طاونزند في الاستانة
(أيار ١٩١٦ - تشرين الأول ١٠١٨)

الفصل الاول

« طاونزند اسير حرب »

خرجت من بغداد في ١٢ أيار سنة ١٩١٦ ومعي الزعيم « بار » والرئيس « مورلند » والزعيم اسحق بك الجركسي (وكان الضابط التركي الذي عهد بأمر حراستي اليه) وطاه برتغالي وخادم هندي ومراسلتان بريطانيان . فسار بنا القطار إلى « سوارة » حيث تنتهي السكة الحديدية فوصلناها الساعة ٨:٣٠ بعد الظهر فانزلنا مدير المحطة الالماني في بناية تلك المحطة . ومن هناك درجت بنا مركبات (عربانات) عتيقة كانت على حالة يرثى لها ومركبة ركوب اخرى عتيقة من نوع جينديل فوصلنا تكريت الساعة ١١ بعد الظهر بعد سيرنا على طريق وعرة جداً ممتدة في سهل يمل المرء من السير فيه وكان هذا السهل متموجاً في بعض الاماكن وتقطعه اودية صخرية عميقة حفرتها السيول . ولما وصلنا تكريت ارحنا خيلنا الصغيرة التي اعياها التعب وانهك قواها الجوع إلى الساعة ٣ بعد ظهر ١٤ أيار فاصطدت بالبندقية قبل الفطور اربعة أو خمسة ازواج قطعا لمطعمنا . وفي تلك الساعة استأنفنا سيرنا فوصلنا عند انتصاف الليل السرينية وهي موقع تركي محصن .

وفي ١٥ أيار قبل الفطور اصطدت ستة ازواج قطا . ولم نستأنف سيرنا إلى الساعة ٣ بعد الظهر . وفي صباح ١٦ أيار الساعة ٤ توقفنا في مكان ينساب فيه جدول ماء مالح يقطع الطريق فنمنا هناك في مركباتنا . فادركنا هنا جماعة من الاسرى البريطانيين والهنود اعياهم التعب ورثت ثيابهم يبلغ عددهم الاربعين . وقد اخذ هؤلاء الاسرى من قوة غورنج وكان بينهم بقية بحرية المركب

« حلفاء » وكانوا بقيادة الملازم الثاني « زبد » من ضباط الاحتياط البحري. فقال لنا هذا الضابط أنهم ارغموا على دفع كروة الحمير وأن احدهم كان مريضاً. فقال استئناف السفر فقلت لا يستحق بك أن يدفع خمس عشرة ليرة عن الكروة المطلوبة، ويوبخ الضابط التركي الذي كان يحرس الاسرى توبيخا شديداً. وهذا كل ما كان في استطاعتي عمله من اجل اولئك الاسرى



المدفعية التركية امام الكوت

وفي ١٦ أيار الساعة ٢ بعد الظهر وصلنا قلعة الشرقاط الواقعة على ضفة دجلة اليمنى. فرأيت بيوتاً كثيرة في ذلك المكان مشيدة من الرخام الابيض تعشش فيها اللقالق بكثرة. والشرقاط موقع مدينة محصنة قديمة لم يبق من اطلالها سوى اسوار قلعة أو « معقل ». وفيها ايضاً آثار كاملة مع عواميد لم تزل واقفة تدل على قصر أو هيكل قديم قد حفرها علماء العاديات الالمان الذين ما انفكوا يشتغلون في العراق منذ سنين. وقد بذلوا مساعي جمة في حفر داخل القلعة وقيل لي انهم عثروا على كنوز كثيرة. وقد سرتني جدا مشاهدة النهر مرة اخرى لأن الطريق امتدت عدة اميال متوغلة في البر على مسافة بعيدة عن النهر. فتاقت نفسي حينئذ إلى السباحة.

وفي ١٧ أيار الساعة ٥ قبل الظهر استأنفنا السير فوصلنا في الساعة ٤٥ : ١١

المنزل المعد لاستراحة المسافرين في القيارة الواقعة على ضفة دجلة اليمنى . فمر بنا في الساعة ٥ بعد الظهر انور باشا منحدرا على الارماث (الكلكات) ومعه حاشية كبيرة مؤلفة من ضباط اركان الجيش من المانيين ونمساويين وكان قاصداً بغداد لمفاوضة خليل باشا . وكانت تلك الارماث مشحونة بسيارات انور باشا وحاشيته وامتعتهم .

وفي ١٨ أيار وصلنا حمام العليل وهي قرية صغيرة فيها حمام يستحم فيه المصابون بالامراض الجلدية . وفي هذه البقعة منابع نفط منتشرة في جميع الارجاء فضربنا خيامنا إلى جانب منبع منها . وقد لاقينا مشقة شديدة في مرحلتنا في ذلك اليوم لأننا قطعنا جداول عدة في اغوار مستنقعة كانت مركباتنا تستوحل فيها . فكنا نرفع الاحمال عنها لكي نستطيع تخليصها من الوحل .

وفي ١٩ أيار الساعة ١١ قبل الظهر وصلنا الموصل فنزلنا في النادي العسكري التركي بالقرب من الثكنة وهذا النادي مبني في حديقة صغيرة واقعة على ضفة النهر . وكانت اطلال نينوى بادية على بقعة مرتفعة قبالتنا على ضفة النهر اليسرى . وكانت نينوى عاصمة المملكة الآشورية وموطن الملكة سميرأميس العظيمة .

إن الموصل مدينة عربية كبيرة واقعة على ضفة دجلة اليمنى وهي قصبة ولاية تعد المستودع الحقيقي الذي تستمد منه آسيا الصغرى حبوبها . وقد قدر العارفون أن ولاية الموصل تستطيع بسهولة اطعام سبعين الف جندي في السنة لحما وحبوبا .

ثم استأنفنا السفر من الموصل في ٢٢ أيار بعد أن قضى اسحق بك يوماً ونصف يوم منهمكا في اعداد وسائل نقلية لنقلنا . فحصلنا الآن على ثلاث سيارات نقل فسرنا قاصدين رأس العين وهي المحطة التي تبتدىء منها السكة الحديدية .

إن طول خط المواصلات التركي الممتد من الاستانة إلى بغداد ماراً بالموصل يبلغ ١٢٥٥ ميلا وكنا نسير على هذا الخط في طريقنا إلى الاستانة . وهذا الخط

يبتدىء من بغداد فيمر بالموصل ورأس العين وحلب وطرطوس ويقطع جبال طوروس فيمر ببيزنطة وقونية وافيون قره حصار وينتهي إلى القسطنطينية ففي أيار سنة ١٩١٦ كان منتهي السكة الحديدية نحو بغداد في رأس العين. وبين رأس العين وسامراء التي تتصل ببغداد او بالسكة الحديدية فرجة ثلاثمائة ميل لا تمر السكة الحديدية فيها بل يجب قطعها بوسائل نقل اخرى .

اما باقي الفرجات التي لم تمر السكة الحديدية فيها اثناء كتابة هذه السطور فهي : -

(أ) من الاصلاحية إلى المعمورة وطول هذه الطريق نحو من اربعين ميلا وهي طريق جبلية تمر في جبال آمانوس .

(ب) من طرطوس إلى بيزنطة والمسافة نحو من ٤٥ ميلا على جبال طورس .

وقد قطعنا هاتين الفرجتين بسيارات النقل .

وكانت الطريق بين سامراء والموصل رديئة ولكنها ليست صعبة لمد السكة الحديدية فيها . وكان الترك يستخدمون « الكلكات » بين موصل وبغداد لأن دجلة سريع الجريان في هذه البقعة وهو في اماكن عدة يشبه نهر الاندس الذي يجري في حدود الهند الشمالية الغربية .

وفي ٢٢ أيار خرجنا من الموصل فتوقفناه في الساعة السادسة بعد الظهر في نصيبين بعدما لاقيناه من الصعوبات في المراحل التي قطعناها في طريقنا . وكانت نصيبين مدينة محصنة في ايام القائد الروماني « بليساريوس » الذي تولى قيادة الحملة التي جردها « يوستينيانوس » عام ٥٤١ بعد المسيح لفتح العراق مرة اخرى ونزعه من يد الفرس فاتخذ حينئذ نصيبين قاعدة امامية لحركاته .

وفي ٢٣ أيار الساعة ٩ قبل الظهر خرجنا من نصيبين في سيارات سفر فقطعنا سبعين ميلا إلى أن وصلنا رأس العين في الساعة ٤ بعد الظهر . فصادفنا نحواً من ٤٠٠٠ جندي تركي من المشاة سائرين إلى بغداد .

ورأس العين هذه قرية صغيرة فيها مفرزة ثابتة من المهندسين الالمانيين ونفليتهم . فالفيت الجنود الالمان في نضرة الشباب وعنفوان القوة وهم لابسون ملابس عسكرية ترابية (خاكي) جديدة وعلى رؤوسهم خوذات غريبة في هيئتها التي تشبه رصاصة البندقية . وقد حملتنا كثرة ما صادفناه من الضباط الالمان اثناء سفرنا بين بغداد ورأس العين على الاعتقاد بأن المانيا عزمت على جعل تركيا مقاطعة المانية وانشاء امبراطورية شرقية في وادي الفراتين فقد رأينا الالمان يسكون الليرات التركية الذهبية ويلحقون ضباطهم بجميع الكتائب والافواج التركية . وكنت اسمع الضباط الترك اثناء الحديث يتبرمون من هذه الحالة كل التبرم ويصرحون على رؤوس الاشهاد أن انور باشا بات آلة بيد الالمان .

وفي ٢٥ أيار الساعة ٦ صباحاً ركبنا القطار في رأس العين فوصلنا حلب في الساعة ٦:٣٠ مساء فقطعنا مسافة نحو من ١٨٠ ميلا . وتقطع السكة الحديدية نهر الفرات على جسر في جرابلس من نوع « جسر فورث » في اسكتلندا .

فلاقاني في محطة حلب عدد عظيم من الضباط الترك ودركهم (الجندرمة) الذين اصطفوا على رصيف المحطة وادوا لي التحية . فسرنا من المحطة إلى « نزل بارون » فالفيتها نعمة هناك أن استحم الاستحمام المطلوب واتناول الطعام الجيد واحصل على غرفة نوم وفراش عليه ملاء نظيفة . وافرز لي في هذا النزل غرفة جلوس وغرفة طعام خاصتين .

واثناء اقامتنا في حلب زرت قلعتها القديمة التي راق لي جداً امرها. وهي من نوع الحصون التي كانت تشيد في العصور الوسطى واسوارها ثخينة جداً ولم تزل قوية جداً لم تقو ايدي الدهر على العبث بها والفيت القصر وبهو استقباله الكبير كذلك على هذه الحالة . والقلعة مبنية على تل منفرد في وسط المدينة ومحاطة بخندق كبير مرصوف بالاحجار من اسفل الاسوار إلى قعره لذلك يستحيل على المرء عبوره .

ويقطع هذا الخندق جسر عال كالقنطرة فيمتد من رأس الجسر المحصن إلى القلعة . وقد قدرت ارتفاع هذا الجسر بمائة وخمسين قدماً . وقد قرأت في رواية أو روايتين مبارزاة جرت بين فارسين على ظهري جواديهما فتهاجما من طرفي هذا

الجسر المتقابلين وهو جسر بلا سور وضيق جداً . وكل ما اقوله في هذا الصدد هو أنهما كانا « ثابتي الجنان » ! .

ولقيت كل مجاملة من شفيق باشا (شوقي باشا ؟) قائد موقع حلب التركي الذي الفيته بادناً طويل القامة فزارني في النزل يصحبه فريق من ضباطه . وكان صديق الزعيم اسحق بك الذي الفيته محبوباً بين الناس اينما ذهب . وكذلك اجتمعت بالمستر « جاكسن » القنصل الاميركي الذي قيل لي في الاستانة انهُ ساعد اسرى الانكليز والفرنسيين مساعدة جلى .

وفي ٢٩ أيار الساعة ٦ قبل الظهر سار بنا القطار فوصلنا الاصلاحية عند الظهر . وهنا انتهت السكة الحديدية فاقتضى الأمر أن نقطع الجبال إلى آمانوس حيث رأس السكة الحديدية التالي . وكان المهندسون يحفرون تحت هذه الجبال نفقاً للسكة الحديدية . وتسمى سلسلة التلال هذه جبال آمانوس مع أن ارتفاعها عن سطح البحر في المحل الذي قطعناها لا يزيد على خمسة آلاف قدم . فاصبحنا حينئذ نسير في ارياف جميلة تكثر فيها التلال والوديان والانهر . والتلال من نوع صن الحجارة الحرة مغطاة بالهشيم . وكانت نقليتنا سيارات نقل المانية يسوقها الالمان وكانت من مستودع سيارات النقل الذي يحتوي على ٢٥٠ أو ٣٠٠ سيارة . فوصلنا المعمورة الساعة ٥:٣٠ بعد الظهر وركبنا القطار من هناك مرة اخرى .

وغادرنا المعمورة في صباح اليوم التالي الساعة ٩ راكبين القطار فوصلنا طرطوس حول الساعة ٥:٣٠ بعد الظهر . وقضينا الليلة عند قائد موقع طرطوس التركي وكان هذا كذلك صديق الزعيم اسحق بك فدرجت بنا السيارة من المحطة إلى البلدة مسافة ميلين أو ثلاثة أميال. وحاول الضابط الالماني آمر نقلية السيارات أن يرافقني في السيارة إلى البلدة فافضى الأمر بينه وبين اسحق بك إلى الخصام لأن اسحق بك لم يسمح للضابط الالماني بركوب السيارة وقال له بأنه هو القائم على حراستي وليعلم الالماني أنه في بلاد تركية وليس في المانيا فلا يستطيع اصدار الاوامر هنا . وثار ثائر غضب اسحق بك وطفق يهدد خصمه بكل شدة فخضع له الضابط

الالماني فانطلقنا ظافرين من غير أن نأخذ ذلك الضابط معنا .

واعد لنا القائد التركي مأدبة عشاء فاخرة وقضى هو واسحق بك مسامرتها في ذم الالمان ولومهم . وانبأني ذلك القائد بأن المدرعات البريطانية اطلقت المدافع عليه من مدى بعيد قبل مدة قصيرة فلم تلحق به اذى لأن جنوده كانوا مستورين وراء اكمات صغيرة . غير أن القصف الحق الضرر بالاسلاك البرقية ولكن اصلاحها حين تخريبها يستغرق على الدوام ساعتين أو ثلاث ساعات في الليل .

وفي صباح اليوم التالي - اي ٣١ أيار - خرجنا من طرسوس في سيارة المانية وكان سائقها المانياً قاصدين بيزنطة وهي رأس السكة الحديد التالي . وكان لدى الالمان نحو من ١٥٠ سيارة من سيارات الركوب والنقل تسير بين بيزنطة وطرسوس . فسرنا على جبال طورس في واد متعرج من اجمل الاودية فتخطرت حينئذ وادي السند في كشمير . وكنا نسير وسط غابات صنوبر عظيمة على موازاة جداول جبلية وإلى جوانبنا قمم الجبال ولهاب مرتفعة فوقنا . وسرنا في مضيق صخري ضيق وهوي جداً ويسمى « باب اسكندر الكبير » . وقد حفر الاسكندر على صخرة كتابة خلد بها سير جيشه في هذا المضيق . وقد سار في هذه الطريق « بليساريوس » و « غود فري دي بويون » كذلك . وخرجنا من هذا المضيق إلى واد عظيم فسيح على جانبيه تلال مكسوة بشجر الصنوبر يشبه وادي التيرول النمساوي .

وفي بيزنطة توقف قطار انور باشا الخاص في المحطة فاستدعاني إلى مركبته وكلمني مادحاً مدافعتي عن الكوت مدحاً عظيماً واثنى على المقدرة التي ابديتها في حركاتي حتى اصبحت على ابواب بغداد وذلك « بقبضة من الجنود » . وقال أنني سانزل ضيفاً كريم المثوى على الامة التركية التي تقدر قيامي بواجبي نحو وطني كل التقدير . وحينئذ جعلته يتخطر ما عرضه علي في برقيته من أن يطلق لي سراحي على أن اقسم يمين الشرف العسكري بعدم المحاربة وعلى شرط أن ابقي المدافع سليمة . وقلت له أنه يستحيل علي شراء حريتي بهذا الثمن . لذلك اتلفت المدافع واملي أنه يسمح لي الآن بالسفر إلى انكلترا على سبيل المبادلة . فاجابني انه ربما

يسمح لي بذلك وسيطر في الامر . وعلي أن لا اهتم من جراء وقوعي قيد الاسر لأن ذلك من مقدرات الحرب . فقلت له اني عالم بذلك وأن الكثيرين من قواد نابليون باتوا اثناء الحروب النابليونية قيد الاسر احياناً وكثيراً ما يقع امثال هذه الحادثة في الحرب اذا كان القائد في خط الجبهة الحربية . وقال لي انور باشا أنه سيقابلني في القسطنطينية حين وصولي اليها لأنه مسافر إلى تلك العاصمة ثم صافحني مصافحة خالصة وعلى هذه الصورة انتهت المقابلة . وكانت حاشية انور باشا مؤلفة من عدد عظيم من ضباط الاركان المان والنمساويين ولما سرت ازاء القطار حياني الكثيرون منهم ورأيت بعضهم يصورني بآلة التصوير الخاطف .

والفيت معظم عجلات السكة الحديدية من بيزنطة إلى القسطنطينية بلجيكية الصنع وكانت الكلمة « بروكسل » مكتوبة على جميع الشاحنات ومطبوع عليها باللغة الفرنسية عدد الجنود والخيل التي فيها . اما القاطرات فكانت المانية الصنع وكان كذلك سائقو القطار والوقادون والحرس من الالمانيين .

فوصلنا الاستانة في ٣ حزيران بعد أن قضينا ٢٢ يوماً في السفر من بغداد إلى القسطنطينية وكان القطار يسير بنا مدة على موازاة شاطىء خليج ازمير في بحر مرمرة . فمررنا بعدة بلدات صغيرة مشيدة تحت رؤوس البر وجرف التلال وشاهدنا عدداً عظيما من سفن الصيد والسفن التي تمخر في شطوط هذا البحر .

وفي الساعة ٥:٣٠ بعد الظهر وصلنا طرف السكة الحديدية الذي ينتهي في محطة حيدر باشا الواقعة في اسكدار . فلاقاني على الرصيف قائد الجيش التركي الاول واركانه وعدد عظيم من موظفي وزارة الحربية . وكان في المحطة جمهور كبير من السكان كذلك . فقدمني اسحق بك وتوفيق بك إلى جميع الضباط واخذ جميعهم يكرمونني بلفائف التبغ (السجائر) والقهوة في غرفة الاستراحة المعدة للمسافرين في تلك المحطة وكان توفيق بك هذا ضابطاً بحرياً تعين على صورة خاصة مرافقاً بحرياً تركياً لي . فدهشت لهذه المقابلة مع أنني كنت اسير حرب . فلقيت من الاحترام والاكرام ما جعلني اخال نفسي قادماً لتفقد شؤون القسطنطينية .

وكان توفيق بك يحسن التكلم باللغة الانكليزية فاركبنا زورقاً بخارياً بحرياً وضع تحت تصرفي عند مقابلتي في المحطة فمخر بنا وبامتعتنا وخدمنا ارخبيل الامراء الواقع في بحر مرمرة على مسافة عشرة اميال من القسطنطينية . وكانت الحكومة التركية قد اعدت لي منزلا في جزيرة « هكبه لي » وهي احدى الجزائر التي يتكون منها ارخبيل الامراء . وكانت هذه اولى زياراتي للاستانة التي شاهدتها امامي بجميع مآذنها وقصورها وشاهدت كذلك بحر مرمرة القاتم الزرقة وجزائر الامراء الجميلة المشيدة عليها القصور والمكسوة بالغابات وكانت هذه المشاهير جميعها من اجمل ما تقع العين عليه . ولما وصلنا جزيرة هكبه لي التي فيها مدرسة بحرية اقلتنا السيارات إلى منزل مشيد على جرف عال في وسط الغابات وقد اعدته الحكومة على صورة خاصة لاقامتي فيه . فصرح لي توفيق بك حينئذ أن جميع نفقاتي ستكون على حساب الحكومة .

وفي ٥ حزيران اخذت إلى الاستانة لمقابلة انور باشا في وزارة الحربية . فالفيته شاباً جميل الطلعة بادية عليه ملامح الجندية وكان بين ٣٧ و ٣٨ من عمره ومتأنقا جداً في ملابسه العسكرية الترابية وجذابا بمحاسن سلوكه .

فقال لي يجب أن اعد نفسي ضيف تركيا وقد أمر السلطان بأن تؤدي لي التحيات التي تؤدى لأمر فيلق . وإنني حر في روحاتي وجيئاتي فلي أن اذهب ان شئت سواء كان ذلك إلى الاستانة أو إلى بلك أوغلي بيرة أو إلى غيرها من الاماكن التي ارغب في الذهاب اليها . وكل ما يطلبه مني لقاء ذلك هو أنه إذا زينت لي نفسي الفرار أن انبهه على ذلك بقول أنني راغب في الذهاب ! فدهشت لطلبه هذا ولكنني ابتسمت وقلت له « نعم سافعل ذلك » . ولم اقسم له بشرفي العسكري ولم يطلب هو نفسه مني ذلك . لأن القسم بالشرف يقتضي امضاء صك اليمين وهذا ما لست افعله .

وسألني انور هل احب أن اجلب زوجتي وابنتي لتسكنا معي في الاسر . فشكرته وقلت له انني احب ذلك . فامر على الفور بارسال برقية إلى الوزارة البريطانية الخارجية يقول فيها أن السلطان قد اذن لي بذلك .

وسرعان ما التقيت « بعزت » باشا الذي اعرفه من ايام القاهرة . فقد حال اعلان الحرب على حين غرة دون رجوعه إلى مصر وكان اثناء ذلك في الاستانة لأن من عادته انهُ كان يقضي هناك نحواً من شهرين من كل سنة اثناء رجوعه إلى القاهرة من باريس ولندن . وكان له قصر جميل على البوسفور .

وقد عرفت « عزت » باشا لما كنت في الجيش المصري وقد لقي افراد اسرتي في لندن . وكان على الدوام يودني ولما سمع بسقوط الكوت كلم انورباشا وغيره من وزراء الترك من اجلي . وقال لي أنه اقترح على طلعت باشا وانور باشا بأن يسمحا لي بالسكـن في السفارة البريطانية في بك اوغلي عند وصول زوجتي لأن دار السفارة افضل لسكناها من هكبه لي أو برنكيبو (بيوك اطه) . فسمح لي انور باشا بارسال برقية إلى الوزارة البريطانية الخارجية بهذا الشأن فاجابتني تلك الوزارة بأنه لما كنت مخفوراً بحراسة الجند لا يجوز تحويل السفارة إلى محل يعتقل فيه الاسر . وكذلك رفضت الحكومة النمساوية مرور زوجتي في اراضيها في طريقها إلي لذلك عدلت عن هذه الفكرة .

وفي ٢٧ حزيران زرت السفارة الامريكية التي كان المستر « فيلب » قائما بشؤونها فلقيت منه كل لطف وكنت مراراً عديدة اتناول طعام الهجوري (الظهر) على مائدته في السفارة حيث كنت اطالع جميع صحف لندن .

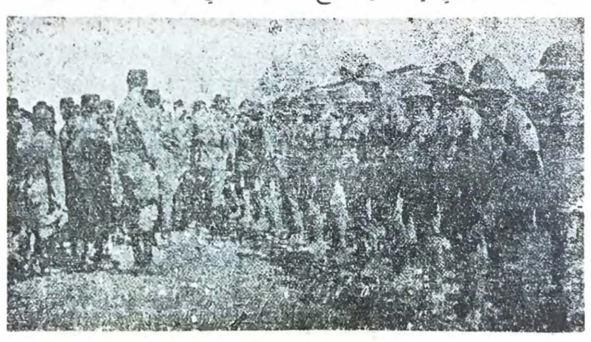


ضابط عربي موصللي استشهد في الكوت

وساءت حالتي العصبية جداً فطفقت اكتب مدة أمر الرسائل لهجة إلى جميع معارفي وذلك نظراً إلى الاضطراب العقلي الذي كان يستولي علي في كل صباح لما كنت استيقظ من النوم فاجد نفسي في قبضة الاسر بعيداً عن الحرب لغير ذنب

اقترفته . واروي هذا لابرهن للقراء على أنني كنت قد سئمت تلك الحال ، فاذا طالع بعض خصومي الذين يشغلون المناصب العالية ما اكتبه ربما عذروني للتمادي في الصراحة التي تنطوي عليها ملحوظاتي . فكانت الدنيا قد اظلمت حينئذ في عيني فارى كل شيء اسوداً ويئست كل اليأس من مستقبلي . وكان عزائي الوحيد في ايام بؤسي وشقائي الانكباب على الدرس والمطالعة . فألفت اثناء اسري كتاباً في سوق الجيش والتعبئة العليا وكنت ناوياً على تأليف هذا الكتاب منذ سنوات ولكنني لم اجد لي متسعاً من الوقت لذلك . ولسعد طالعي كانت جميع مذكراتي معي . فكنت اقضي في كل يوم ثماني أو تسع ساعات في الدرس وهذا ما خلصني من الجنون . والحمد لله أنني مفطور على الدرس والمطالعة . ففي زمن السلم كنت اقضي اربع ساعات على الاقل من كل يوم من ايام الاسبوع ما عدا الاحد في الدرس . فلم يصعب علي أن اضاعف هذه المدة وانا في الاسر . وهذا كان سلواني الوحيد .

وبعثت كذلك الشوق إلى درس مذهب نابليون الحربي في نفس الرئيس « مورلند » ، رفيقي في الاسر فاصبح متعصباً تعصبي لقواعد نابليون الحربية .



انور باشا وزير الحربية التركية يتفقد شؤون الاسرى البريطانيين في محطة بغداد

فكان يروق لنا أن ندرس هذه القواعد لوضع مسائل للحل فنخال انفسنا في محل انور باشا في توزيع الجيوش على الجبهات الحربية المختلفة .

وفي هذه الاثناء طفق الالمان يتوافدون إلى الاستانة وبك اوغلي . فغصت الفنادق بالضباط والتجار الالمان الذين استولوا على المصارف (البنوك) وانشأوا الحوانيت والمحلات التجارية . حتى أنهم كانوا يديرون مسارح التمثيل والسينما . واستأجروا القصور المشيدة على شاطىء البحر في جزيرتي بيوك اطه وهكبه لي وكان معهم جم غفير من الزوجات والحموات ! وكانت سيارات المانية عديدة تدرج في شوارع هذه المدينة بالضباط الالمان الحديثي السن . وكان المرء يرى الكثيرين منهم من الضباط الذين تجندوا على صورة موقتة اي انهم كانوا من العوام المرتدين البزات العسكرية . واعتقد أنه قل أن وجد بينهم من ركب سيارة في ماضي حياته واقل من ذلك من اقتنى منهم سيارة . وكان في العاصمة كذلك عدد جم من ضباط البحرية الالمان والجنود الالمان .

وتسلم الالمان المراكب الحربية التركية فبات الاسطول التركي بجملته في قبضة يد الالمانيين . وكانت بحرية الطرادة « غوبن » مؤلفة من الف ضابط وجندي الماني . أما بحارة « برسلو » فكانت مؤلفة من ثلاثمائة ضابط وجندي . أجل أن هذين الطرادين كانا قد اهديا على صورة علنية إلى الترك ونشرت فوقهما الراية التركية ولكنهما لم يسلما إلى الحكومة التركية .

وعلم الضباط الترك العلم الاكيد قبيل آب سنة ١٩١٦ أنهم لن يستطيعوا التخلص من الالمان الذين رابطت لهم قوة مؤلفة من ١٤٠٠٠ جندي في الاستانة وقوة اخرى مؤلفة من ١٤٠٠٠ جندي كذلك في آسيا الصغرى . فكان الضباط الترك يكرهون الالمان من جراء تعجرفهم ووقاحتهم ولكنهم كانوا يحبون النمساويين الذين كان معظمهم كريم الشمائل لأن النمساويين كرام المحتد اما الالمان فمفطورون على خشونة الطبع . فطفقت حينئذ افكر في سبيل الاستفادة من هذه الحال . فكان الكثيرون من الضباط يكلمونني بملء الحرية فاشتد املي في نشوب ثورة في الاستانة . وعزمت على تمثيل دور مهم هناك عند نشوب الثورة .

وفي ٧ تشرين الاول سنة ١٩١٦ كتبت إلى الفريقين ميلس ودبلامين وغيرهما من الامراء المحجور عليهم في بروسيا فرويت لهم بيان انور باشا من أن الضباط الترك الاسرى المحجور عليهم في القاهرة يلقون معاملة سيئة من البريطانيين . وقلت لهم أن هذا كان جواب انور باشا على الفات نظره إلى حالة جنودنا المرضى اثناء سفرهم من بغداد إلى مكان اسرهم في آسيا الصغرى . وانبأتهم بأنني قرأت في الجرائد أن مجلس العوام بحث اكثر من مرتين في أمر معاملة الترك لجنودنا . وكذلك استأذنت السفارة الاميركية الحكومة التركية في ايفاد احد موظفيها لزيارة الاسرى البريطانيين في خط المواصلات . فقد بذلت السفارة الاميركية كل ما في وسعها في سبيل اسرانا ولا لسان لي يفصح عن شكري للمستر فيلب عطفه على اولئك الاسرى ومساعيه من اجلهم . وكل من قطع الطريق من بغداد إلى افيون قره حصار وعلم أن جنودنا ساروا على تلك الطريق مشياً وهم على حالة يرثى لها من انتهاك القوى والهزال حين سقوط الكوت لا يستغرب وفات الكثيرين منهم وكان اهم سبب وفاتهم الزحار .

وقبل أن اغادر الكوت نبهت خليل باشا على أن جنودنا لا يستطيعون المشي . وقلت له أنهم إذا ارغموا على السير مشياً يموتون عياء في بلاد هذا هواؤها في هذا الفصل من السنة وهم على هذه الحالة الصحية . وقد اجابني على ذلك برسالة محفوظة عندي تعهد فيها ببذل كل ما في الوسع للعناية بهؤلاء الجنود وأنهم سينقلون بالبواخر إلى بغداد ومنها يركبون العجلات . وإنني لا الوم احداً لسوء المعاملة التي لقيتها جنودنا غير ضباط اركان الجيش الالمانيين الملحقين بالجيش التركي وابرىء ساحة خليل باشا من ذلك بالكلية .

وبعثت السفارةالامريكيةفي شهر أيلول بكميات كبيرة من الملابس الثخينة إلى معسكر الاسرى بالسكة الحديدية . وارسلت في اواخر ايلول ١٨٠٠ بذلة من الثياب التحتانية الدافئة إلى رأس العين . وكذلك بعثت بكميات كبيرة من الملابس الثخينة بالسكة الحديدية في ٢١ تشرين الاول إلى افيون قره حصار .

وشعرت بالبرد في منزلي في جزيرة هكبه لي لذلك انتقلت إلى المنزل الذي

يقيم فيه صيفاً القنصل البريطاني في الاستانة المستر همسن والمشيد في بيوك اطه . وهذا المنزل يشبه منزل ابرشية من ابرشيات الارياف في بلادنا ومشيد على جرف واقع على جانب الجزيرة الشمالي وتحيط به حديقة جميلة ملتفة الاشجار يفصل بينها وبين الجادة سور عال .

وكانت السباحة في البحر نعمة سابغة علينا فكنا انا ومورلند وفتحي ننهض في كل صباح ونهرع إلى الصخور فنسبح في ذلك البحر الصافي الازرق سباحة تنبسط لها انفسنا كل الانبساط . ووجدت في منزلي الجديد عين الحرس المؤلف من البحرية التركية الذين كانوا يخفرون منزلي القديم وفصلا عن ذلك انشأ الترك مخفر شرطة في الدار المجاورة لداري .

وفي ١٤ تشرين الثاني تلقيت برقية من « السر جورج ارمسترونغ » بعث بها إلي بعد سقوط الكوت وتاريخها على ما يظهر ٢٠ أيار سنة ١٩١٦ . وقد بعث بها مقر فيلق دجلة مارة في الخطوط التركية إلى أن وصلتني في هذا اليوم . وقد كتبت في مفكرتي أنه لو وصلتني هذه البرقية قبل اشهر لاقيل عبء هم ثقيل عن صدري وإلى القارىء تلك البرقية : -

« صرحت الحكومة البريطانية في مجلس العوام تصريحاً يدور حول الجيش العثماني فقالت ليثق المجلس أن دفاع الفريق طاونزند عن كوت الامارة دفاعاً مجيداً منطويا على كل المهارة والبسالة لا يحط من منزلته في عين الامة . ونظراً إلى كوني واقفا على جميع الامور اطمئنك بأن تكون واثقا من أمر حاضرك وصيتك ومستقبلك » .

في ٢ آذار سنة ١٩١٧[١] . اذيع الآن على صورة رسمية خبر استيلاء البريطانيين على كوت الامارة مرة اخرى وقد شاع هذا الخبر منذ ٢٦ شباط . فقد اشتد القتال بجوار الفلاحية مدة اسبوعين أو ثلاثة اسابيع قبل ذلك فتراجع الترك الآن إلى موقع في شمال كوت الامارة . وقد قال لي الترك أن موداً يزحف بقوة تربو

---

(١) ان المقتبسات التي انقلها من مفكرتي موضوعة بين قوسين فلا أشير اليها بعد الآن .

على مائة الف مقاتل بينما تتألف قوة الترك من ٤٠٠٠٠ مقاتل على الاكثر وانه بات من رابع المستحيلات صد الزحف البريطاني بعد هذه القوة .

« ١٢ آذار . شاع أن اميركا اعلنت الحرب على المانيا .

« ١٤ آذار يوم الاربعاء . راجت الاشاعات في جميع نوادي الاستانة بأن البريطانيين استولوا على بغداد . والظاهر أن هذه الاخبار صحيحة . لأن جميع الناس يتناقلونها . وقد جرى قتال شديد . وقيل لتوفيق أن البريطانيين زحفوا بسبع فرق و ٥٠٠ مدفع . والفرق كل الفرق بين هذه القوة والقوة التي اعطيتها لافتح بغداد .

« بعثت إلي السفارة الاميركية جرائد تاريخها من ١٩ كانون الثاني إلى ٢٢ شباط وفيها اخبار انقطاع العلاقات السياسية بين امريكيا والمانيا » .

كان لخبر الثورة الروسية في ١٨ آذار وقع رديء جداً علينا في الاستانة . وقد سر هذا الخبر جميع الترك والالمان وقالوا أن الحرب قاربت الانتهاء لأن الحلفاء لا يستطيعون مواصلة الحرب بلا روسيا .

إن خبر سقوط بغدا لم ينشر على صورة رسمية ومع ذلك كان له وقع سيء جداً على الترك في الاستانة . وقال عدة ضباط أن قوة مود تتألف من سبع فرق و ٥٠٠ مدفع اي انها كانت نحواً من تسعين الف مقاتل اما القوات التركية فكانت على وجه التقريب عين القوات حين سقوط الكوت ولم يفكر احد في لوم القائد التركي العام ـ وهو خصمي القديم خليل باشا ـ الذي لم يحط سقوط بغداد من قدره .

وفي ٦ نيسان اعلن خبر اعلان امريكا الحرب على المانيا وكان لهذا الخبر وقع مؤلم في نفوس الترك لأنهم طفقوا يعلمون النتائج التي تنتهي اليها الحرب .

وطفقت الاستانة الآن (حزيران سنة ١٩١٧) تتحول شيئاً فشيئا إلى مستعمرة المانيا . فكان الضباط الالمان منتشرين في جميع وحدات الجيش التركي وفي وزارة الحربية وملتفين حول انور باشا الذي بات في قبضة يدهم . وبلغ دين

المانيا على تركيا حينئذ اربعمائة مليون ليرة فبات ايفاؤه من رابع المستحيلات .

وكان يستحيل علي الخروج في ايام الآحاد والجمعات في جزيرة بيوك اطه نظراً إلى جماهير الالمان والنمساويين الذين كانوا يخرجون للنزهة في ايام البطالة هذه . وكانت عرى الالفة متينة بين هؤلاء وبين الروم واليهود الذين كانوا على الغالب يحترمون الالمان احتراما عظيما . وكانت الجمعة يوم راحة الترك وكان الروم يحفظون هذا اليوم مع الاحد لذلك لم يطق المرء العيش في بيوك آطه في هذين اليومين من ايام الاسبوع . وكنا أنا ومورلند بلا استثناء نمشي حول الجزيرة مرتين في اليوم للرياضة وكنا نبدأ يومنا بالسباحة بالقرب من الصخور الموجودة في حديقتي واحيانا كنا نسير في زورق عندما كان يأخذنا توفيق لنزهة بحرية في قارب من قوارب المدرسة البحرية .

واستفحل أمر طلاب الكسب في الاستانة إلى درجة لا تطاق . وكان رجال الحكومة يجمعون الاموال الطائلة ببيع السكر أو التبغ أو لحم الضان أو البطاطة في الاسواق .

« ٢٢ تموز . وصل العميد «فلكنهاين»[١] الاستانة وقيل لي أنه سيتولى قيادة الجيش المؤلف من الالمان والترك في آسيا الصغرى وأن مهمته تنحصر في استرداد بغداد من البريطانيين .

« حلقت طائرتان بريطانيتان في جو الاستانة في الليلة الماضية وكادت أن تصيب قنابلها الطراد غوبن واغرقتا مدمرة تركية وقتلتا ٢٦ جندياً وجرحتا عشرة جنود والحقت ضرراً بمدمرة اخرى وكادت أن تصيب الباخرة الالمانية المسماة « جنرال » التي كانت راسية في القرن الذهبي وفيها عدد عظيم من ضباط اركان الجيش الالمان » .

وفي ٥ آب تلقيت جرائد انكليزية فطالعت في صحف لندن ما قررته لجنة

---

(١) العميد فلكنهاين : من القادة الالمان ، وصل الاستانة ، وكانت مهمته استرداد بغداد من البريطانيين .

البحث في شؤون الحملة العراقية . فقد اتضح لهذه اللجنة أن لجنة مؤلفة من فريق من ساسة البلاد تغلب نفوذها على وزارة الحربية من غير أن يعضدها الخبراء في الشؤون العسكرية برأي فرأت هذه اللجنة أن زحفي على بغداد بقوة مؤلفة من عشرة آلاف جندي ليس بينهم سوى ٨٥٠٠ جندي ماش كاف كل الكفاية للحصول على النتيجة المطلوبة وإن كانت المسافة بيني وبين البحر ٤٠٠ ميل من غير قوة استند اليها ! وفضلا عن ذلك أن العراق ميدان حرب ثانوي فتقضي اصول الحرب اتخاذ خطة الدفاع في هذه الساحة بقوة صغرى لتعزيز القوات في فرنسا ميدان الحرب الكبير .

وفي ١١ آب قابلت انور باشا في وزارة البحرية . فجرى بيننا حديث طويل ولقيت منه كل مودة وقال لي لولا الالمان لكنت في انكلترا قبل سنة فما العمل والالمان لا يوافقون على ذهابي ؟

فقال « كنت راغباً في ارسالك إلى انكلترا تواً حين سقوط الكوت ولكن الحق يقال ايها الفريق أن الالمان لم يوافقوا على ذلك بقولهم انك ذو منزلة سامية في انكلترا فيكون لذهابك تأثير سياسي هناك ! » .

وفي ١٢ آب قطعت خليج هكبه لي سباحة من بيوك اطه إلى المدرسة البحرية الواقعة في جزيرة هكبه لي في اربعين دقيقة ولا تقل هذه المسافة عن ميل وربع ميل . وهذه المسافة تزيد على المسافة التي قطعتها سباحة حول جبل « سنت ميكل » في « كورنول » سنة ١٨٩٥ عند رجوعي إلى الوطن من « جنرال » . وفي هذه الاثناء شعرت بشرطة سريين لابسين ملابس بسيطة يتبعون خطواتي أكثر من المدة السابقة في اسري . وكنت مراراً عديدة الهو بالتملص من هؤلاء الشرطة السريين اثناء تنزهي مشياً وذلك أنني كنت ارقى التلال وانزل من جانبها الآخر واسير إلى المنزل على طريق اخرى .

« ٢٤ أيلول . شب حريق هائل في الليلة الماضية في محطة حيدر باشا في اسكدار فالتهمت النار المحطة . وكانت العين تشاهد من بيوك اطه السنة اللهيب تندلع في الفضاء . وقد نشأ الحريق عن رافعة بخارية ترفع القنابل من معونة

راسية في المرصه فاله محطه السكة الحديديه وسقطت القنابل من الرافعة فانفجرت فطفقت النار تلتهم المحطة على الفور . وكانت القطارات مشحونة بالنفط ومهيأة للسير إلى حلب لترسل من هناك إلى حملة بغداد . فمات في الحريق الف نسمة . وكانت المحطة ملأى بكميات عظيمة من العتاد والقنابل فكانت القنابل تنفجر وتنتشر في الجو كالشهب وكانت القنابل تسقط بين السفن الراسية في بوغاز البوسفور . وتقدر الخسارة من جراء هذا الحريق بخمسة ملايين ليرة » .

قلت في ما مر أنني لم اشأ أن اقسم بشرفي العسكري وأن انور باشا خيرني في الذهاب ان شئت ومتى شئت وكل ما طلبه مني لقاء ذلك أن انبئه باني لا استطيع الصبر على البقاء عندما اريد ذلك .

ولما عقدت العزيمة الذهاب بعثت إلى انور باشا رسائل لا يقل عددها عن الست طالباً اليه أن ابدل بغيري وهلم جرا وأنه لا يسعني الصبر على الحياة وانا قيد الاسر وإن اضطرابي العقلي اشد مما اطيق احتماله وانني اذا لم اذهب إلى وطني وازاول عملي مرة اخرى اعتراني الجنون . واقول هنا أن وعد انور باشا لي بالذهاب إن شئت كان وعداً كاذباً . إذ كانت المراقبة شديدة علي ولم استطع الذهاب إلى الاستانة من غير أن آخذ معي احد مرافقي التركيين . فكانا يتناولان طعام الظهر والعشاء معي ويسكنان المنزل الذي اسكنه عينه . أما جنود المراسلة البحريون الذين وضعوا بالاسم لخدمتي كانوا في الواقع واقفين على حراستي .

وطفقت الآن افكر في الامور بحذافيرها فعقدت العزيمة على الفرار مهما كلفني ذلك . لأنني يئست من المبادلة بغيري . وليعلم القارىء أن هنالك اسبابا واضحة تمنعني من ايراد رواية محاولتي الفرار ثلاث مرات لأن الحوادث وقعت في الأونة الاخيرة في صيف سنة ١٩١٨ ويحتمل أن تمس رواية الحقائق اشخاصاً مدوا إلي يد المساعدة في الاستانة . ويكفي القول أن مساعي كانت مما يهيج اعصاب المرء الا انها انتهت بالفشل نظراً إلى نحس طالعي ومعاندة الاحوال ومماطلة الترك الغريزية ولم يستطع رجال الحكومة التركية أو الضابط التركي القائم على حراستي استكشاف امر المساعي التي كنت ابذلها للفرار .

ولم ينثن لي عزم عن الفرار فرسمت خطة جديدة في اواخر آب لهذه الغاية وحسبت أن تنفيذها يقتضي شهراً واحداً . وقد دونت في مفكرتي : « الحمد لله لقد وضعنا حديدة اخرى في النار . ولا يتوقف ذلك على الطائرات والهواء بل علينا نحن وعلى اذرعنا اليمنى وبندقياتنا » .

وفي هذه الاثناء اخذت الطائرات البريطانية تكثر من شن الغارات على الاستانة ولكن الترك لم يسئهم ذلك وكانوا يقولون علانية « أن البريطانيين لا يحاولون حرق مدينتنا لانهم شعب يحترم النساء والاولاد ويحافظ على حياتهم » . والتأثير الوحيد الذين كان لهجوم الطائرات هو أن الترك طفقوا يشددون المراقبة علي لأن الاكثار من مجيء الطائرات حمل الترك على التفكير في احتمال فراري بطائرة بحرية وقد روت الصحف مرتين أنني هربت في طائرة بحرية .

إن فشلي في محاولة الفرار ثلاث مرات شدد عزمي على النجاة من قبضة الاسر لأنني لم اطق بعد ذلك احتمال العذاب العقلي الذي بت فيه . وكان مورلند شريكي في هذا الرأي . فطفقنا نتخذ التدابير الصحيحة ونرسم الخطط الامينة لبلوغ غايتنا . وقد عولنا في ذلك على مسدساتنا والكمية الوافرة التي كانت عندنا من العتاد وعصابة من قاطعي الطريق مؤلفة من عشرين شخصاً استأجرناهم لهذه الغاية . واعددنا قارباً واخفيناه على الشاطىء قبالة جزيرة مدلي . وقد قررنا بلوغ شاطىء بحر مرمرة بالقرب من باندرمة وننضم هناك إلى رجال العصابة التي مر ذكرها والذين اتفقنا معهم على أن يهيئوا لنا خيلا وبغالا للركوب فنقطع مسافة التسعين ميلا إلى الشاطىء فنركب الزورق المخفي فنسير فيه إلى جزيرة مدلي .

وكنا قبل ذلك قد رسمنا خطة اخرى وهي الفرار إلى القوقاس بطريق باطوم ولكننا عدلنا عن هذه الخطة وعولنا على تنفيذ الخطة الجديدة التي ذكرتها لأنها اسهل . ولكن استغرق استعدادنا مدة طويلة وذلك نظراً إلى مماطلة الترك الذين كنا نفاوضهم في أمر الفرار لأن شأن الترك التسويف والمماطلة في اعمالهم والمثل الذي يصح فيهم هو « لا تعمل اليوم العمل الذي تستطيع تأجيله إلى غد » .

وفي ٢٨ آب شبت نار هائلة في الاستانة دامت يومين . فالتهمت النار نحواً

من عشرين الف منزل فبات الالوف من سكانها بلا مأوى .

وفي اواخر آب قال لي سراً وجيه تركي له كلمة نافذة جدا ومقرب من الحكومة وانور باشا أن الترك لا يريدون اطلاقي من قيود الاسر انما يلهونني بالوعود والمعاملة الحسنى . إلى أن قال : « مهما عقد من المؤتمرات لمبادلة الاسرى (لأنه شاع حينئذ عقد مؤتمر لهذه الغاية) فان الترك لا يتخلون عنك » . ثم قال أنه عالم بما يقوله وطالما تباحث الوزراء في هذه المسألة فقال « انهم ينوون استخدامك بمنزلة رهن لحين الشدة » .

ولم يخامرني اقل شك في صحة ما نقله إلي هذا الباشا لذلك صرفت نظري عن انور الذي اشبعني كلاما مزوقاً بقوله أنه راغب كل الرغبة في اطلاق سراحي ولكن الالمان لا يريدون ذلك وإلى غير ما تقدم من الاقوال الملفقة التي لا نهاية لها .

ولم تتحسن احوال وزارة الحربية التركية في ايام انور عما كانت عليه في عهد ناظم باشا والفرق الوحيد بين العهدين هو أن المرء كان يشعر في ايام انور بضوضاء وتشويش بدلا من سكون ايام السلم فيخال ذلك حركة جد وعمل .

واشتدت جداً الريبة اثناء اسري في أمر دائرة الميرة من دوائر وزارة الحربية التركية وكثر القيل والقال في شأنها حينئذ لأن مدير الميرة اثرى حتى اصبحت ثروته تقدر بالملايين وذلك أن هذا المدير والمتعهدين بتقديم ارزاق الجيش وذخائره واسلحته وتجهيزاته تواطأوا على اختلاس اموال الحكومة . وطفق الضباط الترك الاحداث المستخدمون في هذه الدائرة ينفقون عدة آلاف من الليرات في شراء القصور في بيوك اطه وكانوا قبل الحرب لا يملكون شروى نقير . وقد روى لي ضابط تركي من ضباط اركان الجيش قصة عقد عقده قائد تركي وقد شهد هذا الراوي بام عينه ما فعله ذلك القائد حين عقد المقاولة لاطعام فيلق تركي وإلى القارىء القصة : -

سأل القائد التركي المتعهد العربي قائلا : - « ما اسعارك للتمر ؟ »

فاجابه المتعهد « الاقة بغرشين »

فقال القائد « انني اعطيك ثمن الاقة ستة قروش اذا اعطيتني ايصالا باثني عشر غرشا ثمن الاقة ! » .

فتم العقد على هذه الصورة وارتاح الفريقان إلى تلك الصفقة .

إن الفساد والرشوة قد بلغا درجة مريعة فكانت القوة التركية الجوية مؤلفة من بضع طائرات وفيها عدد عظيم من الضباط مرتدين بزات مزوقة لا تليق بالطيارين بل بممثلي الروايات الموسيقية الهزلية . ولما كانوا على الاغلب ابناء التجار الناجحين في اشغالهم كانوا ينضمون إلى القوة الجوية ليظلوا متنقلين بين مطاعم بك اوغلي وبذلك يتملصون من الذهاب إلى جبهات الحرب لا سيما جبهات سورية وفلسطين المخوفة . حتى أن صحف الاستانة الحقيرة كانت تصرح بوجوب اهتمام الحكومة بهذه الامور المريبة يوم كان البريطانيون يشنون الغارات على المدينة من قاعدتهم في جزيرة مدروس .

كنا يوماً في حانوت بائع مجوهرات في بك اوغلي فدخل الحانوت تركي وطلب شراء سلسلة ذهبية لساعته . فطلبت المرأة الالمانية صاحبة الحانوت ثماني عشرة ليرة ثمنا للسلسلة . فعاتبها التركي قائلا أن ثمنها لا يعادل اكثر من خمس أو ست ليرات . فاجابته الالمانية « اعطني ثلاث ليرات ذهبا وخذ السلسلة . ولكن ثمنها ثماني عشرة ليرة ورقا » .

فلو اخذ المرء حينئذ ليرة انكليزية ذهبا أو ليرة تركية ذهبا وباعها في السوق لاخذ بدلا منها خمس ليرات ورقا . وكان سعر الليرة القرطاسية الرسمي ١٣٠ غرشا لأن المانيا وضعت قيمة باهظة على الليرة القرطاسية لانها كانت قد اقرضت تركيا ما يربو على اربعمائة مليون ليرة . فكلما احتجنا إلى النقود في الاستانة ذهبنا إلى سفير هولندا أو إلى « المستر . ج. أ. سايكس » (التاجر البريطاني الذي ظل هناك) لصرف السفنجة (الشك) الانكليزية .

« ٢٢ أيلول . شنت الطائرات البريطانية في الليلة الماضية الغارة على

الاستانة فدام اطلاق نيران المدافع التي تقابل الطائرات ربع ساعة . فسقطت طائرة بحرية منها نظراً إلى ضرور الم بآلتها في البحر بالقرب من مالتيه وهي بلدة صغيرة على الشاطىء الأسيوي قبالة بيوك اطه فاسر ضباطها الثلاثة .

« روت جرائد لندن إلى ٧ أيلول أن جيوش الحلفاء ضربت الالمان ضربة شديدة بقيادة « فوش » واسرت مائة وخمسين الف اسير الماني . وهذا دلني على أن الالمان يتقهقرون تقهقراً تاما .

وقد قامت الأن المانيا باسرها وقعدت لهذه الانباء وصرح مجلس النواب الالماني أن زمن كتمان مجلس الوزراء واتخاذ التدابير السرية قد انقضى . ففي برلين عشرون الف فار من الجندية . وقد ارجع من الجبهة إلى المانيا فرقتان احداهما بافارية والاخرى سيليزية نظراً إلى تمردهما العلني . وتفشت كذلك الفتنة بين نوتية الغواصات » .

وقد دونت في مفكرتي في ٢٥ و ٢٦ و ٢٧ أيلول الخطط التي رسمتها للفرار وكانت هذه الخطط على وشك الانجاز .

« يوم السبت في ٢٨ أيلول . ضرب الانبي الترك والالمان ضربات منتظمة في سوريا وقد انهزم جيشهم هزيمة منكرة لا يلوي على شيء . واستولى البريطانيون على دمشق ولهذا النبأ تأثير سياسي شديد لأن دمشق تتلو الاستانة في الشأن . فقد اصبحت سوريا باسرها في قبضة البريطانيين . وقد كسر كذلك جيشنا في سلانيك البلغار كسرة منكرة والجيش البلغاري يتقهقر تقهقراً تاما . فطلبت بلغاريا من قائد جيش سلانيك أن يهادنها الأمر الذي انقبضت له صدور الترك . واجتمع مجلس النظار هنا نهار امس طوله حتى الليلة الماضية . والجنود تسرع إلى الحدود . فاخذ الترك يلومون الالمان علانية وقد يستثنى منهم حزب الحكومة الحقيقي ويقال أن انور نفسه قد تغير رأيه في الالمان . ومعظم الترك يميلون إلى الحلفاء ولكنهم جميعا يخافون حراب الالمان الذين في القسطنطينية . وعلى ما اعلمه أن الحامية الالمانية في الاستانة مؤلفة من فرقة موزعة في مفرزات مختلفة في ضواحي الاستانة على كلا جانبي البوسفور لكي تسيطر هذه القوة

الالمانية عند الاقتضاء على المدينة بالتحرك ارتالا صغيرة .

« إن الاسطول التركي الحربي المؤلف من بضع مراكب قد بات في قبضة الالمان . والحق|يقال أن الحامية الالمانية في الاستانة مسيطرة على هذا الموقع سيطرة « جونوت » على لشبونة لما احتل تلك المدينة عام ١٨٠٨ . ولكن يسهل استرداد المدينة من الالمان بمساعدة البريطانيين من الخارج .

« ١ تشرين الاول سنة ١٩١٨ . الظاهر أن جيش سلانيك يزحف على صوفيا وأن البلغاريين يطلبون الصلح وهم متقهقرون . ويقال أن الالمان يوفدون الجنود من رومانيا والنمساويون يرسلون الجنود إلى صربية وقد عززت تركيا خطوط جتالجة وغاليبولي بجيشها الاول فلم يبق لديها قوة احتياطية . ولم يزل مالينوف الذي طلب الصلح رئيس الحكومة البلغارية . والظاهر أن الملك فرديناند لا يبدي رأياً في المسألة ولا اعتقد أن جيش سلانيك المؤلف من البريطانيين والفرنسيين والصرب أو اليونان يزيد على اربعمائة الف مقاتل وقد قيل لي أنه لم تقع معركة تستحق الذكر . فقد شرع الجيش البلغاري في التقهقر وطلب مالينوف المهادنة على الفور تمهيداً لعقد الصلح . ولا يخفى أن القائد الفرنسي العام فرانشه ديسبري لم يهادن البلغاريين بل اجابهم بأن يرسلوا من ينوب عنهم فاجابوا طلبه . وارى أن بلغاريا منذ مدة مضت قد عقدت العزيمة على الانحياز إلى جانب الحلفاء .

الفصل الثاني

« الهدنة مع تركيا »

في ٣ تشرين الاول سنة ١٩١٨ ذهبت من بيوك اطه إلى طرابية اجابة إلى برقية تلقيتها من عزت باشا المصري يدعوني إلى تناول المجـوري (طعام الظهر) على مائدته في قصره . فلاقاني بسيارة على جسر غلطه في بك اوغلي حين مجيئي من بيوك اطه فسرنا إلى طرابية فانشرح صدري لتلك السفرة كل الانشراح . فما عتمت أن علمت منهُ أن بلغاريا هادنت القائد الفرنسي الذي يقود جيش سلانيك فتعهدت بلغاريا بتجنب سلاحها إلى نهاية الحرب إذ تبت دول الحلفاء في أمر مطالبها ومرافقها ومصيرها . وقضت عليها كذلك شروط الهدنة بتسريح جيشها وخزن مدافعها ومعداتها الحربية ووضعها تحت مراقبة ضباط بريطانيين .

وقال لي أن الترك في الاستانة قد قاموا وقعدوا لهذه الانباء . واخذوا يشعرون باحتمال هجوم بلغاريا على الترك واستيلائها على الاستانة وذلك سداً لمطامعهم وارضاء للحلفاء . وكذلك راجت اشاعة قوية بأن الوزارة التركية قد استقالت . وشاهدت انا نفسي فوجاً تركيا يسير على جسر غلطة ذاهبا إلى خطوط جتالجة المهمة التي تحمي الاستانة من البر وقد ذهب قبل ذلك عدد عظيم من الجنود إلى تلك الخطوط . وجميع الدلائل كانت تدلنا على الحركة والتهيج وشاهدنا جماعات من ضباط الصحية الالمان يتحدثون في الشوارع . وقال لي عزت باشا أن الدائر على الالسنة في المحافل السياسية المهمة أن الحكومة التركية ستوفدني لمفاوضة الحكومة البريطانية في أمر الصلح فبادر إلى اطلاعي على هذا الخبر بلا امهال . ولما طفقنا نتحدث في المسألة على مائدة الطعام قلت له أنني راغب كل الرغبة في ذلك

ولكنني ساشترط على الحكومة التركية لقاء ذلك منحي الحرية التامة . وساسعى لحمل الحكومة البريطانية على التعهد بعدم ضم شيء من المقاطعات التركية في اوربا وقارة آسيا إلى دولة اخرى ولكن يتحتم على الترك فتح الدردنيل وجعل الاستانة ميناء حراً . ويجوز أن تصبح مملكة الحجاز دولة مستقلة بشؤونها . ويجب جعل البصرة وبغداد مينائين حرين من غير قيود تقيد تجارتها على أن يقيم في بغداد معتمد بريطاني وقوة حرس بريطانية . وعندي انه يجب عدم التعرض لشؤون تركيا في غير ذلك .

إذ يجب بقاء الترك في طريق الهند لأنهم ضعفاء لا يستطيعون الحاق الاذى بنا . فقد تكبدوا خسارة فادحة في الحرب . وخسارتهم من جراء الطعام وقلة الغذاء وعدم استطاعة الحكومة دفع المال الذي عليها تربو على الخسارة التي تكبدوها في ساحات القتال .

وكان قد انتشر في آسيا الصغرى ثلاثمائة الف فارس من الجندية على اقل تقدير في أيلول سنة ١٩١٨ وكان هؤلاء يعيثون في هذا البلاد فساداً ويرهبون السكان . وقد وقفت على هذه المعلومات من موظفي وزارة الحربية التركية لأن الترك كانوا يصارحونني الحديث في ايراد هذه الارقام الهائلة . وقد قال لي رؤوف بك وزير البحرية التركية لما غادرت الاستانة قاصداً الاسطول البريطاني لقضاء المهمة التي اوفدت من اجلها أنه لم يكن امام « الابني » حين اقترابه من حلب عشرون الف جندي تركي . وكان هؤلاء الثلاثمائة الف فار من الجندية يعيثون في البلاد فساداً وهم عصابات لصوص من نوع العصابات الاسبانية اثناء شبه جزيرة اسبانية . فكانوا يغلون يد الحكومة عن توطيد دعائم النظام حتى أنهم كانوا يسطون على المدن فينهبونها وكانوا يجبون الاموال من الحكومات المحلية . ففي شهر أيلول سطا جم غفير من رجال هذه العصابات الفارين من الجيش الخامس على بلدة باندرمة فحرقوا في دار البلدية ستين الف ليرة تركية قرطاسية لانهم لم يحسبوا لهذه النقود قيمة . وكذلك سلبوا جماعة من الضباط الالمان ثيابهم فباتوا عراة الابدان وضربوا الضباط الالمان ضربا مبرحا ولكنهم لم يمسوا النمساويين بسوء

وكان رجال العصابات يتوعدون طلعت باشا بقولهم إذا لم يعقد الصلح زحفوا على الاستانة ونهبوها . فهذه كانت حالة تركيا في أيلول سنة ١٩١٨ .

واورد هنا مثلا على الرعب الذي اوقعه رجال هذه العصابات في قلوب السكان بجوار الاستانة فاقول أنه كان لمرافقي نوليق بك مزرعة على مسافة عشرة أو اثني عشر ميلا من اسكدار فلم يتمكن من ايفاد انسان اليها لجلب الحطب للوقود . إذ لم يستطع ايفاد جنديين أو ثلاثة جنود وحدهما من جنود المراسلة خيفة من أن يرميهم رجال العصابات بالرصاص أو يستأسروهم على الطريق . لذلك لم يوفد لهذه الغاية جماعة تقل عن عشرين حامل بندقية ومرات عديدة كان هؤلاء الجنود يوآخون رجال العصابات وينضمون اليهم .

ولم ادع فرصة تفوتني مدة الشهرين أو الثلاثة اشهراً مضت من غير أن ابرهن للترك الذين كنت احدثهم (وكان عددهم كثيرا ونفوذهم عظيما) على أن املهم الوحيد في الخلاص ينحصر في مصالحة انكلترا وكنت عالماً بأن حديثي ينقل إلى رئيس الحزب الذي كان يدس الدسائس لاسقاط انور باشا . فقالوا لي أن أنور قد رفع استقالته إلى السلطان حول ١٥ أيلول فقبلت استقالتهُ واستقالة طلعت باشا الذي لم يشأ أن يبقى في وزارة ينسحب منها انور باشا .

وكنت مرارا عديدة اقول للترك أن مرابطة الجنود الالمانية جماعات حول الاستانة كان على صورة تمكنهم من تقسيم العاصمة إلى مناطق . اما مدافع الاسطول فكانت مسلطة على المدينة . وكان هؤلاء الضباط ينقلون اخباري إلى غيرهم من الضباط الترك فاسفرت مساعي في النهاية عن نتائج مهمة .

وكان الالمان والنمساويون يبذلون قصارى جهدهم لعقد الصلح بالخطب التي كان يلقيها رجال حكوماتهم وينشرونها في الصحف التي تبث دعوتهم . فيا له من تغيير طرأ على لهجة الالمان في كلامهم ! فكان كل كلامهم كلام مدافعة وقد اقلعوا عن كلام الفتح وخطب « الله ملجأ لنا » التي كان يلقيها القيصر الالماني وكانت منطوية على الرقة والاسى بحيث يخال السامع أن قائلها يتلو الصلوات في الكنائس . ولا يخفى أنه كان في المانيا حزب قوي يعارض القيصر الذي كان حجر

عثرة في سبيل السلم . وكانت النمسا على اهبة التسليم وكنت اعتقد بانها ستفعل ذلك في اول فرصة سانحة .

وفي ٧ تشرين الاول قيل لي أن انور وطلعت والوزارة باسرها استقالت وأن السلطان استدعى اليه توفيق باشا والمشير عزت باشا لتأليف وزارة جديدة . ولم يزل الترك يأملون أن الحلفاء يهادنون الدول المركزية على شروط الرئيس ولسن الاربعة عشر ولكنني قلت لهم أنه يستحيل على الحلفاء مهادنة الدول المركزية في جميع جبهات الحرب لكي تستريح هذه الدول وتزيد خطوط دفاعها مناعة . فقلت « انهُ يستحيل على الجيوش البريطانية والفرنسية والاميركية أن تهادن الالمان الا اذا جلوا عن اراضي فرنسا وبلجيكا . فامل الترك الوحيد هو أن يحذو حذو مالينوف لكي ينالوا من الشروط ما نالته بلغاريا . فعليكم أن تبادروا إلى ذلك » . وعلى هذا النمط كنت احدث توفيق بك الذي جاء من الاستانة لمقابلتي .

وفي ١٢ حزيران سمعت وانا في حديقتي في بيوك اطه أن وزارة انور وطلعت سقطت وانه سيعين المشير عزت باشا صدرا اعظم ووزيرا للحربية في الوزارة الجديدة . فبعثت على الفور برسالة إلى عزت باشا اطلب فيها مقابلته قائلا له انني لا ارى التأخير محمود العواقب . وكذلك كتبت في ١٥ تشرين الاول إلى رؤوف بك وزير الحربية الجديد قائلا أنني بصفة كوني صديق الحكومة التركية ارغب في مساعدتها في مفاوضة البريطانيين مقابلة للمعاملة الحسنى التي عوملت بها مدة اسري . وقلت مادحا نفسي بأنني قادر على انجاز هذه المهمة وأنه على الترك أن يثقوا من اخلاصي في المساعي التي ابذلها للحصول على شروط شريفة لتركيا . فاذا استحسنت الحكومة التركية ما عرضته عليها . فعليها أن لا تتأخر لحظة في ايفادي إلى الاسطول البريطاني . ولكنني طلبت قبل سفري اطلاق سراحي من قيد الاسر . فنقل توفيق بك هذه الرسالة إلى رؤوف بك وزير البحرية الجديد وسلمه اياها يداً بيد وكان توفيق بك صديق رؤوف بك الحميم وهو الذي قدمه إلي . وهذه الحقائق تبرهن على كوني احسنت العمل في المساعي التي بذلتها اثناء اسري للتقرب من الرجال الذين تولوا مقاليد الحكم على اثر سقوط انور .

وقلت لتوفيق بك اذا تتوجت مساعي لعقد الهدنة بالفوز لا شك في أن النمسا كذلك تفلت زمامها من يد المانيا وقد برهنت الحوادث على صدق ظني هذا . وكنت عالما بأن توفيق بك سيعيد كلامي هذا على مسمع رؤوف بك وزير البحرية .

ففي ليلة ١٦ تشرين الاول رجع توفيق بك من الاستانة يحمل إلي رسالة من المشير عزت باشا وهي أنه يطلب مقابلتي في الباب العالي الساعة ٢:٣٠ بعد ظهر اليوم التالي .

فذهبت مع توفيق بك إلى الاستانة واثناء جلوسي في قمرة الزورق البخاري الذي كان يقلني من بيوك اطه إلى الباب العالي دونت في مفكرتي الشروط التي اعرضها على الحكومة التركية وهي :

« هل تقبل الحكومة التركية هذه الشروط ؟ ـ

١ ـ فتح الدردنيل والبسفور للاسطول البريطاني .

٢ ـ الحكم الذاتي للعراق وسوريا تحت رعاية السلطان على ما هي الحال عليه في بافارية وسكسونية وورتمبرغ وغيرها اي تأليف دول متحدة .

٣ ـ هل تنطبق هذه الحال على حالة القوقاس ؟

٤ ـ جلاء جنود الحلفاء عن العراق وسوريا .

٥ ـ أن تظل حدود تركيا في اوربا على ما قررته وعينته معاهدة لندن .

٦ ـ اطلاق سراح الاسرى البريطانيين والهنود على الفور على أن يجتمع هؤلاء الاسرى اولا في ازمير ثم يرسلون إلى جزيرة ساقز .

وعند وصولي الباب العالي ادخلوني على الفور إلى عزت باشا في ديوان الصدارة العظمى . والمشير عزت باشا رجل في نحو الثالثة والستين من عمره وهو قوي البنية وسليم الجسم ومشهور بمقدرته الجيدة [illegible] بية والمناورة في القتال وهو قائد قدير ومحبوب في الجيش . فحياني تحية صادقة ثم جلسنا نتحدث على

انفراد . فقال لي أنه قد عهد اليه بادارة سكان المملكة رغم ارادته في مثل هذه الايام العصيبة والاحوال الحرجة وتبعة ما جرى غير واقعة عليه . إلى أن قال وعيناه مغرورقتان بالدموع أنه يرى بلاده العزيزة في دمار مريع .

وما عتمنا أن توصلنا إلى المسألة التي اجتمعنا من اجلها فقال : « إذاً انك تريد مساعدتنا ؟ » .

فاجبته : « اريد ذلك من اعماق نفسي » .

فقال ان رؤوف اطلعه على مضمون رسالتي . فهمه الوحيد الآن خلاص بلاده من الدمار لأنه من اسرة اشتهرت باحترامها على الدوام لانكلترا والانكليز وهو لم ينس ما فعلته انكلترا من اجل تركيا في حرب القرم . وقال بلهجة اكد بها قوله أن تركيا ارتكبت جناية باعلانها الحرب على انكلترا وطفق يلوم حزب انور الذي جر البلاد إلى الحرب بقوارص الكلام .

حينئذ شرعت افصح له عن رغبتي في مساعدة تركيا فاجابني أنه واثق مني ملء الثقة في ذلك وقد عزم على ايفادي لقضاء هذه المهمة على الفور . وإنني اصبحت حرا ويسره أن يطلق سراحي من قيد الاسر . ولم يعين لي شروطا تعرضها تركيا بل قال أنه يعول على المساعى التي ابذلها للحصول على شروط شريفة .

فاجبته أن السبيل الوحيد إلى نجاح المساعي هي الموافقة على فتح الدردنيل على الفور . فلم اذكر له حصون غاليبولي التي لا بد من أن يحتلها الحلفاء لأنه ما من امير بحر يثق من سلامة اسطوله في بحر مرمرة إذا ظل الترك محتلين تلك الحصون .

فاجابني عزت باشا الذي رأيته مضطرب البال طول المدة من المأزق الحرج الذي باتت فيه بلاده بقوله أن الحكومة التركية ترغب في فتح الدردنيل إذا تعهدت بريطانيا بحماية تركيا . وسألني عن موعد سفري .

فاجبته أنني مستعد للسفر على الفور وافصحت له عن املي في أنه يوفدني في

تلك الليلة لانه يجب أن لا تتأخر المسألة لحظة من الزمن لأن الاسطول البريطاني كان في تلك الاثناء يحتشد في جزيرة لمني .

فكان رأيه منطبقاً على رأيي في مسألة عدم التأخر . وقلت له أنني اتوقع أن اصل انكلترا بعد سبعة ايام بطريق الدردنيل . فقال انهُ ليس واثقا من أنه في استطاعته ارسالي بتلك الطريق لأنني سالقى فيها ضباط المانيين كثيرين وهو لا يريدهم أن يعلموا بذهابي لأ ن رجال الحكومة السالفة سلموا الترك بيد الالمان فانتشر هؤلاء في كل مكان . وفضل سفري بطريق ازمير لأنها على رأيه افضل الطرق فاصررت على الذهاب بطريق الدردنيل لأن السير على تلك الطريق اسرع ولأن اسطول البحر المتوسط البريطاني هناك .

وإذا نظرنا في أمر توحيد مساعي الاسطول والجيش البريطاني واليوناني الذي يقال أنه قد قطع نهر المريج (ولم يكذب عزت باشا هذا الخبر) يؤخر وصولي هذه الحركة الحربية . وقلت أن الهجوم على هذه الصورة يحدث ازمة في الاستانة فيجب اجتناب ذلك مهما كلف الأمر .

فوافق على كلامي كل الموافقة وقال انهُ سيستشير رؤوف بك وباقي زملائه في أمر طريق الدردنيل (والظاهر أنه كان لكلامي عن وجود الاسطول خارج الدردنيل وقع لا ينكر في نفسه) .

وقلت له كذلك أن لمقابلة الاسطول شأن يفوق الخطر الذي ينجم عن شعور الالمان بالمساعي التي تبذل للمهادنة فضلا عن الفائدة التي تنجم عن السرعة .

واستطلعت رأيه في ارسال جواب الحكومة البريطانية ببرقية يبعث بها إلى السفارة التركية في سويسرا من اجل توفير الوقت . فاستحسن هذا الرأي واعطاني عنوان الملحق العسكري هناك الزعيم خليل بك لأنه كان ممن يثق بهم وقد بعث اليه بالوصايا المختصة بهذه المسألة .

ووعدني بأن يوفد رؤوف بك وزير البحرية وربما ارسل وزير الداخلية

كذلك في زورق إلى بيوك اطه لمقابلتي في تلك الليلة . وختم كلامه بقوله : « لا بد من سفرك غدا ولا يجوز أن تتأخر عن هذا الموعد » .

ثم صافحني مصافحة خالصة وتكلم بشأن دفاعي عن الكوت الذي اعجب به اعجابه بالدفاع عن « بلونة » وقد عد حصار الكوت من منزلة ذلك الحصار . وقال أن اعظم جندي تحترمه تركيا هو عثمان باشا بطل بلونة مع أن ذلك الموقع سقط كما سقطت الكوت .

وهنا ختمت المقابلة . وكان للطف عزت باشا ومقابلته لي ولا سيما لتعويله علي في مساعدة تركيا وقع حسن في نفسي فتحركت عواطفي لما بدا لي منه . فخرجت من الباب العالي حراً وانا اشعر شعور انسان جديد .

فرجعت إلى بيوك اطه في الساعة ٥ بعد الظهر . ولما مخر بي الزورق وطفقت مآذن الاستانة تتوارى ورائي اخذت افكر في غرائب الاتفاق التي مكنتني من أن انجز بالسياسة ما لم استطع انجازه يوم اوفدت بقوة عسكرية صغيرة للاستيلاء على بغداد .

أفليس في عملي هذا ما يحملني على السرور والافتخار ؟ فقد وافق عزت باشا على فتح الدردنيل . فبعد بضعة ايام تصبح مضائق غاليبولي وبحر مرمرة وبوغاز البوسفور في قبضة يدنا . وحينئذ يقضى على العشرين الف جندي الماني المرابطين في الاستانة اما بالتسليم واما بالانسحاب بمقتضى اتفاق . فتخرج تركيا من الحرب ويحتمل كل الاحتمال أن تعمد النمسا إلى عقد الصلح . فقد اصبحت الآن حراً ولم انس جنودي البواسل الذين كانوا في الاسر لأنني اشترطت على عزت باشا اطلاق سراحهم وقد وافق على ذلك .

وفي الساعة ١٠:٣٠ بعد الظهر وصل رؤوف بك منزلي في بيوك اطه فقضينا نحو ساعتين في الحديث فتلا علي حينئذ الشروط التي تعرضها تركيا لعقد الهدنة فكنا نتفاوض فيها ونحن ندخن لفائف التبغ ونشرب القهوة . وإلى القارىء تلك الشروط .

« ١ - إن تركيا ترغب في مصادقة انكلترا وترغب في حمايتها .

٢ - على انكلترا أن تنقطع على الفور عن الحركات الحربية .

٣ - إن الحكومة التركية مستعدة لمنح الولايات التي كانت تحت سيادة السلطان والآن تحتلها جيوش الحلفاء حكماً ذاتيا على أن تحمي انكلترا نظام هذا الحكم .

٤ - منح تركيا الاستقلال في الشؤون المالية والسياسية والاقتصادية .

٥ - مد يد المساعدة المالية إلى تركيا لسد العجز الذي احدثته هذه الازمة عند الاقتضاء » .

وانبأني أن الالمان يحاولون اثارة حرب اهلية بين الحزبين السياسيين في الاستانة لكي يتعرضوا لشؤون الترك بقصد الاستيلاء على هذا الموقع بجنودهم ومراكبهم الحربية وقد اخذوا يهيئون اسطول البحر الاسود للقتال . ولكن الحكومة التركية تنوي اخذ الحيطة سراً لمنع مرور هذا الاسطول في مضيق البوسفور . وكذلك تأهب الترك تأهباً عسكرياً لمقابلة ما يطرأ من حركات الالمان العسكرية . وقد استنتجت من حديث رؤوف بك أنه يحتمل أن الحكومة التركية تستنجد بالاسطول البريطاني لمساعدتها على الالمان .

وقال لي رؤوف بك أن رحمي بك سيعد لي يخته بين جزيرتي هكبه لي وبورغاز في صباح غد حول الساعة الثامنة .

وكلف رحمي بك بأن يأخذني إلى ذلك اليخت وينزلني في جزيرة ساقز حيث المدرعات البريطانية والحامية اليونانية وأنه سيقلني قطار خاص من باندرمة إلى ازمير . وطلب إلي عزت باشا أن ابرق إلى الحكومة البريطانية من جزيرة ساقز والمع في برقيتي إلى موقف تركيا . وايد لي قوله من أن الترك راغبون في عقد الصلح مع بريطانيا العظمى وفي الحماية البريطانية . وكذلك طلب إلي أن انبئه بكل ما يستجد في المسألة في ساقز لاطمئنان بال الحكومة التركية . واوعز إلي بأن اصرف

النظر عن انباء الزعيم خليل بك في سويسرا بما يجري في هذا الشأن .

وقال لي رؤوف بك يجب أن لا يحاول البريطانيون خرق الدردنيل لأن ذلك يوقع الفوضى في الاستانة . « فلا يعلم بما يحدث حينئذ غير الله . إن تركيا تريد مصادقة بريطانيا العظمى ولا ريب في أن هذه الصداقة تفيد انكلترا . فيجب أن تصبح المسألة امراً واقعاً قبل التحدث عنها . فاذا احتجنا إلى المساعدة استنجدنا بالبريطانيين وفتحنا لهم الدردنيل . فاتركونا وشأننا إلى أن يحين الوقت . وخلاصة الأمر عاملونا معاملة الكرام فنقيم على ولائكم » .

اما بشأن احتمال وقوع ازمة مالية في تركيا فاقول أن المانيا كانت قد اقرضت تركيا خمسمائة مليون ليرة ورقاً . وعلى هذه الصورة بات اعتماد تركيا المالي متوقفاً على مالية المانيا فاذا انكسرت المانيا وتضعضع اعتمادها المالي تضعضع كذلك اعتماد تركيا المالي . فهنا صفقة رابحة لبريطانيا العظمى إذ تصبح انكلترا والحالة هذه صاحبة الحق الاول في وضع اليد على الاموال التي افرزتها تركيا لوفاء الدين الالماني .

إلى أن قال « لتتأنى انكلترا في اعمالها وتثق بتركيا ثقتها بامة كريمة . وهذا ما تقدره تركيا من الاعمال لانكلترا » .

وقال لي رؤوف بك « أن حلب لم تسقط إلى الآن ولكن البريطانيين يدنون منها وسيدخلونها بلا مقاومة . لأننا لا نريد المقاومة وكيف نستطيع ذلك وقوتنا الواقفة في وجه قوة ألانبي المؤلفة من ثمانين الف جندي لا تبلغ عشرين الف جندي . فقد ابيدت جيوشنا الثلاثة - اي الرابع والسابع والثامن - أو اسرت ولم يبق لدينا سوى فلول الجيش الرابع . وقد استفحل أمر الفرار من الجيش . وفي القتال الذي وقع في الآونة الاخيرة بيننا وبين البريطانيين في سوريا فر عدد عظيم من الجنود ولم يحاربوا على الاطلاق » .

وانصرف رؤوف عني في الساعة الواحدة صباحاً ورجع إلى الاستانة في زورقه البخاري بعد أن ودعني وداعاً منطوياً على الولاء كله . وتوسل إلي أن ابذل

اقصى ما في وسعي لمساعدة تركيا وذكرني بحسن المعاملة التي لقيتها من الترك . وافترقنا على امل اللقاء بعد مدة وجيزة .

وللقارىء أن يتصور شعوري لما رجعت إلى المنزل وشاهدت الخدم منهمكين كل الانهماك في حزم امتعتنا للسفر صباحاً .

« ١٨ تشرين الاول . رافقني الرئيس مورلند وتوفيق بك وجنديا المراسلة البريطانيان وخادمي الهندي سيمون في الزورق الذي مخر بنا وبامتعتنا إلى الخليج الواقع بين جزيرتي هكبه لي وبيوك اطه . وعند الظهر وصل اليخت يقل رحمي بك فاقلع بنا إلى مرفأ باندرمة في بحر مرمرة الذي وصلناه الساعة ٦ بعد الظهر . وبعد ساعة سافرنا من هناك في قطار خاص اعد لوالي ازمير .

« ١٩ تشرين الاول . وصلنا ازمير عند الظهر فخرج جميع سكان المدينة لاستقبال الوالي الذي كنت مسافراً معه . وكانت الشوارع مكتظة بالمستقبلين الذين كانوا يصفقون ويهتفون عند مرور الوالي الذي كنت اسير إلى جانبه وكان المستر هوتل البريطاني المقيم هناك يسير في سيارته . فدهشت لذلك . أما المستر هوتل فقال لي أن جميع سكان ازمير علموا بوصولي وعلموا بأن معنى ذلك عقد الصلح » .

فاخذني الوالي إلى تناول طعام الهجوري مع اسرة المستر هوتل في منزله خارج المدينة في محل يدعى القرية الانكليزية . وكان نحو من عشرين شخصا يتناولون الطعام على مائدة الوالي . فالظاهر أن خروجي من تركيا لم يكن امراً مكتوما كل الكتمان .

والتقيت في الشارع بالكابتن « مندي » من ضباط فوج اوكسفورد الخفيف وكان مقيما في معسكر الاسرى خارج المدينة في محل يبعد بضعة اميال عن ازمير فاذن لي رحمي بك باخذه معي .

وتقرر سفرنا في الساعة ٢ بعد الظهر في سحابة مختصة بالحكومة التركية ولكن نظراً إلى تأخر الامتعة لم نستطع الشروع في السفر قبل الساعة ٣:٣٠ فكان

المركب بمحر سا في خليج ازمير ووجهتنا مدلي حيث كنا نتوقع ان نلتقي بمركب حربي بريطاني . ولم اشأ أن يعترض الالمان سبيلي لذلك اصررت على اجتياز منطقة الالغام ليلا لأن الليلة كانت مقمرة والبحر كان هادئا كبركة رحى فعاتبني الضابط التركي البحري الذي كان مكلفا بشؤون تلك السحابة قائلا « ولكن يا صاحب السعادة إذا صدمنا لغما ولحق بسعادتكم مضرة حوكمت في محكمة عسكرية » . فاجبته « إذا صدمنا لغم لا يعلم كلانا شيئا من ذلك فعلينا أن نخاطر بالمرور في تلك المنطقة . فاجتزنا خمسة اميال من خطوط الالغام » .

« ٢٠ تشرين الاول . وصلنا مرفأ بلدة مدلي الساعة ٣ قبل الظهر من غير أن نشاهد مركبا . وبعد أن صفرنا مرتين خرج الينا زورق بخاري وعليه ضابط بحري بريطاني نادانا قائلا « من انتم ؟ » .

فاجبته صارخا « الفريق طاونزند » .

فاجاب وقد دهش للأمر « الله ! تسرني مشاهدتكم سيدي » .

فقلت « لقد اصبحت مرة اخرى تحت الراية البريطانية » .

فابرقت إلى امير البحر قائد الاسطول طالبا اليه أن يوفد مركبا سريعا ليقلني اليه . وابرقت برقية اخرى إلى امير البحر « ويمس » في لندن لينبىء زوجتي باطلاق سراحي وبانني مسافر إلى لندن . وبعثت ببرقية اخرى إلى وزير الحربية وبعد ذلك بعثت ببيان مسهب عن موقف تركيا والشروط المعروضة للمهادنة إلى وزارة الخارجية .

« ٢٠ تشرين الاول (تابع) . وصلت جزيرة مدروس الساعة ٣ بعد الظهر فذهبت إلى سفينة امير البحر . فقابلني امير البحر الشريف « السر آرثر كالثورب » القائد العام لاسطول البحر المتوسط.وثاني (رير) امير البحر « السر ميكل كلم سيمور » مقابلة ودية .

وتلقيت برقية من رئيس اركان الجيش العاهلي (الامبراطوري) يأمرني

بالبقاء في مدروس إلى حين صدور أوامر اخرى على أن يكتم أمر وجودي هناك كل الكتمان المستطاع » .

فبقيت في الاسطول ضيف امير البحر سيمور . ووصل المندوبون الترك في ٢٦ تشرين الاول ونزلوا في الدراعة « اغا ممنون » وشرع المؤتمر في اعماله في اليوم التالي .

وكان الوفد التركي مؤلفاً من رؤوف بك وزير البحرية وسعد الله بك وهو زعيم من ضباط اركان الجيش التركي من حلب ورشاد حكمت بك . وجاء معهم توفيق بك من ضباط البحرية التركية وهو الضابط الذي تعين مرافقاً لي اثناء اسري في الاستانة ورافقني إلى الاسطول .

ولم اعلم بما دار في ذلك المؤتمر لأنه لم يطلب مني الاشتراك فيه ولكنني ظللت في الاسطول اثناء انعقاده للاستعانة بي عند وقوع ازمة فيه .

وقد دونت آرائي في الحالة التركية في المذكرة غير الرسمية التالية التي بعثت بها إلى المستر مونتاغ وزير الهند حين رجوعي إلى انكلترا : ـ

« في ١٥ تشرين الثاني سنة ١٩٣٤

عزيزي المستر مونتاغ

يجب أن نعلم اثناء البحث في المسألة التركية في مؤتمر الصلح أن معظم رجال الترك الذين يعول عليهم كان ممن يميلون إلى انكلترا طول مدة الحرب وهذه حقيقة لا تنكر . وقد اشترى الالمان بالذهب بزعامة انور وطلعت الذين ملكا زمام القوة في البلاد وقد فسد حزب الاتحاد الترقي كل الفساد ولم يقم بعمل اثناء الحرب سوى اهتمام اعضائه بجمع الثروة الخاصة من الوجهة المالية .

« وقد حكم انور وطلعت وشركاؤهما بالارهاب لا غير . فكل من اقدم على معارضتهم اختفى على الفور وقد حذو في ذلك حذو عبد الحميد .

ولنعلم كذلك أن فلاحي الترك وطبقة العمال منهم اخوان ثقة لذلك يجب

ان لا يؤخذوا بجريرة رجال حكومتهم .

« فبناء على ما تقدم اقول أنني لو كان لي صوت في المسألة لعاملت الترك على الاجمال في الامور العسكرية والسياسية بحيث امنع التضارب الذي يحتمل وقوعه بين الامرين العسكري والسياسي والا فاذا تعرضت الشؤون السياسية للشؤون العسكرية انتهى الأمر إلى الدمار في اغلب الاحيان على ما نعلمه من التاريخ كله . ولنعلم كذلك أن المشير عزت باشا الصدر الاعظم ووزير الحربية كان مقيما على ولاء بريطانيا ولم يزل كذلك حتى الآن . وقد سألني اثناء مقابلتي له حين اطلاق سراحي هل ارغب في مساعدة تركيا وقال لي أنه من اسرة كانت على الدوام تحترم انكلترا وانه لم يزل يتخطر حرب القرم والسياسة التي سار عليها اللورد بيكنسفيلد . وقد سألته هل يفتح الدردنيل والبوسفور فاجابني بالايجاب . وانه مستعد لمنح منطقتي سوريا والعراق اللتين احتللناهما حكومة ذاتية تحت رعاية السلطان وأن يعطينا الضمان الذي نريده لتنفيذ وعده . وقال أن كل ما تطلبه البلاد باسرها هو حماية انكلترا . وأنه خير لانكلترا أن تظل تركيا على طريق الشرق من أن تحل محلها دولة اخرى تمسي قذى في عين انكلترا . وسوف تصبح تركيا حليفة امينة طائعة . إلى أن قال « ولكننا لا نرضى بشروط شائنة لأننا لسنا بلغاريين . بل متمسكين باهداب الشرف ونفضل القتال إلى النهاية على قبول شروط شائنة . وانك لعالم بما يفعله الترك عندما يحرجون فيخرجون لانك قد حاربتهم . فلا تطردنا من الاستانة أو من تركيا الاوربية حيث اقمنا مدة قرون لأنه يستحيل علينا القبول بهذا » .

« ولا بد لي من القول بأنني اوافق على كل ما قاله المشير عزت باشا موافقة اجمالية . فلا ارى فائدة من وضع البلغار في تركيا الاوربية أو من وضع اليونان الذين يستطاع طردهم بعد خمس دقائق إذا لم تحمهم الحراب البريطانية . فارى الافضل لنا بقاء الترك على طريقنا إلى الشرق .

« وقد قال لي رؤوف بك وزير البحرية أنه كذلك مستعد لجعل الاستانة ميناء حراً فحصولنا على هذه الفائدة التجارية العظيمة وعلى منفذ إلى البحر الاسود

والفائدة العسكرية المهمة التي ننالها من وضع يدنا على الدردنيل وغاليبولي والبسفور تمسي تركيا باسرها تحت اقدامنا . ولا ارى فائدة من احتلال المدن الداخلية في تركيا الآسيوية لأن ذلك ينطوي على غلطات عسكرية مهمة ولأن الاحتلال على هذه الصورة يعني تفريق القوات العسكرية وبجملة اخرى اننا بذلك نعبث باهم قواعد الحرب الاساسية الست وهي قاعدة الاقتصاد في القوة .

« واردف البرهان الذي تقدم بهذه الحجة وهي أنه لا فائدة على الاطلاق من احتلال مقدونيا أو سوريا لأننا اذا فعلنا ذلك نحبس جنودنا في ذينك القطرين بلا جدوى لا سيما اذا علمنا أن بامتلاك الدردنيل والبوسفور تبيت تركيا في قبضة يدنا .

« وإذا رأت الحكومة الاحتفاظ بقسم من العراق فارى الافضل الاحتفاظ بولاية البصرة التي تجعل حينئذ ميناء حراً . ولكن نظرا إلى استيلائنا على الخليج العربي والاقيانوس الهندي لا ارى أن هنالك ضرورة عظمى تحتم علينا امتلاك البصرة .

« ولا شك في أن الحكومة التركية ستحتاج إلى مساعدة مالية . وقد علمت من رؤوف بك أن الحكومة ستبذل وسعها للاستغناء عن المساعدة المالية . ولكن قال لي نظرا إلى اقتراض تركيا من المانيا خمسمائة مليون ليرة ورقا يحتمل وقوع ازمة مالية . ولا يخفى أن معالجة الامور المالية تتطلب خبرة الخبراء ولكني ارى رأيا سطحيا وهو يجب أن لا نضيع الفرصة السانحة لنا للمضاربة لأنها لا تخلو من الفائدة وذلك أنه يحق لنا قبل غيرنا أن نطالب تركيا بدفع ما عليها فنضع يدنا على الذهب الذي افرزه الترك لدفع دين المانيا . وفضلا عن ذلك أننا بطبيعة الحال ستتسلم السكك الحديدية والتجارة وننشيء لنا مراكز تجارية في الاستانة للمتاجرة وبذلك نسترد بوسائل عديدة النقود التي اسلفناها .

« فلو كان لي صوت في المسألة لعالجت المسألة التركية في مؤتمر الصلح على هذا الوجه الاجمالي .

صديقكم المخلص

« جارلس ف. ف. طاونزند »

وفي ٢٧ تشرين الاول جرى حديث بيني وبين الزعيم نيوكوم من ضباط البحرية في جزيرة مدروس . وكان هذا الضابط اسير حرب في تركيا فتقلب عليه الدهر تقلبا كثيراً وقد قبض عليه مرة اثناء محاولته الفرار ولكنه تمكن في آخر الامر من النجاة . فقال أن اليوم الذي خرجت فيه سراً من الاستانة اذاعت الصحف خبر خروجي ! وهذا مما يدلنا على أن الحكومة التركية نفسها اذاعت الخبر ونشرت اخبار استقبالي في ازمير . وهذا مما لم يبق حاجة إلى اصرار حكومتي على كتمان خبر وصولي جزيرة مدروس .

وفي ٢٩ تشرين الاول توقف المؤتمر لكي يتمكن رجال الوفد التركي من احالة مسألة احتلال حصون غاليبولي إلى الباب العالي . وكانوا قد وافقوا على فتح الدردنيل والبوسفور .

وفي ٣٠ تشرين الاول امضيت شروط الهدنة بين بريطانيا وحلفائها وبين تركيا وذلك ليلا على ظهر الدارعة « اغا ممنون » . وفي الساعة ١١ بعد الظهر لما كنت على يخت امير البحر تلقيت رسالة تدعوني إلى الذهاب إلى الدارعة اغا ممنون لمقابلة رؤوف بك . (وكان المؤتمر قد استأنف جلسته الساعة ٩ بعد الظهر) فظننت حينئذ أنه قد وقعت ازمة في المؤتمر .

ولما وصلت الدارعة « اغا ممنون » وجدت أن شروط الهدنة قد امضيت في تلك الساعة وكان جميع المندوبين من بريطانيين وترك جذلين . وكاد رؤوف أن يقتلع ذراعي من جسمي لما صافحني مودعا إذ قال : « أن تركيا لن تنسى المنة التي اوليتها اياها لتمهيدك سبيل الصلح فنرجو منك أن تزور الاستانة مع اللايدي طاونزند » . وكذلك طلب إلي أن ارافقه في الذهاب إلى قمرته لأنه يرغب في أن يفاوضني على انفراد في مسألة من المسائل . فرجا مني أن اقابل اللورد « كرزن » واقول له أنه يصح الاعتماد على تركيا بمنزلة حليفة مخلصة لانكلترا . وإن السلطان امره حين خروجه من الاستانة بوجوب عقد الصلح مع انكلترا . وافصح عن امله في اننا سنمد يد المساعدة المالية إلى تركيا وذلك ليس بمبلغ كبير بل بما يكفي لدرء الازمة المالية لأنه كان واثقا من أن المانيا ستحاول خلق المشاكل المالية لتركيا .

وبعد أن شكرت لرؤوف بك كل اللطف الذي لقيته منه اثناء اسري ودعته فسافر هو وباقي اعضاء الوفد التركي على ظهر طرادة في الساعة ١ قبل الظهر .

ولا ابالغ إذا قلت أن تسليم تركيا قبل الاوان قصر امد الحرب عدة شهور ووفر الملايين من الليرات والالوف من الانفس وهذه كانت كلمات المسيو كليمنسو بعينها لما قابلته في باريس . وكان تأثير تسليم تركيا في تشرين الاول سنة ١٩١٨ تأثيراً مهماً في الالمان والنمساويين حتى أن السفير الالماني في الاستانة علم بسفري لعقد الصلح بالنيابة عن الترك في صباح اليوم التالي عينه فابرقي بذلك إلى المانيا . ولولا ذلك لاستطاع الترك مقاومة « ألانبي » مدة خمسة اشهر أو اطول من ذلك . وحاشا لي أن اقلل من قيمة الفوز الباهر الذي تم لذلك القائد العظيم « ادمند ألانبي » ولكنني ارغب في أن ابرهن على نصيبي الحقير من المساعي التي بذلت في سبيل عقد الصلح .

الخاتمة

بعد أن شكرت لاميري البحر « كالثورب »[1] و « سيمور »[2] لطفهما وكرمهما اللذين شملاني اثناء اقامتي معهم ركبت في الليلة التالية - اي ٣١ تشرين الاول - الطرادة « فورورد » المعقودة اللواء للرئيس « بدفورد » قاصداً طورنتو بطريق ترعة « كورنثوس » في طريقي إلى لندن ماراً بروما وباريس . فوصلت روما في ٣ تشرين الثاني الساعة ١١:٣٠ قبل الظهر فعلمت هناك أن النمسا ما عتمت أن حذت حذو تركيا في طلب الصلح على ما كنت اتوقعه .

وفي ٥ تشرين الثاني وصلت باريس فانضمت إلي زوجتي هناك فقضينا ثلاثة أو اربعة ايام في نزل « موريس » فجاء للتسليم علينا عدد عظيم من الاصدقاء .

وكذلك تشرفت بمقابلة المسيو كليمنسو الذي صافحني مصافحة ودية شاكراً لي العمل الذي قمت به لا سيما المساعي التي بذلتها لحمل تركيا على الخروج من الحرب قائلا أن تسليم تركيا وفر علينا ملايين الليرات والوف الانفس . ووصلته اثناء المقابلة برقية اطلعني عليها وكانت تلك البرقية من الالمان الذين طلبوا السماح لهم بالمرور في خطوط ستارات الحلفاء لوضع شروط لعقد الهدنة .

وكنت شديد الرغبة في مشاهدة المشير فوش الذي عرفته قبل الحرب وباحثته بحثاً ملياً سنة ١٩١١ في المناورة التي يرجح لا بل يرجح أن ينطوي عليها التعرض

(١) قائد بحري .

(٢) قائد بحري .

إننا نرى المؤرخين والساسة ينسبون في أغلب الاحيان إلى قادة الجيوش الفائزين في ساحة القتال مواهب سامية «مثل معرفة الامور قبل وقوعها» و «التكهن بالخطط والحركات التي ينوي العدو السير عليها قبل الشروع في القتال» وهلم جراً . ولكنني اقول أن هذه المواهب الخارقة للعادة لا توجد الا في مخيلة الذين يدونون اخبار الحوادث وايام وقوعها . وقد طالعت ما نشرته الصحف في الأونة الاخيرة في هذا الشأن من أن فريقاً من القادة البريطانيين تكهنوا بالمناورة التي قام بها الالمان باختراق بلجيكا عام ١٩١٤ . لذلك اروي النادرة التالية التي لا تخلو من اللذة والفائدة لابرهن على أنني سمعت البحث في هذه المناورة الالمانية عام ١٩١١ .

لما ارتقيت إلى رتبة فريق ثان رجعت من حيث كنت اقود قوتي إلى الوطن فذهبت لزيارة العميد «فوش» في مكتبه في المدرسة الحربية . وكان برفقتي المقدم «مورداك» الذي تعين حينئذ ضابطاً من ضباط اركان الجيش للمشير «جوفر» القائد العام للجيوش الفرنسية . وفي أول معرفتي به كان احد اساتذة المدرسة الحربية التي كان يديرها «فوش» . وقد اصبح ماردوك الآن فريقاً وهو ناموس (سكرتير) «المسيو كليمنسو» الحربي . وتعمقت عرى الصداقة بيننا في باريس لما كنت اتعمق في درس فن الحرب وطالما تبادلنا الآراء في سوق الجيش . وقد شرفني ماردوك تلميذ فوش بالماعه في كتابه المسمى «سوق الجيش وتاريخه ونشوءه» الذي نشره عام ١٩١٢ أي مباحثي في سوق الجيش ولا سيما في مذهب نابليون الحربي . وقد نشر كتابه هذا على اثر ظهور كتابه المشهور المسمى «دروس في سوق الجيش» الذي نشر عام ١٩١٠ واطريته كل الاطراء «للورد نكولسن» و «اللورد فرنج» . واعتقد أن هذا الكتاب كان من عوامل الفوز الكبيرة في الحرب لأن الناس اقبلوا على دراسة كتب ماردوك كل الاقبال فسارت رئاسة اركان جيشنا وجيشي ايطاليا واسبانيا على كثير من مناهجه واعتقد أن رئاستا اركان جيش رومانيا وبلغاريا نحتا كذلك هذا النحو . واذكر في هذا الصدد كذلك كتابه «السياسة وسوق الجيش في

الحكومات الديمقراطية» الذي نشر عام ١٩١٢ . ويقتضي مطالعة هذا الكتاب إذ لا يخفى انه اثر تأثيراً عظيما في الحرب .

كنا يوما نتباحث في مكتب فوش في المدرسة الحربية فطفق يبرهن لنا على الخريطة الطريقة التي يحشد بها الالمان من ٤٢ فيلقا إلى ٤٥ فيلقا على خط كولون - مولهوزن على جبهة سعتها نحو من ٢٤٠ ميلا ! وقال « أن هذا العمل ليس حربا بل غزوة طوطونية » . وبرهن لنا على أن ميمنة الجيوش الالمانية ستخترق بلجيكا بحركة التفاف واسعة شاملة . وقال « هذا هو السبب الذي يحمل انكلترا على خوض غمرات الحرب لأنه إذا دخل الالمان بلجيكا لا يخرجون منها ابدا ما لم يطردوا منها طرداً » . وسألني بصفة كوني دارساً متفرغا لدراسة فنون سوق الجيش عما افعله لمقابلة هذه الحركة وانا ازاء جبهة واسعة جدا مثل خط كولون - مولهوزن وما الحركة التي يحتمل أن يقوم بها قائد مثل نابليون ازاء الالمان . فاجبته أنه لو كان نابليون لعمد إلى اختراق سوق جيشي - اي أنه يحمل بقوته الكبرى على قلب الجيش الالماني أو احد جناحي ذلك الجيش لأنه يستحيل عليه والحالة هذه القيام بحركته الالتفافية على جبهته هذا اتساعها على مجنبتي[1] العدو ومؤخرته . فاستصوب فوش جوابي هذا .

ثم بحث فوش في خطوط سوق الجيش الحديدية الثلاث التي بناها الالمان من كولون وكوبلنز إلى معسكر سوق الجيش في « مالميدي » قبالة لياج واتخطر أنه قال حينئذ « لا تقع الحرب إذا كشرت انكلترا وفرنسا وروسيا عن انيابهن[2] . انما يجب أن تكون تلك الانياب قوية . اما انياب انكلترا فضعيفة لأنها لا تشأ أن تؤلف جيشاً قويا » .

ولا حاجة إلى القول أنني بعثت بالبحث الذي جرى اثناء هذه المقابلة إلى المشير « نيكولسن » وكان حينئذ رئيس اركان الجيش وكنت متعوداً على مكاتبته في

(١) المجنبة بالانكليزية .

(٢) يعني بالانياب هنا القوات العسكرية .

الشؤون المختصة بسوق الجيش .

ولا غرابة في أن شوقي كان شديدا إلى مقابلة المشير فوش الذي برهن الآن على كونه اول قواد الجيوش في اوربا . وكان قد تم الاتفاق بيننا على أن اقابله بعد ظهر اليوم الذي قابلت فيه المسيو « كلمنسو » . ولكنني لما درجت بي السيارة إلى القصر الذي كان قد اتخذه مقرا عاماً له لم اتمكن من الالتقاء به لأنه استدعي فجأة إلى باريس لمقابلة المسيو كليمنسو للنظر في أمر مهادنة الالمان . ولما كنت مرغما على مغادرة باريس في اليوم التالي لم اتمكن من مقابلة المشير الأمر الذي اسفت له كل الاسف .

ووصلت محطة فكتورية يوم السبت في ٩ تشرين الثاني فاستقبلني نفر من الاصدقاء والاقارب استقبالا وديا .

وقد وجدت في مفكرتي لعام ١٩١١ رسالتين من العميد فوش اعتقد انهما تتضمنان ما تروق للقارىء مطالعته . وقد كتبت في مفكرتي تلك بتاريخ ٤ كانون الاول ما يأتي : ـ

« تناول العميدان دي لاكروا وليوتي طعام الهجوري معي في المنزل الرقم ٢ من منازل شارع بسانو . وكان دي لاكروا قائد الجيوش الفرنسية العام في العام الماضي واراه الآن موضع ثقة رئاسة اركان الجيش الفرنسي وقد استعفى نظرا إلى شيخوخته . وقد رأيت فيه جنديا قديرا جدا متعمقا في فنون سوق الجيش والتعبئة العليا . اما العميد ليوتي فهو قائد الفيلق المرابط في بريطانية وهو طموح في السياسة وحديث السن بالنسبة إلى باقي القادة الفرنسيين والفيت ليوتي مرتاحا جدا إلى تحمسي في الثناء على مقدرة العميد فوش اثناء حديثنا . فقال لي « أنني موافق على رأيك كل الموافقة » .

ولا يخفى أن ليوتي كان يوما وزيرا للحربية وهو الآن الحاكم العام على الاملاك الفرنسية في شمال افريقيا . والجميع واقفون على المقالات العسكرية التي نشرها العميد « دي لاكروا » في جريدة « الطان » اثناء الحرب . وهنا انشر رسالتي

المشير فوش اللتين بعث بهما إلي : -

« المدرسة الحربية العليا .

الأمر العام

باريس في ٢٢ آب سنة ١٩١١

عزيزي الفريق

لقد سرتني جدا بشارة ترقيتك إلى رتبة فريق ثان التي بلغت بها منزلة سامية في مسلكك . فامحضك خالص ثنائي .

اما انا فقد كلفت بقيادة الفرقة الثالثة عشرة من الفيلق السابع المرابط في حدودنا الشرقية . وسأسافر مساء اليوم لقيادة هذه الفرقة في المناورات الكبرى . وإني لمرتاح جدا إلى هذه القيادة . ولا تبعد « شومون » حيث مقري العام عن باريس سوى مسافة اربع ساعات . واعتقد أنني سأتمكن من التردد إلى باريس لا سيما اذا علمت بأنني اتمكن من الاجتماع بك هناك . وقد اهتممت جدا بما رويته لي بشأن مناوراتك . وارى أن جنودك تقطع الآن شطوطا بعيداً في مضمار التقدم في تعليمها وتدريبها .

وتفضل ايها الفريق العزيز بقبول العواطف الصادقة من محبك ف . فوش »

« الفيلق السابع

قيادة الفرقة الثالثة عشرة

شومون في ٦ تشرين الثاني سنة ٩١١

« عزيزي الفريق

« تلقيت في شومون دعوتكم اللطيفة إلى تناول الغذاء معكم في باريس وانا في حالة يستحيل علي قبولها ولم تفصح لكم برقيتي الافصاح الذي ارغب فيه عن اسفي لعدم تمكني من الحضور . اما رسالتكم فقد حملتني على توقع مجيئكم إلى باريس ومنها إلى شومون . فاذا كنت مصيبا في اعتقادي ارجو أن تنبئوني بذلك قبل مجيئكم .

إن فرقتي منتشرة على جبهة واسعة فقد وضعت كتيبة مشاة في « لون لي سولنيه » وكتيبتا مشاة في « بيسانكون » وذلك ما عدا كتيبتي مشاة في « لانكري » وفي « شومون » . ولما كانت واجباتي تقضي علي من وقت إلى آخر بالاشتراك في مناورات الحامية وتمارين القطعات التي تجري في الشتاء فلا بد لي من القيام بسفرات عديدة .

واني لأسف شديد الاسف لعدم تمكنكم من الاشتراك في مناوراتنا الكبرى . فقد تمت على غاية الرشاقة والانتظام . فنحن الآن اقوياء ومستعدون للقتال . ونرغب في الوقوف على نتائج الاتفاق الفرنسي والالماني حين امضائه . فليت شعري هل يضمن هذا الاتفاق السلام لاوربا ؟ وهلا تتوقع انكلترا هبوب زوبعة اخرى ؟ وما الذي يحدث في الاستانة وفي البلقان ؟ ترى ألا تنشأ مشاكل جديدة في الربيع لا تحل الا بقصف المدافع . ويخيل إلي انكم ستصبحون بعد وقت قصير قائد القوات البريطانية المرابطة في مصر . فهل تعتقدون بوقوع مشاكل جديدة في اوربا قبل أن يتم ذلك ؟

اهنئكم لانكم احسنتم الصيد في « شانز » اما انا فلم اتمكن من اطلاق اطلاقة واحدة هذه السنة نظراً إلى تعييني لقيادة الفرقة ١٣ في ٦ آب وإلى الاعمال التي قمت بها في المدرسة الحربية إلى ١٥ تشرين الاول .

والآن استودعكم الله ايها الفريق العزيز إلى الملتقى على امل اللقاء القريب . وتفضلوا بقبول فائق العواطف من محبكم .

ف. فوش

وقد تلقيت مئات الرسائل من جميع طبقات الشعب يفصح فيها كاتبوها عن عطفهم على مساعي واستحسانهم لاعمالي . واورد هنا رسالة الفريق الثاني « كمبال » الذي كان رئيس اركان الجيش « للسر جون نكسن » وتولى بعد ذلك قيادة لواء من الالوية التي اشتركت في القتال لفك الحصار عن الكوت : ـ

« فلاغستاف هو ـ مو

اواسط الهند
في ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٩١٨
عزيزي طاونزند

سرني أن علمت من برقيات روتر بوصولك الوطن سالما وبالاستقبال الفخم الذي استقبلتك به لندن .

واملي انك عندما تضع الحرب اوزارها تلقى من اجلال الامة لقدر اعمالك فوق ما تلقاه الآن وأن الشعب سيكرم الفرقة السادسة اكراما خاصا .

« ومهما عملته الامة للتعويض عن الضيم الذي لحق بك وبجنودك مدة ذلك الاسر المريع الطويلة تظل مقصرة في مكافأتكم . وثق بأن الجميع يعطفون كل العطف على مصير رجال حامية الكوت البواسل .

« وكذلك اشاطرك الاسى لانك فقدت كل فرصة يتاح لك أن تبرهن فيها على مقدرتك العظمى على القيادة ـ تلك المقدرة التي نمت عنها اعمالك إلى يوم اسرك من غير ذنب منك . ولقد ساء حظك كل السوء يوم اعتلت صحة نكسن لأنني واثق من انه لو ظل نكسن في العراق لاخرجك من مأزقك .

« وخلاصة الكلام أن العناصر الطبيعية ناوأتنا العداء فباتت مهمتنا شاقة جدا في مثل تلك الاحوال اما الجنود فكانت حالتهم على ما يرام وقد استبسلوا في القتال كل الاستبسال مع الخسارة الفادحة جدا التي تكبدوها لا سيما من نيران الرشاشات . وثق باخلاص صديقك الحميم .

ج . كمبال »

ولما وصلت الوطن طالعت التقرير الذي وضعته « لجنة التحقيق العراقية » وكان على هيئة كتاب فارتاحت نفسي إلى ما جاء فيه لأنني خرجت من تلك المحكمة نقي الصحيفة طاهر الذيل .

واورد هنا رسالة بعث بها إلي اللورد جورج هملتون رئيس تلك اللجنة وفيه ما يخفف بعض مصابي :

« شارع مونتاغ العدد ١٧
« ميدان بورتمان ، و ١
في ١٨ تشرين الثاني سنة ١٩١٨
« عزيزي السر جارلس

« بت طريح الفراش مدة قصيرة من جراء اصابتي بنزلة صدرية خفيفة ولولا ذلك لحظيت بزيارتك واسمح لي بتهنئتك تهنئة خالصة لرجوعك سالماً إلى انكلترا . . . وبصفة كوني رئيس اللجنة العراقية اشارك الشعب في عواطفه نحوك . وقد سرتني جداً مطالعة ما صرحت به لاحد مخبري الجرائد لأن الحقائق التي رويتها له تنطبق كل الانطابق على تقرير اللجنة . واخاف أن معظم رجال حامية الكوت قد رحل إلى دار البقاء فمات اولئك . . . مما قاسوه من الشدائد والجوع .

« وقد انجلت للجنة هذه الحقيقة الناصعة وهي أن الحامية دافعت عن الكوت دفاعاً مجيداً محى آثار التسليم الذي انتهى اليه امرها فرفع ذلك منزلتنا في عيون العالم بدلا من أن يحطها .

« واختم رسالتي مترجياً لك سنين نجاح ورقي عديدة وثق بأنني

محبك المخلص جداً
جورج هملتون »

« شارع مونتاغ العدد ١٧
ميدان بورتمان ، و ١
في ١٤ شباط سنة ١٩١٩

« عزيزي السر جارلس

سرني جداً تلقي رسالتك ويسرني أن اجتمع بك بعد بضعة ايام . ولسوء الحظ أنني الآن منهمك جداً في اشغالي ولكنني ساكتب اليك بعد بضعة ايام مرة اخرى فاعين لك موعداً للقاء لأنني اتشوق غاية الشوق إلى محادثتك .

« وقد سررت كذلك بخبر مطالعتك تقرير اللجنة العراقية لأننا كنا قد تلقينا الادلة المختصة بشخصك من غيرك فبنينا عليها ما يتعلق بك في تقريرنا . وقد انجلت لنا هذه الحقائق كل الانجلاء وهي انك كنت قوام الحملة العراقية منذ نزلت بر العراق وأن الزحف إلى بغداد تم رغم ما ابديته من الرأي الصائب وانك بذلت كل ما في طاقة البشر بذله في مقاومة الصعوبات الجمة التي لقيتها سواء كان ذلك اثناء انسحابك من طيسفون أو اثناء دفاع الكوت الطويل الذي عقب ذلك الانسحاب . وثق بانني محبك المخلص .

جورج هملتون »

واختم كتابي هذا برسالتين اخريين لهما في نظري قيمة خاصة . فاولاهما تقليتها من « ايلمر » الباسل الذي حاول بكل اقدام فك الحصار عن الكوت والاخرى من الزعيم آمر كتيبة المشاة التي انتسبت اليها في سابق عهدي وهي كتيبة « رويال فيوز يليرز » : -

« نزل العاهلية البريطانية

« لندن و ٨

في ٨ تشرين الثاني سنة ١٩١٨

« عزيزي طاونزند

« اعتقد بانك قد وصلت الآن وطنك القديم بعد نفيك الطويل الامد فاكتب اليك مرحباً بك ومحييك تحية خارجة من قارة نفسي .

« طالما كنت افكر في امرك واشاطرك شعورك يوم كنت ترى نفسك غير قادر على الاشتراك في الحرب ومواصلة السعي الباهر الذي شرعت فيه . واهنئك لانك تمكنت في آخر الامر من بذل المساعي لاخراج تركيا من ساحة الحرب . ولن يفارقني الاسف ابداً لفشلي في المساعي التي بذلتها لفك الحصار عنكم جميعاً لانه كان لي بينكم كثير من الاصدقاء . ولم الق عزاء من احد مثل الرسالة التي بعثت بها انت وميلس إلي يوم عزلي .

صديقك المخلص جداً

أ. ج. ايلمر »

« كريغس
دمفريز
ن . ب
في ١٨ تشرين الثاني سنة ١٩١٨

« عزيزي طاونزند

« اكتب اليك بالنيابة عن كتيبة المشاة هذه رافعاً اليك التهنئة الخالصة برجوعك إلى الوطن بعد التجارب العديدة الشاقة التي اجتزتها ومفصحاً لك عن اعجابنا باعمال البطولة التي قمت بها ومؤملا أن تقدر الامة اعمالك هذه كل التقدير الذي تستحقه .

« واختم راجياً لك الصحة والعافية .

وثق بأنني صديقك المخلص
جفري بارطن »

« انتهى »

رأي الفريق باترك هيهر بالفريق طاونزند

ولد الفريق السر جارلس ف . ف . طاونزند عام ١٨٦١ وخاض غمرات حرب الترنسفال عامي ١٨٩٩ و ١٩٠٠ وغمرات الحرب العظمى عامي ١٩١٥ و ١٩١٦ في العراق إلى أن اسره الترك في كوت الامارة ومن عام ١٩٢٠ انتخب نائباً في مجلس العموم البريطاني وتوفي في باريس ولما اذيع نعيه نشرت الصحف المقالات الضافية باحثة في سيرته واعماله وافضل ما كتب في هذا الشأن ما نشرته جريدة التايمس اللندنية بقلم الفريق السر باترك هيهر الذي كان مدير الامور الطبية في الفرقة السادسة التي كان يقودها الفريق طاونزند في حربه العراقية فآثرنا ترجمتها وتدوينها هنا ليقف القراء على رأي خبير في مؤلف الكتاب الذي اقبلوا على مطالعته . قال السر باترك : -

« كانت عرى الصداقة متمكنة بيني وبين الفريق طاونزند وهو افضل قائد عرفته في ساحة القتال . وكان يفكر تفكيراً ملياً في وضع الخطط الحربية ويعمل فيها الروية قبل البت في امرها . وطالما شاهدته يقاتل العدو في معركة يتوقع وقوعها على الورق فيرسم للعدو خمس خطط للقتال ويضع لمقابلة كل منها خطة لقوته واخيراً يرسم خطته لمهاجمة العدو .

ولا يخفى أن جميع المعارك التي خاض غمارها في العراق اثارها على الترك الذين كانوا متحصنين في مواقع دفاعية منيعة . واذا استثنينا « وقعة الروطة » البرية المائية التي جرت في ٣١ أيار عام ١٩١٥ نراه على الدوام يطرد العدو من خنادقه بقوة اصغر من قوة خصمه . وكان يعينه في عمله عدة قواد معاونين متفوقين

بذكائهم ومقدرتهم كالفرقاء السر ولتر ديلامين والسر جارلس ميلس والسر س . كلايمو وغيرهم .

وكان واسع الاطلاع على التاريخ العسكري . وطالما تباحثنا في مجرى الحرب فكنت الفاه منكراً اسلوب تفريق القوات اشد الانكار وكان شديد الاعتقاد بان الحرب ستنتهي في الساحة الغربية حيث تجري المعارك الفاصلة . وقد قال في مأدبة اقمناها في ٢٦ أيار سنة ١٩١٥ ـ اي قبل زحفنا شمالا على دجلة ببضعة ايام ـ « أن هنالك ضابطاً فرنسياً وحيداً وهو العميد فوش ينبغي لنا مراقبة مسلكه » . لأن الفريق طاونزند كان معتقداً بأنه إذا سنحت الفرص لذلك الضابط اصبح من اقدر قواد الجيوش في ايامنا . وقد خبره فقيدنا المرحوم يوم كان ملحقاً عسكرياً في باريس لأنه كان يكثر الاجتماع بالمشير فوش .

جرت معركة السن في ٢٧ و ٢٨ أيلول سنة ٩١٥ وقد بحث فيها في كتابه « محاربتي في العراق » . وكان الفريق طاونزند يتوقع أنه اذا خدمه الحظ قهر الترك في طيسفون واستولى على بغداد ولكنه كان شديد الشك في مقدرته على الاحتفاظ بعاصمة العراق بباقي قوته .

إنني لم اعرف قط قائداً جعل اركانه الضباط جزءاً منه منذ اعلان خطته إلى انتهاء المعركة مثل الفريق طاونزند . وقد سمعت هذا الكلام عينه من عدة آمرين من آمري الوية فرقته . وكان اثناء المعركة يبعث الثقة في صدور جميع رجال قوته . ففي ١٦ آذار سنة ١٩١٦ لما كنا محصورين في الكوت وكان اليأس والقنوط قد اخذ منا كل مأخذ من جراء الحملة التي جردت لفك الحصار عنا دار الحديث بيننا في أمر المحاصرة فقال لي وعيناه مغرورقتان بالدموع : ـ « اعتقد أنني لو تمكنت من الخروج بطائرة والانضمام إلى قوتنا في اسافل النهر لتمكنت من فك الحصار عن الكوت . انما لا يليق بي أن اقترح هذا الاقتراح لأنني قائد مأمور » . اما انا فاشك كل الشك في تمكن طائرة من طائراتنا النزول في الكوت حينئذ لنقله لأننا كنا ضمن المدى الذي تؤثر فيه نيران المدافع والبندقيات من اطرافنا الثلاثة .

وكان كذلك رقيق العواطف . فاتخطر أنني قلت له في اوائل شباط عام

١٩١٦ ونحن في الكوت أن احد ضباط صف المدفعية قد جرح جرحا بليغا وهو في غاية الاحتياج إلى منبه وأنه قد نفدت جميع المشروبات الروحية التي عندنا . فاعطاني حينئذ القنينة الاخيرة التي ظلت عنده من الخمر لكي يشربها ذلك الجندي وقال أنه كان ناويا الاحتفاظ بهذه القنينة إلى يوم فك الحصار عنا .

وكان جنديا باسلا جدا كريم الشمائل وذا نشاط وهمة نادرين . وقلما بانت عليه آثار التعب . اما عن حسن معشره وسعة روايته للنوادر والقصص فحدث ولا حرج . اجل أنه لم يكن خاليا من العيب ومصونا من الزلات شأن غيره من البشر وقد قال المثل الفرنسي « لا خير يرتجى من المعصوم من الغلط » . فيسوءنا جدا نحن المعجبين باعماله الباهرة وهو يقود الجنود في ساحة الوغى أن يختم مسلكه العسكري قبل الاوان .

فهرس الكتاب

الباب الاول

الباب الثاني

الباب الثالث

طيسفون المدائن

الباب الرابع (حصار الكوت)

الباب الخامس

طاونزند في الاستانة

(أيار ١٩١٦ - تشرين الاول ١٠١٨)



اللواء الركن
حامد أحمد الورد

١ ـ خريج الكلية العسكرية عام ١٩٦١ .
٢ ـ خريج كلية الاركان العراقية عام ١٩٧١ .
٣ ـ صدرت له المؤلفات التالية :

آ ـ المعرفة المُسبقة .
ب ـ الوطن القائد المواطن
حـ ـ المسألة الدينية والقومية العربية وموقف حزب البعث العربي الاشتراكي منهما .
د ـ الانسان وبناء المجتمع في فكر وتجربة حزب البعث العربي الاشتراكي .
هـ ـ كتاب القائد الضرورة . . .
و ـ كتاب معركة قادسية صدام ـ الدفاع عن الشرف العربي . . . (قيد الطبع)